الكوفة عاصمة الايمان والحضارة

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي السابع عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

بالتعاون مع أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

الجزء الثاني

المحور التاريخي والسياسي والنظم الإسلامي

اعداد واشراف

أ.د.عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.د.علاء كامل صالح العيساوي	دوافع اختيار الامام علي(عليه السلام) للكوفة عاصمة للدولة الإسلامية	١
٢.	أ.د.شاكر مجيد كاظم أ.د.فرقد طارق علي	سيرة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكوفة من خلال كتاب مروج الذهب للمسعودي	٣٥
٣.	أ. حمدية صالح الجبوري	الامام الصادق أثره في تكوين المدرسة الكوفية	٧٧
٤.	أ.م.د.طالب حسين	أساس النظام السياسي في الكوفة زمن الامام علي عليه السلام	٩٨
٥.	أ.م.د. عبد المنعم عبد الجبار علي جعفر م.د. منتصر حسن دهيرب	زيد بن صوحان الكوفي وأثره في الاحداث السياسية حتى سنة ٣٦هـ	١٢٠
٦.	ا.م.د ثريا محمود عبد الحسن الخزعلي ا.م .د ازهار غازي مطرالبهادلي	ثروات الولاة في الكوفة حتى نهاية العصر الاموي	١٦٦
٧.	أ.م.د محمد علي حسين م.د مها عبد الرحمن حسين	دور المرأة الكوفية السياسي والثقافي (دراسة تاريخية)	١٩٧

٨.	أ.م.د. علي قاسم زيدان	الكوفة رمز الوسطية والتعايش السلمي ونبذ التطرف - سياسة الإمام علي انموذجا-	٢١٧
٩.	ا.م،د. خالد تركي عليوي النداوي ا.م.د. ثريا محمود عبد الحسن الخزعلي	سجون الكوفة في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ)	٢٣٩
١٠.	ا. م . د. حمدان رمضان محمد ا.م. د. عائدة محمد عبيد	اسس ومبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في ضوء فكر الامام علي(عليه السلام)(بين المنهج والتطبيق)	٢٦٢
١١.	أ.م.د. صباح كريم رياح الفتلاوي أ.م.د. بشرى ناصر الساعدي	مرويات مؤرخي القرن الخامس للهجرة عن الكوفة البكري (ت ٤٨٧ هـ) في كتابه معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع أنموذجاً	٢٧٤
١٢.	أ.م.د. صفاء عبد الله برهان الغرباوي	الكوفة في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة ـ دراسة موازنة ـ	٢٩٥
١٣.	د. محمد علي محمد رضا الحكيم	حقوق المواطنة في فكر الإمام علي وتطبيقاتها العملية خلال حكمه في الكوفة	٣٢٣
١٤.	م. د. صلاح هاتف حاتم	الخط العربي والنقود في مدينة الكوفة حتى نهاية العصر الاموي	٣٦٣
١٥.	م. د صبا حسين مولى م.د غصون مزهر حسين	دور الكوفة السياسي في العراق (ثورة العشرين نموذجا)	٣٧٥

١٦.	م.د. سلام رزاق حسون	حكم الحزب الأموي ودوره في الأحداث السياسية في الكوفة	٣٨٧
١٧.	م. نهى حامد طاهر عبد الحسين الطائي	خصائص الادارة في حكم امير المؤمنين علي (عليه السلام) ﴿ العدالة انموذجا ﴾	٤٣٠
١٨.	م.م. أنوار سليم عبد الكريم رضا	الانظمة الاقتصادية المتبعة في مدينة الكوفة أثناء خلافة الامام علي عليه السلام	٤٥٦
١٩.	م.م. رغد الخزرجي	الكوفة عاصمة الامام علي (عليه السلام) (الدوافع والاسباب)	٤٩٠
٢٠.	م.م شيماء ياس خضير العامري	موقف زيد بن علي من الاوضاع السياسية والاقتصادية في الكوفة بظل الحكم الاموي	٥٠٣
٢١.	م.م.هيفاء كاظم إسماعيل	الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية لبناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام)	٥٣٠
٢٢.	الباحث علي محمد الجبوري	السمات والملامح الادارية العامة في الكوفة في خلافة الامام علي (ع)	٥٥٨
٢٣.	شيخ حيدر فاضل الشكري	نظام الحكم عند امير المؤمنين عليه السلام	٥٨٠
٢٤.	الباحث نذيرهارون الزبيدي	سمات القيادة الادارية المستوحاة من عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر (رض)	٥٩٨

٢٥.	الباحثة: آلاء علي كريم الموسوي	(قراءة في سيرة حبيب بن مظاهر الأسدي)	٦٢٦
٢٦.	م.م. نوفل عبد الأمير الحمّامي	الكوفة حاضرة الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) دراسة تأريخية	٦٤٥

دوافع اختيار الامام علي(عليه السلام) للكوفة عاصمة للدولة الإسلامية

أ.د.علاء كامل صالح العيساوي
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم التاريخ

المقدمة:-

ما أن تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة سنة (٣٥ هـ/٦٥٥م) حتى بدأ بجهود حثيثة لإصلاح وتطوير نظام الولاية في الدولة الإسلامية ،بعد تعرضه للفساد في عهد عثمان وذلك بسبب اعتماده على ولاة غير أكفاء وغير مؤهلين للعمل في أدارة الولايات فاخلوا بواجباتهم وأساءوا للرعية واثأروا الفتنة (١).من جهة فقد سخر الإمام علي (عليه السلام) كل خبراته السابقة من اجل تحقيق مهمته تلك ،ومن جهة أخرى حاول أن يتجاوز ظروف المرحلة العصيبة التي تمر بها الخلافة ،مما تطلب منه ذلك أن يخطو خطوات تصب في مجال تحقيق هدفه في الإصلاح والتطوير ، وهذا الاصلاح كان لابد ان يرتكز على مرتكزات رئيسية تسمح للإمام علي (عليه السلام) بتنفيذ برنامجه الاصلاحي، فبدا اولى خطوات الاصلاح بمعالجة الخلل الذي اصاب النظام المالي والذي بدا بتنفيذه وهو في المدينة المنورة(٢) ،ومن ثم القيام بعزل ولاة عثمان بن عفان الذين كانوا من اسباب التذمر لدى الرعية وتعيين ولاة جدد يستطيعون تنفيذ البرنامج السياسي والاقتصادي والاداري للإمام علي(عليه السلام)(٣).

وهذه الخطوات الاصلاحية للأسف الشديد لم تكن المدينة المنورة بيئة صالحة لها لأسباب متعددة سناتي عليها لاحقا" في هذا البحث، لذلك كان لابد للإمام علي(عليه السلام) ان يقوم باختيار عاصمة جديدة للدولة الاسلامية تتمتع بمميزات خاصة تؤهلها لقيادة الامة الاسلامية في هذه المرحلة الحرجة . من هذا المنطلق جاء هذا البحث لتناول اهم الاسباب التي دفعت الامام علي (عليه السلام) لاختيار الكوفة عاصمة للدولة الاسلامية بدل المدينة المنورة.

أولا"- الكوفة حاضرة الخلافة:-

يعدُ موضوع اختيار الكوفة عاصمة لإدارة الدولة بدلاً من المدينة المنورة من الموضوعات الجديرة بالاهتمام ،إذ أنها تمثل القاعدة الإدارية للخلافة والبذرة الأولى في مجال الإصلاح والتطوير المنشود، حيث لا يمكن تنظيم شؤون الولايات قبل الاهتمام باختيار القاعدة أو المركز السياسي والإداري للدولة بما يتناسب مع الظروف الجديدة التي واجهت الخليفة الذي كان وحده يدرك أهمية تلك الانتقالة .إذ لم يحظِ قرار الانتقال عن مدينة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتأييد كبير حتى من قبل خاصته وأنصاره لاعتزازهم الكبير بالمدينة ومكانتها في نفوس المسلمين ،فهي دار الهجرة وموطن الصحابة،وفيها مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقبره ومنبره،وهذا ما أبداه أشراف الأنصار بعد أن اجتمع بهم الإمام علي (عليه السلام) عندما قرر الخروج إلى العراق ،فقد تجسد موقفهم في نص قول عقبة بن عامر(٤):((لا يا أمير المؤمنين أن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجوا من العراق..)) (٥) ،ومثل ذلك كان قول أبو أيوب الأنصاري(٦):((يا أمير المؤمنين أن أقمت بهذه البلدة فإنها مهاجر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وبها قبره ومنبره..))(٧).

وقد أكدت الوقائع التاريخية أن قرار الإمام علي (عليه السلام) في ترك المدينة المنورة والتوجه للعراق ،واتخاذ الكوفة عاصمة كان مبنياً على دراسة عميقة ورؤية صائبة ولا سباب عديدة ومتداخلة ،ولم يكن قراراً اعتباطياً أو عفوياً ،أو بتأثير أطراف معينة أو لتحقيق مصالح خاصة أو آنية ،كما ورد ذلك في أحدى الروايات التي أظهرت وكان هناك من حاول التأثير على الإمام (عليه السلام) وحسن له ترك المدينة وهو ما ذكره ابن كثير أن ابن عباس نهى الإمام علي (عليه السلام) : ((من هؤلاء الذي يحسنون أليه الرحيل إلى العراق ومفارقته المدينة فأبى عليه ذل وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من آهل الأمصار)) (٨) ،ولا نعلم هل أن آهل الأمصار الذين ثاروا على عثمان كان يطلق عليهم اسم الخوارج ؟وهل أن الإمام علي (عليه السلام) كان ضعيفاً وحاشاه من ذلك إلى الدرجة التي يقع فيها تحت تأثير هؤلاء أو غيرهم أم انه لا يمتلك

القدرة على اتخاذ قرار يخص مصير نجاح خلافته ؟ وهل أن قرار اتخاذ الكوفة عاصمة يمكن أن يتخذ دون دوافع وأسباب تحتاج إلى تمحيص وتدقيق وصولاً لتحقيق الأهداف المنشودة في أيجاد مركز مناسب لإدارة الدولة الإسلامية ؟ ومن ذلك نرى ضرورة الوقوف على تلك الأسباب والدوافع:-

١.الدوافع السياسية والعسكرية

يشكل الدافعان السياسي والعسكري من الدوافع الرئيسية والمهمة في قرار الإمام علي(عليه السلام) باتخاذ الكوفة عاصمة ،إذ أن جميع الدوافع الأخرى التي سنأتي على ذكرها لاحقاً تصب في هذين الدافعين .

من الواضح أن الإمام علي (عليه السلام) كان يسعى من اجل مواجهة ألازمات والتحديات السياسية الخطيرة التي واجهته بعد توليه الخلافة مباشرة ،إذ كان من ابرز تلك التحديات هي امتناع عدد من الصحابة المبايعة له بالخلافة واثروا الاعتزال (٩) ،فضلاً عن نكث طلحة (١٠) والزبير(١١) للبيعة(١٢) .وهروب عدد من الأمويين إلى مكة(٣). وانضمام أنصار عثمان لام المؤمنين عائشة وخروجهم للبصرة (١٣) .وفي خضم هذه الظروف التمس الإمام علي (عليه السلام) من آهل المدينة النصرة والمؤازرة سياسياً وعسكرياً، إلا أن رجاءه باء بالفشل حيث رفض اغلب آهل المدينة ذلك (١٤). سوى عدد من الأنصار– وقيل أن الإمام علي (عليه السلام) حاور وجهاء آهل المدينة وطلب منهم الخروج معه كعبد الله بن عمر (١٥) على سبيل المثال ،الذي رفض وتوجه إلى مكة (١٦).

وقد قدم العقاد تحليلاً لموقف آهل المدينة السلبي من خلافة الإمام علي (عليه السلام) وهو ما دفعه إلى نقل العاصمة للكوفة، لان قريش كانوا أما هاشميين وهم غير متفقين على بيعته، وقد تركه ((أقربهم إليه ورحل إلى معاوية طمعاً في رفده-يقصد بذلك عقيل(١٧) بن أبي طالب (١٨) .

أو أنهم أمويين وهم حزب معاوية وآهل عشيرته وبيته، أو من تيم وهم حزب طلحة أو من عدي وهم يؤثرون عبد الله بن عمر ،أو من قبائل أخرى)) (١٩).

وفي حقيقة الأمر أن اغلب الذين خذلوا الإمام علي (عليه السلام) كانوا أصحاب مطامع دنيوية وكانوا منتفعين من العهد السابق ،وهم الذين وصفهم الإمام علي (عليه السلام) بقوله: (..وإنما هم آهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون أليها ،قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق سواء فهربوا إلى الأثرة)) (٢٠) .ونجد صحة ما ذكره الإمام علي (عليه السلام) في موقف طلحة والزبير اللذان طلبا من الإمام علي (عليه السلام) قبل نكثهما للبيعة أن يعطيهما البصرة والكوفة ،فرفض ذلك (٢١) .وهذا الطلب له جذوره القديمة في نفسيهما حيث كان كل منهما يرغب في الحصول على الخلافة منذ زمن ليس بالقصير،منذ ترشيح عمر لهما وجعلهما ضمن الستة من آهل الشورى (٢٢) .فكان جعل الخلافة في آهل الشورى قد أطلق ما يجول في نفوس أصحابها وسعيهم بشتى الطرق للحصول على الخلافة ،فكانت عاقبة الشورى سبباً في نشوء أحزاب قائمة على الولاء لأشخاص ذوي أهداف شخصية مستقلة أسباب التذمر والاستياء من خلافة عثمان وبطانته وولاته (٢٣) .

وكان ما يؤكد مطامع طلحة والزبير في الحكم ما قالاه لسعيد بن العاص (٢٤)عندما التقى بهما في طريقهما للبصرة وسألهما :((أن ظفرتما لمن تجعلان الأمر أصدقاني؟)) فأجابا ((لأحدنا أينا اختاره الناس)) فقال سعيد :((بل اجعلوه لولد عثمان فأنكم خرجتم تطلبون بدمه)) فقالا :((ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم)) (٢٥). وفي هذا إشارة إلى دحض حجة الطلب بدم عثمان كذلك فأنهما بعد أن فشلا في الحصول على الولاية من الإمام علي (عليه السلام) فأنهما فشلا في الحصول على حصص متميزة من العطاء ،نظراً لإتباع الإمام علي (عليه السلام) نظام التسوية ،فاعترضا ورفضا اخذ العطاء (٢٦) .أما قريش فإنها كانت تكره الإمام علي (عليه السلام) شخصياً ،وتحقد عليه لدوره في قتل أبائهم الذين ماتوا كفاراً (٢٧). وقد عبر ابن أبي الحديد عن ذلك بقوله: ((واعلم أن كل دم أراقه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بسيف علي (عليه السلام) وبسيف غيره،فان العرب بعد وفاته(صلى الله عليه واله وسلم) عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وحده ،لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلي (عليه السلام) وحده،

وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالت بتلك الدماء القاتل ،فانه مات ،أو تعذرت عليهما مطالبتها ،طالت بها امثل الناس من أهله ..))(٢٨).

أن خروج طلحة والزبير وعائشة كان وراء قرار الإمام علي (عليه السلام)ترك المدينة المنورة متوجهاً للكوفة، إذ انه لم يترك المدينة في بداية خلافته ،فقد كان بين معركة الجمل التي وقعت في شهر جمادي الأول من سنة (٣٦هـ/٦٥٣م) وبين تاريخ توليه الخلافة في شهر ذي الحجة من سنة (٣٥هـ/٦٥٢م) (٢٩) .أي أكثر من حوالي (٥) أشهر. وانه قام خلال هذه الحقبة بتوزيع المهام الإدارية للدولة وتوزيع الولاة على الأمصار ،ومنها الكوفة التي أرسل إليها في بداية الأمر عمارة بن شهاب(٣٠) ،إلا انه فشل في الوصول إليها فاقر أبو موسى الأشعري(٣١) عليها وفقاً لرغبة أهلها (٣٢) .فلو كان الإمام علي (عليه السلام) ينوي اتخاذ الكوفة عاصمة لما أرسل إليها والي ،كما أرسل سهل بن حنيف(٣٣) لبلاد الشام،إلا انه فشل هو الأخر في الوصول إليها (٣٤) .فخلف الإمام علي (عليه السلام) تمام بن العباس(٣٥) وقيل قثم بن العباس(٣٦) على المدينة واستعد لحرب الشام ،إلا أن ظهور التمرد في البصرة حال دون التوجه للشام والتوجه نحو البصرة (٣٧) ،وهنا بدأت تتبلور فكرة اختيار الكوفة لقطع دابر التمرد في البصرة عن قرب وللحيلولة دون اتساعه.

ومن جانب أخر لا يمكن إغفال اثر الأوضاع السيئة في الشام وتمرد معاوية هناك بحجة المطالبة بدم عثمان على قرار الإمام علي (عليه السلام) في اختيار الكوفة ،فالكوفة اقرب إلى الشام من المدينة لقمع التمرد ،وهو ما يتضح في قول الإمام علي (عليه السلام) لعقبة بن عامر: ((أن الأموال والرجال بالعراق ولآهل الشام وثبه أحب أن أكون قريباً منها)) (٣٨) ، وربما توجس الإمام علي (عليه السلام) من وجود محاولات لمعاوية لمد نفوذه إلى العراق فكان لابد من قطع الطريق إمامه وإمام أطماعه ،فكانت النوايا تؤكد ضرورة التوجه نحو الشام إلا أن ظهور التمرد بالبصرة أملى على الإمام علي (عليه السلام) قرار التوجه للبصرة وأصبح أمر اتخاذ الكوفة عاصمة ضرورة ملحة ،خاصة وانه حصل على دعم أهل الكوفة واستعدادهم لنصرته حتى انه أطلق عليهم في كتاب بعثه إليهم اسم: ((جبهة الأنصار وسنام (٣٩) العرب))(٤٠)،وشرح لهم في

هذا الكتاب حقيقة الوضع الذي تمر به الأمة الإسلامية وما حدث من نقض البيعة ومحاولة شق وحدة المسلمين وحثهم على اللحاق به والجهاد معه (٤١) ،وحينما وصل الإمام علي (عليه السلام) للربذة (٤٢) كتب لآهل الكوفة :((فاني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما اعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله (صلى الله عليه واله وسلم) فمن جاء لي ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه)) (٤٣) .وبالفعل فقد سارع آهل الكوفة لتلبية النداء وكان لهم في معركة الجمل دور كبير وبلاء حسن (٤٤) .وأعربوا عن سرورهم في مناصرة الإمام علي (عليه السلام) فأشاد بهم قائلاً: ((ولذلك بعثت إليكم استصرخكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي،عن غير جور مني ولا حدث،ولعمري لو لم تنصروني يأهل الكوفة ،لرجوت أن يكفيني الله غوغاء (٤٥) الناس ،وطغام (٤٦)آهل البصرة ،مع أن عامة من بها ووجوهها وآهل الفضل والدين قد اعتزلوها ،ورغبوا عنها)) (٤٧) . وقال بحقهم الإمام علي (عليه السلام) بعد فتح البصرة: ((وجزاكم من آهل مصر عن آهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ،والشاكرين لنعمته ،قد سمعتم ،وأطعتم، ودعيتم فأجبتم)) (٤٨).

فأهل الكوفة معروفين بالولاء السياسي للإمام علي (عليه السلام) وال بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)،لذا فأنهم ساندوه في حرب البصرة كما ساندوه في حربه مع معاوية ،فقد جمع أليه رؤوس آهل الكوفة ووجوه الناس فيها وخطب فيهم معرباً عن اعتزازه بأهل الكوفة وولائهم بالقول ((يا آهل الكوفة انتم أخواني وأنصاري وأعواني على الحق ،وصحابتي على جهاد عدوي المحليين ،بكم اضرب المدبر وارجوا تمام طاعة المقبل ،وقد بعثت إلى آهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتيني منهم إلا ثلاثة ألاف ومائتا رجل ،فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش ،أنكم مخرجنا إلى صفين بل استجمعوا بأجمعكم ،أني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته ومواليهم ثم يرفع ذلك إلينا ..ثم أن الرؤوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه ..))(٤٩) ، ومن خلال ما جاء في نص كلام الإمام علي (عليه السلام) فأنه حشد اكبر عدد ممكن من آهل الكوفة عسكرياً في حروبه مع معاوية وانه اعتمد عليهم كل الاعتماد لما يحملونه من ولاء وهو أمر لا يتوفر في مدن أخرى كالمدينة المنورة مثلاً أو غيرها كالبصرة، ورب قائل يقول إن

آهل الكوفة شكلوا عبئاً على الإمام علي (عليه السلام) في كثير من المواقف السياسية فكان يستنفرهم فلا يجيبونه الكثير من الخطب بهذا الصدد ؟وهذا القول لا وجه للاعتراض على صحته إلا أن ذلك لم يكن يشمل جميع آهل الكوفة فقد تفرق عنه بعض الشخصيات من اجل المطامع وعدم تحمل احكام الامام (عليه السلام)(٥٠).

اذا" كان اتخاذ الكوفة عاصمة يكشف عن الرؤية الصائبة للإمام علي (عليه السلام) وأنها كانت على حد قول العقاد((أوفق عاصمة للإمامة العالمية في تلك المرحلة من مراحل الدولة الإسلامية))(٥١).

٢.الدوافع الاجتماعية (بيوتات العرب)

تميزت الكوفة بميزة مهمة جداً في الجانب الاجتماعي ،وهي أن سكانها ينتمون لأشهر البيوت العربية وكثرة القبائل الموجودة فيها ،وذلك يعود إلى أيام الفتوحات الإسلامية .فاغلب الفاتحين سكنوها وتزوجوا واستقروا بها .وكانت تلك القبائل من مختلف أرجاء الجزيرة العربية فأصبح عدد سكان الكوفة كبير جداً ،حتى قيل أن اسم الكوفة اشتق من التكوف ،أي اجتماع وازدحام الناس (٥٢). وكانت مدينة الكوفة أول مدينة برز فيها ما يعرف بـ(بيوتات العرب) (فكان لكل قبيلة حي خاص وشبع ذلك ا كانت منبعاً لعلم الأنساب،فكثير فيها النسابون الذين اتصلوا بالقبائل واخذوا يحدثونهم عن أخبار أسلافهم))(٥٣)، تلك الإخبار التي تبين مدى شجاعة هؤلاء المقاتلين الذين ينتمون لهذه القبائل التي سكنت الكوفة في حروب التحرير الإسلامي .كذلك فان وصول آهل الكوفة لهذه المرحلة يدل دلالة واضحة على مدى الرقي الاجتماعي الذي وصلوا له ،حتى أن تجمع القبائل العربية في هذه البقعة دفع بابن إدريس أن يقول في آهل الكوفة أن أهلها من العرب الصرح(٥٤). وذهب العقاد إلى أنها كانت ((ملتقى الشعوب من جميع الأجناس)) (٥٥). ونظرة كون الكوفة بأنها ملتقى للقبائل العربية لم تكن مقتصرة على الإمام علي(عليه السلام) فقد قال عمر لأحد أصحابه: ((ائتِ الكوفة فان بها جمجمة العرب،أي ساداتها ،لان الجمجمة الرأس وهو اشرف الأعضاء)) (٥٦). وكذا قول الإمام علي (عليه السلام) لعمر عندما استشاره في معركة نهاوند (٥٧) ((اكتب إلى آهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ..))(٥٨).

وكذلك فان الإمام علي (عليه السلام) كان يعرف بان الكوفة هم أعلام العرب ورؤساؤهم وقد جاء ذلك الكلام في أيام خلافته ،فقد قال فيهم (عليه السلام) عندما فضل الكوفة على باقي الأمصار: ((وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم)) (٥٩) ، وقال أيضا" ((مرحباً بأهل الكوفة،بيوتات العرب ووجوهها ،وآهل الفضل وفرسانها)) (٦٠) وقال (عليه السلام) في كتاب أرسله لهم عند مسيره إلى البصرة ((إلى آهل الكوفة ،جبهة الأنصار وسنام العرب)) (٦١) .ومن خلال ذلك نرى بأن الإمام علي (عليه السلام)اختار الكوفة بدافع التجمع القبلي الكبير من رؤوس العرب وإشرافها.

٣.الدافع الاقتصادي

يرتبط الدافع الاقتصادي ارتباطاً كبيراً بالدافعين السياسي والعسكري ،إذ أن أساس النجاح السياسي والعسكري هو الاعتماد على اقتصاد متين ،وقد رأى بعض الباحثين بان الدافع الاقتصادي كان وراء الانتقال للكوفة (٦٢). وهذا الرأي له ما يؤيده في قول الإمام علي (عليه السلام) ((أن الأموال والرجال في العراق)) (٦٣). حيث أشار هنا للأموال قبل الإشارة للرجال،فضلاً عن إدراكه للأهمية الاقتصادية للعراق ،فالعراق عامة يحوي على أراضي زراعية مثمرة مما ساهم ذلك في تنشيط التجارة وزيادة الإيرادات الناتجة عن الزراعة والتجارة معاً،وقد كانت الكوفة من المدن الزراعية ،تتمتع بأراضي صالحة للزراعة ،فالكوفة تسمى بالأرض الحمراء (٦٤) ، وذلك لجودة أرضها ونجد مصداق ذلك في قول الإمام علي (عليه السلام) واصفاً الكوفة: ((يا حبذا ارض الكوفة)) ، ﴿أرض سواء سهلة أي مستوية ،يقال مكان سواء أي متصل بين المكانين﴾ (٦٥).

فارض الكوفة سهلة ومستوية ومن جانب أخر فإنها تقع على شاطئ نهر الفرات مما ساهم في توفير مورد مائي مناسب، لذا فقد وصفت الكوفة بأنها تحوي ضياع ومزارع مثمرة وتحيط بها نخيل بفضل وجود نهر الفرات (٦٦).ووصفها الأحنف بن قيس قائلاً :((تأتيهم ثمارهم لم تخضد، ﴿أراد أنها تأتيهم بطراوتها لم يصلها ذبول ولا انعصار لأنها تحمل في الأنهار الجارية﴾..)) (٦٧) ، وبفضل الانتعاش الزراعي في الكوفة نشطت الحركة التجارية بين الكوفة وباقي المناطق آنذاك (٦٨) .

فمدينة الكوفة تحتل مركزاً اقتصادياً مهماً وضعت الإمام علي (عليه السلام) إلى التفكير باتخاذها عاصمة حيث رفد الدافع الاقتصادي الدافعين السياسي والعسكري لأنها تتميز بالاكتفاء الذاتي ،مما يحول ذلك دون التعرض لأي ضغوط اقتصادية ناجمة عن الحروب أو الظروف السياسية السيئة.

٤-الوضع البيئي والصحي للكوفة

على الرغم من الوضع البيئي والصحي للكوفة لا يمثل دافعاً رئيسياً في ترك المدينة واختيار الكوفة عاصمة بدلاً منها إلا انه دافع مهم وضروري لضمان دوام الاستقرار فيها ولا يمكن استبعاد الأخذ به بنظر الاعتبار إلى جانب الدوافع الأنفة الذكر فقد حرص العرب أن تكون محلات بناء المدن صحية خالية من الحشرات وما تسببه من أوبئة وإمراض فلا تكون موبوءة ولا وخمه الهواء (٦٩). فالكوفة وصفت بمياهها العذبة وهوائها الصحيح (٧٠) ، وقيل أنها ((سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وحرها،فهي برية ،مريئه مريعة،.أذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض (٧١) ،الكافور ،فإذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وياسمينة واترنجه ماؤنا عذب وعيشنا خصب ..))(٧٢)، كما أكد الإمام علي (عليه السلام) على طيب هواء الكوفة بقوله((ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك))(٧٣).

٥-أهمية الكوفة الدينية

تشكل مدينة الكوفة أهمية دينية كبرى لعموم المسلمين بصورة عامة وللإمام علي وآهل بيته (صلوات الله عليم أجمعين) بصورة خاصة،ونستطيع أن نستشف تلك الأهمية الدينية من خلال الروايات التي تناقلتها الكتب بصورة مضطردة ،حول فضل الصلاة في مسجدها أو السكن فيها،وغيرها من الأمور التي تتعلق بالجانب الديني،وهذه الفكرة أو الأهمية لم تكن وليدة عصر الإمام علي (عليه السلام) وإنما كانت موجودة منذ البدايات الأولى لتمصيرها أو قبل ذلك لان الأحاديث التي وردت عن آهل البيت (عليهم السلام) ،هي أحاديث تناقلها الأبناء عن الإباء وصولاً للرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فإذا" تلك الأهمية كانت موجودة حتى قبل تمصيرها،فقد ورد عن عمر قوله: ((هم رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب..))(٧٤). وذكر

البلاذري أن عمر كتب إلى آهل الكوفة إلى ((رأس الإسلام)) (٧٥) . ومن هذين النصين نجد بان عمر كان مدركاً لأهمية الكوفة الدينية .أما الروايات التي تدل على أهمية الكوفة الدينية عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) فقد كانت من الكثرة (٧٦)، وذلك لان آهل البيت (عليهم السلام) تربطهم بالكوفة علاقة صميمية،تعود لما سمعوه وحفظوه من روايات تدل على أهميتها الدينية من جهة ،ولاتخاذ جدهم أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة عاصمة لدولته من جهة ثانية،ولما لهذه المدينة من دور في أخر الزمان من جهة ثالثة.فقد سئُل الإمام الباقر (عليه السلام) أي البقاع أفضل بعد الكعبة المشرفة ومسجد الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟،فأجاب الإمام الباقر (عليه السلام) بأنها الكوفة وبين للسائل السبب في ذلك قائلاً:((هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين ،وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه..هي منازل النبيين والأوصياء والصالحين)) (٧٧)، ومن خلال ذلك نجد بان الإمام الباقر (عليه السلام) عد الكوفة في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية الدينية، بعد مكة المشرفة والمدينة المنورة، وكذلك أشار إلى أن الكوفة هي بقعة مباركة لامس ترابها أجساد الأنبياء والمرسلين والأوصياء بعد موتهم ،وكانت سكنى لأكثرهم في حياتهم.

وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) على تلك الأهمية وذكر بان ظهر الكوفة أول بقعة عبد الله تعالى عليها ((لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لأدم (عليه السلام) سجدوا على ظهر الكوفة)) (٧٨).وقد ورد عن أئمة آهل البيت (عليه السلام) أن المقصود بقوله تعالى: ((وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)) (٧٩).

أن الربوة هي ((نجف (٨٠) الكوفة والمعين الفرات))(٨١) ، وفي رواية ثانية أن الربوة هي ((الكوفة والقرار المسجد والمعين الفرات))(٨٢) ، وفي ثالثة أن الربوة هي ((حيرة الكوفة وسوادها ،والقرار مسجد الكوفة ، والمعين الفرات)) (٨٣) ، في حين ذكر الفتال أن أكثر المفسرين يذهبون إلى أن المقصود بهذه الآية هو بيت المقدس وهو المشهور(٨٤).

وسواء أكانت الكوفة هي المقصودة بهذه الآية أو بيت المقدس ، فهذا دليل على أهميتها الدينية ، فالمفسرين يأخذون الروايات ويحددون تلك التفاسير على ضوء ما موجود في

الروايات، ويكفي أن الكوفة يطلق عليها تفسير آية قرآنية أن يكون دليلاً على أهميتها الدينية ،مع أننا نميل إلى أنها هي المقصودة بالآية الكريمة الأنفة الذكر وليس بيت المقدس. كذلك وردت روايات كثيرة تدل على فضل مسجد الكوفة وزيارته والصلاة فيه،حتى ورد أن الصلاة في مسجد الكوفة تعادل ألف صلاة وان التصدق بدرهم فيه يعادل ألف درهم (٨٥) .

ومن الأمور المهمة في هذا المجال أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يحثون أنصارهم وجميع من يسألهم أن يسكنوا الكوفة ويستقروا بها حتى ورد عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قوله : ((من كان له دار في الكوفة فليتمسك بها))(٨٦) ، ويبدو أن ذلك الحث كان منطلقاً من قول الإمام علي (عليه السلام) : ((الكوفة قبة الإسلام، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهويها أو يهوى قلبه إليها))(٨٧). ولقد ذكر البلاذري أن هذا الحديث ورد على لسان سلمان (٨٨) الفارسي (٨٩) ، ولا فرق بين أن يكون هذا الحديث قد صدر عن الإمام علي (عليه السلام) وعن طريق سلمان المحمدي(رض) ، فسلمان يتمتع بصفات إيمانية راقية تجعله من الثقات ، أضف إلى ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فيه : ((سلمان منا آهل البيت))(٩٠). وقد ورد عن سلمان (رض) قوله ((أهل الكوفة،آهل الله وهي قبة الإسلام يحن إليها كل مؤمن))(٩١)، لذلك نجد في هذين الحديثين أمرين مهمين ، الأول هو أطلاق لقب قبة الإسلام على الكوفة ، وهذا اللقب له خلفية تاريخية ودينية موغلة في القدم ، فسبب التسمية أن النبي نوح (عليه السلام) عقد ((في وسط المسجد قبة فأدخل إليها أهله وولده والمؤمنين. فسميت الكوفة قبة الإسلام بسبب تلك القبة))(٩٢)،والأمر الثاني أن الزمان المذكور في الحديث وتهافت قلوب الناس للكوفة وحنينهم للسكن فيها،هو زمان الإمام المهدي الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) الذي سيتخذ الكوفة عاصمة لدولته العالمية ، كما اتخذها جده الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)،والذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً وهذا نجده في قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((وفيها يظهر عدل الله وفيها يكون قائمه والقوام من بعده))(٩٣) ، وهذا العدل لا يتم إلا عن طريق الإمام القائم (عجل الله فرجه الشريف)،فقد ورد عن الإمام علي (عليه

السلام) قوله : ((الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز))(٩٤)، وهذا الحديث من معاجز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو يقصد أخر الزمان ، لان الله تعالى ينصر الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) من مختلف البلدان، ليتم نور الإسلام ويغطي كل بقاع الأرض لقوله تعالى: ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون))(٩٥)، ولتكون الكوفة عاصمة إشعاع لكل العالم ينطلق منها العدل والمساواة والحرية والديمقراطية الإسلامية ، كما كانت في عهد الإمام علي (عليه السلام) ، وليكون مسجدها منبر إشعاع علمي كبير، ذلك المسجد الذي حبا الله تعالى به آهل الكوفة ، كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((يأهل الكوفة لقد حباكم الله عزوجل بما لم يحب به أحدا" من فضل مصلاكم ، بيت ادم (عليه السلام) وبيت نوح (عليه السلام) وبيت إدريس (عليه السلام) ومصلى إبراهيم (عليه السلام) ومصلى أخيه الخضر (عليه السلام) ومصلاي ، وان مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله عز وجل لأهلها))(٩٦)، ولتكون الكوفة بذلك كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((الكوفة جمجمة العرب ورمح الله تعالى وكنز الإيمان))(٩٧).

ورغم المكانة الدينية العظيمة التي أفرزتها تلك الروايات ، نجد أن الدكتور محمد عمارة في حديثه عن نقل الإمام علي عليه السلام للعاصمة للكوفة، أن ذلك العامل شجع آهل الشام للمطالبة بالاستقلال عن أمارة الإمام علي (عليه السلام) ، لأنهم لا يريدون أن يكونوا تابعين للكوفة ويفقدون مزاياهم ، خاصة أن الكوفة لم تكن تمتلك ((ذلك الرصيد الديني الذي للمدينة، والذي يجعل التبعية لها أمرا" مقبولاً ، خصوصاً من عاصمة عريقة كدمشق(٩٨) غدت مقراً لحكم معاوية..))(٩٩) ، ويظهر أن الدكتور محمد عمارة اغفل التركيز على أسباب تمرد معاوية على الإمام علي (عليه السلام)، فليس نقل العاصمة للكوفة هو من شجع آهل الشام على الانفصال ، بل هو طمع وانجراف معاوية وراء أهوائه التسلطية وتحكمه برقاب الناس ، والذي كان يعد العدة لهذا الانفصال منذ أن ولاه أبو بكر وعمر على دمشق واستفحل أمره في زمن عثمان

جمع له بلاد الشام كلها ، وحانت له الفرصة بعد مقتل الأخير وتولي الإمام علي (عليه السلام) الخلافة ، والذي لم يكن محبباً لقلب معاوية ، لأنه يعرف بأن الإمام علي عليه السلام لن يقره على عمله ولا أي عمل أخر غيره وسيحرمه من تسلطه وجبروته، والدليل على ذلك انه حاول أقناع عثمان بعد استفحال الأمور وقيام الثورة الشعبية ضده بالذهاب معه للشام ورفض عثمان ذلك (١٠٠)، وكان معاوية يمني النفس لو أن عثمان ذهب معه لاستغل الفرصة ولأعلن خلافته المشبوهة والمغتصبة دون عناء لكون عثمان ابن عمه وكان مركزه في الشام، والأمر الأخر هو قول الدكتور محمد عمارة بأن الكوفة لا تمتلك رصيد ديني كالمدينة، فكلامه كما يقال كلمة حق يراد بها باطل، فصحيح أن الكوفة ذات مركز ديني كبير قد لا يوازي رصيد المدينة المنورة الديني، إلا أنها أفضل من الشام التي وصفها بالعراقة وان أمر تبعيتها صعب بالكوفة؟ أفلم تكن الكوفة عريقة؟ فمحمد عمارة يجعل تبعية الكوفة لدمشق أمر مقبول بينما تبعية دمشق للكوفة أمر غير مقبول. ورغم كل ذلك فأن الكوفة كانت وما زالت وستبقى مدينة دينية روحية لها وزنها في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا دافع دفع الإمام علي (عليه السلام) أن يختارها لتكون عاصمة له ولدوله حفيده الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) العالمية التي ستضيئ أنوارها جميع أرجاء الكرة الأرضية.

وخلاصة القول فقد تضافرت عدة دوافع لاختيار الكوفة من قبل الإمام علي (عليه السلام) كعاصمة للدولة الإسلامية بدل المدينة المنورة، وهذه الدوافع مرتبطة بعضها بالبعض الأخر ، وكل واحد منها يكمل الأخر لتكون بالأخير نظرة الإمام علي(عليه السلام)الصائبة في اختيارها.

الخاتمة:-

بسم الله أوله وأخره حمدا" كثيرا" وأصلي واسلم على نبي الرحمة محمد واله الطيبين الطاهرين المعصومين ، لقد توصلت الدراسة الى النقاط التالية:-

١-احدث الإمام علي (عليه السلام) حال تسلمه الخلافة تغييراً في خارطة الدولة الإدارية لأسباب عديدة تصب في مصلحة الدولة، حيث تمثل ذلك التغيير في نقل الخلافة من المدينة المنورة إلى مدينة الكوفة في العراق.

٢-لم يكن موضوع نقل عاصمة الدولة الاسلامية تم بصورة اعتباطية او عاطفية ، وانما تم وفق ر ؤية قرات الاحداث الحالية التي تمر بها الدولة فجاء القرار كعلاج لهذه الاحداث.

٣- لم يكن الدافع السياسي هو السبب الوحيد في نقل العاصمة وانما تظافرت معه جملة من الاسباب منها مباشرة كالعسكري والاقتصادي ومنها غير مباشرة كالوضع الاجتماعي والبيئي، ومنها يمثل النظرة المستقبلية لمدينة الكوفة التي ستقود العالم اجمع مستقبلا" تحت قيادة الامام المهدي المنتظر(عجل الله تعالى فرجه الشريف) عند خروجه المبارك.

الملخص:

يعدُ موضوع اختيار الكوفة عاصمة لإدارة الدولة بدلاً من المدينة المنورة من الموضوعات الجديرة بالاهتمام ،إذ أنها تمثل القاعدة الإدارية للخلافة والبذرة الأولى في مجال الإصلاح والتطوير المنشود، حيث لا يمكن تنظيم شؤون الولايات قبل الاهتمام باختيار القاعدة أو المركز السياسي والإداري للدولة بما يتناسب مع الظروف الجديدة التي واجهت الخليفة الذي كان وحده يدرك أهمية تلك الانتقالة .إذ لم يحظِ قرار الانتقال عن مدينة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتأييد كبير حتى من قبل خاصته وأنصاره لاعتزازهم الكبير بالمدينة ومكانتها في نفوس المسلمين ،فهي دار الهجرة وموطن الصحابة،وفيها مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقبره ومنبره،وهذا ما أبداه أشراف الأنصار بعد أن اجتمع بهم الإمام علي (عليه السلام) عندما قرر الخروج إلى العراق، الا ان الامام (عليه السلام) كان يعرف مايريد من قراره هذا،حتى انه قبل اتخاذ هذا القرار وفي اولى ساعات تسلمه الخلافة سنة (٣٥ هـ/٦٥٥م) بدأ بجهود حثيثة لإصلاح وتطوير نظام الولاية في الدولة الإسلامية ،بعد تعرضه للفساد في عهد عثمان وذلك بسبب اعتماده على ولاة غير أكفاء وغير مؤهلين للعمل في أدارة الولايات

فاخلوا بواجباتهم وأساءوا للرعية واثأروا الفتنة.من جهة فقد سخر الإمام علي (عليه السلام) كل خبراته السابقة من اجل تحقيق مهمته تلك ،ومن جهة أخرى حاول أن يتجاوز ظروف المرحلة العصيبة التي تمر بها الخلافة ،مما تطلب منه ذلك أن يخطو خطوات تصب في مجال تحقيق هدفه في الإصلاح والتطوير ، وهذا الاصلاح كان لابد ان يرتكز على مرتكزات رئيسية تسمح للإمام علي (عليه السلام) بتنفيذ برنامجه الاصلاحي، فبدا اولى خطوات الاصلاح بمعالجة الخلل الذي اصاب النظام المالي والذي بدا بتنفيذه وهو في المدينة المنورة ،ومن ثم القيام بعزل ولاة عثمان بن عفان الذين كانوا من اسباب التذمر لدى الرعية وتعيين ولاة جدد يستطيعون تنفيذ البرنامج السياسي والاقتصادي والاداري للإمام علي(عليه السلام).

وهذه الخطوات الاصلاحية للأسف الشديد لم تكن المدينة المنورة بيئة صالحة لها لأسباب متعددة سناتي عليها لاحقا" في هذا البحث، لذلك كان لابد للإمام علي(عليه السلام) ان يقوم باختيار عاصمة جديدة للدولة الاسلامية تتمتع بمميزات خاصة تؤهلها لقيادة الامة الاسلامية في هذه المرحلة الحرجة . من هذا المنطلق جاء هذا البحث لتناول اهم الاسباب التي دفعت الامام علي (عليه السلام) لاختيار الكوفة عاصمة للدولة الاسلامية بدل المدينة المنورة.

قائمة الهوامش:-

(١) - للاستزادة ينظر. تاريخ اليعقوبي (تحقيق : العلامة محمد صادق ال بحر العلوم الطباطبائي ، مطبعة الغري ، النجف الاشرف / ١٩٣٩)،ج٢،ص١٥٣؛الطبري: تاريخ الأمم والملوك (تحقيق وتعليق الاستاذ. عبد أ . علي مهنا ، ط ـ١ ، / ١٩٩٨)،ج٤،ص٢٢-٢٤؛المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،ط ـ ٣ ، القاهرة / ١٩٥٨)،ج٢،ص٣٤٦؛ شمس الدين،محمد مهدي :ثورة الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية (د:م/د:ت)،ص٢٨-٢٩؛جعفر ، د. نوري: علي ومناوئوه (قدم له : الأستاذ عبد الهادي مسعود ، راجعه وعلق عليه : السيد مرتضى الرضوي ، ط٤ ، القاهرة / ١٩٧٦) ،ص١٠٤.

(٢) - للاستزادة ينظر. الامام علي:نهج البلاغة(ضبط نصه ونظم فهارسه العلمية د. صبحي الصالح ،ط ـ٢ بيروت / ١٩٨٢) ، ص٥٧ ؛ الضبي الاسدي: الفتنة ووقعة الجمل (تحقيق : احمد راتب عرموش ، ط ـ١ ، بيروت / ١٩٧١) ص١٨١؛ اليعقوبي:تاريخ ،ج٢، ١٧٠-١٧١؛ الطبري:تاريخ الامم،ج٤،ص٢٥٠؛ابو حنيفة الدينوري:الإخبار الطوال (تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة /

١٩٥٩)،ص١٥١؛ المسعودي : مروج الذهب ،ج٢،ص٣٦٢ ؛ ابو يوسف: الخراج (د : م / د : ت)،ص٢٣٢؛المغربي: دعائم الإسلام (القاهرة / ١٩٦٥) ،ج١،ص٣٩٥ ؛ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح نهج البلاغة (تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ـ١ ، بيروت / ١٩٨٧) ،ج١،ص٢٦٩؛ج٣،ص٣٨؛النويري: نهاية الارب في فنون الادب (تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، مراجعة : ابراهيم مصطفى ، القاهرة / ١٩٧٥) ج١١،ص٩٢؛الحر العاملي: وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة (تحقيق : مؤسسة اهل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث ، ط ـ ١ ، قم المقدسة / ٢٠٠٣) ج١٥،ص١٠٧؛ محمد عبده : شرح نهج البلاغة (القاهرة / د : ت) ،ج١،ص٤٦ .

(٣)- للاستزادة ينظر. اليعقوبي : تاريخ ،ج٢،ص١٥٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ،ج٤،ص٢٢-٢٤ ؛ المسعودي : مروج الذهب ،ج٢،ص١٤٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ (تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط ـ ٢ ،بيروت / ١٩٩٥)،ج٣، ص٤؛ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح نهج البلاغة،ج١،ص٢٣١؛ج١٧،ص٢٣٠ ،٢٣٤؛ المجلسي : بحار الأنوار(تحقيق ونشر: مؤسسة الوفاء ، بيروت / ١٩٨٤) ،ج٧٦، ص٩٩ .

(٤)-أبو حماد ،عقبة ابن عامر ابن عبس الجهني ، صحابي جليل من أصحاب الفضل والرواية كان كاتباً وقارئاً توفي سنة(٥٨هـ/٦٧٨م). ينظر .الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام (القاهرة / ١٩٤٨) ،ج٢ ،ص٣٠٦.

(٥) أبو حنيفة الدينوري :الإخبار الطوال ،ص١٤٣ .

(٦)- ابو ايوب خالد بن يزيد بن كليب الخزرجي الانصاري، من خيرة اصحاب الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم)،تولى ولاية المدينة المنورة بعد سهل بن حنيف الا انه تركها في غارة بسر بن ارطأة في سنة(٣٩ هـ / ٦٥٩ م). واستخلف شخص من الأنصار مكانه، استشهد في القسطنطينية سنة(٥١ هـ / ٦٧١ م). ينظر. ابن سعد : الطبقات الكبرى (تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، ط ـ١ ، بيروت / د: ت)، ج٣،ص٢٠١ ، ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ؛ ابن خياط:تاريخ خليفة(تحقيق :د. اكرم ضياء العمري ، النجف الاشرف / ١٩٦٧) ، ج١ ، ص ١٨٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (تحقيق : شعيب الارناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ،بيروت/ ١٩٩٣) ، ج٣،ص ٤٠٤ ،ص٤١٠ ؛ ابن حجر العسقلاني:الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ـ ١ ، بيروت / ١٩٩٢) ،ج٢،ص ٢٣٤ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (تحقيق : عزيز الله العطاري ، ط ـ ١ ، بيروت / ١٩٩٣) ، ج١،ص ١٣١٤ .

(٧)- المجلسي : بحار الأنوار ،ج٣٢،ص٧١.

(٨)- البداية والنهاية (تحقيق : د . فالح حسين ، ط ـ ١ ، بيروت / ١٩٨٧) ،،ج٧ ،ص٢٢٩.

(٩) البلاذري : انساب الإشراف (تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط ـ ٢ ، قم المقدسة / ١٩٩٥) ص١١٧-١١٨ ؛ أبو حنيفة الدينوري : الإخبار الطوال ،ص١٤٢-١٤٣؛ ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٨ ،ص٢٢٧؛الناصري : الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى (تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، ط١ ، الدار البيضاء / ١٩٩٧) ،ج١ ،ص٩٩.

(١٠)- أبو محمد ،طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي .من أوائل المسلمين اشترك في حروب الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) بايع الإمام(عليه السلام) ثم نكث وخرج مع المتمردين في معركة الجمل قتله مروان ابن الحكم في نفس المعركة سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) ينظر. ابن سعد:الطبقات الكبرى ،ج٣ ص٢٤٤-٢٥٠؛ابن الجوزي :صفوة الصفوة(تحقيق : محمود فاخوري و د. محمد رواسي قلعة جي ، بيروت / ١٩٧٩)،ج١،ص٣٣٦ ـ٣٤١ ؛الذهبي :تاريخ الإسلام ،ج٢،ص ١٦٣-١٦٦.

(١١)- أبو عبد الله ،الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الاسدي ،اسلم في بداية الدعوة الإسلامية اشترك في جميع حروب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بايع الإمام علي (عليه السلام) ونكث بيعته وخرج عليه في معركة الجمل قتله ابن جرموز بعد انسحابه في سنة(٣٦هـ/٦٥٦م). ينظر. البلاذري :انساب الإشراف ،ص١٦١ ـ١٧٠ ؛ابن الجوزي :صفوة الصفوة ،ج١،ص٣٤٢-٣٥٥ ،الذهبي سير أعلام ،ج٢ ،ص١٥٣ ـ١٥٨.

(١٢)- البلاذري :انساب الإشراف،ص١٣٠ ؛اليعقوبي :تاريخ، ج٢،ص١٦٧ ؛المسعودي :مروج الذهب ،ج٢،ص٣٦٦؛ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٨٤،٦٤.

(١٣)- البلاذري :انساب الإشراف ،ص٣١.

(١٤) -البلاذري:انساب الإشراف ،ص١٢٩،١٢٢-١٣٠؛اليعقوبي :تاريخ ،ج٢،ص١٦٧؛ المسعودي :مروج الذهب ،ج٢،ص٣٦٦؛ابن الأثير الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٧٩-٨٠؛ محمد،عبد الزهراء عثمان :المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين (عليه السلام) (ط-١،بيروت /٢٠٠٣)،ص١٤٥-١٤٨.

(١٥)- ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٩٩؛ ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٧،ص١٣١.

(١٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب اسلم وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ،غزا أفريقيا مع ابن أبي سرح ومعاوية ابن حديج ،عمي في أخر عمره توفي في مكة سنة(٧٣هـ /٦٩٢م).ينظر .الفسوي :المعرفة والتاريخ (تحقيق :د.أكرم ضياء العمري،بغداد/١٩٧٤)،مج١،ص٤٩٠-٤٩٢؛الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (بيروت / د : ت) ،ج١،ص١٧١-١٧٣؛الصفدي :نكت العميان في نكت الهميان (القاهرة /١٩١١)،ص١٨٣-١٨٤؛الكاندهلوي:حياة الصحابة (القاهرة /١٩٦٨) ،ج٢،ص٣١٩-٣٢١.

(١٧)- أبو يزيد وقيل عيسى،عقيل ابن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ،اسلم وشهد غزوة مؤتة .كان علامة بالنسب وأيام العرب (عليه السلام) توفي في حكم معاوية سنة(٥٠هـ/٦٧٠م) وقيل توفي في أول سنة من حكم يزيد الملعون ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ،ج٣ ،ص٢٩٥؛الذهبي :سير أعلام النبلاء ،ج١،ص٢١٨-٢١٩؛ابن حجر العسقلاني :الإصابة ،ج٤،ص٥١٣؛ابن عنبة : عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب (تصحيح : السيد محمد صادق ال بحر العلوم الطباطبائي ، بغداد / ١٩٨٨) ،ص٣١-٣٢.

(١٨) -عبقرية الإمام (بيروت /د:ت)،ص٩٣.

(١٩)- البلاذري :انساب الإشراف ،ص١١٨-١١٩؛ ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٧،ص٢٣١.

(٢٠) نهج البلاغة ،ص٤٦١؛السيد الرضي: خصائص الائمة (عليهم السلام) (تحقيق ونشر : مجمع البحوث الاسلامية التابعة للاستانة الرضوية ، مشهد المقدسة / ١٩٨٦م) ،ص١١٣؛ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة ،ج١٨،ص٥٢ ؛المجلسي :بحار الانوار ،ج٣٣،ص٥٢١.

(٢١)- ؛ ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم المنتظم في تاريخ الملوك والامم (تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، ط ـ١ ، بيروت / ١٩٩٢)،ج٥،ص٧٠؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٧٠؛ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة ،ج١،ص٢٣١؛ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٧،ص٢٢٦.

(٢٢)- نوري جعفر:علي ومناوئوه ،ص١٤١.

(٢٣) - محمد مهدي شمس الدين:ثورة الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ،ص٢٢.

(٢٤)- أبو عمرو ،سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ،بن عبد مناف القرشي الأموي ،قتل والده يوم بدر كافراً على يد الإمام علي (عليه السلام)،نشأ في حجر عثمان –اشترك في الفتوحات الإسلامية وتولى الكوفة لعثمان والمدينة المنورة لمعاوية ثم عزله توفي سنة(٥٣ هـ /٦٧٣م)وقيل(٥٩هـ/٦٧٩). ينظر .ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج٥،ص٩٦ –٢٨٩؛الذهبي :تاريخ الإسلام ،ج٢،ص٢٨٦ –٢٨٩؛ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٨،ص٨٣-٨٧ ؛ابن حجر العسقلاني :الإصابة في تمييز الصحابة ،ج٣،ص١٠٧-١٠٨.

(٢٥)- الطبري :تاريخ الأمم والملوك ،ج٤،ص١٧٥.

(٢٦)- ابن عقدة الكوفي: فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) (جمعه ورتبه وقدم له : عبد الرزاق حمد حسين حرز الدين ، ط ـ ١ ، قم المقدسة / ٢٠٠١) ،ص٩٤-٩٥؛ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة ،ج٣،ص٢٩٩؛عمارة ،د.محمد :الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية (ط-٢، بيروت /د:ت) ،ص١١٢.

(٢٧)- ابن أبي الحديد المعتزلي:شرح نهج البلاغة ،ج٣،ص٢٩٩ ؛جورج جرداق:علي وعصره،ج٤،ص٩٢٦؛عبد المقصود،عبد الفتاح :الإمام علي بن أبي طالب (بيروت/د:ت) ،ج١،ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢٨)-شرح نهج البلاغة ،ج٣،ص٣٠٠.

(٢٩) البلاذري :انساب الأشراف ،ص١٤١،١١٥؛اليعقوبي :تاريخ ،ج١٦٩،١٦٥٠٥،٢؛المسعودي:مروج الذهب ،ج٢،ص٣٦٠.

(٣٠)- عمارة بن شهاب الثوري، ارسله الإمام علي (عليه السلام) واليا" على الكوفة سنة(٣٦هـ / ٦٥٦ م) قبل ان يتخذها عاصمة الا انه فشل في دخولها وقام اهلها بارجاعه .ينظر. الضبي الاسدي : المصدر السابق ، ص ١٠٠- ١٠١؛ الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج٤،ص٦٥-٦٦؛ ابو حنيفة الدينوري : المصدر السابق ، ص ١٤١ ﴾ الا انه قال انه عمارة بن حسان ﴿ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج٥، ص ٧٦ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٣، ص ٩١- ٩٣ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٠،ص٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧، ص ٢٢٩- ٢٣٠ ؛ القلقشندي : مأثر الانافة ،ج١ ،ص ١٠٤ . الا انه قال ﴾ انه عمارة بن حسان ﴿، ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٤،ص ٥٨٢ ؛ الناصري : المصدر السابق ، ج١، ص ٩٩- ١٠٠.

(٣١)- ابو موسى عبد الله بن قيس بن وهب بن سليم وقيل سليمان الاشعري (ت ٤٢وقيل ٤٤ وقيل ٥٢ وقيل ٥٣ هـ / ٦٦٢ م وقيل ٦٦٤ وقيل ٦٧٢ وقيل ٦٧٣م) . كان ابو موسى الاشعري واليا" على الكوفة في عهد عثمان بعد ان طلب اهلها منه ذلك ، وعندما ارجع اهل الكوفة والي الإمام علي (عليه السلام) عمارة بن شهاب وارادو ابقاء ابو موسى الاشعري اشار الاشتر على الإمام (عليه السلام) بإقراره فاقرة ، الا ان الاشعري قام بتخذيل اهل الكوفة عن نصرة الإمام (عليه السلام) في معركة الجمل فقام الإمام (عليه السلام) بعزله عن ولايه الكوفة ، ومن بعد عزل الاشعري اصبحت الكوفة عاصمة الدولة الاسلامية .ينظر. الضبي الاسدي : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ١٣٦ - ١٤٢ ؛ ابن خياط : تاريخ خليفة ، ج١، ص ١٣٩ ، ١٦٨ ؛ الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ ؛ ابو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ ابن الجوزي : صفوة الصفوة ، ج ١ ، ص ٥٥٦- ٥٦٢.

(٣٢) الضبي الاسدي : الفتنة ووقعة الجمل ،ص١٠٠؛الطبري :تاريخ الأمم و الملوك ،ج٤،ص٦٥-٦٦؛أبو حنيفة الدينوري :الاخبار الطوال ،١٤١؛ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج٥،ص٧٦؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٩٣؛النويري : نهاية الارب في فنون الادب ،ج٢٠،ص٢٢؛ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٧،ص٣٣٠؛الناصري : الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ،ج١،ص٩٩-١٠٠.

(٣٣)- ابو سعد وقيل ابو عبد الله سهل بن حنيف بن واهب الاوسي الانصاري، ارسله الإمام علي (عليه السلام) واليا على الشام ففشل في الوصول اليها ، وبعدها استخلفه على المدينة عند خروجه لمعركة الجمل ثم اقره عليها واليا . عزل في سنة(٣٧ هـ / ٦٥٧ م)واستخلصه لنفسه في معركة صفين . وعين في نفس السنة عاملا على فارس فاخرجه اهل فارس منها سنة(٣٩ هـ /٦٥٩ م)،توفي سنة(ت٣٩ هـ/ ٦٥٩ م).ينظر. الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج٤، ص ١٧٦ ـ٣٥٠؛ ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج٥ ، ص ٨٢ـ ١٣٧؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج٣، ص ١١٤ ، ٢٢٥؛ ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص٣٧٥.

(٣٤)- الضبي الاسدي : الفتنة ووقعة الجمل ،ص١٠١؛الطبري :تاريخ الأمم والملوك،ج٤،ص١٦٥؛أبو حنيفة الدينوري:الاخبار الطوال ،ص١٤١؛ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج٥،ص٧٦؛ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٩٢؛النويري : نهاية الارب في فنون الادب ،ج٢٠،ص٢٣؛ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٧،ص٢٢٩؛الناصري : الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ،ج١،ص٩٩-١٠٠.

(٣٥) - تمام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي قيل ان الإمام علي (عليه السلام) استخلفه سنة(٣٧ هـ / ٦٥٧ م)حين اراد الخروج للشام وبعدها عينه الإمام (عليه السلام) على المدينة بعد عزل سهل، ثم عزله ولم تفصح المصادر عن سنة العزل. ينظر. ابن خياط : تاريخ خليفة ، ج١ ، ص ٢٠١ ؛ ابن قانع : معجم الصحابة (تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط ـ ١ ، المدينة المنورة / ١٩٩٨) ، ج١ ، ص ١١٣ـ ١١٤ ؛ الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج٤، ص ١٧٦ ـ٣٥٠؛ ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج٥ ، ص ٨٢ـ ١٣٧؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج٣، ص ١١٤ ، ٢٢٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ١٦١ ،٣١١، ٢٣٤، ٣١٨؛ ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص٣٧٥.

(٣٦) - قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي. اسندت له ولاية مكة والطائف في خلافة الامام علي(عليه السلام) بعد عزل ابا قتادة الأنصاري . واستمر واليا حتى استشهاد الإمام علي (عليه السلام)،توفي سنة (٥٦ هـ / ٦٧٥ م).ينظر. نهج البلاغة ، ص٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، ٤٥٧ ؛ الضبي الاسدي : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ١٠٨ ، ١١٩ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٧؛ ص٣٦٧ ؛ ج٨، ص٢٧٨، الطبري : تاريخ الامم والملوك ،ج٤ ، ٣٥٠ـ٤٧٦.

(٣٧) -الطبري :تاريخ الأمم والملوك ،ج٤،ص١٧٦؛النويري :نهاية الارب ،ج٢٠،ص٤٢؛الشبلنجي ، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن : نور الإبصار في مناقب ال بيت النبي المختار (صلى الله عليه واله وسلم)(بغداد / د: ت) ،ص٨٩.

(٣٨)- أبو حنيفة الدينوري : الإخبار الطوال ،ص١٤٣.

(٣٩) -سنام :سنام البعير والناقة أعلى ظهرها والجمع اسنمه ينظر. ابن منظور :لسان العرب المحيط (تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط ـ ١ ، بيروت / ١٩٨٥) ،ج١٢،ص٣٠٦.

(٤٠)- نهج البلاغة،ص٣٦٣؛ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة ،ج١٤،ص٦.

(٤١)- نهج البلاغة ،ص٣٦٣؛ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة ،ج١٤،ص٦-٧.

(٤٢) -الربذة :هي قرية من قرى المدينة ،تبعد ثلاثة أيام عنها وهي قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز قام بجعلها عمر حمى لأبل الصدقة ونفي إليها أبو ذر من قبل عثمان وفيها قبره .ينظر. البكري : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (تحقيق : مصطفى السقا ، ط ـ ٣، بيروت/١٩٨٣)، ج٢،ص٦٣٣-٦٣٧؛ياقوت الحموي : معجم البلدان (تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط ـ ١ ، بيروت / ١٩٩٧) ،ج٣،ص٢٤-٢٥.

(٤٣)- الطبري :تاريخ الأمم والملوك ،ج٤،ص١٩٦.

(٤٤)- ينظر ذلك في الضبي الاسدي :الفتنة ووقعة الجمل ،ص١٥٩-١٧٩،١٦٧.

(٤٥)- غوغاء .هم الناس الكثير المختلطون ينظر الرازي : مختار الصحاح (تحقيق : محمود خاطر ، بيروت / ١٩٩٥) ،ص٢٠٣.

(٤٦)- طغام:اراذل الناس وأوغادهم وقوله (عليه السلام) من باب أشقى المرفق وذلك أن الطغام لما كان ضعيفاً استجاز أن يصفهم به كأنه قال يا ضغاث الأحلام ويا طاشة الأحلام،أي من لا عقل له ولا معرفة .ينظر ابن منظور :لسان العرب ،ج١٢،ص٣٦٨.

(٤٧)- ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح نهج البلاغة ،ج٢،ص١٨٨.

(٤٨)- نهج البلاغة،ص٣٦٤؛الشيخ المفيد :الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة (ط-١،قم المقدسة /١٩٩٣)،ص٣٩٨؛الإرشاد(قم المقدسة / ١٩٩٢) ،ج١،ص٢٥٨؛ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة،ج١٤،ص٢٦.

(٤٩)- صفوت ،احمد زكي،جمهرة خطب العرب (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط-،بيروت /١٩٦٥) ،ج١،ص٣٩٥.

(٥٠) -ينظر العيساوي،علاء كامل صالح: الاثار الناجمة عن سياسة الامام علي(عليه السلام) الادارية والمالية- اساليب المعارضة انموذجا"(بحث مقبول للنشر في مؤسسة علوم نهج البلاغة،كربلاء المقدسة/٢٠١٧)،ص١١-١٦.

(٥١)- عبقرية الإمام علي ، ص ١٧٣.

(٥٢) -البلاذري: فتوح البلدان (تحقيق : رضوان محمد رضوان ،القاهرة / ١٩٥٩) ،ص٢٤٧؛البكري: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ،ج٤،ص١١٤٢؛ ياقوت

الحموي:معجم البلدان ،ج،٤ ،ص٤٩؛السيوطي:المزهر في علوم اللغة وأنواعها (تحقق :فؤاد علي منصور،ط-١،بيروت/١٩٩٨) ،ج١،ص٣١٤.

(٥٣)- ابو النصر ، عمر : مقتل الإمام علي (بيروت / ١٩٦٥) ،ص٩٤.

(٥٤)- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (تحقيق:إبراهيم الزيبق،ط-١،بيروت /١٩٨٩)ص٣٨١.

(٥٥)- عبقرية الإمام علي ،ص١٧٣.

(٥٦)- الجزري :النهاية في غريب الأثر (تحقيق :طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي،بيروت/١٩٧٩)،ج١،ص٢٢٩.

(٥٧)- نهاوند:مدينة عظيمة بينها وبين همذان(٣)أيام وهي في الإقليم الرابع فتحها النعمان بن مقرن سنة(٢١هـ/٦٤١م). ينظر .المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (تحقيق : غازي طليمات ، دمشق ، / ١٩٨٠)،ج١،ص٢٦٠؛ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص٣١٣-٣١٥.

(٥٨)- ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة ،ج٩،ص١٠؛احمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب ق ،ج١،ص٢٣٤.

(٥٩)- الضبي الاسدي:الفتنة ووقعة الجمل،ص١٣٥؛الطبري :تاريخ الأمم والملوك ،ج٤،ص١٩٥.

(٦٠)- ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة ،ج٢،ص١٨٨.

(٦١)- نهج البلاغة،ص٣٦٣ ؛ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة ،ج١٤،ص٦.

(٦٢) -ياسين نجمان :تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين (ط-١،بغداد /١٩٩١)ص٣٢٧؛السيد كمال:إلا..علي أو اصلب من الأيام (ط-٣،قم المقدسة /٢٠٠٣)،ص٢٠٧.

(٦٣)- أبو حنيفة الدينوري:الاخبار الطوال،ص١٤٣.

(٦٤) -الرازي : مختار الصحاح ،ص٢٤٣؛ ابن منظور : لسان العرب ،ج٩،ص٣١١.

(٦٥)- الجزري:النهاية،ج٣،ص٢١٧؛ابن منظور : لسان العرب ،ج٩،ص١٤١؛ج١٤،ص٤١٢.

(٦٦)- المقدسي :أحسن التقاسيم،١١٦؛ابن جبير :رحلة بن جبير (تحقيق :د.علي المنتصرالكتاني،ط-٤،بيروت/١٩٨٥)،ص١٣٩؛ابن إدريس :المصدر السابق،ج١،٣٨١؛ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار (تحقيق:علي المنتصر الكتاني،ط-٤،بيروت/١٩٨٥)،ج١،ص٢٣٩.

(٦٧) - يا قوت الحموي:معجم البلدان،ج٤،ص٤٩٣؛ابن منظور : لسان العرب ،ج٣،ص١٣٦.

(٦٨)- عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام علي ،ص١٧٤.

(٦٩)- الزبيدي ،محمد حسين:الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري (القاهرة /١٩٧٠)،ص٢٥.

(٧٠)- المقدسي:أحسن التقاسيم ،ص١١٦؛ابن إدريس : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط ـ١ ، بيروت / ١٩٨٩) ،ج١،ص٣٨.

(٧١)- رضراض :رضاض الشيء بالضم فتاته وكل شيء كسرته فقد رضرضته. ينظر الرازي :مختار الصحاح ،ص١٠٣؛ابن منظور :لسان العرب،ج٧،ص١٥٤.

(٧٢)- ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٤،ص٤٢٩.

(٧٣)- أبو حنيفة الدينوري:الاخبار الطوال ،ص١٥٢؛وذكر النووي: تهذيب الأسماء واللغات (عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة / د : ت) ،ج١،ص٢٠٣ص٢٦٤ ﴿ما أطيبك وأطيب ريحك﴾.

(٧٤)- البلاذري:فتوح البلدان ،ص٢٨٧؛الثعالبي :ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (القاهرة /١٩٠٨)،ص٢٥.

(٧٥)- فتوح البلدان ،ص٢٨٧.

(٧٦)- للاستزادة حول فضل الكوفة الديني ينظر .الشيخ المفيد : كتاب المزار – مناسك المزار (تحقيق:محمد باقر الابطحي ،ط-١،قم المقدسة/١٩٩٣)،ص٥-٦؛الشيخ الطوسي: تهذيب الإحكام في شرح المقنعة (طهران / ١٩٤٥) ،ص٣١-٣٨؛ابن أبي الحديد المعتزلي :شرح نهج البلاغة ،ج٣،ص١٩٨؛المجلسي :بحار الانوار،ج٥٧،ص٢٠١-٢٣٤.

(٧٧) -الشيخ المفيد: كتاب المزار – مناسك المزار ، ص٤؛الشيخ الطوسي:تهذيب الإحكام ،ج٦،ص٣١؛الفتال :روضة الواعظين (قم المقدسة /د:ت) ،ص٤١٠.

(٧٨)- العياشي: تفسير العياشي (تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، طهران / ١٩٦٠) ،ج١،ص٣٤؛النوري ، الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي : مستدرك الوسائل (نشر مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة / ١٩٨٨) ،ج١،ص٢٦٤،وقصد الإمام (عليه السلام) قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)سورة البقرة آية ٣٤.

(٧٩)- سورة المؤمنين ،آية ٥٠.

(٨٠)- نجف بالفرع عينان لإحداهما الربض وللأخرى النجف تسقيان(٢٠) ألف نخلة وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها والنجف قصور الصلبان.ينظر البكري:معجم ما استعجم ،ج٤،ص٢٧٠١.

(٨١)- ابن قولويه القمي:كامل الزيارات (النجف الاشرف/١٩٧٧)،ص٤٧؛الشيخ الصدوق: لايحضره الفقيه (قم المقدسة / ١٩٩٣) ،ج٦،ص٣٨؛الشيخ المفيد: كتاب المزار – مناسك المزار

،ص١٦٠؛المجلسي:بحار الانوار،ج٩٧،ص٢٢٨؛ الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي النوري: مستدرك الوسائل ،ج١٧،ص٢٢.

(٨٢)- الشيخ الصدوق:معاني الإخبار(قم المقدسة/١٩٨٣) ،ص٣٧٣؛الحر العاملي: وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة ،ج١٤،ص٣٦١؛المجلسي: بحار الانوار ،ج٩٧،ص٢٢٧.

(٨٣)- القمي: تفسير القمي (قم المقدسة / ١٩٨٤)،ج٢،ص٩١،المجلسي: بحار الانوار ،ج٥٧،ص٢٠١.

(٨٤)- روضة الواعظين ،ج٢،ص٤٠٨.

(٨٥)- للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر. الثقفي :الاستنفار والغارات،ج٢،ص٢٨٥؛العياشي:التفسير العياشي،ج٢،ص١٤٧؛ابن قولوية القمي:كامل الزيارات،ص٢٧-٣٢؛الشيخ الصدوق:ثواب الإعمال وعقاب الإعمال(ط -٢،قم المقدسة/١٩٨٦)،ص٣٠،الشيخ المفيد: كتاب المزار – مناسك المزار ،ص٧-٩؛الشيخ الطوسي:تهذيب الإحكام،ج٦،ص٣١؛الفتال: روضة الواعظين ،ص٤١٠،ابن طاووس:فرحة الغري في تعيين قبر علي ابن أبي طالب (عليه السلام) (قم المقدسة/د:ت)،ص١٠٤؛الحر العاملي: وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة ،ج٥،ص٢٥-٢٦؛المجلسي: بحار الأنوار ،ج٨،ص٣٥٣-٣٧٨،ج٩٧،ص٣٨٤-٣٨٥؛ الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي النوري: مستدرك الوسائل ،ج١٠،ص٣٩٩-٤٠٧

(٨٦) -الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي النوري: مستدرك الوسائل ،ج١٠،ص٢٦٤.

(٨٧)- ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج٤،ص٢٢٣.

(٨٨)- أبو عبد الله ،سلمان الفارسي الرامهزي وقيل الاصبهاني،من خيرة أصحاب الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)حتى قال فيه سلمان منا آهل البيت فسمي سلمان المحمدي،عرف بالتقوى والزهد تولى المدائن لعمر،كان من المعمرين توفي سنة(٣٦هـ /٦٥٦م). ينظر :الأنصاري: طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها (تحقيق : عبد الحق حسين البلوشي ، ط ـ ٢، بيروت / ١٩٩٢) ،ج١،ص٢٠٣-٢٣٦؛النسائي:فضائل الصحابة (تحقيق:محمد مطيع الحافظ،ط - ١،بيروت،١٩٨٥)،٨٥-٩٢؛ابن الجوزي:صفوة الصفوة،ج١،ص٥٢٣-٥٥٦؛الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١،ص٥١١-٥٧٧؛القهيائي:مجمع الرجال (صححه وعلق عليه: السيد ضياء الدين العلامة،أصفهان/١٩٦٤)،ج٣،ص١٤١-١٥١

(٨٩) -فتوح البلدان،ص٢٨٧.

(٩٠) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين (ط ـ ١ ، بيروت / ٢٠٠٢)،ص٦٩١؛ محب الدين الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (تقديم ومراجعة : جميل ابراهيم حبيب ،

بغداد/ ١٩٨٤)،ج١،ص١٩٧؛الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١،ص١٤٢؛ابن كثير:البداية والنهاية،ج٥،ص٣١٦.

(٩١)- ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٤،ص٤٩٢.

(٩٢)- الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي النوري: مستدرك الوسائل ،ج١٠،ص٢٠٨.

(٩٣)- الشيخ المفيد: كتاب المزار – مناسك المزار،ص٤؛الشيخ الطوسي: تهذيب الإحكام في شرح المقنعة ،ج٦،ص٣١؛الفتال: روضة الواعظين ،ص٤١٠.

(٩٤)- ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤،ص٤٩٢.

(٩٥)- سورة التوبة ، آية ٣٢.

(٩٦)- الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه ، ج١،ص٤١٠.

(٩٧) -الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي النوري: مستدرك الوسائل ،ج١٠ ،ص٢٠٤.

(٩٨) دمشق: وهي المدينة المشهورة وتعتبر قصبة بلاد الشام. تقع في الإقليم الثالث. سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا وقيل سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان وقيل غير ذلك. ينظر. البكري: معجم ما استعجم،ج٢،ص٥٥٦؛ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٢،ص٤٦٣-٤٦٥ .

(٩٩)- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية،ص١١٤-١١٥.

(١٠٠)- ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة،ج١٣٩،٢-١٤٠.

قائمة المصادر:

خير ما افتتح به القران الكريم

اولا" : المصادر الأولية

❖ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣١م) :-

١ـ الكامل في التاريخ (تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط ـ ٢ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م) .

❖ابن إدريس ، أبى عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٩٩ ـ ٦٦٥هـ ، ١٢٠٢ ـ ١٢٦٦ م):-

٢ ـ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط ـ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

❖الأنصاري ، ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت ٢٦٩هـ / ٨٨٢م) :-

٣ ـ طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها (تحقيق : عبد الحق حسين البلوشي ، ط ـ ٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م)

❖البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت٣٦٥ ـ ٤٨٧ هـ / ٩٧٥ـ ١٠٩٤ م) : ـ
٤ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (تحقيق : مصطفى السقا ، ط ـ ٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٣).
❖ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):
٥ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (تحقيق : د . علي المنتصر الكتاني ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
❖البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) : ـ
٦ـ انساب الإشراف (تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط ـ ٢ ، مطبعة باسدار اسلام ، نشر مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، قم المقدسة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م) .
٧ـ فتوح البلدان (تحقيق : رضوان محمد رضوان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) .
❖الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) :ـ
٨ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م).
❖الثقفي ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصفهاني (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦م) :ـ
٩ ـ الاستنفار والغارات (ط ـ ١ ، دار الكتاب ، قم المقدسة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م).
❖ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد الاندلسي (ت ٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :ـ
١٠ـ رحلة بن جبير (تحقيق : د . علي المنتصر الكتاني ، دار الكتب البناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
❖ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١١١٦ م) :ـ
١١ـ صفوة الصفوة (تحقيق : محمود فاخوري و د. محمد رواسي قلعة جي دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
١٢ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم (تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، ط ـ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
الشيخ جعفر محمد النقدي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٤٤هـ / ١٩١٥م)

❖الحاكم النيسابوري ، الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤م) :-
١٣ ـ المستدرك على الصحيحين (ط ـ ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)
❖ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :-
١٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة(تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ـ ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .
❖ابن ابي الحديد المعتزلي ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) : ـ
١٥ـ شرح نهج البلاغة (تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ـ١ ، دار الجيل ، بيروت ،١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
❖الحر العاملي ، العلامة الشيخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) :-
١٦ـ وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة (تحقيق : مؤسسة اهل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث ، ط ـ ١ ، قم المقدسة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .
❖ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود (ت ٣٦٩هـ / ٩٨٠م):-
١٧ ـ الإخبار الطوال (تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
❖الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م):-
١٨ ـ تاريخ بغداد (دار الكتب العلمية ، بيروت / د : ت) .
❖ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠هـ / ٥٤٠م):-
١٩ـ تاريخ خليفة(تحقيق :د. اكرم ضياء العمري، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ،١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م) .
❖الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):-
٢٠ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام (مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) .

٢١ـ سير أعلام النبلاء (تحقيق : شعيب الارناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .

❖الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م) :ـ

٢٢ ـ مختار الصحاح (تحقيق : محمود خاطر ، نشر مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .

❖السيد الرضي ، ابي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (ت ٣٥٩ـ ٤٠٦هـ/ ٩٦٩ ـ ١٠١٥م)

٢٣ ـ خصائص الائمة (عليهم السلام) (تحقيق ونشر : مجمع البحوث الاسلامية التابعة للاستانة الرضوية ، مشهد المقدسة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

❖السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ م) :ـ

٢٤ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (تحقيق : عزيز الله العطاري ، ط ـ ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .

❖ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ابو عبد الله البصري الزهري (ت ١٦٨ـ ٢٣٠ هـ / ٧٨٤ـ ٩٤١م):ـ

٢٥ـ الطبقات الكبرى (تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، ط ـ١ ، دار صادر ، بيروت / د: ت) .

❖السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :ـ

٢٦ـ المزهر في علوم اللغة وانواعها (تحقيق : علي منصور ، ط ـ ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) .

❖الصدوق ، الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) :ـ

٢٧ـ ثواب الإعمال وعقاب الإعمال (ط ـ٢ ، دار الشريف الرضي للنشر ، قم المقدسة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م) .

٢٨ـ معاني الإخبار (مؤسسة النشر الاسلامي، نشر: علي اكبر الغفاري ، قم المقدسة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) .

٢٩ـ من لايحضره الفقيه (مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

❖الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) :-
٣٠- نكت الهميان في نكت العميان (المطبعة الجمالية ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).
❖الضبي الاسدي ، سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦ م) :-
٣١- الفتنة ووقعة الجمل (تحقيق : احمد راتب عرموش ، ط-١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .
❖ابن ابي طالب ، الإمام علي (عليه السلام) (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م) :-
٣٢- نهج البلاغة (ضبط نصه ونظم فهارسه العلمية د. صبحي الصالح ،ط-٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .
❖الطبري ، ابو جعفر بن محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) .
٣٣- تاريخ الأمم والملوك (تحقيق وتعليق الاستاذ. عبد أ . علي مهنا ، ط-١ ، منشورات : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .
❖الطوسي ، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) .
٣٤- تهذيب الإحكام في شرح المقنعة (دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) .
❖ابن طاووس الحلي ،غياث الدين عبد الكريم بن احمد بن موسى (ت ٦٤٨ - ٦٩٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٢٩٣م) :-
٣٥ - فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (دار الشريف الرضي للنشر ، قم المقدسة / د : ت).
❖ابن عقدة الكوفي ، احمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م):-
٣٦- فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) (جمعه ورتبه وقدم له : عبد الرزاق حمد حسين حرز الدين ، ط - ١ ، مطبعة نكارش ، قم المقدسة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) .
❖ابن عنبة ، السيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) :-
٣٧- عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب (تصحيح : السيد محمد صادق ال بحر العلوم الطباطبائي ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
❖العياشي ، محمد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م):-

٣٨ـ تفسير العياشي (تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المطبعة العلمية ، طهران ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) .
❖الفتال ، محمد بن الحسن (ت في القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر الميلادي):ـ
٣٩ ـ روضة الواعظين (دار الرضي ، قم المقدسة / د: ت) .
❖الفسوي ، أبى يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) :ـ
٤٠ـ المعرفة والتاريخ ـ رواية ابي جعفر بن درستويه النحوي (تحقيق : د. اكرم ضياء العمري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .
❖ابن قانع ، ابو الحسين عبد الباقي (ت ٢٦٥ـ ٣٥١ هـ / ٨٧٨ ـ ٩٦٢م) :ـ
٤١ـ معجم الصحابة (تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط ـ ١ ، مكتبة الغرباء الاثرية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .
❖القمي ، علي بن ابراهيم بن هاشم (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٤م):ـ
٤٢ـ تفسير القمي (مؤسسة دار الكتب ، قم المقدسة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
❖القهياني، العلامة الشيخ زكي الدين المولى عناية الله علي(ت ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م) :ـ
٤٣ـ مجمع الرجال (صححه وعلق عليه : السيد ضياء الدين العلامة ، اصفهان ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) .
❖ابن قولوية القمي ، ابو جعفر محمد بن علي (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) :ـ
٤٤ـ كامل الزيارات (دار المرتضوية للنشر ، النجف الاشرف ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م).
❖ابن كثير ، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :ـ
٤٥ـ البداية والنهاية (تحقيق : د . فالح حسين ، ط ـ ١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .
❖المجلسي ، العلامة محمد باقر (ت ١٠٣٧ـ ١١١١هـ/ ١٦٢٧ـ ١٧٠٠م) :ـ
٤٦ـ بحار الأنوار (تحقيق ونشر: مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
❖محب الدين الطبري ، احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) :ـ

٤٧ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (تقديم ومراجعة : جميل ابراهيم حبيب ،دار القادسية ، بغداد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

❖المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) :ـ

٤٨ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،ط ـ ٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)٠

❖المغربي ، نعمان بن محمد التميمي (ت ٢٥٩ ـ ٣٦٠ هـ/ ٨٧٢ ـ ٩٧٠م) :ـ

٤٩- دعائم الإسلام (دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) .

❖المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م):ـ

٥٠- الإرشاد (طبع ونشر : المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد ، قم المقدسة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٥١- الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة (ط ـ ١ ، طبع ونشر : المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد ، قم المقدسة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

٥٢- كتاب المزار – مناسك المزار (تحقيق : محمد باقر الابطحي ، ط ـ ١ ، طبع ونشر : المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، قم المقدسة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

❖المقدسي ، محمد بن احمد (ت ٣٣٥ ـ ٣٩٠ هـ/ ٩٤٦ ـ ٩٩٠ م) :ـ

٥٣- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (تحقيق : غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

❖ابن منظور ، جمال الدين محمد بن بكر مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) :ـ

٥٤- لسان العرب المحيط (تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط ـ ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

❖الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد (ت ١١١٠ ـ ١٦٩٩ م) : ـ

٥٥ ـ الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى (تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، ط١ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .

❖النسائي ، أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب الشافعي (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م):ـ

٥٦ـ فضائل الصحابة (تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، غزوة بدير ، ط ـ ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

❖النووي ،أبى زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) :ـ

٥٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات (عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة / د : ت) .

❖النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٦٧٧ ـ ٧٢٣ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٣٢٢ م) :ـ

٥٨ ـ نهاية الارب في فنون الادب (تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، مراجعة : ابراهيم مصطفى ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .

❖ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م):ـ

٥٩- معجم البلدان (تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط ـ ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)

❖اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):ـ

٦٠- تاريخ اليعقوبي (تحقيق : العلامة محمد صادق ال بحر العلوم الطباطبائي ، مطبعة الغري ، النجف الاشرف ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) .

❖ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):ـ

٦١- الخراج (د : م / د : ت).

ثانيا"/ المراجع الحديثة :ـ

❖جرداق ، جورج سجعان : ـ

٦٢ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (مطبعة الجهاد ، نشر دار الفكر العربي ، بيروت ، ج١ـ علي وحقوق الإنسان ؛ ج٤ ـ علي وعصره ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩ م).

❖جعفر ، د. نوري : ـ

٦٣ ـ علي ومناوئوه (قدم له : الأستاذ عبد الهادي مسعود ، راجعه وعلق عليه : السيد مرتضى الرضوي ، ط٤ ، دار المعلم ـ مطبوعات النجاح ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .

❖الزبيدي ، د . محمد حسين : ـ

٦٤ ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري (المطبعة العالمية ، القاهرة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م) .

❖السيد ، كمال :ـ

٦٥ ـ الآ .. علي او اصلب من الايام (ط ـ ٣ ، مطبعة صدر ، نشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم المقدسة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .

❖الشبلنجي ، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن (ت١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م) .

٦٤ـ نور الإبصار في مناقب ال بيت النبي المختار (صلى الله عليه واله وسلم)(دار احياء التراث العربي ، بيروت / د: ت ، اعادت طبعه دار العلوم الحديثة ، بيروت ، مكتبة الشرق الجديدة ، بغداد) .

❖شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي : ـ

٦٦ ـ ثورة الحسين (عليه السلام) ـ ظروفها الاجتماعية واثارها الانسانية (د : م / د: ت) .

❖صفوت ، احمد زكي : ـ

٦٧ ـ جمهرة خطب العرب (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ـ ١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .

❖عبدة ، الشيخ محمد : ـ

٦٨ ـ شرح نهج البلاغة (مكتبة النهضة العربية ، القاهرة / د : ت) .

❖العقاد ، عباس محمود : ـ

٦٩ ـ عبقرية الإمام علي (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت / د : ت) .

❖عمارة ، د. محمد : ـ

٧٠ ـ الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية (ط ـ ٢ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / د : ت) .

❖الكاندهلوي ، محمد يوسف : ـ

٧١ ـ حياة الصحابة (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) .

❖محمد ، عبد الزهراء عثمان : ـ

٧٢ ـ المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين (عليه السلام) (ط ـ١ ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م) .

❖ابو النصر ، عمر : ـ

٧٣ ـ مقتل الإمام علي (بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م) .

❖النوري ، الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي (ت ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م) :ـ

٧٤ ـ مستدرك الوسائل (نشر مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

❖ياسين ، نجمان : ـ

٧٥ ـ تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين (ط ـ ١ ، طبع ونشر : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م) .

ثالثا"/ الدوريات:-

❖العيساوي،علاء كامل صالح:-

٧٦- الاثار الناجمة عن سياسة الامام علي(عليه السلام) الادارية والمالية- اساليب المعارضة انموذجا"(بحث مقبول للنشر في مؤسسة علوم نهج البلاغة،كربلاء المقدسة ١٤٣٨هـ /٢٠١٧م).

سيرة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكوفة من خلال كتاب مروج الذهب للمسعودي .

أ.د.شاكر مجيد كاظم
أ.د.فرقد طارق علي
جامعة البصرة / كلية الا داب / قسم التا ريخ

المسعودي سيرة وتاريخ :

هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي يرجع نسبه الى عبد الله بن مسعود الصحابي[١] ، لذلك لقب بـ (المسعودي) [٢]، اغلب الروايات تجاهلت أصل ولادته ولم تشر الى زمان الولادة والبعض الاخر حدد الزمن دون السنة كما ذهب السيد حسن الصدر حين قال: ((انه ولد في بغداد اوائل المائة الثالثة ومنشأه فيها)) [٣] ، والاخر يحددها في بداية القرن العاشر الميلادي بحدود سنة (٢٧٨هـ- ٩٠٠ م) [٤]، وتوفي سنة ٣٤٦ه/٩٥٨م[٥] ، بعضهم ينقص او يزيد.

تميز العصر الذي عاش فيه المسعودي وهو العصر العباسي الثاني من الناحية السياسية بالاضطرابات وعدم الاستقرار في الدولة العباسية والتي ادت الى ظهور عناصر غير عربية تعاظم نفوذها واصبح رايها فوق سلطة الخلفاء العباسيين، فكانت الثورات والاضطرابات في شرق الدولة فكلما خمدت ثورة خرجت اخرى وتداخل العناصر غير العربية من الترك والفرس في مفاصل الدولة وظهور امارات ودويلات متعددة انفصلت عن الدولة العباسية واصبحت تشكل خطرا عليها[٦] ، ففي هذه الاجواء المشحونة بالتنافر والاختلاف ولد المسعودي وقد لاحظ المشاكل والصراعات على السلطة في عهد العباسيين ووصف حال دار الخلافة و الخلفاء في تلك الفترة فقال عنها ((ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم اذا كانوا كالمولى عليهم لا امر ينفذ لهم أما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على اكثرهم المتغلبون واستظهروا بكثرة الرجال والاموال واقتصروا على مكاتبهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم ...)) [٧] .

ولد المسعودي ونشأ في بيئة علمية تعد من اكثر فترات النهضة العلمية في الخلافة العباسية واستطاع ان ينهل من معين العلوم في ذلك العصر استفاد المسعودي من حركة الترجمة

التي حصلت في تلك الفترة وبالأخص كتب الفلاسفة اليونانيين امثال مؤلفات الفيلسوف اليوناني افلاطون ومنها كتاب السياسة المدنية وارسطو طاليس صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم التي استفاد منها المسعودي في الرجوع اليها[٨]، واشتهر المسعودي بكثرة رحلاته حيث قام بالكثير من الرحلات المهمة على الرغم انها تميزت بالمخاطر والاهوال و ركب لجج البحار لكي يطلع عن كثب أحوال الامم والشعوب والاقطار وتمكن من أن يصوغ لنا جميع ما وعاه من علوم وما اكتسبه من تجارب عبر مشاهدات حقيقية اثناء رحلاته في كتبه ومؤلفاته القيمة التي ثروة علمية في التأليف في كافة المجالات المختلفة، فقد تنقل في بداية الامر الى الولايات القريبة من بغداد واهمها البصرة[٩]، التي احتفظت بمكانتها العلمية حتى القرن الرابع الهجري فكثرت مساجدها وحلقات الدرس التي يقيمها العلماء والادباء كما نشطت فيها دراسة الفلسفة فظهرت بها أخوان الصفا[١٠]، وكذلك كانت حلقات الدرس منتشرة بين احياء البصرة مما شكل الحافز لدى المسعودي ان ينهل من علماء البصرة ويلتقي بهم ومن ضمنهم ابن دريد[١١]،وكان المسعودي احد تلاميذه وقد اعجب به وببراعته بالشعر واللغة[١٢].

لقد الَّف المسعودي الكثير من الكتب على الرغم من إن اكثرها تعد مفقودة بحيث لم يصل الينا من مؤلفاته الا ثلاث كتب هي (مروج الذهب ومعادن الجوهر ، واخبار الزمان ، والتنبيه والاشراف) ويوجد كتاب اخر تحت عنوان (اثبات الوصية) قد اختلف فيه حول عائديه هذا الكتاب للمسعودي فمنهم من اشار الى ان هذا الكتاب هو من كتب الشيعة والصقوه بالمسعودي لشهرة المسعودي[١٣] ، ومنهم من قال انه للمسعودي وهذه الرأي تميز به علماء الشيعة[١٤] ولم نصل الى سبب مقنع يفيد بوجود عامل سياسي او مذهبي او ديني ادى الى فقدان مؤلفات المسعودي والتي اشار الى بعضها في كتابه مروج الذهب وكذلك كتابه الاخر التنبيه والأشراف ولأهميتها فانه كان دائما ما كان يختصر الكلام في موضوع ما ويحيل القارئ الى كتبه الاخرى [١٥].

آراء العلماء في شخصية المسعودي:

اختلفت الآراء في شخصية المسعودي بين مدح وقدح والبعض اكتفى بترجمة حياته دون التعليق كما فعل ابن النديم في الفهرست حيث اكتفى بسرد ما وصل إليه من مؤلفات المسعودي ومصنفاته لكتب التاريخ وأخبار الملوك ويذكر بعض مؤلفاته دون إعطاء رأيه في شخصيته[١٦] ، اما الذهبي فقد وصف المسعودي وصفا يدل على ارتياحه من اسلوبه في كتابة مؤلفاته وطريقه طرح المواضيع حيث يقول:((وكان إخباريا صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون وكان معتزلياً ...))[١٧] . اما ابن خلدون فتارة يطعن بالمسعودي ويقول ((وأن كان في كتب المسعودي والواقدي من الطعن والغمز ما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة والثقات))[١٨] ، الا ان ابن خلدون في موضع اخر يذكر المسعودي ويكيل اليه المدح ويقول انه اليه يعود الفضل في تأسيس مذهب خاص للمؤرخين جعل الكثير من العلماء يقتدون به في كتاباتهم حيث ((ان المسعودي بذلك صار اماما للمؤرخين يرجعون إليه وأصلاً يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه))[١٩] ،وقد ذكر ابن طاووس ابداع المسعودي ببعض العلوم ومن اهمها علم النجوم فيقول ((ومن أفضل الموصوفين بعلم النّجوم، الشّيخ الفاضل الشّيعي عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، مصنِّف كتاب "مروج الذّهب"، وله تصانيف جليلة ومنزلة في العلوم والتّواريخ والرياسة كبيرة)) [٢٠]، وقد شن ابو بكر ابن العربي هجوما على المسعودي ووصفه بالمبتدع المحتال[٢١]

اما الكتاب المحدثين فقد اعجبوا بالمسعودي ومن ضمنهم زكي حسن [٢٢]، لكثرة رحلاته واهتمامه بالتاريخ ودمجه مع الجغرافية، اما السيد محسن الامين فقد وصفه بقوله((كان جليل القدر وعظيم المنزلة في العلم. بارع في أكثر علوم الإسلام، علاّمة فيها))[٢٣]، وقد ذكر الدكتور ضيف الله بن يحي الزهراني الاستاذ في جامعة ام القرى بأن المسعودي مؤرخ مشهور يعول عليه في دراسة تاريخ الدولة الإسلامية في عصورها الأولى[٢٤].

ولعل الطعن الذي وجه الى المسعودي فان مرده يعود الى مواقفه من بعض الاحداث التاريخية والمرويات التي رواها حول قضايا متعددة منها قضية الامام علي (عليه السلام) وأحقيته في الخلافة، وقد الف كتاباً سماه (اثبات الوصية) وكذلك سيرة الامام الحسين

(عليه السلام) والوقوف على بعض سير الخلفاء الامويين والعباسيين وإظهار مساوئهم[٢٥] ، الذي يعدُّه البعض خطأً احمر لا يجوز الاقتراب منهم.

اما العلماء المستشرقين فقد كانت لهم آراء متعدة ومن اهمهم د. ديمتري ميكوليسكي فقد اعرب عن اعجابه بالمسعودي وكتابه مروج الذهب على الرغم من انه عانى في ترجمة الكتاب الى الروسية الا انه ابدع في وصفه فقال:((يحرص المسعودي على توصيف الأحوال الاجتماعية والنفسية والعقلية للعرب والشعوب الأُخرى في عصره وكثير من تلك التوصيفات لا تزال صالحة في عصرنا كما أنه جمع بين أسلوب المؤرخ وأسلوب الأديب فهو من أوائل الذين استخدموا القصة والحكاية والإحصاء في السرد التاريخي، فحينما يتناول شخصية أحد الخلفاء يذكر بالتفصيل أهم الأحداث السياسية والعسكرية، ويذكر علاقات النسب والمصاهرة وأهم الحكايات والنوادر التي جرت معه، واعتمد المسعودي على استخدام الجداول البيانية والإحصائية التي تدعم الوجه العلمي لكتاباته وتتميز نصوص المسعودي بأنها منتظمة منطقياً إلى جانب فسحة الخيال الإبداعي، وتعطيها المزاوجة بين الجد والمرح قوة لإعطاء القارئ متعة خاصة إلى جانب قيمتها العلمية، وهذا ما يجعل المسعودي رائداً في النثر الأدبي العربي))[٢٦].

اما المستشرق فون كريمر فقد اطلق على المسعودي لقب (هيرودوت العرب) في كتابه تاريخ الثقافة في الشرق[٢٧]، لكون هيرودوت اليوناني هو من صنع التاريخ عن طريق اسفاره للبلدان الكثيرة ومشاهدتها عن قرب وجمعه للمادة التاريخية وهذا بالفعل ما سار عليه المسعودي، الا ان فون كريمر جعل المسعودي اوسع افقاً وابعد في الرحلة والاطلاع ووضع تاريخاً شاملا[٢٨] .

ان لقب (هيرودوت العرب) كان من اهم الالقاب التي اطلقها المستشرقون على اهم شخصية عربية بحيث ان المستشرق الروسي ديمتري ميكولسكي قد الف كتابا خاصا لدراسة شخصية المسعودي اطلق علية تسميه (المسعودي هيرودوت العرب) واصفا فيه المسعودي في مقدمه كتابه بانه انسانا مبدعاً اصيلا ومتواضعا وشغوفاً في عمله فقد بقي عصيا على مؤلفي السيرة الذين جاؤوا بعده[٢٩].

وقد رأى العالم والمستشرق سيديو ان المسعودي كان عالما بالعلوم وان حبه لطلب العلم جعلته يكثر من الرحلات ((ولا نخشى التكذيب اذا قلنا انه لم يظهر بين العرب مؤرخ بلغ من الفضل الشامل ما بلغة المسعودي وان كنا نراه محتاجا الى روح النقد أحيانا فلتذكر حب الاطلاع الشديد فيه حفزه الى زيارة الاماكن التي أراد الوقوف على تاريخها فكان يساق الى نقل القصص ذات أَصل مشكوك فيه))[٣٠]، ولقد اعجب المستشرق الروسي كراتشوفسكي بشخصية المسعودي وجعل مكانته الأولى بين المؤرخين دون منازع فيقول((لم يكن المسعودي بالطبع عالماً بحاثة على غرار البيروني ولا متخصصا في الجغرافية والتاريخ بل كان اديبا قبل كل شيء وناشرا للمعارف .... مع ميل اكثر نحو الجدية ونحو الاسلوب القصصي فهو قاص ماهر))[٣١]، ولعل اعجاب كراتشوفسكي هو ناتج عن قراءته المتمعنة لكتبه والاطلاع عليها بحيث يقارنها مع مؤلفات المؤرخين و الُكتاب الذين سبقوا المسعودي او الذين جاءوا من بعده بحيث يجعل المسعودي في اعلى الهرم المعرفي دون منازع[٣٢].

ولقد شبه ماكس مايرهوف المسعودي بـــ(بليني) احد مؤرخي الرومان وجغرافيهم و احد علمائهم الطبيعين بحيث قال ان المسعودي ينطبق عليه هذا التشبيه بكل ما في الوصف من معنى[٣٣].

بينما يرى المستشرق مارسيل دي فيك انه اكثر الكتاب الجغرافيين اصالة ونضوجا في القرن العاشر علاوةً على ما يتمتع به من مهارات ادبيه ومعرفية واسعة[٣٤] ، وقد نقل غوستاف راي المسيو كاترمير بالمسعودي واعجابه بكتبه حيث قال ((اذا ما نظر الأنسان الى كتبه بهت من تنوع المواد التي كتب فيها ومن كثرة المسائل المهمة العويصة التي حلها والحق انه كان واسع الفضل في الزمن الذي نبع فيه لا لأنه قرأ جميع الكتب الخاصة بالعرب وتأمل فيها فقط بل لإحاطة مباحثه الواسعة بتاريخ اليونان والرومان وجميع امم الشرق حديثها وقديمها ايضاً))[٣٥].

سيرة الامام علي عليه السلام في كتاب مروج الذهب .

نسب الامام علي عليه السلام :

اشار المسعودي الى نسب الامام علي فقال هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهو اول من ولد من الهاشميان[٣٦] .

اخوانه :

للأمام علي (علي السلام) برواية المسعودي سته اخوان اربعة ذكور طالب وعقيل وجعفر وعلي واثنان اناث جمانه وفاخته [٣٧]، المسمى ام هاني وقيل فاطمه وقيل اسمها هند[٣٨] .

ولادته :

لم يصرح المسعودي في كتابه مروج الذهب زمان ولادة الامام علي (عليه السلام) انما فقط ذكر انه ولد في الكعبة المشرفة [٣٩] ، وقد اشار الفاكهي المتوفي سنة ٢٧٥هجرية في كتابه اخبار مكة في الفصل الذي عقده تحت عنوان (أوائل الاشياء التي حدثت بمكة في قديم حيث يقول ((واول من ولد في الكعبة من بني هاشم من المهاجرين علي بن ابي طالب))[٤٠] .

وهناك خبر ذكرته بعض المصادر التاريخية بشأن ولادة (حكيم بن حزام) في الكعبة اشارت اليه خمسة من المصادر المتقدمه وهي (اخبار مكة) للأزرقي[٤١] ، وجمهرة النسب للزبير بن بكار[٤٢] ، والمحبر لابن حبيب [٤٣]، واخبار مكة للفاكهي[٤٤]، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري [٤٥]، اما المصادر الاخرى فهي مجرد ناقلة عن رواية لابن بكار ، او الحاكم ، وهي رواية مفتعلة وضعتها السلطة الاموية وذلك وفق البرنامج الذي وضعه معاوية في افتعال فضائل للصحابة مقابل فضائل أمير المؤرخين (عليه السلام) لا تصمد امام النقد الموضوعي[٤٦]

والاخبار في ولادة الامام علي (عليه السلام) في الكعبة هي اخبار متواترة بين المؤرخون كما ذكر الحاكم النيسابوري بقوله ((فَقَدْ تَوَاتَرَت الْأَخْبَارِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ وَلَدَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ))[٤٧] ، وروي انه ((كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنب جالسين مابين فريق بني هاشم الى فريق

عبد العزى بأزاء البيت الحرام وقد اخذها الطلق فرمت بطرفها الى السماء وقالت أي رب اني مؤمنه بك وبما جاء به من عندك الرسول وبكل نبي من انبياءك وبكل كتاب انزلته واني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل وانه بنى بيتك العتيق فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه وبهذا المولود الذي في احشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثة وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك لما يسرت عليّ ولادتي ، قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنب: لّما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتصقت بإذن الله تعالى، فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نسائنا، فلم ينفتح الباب، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام وأهل مكة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في خدورهن فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعلي على يديها)) [٤٨]،ولقد مدحه السيد الحميري بقوله :

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد[٤٩]

علماً بأن هناك ثلاثين مصدراً من كتب المسلمين من غير كتب الشيعه نصت على ولادة الامام علي (عليه السلام) في الكعبة علاوة على المؤرخين والكتاب المعاصرين[٥٠] .

تربى الامام في اكناف الرسول محمد (صلى الله عليه واله) فأخذه واشرف على تنشئه وكان عمره ست سنين [٥١]، وادى قربه من الرسول محمد (صلى الله عليه واله) الى التزود من منهله الشجاعة والاخلاق والصفات الحميدة .

اسلامه :

ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب ان الامام علي (عليه السلام) كان اول من امن واسلم بالرسول محمد (صلى الله عليه واله) من الرجال[٥٢]، وذكر عمره في كتابه الاخر بقوله ((وله خمس عشرة سنة)) [٥٣]، اشار المسعودي ان الامام علي (عليه السلام) لم يشرك بالله انما كان تابعا للنبي (صلى الله عليه واله) مقتديا به وبأفعاله، واما اسلامه فأن الرسول (صلى الله عليه واله) قد دعي الامام علي (ع) من باب التكليف حسب ظاهر الآية (وانذر عشيرتك الاقربين) وكان علي اقرب الناس الى الرسول محمد (صلى

الله عليه واله) واتبعهم اليه[٥٤] ، على انه اول من اسلم وأمن به هو الامام علي (عليه السلام) فقال ((أولكم وارداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبى طالب))[٥٥]، وعلي ولد ونشأ على الفطرة ولم يعبد صنماً وهو ما أشار اليه علي (عليه السلام) بقوله (اني ولدت على الفطرة))[٥٦] ، وروي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال حدثنا : عمرو مولى عفرة قال : سئل محمد بن كعب القرظي ، عن أول من أسلم : أعلي أو أبوبـكر قال : سبحان الله علي أولهما إسلاماً[٥٧]، وهذا ماصرح به الامام علي (عليه السلام) حيث قال انه سبق الناس جميعاً بالايمان بالرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه واله) وبرسالته ودعوته حيث يقول ((وسبقت الى الايمان والهجرة)) [٥٨] ، وهذا لا خلاف عليه بين اغلب المذاهب الإسلامية حول من هو اول من امن بالرسول ولكن يجعلون الامام علي (عليه السلام) من ضمن الصبيان اما الرجال فيرجحون ابي بكر اول من اسلم وهذا خلاف بين المذاهب حوله كما صرح ذلك المسعودي[٥٩].

ألقابه وكناها :

ذكر المسعودي القاب وكنى عديدة للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) منها امير المؤمنين [٦٠] ، ومما هو جدير بالذكر ان المسعودي في كتابه مروج الذهب عندما يتحدث عن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فأنه يستخدم ازاءه لفظ امير المؤمنين[٦١]، ولا يستخدمها لمن سبقه من الخلفاء ويعد ذلك دليلاً على ميل المسعودي نحو التشيع[٦٢]، والمرتضى[٦٣] ، والوصي[٦٤]، حتى ورد عن المأمون العباسي شعراً يقول فيه

لامُ على شكر الوصيِّ أبي الحسن وذلك عندي من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس، والأوَّلُ الذي أعان رسول الله في السر والعلن[٦٥]

ومن الالقاب التي ذكرها المسعودي لقب ابي تراب[٦٦] ، وقد وردت اسبابا لتلك التسمية فذكر الشيخ الصدوق ((عن الحسين بن علي العبدي عن عبد العزيز بن مسلم عن يحيى بن عبد الله، عن أبيه عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الفجر ثم قام بوجه كئيب وقمنا معه حتى صار إلى منزل فاطمة (عليها السلام) فأبصر عليا نائما بين يدي الباب على الدقعاء، فجلس النبي (صلى الله عليه وآله) فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: قم فداك أبي وأمي يا أبا تراب، ثم أخذ بيده ودخلا

منزل فاطمة، فمكثنا هنيئة، ثم سمعنا ضحكا عاليا، ثم خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول الله دخلت بوجه كئيب وخرجت بخلافه، فقال:كيف لا أفرح وقد أصلحت بين اثنين أحب أهل الأرض إلى أهل السماء[٦٧] ، ونحن لا نميل الى هذه الرواية من الموضوعات التي وضعها اعداء علي (عليه السلام) وفقهاء السلاطين وهي غير صحيحه لانه كيف يمكن لفاطمه (عليها السلام) وهي ثمرة شجرة النبوة وذات المستوى من الخلق والايمان تخاصم زوجها ثم كيف يخرج منهم صوت عالي حتى سمعهم اصحاب الرسول ، وقد نفى الصدوق هذه الرواية على الرغم من ذكر هذه الرواية بسندها[٦٨] ، ولكن الرواية الصحيحة في ذلك اللقب ما ذكره عمار بن ياسر (رضي الله عليه) قال كنت انا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة وهي قبل معركة بدر ثم نمنا انا وعلي بجنب نخل فجاء الرسول (صلى الله عليه واله) الى الامام علي فقال قم يااابا تراب[٦٩] .

واطلقت على الامام علي (عليه السلام) القاب ونعوت عديدة ووسم بصفات وخصال كثيرة وهو ما ذكر عبد الله بن عباس في مجلس معاوية بن ابي سفيان حيث قال ((كان والله عَلَم الهدى، وكهف التقى، ومحل الحجا، وبحر الندى، وطَوْد النهى، وكهف العلا للورى، داعياً إلى المحجة العظمى، متمسكا بالعروة الوُثْقى، خير من آمن واتقى، وأفضل من تقمص وارتدى، وابر من انتعل وسعى، وأفصح من تنفس وقرأ، وأكثر من شهد النجوى، سوى الأنبياء والنبي المصطفى، صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد؟ وهو أبو السبطين فهل يقارنه بشر؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد؟ للاسُودِ قتال وفي الحروب ختال، لم تر عيني مثله ولم تَرَى، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد....)) [٧٠]، ودخل ضرار بن ضمره الكناني وكان من اصحاب الامام علي (عليه السلام)على معاوية بن ابي سفيان ، فقال له :.((ياضرار صف لي علياً ؟ قال أو تعفيني ! قال لا أعفيك ، قال ماأصف منه !؟ كان والله بعيد المدى ،شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناهُ ، وينبئنا

اذا أستسقيناه ونحن والله مع تقريبه أيانا وقربه منا لا لانكاد تكلمه هيبة له ، يعظم اهل الدين ، ويقرب المساكين ، لايطمع القوي في باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله .....)) [٧١]،وهناك القاب اخرى لأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لم يذكرها المسعودي منها الكرار[٧٢]، وحيدره[٧٣] ، ابا الريحانتين[٧٤] ، وغيرها من الالقاب .

فضائل امير المؤمنين علي (عليه السلام) في كتاب مروج الذهب:

تطرق المسعودي في مروج الذهب الى ذكر فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الا انه مما يؤخذ عليه انه لم يذكرها جميعها بل ذكر الشيء اليسير منها واشار اليها سريعاً وبصورة مقتضبة فقد اورد المسعودي أن الامام علي (عليه السلام) أنفرد بفضائل أختص بها دون غيره منها قول الرسول محمد (صلى الله عليه واله) بقوله انت مني بمنزلة هارون من موسى الا ان لا نبي بعدي وقوله (صلى الله عليه واله) من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده ، ثم دعاؤه (صلى الله عليه واله) عندما قدم اليه خادمه انس بالطائر المشوي حيث قال : اللهم ادخل الي احَبَّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فدخل عليه علي [٧٥]. ، ولقد اشار سعد بن ابي وقاص الى بعض الفضائل التي اختص بها الامام علي (ع) واحب ان تكون له واحدة منها فقال((لَهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم يَقُولُ " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويحبه اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بعدي)) [٧٦] ، وعلاوة على ذلك فأن المسعودي قد ذكر ايضاً فضائل للأمام علي (عليه السلام) ومناقب اخرى اشترك معه فيها اخرون ولكن رغم ذلك كان للامام علي (عليه السلام) له القدح المعلى فيها ايضاً منها السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله (صلى الله عليه واله) والقربى منه والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد والورع والزهد والحكم والفقه والمؤاخاة مع الرسول. وكان للامام علي (ع) كما يذكر المسعودي الحظ الاوفر من هذه الفضائل[٧٧] ، علماً بأن هناك العديد من المؤلفات التي كتبت في فضائل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب [٧٨] ، وقد عملت المدرسة الاموية دوراً رئيسياً في تحريف الروايات

وتوجيهها بما يخدم أغراضها ولعب الاعلام الاموي دوراً مهماً في ذلك الى درجة أنهم بذلوا كل ما بوسعهم لنسبة فضائل امير المؤمنين (عليه السلام) الى غيره [٧٩] ، ولكنهم لم يفلحوا لان الشمس لايمكن ان تستتر بغربال واذا استقام الشيء قام بنفسه وعلي علم تأتم الهداة به وهو يسير والفضائل تسير من وراءه .

خلافته :

تطرق المسعودي في كتابه مروج الذهب الى الحياة السياسيه في العهد الاسلامي المبكر ، وعرج بالحديث عن مؤسسة الخلافة والى الفراغ السياسي الذي شهدته الامة الاسلاميه بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وخلو المنصب من الخليفة .

اشار المسعودي الى تولي الامام علي (عليه السلام) الخلافة تمت بطريقتين الاولى تسمى البيعه الخاصة وحصلت في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان[٨٠] ، والبيعة العامة تمت بعد قتل عثمان بأربعة أيام[٨١] ، في حين قال الدينوري ان مبايعة الناس للامام علي (عليه السلام) تمت في اليوم التالي لمقتل عثمان[٨٢] ، وادرك الامام علي (عليه السلام) قدر الاحداث المتسارعة التي تعصف بالامة والفتن الذي تحدث عقب مقتل عثمان فقد ذكر محمد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان، فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قُتل، ولابد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفياً (خفية) ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين[٨٣]، وهنا اراد الامام ان ينسحب من زعامة الامة لكون الاجواء غير ملائمة ولكون الارضية غير مستقرة ، فالحزب الاموي كان معارضاً لاستلام الامام علي(عليه السلام) الخلافة وجسد ذلك بمعارضه معاوية بن ابي سفيان لحكومة الامام علي (ع) لذلك اتخذ من الشام مركزا للمعارضه له ولاتباعة وحصلت بينهم الحروب التي سوف نستعرضها لاحقاً ثم ان الامام علي(ع) كان زاهداً في الخلافة فقد روي عن ابن عباس قال ((دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السّلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال رحمه الله لي : ما قيمة هذهِ النعل ؟ فقلت لا قيمة لها فقال والله لهي أحب إلى من امرتكم

إلاّان اقيم حقاً او ادفع باطلاً...)) [٨٤]، واورد المسعودي في مروج الذهب قائمة باسماء الرجال الذين لم يبايعوا الامام علي (عليه السلام) بالخلافة منهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن ابي معيط وهم كلهم من بني امية والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله التيمي القرشي اللذان نكثا البيعة [٨٥]، فقد جاء الاخيرين الى الامام علي (عليه السلام) يستأذنوه بالخروج الى العمرة فرد عليهما لعلكما تريدان البصرة او الشام[٨٦]، اشارة الى نكث العهد والبيعة، وحدد المسعودي مدة خلافة الامام علي (عليه السلام) ((فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنِين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً..... إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة)) [٨٧].

حروبه:

تطرق المسعودي في كتابه مروج الذهب الى ذكر الحروب التي خاضها الامام علي (عليها السلام) ضد الخارجين عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين ومنها معركة الجمل التي وقعت في البصرة يوم الخميس لعشرة من جمادي الاولى سنه ست وثلاثين وقتل من اصحاب الجمل من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفاً وقتل من اصحاب الامام علي (عليه السلام) خمسة الاف مع الاختلاف في العدد[٨٨]، وسبب هذه المعركة كان بتحريض من عمر بن العاص الذي كتب الى معاوية يحثه على المطالبه بدم عثمان[٨٩]، ليفتح بابا امام التمرد ضد حكومة الامام علي(عليه السلام) وليتفرغ معاوية لتثبيت دعائم حكمه وجلب المعارضين له ، وحرب صفين[٩٠]، بين الامام علي(عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان في خمسه من شوال سنة ست وثلاثين فكان تعداد جيش الامام علي (عليه السلام) تسعون ألفاً، اما جيش معاوية فكان خمس وثمانون ألفاً[٩١]، والبعض قال ان واقعة صفين كانت يوم يَوْم الْأَرْبَعَاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وَثَلَاثِينَ[٩٢]، واخر رجح وقعة صفين في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين[٩٣]، وحاول معاوية استخدام كل وسائل الضغط على جيش الامام علي(عليه السلام) بقطع الماء عليه الا انه فشل في ذلك ، وانتهت الواقعة بالتحكيم[٩٤]، بعد ان قارب النصر للامام علي (عليه السلام) وكان مالك الاشتر قريب من اعلان النصر الا

ان خدعة رفع المصاحف من قبل عمرو بن العاص قد نجحت وانقسم جيش الامام علي(عليه السلام) الى قسمين قسم اعلن انها الخدعة والاخر ايد التحكيم الى كتاب الله وقد رجحت كفة الاخير[٩٥] ،وهذا دليل على ان بعض من اتباع الامام علي (عليه السلام) لم يكونوا اصحاب مبدأ وانما كان يسيرهم هواهم .

اشار المسعودي الى عدة اراء حول عدد قتلى صفين فقال ((وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين، فذكر احمد بن الدورقي عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة ايام مائة الف وعشرة آلاف من الناس، من اهل الشام تسعون الفاً، ومن اهل العراق عشرون الفاً، ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل في هذا الباب، وهو خمسون ومائة الف مقاتل، سوى الخدم والاتباع، وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك، لأن اقل من فيهم معه واحد يخدمه، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك، واهل العراق كانوا في عشرين ومائة الف مقاتل دون الأتباع والخدم، وأما الهيثم بن عدي الطائي وغيره مثل الشرقي بن القطامي وأبي مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون الفاً: من أهل الشام خمسة وأربعون الفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون الفاً، فيهم خمسة وعشرون بَدْريا، وأن العدد كان يقع بالتقصي والإحصاء للقتلى في كل وقعة، وتحصيل هذا يتفاوت، لأن في قتلى الفريقين من يُعْرَف ومن لا يعرف، وفيهم من غرق، وفيهم من قتل في البر، فأكلته السباع فلم يدركهم الإحصاء)) [٩٦]، اما المقدسي فقد ذكر عدد القتلى سبعون ألفاً منهم خمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق وخمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام[٩٧]، وقتل في هذه المعركة بعض الصحابة قد بلغ عددهم قرابة خمسة وعشرون رجلًا امثال عمار بن ياسر [٩٨].

ومن حروب الامام علي(عليه السلام) التي ذكرها المسعودي في مروج الذهب حروبه ضد الخوارج التي وقعت في سنة ثمان وثلاثين للهجرة[٩٩]، وهم المارقين كما اطلق عليهم النبي (صلى الله عليه واله) [١٠٠]، وقد اعتزلوا الامام علي(عليه السلام) بعد معركة

صفين وبالأخص بعد مجيء الامام علي (عليه السلام) الى الكوفة فاعتزلوا في مكان يقال له الحرورية[١٠١]، واشار المسعودي الى ذلك فقال ((ولما دخل علي رضي الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلحقوا بحرُوراءَ(قرية من قرى الكوفة) وجعلوا عليهم شبيب بن ربعي التميمي، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكوّاء اليشكري من بكر بن وائل، فخرج الامام علي (عليه السلام) اليهم وكانت له معهم مناظرات، فدخلوا جميعاً الكوفة، وإنما سموا الحرورية لاجتماعهم في هذه القرية، وانحيازهم إليها، وقد ذكر يحيى بن معين قال: حدثنا وهب بن جابر بن حازم، عن الصلت بن بهرام، قال: لما قدم علي الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا للّه، فيقول حُكمَ الله أنتظر فيكم، فيقولون: (و لقد أوحيَ إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فيقول علي: (فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)). [١٠٢] ، وقد اشار المسعودي الى ان الخوراج قاموا بقتل الصحابي عبد الله بن خباب عامل الامام علي(عليه السلام) على المدائن وبقروا بطن زوجته وكانت حاملا وبعض النساء اللواتي كن معه فسار اليهم الامام علي (عليه السلام) فلما وصل النهروان ارسل اليهم الحارث بن مرة العبدي يدعوهم الى الرجوع عن المدائن وقتال اهل الشام معه، الا انهم قتلوا الحارث بن مرة ثم بعثوا الى علي (عليه السلام) يطلبونه ان يتوب او يشهد على نفسه الكفر شرط المبايعة اليه واذا رفض ذلك فعليه الاعتزال عن الحكم حتى نختار اماما اخر غيرك فأرسل لهم الامام علي ان يسلموا قتلة الصحابة فقالوا كلنا قتلنا اصحابك وعند ذلك قال الامام علي (عليه السلام) والله لا ينجوا منهم الا عشرة ولا يقتل منكم الا عشرة وبالفعل كان كما قال ذلك فقد افنى جيش الخوارج[١٠٣].

لم يستقر حكم الامام علي (عليه السلام) نتيجة لكثرة الحروب والفتن الداخلية التي كانت لها الاثر الكبير في النقص العددي لأصحابه سوى من قتلوا او ممن تفرقوا في البلاد امثال الحارث بن راشد الناجي او الخريت بن راشد على اختلاف الروايات[١٠٤]، الذي خرج في ثلاثمائة من اتباعة وارتدوا الى دين النصرانية وهم يرجعون الى ولد سامة بن لؤي بن غالب وهؤلاء كانوا كلهم منحرفون عن نهج الامام علي (عليه السلام)

ليسوا فقط في زمن علي انما استمروا الى فترات متلاحقة ومنهم الشاعر علي بن الجهم الذي نصب العداوة للامام علي (عليه السلام)[١٠٥]، واشار ابن كثير الى سبب ارتداد الحارث بن راشد الناجي عن الاسلام في زمن الامام علي فقال ((وقَدْ ذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ خَرَجَ على علي بعد النَّهْرَوَانِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ بْنُ رَاشِدٍ النَّاجِيُّ، قَدِمَ مَعَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: إِنَّكَ قَدْ قَاتَلْتَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فِي كَوْنِهِمْ أنكروا عليك قصة التَّحْكِيمِ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَ أَهْلَ الشَّامِ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ، وَأَنَّكَ لَسْتَ بِنَاقِضِهَا، وَهَذَانِ الْحَكَمَانِ قَدِ اتَّفَقَا عَلَى خَلْعِكَ ثُمَّ اخْتَلَفَا فِي ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ذلك، فَأَنْتَ مَخْلُوعٌ بِاتِّفَاقِهِمَا، وَأَنَا قَدْ خَلَعْتُكَ وَخَلَعْتُ معاوية معك، وتبع الحارث هذا بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ - بَنِي نَاجِيَةَ وَغَيْرِهِمْ ...))[١٠٦]، ونتيجة لارتدادهم عن الاسلام ارسل الامام علي (عليه السلام) معقل بن قيس الرياحي فقاتلهم وقتل الحارث ومن معه من المرتدين بساحل البحرين الا ان معقل قد سبى اهل البحرين وذهب الى كور الاهواز وسبى قومهم وكان هناك مصقلة بن هبيرة الشيباني عامل علي (عليه السلام) فصاحت النسوة عليه امنن علينا فاشتراهم بثلاثمائة الف درهم واعتقهم وادى من المال مائتي الف ثم هرب الى معاوية، فلما وصل خبره الى الامام (عليه السلام) قال قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد ، لو اقام أخذنا ما قدرنا على اخذه فأن أعسر أنظرناه ، وان عجز لم نأخذه[١٠٧] ، وقد تأسف مصقلة بن هبيرة الشيباني على ترك علي فأنشد قائلاً :

تركت نساء الحي بكر بن وائل وأعتقت سَبْياً من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد لمالٍ قليلٍ لا محالة ذاهـــب

ونحن لا نميل الى ان خلاف الامام علي (عليه السلام) مع مصقلة بن هبيرة حول الاموال التي سرقها بل العكس ان الامام علي (عليه السلام) ليس من اخلاقه ان يسبي النساء والاطفال في المعارك ويروعهم لأجل المال فقد امتعض (عليه السلام) عندما وصل خبر اغارة جيش معاوية على الانبار فقال من ضمن خطبة ((وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ منْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ

كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً))[١٠٨].

من خلال دراستنا لكتاب مروج الذهب وجدنا انه قد اغفل ذكر بعض حركات الردة التي اشتعلت في عدد من المدن منها حركة زالق[١٠٩]، التي قام بها مجموعه من الرجال القادمين من معركة الجمل امثال حسكة بْن عتاب الحبطي وَعمْرَان بْن الفضيل البرجمي فأغاروا على منطقة زالق فسبوا النساء واخذوا غنائمهم فَبعث الامام عَلِيّ (عليه السلام) عَبْد الرَّحْمَن بْن جرو الطَّائِي فقتله حسكة بن عتاب فَكتب الامام علي (عليه السلام) إِلَى ابن عباس ان يرسل احد رجاله الى سجستان فبعث ربعي بْن كأس العَنبري فَظهر عَلَى حسكة وَعمْرَان وَأَقَام حَتَّى قتل عَليّ [١١٠] ، كما ان المسعودي لم يتطرق الى ذكر الفتوحات التي قام بها الامام علي (عليه السلام) او التي جرت في عهده والتي ساهمت بنشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة الاسلامية مثل غزوة الهند سنة ثمان وثلاثين للهجرة[١١١] ، وفتح اصطخر[١١٢] ، وحصار نيسابور الذي انتهت بعد ان صالح اهلها[١١٣] ، وغيرها [١١٤] .

استشهاد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام):

تناول المسعودي موضوع استشهاد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقد نعت يوم اغتيال الامام علي (عليه السلام) بالمؤامرة ، واورد تفاصيل تلك المؤامرة وذلك عندما اجتمع الخوارج في سنة اربعين للهجرة على قتل الامام علي (عليه السلام) ومعاوية، وعمرو ابن العاص وتعين بعض رجالهم لتنفيذ الاغتيالات واوكلوا مهمة قتل الامام علي (عليه السلام) لعبد الرحمن بن ملجم المرادي والى الحجاج بن عبد الله الصريمي الملقب بالبرك لقتل معاوية ، والى زادويه: مولى بني العنبر لقتل عمر بن العاص[١١٥] ، ويقال اسمه عمرو بن بكر [١١٦] ، لم يتعدى خبر مقتل الامام علي(عليه السلام) و التي ورد ذكرها عند اغلب المؤرخين من ان الامام علي كان يفزع من هذه الليلة ثم هم بالخروج فاعترضته إوز ثم انه دخل الى المسجد ووجد ابن ملجم نائم على بطنه ثم قال له قم للصلاة ثم مقتل الامام علي (عليه السلام) في السجدة الثانية من صلاة الفجر[١١٧] .

ان هذه الروايات الكلاسيكية العاطفية لا يمكن الركون اليها لوجود عدة أستفهامات حولها منها ان الامام علي (عليه السلام) عندما ايقظ ابن ملجم هل اراد منه ان يقوم بقتله واذا صح هذ الخبر فيعد هذا انتحار ، وكذلك يقال ان تدخل امرأة وهي (قطام) في جريمة قتل الامام (عليه السلام)حيث جعلت ذلك شرطاً في قبولها للزواج من ابن ملجم وقد اورد المسعودي ابيات من الشعر تشير الى تلك القصة قد ارجع قائلها الى ابن ملجم

ثلاثـــة آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن مُلجم [١١٨]

في حين ارجع ابن كثير الابيات الى الشاعر أبن ابي مياس المرادي[١١٩] ، وهذا لا اساس له من الصحة لكون ان مؤامرة قتل الامام (عليه السلام) كان مدبرة ومتفق عليها مسبقاً من قبل الخوارج الذين كفروا الامام علي (عليه السلام) وارادوا ان يغتالوا رأس الحكومة الاسلامية المتمثلة بشخص الامام (عليه السلام) عدوهم الاول بعد انصرافهم من صفين وللثأر من هزيمتهم في معركة النهروان ومقتل بعض قادتهم ، ثم ان الخوارج قد افتخروا بمقتل الامام علي (عليه السلام) على لسان عمران بن حطّان الرقاشي الذي مدح ابن ملجم في ضربته اذ أنشد قائلاً :

يا ضربةً من تقِيٍّ ما أراد بها إلا ليبلغَ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفي البرية عند الله ميزانا[١٢٠]

وكذلك من الاطراف التي ساعدت على التخطيط لمقتل الامام علي (ع) هم بني امية وعلى رأسهم معاوية بن ابي سفيان لذلك نجد أبو الأسود الدؤلي وجه اصابع الاتهام لمعاوية للتخطيط لقتل الامام علي (عليه السلام) حيث خاطبه:-

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قَرَّتْ عيونُ الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طرّا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وذَللها ومن ركب السـفينا
ومن لبس النعال ومن حَذَاها ومن قرأ المثاني والمبينا

إذا استقبلت وجـه أبي حسين رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حَسباً ودينا[١٢١]

وكذلك افتخر بعض افراد بني امية عندما جاءوا بسبايا اهل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد وصرحوا علناً بضلوعهم في قتل الامام علي بقولهم :

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح[١٢٢]

اشار المسعودي في كتابه مروج الذهب الى ان نهاية ابن ملجم الماسويه وما تعرض له من التمثيل حيث يقول((ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله ، قال عبد الله ابن جعفر: دعوني حتى أشفي نفسي منه، فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسماراً حتى إذا صار جمرة كحله به، فقال: سبحان الذي خلق الإنسان ، إنك لتكحل عمك بملمول الرصاص، ثم إن الناس أخذوه وأدرجوه في بَواري ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق)) [١٢٣]، ان هذه الرواية لا يمكن الاخذ بها لكون ان الامام (عليه السلام) قد اوصى ابناءه وعشيرته بعدم التمثيل بجثة عبد الرحمن ابن ملجم بقوله ((يا بَني عَبدِ المُطَّلبِ لا اُلفِيَنَّكُم تَخوضونَ دماءَ المُسلمينَ خَوضا تَقولونَ قُتِلَ أميرُ المُؤمنينَ ألا لا تَقتُلُنَّ بي إلّا قاتلي . اُنظُروا إذا أنَا مُتُّ مِن ضَربَتِه هذِه فَاضرِبوهُ ضَربَةً بِضَربَةٍ ولا تُمَثِّلوا بِالرَّجُلِ فَإنّي سَمِعتُ رَسولَ اللّهِ صلى الله عليه و آله يَقولُ : إيّاكُم وَالمُثلَةَ ولَو بِالكَلبِ العَقورِ))[١٢٤].

ان اخلاق علي الإسلامية وسمو نفسه وعلو همته لا يمكن ان يسمح لأي شخص بالقيام بتلك الاعمال المشينة والمنافية لتعاليم وخلق الاسلام فعلي وهو في اشد حالاته وما يعانيه من ضربة السيف المسموم الذي فلق هامته ونشر السم في بدنه نراه يتعامل مع قاتله بالأخلاق الإسلامية فهو يأمر أهله بأن يطعموه ويسقوه ولا يتعرضوا لهُ بأي اذى واذا تعافى من ضربته هذه فالأمر متروك له بشأن الية التعامل مع قاتله واذا فارق الحياة فعليهم أن يتعاملوا مع عبد الرحمن بن ملجم وفق القانون الاسلامي بأن يضربوه ضربة واحده ليس اكثر ضربة بضربة ولا يمثلوا بجثته لان التمثيل يتنافى مع مبادئ وقيم وروح الاسلام .ولم يكتفي الامام علي (عليه السلام) بذالك بل منع اهله وجميع المسلمين

بان لا يحملوا بني مراد قبيلة ابن ملجم اي تبعات من جراء فعلته المشينة التي هدمت من الاسلام اركانا ، ولا يطلبوا بثأره منهم او من اي طرف اخر ساهم بالمؤامرة او أشتراك في الاعداد او التخطيط او التدبير والتنفيذ لان علي (عليه السلام) قران يمشي على الارض فهو ينفذ تعاليم الاسلام التي تقر بأن ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[١٢٥]، و﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [١٢٦]، فالمرء وحده مسؤول عن فعلته وليس عشيرته أو أنتماءه القبلي.

ومن المواضيع التي تناولها المسعودي في اثناء حديثه عن سيرة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) هو ذكره لأراء المختلفة بشأن مكان دفنه فقال ((وقد تنوزع في موضع قبره، فمنهم من قال: إنه دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال: إنه حمل إلى المدينة فدفن عند قبر فاطمة، ومنهم من قال إنه حمل في تابوت على جمَل وإن الجمل تاه ووقع الى وادي طيّئ)) [١٢٧] ، بينما نقل ابن الجوزي رواية عن أبو نعيم الحافظ يزعم ان احد الاشخاص ينكر قبر الامام علي (ع) بظاهر الكوفة وهو قبر مزور ولوا ان الرافضة حسب تعبيره عرفوا ان هذا القبر يعود الى المغيرة بن شعبة لرجموه[١٢٨] ، ومن المعروف ان قبر الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف ومرقده الشريف يعانق عنان السماء واجاد ابن ابي الحديد في عينيته المشهوره اذ أنشد قائلاً :

يابرق ان جئت الغري فقل له أتراك تعلم من بأرضك مودع[١٢٩]

وصية امير المؤمنين علي (عليه السلام:

توفي الامام علي (عليه السلام) حسب رواية المسعودي وعمره اثنتان وسبعون سنة، وقيل: اثنتان وستون وقد خطب الامام الحسن(عليه السلام) خطبة ذكر فيها بعض صفات الامام علي (عليه السلام) بقوله ((والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون، وإن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه)) وقال المسعودي ان الذي صلى عليه ابنه الحسن ، وكبر عليه سبعاً، وقيل غير ذلك[١٣٠] ، واضاف المسعودي قائلاً ان الامام الحسن (عليه السلام) بين للناس نزاهة الامام علي (عليه السلام) في ادارة اموال الامة وكشف عن ذمته المالية فقال

((ولم يترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله))، وقال بعضهم: ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً ومصحفه وسيفه[١٣١]، وقد اوصى بعدة وصايا قبل موته فقال ((ودخل عليه الناس يسألونه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن فقدناك، ولا نفقدك، أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، وأنتم أبصر، ثم دعا الحسن والحسين، فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله وحده، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها، قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر الى ابن الحنفية فقال: هل سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك؟ وتزيين أمرهما، ولا تقطعن أمراً دونهما، ثم قال لهما: أوصيكما به، فانه سيفكما وابن أبيكما، فأكرماه واعرِفا حقه، فقال له رجل من القوم: ألا تعهد يا امير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، قال: فماذا تقول لربك إذا أتيته؟ قال: أقول: اللهم إنك أبقيتني فيهم ما شئت أن تبقيني، ثم قبضتني وتركتك فيهم فإن شئت أفسدتهم، وإن شئت أصلحتهم، ثم قال: أما والله إنها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة، وقبض ليلة إحدى وعشرين، وبقي علي الجمعة والسبت، وقبض ليلة الأحد، ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة))[١٣٢]،من خلال قراءتنا لهذا النص الذي ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب والذي تضمن عدم تعين الامام علي (عليه السلام) لوصي من بعده، وترك للأمة تختار من تشاء ،هذا الكلام يتناقض جملة وتفصيلاً مع ما ذكره المسعودي في كتابه الاخر الموسوم (أثبات الوصية) للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) والذي اكد فيه بضرس قاطع على وصية الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من بعده الى الامام علي (عليه السلام)[١٣٣] ، ثم اورد المسعودي في موضع اخر من كتابه وصية الامام علي (عليه السلام) من بعده الى الحسن والحسين عليهما السلام وطلب من اهل بيته بالسمع والطاعة لهما حيث قال عليه السلام ((أوصي الى الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا أمرهما))[١٣٤] ، اما بشأن نص الوصية التي وردت في كتاب المسعودي مروج الذهب فنرى ان هناك احتمالات عدة بشأن صيغة النص التي وردت

فيها منها انه لا يستبعد ان نص الوصية قد جرى عليه تحريفاً وان ما أورد فيها في مروج الذهب قد اضيف عليها لاحقاً بعد وفاة المسعودي سواءً من قبل الكتاب والنساخ المبغضين لآل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هذه من جهة ، او أن نص الوصية تم تحريفه من قبل أتباع المدرسة الاموية او العباسية على حدٍ سواء، الذين يجتمعون معاً في نقطة مركزيه واحده الا وهي أبعاد ال محمد(صلوات الله عليهم) عن تولي قيادة الامة ، اما الاحتمال الثالث ان المسعودي اورد نص الوصية في كتابه مروج الذهب وفق مبدأ العمل بالتقية.

ومما هو جدير بالذكر ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، لم يرحل عن هذه الدنيا الا بعد ان نصب لهم الوصي من بعده وعهد اليه قيادة الامه الإسلامية وذلك في خبر غدير خم المتواتر[١٣٥]، والذي روتهُ مصادر الأمه بكافة أطيافها[١٣٦]

وقد ذكر المسعودي وصية اخرى غير التي ذكرناها وكان اهل النقل قد ذكروا هذه الوصية عن ابي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي ان عليا قالها في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم[١٣٧].

خطب واقوال الامام علي (عليه السلام) في كتاب مروج الذهب :

من خلال دراستنا لسيرة امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كتاب مروج الذهب للمسعودي حيث تناول فيه ذكر يسير لفضائله ومناقبه وقد أعترف المسعودي بأن كتابه هذا او أي كتاب اخر قاصر وعاجز ان يحويها جميعها حيث يقول ((وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتي عليه كتابنا هذا او غيره من الكتب، او يبلغه إسهاب مسهب، او إطناب مطنب)) [١٣٨] ،وقد اوضح المسعودي بان سيرة الامام علي (عليه السلام) واخباره وخطبه واقواله قد تناولها واوردها في كتابين أخرين له وهما كتاب (حدائق الاذهان في أخبار ال محمد عليه الصلاة والسلام) ، وفي كتاب (مزاهر الأخبار وطرائف الأثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة) [١٣٩] ، وقد ذكر المسعودي عدد خطب الامام علي (عليه السلام) التي كان الناس يحفظونها والبالغة ٤٨٠خطبه وانهم كانوا يذكرونها ويرددونها حيث يقول ((والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف

وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا)) [١٤٠]، ولكن الشريف الرضي (ت ٤٣٦) الذي جاء بعد المسعودي وقام بجمع جمع خطب الامام علي (ع) في كتاب اطلق عليه اسم (نهج البلاغة) ليشير بذلك الى ان هذا النتاج هو مثال لبلاغة التعبير بعد كتاب الله سبحانه وتعالى وقد ضم ٢٨٨ خطبة و ٧٩ بين كتاب ووصية وعهد و رسالة و ٤٨٩ قول ومثل وحكمه وموعظة[١٤١] ، ونلاحظ ان هناك فارق في عدد الخطب بين ماذكره المسعودي وماذكره الشريف الرضي حيث بلغ الفارق بينهما ١٨٩ خطبة لم تذكر في (نهج البلاغة) يبدو انها لم يعثر عليها الشريف الرضي أو انه اهملها ولم تكن ضمن الخطب التي أختارها .

هذا وقد أورد المسعودي العديد من اقوال وحكم امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) منها:.

❖قيل له: من خيار العباد؟ قال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا، وإذا اغضبوا غفروا [١٤٢].

❖**وقال الامام علي (عليه السلام) في وصف الدنيا** : الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، الدنيا مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحيه، ومتجر اوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة..... [١٤٣]

❖**وقال لابنه الحسن** يا بني، استغن عمن شئت تكن نظيره، وسل من شئت تكن حقيره، واعط من شئت تكن أميره [١٤٤].

❖ودخل عليه رجل من أصحابه فقال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين، قال: أصبحت ضعيفاً مذنباً، آكل رزقي، وانتظر أجلي، قال: وما تقول في الدنيا؟ قال: وما أقول في دار أولها غم، وآخرها موت، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، حلالها حساب، وحرامها عقاب، قال: فأي الخلق أنعم؟ قال: أجساد تحت التراب، قد أمنت من العقاب، وهي تنتظر الثواب [١٤٥].

❖أعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها، فإن سَنحَ له الرجاء اماله الطمع، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه القنوط قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان أسعده الرضا نسي التحفظ، وان ناله الخوف

فضحه الجزع، وان أفاد مالًا أطغاه الغنى، وان عضته فاقة فضحه الفقر، وان أجهده الجوع أقعده الضعف، وان افرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل افراط له مفسد (١٤٦)

❖وكان يوصي كميل بن زياد ذات يوم فقال له: يا كميل ذُبَّ عن المؤمن فإن ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وظالمه خصم الله، واحذركم من ليس له ناصر إلا الله (١٤٧)

❖ان هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم (١٤٨)

❖بَطر الغنى يمنع من عز الصبر (١٤٩)

❖ينبغي للمؤمن ان يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة (١٥٠)

❖لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أوْثَقَ منه بما في يده (١٥١)

الخاتمة

من خلال دراستنا لسيرة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في كتاب مروج الذهب للمسعودي تبين لنا :

•قدم المسعودي تاريخاً مختصراً لسيرة الامام علي (عليه السلام) ولم يبسط الحديث عنه وكان سرده لأحداث سيرته الشريفة بصوره مقتضبة ولم يكن مطنباً فيها.

•اتضح لنا من دراستنا لكتاب مروج الذهب ان المسعودي كان على معرفة تامه بصعوبة الكتابة عن سيرة امير المؤمنين علي (عليه السلام) التي لا يمكن ان يضمها كتابه هذا أو أي كتاب سواء أكان من مؤلفاته أو من مؤلفات الاخرين لان علي بحر لا يحده حدود ولايستطيع المؤرخ او الكاتب ان يصل الى قاعه وجمع كل دره.

•حاول المسعودي ان يكتب سيرة لأمام علي (عليه السلام) خالية من الميل نحو جهة معينه وان تلاقي قبولاً لدى الجميع و لكي لاتوجه اصابع الاتهام اليه بانه يميل الى طائفه دون أخرى ، ولا نستبعد ان عمل بمبدأ التقيه في ذلك.

•ذكاء المسعودي في طرح الروايات التي قد يتسبب في طرحها بعض الاختلافات بين افراد الامه لذلك نجده لا يدخل في تفاصيلها كخطبة الرسول محمد (صلى الله عليه

واله وسلم) في غدير خم ، اذ لم يكن المسعودي متعصبا لرأيه او متزمتاً لمذهبه وإنما كان يطرح الكثير من الآراء المختلفة دون الولوج بعرض تفاصيلها.

- ركز المسعودي في عرضة لسيرة الامام علي (عليه السلام) على الجوانب العسكرية والحروب الاهليه التي شهدتها الامه خلال فتره خلافته.
- تميزت ثقافة المسعودي الواسعة والالمامه بكثير من الآراء حول بعض القضايا التي تخص حياة الامام علي (عليه السلام) حيث يطرحها دون يعطي رأيه الشخصي بها تاركا الجزم في ذلك للقارئ.
- ان المسعودي جمع اكثر عدد ممكن من اخبار الامام علي (عليه السلام) وعرضها بأسلوب سلس غير معقد.
- اورد المسعودي بعض الخطب والحكم للأمام علي (عليه السلام) .

التوصية :

نظراً لأهمية كتاب مروج الذهب للمسعودي وماتضمنهُ من روايات وأخبار وأحداث تخص سيرة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ودراسة المنهج الذي اتبعه في تدوينها وفي ألية عرضه للأحداث التي شهدها عصره فأننا نوصي بأعداد دراسة أكاديمية لسيرة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) من خلال كتاب مروج الذهب للمسعودي.

Abstract

This study deals with the research of the life of Imam Ali (peace be upon him), as mentioned by Masoudi in his book "Murooj al-Zahab", one of the oldest historical books complete of various events and news. It is a masterpiece in which Masoudi embodies all aspects of human heritage, whether in the old or the Islamic.

Masoudi dealt with the history of Imam Ali's life from birth, Islam, succession and some of the problems he encountered during his accession to the regime, as well as some of his speeches, his words and then the reasons for his assassination. Although this information has been dealt with in a concise manner.

الهوامش:

١) ابن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ،١٩٧
٢) ابن النديم ، الفهرست ،١٨٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ٥٦٩/١٥
٣) تاسيس الشيعة لعلوم القران ،٢٤٥
٤) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي،١٧٧
٥) صائب عبد الحميد ، علم التاريخ ومناهج المؤرخين ،١٩١
٦) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ٦/ ٢٥٤- ٢٥٥؛ شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص١٠ومابعدها ؛ وفاء محمد علي ،الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي،ص٤٣
٧) المسعودي ،التنبيه والاشراف ، ص٣٤٦
٨) مروج الذهب ١ /١٣ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف /١٠٢ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ٣٤/١
٩) اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ،ص ٥٣
١٠) اخوان الصفا: هم جماعة من الفلاسفة كانت في البداية سرية خرجت في البصرة خلال القرن الثالث الهجري العاشر الميلادي لقبوا بعدة اسماء (اخوان الصفا، وخلان الوفا ،اهل العدل وابناء الحمد) وقد ظلت اسماءهم قيد الكتمان ولا يوجد أي اثر لمؤلفاتهم سوء رسائل بلغ عددها احدى وخمسون : ينظر عادل العوا، حقيقة اخوان الصفا ،ص٥٣
١١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،ابو بكر(ت٣٢١) من اعلام اللغة والادب ولد في البصرة سنة ثلاث وعشرون ومأتيين في خلافة المعتصم وسافر إلى عمان الذي اقام بها اثنى عشر عاما ثم سافر الى فارس يطلبُ الآدَابَ واللغة فَفَاقَ أَهْل زَمَانِه ثُمَّ سَكَنَ بَغْدَاد واتصل بالخليفة المقتدر العباسي فأجرى له راتبا في كل شهر خمسين دينار توفي في بغداد ، من كتبه الاشتقاق في الانساب والمقصور والممدود والجمهرة وعشرات الكتب الاخرى ومن كتبه الجمهرة في اللغة والاشتقاق وشعر ينسب له تسمى المقصورة . مروج الذهب . ينظر ياقوت الحموي، معجم الادباء ٦/ ٢٤٨٩- ٢٤٩٠ ؛السبكي ، طبقات الشافعية تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ٣/ ١٣٨ وما بعدها
١٢) مروج الذهب٢٢٩/٤
١٣) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية٧٣٢/٢
١٤) الشيخ المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٢٣٩ ؛ العلامة الحلي ، خلاصة الاقوال ،ص١٨٦ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ٤٢٧/٣٠ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ٣٦/١ ؛ عباس القمي ، الانوار البهية ،ص١٥٠ ؛ السيد البروجردي ، جامع احاديث الشيعة ٢٥/١

١٥) صائب عبد الحميد ، علم التاريخ ومناهج المؤرخين ، ص١٩١
١٦) الفهرست ،ص٢١٩-٢٢٠
١٧) سير اعلام النبلاء ١٢١/١٢
١٨) المقدمة ،ص٤
١٩) المقدمة ، ص٣٢
٢٠) فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ،ص١٢٦
٢١) العواصم من القواصم ،ص٢٦٢
٢٢) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص٣٩
٢٣)اعيان الشيعة ٢٢٢/٨
٢٤)مصادر السيرة النبوية ،ص٥٦
٢٥) مروج الذهب٢/٣٥٧ ،٣/ ٥٤مابعدها ،٢٩/٣ومابعدها ، ٢٣٦/٣ومابعدها
٢٦) القاء الذي اجراه الناقد والشاعر السوري بندر عبد الحميد مع الدكتور ديمتري ميكوليسكي مجلة العربي الالكترونية ، ٢٠٠٤، العدد٥٥٣،ص٦٧
٢٧) فؤاد قنديل ،أدب الرحلة ،٢١٥
٢٨) شاكر مصطفى ، التاريخ والمؤلفون ٥٣/٢
٢٩) المسعودي هيرودوت العرب ، ص٦
٣٠) فؤاد قنديل ، ادب الرحلة ،ص٢١٥
٣١) تاريخ الادب الجغرافي ،ص١٨١
٣٢) تاريخ الادب الجغرافي،ص٧٧
٣٣) العلوم والطب ، جزء من كتاب تراث الاسلام لمجموعة من المستشرقين بأشراف سير توماس ارنولد ، ص ٤٧٧
٣٤) شفيقة عيساني ، شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،٢٠٠٨،ص٨
٣٥) حضارة العرب ، ص٤٦٨
٣٦) مروج الذهب ٣٥٠/٢ ؛ وانظر كذلك المحب الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى،ص٥٥
٣٧) مروج الذهب ٣٥٠/٢
٣٨) النووي ، الاذكار،ص٢٦١ ؛ السهيلي ، الروض الانف ٤٠١/٣
٣٩) مروج الذهب ٣٤٩/٢

٤٠) ١٩٨/٣

٤١) ١٧٤/١

٤٢) ٢٢٨/١

٤٣) ص١٧٦

٤٤)٢٢٦/٣

٤٥) ٥٤٩/٣ حديث رقم (٦٠٤١)

٤٦) للتفصيل عن تلك الروايات ومناقشتها راجع جواد كاظم النصر الله ، فضائل امير المؤمنين علي (عليه السلام) المنسوبه لغيره ،ص٢٤٤-٢٦٦

٤٧) المستدرك على الصحيحين ٥٥٠/٣؛ وانظر كذلك ابن المغازلي ، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ص٢٦ ؛ عبد الرحمن الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس١٥٩/٢

٤٨) الطوسي ، الامالي ،ص٧٠٧؛ هاشم البحراني ، حلية الابرار٢١/٢؛ المجلسي ، بحار الانوار٣٦/٣٥ ؛ ابي حاتم العاملي ، الدر النظيم ،ص٢٣٤

٤٩) ديوانه ،ص٦٩

٥٠) للتفصيل راجع جواد كاظم النصر الله ، فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام)المنسوبة لغيره ، ص١٨٥-٢٠١

٥١) ابن ابي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ١٥/١ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ٢٥٤/٣٨ ؛ علي خان المدني ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ،ص١٥٤

٥٢) ٢٧٨/٢

٥٣) التنبيه والاشراف ،ص٢٥٧

٥٤) مروج الذهب ٢٧٦/٢- ٢٧٧

٥٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد٤٢٧/٢

٥٦) ابن ابي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ١١٥/٤

٥٧) البري ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة١٩٣/٢

٥٨) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٥٤/٤

٥٩) مروج الذهب ٢٧٧/٢-٢٧٨

٦٠) مروج الذهب ٢٦١/٢

٦١) مروج الذهب ٤٢/١ ؛ ٣٤٩/٢

٦٢) جواد كاظم النصر الله ، فضائل أمير المؤمنين ،ص٨٧

٦٣) مروج الذهب ٤٢٩/٢

٦٤) مروج الذهب ٧٢/٢
٦٥) مروج الذهب ٤٢٩/٢ ؛ وانظر كذلك ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك١٢٨/١٠
٦٦) مروج الذهب ٢٤٥/٣
٦٧) علل الشرائع ١٥٥/١
٦٨) علل الشرائع ١٥٥/١
٦٩) ابن البطريق ، العمدة ،ص٢٥
٧٠) مروج الذهب ٥١/٣-٥٢
٧١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٢٦/١٨-٢٢٧
٧٢) ابن ابي الحديد ،الفلك الدائر على المثل السائر٢٦٨/٤؛ الطبراني ، المعجم الكبير ٣١/٧ ؛ السفاريني ،غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب٣٣/١
٧٣) النووي ، الأذكار ،ص٢١١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٣/٣ ؛ابو الفرج الاصبهاني ، مقاتل الطالبيين ،ص٤٠ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٣٨٥/١
٧٤) الصدوق ، معاني الاخبار ، ص٤٠٣ ؛ ابو شهر اشوب ، مناقب ال ابي طالب١٣٦/٣ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني٦٢٥/١١
٧٥) مروج الذهب ٤٢٥/٢
٧٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٧٦/٧
٧٧) مروج الذهب ٤٢٥/٢
٧٨) للتفصيل راجع أبو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ،ص١٧ ومابعدها ؛ ابن جبرئيل القمي ، الفضائل ومستدركها ،ص١٩٢ ومابعدها ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب ال ابي طالب ٥/٢ ومابعدها ؛ابن البطريق ، عمدة عيون الأخبار ،ص٣١ومابعدها ؛ محمد الشافعي ، اسمى المناقب ، ص٢١ ومابعدها ؛ الفيروز ابادي ، فضائل الخمسه ٢٠٠/١ ومابعدها.
٧٩) جواد كاظم النصر الله ، فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المنسوبه لغيره ،ص٥٩
٨٠) مروج الذهب ٢٦١/٢
٨١) مروج الذهب ٣٥٠/٢
٨٢) الإمامة والسياسة ،ص٦٥
٨٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٤٢٧/٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم٦٣/٥ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الخلفاء الراشدين ،ص٤٣٠
٨٤) المجلسي ، بحار الانوار٧٦/٣٢ ؛ الشيخ كاشف الغطاء ،اصل الشيعة وأصولها ،ص١٣٩
٨٥) مروج الذهب٣٥٣/٢؛ ٣٥٧/٢

٨٦) مروج الذهب ٣٥٧/٢
٨٧) مروج الذهب ٣٤٩/٢
٨٨) مروج الذهب ٣٥١/٢
٨٩) مروج الذهب ٣٥٤/٢
٩٠) صفين :موضوع على شاطئ الفرات بالقرب من الشام بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرّقّة وبالس.البكري ، معجم ما استعجم٨٣٧/٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤١٤/٣
٩١) مروج الذهب٣٧٥/٢
٩٢) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ،ص١٩١
٩٣) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ٣١٣/٣
٩٤) مروج الذهب ٣٦٥/٢ ،٣٩٢ومابعدها
٩٥) مروج الذهب ٣٨٩/٢ ومابعدها
٩٦) مروج الذهب ٣٩٤/٢
٩٧) البدء والتاريخ٢٠٧/٥
٩٨) مروج الذهب ٣٥٢/٢
٩٩) مروج الذهب ٤٠٤/٢
١٠٠) مروج الذهب ٣٠٢/٢ ؛ وانظر كذلك: ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٣٨/٧
١٠١) الحرورية : قرية من ناحية الكوفة .مروج الذهب ٣٩٥/٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢٤٥/٢
١٠٢) مروج الذهب ٣٩٥/٢
١٠٣) مروج الذهب ٤٠٥/٢ ؛ وانظر كذلك : محمد سهيل طقوش ، تاريخ الخلفاء الراشدين،ص٤٧٤
١٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٣١٥/٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ١٥٣/٥ ؛ ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ٢٢٦/٢
١٠٥) مروج الذهب ٤٠٧/٢
١٠٦) البداية والنهاية ٣٤٢/٧
١٠٧) مروج الذهب ٤٠٨/٢
١٠٨) محمد عبدة ، نهج البلاغة ٦٨/١-٦٩
١٠٩) زالق:من نواحي سجستان . ابن الفقيه ، البلدان ،ص٤١٥
١١٠) ابن خياط ، تاريخ بن خياط،ص١٩٩ ؛البلاذري ، فتوح البلدان ،ص٣٨٣

١١١) قدامة بن جعفر ، الخراج ،ص٤١٤
١١٢) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٢٧٨
١١٣) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص٣٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٦٣/٥
١١٤) للمزيد عن ذلك راجع مجاهد منعثر الخفاجي ،خلافة الامام علي في الكوفة ، ،ص٣٤٤ومابعدها
١١٥) مروج الذهب ٤١١/٢
١١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٦١/٧
١١٧) مروج الذهب ٤١١/٢ ومابعدها ؛ وانظر ابن حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ،ص٢١٣ ومابعدها ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٤٣/٥ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ٢٣١/٥
١١٨) مروج الذهب ٤١٢/٢
١١٩) البداية والنهاية ٣٦٤/٧
١٢٠) مروج الذهب ٤١٥/٢
١٢١) مروج الذهب ٤١٥/٢ ؛ وانظر كذلك ابو الاسود الدؤلي ، ديوانه ،ص١٥٢؛ المبرد ، الكامل في اللغة والادب ١٧٣/٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٥٠/٥ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ٢٣٣/٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٧٤٤/٢
١٢٢) الطبرسي ، الاحتجاج ٢٨/٢ ؛ ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ،ص٩٠
١٢٣) مروج الذهب ٤١٤/٢-٤١٥
١٢٤) مروج الذهب ٤١٤/٢-٤١٥
١٢٥) القران الكريم ، سورة فاطر /اية ١٨
١٢٦) القران الكريم ، سورة المدثر /اية ٣٨
١٢٧) مروج الذهب ٣٤٩/٢ ؛ وانظر اليافعي ، مراة الجنان ٢٩٩/٢
١٢٨) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٧٨/٥
١٢٩) احمد الرحماني الهمداني، الامام علي عليه السلام ،ص٣٤٤
١٣٠) ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ٦/١٧
١٣١) مروج الذهب ٤١٤/٢ ؛ وانظر ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٧٩/٤٢
١٣٢) مروج الذهب ٤١٣/٢ -٤١٤
١٣٣) المسعودي ، اثبات الوصية ،ص١٢٤-١٢٥
١٣٤) المسعودي ، أثبات الوصية ،ص١٥٥
١٣٥) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ١١٧/١ ؛ ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ،ص٤٤٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ٦٢٨/٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٢٩/٥

١٣٦) للتفصيل عن ذلك راجع عبد الحسين الاميني ، موسوعة الغدير١/١٥٧-٢٠٨
١٣٧) مروج الذهب ٤٢٤/٢
١٣٨) مروج الذهب ٤٢٥/٢
١٣٩) مروج الذهب ٤٢٥/٢
١٤٠) مروج الذهب ٤١٩/٢
١٤١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٤٢/١ ومابعدها
١٤٢) مروج الذهب ٤١٩/٢
١٤٣) مروج الذهب ٤١٩/٢ ومابعدها
١٤٤) مروج الذهب ٤٢٠/٢
١٤٥) مروج الذهب ٤٢١/٢
١٤٦) مروج الذهب ٤٢١/٢
١٤٧) مروج الذهب ٤٢٢/٢
١٤٨) مروج الذهب ٤٢٢/٢
١٤٩) مروج الذهب ٤٢٢/٢
١٥٠) مروج الذهب ٤٢٢/٢
١٥١) مروج الذهب ٤٢٣/٢

قائمة المصادر والمراجع .

❖ **ابن الاثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣١ م)**

١. الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،ط١ ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❖ **الأميني : عبد الحسين أحمد**

٢. موسوعة الغدير في الكتاب والسنه والادب ، تحقيق مركز الغدير للدراسات ، ط٢، نشر مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم ،٢٠٠٤م.

❖ **الامين : محسن**

٣.اعيان الشيعة ، تحقيق حسن الامين ، نشر دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان،(د.ت) ، (لا. ط).

❖ ارنولد :توماس
٤. تراث الاسلام ، عربه وعلق حواسه جرجس فتح الله المحامي ،ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م.
❖ الازرقي : ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت٢٤٤هـ - ٨٧٩م) .
٥. اخبار مكة وماجاء فيه من الاثار ، تحقيق رشدي صالح ملحس ، نشر مكابع مثيو كرومو ، مدريد ، ١٣٥٢م.
❖ ابو الاسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (ت٦٩ هـ-٦٨٩م)
٦. ديوانه ، تحقيق:محمد حسن ال ياسين ،ط٢، نشر دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان ،١٤١٨ه -١٩٩٨م.
❖ البحراني : هاشم
٧.حلية الابرار ، تحقيق : غلام رضا ،ط١ ،نشر مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - ايران، ١٤١٤ه.
❖ البروجردي :حسين
٨.جامع أحاديث الشيعة،لا.ط ،نشر المطبعة العلمية – قم ،١٣٩٩ه.
❖ البري : محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني (ت٦٤٥ه)
٩. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ،نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، ط١ ، نشر دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع – الرياض ،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
❖ ابن البطريق : يحيى بن الحسن الاسدي الحلي (ت٦٠٠ه -١٢٠٣م)
١٠. عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار ، لا.ط ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،١٤٠٧ه.
❖ البغدادي، اسماعيل باشا
١١. هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، طبع بعانية وكالة المعارف الجليلة، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،(د.ت) ، (لا. ط).
❖ ابن بكار : الزبير (ت٢٥٦- ٨٧٠م)

١٢. جمهرة نسب قريش واخبارها ، تحقيق عباس هاني الجراخ ، ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ٢٠١٠م.

❖ البكري: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ-١١٠٩م).

١٣. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

❖ البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ-٩٩٠م).

١٤. فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، نشر دار ومكتبة الهلال- بيروت ، (لا.ط)، (١٩٨٨م).

❖ ابو جعفر الاسكافي : محمد بن عبد الله المعتزلي (ت٢٤٠ه-٨٥٥م)

١٥. المعيار والموازنه في فضائل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، تحقيق محمد باقر الحموي ،ط١،مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٨١م.

❖ ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ-١٢٠٠م).

١٦. المنتظم في تاريخ الملوك و الامم، دراسة و تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه و صححه نعيم زرزور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م .

١٧. صفة الصفوة ، تحقيق أحمد بن علي، (لا.ط) ،دار الحديث، القاهرة، مصر ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

❖ ابن حبيب : ابو جعفر محمد (ت٢٤٥ه- ٨٨٠م)

١٨. المحبر: تحقيق ليختن شتيتر ، منشورات المكتب البخاري للطباعة ، بيروت ، ١٩٤٢م.

❖ ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٥هـ-١٢٥٧م)

١٩. شرح نهج البلاغة ،تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط١ ، نشر دار احياء الكتب ، عيسى البابي الحلبي ورفاقه ، ١٣٧٨ ه- ١٩٥٩ م.

❖ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٨٠ م)

٢٠. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ،دار احياء التراث العربي – بيروت ،(لا.ط) ، (د.ت).

❖ الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد (ت٤٠٥هـ-١٠١٤م).
٢١. المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان١٤١١هـ-١٩٩٠م.
❖ الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت١١٠٤ هـ- ١٦٩٣م)
٢٢. وسائل الشيعة ، تحقيق : محمد رضا الجلالي، ط٢ ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة،١٤١٤هـ.
❖ ابن حزم الأندلسي: ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ-١٠٦٣م).
٢٣. جمهرة انساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣.
❖ حسن: زكي محمد.
٢٤. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ،(لا.ط)، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠١ه - ١٩٨١م.
❖ الحلي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت٧٣٦هـ-١٣٥٨م).
٢٥. خلاصة الأقوال ، تحقيق جواد القيومي ، ط٤ ، مؤسسة نشر الفقاهة ، قم ، ١٤٣١ه.
❖ الحميري : اسماعيل بن محمد بن يزيد (ت١٧٨)
٢٦. ديوانه ،شرحه وضبطه ضياء حسن الاعلمي،ط١ ،نشر مؤسسة الاعلمي ، بيروت –لبنان ،١٤٢٠ه -١٩٩٩م.
❖ الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ-١٠٧٠م).
٢٧. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
❖ الخفاجي :مجاهد منعثر منشد
٢٨. خلافة الامام علي بن ابي طالب في الكوفة ، لا.ط ، ٢٠١٥م.
٢٩. الفلك الدائر على المثل السائر ، أحمد الحوفي واخرون ، لا.ط ،نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

❖ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ-١٤٠٥م).
٣٠. مقدمة ابن خلدون ، اعتناء ودراسة احمد الزغبي ، دار الارقم بن ابي الارقم ، (لا.ط) ، (د.ت).
❖ ابن خياط: خليفة (ت٢٤٠هـ-٨٥٤م).
٣١. تاريخ ابن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ،ط٢ ، نشر، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م.
❖ الدميري: كمال الدين محمد بن موسى (ت٨٠٨هـ-١٤٠٥م).
٣٢.حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ،١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م
❖ الدينوري : ابي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبه (٢٧٦ه – ٨٩٠م)
٣٣. الامامه والسياسة : تحقيق علي شيري ، منشورات الشريف الرضي ، لا.ط)، (د.ت).
❖ الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ - ٩٠٢م)
٣٤.الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط١ ، نشر دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة، ١٩٦٠ م.
❖ الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ-١٣٤٧م).
٣٥.سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط ، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٣٦.تاريخ الاسلام ، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف،ط١،نشر دار الغرب الإسلامي ،١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
❖ الزهراني : ضيف الله بن يحيى
٣٧. مصادر السيرة النبوية ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، لا.ط ،لا.د.
❖ السبكي : تقي الدين (٧٧١ه- ١٣٦٩م)
٣٨. طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

❖ السفاريني ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (ت١١١٨ه -١٧٠٧م)
٣٩. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، ط٢ ، نشر مؤسسة قرطبة – مصر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.
❖ السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت٥٨١هـ-١١٨٢م).
٤٠. الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام السلامي ، ط١،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
❖ الشافعي : محمد بن محمد الجزري الدمشقي (ت٨٣٣ه-١٤٣٠م).
٤١. اسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب في مناقب الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، تحقيق :محمد باقر المحمودي ، بيروت ، ١٩٨٣م.
❖ ابن شهر آشوب : أبو جعفر محمّد بن عليّ(ت ٥٥٨هـ - ١١٩٢م).
٤٢. مناقب ال ابي طالب ،تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، نشر مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦ م.
❖ الصدر، حسن
٤٣. تأسيس الشيعة لعلوم القرآن ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ، (لا.ط)، ١٩٥١م.
❖ الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (ت٣٨١هـ-٩٩٠م).
٤٤. علل الشرائع ، تحقيق : تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم ،لا.ط ، نشر منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.
٤٥. معاني الاخبار ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، لا.ط ،لا.د.
❖ الصفوري : عبد الرحمن بن عبد السلام (ت ٨٩٤ه)
٤٦. نزهة المجالس ومنتخب النفائس ،لا.ط ، نشر المطبعة الكاستلية ،مصر ، ١٢٨٣هـ.
❖ ضيف: شوقي.
٤٧. العصر العباسي الثاني ،ط١٦ ،دار المعارف ، مصر ، ٢٠٠٤م.

❖ ابن طاووس: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤-١٢٦٦م)
٤٨. اللهوف في قتلى الطفوف،ط١،نشر أنوار الهدى - قم – ايران، ١٤١٧ه.
٤٩. فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، نشر دار الذخائر للمطبوعات ، قم –ايران ،(لا. ط)، (د. ت).
❖ الطبراني: سليمان بن احمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ-٩٧٢م).
٥٠. المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة دار احياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).
❖ الطبرسي: ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ-١١٦٥م).
٥١. الاحتجاج ، تحقيق :السيد محمد باقر الخرسان،لا.ط ، نشر دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.
❖ الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ-٩٢٢م).
٥٢. تاريخ الرسل والملوك، ط٢، نشر دار التراث – بيروت ، ١٣٧٨ه – ١٩٥٩م.
❖ الطبري : محب الدين احمد بن عبد الله (ت٦٩٤ه-١٢٩٥م)
٥٣. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لا.ط ، نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة ،١٣٥٦ه.
❖ طقوش :محمد سهيل
٥٤. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ،ط١ ،نشر دار النفائس ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
❖ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (شيخ الطائفة)، (ت٤٦٠هـ-١٠٦٧م).
٥٥. الامالي ، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية ،ط١ ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم المقدسة ، ١٤١٤ه.
❖ العاملي : جمال الدين يوسف بن ابو حاتم (كان حياً قبل ٦٧٦ هـ)
٥٦. الدر النظيم ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة،(لا. ط)، (د. ت).

❖ عبد الحميد : صائب .
٥٧. علم التاريخ ومناهج المؤلفين ،ط٢،مركز الغدير دراسات والنشر ،بيروت – لبنان ،٢٠٠٨م.
❖ ابن العربي : محمد بن عبد الله أبو بكر (ت٥٤٣ه- ١١٤٩م)
٥٨. العواصم من القواصم ، تحقيق :محب الدين الخطيب وأخرون ،ط٢ ، نشر دار الجيل بيروت – لبنان ،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
❖ ابن عساكر: ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ-١١٧٥م).
٥٩. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (لا. ط).
❖ العوا ، عادل
٦٠. حقيقة اخوان الصفاء ،ط١ ،الاهالي لطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،١٩٩٣م.
❖ علي : وفاء محمد
٦١. الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهيين ، نشر المكتب الجامعي الحديث ، مصر ،الاسكندرية ، (لا. ط)، (د. ت).
❖ عيساني: شفيقة
٦٢. شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،٢٠٠٨م.
❖ الفاكهي : ابي عبد الله محمد بن اســحاق بن العباس (من علماء القرن الثالث الهجري)
٦٣.اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط٢ ، دار خضر للطباعه ، بيروت ، ١٩٩٤م.
❖ ابو الفرج :قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي(ت٣٣٧-٩٤٩م)
٦٤. الخراج وصناعة الكتابة،ط١ ،نشر دار الرشيد للنشر، بغداد ،١٩٨١م.
❖ ابو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ-٩٧٦م).
٦٥. مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر ،دار المعرفة، بيروت ،(لا.ط)، (د.ت).

❖ الفسوي : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت٢٧٧ه -٨٩١م)
٦٦. المعرفة والتاريخ ،تحقيق : أكرم ضياء العمري ،ط٢ ،نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.
❖ ابن الفقيه الهمداني ، احمد بن محمد (ت ٣٦٥ هـ / ٩٨٧م)
٦٧.البلدان ، تحقيق: يوسف الهادي ، ط١ ، نشر عالم الكتب، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
❖ الفيروز ابادي : السيد مرتضى الحسيني اليزدي
٦٨.فضائل الخمسة من الصحاح السته ،ط٧، مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٣ه.
❖ القفاري : ناصر بن عبد الله بن علي
٦٩. أصول مذهب الشيعة الأمامية الاثني عشرية ،ط١ ، ١٤١٤ هـ.
❖ القمي: عباس.
٧٠. الانوار البهية ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي،ط١،نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة،١٤١٧هـ.
❖ قنديل :فؤاد
٧١. ادب الرحالة ، ط٢ ،نشر المكتبة الدار العربية للكتاب ،٢٠٠٢م.
❖ كاشف الغطاء : محمد حسين
٧٢.اصل الشيعة : تحقيق : علاء آل جعفر ،ط١ ،نشر : مؤسسة الإمام علي (ع) ، ١٤١٥ه.
❖ ابن كثير: ابو الفدا إسماعيل (ت٧٧٤هـ-١٣٦٢م).
٧٣. البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ،ط١، دار إحياء التراث العربي ،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
❖ كراتشكوفسكي
٧٤. تاريخ الادب الجغرافي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ،(لا.ط)، الادراة الثقافية لجامعة الدول العربية ،١٩٥٧م.
❖ لوبون: غوستاف.

١٦. حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، (لا. ط)، (د.ت).

❖ المبرد ،ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ ،٨٩٩م)

٧٥. الكامل في اللغة والادب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٣،نشر دار الفكر العربي – القاهرة ،١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

❖ المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدين (٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م)

٧٦.كنز العمال، تحقيق الشيخ بكري حياني وصفوت السقا،ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

❖ المجلسي : محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م) .

٧٧. بحار الأنوار في أخبار ودرر الأئمة الأطهار، ط٣، المصححه ، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

❖ المدني : علي خان

٧٨. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ،تقديم محمد صادق بحر العلوم ، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم المقدسة ، ١٣٩٧ه.

❖ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ-٩٥٧م).

٧٩.التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي – القاهرة ، (لا.ط)، (د.ت).

٨٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، (لا.ط)، دار الهجرة – قم المقدسة ، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٨١. اثبات الوصية ،(لا.ط) ، مطبعة الصدر ، قم ، ١٩٩٦م .

❖ مصطفى : شاكر

٨٢.التاريخ العربي والمؤلفون ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩م.

❖ ابن المغازلي: علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي (ت ٤٨٣ه-١٠٩١م)

٨٣. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تحقيق : أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي ، ط١ ، نشر دار الآثار – صنعاء ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
❖ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ-١٠٣٥م).
٨٤. اوائل المقالات ، لشيخ إبراهيم الأنصاري ، ط٢ ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، ١٤١٤ه - ١٩٩٣ م.
❖ المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت ٣٨٧ هـ / ٩٧٧ م)
٨٥. البدء والتاريخ ،(لا٠ط)، الثقافة الدينية ، بورسعيد(د٠ت)
❖ ميكوليسكي : ديمتري .
٨٦. مجلة العربي الالكترونية ،العدد ٥٥٣، ٢٠٠٤م.
٨٧. المسعودي هيرودوت العرب ،ط١، ترجمه عن الروسية عادل حسن اسماعيل ، دار المدى للثقافة والنشر، العراق – بغداد ،٢٠٠٦م.
❖ ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ايوب بن اسحق (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م).
٨٨. الفهرست ،تحقيق إبراهيم رمضان ، ط٢ ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
❖ النصر الله : جواد كاظم منشد
٨٩. فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المنسوبه لغيره ، ط١ ، نشر مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ٢٠٠٩م.
❖ النووي: ابو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ-١٢٨٨م).
٩٠. الأذكار ،تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ،لا.ط ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
❖ الهمداني : احمد الرحماني
٩١. الامام علي (عليه السلام) ، ط١ ، دار المنير للطباعة ، طهران ، ١٤١٧ه
❖ اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
٩٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

❖ ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ-١٢٢٨م).
٩٣.ارشاد الاريب في معرفة الاديب (معجم الادباء)، تحقيق احسان عباس ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

الامام الصادق أثره في تكوين المدرسة الكوفية

أ. حمدية صالح الجبوري
جامعة القادسية /كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث رحمة للعامين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اما بعد...

فقد تميزت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على سائر المدارس بوجود المؤسسة المرجعية التي يكون الإمام على رأس الهرم فيها،ومن هذه المدارس العملاقة التي اسسها الإمام الصادق (ع) في الكوفة والتي أنجبت على مر التاريخ نماذج مشرفة من المراجع والمفكرين وأساطين العلم التي كان لهم دور متميز في حفظ المذهب والدفاع عنه ورعاية شؤون المسلمين في مجالات مختلفة.

وقد تكاملت لابناء هذه المدرسة الأسس المتينة التي أرساها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب(ع) من بعده المنهج والمحتوى و الاسلوب.

من هنا كان الإمام الصادق (ع) بحاجه إلى توظيف عدد من أصحابه الا خصاء به لإدارة شؤون الجماعة لصالحة بتقبل الوكالة عن الإمام والتحرك لجمع الأموال والحقوق التي رسم لها أهل البيت نظاما ومنهجا خاصا يكفل للجماعة الصالحة استمرار وجودها وتطورها واستحكام أسسها بنحو يجعلها قادرة على مواجهة التحديات المستمرة .

حيث لم يكن في تلك الأثناء أجهزة للتسجيل والوسائل الموجودة اليوم فالوسيلة الوحيدة التي تحفظ التراث هي الذاكرة وبالإمكان إيجاد شخص يحفظ ، ولكن حافظة ومعها دين وتقوى، فهذا أمر شبه مستحيل حصوله ولهذا كان مدرسة الإمام الصادق هي التي أخذت على عاتقها إنجاب الفئات المسؤولة عن القيام بهذه المهمة.

مدرسة الكوفة (مؤسسة الفكر الشيعي)

ظهرت هذه المدرسة في أواسط القرن الثاني واستمرت إلى الربع الأول من القرن الرابع الهجري، حيث أنه من المعروف والواضح لدى المتبعين لتاريخ الشيعة والتشيع إن المدينة

المنورة كانت المهد الأول للتشيع والوطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين وإن سول الله هو أول من بذر البذرات الأولى فيها عندما وسم الإمام علي (ع) وشيعته بوسام الفوز حينما قال:" يا علي أنت وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة" وعرف على أثر ذلك جماعة من كبار فقهاء الصحابة بحبهم وتشيعهم لأمير المؤمنين (ع) من أمثال ابن عباس حبر الأمة وفقيهها، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله وغيرهم من الصحابة، أما من التابعين فكان جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين (ع) حفظوا السنة النبوية وتداولوها فيما بينهم ونقلوها إلى الأجيال التي تليهم بأمانة، وفي عهد الإمام الصادق بلغ هذا الازدهار الفكري غايته حيث ازدهرت المدينة المنورة في عصره وزخرت بطلاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية، وانتظمت فيها حلقات الدرس ، وكان بيته جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم، وحملة الحديث من مختلف الطبقات ينتهلون موارد علمه . وفي ذلك يقول ابن حجر عن الإمام الصادق (ع)(نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح، ومالك والسفيانيين، وأبي حنيفة وشعبه وأيوب (ع)، فالاختلاف في القياس والاستحسان والرأي والاجتهاد، ومسائل الصلاة والوضوء، والحج الخلافية لم تظهر واضحة في هذه الفترة، وفي هذه السختياني)(١).

ولقد ترك لنا الفقهاء من الشيعة إثر كبير في هذه الفترة التي تكاد تبلغ القرن ونصف قرن من تاريخ الإسلام في الدراسة الفقهية، والمحافظة على السنة النبوية.

إذ كانت المدينة المنورة في عهد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) مدرسة للفقه الشيعي،ومركزا كبيرا من مراكز الإشعاع العقلي في العالم الإسلامي، إلا إن ملامح المدرسة الفقهية في هذه الفترة كانت أولية إلى حد ما، ولم تتبلور المسائل الخلافية في الفقه بين الشيعة والسنة كما تبلورت بعد في (الكوفة) على يد تلاميذه الإمام الصادق (ع) واستمرت إلى أيام أبي الحسن الرضا المدرسة بالذات، وإن كانت المدينة منطلق (الفقه الشيعي) والمركز الأول للبحث الفقهي عند الشيعة، وعنها انتقلت المدرسة إلى

الكوفة، عند انتقلت المدرسة إلى الكوفة، تبلورت المفاهيم واتضحت نقاط الالتقاء والاختلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية.

ففي أخريات حياة الإمام الصادق انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة، وبذلك بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة. وكانت الكوفة حين ذاك مركزا صناعيا ، وفكريا كبيرا تقصده البعثات العلمية، والتجاري، حيث ذكر البلاذري إن أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة (٢).

وقد أثر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلبا للعلم، أو التجارة في التلاقح العلمي والذهني في هذه المدرسة، كما كان لها الأثر البالغ في تطوير الدراسات العقلية فيها.

وقد هاجر إليها فوق ذلك وفود : من الصحابة والتابعين، والفقهاء وأعيان المسلمين: من مختلف الأمصار وبذلك كانت (الكوفة) حين انتقل إليها الإمام الصادق وانتقلت إليها مدرسة الفقه الشيعي من أكبر العواصم الإسلامية. وقد عد البراقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابيا من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها، ماعدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة ، والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الأسر العلمية التي كانت تسكن هذا القطر. وقد أورد ابن سعد في الطبقات ترجمة للعديد من التابعين ممن سكن الكوفة(٣). في مثل هذا الوقت انتقل الإمام الصادق إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح واستمر بقاء الإمام الصادق في الكوفة مدة سنتين.وقد اشتغل هذه الفترة بالخصوص في نشر المذهب الشيعي، لعدم وجود معارضة سياسية قوية في الدين فقد سقطت في هذه الفترة الحكومة الأموية وظهرت الحكومة العباسية وبين هذا السقوط ، وهذا الظهور أغتنم الإمام الصادق الفرصة للدعوة إلى المذهب، ونشر أصول هذه المدرسة، فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافات ووحدانا تتقي منه العلم وترتوي من منهله العذب ، وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم، وكان منزله (ع) في بني عبد القيس من الكوفة (٤) قال محمد بن معروف الهلالي ((مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد (ع) فما كان لي فيه حيله من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع فأدناني وتفرق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين(ع)فتبعته وكنت أسمع كلامه وأنا معه أمشي.

وقال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي : أني أدركت هذا المسجد : يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد (ع) (٥).

وقد أدى كل هذا الالتقاء بشخصية الإمام الصادق في الكوفة، والاحتفاء به إلى أن يأخذ الجهاز العباسي الحاكم حذره منه. مما أثار مخاوف المنصور الدوانيقي لما رأى من الفقهاء والناس عامه عليه ، واحتفائهم به، وإكرامهم له وهذا ما دعاه إلى أن يطلبه إلى بغداد. ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت (مدرسة الكوفة) على يد الإمام الصادق وتلاميذه، وبتأثير من الحركة العلمية القوية التي أوجدها (ع) في هذا الوسط الفكري.

ولم تبق الكوفة إلى حين الغيبة الكبرى مقاما للأئمة (عليهم السلام) ولم يتمركز فقهاء الشيعة كلهم بعد ذلك في الكوفة، ولم تستمر طول هذه المدرسة التي أنشأها الإمام في الكوفة إلا أن الكوفة كانت هي منطلق الحركة العقلية في العصر الثاني من عصور تأريخ الفقه الشيعي ومبعث هذه الحركة، ومركز الإشعاع وظلت من بعد ذلك من أهم مراكز الفقه الشيعي، وظلت البعثات الفقهية الشيعية تقصد هذه المدينة بالذات، ويتعاقب فيها فقهاء الشيعة مركز الصدارة في التدريس، والفتيا والبحث الفقهي.

ورغم العقبات الكبرى التي اصطدم بها أئمة الشيعة من أهل البيت (عليهم السلام)، وفقاء الشيعة ورواة الحديث: من ضغط الجهاز الحاكم حتى كان بعضهم يعرض إذا رأى الإمام في الطريق ، لئلا يتهم بالتشيع، وبعضهم يلتقي بالإمام ليلا، خوفا من عيون الرقابة المسلطة على بيوت أئمة أهل البيت(عليهم السلام) رغم ذلك كله، ورغم المعارضات ، والتهم والافتراءات ، والتهريج الذي كان يقوم به الجهاز تقدمت الدراسة الفقهية الشيعية، وتدوين الحديث شوطا كبيرا في هذه الفترة.

وصنف قدماء الشيعة المعاصرون للأئمة في الأحاديث المروية من طرق أهل البيت ما يزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب مذكورة في كتب الرجال (٦). ومن بين هذا العدد من الكتب الذي يعتبر وحدة مكتبة ضخمة في الحديث والفقه والتفسير من آفاق الفكر الإسلامي امتازت أربعمائة كتاب اشتهرت بعد ذلك بـ: (الأصول الأربعمائة). وقد بقي شيء كثير من هذه الأصول الأربعمائة، فكان شيء كثير منها محفوظا عند الشيخ

الحر العاملي، وبعضها عند العلامة المجلسي وبعضها عند العلامة النوري، وفقد مع ذلك كثير منها (٧).

ومهما يكن من أمر فقد توسعت في هذه الفترة رواية الحديث وتدوينه وازدهرت بما لا مثيل له في أي عصر آخر، وفي مذهب من المذاهب الإسلامية عامة. فلهشام الكلبي أكثر من مائتي كتاب.ولابن شاذان مائة وثمانون كتابا، ولابن دؤل مائة كتاب. ولابن أبي عمير أربعة وتسعون كتابا (٨). وقد ترجم الشيخ آغا بزرك في الذريعة لمائتي رجل من مصنفي تلامذة الإمام الصادق (ع) عدا غيرهم من المؤلفين من أصحاب سائر الأئمة عليهم السلام، وذكر لهم من كتب الأصول ٧٣٩ كتابا (٩). فقد روى ابان بن تغلب ثلاثين ألف حديث عن الإمام الصادق (ع). وروى (آل أعين) وحدهم أضعاف هذا المقدار. ويونس بن عبد الرحمن والبزنطي ومئات من أمثالهم كانوا من كبار المؤلفين والمكثرين في التأليف والتدوين، وقد جمع كل واحد منهم عشرات المدونات في الحديث والتفسير والفقه.

ولم تزدهر المدرسة الحديثة في مذهب من المذاهب الإسلامية كما ازدهرت عند الشيعة، حتى ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال: إن لو أردنا أن نسقط رجال الشيعة من إسناد الروايات لم تسلم لنا من السنة إلا القليل النادر.

أسباب ظهور المدرسة الصادقية في الكوفة

برزت العديد من الظواهر كانت السبب الرئيسي لظهور هذه المدرسة وهذه الظواهر.

الظاهرة الأولى:

إن تدوين الحديث لم يكن أمرا شائعا بين المحدثين الشيعة. وظاهرة التدوين ظهرت من أيام الإمام الباقر (ع) ونمت أيام الإمام الصادق (ع)، ولاسيما فقد أخذ الإمام الصادق (ع) لما رأى من ضياع الأحاديث والسنن يحث الرواة والعلماء على تدوين السنة وكتابتها . فقد ورد عن أبا بصير إنه قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع) (اكتبوا، فإنكم لا تحفظون إلا بالكتابة)(١٠). وعنه قال:(دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال ما يمنعكم من الكتاب؟ إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا، أنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها). ومما ورد أيضا عنه انه قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول

: (اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا). وكذلك نجد إن الإمام الصادق (ع) كان يدفع أصحابه وتلامذته إلى التدوين، وكتابة الحديث، خوفا من الضياع والاضطراب.

الظاهرة الثانية:

من ملامح هذا العصر إن حاجات المسلمين توسعت في هذا الوقت، وازدحم الناس على أبواب الفقهاء يطلبون منهم الرأي فيما تجدد عليهم من وجوه الحاجات الجديدة، ولم يكن ما بيد فقهاء السنة و محدثيها من الحديث يكفي لسد هذه الحاجة، ولم يجدوا في الكتاب الكريم جوابا على ذلك، ولم يكن الجهاز القائم بالحكم يسمح لهم بمراجعة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)الذين اعتبرهم صاحب الرسالة(صلى الله عليه وآله) عدلا للكتاب في حديث الثقلين. فاضطروا إلى اتخاذ القياس والاستحسان، والأخذ بالظن والرأي، وفي ذلك يرى بعض المؤرخين انه بعد أن لحق الرسول (صلى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلى، وحدث من الوقائع والأحداث ما لم تشمل نصوص القرآن والسنة على أحكامه كان لابد من الوصول إلى هذه الأحكام بطريق آخر، فكان من ذلك هذان الأصلان: الإجماع والقياس(١١).

والقياس والاستحسان معرضان للانحراف والزلل فوقف الإمام الصادق (ع) حين رأى شيوع الأخذ بالقياس والرأي موقف المعارض منهما، ودعى أصحابه إلى عدم الأخذ بهما وعارض المذاهب الفقهية التي كانت تأخذ بالقياس أشد المعارضة.قال ابن تغلب (قلت لأبي عبد الله (ع): ما تقول في رجل قطع اصبع من أصابع المرأة كم فيها. قال عشرة من الأبل؟ قلت قطع أثنين؟ قال عشرون. قلت قطع ثلاثا؟ قال : قال ثلاثون. قلت قطع أربعا ؟ قال :عشرون. قلت سبحان الله يقطع ثلاثا فيكون عليه ثلاثون، ويقطع أربعا فيكون عليه عشرون؟إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله ونقول إن الذي جاء به شيطان. فقال (ع):مهلا يا أبان لعلك أخذتني بالقياس، والسنة إذا قيست محق الدين، هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله إن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت المرأة إلى النصف)(١٢).

هذه ظاهرة ثانية على ملامح هذا العصر.

الظاهرة الثالثة:

هو حدوث بين نقل الرواة فقد شاع نقل الحديث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في هذه الفترة، وكثر الدرس وظهر الاختلاف في متون الروايات، فكان يبلغ البعض من الشيعة حديثان مختلفان في مسألة واحدة، فكان الرواة يطلبون من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) أن يدلوهم على مقياس لاختيار الحديث الصحيح بين الأحاديث المتضاربة التي تردهم في مسألة واحدة.

وقد ورد عنهم (عليهم السلام) أحاديث في معالجة الأخبار المتعارضة تسمى (الأخبار العلاجية) في الأصول. قال زرارة: سألت أبا جعفر (ع) فقلت: جعلت فداك يأتي عنكم الخبران والحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ ؟ فقال (ع): يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك، ودع الشاذ النادر. فقلت : يا سيدي إنهما معا مشهوران إن مأثوران عنكم؟ فقال: خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك . فقلت: إنهما معا عدلان مرضيان موثقان؟ فقال : أنظر ما وافق منهما العامة فاتركه، وخذ بما خالف، فإن الحق فيما خالفهم) وهنا يقصد الإمام من العامة علماء البلاط، والفقهاء الذين كانوا يحفون بلاط الخلفاء الأمويين والعباسيين ويرتزقون عن هذا الطريق، فقد كان الخلفاء يصطنعون هؤلاء العلماء في تدعيم حكمهم، وتبرير أفعالهم ويطلبون إليهم كلما أحسوا بحاجة،أو أقدموا على أمر يثير مشاعر الجماهير أن يجدوا ويخلقوا لهم مبررا في الفق، ويرغمون الناس على الاعتراف بهم في الفتيا والقضاء. وقد كان أثر هذه الفئة من مرتزقة الفقهاء كبيرا في ضياع وارتباك معالم الفقه الإسلامي، ولذلك نجد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يحذرون شيعتهم عن مسايرة هؤلاء، والاغترار بمكانتهم. ويستأنف زرارة سؤاله للإمام فيقول: (ربما كانوا موافقين لهم، أو مخالفين فكيف أصنع؟.قال: إذا فخذ بما فيه الحائطة لدين، واترك الآخر. قلت إنهما معا موافقان للاحتياط، أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال: إذا فتخير أحدهما فتأخذ به ودع الآخر)(١٣).

والأخبار العلاجية كثيرة وإن ظهورها في هذه الفترة جاء أثر توسع مدرسة أهل البيت في الفقه، وكثرة النقل، وشياع الحديث عنهم، وانتشار فقههم في الأقطار. فقد فرضت هذه المدرسة وجودها على المسلمين في كثير من أقطار العراق، وخراسان. والري

والحجاز، واليمن بشكل ملحوظ مما أدى إلى كثرة النقل والحديث عنهم، وتداول فقههم (عليهم السلام). وهذه هي الظروف الطبيعية لظهور الدس والاختلاف والتزييف ف الحديث.

وهذه ظاهرة أخرى من ملامح هذا العصر. وفي هذه الفترة اتسعت شقة الخلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية وفي كثير من المسائل الخلافية. وكان موقف أهل البيت (عليهم السلام) مما يثار الخلافات موقفا حازما حكيما، فقد كانوا يعلمون إن الغرض من إثارة الخلاف تعكير الجو الفكري في الوطن الإسلامي ليتاح للجهاز الصيد في الماء العكر، فكان كثيرا ما يتغاضى الأئمة عن وجود خلاف أو اشتقاق في المدرسة الفقهية، ويجارون الفقه، فإذا خلوا إلى أصحابهم ذكروا لهم الوجه الحق وأمروا بالكتمان والسر ما وسعهم ذلك، وحتى أن يقضي الله بما هو قاض، وينقذ الأمة من هؤلاء الغاضبين المهرجين وهذا هو المقصود بـ(التقيـــــــة) في الفقه الإسلامي.

وظاهرة أخرى في هذا الدور من ملامح المدرسة: تعيين موازين ومقاييس خاصة للاجتهاد والاستنباط من قبل الأئمة، حيث كان الرواة ينتقلون إلى مناطق بعيد، وتمس بهم حاجة إلى معرفة حكم من الأحكام الشرعية، ولا يجدون وسيلة لسؤال الإمام ولا يجدون نصا في المورد،فوضع لهم الأئمة قواعد خاصة في الاستنباط والاجتهاد يستعرضها بتفصيل: كالاستصحاب والبراءة، والاحتياط والتخيير،وغيرها من القواعد الفقهية، كقاعدة الطهارة، واليد، والإباحة، والحيلة وما شاكل ذلك مما يعين الفقيه على الاجتهاد والاستنباط.

وقد أسب الفقهاء والأصوليين في شرح هذه القواعد والأصول بصورة وافية في كتب الفقه والأصول. ورغم ما تقدم فلم يكن هناك اجتهاد بالمعنى الذي نتعارف عليه اليوم وإنما كان الناس يطلبون إلى الإمام أن عين لهم مرجعا فيما يعرضهم من المسائل الشرعية، فيعين لهم بعض أصحابه ممن يطمئن إليهم، وممن سمع إلى حديثه ووعاه، ولم تمس الحاجة إلى الاجتهاد لمعاصرة الإمام وإمكان الاتصال به ولو على رأس كل سنة في موسم الحج. فلم يتجاوز أصحاب الأئمة عدا موارد قليلة ونادرة: من نقل الحديث، والمجاميع الحديثة في غالب الأحوال لم تكن تجمع أبواب الفقه عامة، أو تجمع

كلما صح عن الإمام في هذا الباب، أو في هذه المسألة. ويمكن القول إن شيئا من المجاميع الحديثة التي دونت في هذا العصر لم يكن على هذا الغرار من استيعاب أبواب الفقه، وما صح عن الإمام ف كل باب، فكانت الكتب والمدونات، والأصول أشبه بمجموعات شخصية يجمع فيها كل راوي ما سمعه عن مشائخه، أو ما سمعه عن الإمام مباشرة بصورة مبعثرة، أو منظمة غير مستوعبه. هذه هي أهم ملامح هذا العصر.

نماذج من طلبة المدرسة الصادقية في الكوفة

برز العديد من الطلبة الكوفيين الذين تتلمذوا على يد الإمام الصادق (ع) ولعل من أبرزهم :

محمد بن علي بن أبي شعبه (١٤)

الحلبي، الفقيه المفسر أبو جعفر الكوفي، كان يتجر هو وأخوته إلى حلب، فغلب عليهم النسبة إلى حلب، وآل أبي شعبة الحلبيون خير شعبه من الشيعة، وأوثق بيت أعتصم بعرى أهل البيت المنيعة.

روى جدهم (أبو شعبه) عن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكانوا جميعا من ثقات. وروى أبو جعفر عن أخيه عبيد الله بن علي الحلبي، و زُرارة بن أعين. وروى عنه: أبان بن عثمان الأحمر، ومنصور بن حازم البجلي، وإسحاق بن عمار، ومنصور بن يونس، وعبد الرحمن بن الحجاج البجلي، وأيوب بن الحُر، وعبد الله بن مُسكان، وآخرون.

وكان أحد وجوه الشيعة فقيها ثقة، مرجوعا إليه في القول. أخذ العلم عن أبي عبد الله الصادق (ع) (١٥) وروى عنه، ووقع في إسناد كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) تبلغ مائة وواحدا وعشرين موردا وله كتب منها: كتاب التفسير، وكتاب مبوب في الحلال والحرام.

ويذكر أن محمد الحلبي توفي في حياة أبي عبد الله (ع).

محمد بن علي بن النعمان (١٦)

ابن أبي طريفة البجلي بالولاء، المتكلم المناظر الفقيه أبو جعفر الأحول، الصيرفي، الكوفي، يُلقب: (مومن الطاق)و (صاحب الطاق)، وإنما سمي بالطاق لأنه كان صيرفياً في (طاق المحامل) من أسواق الكوفة.

روي عن سلام المستنير، وأبي الورد، وإسماعيل بن الفضل، وغالب بن هذيل، وأبي عبيدة الحذاء، وزكريا النقاض، وغيرهم.

روي عنه صفوان بن يحيى، والحسن بن محبوب، وأبان بن عثمان، ومحمد بن أبي عمير، ويونس بن عبد الرحمن، وأبو الفضل المكفوف النحوي، وآخرون.

وكان رأسا في العلم والعمل، ثقة، كبير الشأن. صحب الإمام أبا عبد الله الصادق(ع)، وأخذ عنه العلوم والمعرف، وروى عنه، كما عد من أصحاب الإمام موسى الكاظم (ع) وقد وقع في إسناد جملة من الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تبلغ ثمانية وثلاثين موردا.

وكان من أحذق أصحاب الصادق (ع)، ومن أحب الناس إليه، وقد صح عنه (ع) أنه كان يقول:

(أربعة أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً: يُريد بن معاوية البجلي، و زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول).

وكان أبو جعفر كثير العلم، متفوقا في معارفه، قويا في حجته، تعددت فيه نواحي العبقرية والنبوغ، فهو عالم بالفقه والكلام والحديث (١٧) وكان حسن الاعتقاد والهدي، حاذقا في صناعة الكلام، سريع الخاطر والجواب.

وعده المزرباني في شعراء الشيعة، وأورد له بعض الأدبيات، وقال:كان من الفصحاء البلغاء، ومن لا يطاول في النظر والجدال في الإمامة.

قال أبو خالد الكابلي: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه وقلت: إن أبا عبد الله ينهانا عن الكلام. فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت:لا والله، ولكن أمرني أن لا أكلم أحداً، قال: فأذهب إليه وأطعه فيما أمرك.فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وما قلت له، وقوله لي: اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم

أبو عبد الله(ع) وقال: يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكل فيطير وينقض، وأنت إن قصوك لن تطير.

وكان مومن الطاق يتمتع بشخصية فذه، ذا فهم ثاقب وفطنة وذكاء، وكان معروفا بعلم الكلام وقوة الحجة، وكثرة المناظرة وخاصة في مسائل الإمامة ، حيث كان محبا لأهل البيت منقطعا إليهم، مجاهراً في القول بفضلهم، وكان يتذوق دائما في مناظراته لما عُرف به من سرعة الجواب، وقوة العارضة (١٨) وقد ذكر له ابن النديم والخطيب البغدادي وغيرهما عدة مناظرات. (١٩)

وقد ألف مومن الطاق كتابا في مناظراته مع أبي حنيفة، كما ألف مومن كتبا أخرى،منها: كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة، كتاب في إثبات الوصية، كتاب افعل لا تفعل.

وقد توفي مومن الطاق نحو سنة (١٦٠) وقيل: أنه توفي بعد سنة(١٨٠ه).(٢٠)

محمد بن فُضيل(٢١)

ابن غزوان بن جرير الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن الكوفي.

قرأ القرآن على حمزة الزيات.

وروى عن: الاجلح بن عبد الله الكندي، وثابت بن أبي صفية أبي حمزة الثمالي، والحجاج بن أرطاة، والحسن بن الحكم النخعي، وسليمان الأعمش، وعطاء ابن السائب، ومحمد ابن إسحاق بن يسار، ومحمد بن الرحمن بن أبي ليلى، وطائفة.

وقد عُد من أصحاب الإمام الصادق (ع)، روى عنه: أحمد بن حنبل، وإسحق بن راهوية، وسفيان الثوري، وأبو سعيد عبد الله بن سعيد الاشج، وعثمان بن محمد بن أبي شيبة،وعمرو بن علي الفلاس، ومحمد بن عبد الله بن نُمير، وأبو كُريب محمد بن العلاء، وآخرون.

وكان حافظا، فقيها، كثير الحديث، وقد صرحوا بتشيعه.

وثقة يحي بن معين، وابن حبان، والشيخ الطوسي، وابن سعد وغيرهم.

وقال أحمد: حسن الحديث، شيعي.

له من الكتب: التفسير، الطهارة، الصلاة، المناسك، الزكاة، الزهد والدعاء.

توفي سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل سنة أربع.

محمد بن قيس (٢٢)

البَجَلي، الفقيه أبو عبد الله الكوفي، صاحب كتاب قضايا أمير المؤمنين (ع)، و(محمد بن قيس) اسم لعدة (٢٣)أشخاص، والمشهور منهم رجلان: محمد ابن قيس البجلي، ومحمد بن قيس أبو نصر الأسدي.

وكان أبو عبد الله البجلي من عيون الشيعة وثقاتها، ومن أجلة أصحاب الإمام الصادق (ع)، روى عنه وعن الإمام أبي جعفر الباقر(ع)

وهو أحد الفقهاء الاَعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام و الفتيا و الأحكام.

روى له أصحاب الكتب الأربعة كثيراً (٢٤)

وصنف كتاب قضايا أمير المؤمنين المعروف يرويه عنه عاصم بن حُميد الحناط، ويوسف بن عقيل، وعبيد ابنه.

ولمحمد بن قيس أيضا أصل يرويه عنه ابن أبي عمير.

توفي سنة مائة وواحد وخمسين(٢٥)

وكان محدثا، فقيهاً، ورعاً، ورد مدحه في روايات صحيحة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، كما أجمعت الشيعة على تصديقه وتصحيح ما صح عنه.

محمد بن مسلم الطائفي (٢٦)

محمد بن مسلم بن رباح الثقفي، الطائفي، الفقيه أبو جعفر الكوفي

المعروف بالاَوقص الطحان، الاَعور.

كان أحد أئمة العلم في الإسلام، وأحد وجوه الشيعة بالكوفة، اختص بالامامين أبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق (عليهما السلام)، وروى الشيء الكثير من علومهما.

وروى أيضاً عن: أبي حمزة الثمالي، وحمران بن أعين، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسعود الطائي، وغيرهم.

وهو أحد الفقهاء الأعلام المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، وله كتاب يسمى الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام، كما وقع في إسناد الكثير من

الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) في الكتب الأربعة، تبلغ ألفين ومائتين وسبعة وسبعين مورداً.

روي عن عبد الله بن يعفور أنه قال: قلت لأبي عبد الله (ع) إنه ليس كل ساعة ألقاك،ولا يمكن القدوم،و يجيى الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه، قال:((فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه ق سمع من أبي وكان عنده وجيها)).

وقال الإمام الصادق (ع) ((زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وبُريد العجلي، و الاَحول أحب الناس إلي أحياءا و أموتاً))روي أن أبن أبي ليلى- أحد القضاة- شهادة محمد بن مسلم أرسل الإمام الصادق (ع)من يسأل ابن أبي ليلىعن مسائل يعجز عن حلها، وقال (قل له إذا عجز عن ذلك: يقول جعفر بن محمد: ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف منك بأحكام الله وسنة رسوله، فلما صار الرجل إليه وسأله فلم يجب وبلغه قول الإمام الصادق(ع)، قال ابن أبي ليلى: من هو؟ قال: هو محمد بن مسلم الثقفي، فلم يرد شهادته بعدها) (٢٧)

وسئل أبو حنيفة عن مسألة الحامل التي تموت والولد يتحرك في بطنها؟ فقال للسائل: عليك بمحمد بن مسلم الثقفي. وروي عن محمد بم مسلم قال(سمعت أبا جعفر(ع) يقول: الشيخ الكبير والذي به العطاش لا حرج عليهما أن يفطرا في شهر رمضان، وليتصدق كل واحد منهما في كل يوم بُمد من طعام، ولا قضاء عليهما، فإن لم يقدرا فلاشيء عليهما(٢٨)

وعنه، قال (قلت لأبي عبد الله (ع): إلى متى يكون للحجاج عمرة؟ قال إلى السحر من ليلة عرفة) (٢٩)

توفي محمد بن مسلم سنة مائة وخمسين، وهو ابن سبعين عاماً.

محمد بن يحي الخثعمي (٣٠)

محمد بن يحيى بن سلمان الخثعمي، الكوفي، روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع)،وعن: حماد بن عثمان، وضريس ابن عبد الملك بن أعين، و غياث بن إبراهيم، ومحمد بن بهلول العبدي، وطلحة بن زيد النهدي، وغيرهم.

روى عنه:الحسن بن محبوب، ومحمد بن أبي عمير، وأحمد بن محمد بن عيسى، والحسين بن سعد الأهوازي، وعبد الله بن المغيرة البجلي، وآخرون.

روى عنه الحسن بن سعيد الأهوازي،وعبد الله بن المغيرة البجلي،وآخرون، وقد صنف كتاباً رواه عنه أبو إسماعيل عبد الله بن عثمان السراج، ومحمد بن أبي عمير.

روى الشيخ الكليني بسنده عن محمد بن يحي الخثعمي قال: سأل حفص الكناسي أبا عبد الله(ع) وأنا عنه عن قول الله عز وجل " **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**(٣١) ما يعني ذلك؟ قال: من كان صحيحاً في بدنه مخلى سربه (٣٢)، له زاد وراحلة فلم يحج، فهو ممن يستطيع الحج؟ قال: نعم (٣٣).

مروان بن مسلم (٣٤)

الكوفي أحد المحدثين الثقاة، روي عن : أبي كهمس الهيثم بن عبد الله،وعبد الله بن بكير، وأيوب بن الحر الجعفي، وعمار بن موسى الساباطي،وعبيد بن زرارة بن أعين، ومحمد بن شريح الحضرمي، والحسين بن موسى بن سالم الحناط وآخرين.

روى عنه: أحمد بن عمر، والحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن محمد بن أبي نصر، وعلي بن يعقوب الهاشمي، وأكثر عنه، وآخرون.

وقد وقع في إسناد جملة من الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تبلغ تسعة وخمسين مورداً في الكتب الأربعة.

وصنف كتابا رواه عنه علي بن يعقوب الهاشمي، الحسن بن علي بن فضال.

روى الشيخ الطوسي عن مروان بن مسلم عن عبيد بن زرارة قال: (سألت أبا عبد الله(ع)عن رجل شك فلم يدر أسجد ثنتين أم واحدة فسجد أُخرى، ثم استيقن أنه قد زاد سجدة؟ فقال: لا والله لا تفسد الصلاة زيادة سجدة: وقال لا يعيد صلاته من سجدة، وقال: لا يعيد صلاته من سجدة ويعيدها من ركعة)(٣٥).

مَسعَدة بن زياد(٣٦)

الربعي، الكوفي، كان من أحد عيون المحدثين من أصحاب الإمام الصادق (ع) روى عنه جملة من الروايات في الفقه والحديث تبلغ أكثر من عشرين موردا في الكتب الأربعة

وروى عن مسعدة: هارون بن مسلم، ومحمد بن الحسن، وصنف كتابا مبوبا في الحلال والحرام يرويه عنه هارون بن مسلم.

الخاتمة:

بعد أن أكملت بتوفيق العلي القدير هذا البحث كانت هناك جملة نتائج خرجت بها الباحثة منها:

١-استطاع الإمام الصادق (ع) تأسيس مدرسة كبيرة جدا يشهد لها التاريخ هي مدرسة الكوفة التي أنجبت نخب عديدة حتى ذكر إن مئات الأشخاص قد تتلمذت فيها على يديه فكانوا أنجم لامعة في عالم الفقه والحديث والرواية و الاستنباط وغيرها من العلوم الأخرى.

٢-تعد مرحلة حضور الأئمة وممارستهم لدورهم مرحلة متميزة من حيث تنوع الاتجاهات العقيدية وسط الشيعة ولكن كان الكثير من أصحاب الأئمة متكلمين بارزين في تلك العصور، حفظت لهم المصادر ونقلت عن بعضهم آراء دقيقة في المسائل الكلامية.

٣-أن وجود مثل هذه المدارس والاتجاهات صار باعثا للآخرين للالتحاق بمدرسة أهل البيت والاستنتاج بأن دائرة العلم مفتوحة وهي تسمح بإبداء أي نظر يستند إلى التفكير العلمي على نحو مشروع.

٤-أصبح لكل واحد من أصحاب الأئمة الكبار حلقة واسعة وجماعة وظفت لخدمت المذهب الشيعي ونشره بين أوساط العالم الإسلامي.

الخلاصة:

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية للأسس الدراسية العلمية التي تشكلت على يد الأمام الصادق (ع) وتسجيل أهم الملاحظات الخاصة بها ، إذ كانت المدينة المنورة في باديء الأمر الإشعاع الحضاري والفكري التي خلفها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وفيها غرست أول بذرة للتشيع، وازدادت عدد افراده فأصبحت هناك حاجة ملحة لظهور مدارس تتبنى نشر ثقافة أهل البيت (عليهم السلام)، فكان لابد من تأسيس

مدرسة كبيرة تأخذ على عاتقها نشر هذه الثقافة ، فكانت المدرسة الكوفية التي تأسست على يد الإمام الصادق (ع) هي التي تبنت هذه العملية ، بالإضافة الى ذلك كان احتياج الناس الى الفتاوى والفقه وظهور احاديث عديدة بحاجة إلى تدوين ثم ظهور حركة الاجتهاد التي تحتاج إلى بلورة مكثفة ورسم الخطوط العريضة التي يجب ان يسير عليها فقهاء المسلمين، كل ذلك جعل وجود هذه المدارس أمر ضروري لابد من الالتجاء إليه للمحافظة على الأرضية الفكرية التي أسسها النبي (صلى الله عليه وآله).

فبنيت هذه المدارس وازداد عددها ومما ساعد على هذا الازدياد الظروف السياسية التي مر بها الأئمة واستدراجهم من مكان إلى آخر حيث هيأ ذلك الفرصة المناسبة لتوضيح الكثير من الملابسات الفكرية والتي نقلت بصورة معكوسة، بالإضافة الى الأزمات السياسية التي حدثت بين الأمويين والعباسيين وانشغالهم بأمور الخلافة ساعد على ظهورها أيضا ، فأنجبت المدرسة الصادقية العديد من العلماء في شتى الميادين خلدها التاريخ كانت لها بصمات مضيئة على الجوانب الثقافية والعلمية ، وازداد عددهم بمرور الوقت بشكل كبير حتى ذكر الذهبي في ميزانه ان: (هذا ـ أي التشيع ـ كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء أي الشيعة ـ لذهبت جملة الاثار النوية).

قائمة الهوامش

١-ابن حجر، أحمد بن هيثم الكوفي(من أعلام القرن الرابع الهجري)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل لزندقة، إعداد: عبد الوهاب عبد اللطيف، (مصر،١٣٨٥هـ)ص ١١٩.

٢-ينظر: البراقي، الحسين بن أحمد السيرافي(ت ١٣٣٣هـ)، تاريخ الكوفة، تحرير: محمد صادق آل بحر العلوم، (بيروت، ١٩٨٧)، ص ص٢٨٢-٣٩٥.

٣-ينظر: ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى(بيروت: دار الصادر، بلا.ت)،٦/٢١٥.

٤-البراقي، تاريخ الكوفة، ص٤٠٨.

٥-النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عباس (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، مطبعة بومباي،١٣١٧هـ)،ص٥٢٣.

٦-الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي (٣٨٢هـ)،علل الشرائع (بيروت: دار احياء التراث،١٤٠٨هـ)،ص٥٢٣.

٧-الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن لأمين،(بيروت،١٩٩٨)،١/٣٧.

٨-الطبرسي، أبو الفضل،علي بن الحسين (ت القرن السابع الهجري) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند (قم: دارالحديث، ١٤٨١)،ص١٧.

٩-المصدر نفسه، ص ص٣٠١-٣٧٤.

١٠- البراقي، تاريخ الكوفة، ص٤٠٨.

١١-الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي (٣٨٢هـ)، علل الشرائع (بيروت، دار إحياء التراث،١٤٠٨هـ)،ص٢٣٦.

١٢- المصدر نفسه،ص٢٣٦.

١٣- الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي (٣٨٢هـ)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٤هـ)،٨٨/٤.

١٤- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي (٤٥٠هـ)، رجال النجاشي،(ايران:مطبعة مصطفوي،١٣١٧هـ)، ٣٩٧.الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشي)، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل وأبو العباس الموسيان،(طهران، ١٣٨٢هـ)، ص٢٩٧. الطباطبائي، زكي الدين عناية الله بن علي، مجمع الرجال الحاوي لذكر المترجمين في الأصول الخمسة الرجالية، تصحيح وتعليق: ضياء الدين الاصفهاني، (اصفهان،١٣٨٤هـ)
.٢٥٩/٥

١٥- وقد عده بعض المؤرخين من أصحاب الإمام الباقر (ع). لزيادة التفاصيل ينظر: الخوئي:، معجم رجال الحديث،١٨٧/١٦.

١٦- النجاشي، الرجال،٢٠٢/٢.الطوسي، الرجال، ص١٣٦. الطباطبائي، مجمع الرجال،٢٦٦/٥. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص١٢٢. الكتبي، محمد بن شاكر بن محمد محي الدين عبد الحميد، (اصفهان،بلا.ت)١٠٤/٤.الزكلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت،١٩٨٢)،٢٧١/٦.كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية،(دمشق: مطبعة الترقي،١٩٥٧)١١/٧.

١٧- حيدر، أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة مع إضافات وتحقيقات جديدة، (بيروت، ٢٠٠١)،٧/٢.

١٨- ولهذا نسب إليه بعض خصومه وحساده جملة من الأقوال والآراء التي لا تليق بعقيدته وشأنه كزعمهم أنه كان رجل من المشبهة وأنه يقول: أن الله تعالى إنما يعلم الأشياء إذا اقدرها، والتقدير عند الإرادة، والإرادة فعل، إلى غير ذلك من المزاعم التي هو منها بريء والتي لم يثبت صحتها. ينظر: النجاشي، الرجال،١٣٨/٢.

١٩- وقد دونت في كثير من الكتب هذه المناظرات بصورة معكوسة وجعلت مومن الطاق هو المغلوب. ينظر: الطوسي، الرجال،ص١٣٦.

٢٠- الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦)، الاعلام، قاموس تراجم لأشهر أعلام الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت، ١٩٨٢)،١٤٢/٨.

٢١- ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق (ت٣٨٠هـ)، الفهرست، تقديم: د. يوسف علي الطويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ص٣٣٠. ابن الأثير، الكامل، ٢٥١/٦.ابن التغري بردي، أبو المحاسن الأتايكي (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة١٩٢٩)،١٤٨/٢. السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، كتاب الأنساب، تقديم: محمد أحمد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩)،١/٢.

٢٢- ينظر: الخوئي: معجم رجال الحديث،١٧٣/١٧.

٢٣- منهم: محمد بن قيس أبو أحمد الأسدي، وهو ضعيف. ومحمد بن قيس أبو عبد الله الأسدي وهو ممدوح. ينظر: الطوسي، الرجال،ص٢٩٨.

٢٤- النجاشي، الرجال،١٩٩/٢.

٢٥- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص١٣٦. البغدادي، إسماعيل باشا، هداية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استنابول،١٩٥١)،٧/٢.

٢٦- ينظر: الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص٤١٠.

٢٧- ومما يدل على جلالة محمد بن مسلم في الفقه لجوء شخصية عظيمة كشخصية ابن أبي ليلى الذي يعتبر من أكابر القضاة إليه في الشؤون الفقهية. ينظر الخوئي: معجم رجال الحديث، ١١٢/١٧.

٢٨- الكليني، أصول الكافي،٣٩٢/٢.

٢٩- المصدر نفسه،٣٩٢/٢.

٣٠- النجاشي، الرجال،٢٠٢/٢. الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الفهرست،(ط. نجف،١٩٦١)، ص ١٧٦. الخوئي: معجم رجال الحديث، ٣٣/١٨.

٣١- سورة آل عمران/آية (٩٧).

٣٢- الكليني، أصول الكافي،٣٢١/٢.

٣٣- النجاشي، الرجال، ٣٧٧/٢. الطوسي، الرجال، ص٣١٩.الطباطبائي، مجمع الرجال،٨١/٦.

٣٤-الطوسي، الفهرست، ص١٩٥.الطباطبائي، مجمع الرجال،٢٦٦/٥.

٣٥-الكليني، أصول الكافي،٥٤/٢.

٣٦- النجاشي، الرجال، ٣٥٨/٢.الطوسي، الرجال، ص١٣٧.الطباطبائي، مجمع الرجال، ٨٦/٦.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

•القرآن الكريم

•ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠)

-الكامل في التاريخ، (بيروت،١٩٧٦)

•البراقي،حسن بن أحمد السيرافي (ت١٣٣٢هـ)

-تاريخ الكوفة، تحرير: محمد صادق آل بحر العلوم،(بيروت،١٩٨٧)

•ابن التغردي بردي، أبو المحاسن الأتايكي (ت٨٧٤هـ)

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (ط.القاهرة،١٩٢٩).

•ابن حجر، أحمد بن هيثم الكوفي (من أعلام القرن الرابع الهجري)

-الصواعق المحرقة في الرد على أهل الزندقة، إعداد: عبد الوهاب عبد اللطيف،(مصر: مطبعة القاهرة، ١٣٨٥هـ).

•الذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي،(بيروت: مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٣)

•الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦)

-الاعلام، قاموس تراجم لأشهر اعلام الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت،١٩٨٢).

•السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)

كتاب الأنساب، تقديم: محمد أحمد، (بيروت: مطبعة دار إحياء التراث العربي،١٩٩٩)

•الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨٢هـ)

-علل الشرائع (بيروت: دار احياء التراث، ١٤٠٨هـ)

-من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ).
•الطباطبائي، محمد بن القاسم بن الأمير الحسني القهبائي (١٢٦هـ)
-مجمع الرجال، تصيح وتعليق: ضياء الدين الأصفهاني، (إيران: مطبعة،أصصفهان، ١٣٨٤هـ).
•الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسين (ت قرن السابع الهجري)
-مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند (قم: دار الحديث،١٤١٨هـ)
•الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
-اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل وأبو الفضل الموسويان، (إيران: مطبعة طهران، ١٣٨٢هـ).
-رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، (إيران: مطبعة طهران، ١٣٨١هـ).
•الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ)
-أصول الكافي، (إيران: مطبعة طهران، ١٣٩٨هـ).
•النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٤٥٠هـ).
-رجال النجاشي، (إيران: مطبعة مصطفوي،١٣١٧هـ).
•إبن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحق (ت ٣٨٠هـ)
-الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له: د. يوسف علي الطويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، (بيروت: مطبعة دار الكتب العلمية،٢٠٠٢).

قائمة المراجع

•الأمين، محسن
-أعيان الشيعة، تحقيق الأمين، (ط. بيروت، ١٩٨٨).
•البغدادي، إسماعيل باشا
-هداية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، ١٩١٥).
•حيدر أسد

-الإمام الصادق والمذاهب الأربعة وع إضافات وتحقيقات جديدة، (بيروت، ٢٠٠١).

•الخوئي، أبو القاسم بن علي

-معجم رجال الحديث، (بيروت،١٤٠٦هـ).

•عبد الباقي، محمد فؤاد

-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (إيران: مطبعة شريعت، ١٤٢١هـ)

•كحالة، عمر رضا

-معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (دمشق: مطبعة الترقي،١٩٥٧).

Abstract

This Research is one of the historical and scientifically study for big an establishment that built by Imam Sadg (peace be upon him).

Firstly Al-madina Al munara was the center that contain a small bodies of studentis ,then appear many needs to establish anew schools ,therfor, Imam Sadg bult this school and study he him self in this ,Then gradually this school became in every place in Al-madina Al munara and AL-kufa and any places other .all that return to many caucus for example ;abad works and the political wars and the political wars between al amueen and Abbasid gilaft all that gave a good change to Imams to think to be that school.□

أساس النظام السياسي في الكوفة زمن الامام علي عليه السلام

أ.م.د.طالب حسين
كلية الامام الكاظم (ع)

مقدمة :

يعد استلام السلطة من قبل أمير المؤمنين ونقله العاصمة الى الكوفة بعد ثورة شعبية على النظام السابق ، حدثا تاريخيا فريدا للتعرف على النظام السياسي الذي يتبناه الاسلام ، مقارنة مع الانظمة السياسية التي طرحها الفكر السياسي ،إذ الثورات تؤسس لنظام جديد مقارنة مع الانقلابات العسكرية التي تحافظ على طبيعة النظام السابق، فكان عنوان الدراسة : النظام السياسي في الكوفة زمن الامام علي عليه السلام ، وكان هدفها بيان طبيعة النظام السياسي الذي اسسه امير المؤمنين في الكوفة ، والاسس التي تمنحه الشرعية في ممارسة السلطة ، وكانت مشكلة الدراسة تتمثل بسؤالين ؛هما : ما هو نوع النظام السياسي في الكوفة في زمن أمير المؤمنين؟ وما هي ما هي المرجعية الفكرية لهذا النظام التي تؤسس لشرعيته؟ وتأتي أهمية البحث مما يُطرح في خطاب الاسلام السياسي الذي ظهر في القرن العشرين من جدال حول طبيعة النظام السياسي الذي لابد من تبنيه في الدول الاسلامية ، وما نشهده من معارضة تصل الى رفع السلاح بوجه الانظمة التي لا تتبنى ما يطرحه هذا الخطاب من رؤية حول النظام الواجب تبنيه في هذه الدول ؛ مما يجعل من نتائج هذا الدراسة دورا حاسما في حل هذا الجدال لكونها تستند الى أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو القرآن الناطق الذي لا يختلف مسلم في شرعية قوله وفعله وتقريره ، وقد صرح في عديد من النصوص عن آلية اختيار النظام السياسي في المجتمع مما لا يترك مجالا للتأويل ، وقد انطلقت الدراسة من فرضية كون النظام السياسي في الكوفة ينسجم مع النظام السياسي الارستقراطي كما نَظَّر اليه الاقتصادي والسياسي الايطالي باريتو ، مع وجود بعد ثيوقراطي لخصوصية لا تتكرر متمثلة بشخص لأمير المؤمنين عليه السلام ، مستندة الدراسة في استنتاجاتها الى التحليل الدلالي المقارن لخطاب أمير المؤمنين عليه السلام لرافضي الاعتراف بشرعية سلطته مع المبادئ الفكرية للأنظمة السياسية الحديثة .

المبحث الاول - النص السلوكي والشرعية الارستقراطية:

يعد البحث عن طبيعة نظام الحكم في المجتمع السياسي،من اهم المباحث في الفكر السياسي ،قديما وحديثا،سيما وان واقع الممارسة السياسية ومنذ اقدم العصور لم يتخذ شكلا واحدا ،سواء اخذت في مقطع تاريخي او سلسلة زمنية في حقبة معيّنة،ولذا ((اضحت اعقد مشكلة سياسية فلسفية واجهت المفكرين والعلماء السياسيين)) [١]،بعد ان كان للممارسة السلوكية في الفعل السياسي دورها الاساسي في انبثاق انظمة الحكم المختلفة،الامر الذي يبدوا ان ارسطو انطلق منه لاستناده الى واقع الممارسة السياسية عند اليونان لتحديد انواع انظمة الحكم[٢].

ومن هنا،فان الاولوية،عند تعدد النصوص،ستكون الى النص السلوكي عند الاثني عشرية لتلمس معالم طبيعة نظام الحكم الذي تحقق في تجربة الامام علي عليه السلام،وهي تجربة وان لم

تقم على فكر سياسي نظري،الا انه يمكن تحليلها واستنطاقها انطلاقا من الاطر والمدونات التي قدمتها الفلسفة السياسية لموضوعة نظام الحكم في نظرية الدولة.

وفي هذا الصدد يرى الفكر السياسي،انه لا يوجد مبدا معين لتحديد انواع انظمة الحكم ،لعدم وحدة المعايير التي يتم على وفقها هذا التنويع ،لاختلاف وجهات نظر كل مفكر ازاء هذه المسالة،فقد يتم تقسيم انظمة الحكم على وفق معايير العلائق الاجتماعية او البنية الاخلاقية او الخبرات العلمية او حسب ما يجب ان يكون او ما هو كائن بالفعل[٣]،ومن ثم لا بد لنا اولا تحديد المبدا الذي سيتم من خلاله تحديد موقف الاثني عشريه اتجاه طبيعة نظام الحكم.

عند ملاحظة هذه المعايير المحتملة،نجد انها معايير لا تنطلق في اغلبها من المعيار الماهوي لتكوين السلطة،اذ السلطة هي ممارسة بالدرجة الاساس فهي مقولة فعل ووجود في ماهيتها،واما العلاقات الاجتماعية والبنى الاخلاقية او الخبرات فهي ترتبط بموضوع السلطة وهو المجتمع لا السلطة نفسها التي تتحدد طبيعتها بمعيار تكوينها وايجادها في المجتمع ،وبحسب هذا المعيار قد تكون السلطة والحكومة ذا طبيعة ثيوقراطية او

ارستقراطية او ديمقراطية او دكتاتورية...الخ،وتحت كل واحد من هذا الاقسام يمكن البحث عن العلاقات الاجتماعية او الخبرات او غير ذلك.

وحيث ان نظام الحكم الذي مارسه المسلمون بعد النبي﴿ﷺ﴾،كانت له تداخلاته المختلفة،فهو من جانب ارتبط بخلافة الرسول التي كانت سلطته لها بُعدها الغيبي والالهي ومن جانب اخر،خضع في تكوينه في السقيفة وما بعدها لارادة المسلمين وثقافتهم الخاصة مما يتطلب ممارسة اركيولوجية في الثقافة السياسية التي ولدت هذه السلطة،قبل اي تحديد لها بلغة علم السياسية وفلسفته الحديثة.

عند مراجعة الابحاث التي تناولت دراسة الثقافة العربية قبيل ظهور الاسلام،في نظرتها الى تركيب السلطة والمساهمة فيها،نجدها ثقافة تجعل حق تكوين السلطة والمساهمة في الحكومة يختص بالنخبة الاجتماعية،ويحكمها منطق الراعي والرعية،((الراعي هو الوالي اي الذي يلي امور قوم ويرعى شؤونهم،فهو بمنزلة الراعي للماشية المرعية،اما القوم فهم الرعية اي العامة...وسموا السوقة لان الملوك يسوقونهم فينساقون لهم))[٤]،ولذا كان ((يقوم التركيب السلطوي في النظام القبلي المركب على وجود ملك واسع الصلاحيات وغير محدود السلطة))[٥]،اما المحكومون فكانوا طبقتين ،طبقة سادة القوم وهم اشرافهم ورؤسائهم الذين يتفقون بالعقل والمال والدفع والنفع[٦] وهم عادة يكونوا فوق سن الاربعين وذا يسر عالي[٧]وطبقة ((السواد الاعظم...وهم الجمهور الاعظم...والغوغاء الذين لا يفقهون شيئا من امور دنياهم وهم تبع وغنم يتبعون اي راع)) [٨]،ومثلت الطبقة الاولى النخبة الاجتماعية التي كان لها دورها الاستشاري للملك او سيد القبيلة من دون ان يكون ملزما برايها[٩] .

وهذه الطبيعة في نظام الملك والقبيلة في جزيرة العرب،كان انموذجه متحقق في مكة فقد كانت ((قرية تتالف من شعاب،كل شعب لعشيرة وامر كل عشيرة لرؤسائه،هم وحدهم اصحاب الحل والعقد والنهي والتاديب وليس في استطاعة متمرد مخالفة احكامهم والا ادبه حية وملؤه اي اشرافه،هؤلاء الرؤساء هم الحاكمون الناصحون وهم عقلاء الشعب...ليس لاحد الخروج على اوامر سادات القوم وذوي الحسب والشرف والسن والعقل)) [١٠].

اذن ولغاية وفاة النبي﴿ﷺ﴾ لم تكن الثقافة السياسية،سواء في جزيرة العرب او الممالك المحيطة بها ثقافة تؤمن بالمشاركة السياسية لعامة المجتمع وتقصر الدور السياسي على النخبة مع اعطاء السلطة بكاملها لفرد واحد.

ومع هذه الحقيقة،سوف لا نتوقع ان يكون السلوك السياسي لدى المسلمين بعد وفاة الرسول بعيدا عن هذه الثقافة،مادام لم يصدر عن النبي﴿ﷺ﴾ ما يدل على رفضها او تعديلها،وان تترك اثرها على معالجة المسلمين لمسالة نظام الحكم،وهذا ما اكدته مرجعية الفكر السياسي (السلطاني) عند المسلمين ،فقد كانت ((المنظومات المرجعية للاداب السلطانية...تتجلى في السياسة الفارسية والحكمة الهلينستية والتجربة الاسلامية)) [١١]،في ادارة المجتمع السياسي التي تجسدت في الحكومات التي اقامها المسلمون تحت ظروف خاصة ومصالح المجتمع التي جعلت منها تتفاوت من خليفة الى اخر سيما في العهد الراشدي.

وعند الوقوف مع تجربة المسلمين في هذا المجال وفي حدود تجربة الائمة الاثني عشرية نجد ان تجربة الامام علي عليه السلام لها دلالتها الخاصة على قبول هذه الثقافة النخبوية في القيادة السياسية ومصدر شرعية السلطة،اذا تم تجاوز الثقافة الثيوقراطية المستنبطة في النص اللفظي على حق الامام بالسلطة،ومن ثم سنكون في مستوى النص السلوكي في دائرة الحكومة الارستقراطية،وهذا ما يُنتَج دلاليا من النصوص الذي عكست الممارسة السياسية للامام علي علية السلام في دائرة ثقافة المجتمع التي لا تؤمن بالسلطة الثيوقراطية (نص الرسول على خلافته)،لذا لا نجد في هذه النصوص اي توظيف لهذا النص،بل كانت مرجعياتها تشترك مع مرجعيات المجتمع لشرعية السلطة،التي بقيت في دائرة الثقافة النخبوية اي انها لم تكن ترى من حق جميع الافراد المشاركة في اتخاذ القرار او تكوين السلطة،بل كانت ترى ان التشكيل السلطة ومصدر شرعيتها يعتمد على موقف نخبة المهاجرين والانصار ،فهي تقوم على((ارستقراطية خاصة،قام امرها على الكفاية والتقوى وحسن البلاء والاتصال بالرسول﴿ﷺ﴾)) [١٢].

لقد كان الامام عليه السلام في جميع خطبه واحتجاجاته على شرعيه سلطته ولا شرعية موقف التمرد عليها،يستند الى معيار الهجرة والنصرة،وكان المهاجرون والانصار

الاساس لشرعيه تكوين السلطة والترشح اليها،ففي تقييمه لمعاوية وانصاره من اهل الشام بين انهم ((ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه،ليسو من المهاجرين والانصار)) [١٣]،فهذا النص ينحل الى خطابين جزئيين،الاول كان مضمونه ونواة موضوعه مجموعة صفات لاهل الشام كلها سلبية منها عدم استحقاقهم لاستلام السلطة او المساهمة فيها،والثاني وصفهم بانهم ليسوا من المهاجرين والانصار،وهو وصف لا اعلامية فيه لان مضمونه واقعة من الدرجة الاولى،اذا اخذت بدلالتها من حيث فعل القول لا من حيث فعل الانجاز او التاثير،فهي معرفة يعرفها جميع المتلقين لخطابه عليه السلام وبديهية لديهم،ولكن سياق الموقف سوف ينقل دلالتها الى معرفة من الدرجة الثانية التي لا بد منها لتتحقق نصية الخطاب،وذلك عندما نعلم ان الامام عليه السلام كان في سياق رفضه لمبدا التحكيم مع اهل الشام لانهم الفئة الباغية وجبهة الباطل ورفضه اعطائهم القدرة على التحكم بمصير الصراع،ومن ثمه مصير السلطة في المجتمع من خلال ممثلهم عمرو بن العاص وبهذا سيكون الاخبار عن كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار نص تعليلي،لما تقدم من صفاتهم وعدم اهليتهم للمنافسة على السلطة.

فالتقارن الوجودي بين عناصر دعم السماء والملائكة،وعناصر دعم الارض- المهاجرين والانصار- لا بد ان يعطي لهم تميز نخبوي في تحديد شرعية الموقف،وهذا ما كان متحققا في ثقافة المجتمع : لذا مثل وجود الانصار بوصفه معيار للشرعية وحقانية الموقف معرفة مشتركة في المجتمع واحدَ الثوابت العرفية التي هي من اهم ضوابط التداول الحجاجي واستراتيجية الاقناع،فاستند اليها كل من الامام علي عليه السلام ومعاوية في الاحتجاج على قوة وشرعية موقفه،ففي خطاب للامام علي عليه السلام مُنتَج على وفق بسط حجاجي لشرعية موقفه وقوته مقابل ضعف ولا شرعية موقف معاوية،نجده يدعم عرض موضوعه بوجود المهاجرين والانصار معه قائلا: ((انا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان)) [١٤]،وهو الدعم نفسه الذي استند اليه معاوية في تقوية موقفه عندما هدد الامام علي عليه السلام بانه سيواجهه بالمهاجرين والانصار[١٥].

اذن النخبوية الاجتماعية والسياسية والشرعية في المجتمع انما كانت للمهاجرين والانصار،وهو ما دفع الامام عليه السلام الى بيان انه خاصة وبيته الهاشمي عامة كانوا نخبة هذه النخبة،لان ((قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والانصار- ولكل فضل – حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه،...وقوما قطعت ايديهم في سبيل الله – ولكل فضل – حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار بالجنة ذو الجناحين))[١٦]،وهذا التمييز في داخل النخبة يوازيه خروج معاوية من دائرته الى درجة لا تعطيه الحق في اتخاذ موقف تقييمي لعناصر هذه الدائرة ،فقد خاطبه الامام علي عليه السلام عندما فضل بعض المهاجرين على بعض قائلا ((ما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس،وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين)) [١٧].

وفي الحقيقة ان هذه النخبوية التي تحققت للمهاجرين والانصار لم تكن مرجعيتها الى سابقتهم وفضلهم في نشر الاسلام،لانها نخبوية في داخل دائرتهم ولم تمثل الجميع و قد كانت لاحداث السقيفة دلالتها المباشرة على ذلك،اذ كانت الاحداث تدار من ((قبل كبار المسلمين من حيث مركزهم القبلي والسياسي الذي تسري كلمتهم بالنسبة الى من يمثلوهم)) [١٨]،مما يعكس قوة ((دور القبلية،سلبا وايجابا،في الممارسة السياسية)) [١٩]،بل يمكن القول ان عنوان النخبة لكل من المهاجرين والانصار وهما الهجرة والمناصرة ذو مرجعية دلالية في ثقافة القبيلة ،فالمهاجرون هم اهل مكة وقريش،و هم يمثلون عنصر القرابة والنسب للنبي﴿ﷺ﴾ في حين ان الانصار يمثلون عنصر النصرة والتحالف معه،وكلاهما- كما تقدم- يمثلان من عناصر الحق السياسي في القبيلة.

الا ان هذه المرجعية القبلية لنخبوية المهاجرين والانصار ،لم تكن مانعة من اجراء تقييم جديد للعناصر المولدة لهذا الامتياز من قبل الامام علي عليه السلام ،فقد رفض ما شاهده من اتجاه اهل الكوفة الى التعصب القبلي على وفق معايير القبيلة قبل الاسلام ،لانه تعصب ((لامر لا يعرف له سبب ولا علة،اما ابليس فتعصب على ادم لاصله...واما الاغنياء...فتعصبوا لاثار مواقع النعم...فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء

والنجدات من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل)) [٢٠]،اذن المائز النخبوي ينبغي ان تكون مرجعيته القبلية مرجعية الفعل والسلوك الاخلاقي لا العنصر والدم،ولذا احتج الامام علي على معاوية ،بان مرجعيتهما في سيادة قريش لا تعني تساويهما النخبوي سواء قبل الاسلام او مع الاسلام وبعده،اذ ((ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ولا المهاجر كالطليق)) [٢١]،وهو ما يعني ان الايمان بطبقية ممتازة في المجتمع لا يعني اننا امام ارستقراطية المال والدم النبيل،بل اننا امام ارستقراطية الفضيلة❖ التي جمعت بين ثقافة القبيلة وثقافة الاسلام في الامتياز السياسي والاجتماعي .

اننا امام هذه النصوص العَلَويّة في شرعية الموقف السياسي وتكوين السلطة نكون امام دائرة الحكومة الارستقراطية لان الفضيلة هي مبدا الارستقراطية ،واذا كانت في ممارستها عند اليونان والشعوب الاخرى لم يكن تمثل التزاما مطلقا[٢٢]،فان الاسلام كما تجسد في سلوك الامام علي عليه السلام عمل الى جعله التزاما مطلقا على وفق معايير السلوك الاسلامي القانوني والاخلاقي،ومن ثمة،وفي ضوء تجربة الحكم في العصر الراشدي،سيكون ((نظام الحكم في...الاسلام عنصران متميزان..:احدهما معنوي وهو الدين الذي يامر بالعدل والمعروف يفرضهما على الرعاة والرعية جميعا والاخر هذه الارستقراطية الخاصة)) [٢٣].

ومن هنا فان قراءة نصوص الامام علي عليه السلام في كليتها وتناصها وسياقها الثقافي والسياسي،تنتج لنا انه قد تبنى رؤية ارستقراطية الفضيلة في شرعية السلطة،ومن ثم فان النظام السياسي في الفلسفة السياسية المعاصرة الذي يمكن ان يكون نظام الخلافة،كما مارسها واقرها الامام في مرحلة ما بعد رفض النص للثيوقراطي،صورة تاريخية له هو النظام الارستقراطي وقيادة النخبة الاجتماعية❖.

ان هذا التاصيل لنظام سياسي ارتبط بمجتمعات بعيدة عن الثقافة الاسلامية وطبيعة الحضارة العربية الاسلامية على الصعيد المادي والاجتماعي ليس عملية اعتباطية،بل ان المبادئ التي يقوم عليها هذا النظام واطاره الفكري في نظرية النخبة ينسجم تمام الانسجام مع نخبوية المهاجرين والانصار،اذ نظرية النخبة تقوم على فكرة ((ان كل

مجتمع ينقسم الى شريحتين :الحكام والمحكومين،اما الحكام فهم اقلية تستاثر بالقوة السياسية وتتخذ القرارات الهامة التي تؤثر على حياة المجتمع،انهم يشكلون مجموعة متحدة متماسكة واعية،تتفق لها السيطرة اما بفعل الانتماء العائلي او التحكم في مواد الانتاج او تجسيد القيم الدينية او الاجتماعية السائدة...اما المحكومون فيمثلون الاغلبية التي لا تشارك ولا تؤثر في عملية صنع القرار وعليها السمع والطاعة)) [٢٤].

ومن هنا عبر باريتو ابرز المنادين بنظرية النخبة عن هذه الفكرة بان ((التاريخ مقبرة الارستقراطيات)) [٢٥]،وهذه النخبة تتكون في المجتمع عندما تتحقق في مجموعة من الافراد امتيازات شخصية نتيجة تفوقها الطبيعي والسيكولوجي على باقي افراد المجتمع تجعلهم على مستوى عال من القدرة ويحققون نجاحا اسمى من معدل نجاح الاخرين وهذه النخبة تنقسم بدورها الى النخبة الحاكمة وتضم الافراد الذين يقومون بتسيير امور الدولة والنخبة غير الحاكمة التي تضم باقي الافراد[٢٦]،وهذا التفوق الطبيعي والسلوكي لم يكن يساهم في استلام السلطة لولا مقتضى التنظيم الذي يدفع المجتمع الى اختيار افراد ذي كفاءة خاصة لادارة شؤونه وتنظيم حركته[٢٧]. وهم ((الذين يمارسون وظائف قيادية حاكمة من الناحيتين السياسية والاجتماعية)) [٢٨].

المبحث الثاني : النص اللفظي والشرعية الثيوقراطية:

من ثوابت العقيدة الاثني عشرية وأحد اصول الدين لديها الاعتقاد كون ((الامامة كالنبوة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله))[٢٩]،وانها((ليست...مسالة فقهية فرعية مرتبطة بالمجتمع وادارته وبالولآية السياسية،بل انها مسالة كلامية ممتزجة بالايمان ومن هذه الجهة فان عدم الاعتقاد بامامة الائمة المعصومين يُعَد بمثابة رد لقسم من الدين وانكار له))[٣٠]،ومرجعيتها النصية في ذلك نصوص عديدة عن النبي﴿ﷺ﴾في كون ان قرار النبوة والامامة قد صدر في وقت واحد من الله عز وجل،منها ما نقل عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ((ان الله تبارك وتعالى اطَّلَع الى الارض اطّلاعّة فاختارني منها فجعلني نبياً،ثم اطّلع ثانية فاختار منها عليا فجعله اماما،ثم امرني ان اتخذه اخا ووليا وصيا وخليفة ووزيرا)) [٣١].

وفي دائرة هذه الدلالة نقل الامامية مئات النصوص((اتفق معناها)) [٣٢]((على الدلالة على معنى واحد،هو ان عليا ثاني رسول الله ﷺفي هذه الامة،وان له عليها من الزعامة بعد النبي ما كان له ﷺ)) [٣٣]،متضمنة في قسم منها تحديد عدد الائمة واسمائهم بعد الامام علي عليه السلام[٣٤]،مما يعني ان خلافة وامامة الائمة عليهم السلام تمثل انموذجا لنظام الحكم الثيوقراطي التعييني التي ترى ان المرجعية الوجودية والقانونية للسلطة ((ارادة علوية فوق ارادة البشر...هي التي تعين مباشرة شخصا او اسرة لممارسة السيادة والسلطان)) [٣٥]،وهذا التعيين ((هو المصدر الاوحد للسلطة ويلغي،من ثم،اي عقد اخر سواء بين الشعب والحاكم او بين افراد الشعب بعضهم وبعض وهي الافكار التي تقوم عليها نظريات العقد الاجتماعي)) [٣٦].

غير ان هذه النتيجة في ثيوقراطية نظام الحكم على وفق النص اللفظي ،تتقاطع مع ما تم التوصل اليه من ارستقراطية معدلة على وفق الدلالة المستنبطة من النص السلوكي وما قدم من نص لفظي يعكس هذا السلوك.ومن دون معالجة هذا التقاطع لا يمكن تحديد موقف النص الاثني عشرية في هذا المفصل من نظرية الدولة.

وزيادة على هذه الاشكالية الاستنباطية – النصية،فان تبني النص الرؤية الثيوقراطية في نظام الحكم والخلافة،سيواجه اشكاليات اخرى تتمثل في اصل الشرعية السياسية لهذه الرؤية،اذ الممارسة التاريخية للحكم الثيوقراطي،جسدت((الحكم المطلق المتعسف الذي ياخذ برقاب الناس باسم الارادة الالهية))[٣٧]،وكان الغطاء الشرعي لانظمة الاستبداد، اذ ((ما من مستبد سياسي ... الا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله او تعطيه مقام ذي علاقة بالله))[٣٨]،وفضلا عن اشكالية الممارسة هذه،فاننا نكون امام اشكالية منطقية،اذ الالتزام بالثيوقراطية التعيينية للسلطة،يوجد علاقة مباشرة بين طرفين لا رابط انطلوجي ولا ابستمولوجي بينهما،ومن ثم ،فهو بهذا ((لا يقوم بالغاء المسافة المعرفية بين الذات والموضوع فقط،بل يتجاوز الى ادعاء – ضمني- بقدرته على تجاوز كل الشروط والعوائق الوجودية والمعرفية والوصول الى القصد الالهي)) [٣٩]،وهذان – الالغاء والادعاء- لهما التأسيس المنطقي لأعلى مراحل الحكم الفردي وهو الحكم الاستبدادي الذي يمكنه ان لا يلتزم بالقانون الذي شرعه بنفسه،لان القانون في الدولة

الثيوقراطية هو ارادة الله التي لا تتنزل من اللوح المحفوظ الا على عقل وقلب الحاكم ،ومن ثم لن يكون واقع قانوني موضوعي امام ارادة الحاكم ،اذ يمكنه ان يرفض القانون الفعلي بدعوى ان موضوعه تغير وان مصلحة السماء (الدين)تقتضي تعديل القانون،وهذه الارادة في وجودها القانوني والسياسي هي ارادة امتدادية لارادة السماء فهي ارادة غير بشرية،والحاكم في ظل هذا النظام((يسمو على الطبيعة البشرية و..تسمو ارادته على ارادة المحكومين،اذ هو منفذ للمشيئة الالهية)) [٤٠]،التي لا تكون في نطاق العقل،ولا بد ان تكون في نطاق الوحي ،لان افتراض كونها في نطاق العقل يجعلها في دائرة القوانين الطبيعية التي يمكن للعقل البشري اكتشافها ولن تكون هناك حاجة لخصوصية ذات تتكلم،بل وتحتكر الكلام باسم المشيئة والارادة الالهية[٤١].

ولهذا التاسيس المنطقي للنظرية الثيوقراطية لممارسة الاستبداد،نجد ان الحكم الفردي على مر التاريخ استند اليها في التخلص من اي اعتراض على سلطته، فنجد ان عثمان رفض ترك الخلافة والسلطة لانها القميص التي قمصها الله له[٤٢]،وان لويس الرابع عشر كان يرى نفسه خليفة الله في فرنسا وان الخضوع له يجب ان يكون على وفق الخضوع لله[٤٣]،ومن ثم فانه غير مسؤول امام الشعب[٤٤].

اذن،ولهذه الاشكاليات،وعند الالتزام بلا تاريخية النصوص الثيوقراطية،او الالتزام بخصوصية الاطار السياسي لها،فاننا سنكون امام نظام حكم عند الاثني عشرية فاقد للشرعية في الفكر السياسي،لانه،زيادة على تلك الاشكاليات ،فانه لا بد ان يصادر ارادة الانسان السياسية – اذا لم تصادر بالمطلق-ومن ثم الانزلاق الى نظام عبودي مقنع ،الامر الذي يتطلب معالجة هذه النصوص بهدف الامساك بدلالتها الانجازية وظيفتها الكلية التي تهدف الى بثها في المجتمع .من خلال اعادة قراءة تركز على مقاصدها وعدم استبعاد القارئ غير المعاصر في توليد الدلالة،والاستفادة اولا من الثيوقراطية المعرفية في قراءة النص بكل معاييرها ومفاهيمنا التي تشكل في قسم منها احكامنا المسبقة في القراءة.

المبحث الثالث : الثيوقراطية - قراءة معرفية:

لما كانت المرجعية التاسيسية للسلطة الثيوقراطية عند الاثني عشرية هي النص اللفظي ،فهذا يعني اننا سنكون امام دلالة نصية معقدة في عناصرها المولدة،فالدلالة المعجمية

الافرادية علاقة اعتباطية،والدلالة التداولية،في مركزيتها وهامشيتها تولدها عناصر سياقية ومقامية ،وهذا التعدد الدلالي بدوره ينطلق من الذات لا من الموضوع والمدلول الخارجي لطبيعة ميكانزم نظام العلامة فهي((لا تشير ...الى الخارج بشكل مباشر،بل تشير الى الصورة السمعية التي هي الدال وهذا الدال يحيل بدوره الى الصورة الذهنية او المفهوم الذي هو المدلول ،وتزداد درجة التعقيد حدة حين نتجاوز الجملة الى النص))[٤٥]،وهذه الوساطة الذاتية لا تجمد على العلاقة الاعتباطية المعجمية بين الدال والمدلول بل تتحرك بتحرك الثقافة والايدولوجيا لان((تغييرات المعنى تخضع لمجموعة من العلاقات والارتباطات والتركيب العقلي))[٤٦]،وهذا التغيير يكون في بعض الدوال تغييرا كليا،يقضي على الدلالة المعجمية الاصلية،مستبدلا بها دلالة جديدة تنتج عن انتشار في تداول هذا المعنى الجديد في الممارسة اللغوية الادائية،وهو تغيير اخذ شرعيته التحليلية في تقنيات منظومة اصول الفقه من خلال الدلالة التعينية[٤٧].

وهكذا فان ((النص ليس مجرد فعل السني يطلق على مسمى ولا هو مجرد فعل نحوي ولا هو مجرد فعل منطقي...وانما هناك دوما اشتراك في اللفظ وفائض في المعنى واختلال بين الصورة والتصور))[٤٨]و((ليس ... مجرد شاهد على الحقيقة،حقيقة العصر او المؤلف او الفضاء العقلي،وانما هو شيء يختلف ابدا عن ذاته باختلاف الكلام عليه ،وتلك هي حقيقته،وهو ان يستدعي غير قراءة))[٤٩].التي قد تقع ممارستها في ((خطر العنصر الذاتي وتسرب الذاتية الى عملية الاجتهاد،لان النصوص لا يبرز في الغالب مضمونها التشريعي والمفهومي...بل كثير ما يطمس المضمون او تبدوا المضامين مختلفة وغير منسقة))[٥٠].

اذن،لا يمكن لنا ان نصل الى قراءة حديدية الدلالة،لان القراءة على وفق ما تقدم من ماهية النص ستكون فن استنطاق الدلالة، لا علم انتاجها ،تقوم ممارسة القراءة باعادة الحفر في طبقاته ونقل وارتحال من دلالة الى دلالة اخرى ومعنى ذلك ان بامكان المعاصرين ان يقرأوا في النصوص ما لم يقرأه الماضون فيستنطقونها عما كانت تمتنع عن النطق بها[٥١].

وعند معالجة نصوص الامامة في الثقافة الاسلامية ،نجد انها نصوص خضعت لقراءة مؤسسة على سلوك ما بعد النص الذي نقل دلالة الامامة المعجمية وهي الاقتداء والتقدم الشامل لكل من اقتدي به وقُدِمَ في الامور؛وان كان غير الانسان،كالقرآن الذي هو امام المسلمين[٥٢]،الى دلالة خاصة وهي ((خلافة الرسول في اقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة)) [٥٣]،وهي دلالة متاخرة عن عصر النص النبوي ،حاول الفكر الكلامي عند المسلمين ان يصل الى دلالتها التامة للتعبير عن رؤيته عن الخلاف والخلافة التي انتجها اجتماع السقيفة،ولذا نجد ان كل متكلم تناول البحث في الامامة ينقد ما قدمه الاخرون من تعريف ويحاول اعطاء تعريف اخر في سعي فهم للوصول الى مفهوم جامع مانع الذي بدورة سيكون خاضعا لرؤية المتكلم حول السقيفة وشرعية نتائجها .

اذن نحن امام مفهوم مستنبط للامامة،له دلالة مركزية وهي انها السلطة السياسية والدينية التي تمثل امتداداً لسلطة الرسول ﴿ﷺ﴾،مما يقتضي على مَن يتبنى ثيوقراطيتها السياسية ان يقدم هذه الدلالة المركزية من خلال النصوص،وبالخصوص النبوية لكون نصوص الائمة في هذا المجال امتدادا وتاكيدا لها،وفي هذا الصدد فان المدونات الحديثية تضمنت من ناحية محور الخبر،مجموعتين من النصوص،مجموعة يكون موضوعها،بوصفه منطلق ومحور الخبر،ان الامام علي عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول﴿ﷺ﴾ومجموعة اخرى يكون موضوعها مجموعة من الخصائص التي يمتاز بها الامام عليه السلام،ويلاحظ ان عدد المجموعة الاولى محدود مقارنة مع عدد المجموعة الثانية ،سيمااذا اشترطنا عمومية النقل التاريخي عند المسلمين❖.

وعند الانتقال من النص النبوي التاسيسي الى النص الامامي الامتدادي والتفصيلي ،نجد ان هذا التنوع في النصوص يتكرر،لذا نجد ان النصوص التي تقدم بوصفها تاسيسية للامامة السياسية للائمة الاثني عشرية غير حاسمة الدلالة في كثير منها،اما في دلالتها المعجمية اوفي دلالتها التداولية فعلى سبيل المثال يقدم الطبرسي احد كبار علماء الاثني عشرية نصوصا لاثبات الامامة السياسية ،تربط وجوديا بين بقاء الدين وبين وجود اثني عشر اماما كقول الرسول﴿ﷺ﴾: ان هذا الامر لا ينقضي ولن يمض حتى

يكون فيكم اثنا عشر خليفة وقوله ﴿ﷺ﴾لا يزال الدين قائما حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش ثم يخرج الكذابون بين يدي الساعة[٥٤].في حين يقدم الكليني ،قبله بعدة قرون في كتابة اصول الكافي٧٥٨ نصا في تحت عنوان كتاب الحجة،في غالبيتها العظمى محور الخبر لكل منها وجود امتياز معرفي او وجودي للائمة ،ولم تكن الدلالة السياسية لمضامين القليل منها الا في اطار الدلالة على وجوب الطاعة القانونية للائمة كالنصوص التي تقرر وجوب طاعة الائمة مطلقا[٥٥].

ان هذين النموذجين للمدونات النصية الذين يعكسان الواقع المضموني للنصوص التي يستند اليها الامامية الاثني عشرية في الاحقية الثيوقراطية للائمة سياسيا ،تدفع القارئ لها في كليتها وتناصها الى التوقف عند هذه الفجوة بين المضامين المحورية وبين الدلالة السياسية في السلطة الثيوقراطية ،وماهية الوظيفة الانجازية الكلية لهذه النصوص .

ان القراءة التي يقدمها الخطاب الاثني عشري السجالي لهذه النصوص على انها نصوص تؤسس لفعل انجازي سياسي توجيهي تحمل المسلمين على اعطاء السلطة للامام علي عليه السلام،وهي قراءة سائدة في المدونات الكلامية عند الامامية،تاخذ كل نص في استقلالية تامة عن بقية النصوص،وتعطيه هذا الفعل الانجازي.الا ان وجود مبدا تم الاشارة اليه في الفصل التمهيدي وهو وحده نصوص النبي والائمة وان العلاقة بينها علاقة تناصية ،اي ان استغلال كل نص لا يكون معزولا عن بقية النصوص السابقة عليه، بل يحتاج مُستقَبِل النص عند معالجته تناصيا الى((معرفة نص سابق او اكثر من النصوص التي تعرف عليها مستقبل النص في الماضي...والى قدر من الالفة مع نصوص سابقة)) [٥٦]،مما يحقق لنا علاقة تمظهرية❖دلالية في عالم النص اي ان النص الموجود لدى المتلقي لتلك النصوص والذي يقرئها في كليتها يعيد انتاج دلالي وتوسيع استثارة لدى ذهن المتلقي للنصوص بمجموعها ،مولدة دلالة تمثل الوظيفة الكلية للنصوص ،التي ستحكمها علاقات تجاور دلالي تصب في تحقق هذه الوظيفة.

ان هذه المعالجة الحديثة لهذه النصوص لا يعني اننا امام معالجة قافزة على منتج النص وقصده ولا على فهم المتلقي التراثي لها،لان فرضية معصومية منتج النص ، سيما المنتج الاول وهو النبي﴿ﷺ﴾،ومعرفته الكاملة بشخص الامام علي عليه السلام،تقتضي ان

النصوص بمجموعها كانت منتجة ذهنيا،وانتاجها الصوتي المتدرج كانت تفرضه ضرورة وجود المقام التعليلي لموضوع كل نص الممثل بالعوامل التي تجعل للنص صلة بموقف مرتبط بواقعة ما وتحدد معناه المقالي،وهي ضرورة تفرضها نظام المؤسسة الاجتماعية للكلام والحوار انتاجا وتلقيا،كما ان المتلقي التراثي لم يتعامل مع تلك النصوص على وفق الانفصال القصدي،لذا نجد المدونات التراثية تجمعها في موضوع وعنوان واحد، سيما مدونة الكليني التي جعلت من هذه النصوص مؤسسة للالزام القانوني والعقدي بالتبعية للائمة الاثني عشرية،معنونها بـ(كتاب الحجة)[٥٧]،وكذلك نجد الطبرسي عندما تناول سرد حياة الائمة انطلاقا من النصوص التي تعطي امتيازا في الخصائص نجد عنوان مؤلفه بـ(اعلام الورى باعلام الهدى)مما يكشف ان المتلقي التراثي فهم ان هذه النصوص تعطي للائمة توحدا وتقدما في خصوصيتهم الكمآلية من حيث العلم والاخلاق والكفاءة الاجتماعية ،تجعلهم اعلام الهدى للورى وان هذه الامتيازات لها بعدها وامتدادها الغيبي وارتباطها بالسماء ،وهذا الفهم قد تم التعبير عنه في بعض مقدمات الكتب التي تناولت هذه النصوص ،فملا صدرا في شرحه لاصول الكافي،قدم قبل شرحه لكتاب الحجة من اصول الكافي، مقدمة على وفق تقنية براعة الاستهلال وهي((ان ياتي...الناثر في ابتداء كلامه ببينه او قرينة تدل على مراده في...الرسالة...فيبني كلامه على نسق واحد)) [٥٨]،ففي هذه المقدمة نجد الدوال المستعملة في التلميح الى اطار هذه النصوص في ثقافة الفكر الاثني عشري تنتمي الى حقل دلالي معرفي ارشادي،فهم ((مشكوة النبوة والولاية...وحجج الله الناطقة وبراهينه الساطعة من الذوات المقدسة والنفوس المطهرة الذين طهرهم الله...من نزعات الشياطين تطهيرا)) [٥٩]،ولهذا الخصوصية والامتياز الكمالي اصبحوا ((حجج الله على خلقه وشهدائه عليهم)) [٦٠]و((خلفاء الله في ارضه وابوابه التي يوتى منه وهم انوار الله وولاة الامر واركان الارض واهل الذكر والراسخون في العلم والمصطفون)) [٦١]،وهو الحقل الدلالي نفسه الذي تنتمي له تجدد دوال الطبرسي في مقدمته الاستهلالية لكتابه اعلام الورى الذي ((يتضمن اسامي الائمة الهداة والسادة الولاة واولي الامر واهل الذكر واهل بيت الوصي)) [٦٢]((الحافظين لشريعته،المعصومين من دنس

ورجس،المفضلين على كافة الجن والانس الذي يتنجز الموعود يوم المآب بانجازهم ولا يُجاز الصراط الا بجوازهم،من تقدمهم مرق ومن تاخر عنهم زهق...الذين فرض الله معرفتهم كمعرفته وجعل محبتهم في الوجوب كمحبته وهم دعائم الاسلام وائمة الامام وحجج المهيمن السلام،سرج في كل ظلام ودرج الى كل مرام)) (٦٣).

اذن هذه النصوص المتفرقة في توليدها الصوتي والشفاهي ،لا يمنع من النظر اليها في توليدها الذهني وانها تمثل نصوص جزئية لنص كلي ينبني تماسكه السطحي على وحده الموضوع الذي يخبر عنه في كل نص جزئي، وبذلك يكون هذا النص الكلي قد حقق مبدا الاعادة الصريحة التي تعد ((وسيلة مهمة لتكوين النص)) (٦٤)التي هي احد ((الوسائل التي تحقق خاصية الاستمرارية في ظاهر النص))(٦٥)،وهذه الوحدة بدورها سوف تحقق لنا سياقا لغويا ينتج دلالة سياقية للدوال التي هي القابلية على التعدد الماصدقي في دائرة مفهومها الكلي.

ملخص :

يعد استلام السلطة من قبل أمير المؤمنين ونقله العاصمة الى الكوفة بعد ثورة شعبية على النظام السابق ، حدثا تاريخيا فريدا للتعرف على النظام السياسي الذي يتبناه الاسلام ، مقارنة مع الانظمة السياسية التي طرحها الفكر السياسي ،إذ الثورات تؤسس لنظام جديد مقارنة مع الانقلابات العسكرية التي تحافظ على طبيعة النظام السابق، فكان عنوان الدراسة : النظام السياسي في الكوفة زمن الامام علي عليه السلام ، وكان هدفها بيان طبيعة النظام السياسي الذي اسسه امير المؤمنين في الكوفة ، والاسس التي تمنحه الشرعية في ممارسة السلطة ، وكانت مشكلة الدراسة تتمثل بسؤالين ؛هما : ما هو نوع النظام السياسي في الكوفة في زمن أمير المؤمنين؟ وما هي ما هي المرجعية الفكرية لهذا النظام التي تؤسس لشرعيته؟ وتأتي أهمية البحث مما يُطرح في خطاب الاسلام السياسي الذي ظهر في القرن العشرين من جدال حول طبيعة النظام السياسي الذي لابد من تبنيه في الدول الاسلامية ، وما نشهده من معارضة تصل الى رفع السلاح بوجه الانظمة التي لا تتبنى ما يطرحه هذا الخطاب من رؤية حول النظام الواجب تبنيه في هذه الدول ؛ مما يجعل من نتائج هذا الدراسة دورا حاسما في حل هذا الجدال لكونها تستند الى أمير

المؤمنين عليه السلام الذي هو القرآن الناطق الذي لا يختلف مسلم في شرعية قوله وفعله وتقريره ، وقد صرح في عديد من النصوص عن آلية اختيار النظام السياسي في المجتمع مما لا يترك مجالا للتأويل ، وقد انطلقت الدراسة من فرضية كون النظام السياسي في الكوفة ينسجم مع النظام السياسي الارستقراطي كما نَظَّر اليه الاقتصادي والسياسي الايطالي باريتو ، مع وجود بعد ثيوقراطي لخصوصية لا تتكرر متمثلة بشخص لأمير المؤمنين عليه السلام ، مستندة الدراسة في استنتاجاتها الى التحليل الدلالي المقارن لخطاب أمير المؤمنين عليه السلام لرافضي الاعتراف بشرعية سلطته مع المبادئ الفكرية للأنظمة السياسية الحديثة.

الهوامش:

١) درويش ،د. ابراهيم : النظام السياسي ،دراسة فلسفية ،مرجع سايق،ج١،ص٦٨.

٢) انظر:سباين،جورج :تطور الفكر السياسي ،ط١،تر حسن العروسي،دار المعارف،مصر،١٩٥٤م،ج١،ص١١٤.

٣) درويش :النظام السياسي ، مرجع سابق.ص ٦٨

٤) علي ،جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،مرجع سابق ،ج٥،ص١٧٢.

٥) مروان ،عبد الوهاب: النظرية السياسية بين اليونان والاسلام،ط١،قدس للنشر،دمشق،٢٠٠٠م،ص٢٩٦.

٦) انظر: علي ،جواد :المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،مرجع سابق،ج٥،ص١٥٨.

٧) انظر: عبد الكريم،خليل : قريش من القبيلة الى الدولة المركزية،مرجع سابق ،ص٢٩١.

٨) علي ،جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،مرجع سابق ،ج٥،ص١٧٢.

٩) انظر: عبد الكريم،خليل : قريش من القبيلة الى الدولة المركزية،مرجع سابق،ص٢٩١-٢٩٢.

١٠) علي ،جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،مرجع سابق،ج٤،ص٣٧.

١١) العلام،د.عز الدين:الاداب السلطانية،دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي،ط١،المجلس الوطني للثقافة،كويت،٢٠٠٦م،ص١٠٧.

١٢) طه حسين : الفتنة الكبرى،مرجع سابق ،ص٣٨.

١٣) نهج البلاغة،مصدر سابق،ص١١٣.

١٤) مصدر سابق ،ص١٢٤.

١٥) المصدر السابق ،ص١٤٦.

١٦) المصدر السابق، ص١٢٣.
١٧) نهج البلاغة،مصدر سابق،ص١٢٢.
١٨) صالح ،احمد عباس:اليمين واليسار في الاسلام،مرجع سابق،ص٥٦.
١٩) الجابري: العقل السياسي العربي،مرجع سابق،ص٧٩.
٢٠) نهج البلاغة،مصدر سابق ،ص٩٣.
٢١) نهج البلاغة، مصدر سابق،ص١١٩.ولقد اشار شارح نهج البلاغة ابن ابي الحديد المعتزلي الى ان الرسالة التي اراد الامام علي عليه السلام ارسالها للجمهور ومعاوية من خلال النص السابق ،هي امتياز البيت الهاشمي عن البيت الاموي في الفضيلة والسلوك ،فبين المرجعيات التاريخية لهذا الامتياز من خلال تخصيصه ٧٠ صفحة من شرحه لبيانها .
انظر: ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة ،مصدر سابق،مج ٨،ص١٣٤-٢٠٤.
٢٢) انظر: مونتسكيو: روح الشرائع،ط١،تر. عادل زعيتر،اللجنة الدولة لترجمة الروائع،القاهرة ،١٩٥٣م،ج١،ص٤٠-٤١.
٢٣) طه حسين: الفتنة الكبرى،مرجع سابق ،ج١،ص٣٨.
❖يرى ابن رشد ان الاستقراطية بدأت مع معاوية ، الا ان (الباحث) يرى لا تقاطع بين رؤية البحث ورؤية ابن رشد لان ارستقراطية الخلافة الراشدة كانت ارستقراطية الفضيلة وارستقراطية معاوية كانت ارستقراطية الدم. انظر:ابن رشد:تلخيص السياسة،ط ١ ،تعريب و تعليق د حسن مجيد العبيدي،دار التكوين،دمشق٢٠٠٨ .ص١٩٨ و تعليق الاستاذ العبيدي.
٢٤) المنوفي،د.كمال :نظريات النظم السياسية ،ط١،وكالة المطبوعات،كويت،١٩٩٥م،ص٤٥.
٢٥) مور،ت بوتو:النخبة والمجتمع،ط١،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،١٩٧٢م،ص٤٧.
٢٦) الاسود:علم الاجتماع السياسي،مرجع سابق ،ص٤٣٨.
٢٧) المرجع السابق ،ص٤٤٢-٤٤٣.
٢٨) النوري،د.قيس و د.عبد المنعم الحسني:النظريات الاجتماعية،ط١،وزارة التعليم العالي،بغداد،د.ت،ص١٣١.
٢٩)المظفر،محمد رضا:عقائد الامامية ،ط٢،مركز البحوث العقائدية ،النجف الاشرف،١٤٢٤هـ،ص٨٦-٨٧.
٣٠)الواعظي ،احمد:الدولة الدينية ،ط١،ترجمة حيدر حب الله،مركز الغدير ،بيروت،٢٠٠٢م،ص١٩٤.
٣١)الصدوق ،محمد علي :اكمال الدين واتمام النعمة ،ط٤،مؤسسة النشر الاسلامي،قم،١٤٢٢هـ، ص٢٨٩.

٣٢)الحلي ،جعفر بن الحسن :المسلك في اصول الدين،ط٢،تر رضا الاستادي ،مجمع البحوث الاسلامية ،مشهد ،١٤٢١هـ، ص٢٢١.
٣٣)شرف الدين ،عبد الحسين :المراجعات ، مرجع سابق ص١٤٣.
٣٤)الكليني،محمد بن يعقوب: الكافي،مصدر سابق،ج١،ص٢٨٦.
٣٥) آل ياسين ،د.محمد علي:القانون الدستوري والنظم السياسية ،مرجع سابق،ص١٥٣.
٣٦) ابو زيد،علا: الثيوقراطية، ضمن موسوعة العلوم السياسية ،ط١،جامعة الكويت،الكويت١٩٩٣/١٩٩٤م،ج١،ص٢٧٦.
٣٧)امام ،امام عبد الفتاح:الطاغية ،مرجع سابق،ص٢١.
٣٨)الكواكبي ،عبد الرحمن :طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ،ط١،منشورات الجمل ،كولونيا ،٢٠٠٦م،ص٢٣.
٣٩)ابو زيد ،نصر حامد :نقد الخطاب الديني،ط٣،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩٥م،ص٧٨.
٤٠)بدوي ،ثروت :النظم السياسية ،ط٢،دار النهضة العربية ،القاهرة ،١٩٨٦،ص٧٠-٧١.
٤١)خاتمي ،محمد :مدينة السياسة ،ط١،دار الفكر،النجف الاشرف،٢٠٠٥م،ص٤١.
٤٢)انظر: ابن الاثير :الكامل في التاريخ،مصدر سابق،ج٣،ص٨٥.
٤٣)ديورانت :قصة الحضارة ،ط١،وزارة الثقافة المصرية،القاهرة٢٠٠١م،مج ١٦،ج٣١،ص٧٩.
٤٤) آل ياسين،د.محمد علي: القانون الدستوري والنظم السياسية ،مرجع سابق،ص١٥٤.
٤٥)ابو زيد ،نصر حامد :النص ،السلطة ،الحقيقة،مرجع سابق،ص٨٣-٨٤.
٤٦)اولمان ،ستيفن :دور الكلمة في اللغة ،مرجع سابق،ص٢١٣-٢١٤.
٤٧)انظر:الرويلي ،د.ميحان و د.سعد البازغي:دليل الناقد الادبي،مرجع سابق،ص٢٠٦.
انظر:الحيدري ،علي:اصول الاستنباط،ط٥،دار الكتب الاسلامية،طهران،د.ت،ص٥٣.
٤٨)حرب ،علي :نقد الحقيقة،مرجع سابق،ص٢٢.
٤٩)حرب،علي:الممنوع والممتنع ،نقد الذات المفكرة ،ط١،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،١٩٩٥م،ص٩٤.
٥٠)الصدر ،محمد باقر:اقتصادنا ،ط١،المجموعة الكاملة ،قم،١٤٢٤هـ، ج٣،ص٤٤٦-٤٤٧.
٥١)حرب ،علي:نقد النص ،ط١،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،١٩٩٣م،ص١٠٦.
٥٢)انظر: الفراهيدي :كتاب العين،مصدر سابق،ص٣٩ و ابن فارس:معجم مقاييس اللغة ،مصدر سابق،ص ٣٣.
٥٣)الجرجاني ،علي بن محمد :شرح المواقف،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨م،مج٤،ص٣٧٦.

❖ هذه الحقيقة في التباين الكمي والمضموني للنصوص ،اكد عليها الحوار الحجاجي بين السيد عبد الحسين شرف الدين وشيخ الازهر سليم البشري في كتاب المراجعات حيث كانت نصوص يوم الدار والمنزلة والغدير تقرر المنزلة السياسية بينما كانت معظم النصوص الاخرى تقرر خصائص وتميز للامام علي عليه السلام وصل عددها الى ٤٠ نصا.

انظر: المراجعات ،مرجع سابق،ص١٤٦ وما بعدها وص ١٨٩.

٥٤) الطبرسي ،الفضل بن الحسن:اعلام الورى باعلام الهدى،ط١،مؤسسة اهل البيت،قم،١٤١٧هـ، ج٢، ص١٦٥.

٥٥) انظر: الكليني ،محمد يعقوب :اصول الكافي ،ط٥،دار الاسوة ،قم ،١٤٢٥هـ،ص١٨٧-٤٩٧.

٥٦) ابو غزالة ،د.الهام :مدخل الى علم لغة النص ،مرجع سابق ،ص٣٥-٣٦.

❖تم استعارة تقنية التمظهر من نظرية النص ونقلها من تقنية تحليل لسطح النص الى تحليل عالم النص .

انظر: خمري ،د.حسين :نظرية النص ،مرجع سابق ،ص٢٥٧.

٥٧) الكليني :اصول الكافي،مصدر سابق،ج١،ص١٨٧.

٥٨) الحلبي ،شهاب الدين محمود :حسن التوسل الى صناعة الترسل،ط١،دار الرشيد ،بغداد، ١٩٨٠م،ص٢٥٠-٢٥١.

٥٩) الشيرازي،محمد بن ابراهيم :شرح اصول الكافي،ط١،مؤسسة مطالعات وتحقيقات مرهنكي،د.م،د.ت،ج٣،ص٣٨٧.

٦٠) المصدر السابق ،ج٣،ص٣٨٩.

٦١) المصدر السابق ج٣،ص٣٩٠.

٦٢) الطبرسي،الفضل بن الحسن:اعلام الورى باعلام الهدى،ط١،ؤسسة ال البيت ،قم ،١٤١٧هـ،ج١،ص٣٧.

٦٣) المصدر السابق،ج١،ص٣٣-٣٤.

٦٤) برينكر،التحليل اللغوي للنص،مرجع سابق،ص٥٥.

٦٥) حسين،د.جميل عبد المجيد: ((علم النص اسسه المعرفية وتحليلاته النقدية))،مرجع سابق،ص١٤٥.

المصادر والمراجع:

١.ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة ،. ط٧ ، دار الأندلس، بيروت د.ت

٢.ابن الاثير :الكامل في التاريخ،ط٢،دار الكتاب العربي،بيروت١٩٦٧.،.

٣.ابن رشد:تلخيص السياسة،ط ١ ،تعريب و تعليق د حسن مجيد العبيدي،دار التكوين،دمشق٢٠٠٨.
٤.ابو زيد ،نصر حامد :النص ،السلطة ،الحقيقة، ط٤، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
٥.ابو زيد ،نصر حامد :نقد الخطاب الديني،ط٣،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩٥م.
٦.ابو زيد،علا: الثيوقراطية، ضمن موسوعة العلوم السياسية ،ط١،جامعة الكويت،الكويت١٩٩٣/١٩٩٤م.
٧.الاسود:علم الاجتماع السياسي،، ط١، وزارة التعليم العالي، بغداد ١٩٩٠.
٨.آل ياسين ،د.محمد علي:القانون الدستوري والنظم السياسية . ،ط١،بغداد١٩٦٤
٩.امام ،امام عبد الفتاح:الطاغية ، ط١،المجلس الوطني للثقافة،الكويت١٩٩٤..
١٠.اولمان ،ستيفن : دور الكلمة في اللغة، ط١٢، تر د. كمال بشر ،دار غريب للطباعة،القاهرة دت.
١١.بدوي ،ثروت :النظم السياسية ،ط٢،دار النهضة العربية ،القاهرة ،١٩٨٦.
١٢.الجابري: العقل السياسي العربي، ط٥ ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠٠٤.
١٣.الجرجاني ،علي بن محمد :شرح المواقف،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨م،
١٤.حرب ،علي : نقد الحقيقة ،ط١ ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء١٩٩٣.
١٥.حرب ،علي:نقد النص ،ط١،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،١٩٩٣م،.
١٦.حرب،علي:الممنوع والممتنع ،نقد الذات المفكرة ،ط١،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،١٩٩٥م،
١٧.الحلي ،جعفر بن الحسن :المسلك في اصول الدين،ط٢،تر رضا الاستادي ،مجمع البحوث الاسلامية ،مشهد ،١٤٢١هـ.
١٨.الحيدري ،علي:اصول الاستنباط،ط٥،دار الكتب الاسلامية،طهران،د.ت.
١٩.خاتمي ،محمد :مدينة السياسة ،ط١،دار الفكر،النجف الاشرف،٢٠٠٥م،.

٢٠.درويش ،د. ابراهيم : النظام السياسي ،دراسة فلسفية، دراسة فلسفية ،ط١،دار النهضة ،القاهرة١٩٦٨.
٢١.ديورانت :قصة الحضارة ،ط١،وزارة الثقافة المصرية،القاهرة٢٠٠١م،
٢٢.الرويلي ،د.ميحان و د.سعد البازغي:دليل الناقد الادبي ط٣،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ٢٠٠٢.
٢٣.سباين،جورج :تطور الفكر السياسي ،ط١،تر حسن العروسي،دار المعارف،مصر، ١٩٥٤.
٢٤.صالح ،احمد عباس:اليمين واليسار في الاسلام، ط٢،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت١٩٧٣.
٢٥.
٢٦.الصدوق ،محمد علي :اكمال الدين واتمام النعمة ،ط٤،مؤسسة النشر الاسلامي،قم، ١٤٢٢هـ،
٢٧.الطبرسي ،الفضل بن الحسن:اعلام الورى باعلام الهدى،ط١،مؤسسة اهل البيت،قم، ١٤١٧هـ،
٢٨.طه حسين : الفتنة الكبرى، ط٦،دار المعارف ،القاهرة ١٩٦٦.
٢٩.عبد الكريم،خليل : قريش من القبيلة الى الدولة المركزية، ط٢، الانتشار العربي، بيروت١٩٩٧.
٣٠.العلام،د.عز الدين:الاداب السلطانية،دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي،ط١،المجلس الوطني للثقافة،كويت، ٢٠٠٦م.
٣١.علي ،جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط١، مكتبة جرير ، بيروت ٢٠٠٦.
٣٢.الفراهيدي :كتاب العين،مصدر سابق،ص٣٩ و ابن فارس:معجم مقاييس اللغة.
٣٣.الكليني ،محمد يعقوب :اصول الكافي ،ط٥،دار الاسوة ،قم ،١٤٢٥هـ،
٣٤.الكواكبي ،عبد الرحمن :طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ،ط١،منشورات الجمل ،كولونيا ،٢٠٠٦م،.

٣٥.مروان ،عبد الوهاب: النظرية السياسية بين اليونان والاسلام،ط١،قدس للنشر،دمشق،٢٠٠٠م
٣٦.المظفر،محمد رضا:عقائد الامامية ،ط٢،مركز البحوث العقائدية ،النجف الاشرف،١٤٢٤هـ،.
٣٧.المنوفي،د.كمال :نظريات النظم السياسية ،ط١،وكالة المطبوعات،كويت،١٩٩٥م.
٣٨.مور،ت بوتو:النخبة والمجتمع،ط١،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،١٩٧٢م،
٣٩.مونتسكيو: روح الشرائع،ط١،تر. عادل زعيتر،اللجنة الدولة لترجمة الروائع،القاهرة ،١٩٥٣م
٤٠.النوري،د.قيس و د.عبد المنعم الحسني:النظريات الاجتماعية،ط١،وزارة التعليم العالي،بغداد،د.ت.
٤١.الواعظي ،احمد:الدولة الدينية ،ط١،ترجمة حيدر حب الله،مركز الغدير ،بيروت،٢٠٠٢م،.

زيد بن صوحان الكوفي وأثره في الاحداث السياسية حتى سنة ٣٦هـ

أ.م.د. عبد المنعم عبد الجبار علي جعفر / كلية الآداب/ جامعة المثنى
م.د. منتصر حسن دهيرب / كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة المثنى

المقدمة :

الحمد لله على جميع نعمه والصلاة والسلام على افضل الخلق محمد وعلى ال الاطهار وصحبه:

اما بعد...

عد الاسلام منذ بداية ظهوره في شبه الجزيرة العربية ثورة في مختلف نواحي الحياة، ولكن بعد ان قبض رسول الله الى ربه واجه الاسلام انتكاسة خطيرة كادت ان تسحقه وتنهي وجوده، لكن تمكن المسلمين ولو لحين من تخطي هذه الانتكاسة الخطيرة، وفي عهد الخليفة الثاني شهدت الدولة التي اسسها الرسول العظيم توسعا كبيراً تزامن معه تبدل في احوال المسلمين وانفتاحهم على امم وشعوب اخرى، وترتب على ذلك عودة انتكاسة اخطر من الاولى تمثلت بانحراف رأس السلطة ، واصبح الحكم في الاسلام يمثل اسرة ولا يمثل المسلمين، فظهرت المعارضة في جميع الامصار الاسلامية وكان منها الكوفة، فكان قادة المعارضة يحاولون العودة بالإسلام الى سابق عهدة ايام رسول الله ومنهم زيد بن صوحان موضوع البحث.

وتعد هذه الشخصية واحدة من الشخصيات والكبيرة في الاسلام لجهودها المضنية في محاولة العودة بالإسلام لسابق عهده، ولكن دون جدوى، فكان لابد من البحث والتقصي من اجل كشف دور هذه الشخصية الهامة في مسيرة الاحداث بعد رسول الله منذ ايام الخليفة الاول وحتى خلافة الامام على بن أبي طالب، وجهوده للوقوف معه للعودة بالإسلام لعهد رسول الله، وهنا تأتي اهمية الدراسة وسبب اختيارها متزامناً من خلال البحث للكشف عن الدور الذي قام به زيد بن صوحان في مسيرة الاحداث السياسية واثره في معارضة انحراف العقيدة الاسلامية ومحاولة تحويل الاسلام من دعوة امية الى دولة اسرية، وتتأتى الاهمية وسبب الاختيار للكشف عن الاثر السياسي بدأً من دخوله الاسلام وحتى استشهاده، وعلى هذا النحو قسم البحث الى ثلاثة مباحث:

اشتمل المبحث الاول على دراسة سيرته ونسبة وبدايات الظهور السياسي له، اما المبحث الثاني فقط تضمن دراسة اثره في المعارضة ومدى التضحيات التي قدمها في سبيل الاسلام، وكرس المبحث الثالث لدراسة اثرة السياسي في مساندة أمير المؤمنين الخليفة على بن أبي طالب لكونه رمن الاسلام الثاني بعد رسول الله ، وكيف ضحى زيد بن صوحان بحياته من اجل نصرت الاسلام الحق متمثل بعلي بن أبي طالب، وفي ختام الدراسة بينا اهم النتائج التي توصلت اليها .

وان المنهج المستخدم في هذه الدراسة قائم على التحليل والتفسير للأحداث التاريخية بغية الوصول الى اقرب رأي يجانب الصواب وفي الختام الله ولى التوفيق.

المبحث الأول : سيرته وبدايات ظهوره السياسي

أسمه ونسبه :

هنالك اختلاف في نسب ال صوحان في كتب الانساب[١] والطبقات[٢] والتراجم[٣]، وبالاعتماد علي القالي وابن عساكر اللذان لخصا نسب ال صوحان في رواية اتفقا في نقلها بنسقها العام ، لكنهما اختلفا في سند نقلهما، إذ اعتمد القالي على عامر الشعبي في ايرادها[٤]، أما بن عساكر فأعتمد على عطاء بن أبي رباح [٥]، الممكن القول أن المنقول عن نسب ال صوحان عن طريق القالي عن الشعبي هو الراجح، للاسباب التالية:

اولاً / فأن الاعتماد على عامر الشعبي له اسبابه أنه يتمتع بعدة مزايا ومنها انه من سكان الكوفة إذ ولد ونشأ وتربى فيها ،هذا جانب ،والجانب الأخر ،والذي يعد ذو أهمية بالغة انه من معاصري صعصعة بن صوحان ، وقد شاهده وسمع منه ،وكان إذا سئل عنه يجيب انه خطيب وليس بفقيه [٦].

ثانياً/ وكان عامر الشعبي يتعلم من صعصعة بن صوحان فن الخطابة، يردد عبارته الشهيرة :(كنت أتعلم منه الخطب) [٧] ، ويضاف إلى كل هذا انه ثقة في نقل الحديث النبوي الشريف [٨] .

ثالثاً/ وهذا لا يعني التقليل من شأن عطاء بن أبي رباح والذي يعد مفتي مكة وأحد تلامذة عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)[٩] ،بالرغم من انه عاصره ولكن لم يتم العثور على ما

يؤكد في المصادر المطلع عليها انه التقى به أو سمع منه كالذي حدث مع عامر الشعبي ،ومن خلال هذه المقارنة، تم ترجيح ما أورده القالي واعتماداً على الشعبي، ليس على أبن عساكر فحسب بل على كل الروايات التي ذكرت نسب آل . ويكون نسب زيد بن صوحان هو: زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن مالك بن كعب بن عجل بن لكيز بن افصى بن عبد القيس بن افصى بن عبد القيس بن دعمي بن جديلة بن أمهر بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(١٠).

كنيته :

ولزيد بن صوحان عدة كنى وأبرزها أبو عبد الله وأبو مسلم (١١)، ومن كناه الاخرى أبو عائشة وأبو سلمان وقيل أبو سليمان (١٢) ، وهذه أبرز كناه.

صفاته:

وتحلى زيد بن صوحان بالصفات الجليلة منها زيد الخير(١٣) ،وهي الصفة التي اطلقها علية رسول الله (ﷺ) ،وقد أضيف اليها مجموعة من الصفات ومنها، مسلما عالما ديناً فاضلا ، وسيداً في قومه هو واخوانه (١٤)، وقد الحق بهذه الصفات انه من الابدال (١٥) ،ولو أمعنا النظر إلى الصفات التي ذكرت من انه كان مسلما عالما ،وهذه العبارة تفسر على وجهين، الوجه الاول انه عد من فقهاء الكوفة(١٦) ،وكيف يمكن التسليم بان التابعي فقيه، مع وجود الصحابة الكبار منتشرين في الامصار اما ولاة منذ أيام الفتح او فقهاء يعلمون الناس امور دينهم ،ويمكن تعزيز هذا الرأي عند النظر الى الكوفة منذ تمصيرها مدينة تابعه للدولة الاسلامية (١٧)، اما الوجه الثاني في هذا الجانب ان الصحابة هم فقط لهم الحق في الافتاء، مستندين على ذلك بقول رسول الله (ﷺ):(حدثوا عنى ولا حرج)(١٨) . فهل الناس يستفتون التابعي مع وجود الصحابة الكبار أمثال علي بن ابي طالب (عليه السلام).

اما ورود مصطلح الابدال فانة مصطلح ظهر متأخراً وأخذ كتاب التاريخ المتأخرين (١٩)، والمحققون في المراجع الحديثة (٢٠)، يضيفونه عند حديثهم حول الشخصيات المتفق عليها والمشهود لها بالصلاح في التاريخ الاسلامي بأعلى درجاته ،ولا نعني بظهور المصطلح متأخرا بالمعنى اللفظي انما نقول بذلك من ناحية التوثيق الاصطلاحي في كتب

التاريخ ومصادر الحديث والاصول، وهنا يأخذ طابع التأصيل التاريخي للمصطلح دوره ونعزز ذلك بما ورد:(قال رجل يوم صفين[٢١]: اللهم العن اهل الشام، فقال له علي: لا تسب اهل الشام فان بها الابدال)[٢٢] ،مع الاخذ بنظر الاعتبار أن مصادر التاريخ المتقدمة [٢٣] ، والانساب[٢٤]، والطبقات[٢٥]، لا تورد له ذكر في الاستخدام والدلالة.

ووثق زيد بن صوحان في نقل الحديث النبوي الشريف [٢٦] وقد عد من أصحاب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) [٢٧]، وخواص علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومن شيعته[٢٨] ،وعده بعض المؤرخين من خطباء عبد القيس المشهورين مع اخوانه [٢٩] .

مولده و نشأته:

لم تبد مصادر الأصول من السير والأنساب أية إشارة للسنة التي ولد فيها زيد بن صوحان أو مكان ولادته ،ولا يمكن تحديد سنة ولادة لزيد لما عرف به العرب قبل الإسلام من تحديد تأريخهم وأيامهم بحوادث الدهر، وندعم صحة هذا الرأي ، بما أوردته المصادر الاسلامية في حديثها عن تاريخ العرب قبل الإسلام وكيف كان العرب يؤرخون أيامهم ،ونستشهد بهذا النص:(...، كانت بنو إسماعيل بن إبراهيم يؤرخون من بنيان الكعبة، فلم يزل كذلك حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته)[٣٠] .

ثم أن مصادر التراجم والتاريخ الإسلامية لم تذكر شيئاً عن نشأته أو أي من إخوانه بل أكتفت بالقول أنهم، من سادة قبيلة عبد القيس[٣١] ،ويمكن التوصل إلى استنتاج مفاده أن زيد وإخوانه ،نشأوا وتربوا كما كان يتربى وينشأ أبناء السادة من القبائل العربية قبل الإسلام وبعده من أتمام الفصاحة والعادات العربية الأصيلة الموغلة في العراقة والقدم، ويمكن تعزيز هذا الرأي من خلال النظر إلى سيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف كانت تربيته قبل أن يصبح نبي هذه الأمة عندما أرسله جده إلى البادية لينشأ قوي البنية فصيح اللسان ويشب على عادات العرب وقيمهم[٣٢].

أسرته :

وورد أول ذكر لأبيه صوحان العبدي على لسان السيدة عائشة :"أن صوحان العبدي كان رأساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام " [٣٣] وهذه المقولة تبين منزلة صوحان العبدي

قبل الإسلام أولاً وفي الإسلام ثانياً ،هذا من جانب ومن الجانب أخر ،يمكننا من الخوض في استنتاج مفاده ، أن صوحان العبدي ربما يكون أحد الذين قدموا على رسول (ﷺ) في أحد وفود عبد القيس على الرغم من انه لم يرد له ذكر في أي منها [٣٤] ، أما بالنسبة لوالدته و زوجته فلم يرد لهما أي ذكر في أي من المصادر المختصة من كتب الطبقات أو الانساب والسير، وغيرها من مصادر التاريخ المتيسرة.

أما أخوانه و أول الذكر لسيحان [٣٥] ،وهناك اختلاف على ورود أسمه ، إذ ذكره بعضهم بتسميات عدة من النسابة والمؤرخين ومنها أن اسمه (شيخان وهو الخطيب قبل صعصعة) [٣٦] ، وأشاد به المؤرخين على انه من جملة :"خطباء قبيلة عبد القيس مع أخيه صعصعة ، وشيخان بن صوحان،" [٣٧] . ويبدو أن الاستمرار بالاختلاف يأخذ مجراه في الورود، وعلى هذا النحو "... ، وابن أم سرحان" [٣٨] .

ومصادر التاريخ الاسلامي تطالعنا بعدة أختلاف جديد ،وأبرزها في عدد الاخوه أولاً وأختلافات في التسميه ثانياً ، ويفيد أبن الكلبي بالذكر في اشهر كتبه (نسب معد واليمن الكبير)، إذ ذكر بنو صوحان:(سعد وصعصعة وزيد وسيحان) [٣٩] ،اما في كتابه الثاني (جمهرة النسب) وفي معرض حديثه حول جمهرة نسب عبد القيس ذكر(شيخان وصعصعة وزيد) [٤٠] ،وهذا الاختلاف يمكن النظر اليه ومعالجته ، بترجيح أن (سعد) ربما يكون أخاهم غير الشقيق أو خامل الذكر في مسيرة الاحداث، لذا حذف في المره الثانيه عند الحديث عن بني صوحان، واذا عدنا الى الذهبي عند ذكره لسيحان بن صوحان والطريقة التي ذكرها به "ولهما اخ اسمه سيحان لايكاد يعرف"[٤١] ،وربما يكون المقصود به (سعد)، وقد أنفرد الشيباني بذكر ربيعة بن صوحان بمعرض حديثة عن استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٤٢]،وبذلك أضاف أشكالاَ جديداَ في معرفة عدد الأخوة ،وربما أنه أحد الأخوة من جهة الأب.

أما المسعودي فأنه يضع بين أيدنا ،ما يضاف إلى جملة الاختلافات، اذ يذكر المحادثة الجارية بين عقيل بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ومعاويه بي أبي سفيان ،اذ طلب اليه الاخير وصف أل صوحان ،وجاء وصف عقيل (رضي الله عنه) كانه عقد جمان بقوله:(...،اما زيد وعبد

الله فأنهما نهران جاريان، يصب فيهما الخلجان ،ويغاث بهما البلدان، رجلا جد لا لعب معه ، وبنو صوحان) [٤٣] .

وعند محاوله تحليل ما ذكره المسعودي ،فلا بد من العودة إلى كنى زيد بن صوحان وكانت أحدى كناه أبا عبد الله [٤٤]، ومن الممكن القول أنه لربما أعيد ذكر زيد في كنيته٠وهذا خطأ الناسخ ،أو قد تكون كنيه سيحان أبا عبد الله وذكر في كنيته لا في أسمه وعلى الأ رجح أن عبد الله أحد الأخوة و ذكره المسعودي منفرداً ،أما عن ما ورد من اختلافات في تسميه سيحان [٤٥] ،أو شيخان[٤٦] ،أو سرحان [٤٧].

ويمكن تعليل جميع هذه الاختلافات معتمدين على ما أوردته المراجع الحديثة ،ليس فقط في تعليل هذا الاختلاف بل والاختلافات السابقة واللاحقة ويمكن القول بما مفاده ،أن من أسباب الخطأ في التاريخ :

- غياب الأخبار ألهامه عن المؤرخين .
- الاعتماد على الوراقين والرواة دون التحقيق من مدى صحة ما أوردوا.
- تكلف الكتابة في التاريخ من لم يكن من أهله ومن أهل الوعي والخبرة[٤٨] .

ويمكن إضافة سبب أخر هو أن بعض الوراقين أو النساخين عندما يقعون في الخطأ يتثاقلون من أعادة الكتابة، لكون أساليب النسخ غير متطورة كما هو حال اليوم.

اسلام زيد بن صوحان :

فقد أسلم على عهد الرسول الله (ﷺ)، وقد عد في أغلب المصادر أنه من الصحابة، إذ نقل في حقه ما ذكره الهروي:" ...، قيل أدرك النبي (ﷺ) وصحبه "[٤٩] ، وقد أضاف أبن عبد البر :" ...، هكذا قال لا اعلم له صحبة ،ولكن فيمن أدرك النبي بسنه "[٥٠]، و ربما أراد بن عبد البر تضعيف الرأي القائل أن زيداً من الصحابة.

ولابد من الاستشهاد بمجموعة من الآراء للقضاء على ما أدخل من شك بان زيداً ليس من الصحابة ،إذ أورد ابن عساكر:"...، وله وفاده على النبي (ﷺ)"[٥١] ،وأضاف أبن الأثير:"...، بما يفيد زيد بن صوحان من الصحابة معتمداً في ذلك على ابن الكلبي وكان قد أدرك النبي (ﷺ) وصحبة " [٥٢] .

وندعم هذا الرأي في مصادر أخرى لها وجهة متشابه ترى زيداً من الصحابة، ونأتي على ذكر الذي تحدث به الذهبي:(وذكر بعضهم أنه وفد على رسول الله (ﷺ)[٥٣] ، وعند ما قال ذكر بعضهم ، ربما يعني بها بعض رواة الحديث النبوي الشريف، أما بن حجر فأنه أفاد "... ،أن زيد بن صوحان أدرك النبي وصحبة "[٥٤] .

وورد أن الرسول الكريم (ﷺ) ذكره ،وكما جاء فيه:"...، كان رسول الله (ﷺ)، في سفر فنزل رجل ، من القوم فساق بهم ورجز ، ثم نزل أخر ،ثم بدا لرسول الله(ﷺ) ، ان يواسي اصحابه فنزل وجعل، يقول : جندب وما جندب[٥٥] ،والاقطع الخير زيد، ثم ركب ، فدنا منه اصحابه وقالوا يا رسول: الله سمعناك الليلة تقول : جندب وما جندب والا قطع الخير زيد، فقال: رجلان يكونان في هذه الامه يضرب أحدهما ضربه تفرق بين الحق والباطل ،والاخر تقطع يده في سبيل الله ثم يتبع الله اخر جسده بأوله"[٥٦] ،من الملاحظ في هذه الرواية ذكر صفة الاقطع الخير زيد ،ويمكن عدها أول صفة لزيد وصفه بها رسول الله (ﷺ).

بدايات ظهوره السياسي :-

وعند مواصلة البحث لمعرفة في أي المعارك قطعت يد زيد بن صوحان لوجدنا جملة من الاختلافات وإذا تتبعنا هذه الاختلافات وفق التسلسل الزمني للمعارك التي أشير اليها من خلال المصادر المتوفرة، أذ ورد أن يده اليسرى قطعت في حروب الردة[٥٧]، وهذا اول الذكر.

أما ابن بن سعد فذكر أن يده قطعت في معركة القادسية [٥٨] أما ابن الأثير فقد اشار إلى أن يد زيد بن صوحان قطعت يوم اليرموك[٥٩] ، ويتبين من المصادر أن يده قطعت في فتوح العراق، زمن الخليفة الثاني[٦٠] .

وذكر أن يده قطعت في جهاد المشركين ،وتركت الامر دون تعيين وإذا نظرنا إلى المصادر المتفقه أن يده قطعت في فتوح العراق نجد اختلافاً في أي المعارك قطعت يده؟، وإذا أمعنا التحقق في مسيرة الاحداث بعد الرسول الله (ﷺ) نرى أن أقرب الحروب ضد المشركين كانت حروب الرده ،ومن خلال المتقدم يمكن القول بترجيح ما قال به الطوسي "...،أن

يده اليسرى قطعت في حروب الرده "[٦١]، وهذا يعود بنا الى الحديث المذكور اعلاه للرسول(ﷺ) .

بعد أن قبض رسول الله(ﷺ) بويع أبي بكر(رضي الله عنه) خليفة للمسلمين[٦٢]، واجهت الدولة الناشئة مشكلة داخلية ألا وهي حركات وحروب الردة، إذ بدأ البعض بالارتداد عن الإسلام قبيل وفاة الرسول الكريم (ﷺ).

لذا وجب على الخليفة إعداد الجيوش لمواجهة الردة عن الإسلام[٦٣]، وفي خضم الأحداث برزت أسرة آل صوحان على مسرح الأحداث السياسية وبالذات في عمان[٦٤]، وأن الهزيمة أحاطت بجيش المسلمين لولا وصول النجدة العسكرية وعليها أمير للجيش سيحان بن صوحان، وتحقق الظفر للمسلمين[٦٥]، وبهذا شهد عهد أبي بكر(رضي الله عنه) البداية لظهور سيحان بن صوحان، قائداً عسكرياً أثناء تلك الحروب ومن خلال هذا الظهور، نستطيع ترجيح مشاركة أخيه زيد و أما تحت قيادته أو في أماكن أخرى شهدت القتال.

ومما يعزز هذا الرأي ويدعم مشاركتهم، ويمكن الاعتماد على ما ذكره الطوسي: "...، إذ أورد أن زيد بن صوحان قطعت يده اليسرى في حرب اليمامة "[٦٦] وهي من معاقل الردة عن الاسلام ، وبالطبع فأنها اشارة واضحة إلى مشاركته في تلك الحروب في مكان آخر غير الذي كان فيه أخيه سيحان وهذا هو المرجح إذ من خلال ما ذكره الطوسي فأنه قد شارك في حرب إعادة اليمامة إلى حضيرة الدولة الإسلامية.

أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واظهار منزلة زيد بن صوحان واعظام الخليفة لقدره ،فقد ذكر: (أن وفد الكوفة قدموا على عمر بن الخطاب وفيهم زيد بن صوحان، فجاء رجل من أهل الشام يستمدّ فقال: يا أهل الكوفة إنّكم كنزُ أهل الإسلام، أن استمدّكم أهل البصرة أمددتموهم وإن استمدّكم أهل الشام أمددتموهم. وجعل عمر يرحل لزيد وقال: يا أهل الكوفة هكذا اصنعوا بزيد وألا عذبتكم)[٦٧] .

وفي رواية ثانية:(دعا عمر بن الخطاب زيد بن صوحان فصفنه على الرحل كما تضفّنون أمراءكم ثم التفت إلى الناس، فقال: أصنعوا هذا بزيد و أصحاب زيد)[٦٨]، وفي رواية أبن عساكر،(...، كما تضفنون أمراءكم)[٦٩]، ولا يمكن القول سوى ما مدى المكانة

التي يتمتع بها زيد بن صوحان لدى الخليفة عمر بن الخطاب وإلى أي درجة وصلت من الحب والاحترام من لدن الخليفة لشخص زيد بن صوحان.

وتطالعنا بعض المصادر بما مفاده :أن غلاماً دخل دار زيد بن صوحان فضربته ناقة لزيد فقتلته، فعمد أولياء الغلام فعقورها، فأبطل عمر بن الخطاب دم الغلام، واغرم والد الغلام ثمن الناقة [٧٠].

وعند تحليل هذه الحادثة نستطيع القول أن أجراء الخليفة صحيح بحق ذوي الغلام إذ عد عقر الناقة اعتداء على زيد بن صوحان، فقام الخليفة بإنصافه منه. أما قرار الخليفة فيمكن القول بصوابه استناداً على حديث الرسول محمد (ﷺ):(جرح العجماء جبارة)[٧١].

أثر زيد بن صوحان في المعارضة لخلافة عثمان بن عفان :

ما أن تولى عثمان بن عفان(رضي الله عنه) الخلافة حتى شرع باتخاذ سياسات عبر فيها عن مخالفته سلفه في كل شيء[٧٢]،وشرع بتولية بني امية شؤون الدولة الاسلامية ،فقد ولى على الكوفة الوليد بن عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، فلما دخل الكوفة قال له سعد: يا أبا وهب، أأمير أم زائر؟ قال لا بل أمير، فقال سعد ما ادري أحمقت بعدك؟ قال: ما حمقت بعدي ولا كست بعدك، ولكن القوم ملكوا فاستأثروا، فقال سعد: ما أراك إلا صادقاً [٧٣].

ومن خلال المدة التي قضاه الوليد والياً على الكوفة أرتكب المعاصي وأساء السيرة، وأرتكب أشنع الأعمال وأفظعها [٧٤]،واعتماداً على بن أعثم الكوفي والمسعودي فأن وجوه أهل الكوفة تقدموا بالشكوى ضد الوليد للخليفة عثمان وعزل من ولاية الكوفة شهد على الوليد بن عقبة آخرين من أهل الكوفة بسوء السيرة[٧٥]، وربما يكون زيد بن صوحان أحد هؤلاء الشهود.

ونتيجة سوء إدارة الوليد بن عقبة وإقامة البينة عليه أمر الخليفة بعزله وتوليه سعيد بن العاص مكانه. وقد وصف ألمقدسي سعيد بن العاص بقوله:(فلما شكاه الناس عزله واستعمل عليهم شراً منه سعيد بن العاص)[٧٦].

وبعد توليه سعيد بن العاص الكوفة، أخذت وتيرة الأحداث بالتصاعد، نتيجة سوء أفعال سعيد بن العاص وعلى وفق ما ترويه المصادر ومفاده: لما عزل عثمان بن عفان(ﷺ) الوليد بن عقبة عن الكوفة ولاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم، فيجمع عنده منهم: مالك بن الحارث الاشتر وزيد وصعصعة أبنا صوحان العبديان و زهير وجندب بن زهير و بن كعب بن عبيد ألنهدي وآخرون، فأنهم لعنده وقد صلوا العصر إذ تذاكروا السواد والجبل ففضلوا السواد وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسان بن محدوج بن بشر بن حوط بن سعنه الذهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك، فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب الشرطة: لو وددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه، فقال له الاشتر: تَمَنّ للأمير أفضل منه ولا تتمنى له أموالنا، فقال عبد الرحمن: ما يضرك من تمني حتى تزوي ما بين عينك؟ فو الله لو شاء كان له، فقال الاشتر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه، فغضب سعيد وقال: إنما السواد بستان لقريش، فقال الاشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ منه ووثب بأن خنيس فأخذته الأيدي(٧٧).

وعند تأمل هذه الحادثة بين سعيد ووجوه الكوفة من القراء والأشراف فيها، سنلاحظ تصاعد وتيرة الأحداث فكان لزاماً على سعيد بن العاص أن يتحرك لغرض فرض سيطرته على الكوفة هذا أولاً، أما ثانياً فقد علم سعيد أن هؤلاء القوم هم من كان وراء عزل الوليد بن عقبة وهم سادة المصر وأصحاب النفوذ فيه وهم أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية (٧٨).

وتأكدت مخاوف سعيد بن العاص فقد قام بتحرك في سبيل فرض سيطرته على المصر، ويمكن الترجيح أن تحرك سعيد اتخذ مسارين ، المسار الأول أنه قد خاطب الخليفة عثمان بكتاب، وهذا الكتاب يعكس استشعاره الخطر من هؤلاء القوم ونصه:(فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إني لا أملك من الكوفة مع الاشتر وأصحابه الذين يدعون القراء، وهم السفهاء، ولا أملك معهم شيئاً)(٧٩).

أما التحرك الثاني الذي أقدم عليه سعيد واستخدم فيه الحيلة وهو المرجح، إذ أنه حرك أنصاره والراغبين في ولايته على الكوفة، بعد الذي حصل بينه وبين القوم فخرج سعيد إلى الناس، فقال أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية، ثم قعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا في حديثهم، وتراجعوا فساءهم وردهّم، وأفاق الرجلان، فقال: أبكما حياة؟ قالا قتلتنا غاشيتك، قال لا يغشوني والله أبدا، فاحفظا علي ألسنتكما ولا تجرّنا علي الناس. ففعلا، ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم واقبلوا على الإذاعة حتىّ لامه أهل الكوفة في أمرهم، فقال: هذا أميركم قد نهاني أن أحرك شيئاً فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه. فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم(٨٠).

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين: فيها تكلم جماعة بأن عثمان ولي جماعة من أهل بيته لا يصلحون للولاية، فكتب سعيد بن العاص والي الكوفة إليه بذلك(٨١)، تم نفي هؤلاء الجماعة إلى الشام وهم :(مالك الاشتر وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن زهير وعمرو بن الحمق وآخرون)(٨٢).

وبعد أن أمر الخليفة بنفي هؤلاء الرهط إلى الشام، ظهرت على السطح بوادر الصراع المباشر بين الوالي ومعارضيه في إبعاده وجوه وقراء الكوفة ،فهم بدورهم كتبوا إلى الخليفة كتاب وهم جماعة من القراء، بينوا فيه: أن سعيد أكثر على القوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع(٨٣).

ومن المتقدم أمر الخليفة بنفي هؤلاء القوم إلى الشام، والملاحظ أن مصادر الأصول تختلف في أيراد أمر الخليفة لسعيد بن العاص في شأن هؤلاء القوم، إذ أوردت بعض المصادر "...، أن الخليفة كتب إلى سعيد بن العاص أن سيرهم إلى الشام "(٨٤)، وبعد أن أصدر الخليفة أمره بنفي هؤلاء القوم إلى الشام، كان لا بد له من أعلام عامله هنالك ليستعد للتعامل مع هؤلاء القوم، وكتب إليه :(إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فإن أنست منهم رشداً فاقبل منهم، وإن أعيوك فأرددهم عليهم)(٨٥).ونستطيع القول، من خلال مجريات الأحداث تم نفي القوم إلى الشام بأمر من الخليفة وبتدبير ومشورة من سعيد بن العاص.

وقبل الدخول في تفاصيل ما جرى في الشام بين معاوية بن أبي سفيان ورهط الكوفة لا بد من الإشارة إلى هذه الحادثة التي هي بين زيد بن صوحان والخليفة، ومفادها: كان الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) يخطب في المدينة بعد غليان الموقف فيها وفي باقي الأمصار وبعد انتهائه من خطبته، فقام إليه زيد بن صوحان وقال: يا أمير المؤمنين، ملت فمالت، أمتك، اعتدل يعتدلون، قال: أسامع مطيع أنت، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له: الحق بالشام فطلق امرأته ولحق حيث أمر (٨٦).

وقد أورده المسعودي ما مفاده: ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوه عزله عنهم: فمكث الاشتر وأصحابه أياماً لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء، وامتدت أيامهم في المدينة(٨٧).

وربما كانت هذه الوفادة من رهط الكوفة على الخليفة عثمان بعد أن أصدر قراراً بنفيهم إلى الشام وكانت هذه الوفادة محاولة منهم لثنيه عن قراره ولكن الخليفة كره أن يعزل سعيد. وأنفذ الخليفة ما يراه مناسباً، وإن المحادثة التي جرت بينه وبين زيد بن صوحان كانت جزء من الوفادة على ما يبدو.

والمهم من مسيرة الأحداث أن القوم سيروا إلى الشام منفيين، فلما قدموا على معاوية رحب بهم و أنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم في العراق وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم، فقال: لهم يوماً: أنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم و حويتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً، وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم، إن أئمتكم لكم اليوم جُنةّ فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويتحملون منكم المؤونة، والله لتنتهنّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمد كم على صبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم(٨٨).

ويبدو أن معاوية من خلال حسن استقباله القوم واستخدام أسلوب المصانعة والحيلة في معاملته معهم ،إلى أن أدرك اللحظة المناسبة التي قدرها وحاول الظهور بمظهر الوالي الكيس المقدر لعواقب الأمور وقد حاول خداع القوم في طريقة كلامه وإظهار نفسه

الناصح المرشد، وهذا جيد ولا غبار عليه، ولكن معاوية أرتكب خطأ فادح في كشف نواياه للقوم عندما تفاخر بقريش وفضلها على العرب، ولكن حقيقة الأمر أنه لا فضل لأحد من قريش على العرب سوى رجل واحد منها ألا وهو محمد (ﷺ) ، وإذا كان ثمة فضل لأحد غير الرسول الكريم والأب الروحي لهذه الأمة، فأنه لرجل عرف الإسلام حق معرفته واتقى الله وعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) .

فقال له زيد بن صوحان: ما هذا؟ إن الذين اشخصونا إليك من بلادنا لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا ذلك فإن كنا ظالمين فنستغفر الله ونتوب إليه، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية، فقال معاوية: أني لا حسبك أمرئ صالحاً فأن شئت أذنت لك أن تأت مصرك، وكتبت إلى أمير المؤمنين أعلمه إذني لك.

فقال: أخشى أن تأذن لي وتكتب إلى سعيد. فلما أرادوا الشخوص كلمة في الاشتر وعمر بن زرارة فأخرجهما، فأقاموا لا يرون أمراً يكرهونه. وبلغ معاوية أن قوماً يأتونهم فأشخصهم إلى حمص، فكانوا بها حتى اعتزم أهل الكوفة على اخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا [٨٩].

وفي رواية ثانية لها بعض الشبه بالذي ذكر سابقاً ونصها:(...، فجرى بين معاوية بن أبي سفيان وزيد بن صوحان كلام فقال زيد بن صوحان أن كنا ظالمين فنحن نتوب إلى الله وأن كنا مظلومين فنحن نسأل الله العافية، فقال معاوية: يا زيد أنك امرئ صدق وأذن له بالرجوع إلى الكوفة وكتب إلى سعيد يوصيه به لما رأى من فضله وهديه وقصده وأمر بإحسان جواره وكف الأذى عنه)[٩٠]. ومازال الحديث حول زيد بن صوحان، إذ أوردت بعض المصادر هذه المحادثة الجارية في أحد الأيام بين زيد بن صوحان ومعاوية بن أبي سفيان وليس هذا فحسب بل ذكرت عدد المنفيين من الكوفة مع زيد بن صوحان ومفادها : فأخرج منهم عن المدينة سبعة عشر نفساً منهم القوم الذين سميناهم ومنهم وعلى ما ذكر صعصعة وزيد ابنا صوحان العبديان وآخرين فكان معاوية يقربهم ويدنيهم ويحضرهم طعامه ويكثر أذكارهم بالله ويخوفهم شق العصا والفتك بإمام الأمة وتعظيم حرمة الإمامة ووجوب لزوم الجماعة إلى أن قال له زيد بن صوحان يوماً كم تكثر علينا بالأمر وبقريش فو الله مازالت العرب تأكل من قوائم

سيوفها وقريش تأكل من متاجرها، فقال له معاوية: اسكت لا أم لك أذكرك بالإسلام وتذكرني بالجاهلية قبح الله من أكثر على أمير المؤمنين[٩١].

ويبدو أن هذه الأحداث جرت بين معاوية بن أبي سفيان وزيد بن صوحان، ونستطيع ترجيح، يتبين من خلال الروايات التي نقلت في المصادر، أنها نقلت أحداث ابتداءً من الكوفة وصولاً إلى الشام هذا من جهة، ومن الجهة الثانية أنها أوضحت دور سعيد بن العاص في تأجيج الموقف في الكوفة على ضوء ما هو مبين بعد إن أدرك أن رهط الكوفة هذا كان وراء عزل الوليد بن عقبة، فكان سعيد يخشى على مصيره من تكرار هذا معه، فما كان منه إلا أن نقل الأحداث بعيداً عن ساحته السياسية في الكوفة وترك الأمر للخليفة ليختار ما هو بديلاً عنها لتكون ساحة للصراع، وقد أختار الخليفة الشام، وفي الشام كان هنالك معاوية الذي استخدم أساليب عدة منها اللين والشدة، وفي اغلب الأحيان يلجأ إلى الشدة في غير موضعها، وبعد فشل أسلوب المخادعة اتخذ معاوية أسلوب الحيلة والمصانعة كما فعل مع زيد بن صوحان محاولاً شق وحدة الرهط ، لأنه سبق وأقدم على حبس مالك الاشتر وعمر بن زرارة، وبذلك يحاول إن يدخل الشك بينهم لكونهم يداً واحدة[٩٢].

ولا بد من تسليط الضوء على مداخلة مهمة حول طبيعة الأحداث السياسية التي تحمل في ثناياها نقاط عدة أساسية لا يمكن تجاهلها ومنها:

أن الكوفة ومن خلال مجريات الأحداث ابتداءً من تولية الوليد بن عقبة وعزل سعد بن أبي وقاص، وما تكلم به الوليد مع سعد لخص الوضع السياسي بعد عهد عمر بن الخطاب (ﷺ) بجملة واحدة نطق بها الوليد(ولكن القوم ملكوا فاستأثروا)[٩٣]. وجملة الوليد هذه جعلت منه والياً مستهتراً لا يأبه للرعية في إعماله وأفعاله مما حفز أهل الكوفة للتصدي له وعزله[٩٤]. وقد جاء خلفه أموياً أيضاً وعند التأمل بجملة الوليد ومن جاء خلفه تجد فيها الشيء الكثير من الصحة. وكذلك نستطيع القول، أن عزل الوليد من الكوفة واستجابة الخليفة لهم واستبداله بمن هو أسوء منه شجع أهل الكوفة على الاستمرار بالمطالبة بالوالي الذي يرغبون به وبهذا مهدت لأن تكون الكوفة أول الأمصار الثائرة والمطالبة بالإصلاح الجوهري في سياسة الخليفة.

من محاولة تغيير الوضع السياسي. وربما ما كان يحدث في المدينة المنورة والكوفة من أحداث سياسية وتدخل الصحابة المستمر واعتراضاتهم على الخليفة وسياساته وجد له صدى في باقي الأمصار، وتأخذ عملية نقل الأخبار بين الأمصار طابع المبالغة والتهويل لذا كانت عاملاً مساعداً ومؤججاً للثورة.

أما أهل الكوفة فكان لابد لهم من التصرف تجاه ما لحقهم من ظلم سعيد بن العاص "فتدخل قوم من الكوفة وتقدموا إلى الخليفة وكاتبوه على تسيير الأشتر وأصحابه إلى الشام ،ثم شكوا عاملهم سعيد بن العاص، وجاء أقوام آخرون من البصرة فشكوا عاملهم ، وكثرت الشكايا إلى عثمان من عماله من جميع البلاد، وجاءت تلك الوفود في السنة التي حج بها الخليفة، وبعد قدومه المدينة، اجتمعت عنده وفود الأمصار [٩٥].

من المتقدم يتبين أن إرجاع رهط الكوفة من الشام، جاء نتيجة رغبة معاوية بن أبي سفيان وعدم تحمله الحق هذا أولاً ،وثانياً نتيجة الضغط الشعبي الذي مارسه أهل الكوفة في معاتبتهم الخليفة وشكايتهم سعيد بن العاص وباقي أهل الأمصار وشكايتها على كل عمال الخليفة. والنتيجة النهائية تم إرجاع رهط الكوفة إلى مصرهم، لكون الظرف السياسي حتم ذلك ومحاولة من الخليفة لامتصاص ما قد ينجم من غضب شعبي وفوضى لا تحمد عقباها. ومن خلال مسيرة الأحداث نستطيع ترجيح إن هذا كان النفي الأول لرهط الكوفة لبلاد الشام.

أما ما تم ذكره في المصادر من عملية نفي ثانية فلابد من إيراد تفاصيله ،فرجعوا إلى الكوفة، فضج أهل الكوفة منهم فسيروا إلى حمص، ومن القوم مالك بن الحارث الاشتر وكميل بن زياد وزيد وصعصعة أبنا صوحان وجندب بن زهير وعمرو بن الحمق[٩٦].

وقد حاول محمد علي الصلابي أثبات عملية النفي الثانية معتمدة على الطبري في كل تفاصيل ما أوردته ويمكن الاتفاق معها في هذا الجانب ونورد نصه :(وكتب عثمان إلى سعيد بن العاص فردهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، واستدعاهم وكلمهم كلاماً شديداً، وكان مما قاله لهم: يا آله الشيطان!

لا مرحباً بكم، ولا أهلاً لقد رجع الشيطان محسوراً خائباً، وأنتم ما زلتم نشطين في الباطل! خَسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم، ويخزكم، يا معشر من لا أدري من أنتم، أعرب أم عجم لن تقولوا لي كما تقولون لسعيد ومعاوية، أنا بن خالد بن الوليد، أنا أبن من قد عجمْته العاجمات، أنا ابن فأقيء الردة والله لاذلنكم، وإقامهم عبد الرحمن بن خالد عنده شهراً كاملاً، وعاملهم بمنتهى الحزم والشدة، ولم يّلن معهم كما لان سعيد ومعاوية، وكان إذا مشى مشوا معه، وإذا ركب ركبوا معه، وإذا غزا غزوا، معه وكان لا يدع مناسبة إلا و يذلهم فيها. وكان إذا قابل زعيمهم (صعصعة بن صوحان) يقول له: يا ابن الخطيئة، هل تعلم أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، وأن من لم يصلحه اللين أصلحته الشدة، وكان يقول لهم: لماذا لا تردون علي كما كنتم تردون على سعيد في الكوفة وعلى معاوية في الشام؟ لماذا لا تخاطبوني كما كنتم تخاطبونهما؟ ...)[٩٧]، ومن الملاحظ أن الصلابي أحدث تغييراً في النص و أجرى له عملية اقتباس بما ينسجم مع ما أراد القول به.

ونكمل النص من الطبري مع ملاحظة التغيير بين كلا النصيين:(...، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة الهوى، فأقامهم أشهراً كلما ركب أمشاهم، فإذا مر به﴿ صعصعة ﴾ قال: يا أبن الخطيئة، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر!، مالك لا تقول لي كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية! فيقول ويقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله! فما زالوا حتى قال: تاب الله عليكم.

وسرح الأشتر إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فأخرجوا وأن شئتم فأقيموا. وخرج الأشتر، فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوح عنه وعن أصحابه: فقال عثمان سلمكم الله وقدم سعيد بن العاص، فقال: عثمان للأشتر أحلل حيث شئت، فقال: مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؟ وذكر فضله، فقال: ذاك إليكم فرجع إلى عبد الرحمن[٩٨].

ومن الملاحظ أن الصلابي اختلف مع الطبري في إيراد مقدمة ما تكلم به القوم، وذلك أنه قام بعملية دمج بين روايتين أوردهما الطبري، وخرج برواية واحدة وما تم ذكره من

المتقدم الرواية الأولى ولكنه حذف مقدمتها واحل محلها ما ذكره الطبري في الرواية الثانية التي أوردها الطبري ومفادها: فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [٩٩]. وهذا ما ذكره أبن الأثير أيضاً[١٠٠].

ومن الملاحظ أن الصلابي أهمل ما أورد أول الأمر في الرواية الأولى ووضع مكانه ما جاء في الرواية الثانية وأكمل التفاصيل من إضافاته[١٠١]. والطبري يروى أكثر من رواية في سياق الحدث الواحد، دون انتظام ودون مراعاة التسلسل الزمني للروايات أيهما حدثت أولاً وبذلك يدخل القارئ والباحث في دوامه الحدث.

ودخلت الأحداث في صراع مع عامل الزمن والثائرون يرون أنه لابد من تحرك يضمن لهم حقهم فكان أول تلك الأحداث جرى في الكوفة، أن كاتب أهل الكوفة الثوار المنفيين في حمص وكان أول الواصلين مالك الأشتر، وشرع باتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة وكان أول تلك الأعمال أن رد أهل الكوفة سعيد بن العاص وتوليه أبي موسى الأشعري والياً عليهم، وقد كان سعيد عند الخليفة عثمان (ﷺ)، وقد وافق الخليفة على ما اختاره أهل الكوفة[١٠٢].

وقد أوردت المصادر أن وفود الأمصار بدأت تتوجه نحو المدينة وقد ذكرت أن وفد الكوفة وفيهم زيد بن صوحان وهواهم مع الزبير، ووفد مصر وهواهم مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ووفد البصرة وهواهم مع طلحة [١٠٣].

وهناك نجد إن المصادر قد وقعت في خطأ جسيم، وربما فيما أوردته من رغبة كل وفد فيمن سيصبح خليفة بعد مقتل عثمان أو خلعه، ونستطيع القول أن هذه الوفود قصدت كبار الصحابة في سبيل الحصول على الغطاء الشرعي لقتل الخليفة أو خلعه لكون هؤلاء الصحابة من قريش من الذين أثروا في قرارات الخليفة، المهم أنهم رغبوا في تأييد شرعي لحركتهم الثورية هذا على اعتبار أن هذه أول حركة في الإسلام تقوم بغطاء مسلح لخلع الخليفة أو قتله لذا كانت الحاجة لتأييد كبار الصحابة وأهل المدينة لتلك الحركة حتى لا يقال قتل الخليفة مظلوماً.

وقد أوردت بعض المصادر عن نية رهط الكوفة بقتل الخليفة وسلطت الضوء على تلك الحادثة مستعينة بالمتيسر من الروايات والتي يمكن أن نورد مفادها: اجتمع بالكوفة نفر فيهم الأشتر وزيد و صعصعة أبنا صوحان وأبو زينب وكميل بن زياد وعمير بن ضابي وآخرون، فقالوا: لا والله لا يرفع رأس ما دام عثمان على الناس، فقال: عمير بن ضابئ وكميل بن زياد نحن نقتله فركبا إلى المدينة فأما عمير بن ضابي فأنه نكل عنه وأما كميل بن زياد فأنه جسر وثار وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان فوبأ عثمان وجهة فوقع على استه وقال أوجعتني يا أمير المؤمنين، قال أوليت بقائك قال: لا والله الذي لا إله إلا هو فحلف وقد اجتمع عليه الناس فقالوا: نفتشه يا أمير المؤمنين قال لا قد رزق الله العافية ولا اشتهي أن أطلع منه غير ما قال[١٠٤]، ومن خلال النص يتبين أن التهمة وجهت مباشرةً لرهط الكوفة في المشاركة بقتل الخليفة ولكن عند متابعة مسيرة الأحداث نجد واعتماداً على الطبري أن الخليفة فاوض الثائرين وعلى رأسهم رهط الكوفة بقيادة مالك الأشتر[١٠٥].

ونتيجة ضغط الأحداث والضغط النفسي الذي وقع على الثائرين متأثرين بالكتاب الذي وجد مع مبعوث مروان بن الحكم إلى والي مصر يأمره بقتل وفد مصر[١٠٦]. فكان لا بد من اتخاذ إجراء مباشر للتخلص من الخليفة الذي لم يف بأي التزام قطعة على نفسه[١٠٧].

وأن الذي قام بالعودة إلى المدينة وتولي عملية الحصار وقتل الخليفة بالدرجة الأولى هو وفد مصر، أما من يوجه التهمة إلى رهط الكوفة بالمشاركة بقتل الخليفة لا يتسنى له إثبات هذا على اعتبار أن هنالك بعض المصادر المستند عليها ذكرت مقوله زيد بن صوحان وهو على مشارف المدينة المنورة التي كشفت فيما بعد لسان حال المسلمين بعد هذه الفاجعة ونصها: (...، عن زيد بن صوحان، إنه كان متوجهاً إلى المدينة من مكة، فلقيه الخبر في الطريق: إن عثمان قد قتل وإن الناس قد بايعوا علياً (صلوات الله عليه)، فبكى فقيل له: يا أبا سلمان ما يبكيك عليه، فو الله ما كنت تحبه؟ فقال: ما عليه ابكي، ولكني أبكي لما وقعت فيه هذه الأمة، ...)[١٠٨].

وفي رواية ثانية (عن زيد بن صوحان: أنه يوم قتل عثمان(ﷺ): اليوم نقرت القلوب مناقرها، والذي نفسي بيده لا تأتلف حتى تقوم الساعة)[١٠٩].

ومن خلال المتقدم انتهت الثورة بمقتل الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) والتي يمكن اعتبارها الحرب الأهلية الأولى في الإسلام، ولابد في هذا الجانب من إيضاح رأي الأمام علي (عليه السلام) بما جرى ومقتل الخليفة، إذ نقل بإسناد محمد بن علي قال: (شهدت علياً وهو على سرير وعنده عمار بن ياسر وزيد وصعصعة أبنا صوحان فذكروا عثمان (ﷺ) قال: وعلي (عليه السلام) ينكث في الأرض بعود معه فقراً : انّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ[١١٠]، قال: نزلت في عثمان، فقلت: لم)[١١١]، قال: نزلت في عثمان، فقلت: لمحمد بن علي أروى هذا عنك، قال: نعم[١١٢] .

موقف زيد بن صوحان السياسي من خلافة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) :

وبعد أن تمت البيعة للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)خليفة للمسلمين ،يبدو أنه توصل إلى قناعه بشأن الاقتصاص من قتلة الخليفة عثمان، باشر الخليفة علي(عليه السلام) في إجرائه الأخير في المدينة ،ونادى: أيها الناس أخرجوا الأعراب فليلحقوا بمياههم، برئت الذمة من عبد لا يرجع إلى مولاه [١١٣]، ويتضح من الأجراء الأخير للإمام(عليه السلام) أنه أراد المحافظة على الهدوء في المدينة ومن ثم التوجه إلى الأمور الأخرى التي تتعلق بإدارة الدولة وشؤون الأمصار، وهذا ما تم فعلاً ،ثم بدء الإمام علي(عليه السلام) بتوليه عماله على الأمصار وعزل عمال عثمان عن الأمصار خلا أبي موسى الأشعري، الذي كلمه به الأشتر فأقره [١١٤] ،بقيت لديه مشكلة واحده من الضروري إيجاد الحل لها قبل أن تتفاقم إلا وهي مشكلة طلحة والزبير ومشكلة الشام ، والجانب الأول فيها ، طلحة والزبير ، ونستطيع القول في هذا الجانب ربما التمس أمير المؤمنين تغيراً من جانبيها ،وهنالك العديد من الروايات في هذا الباب[١١٥] ، والجانب الثاني منها والي الشام ، وأيضاً فيها الكثير من الروايات[١١٦]

وبدء يتجهز لحرب معاوية في الشام ،أما أهل المدينة فكان لا بد لهم من التثبت من أمرهم وأمر الخليفة ،ولقد دسوا إليه زياد بن حنظله التميمي، وكان من المقربين إليه، فدخل إليه وجلس ساعة، ثم قال له علي(عليه السلام) : يا زياد تسير ،قال : لأي شيء؟ قال

:لغزو الشام. قال زياد :الأناة والرفق أمثل .فخرج زياد على الناس وهم ينظرون ،فقالوا ،ما وراءك ،قال :السيف يا قوم .وكتب أمير المؤمنين إلى عماله على الأمصار يستنفرهم إلى الشام[١١٧]، وفي تلك الأثناء كان كلاً من طلحة و الزبير استأذنا الخليفة (عليه السلام) للعمرة [١١٨]، وعلى هذا الأساس نستطيع الترجيح إن الوضع السياسي أصبح ملبد بالغيوم .

وإن الصراع المرير قادم لا محالة، وسيما إذ ما علم موقف السيدة عائشة، ورفضها لخلافته(عليه السلام) وموقفها منه ،واتصال طلحة والزبير بها وإعلان القوم الخروج للمطالبة بدم الخليفة عثمان . وفي ظل هذا الوضع يمكن شرح موقف السيدة عائشة والطريقة التي خرجت بها من أخرجها ؟، من خلال ترجيح ، ما يمكن الاعتماد عليه من الروايات والآراء في ذلك، وللوصول إلى ما هو أقرب إلى الصحة في صياغة الحدث ، وأوردت المصادر: السيدة عائشة لما بلغها مقتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة وهي تقول : إيه ذا الإصبع لله أبوك أنهم وجدوا ظلمه لها كفواً . فلما انتهت خارج مكة أستقبلها عبيد بن أبي سلمى الليثي الذي يدعى أبن أم كلاب ،فسألته عن الخبر، فقال :قتل عثمان، قالت: نعم؟ ، قال خيراً ، حارت بهم الأمور خير محار بايعوا أبن عم نبيهم علي ،فقالت: فعلوها ؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه ،إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال :ولم ؟ ،والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكرهين سلطانه ! فلم ترجع إليه جواب وانصرفت إلى مكة [١١٩] .

أما خروجها فكان الذي غررها به طبيعة الأحداث ووقوعها تحت تأثير طلحة والزبير ،ويمكن أن ندلل على ذلك عندما نبحتها كلاب الحوأب، قالت: ردوني ،ردوني !،وأخذت الأحداث تتسارع إلى حد كبير ،وبدأ المعارضون لخلافة علي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،يعدون العدة للخروج ضده، وقد ذكر اليعقوبي: "...، فسارت مخالفة علي، ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم وقد قدم يعلى بن منبه بمال من مال اليمن قيل : أن مبلغه أربعمائة ألف دينار ، فأخذ منه طلحة والزبير، فاستعانا به وسارعوا إلى البصرة "[١٢٠] .

ومما يؤكد تصاعد وتيرة الأحداث بسرعة، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان منشغلاً يعد العدة لمقاتلة أهل الشام، و فبينما هو على ذلك ،إذ أتاه من مكة عن السيدة عائشة وطلحة والزبير يريدون البصرة للإصلاح ،فتعبأ للخروج نحوهم ،وخطب وندب الناس

،فتثاقلوا ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس عن علي (عليه السلام)، أنتدب وقال:(من تثاقل عنك يا أمير المؤمنين، فأنا نقاتل معك ونخف بين يديك ما حملت أيدينا سيوفنا ،وأن علياً (عليه السلام) تجهز في من معه تسعمائة رجل من التعبئة التي كان تعبأ بها إلى الشام ،حتى أنتهي إلى الربذة ، وقد فاتوه، فأقام هنالك يأتمر "[١٢١] .

أما مسيرة السيدة عائشة من مكة بمن معها إلى البصرة وقد أركبوها جملاً أسمه عسكر [١٢٢] ،وسارت صاحبة الجمل في طريقها إلى البصرة حتى وصلت إلى ماء يدعى الحوأب كثير الكلاب، فلما سمعت السيدة عائشة ذكر الحوأب ، قالت :أهذا ماء الحوأب ؟ قالوا : نعم فقالت: ردوني! ر دوني ! فسألوها ما شأنها ؟ كأني بكلاب ماء يدعي الحوأب ،قد نبحت على بعض نسائي ،قال لي: إياك يا حميراء أن تكونيها [١٢٣] . وهذه الرواية ذكرت في أغلب مصادر التاريخ الإسلامي مع بعض الاختلافات فيها ، والذي وقع فيه الاختلاف وبعد الذي حدث من أم المؤمنين (رضي الله عنها) ،فقال لها الزبير مهلاً يرحمك الله فأنا قد تجاوزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة وأتى لها كلاً من طلحه والزبير خمسين أعرابياً ، وقد جعلا لهم جعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس ماء الحوأب ، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام [١٢٣] ، وكان الاختلاف الواقع في هذه الحادثة ،من الذي أتي بشهود الزور أهما طلحة والزبير أو عبد الله بن الزبير؟

ومن المرجح أن الذي أتى بالشهود هو عبد الله بن الزبير ويمكن تعزيز هذا الترجيح من خلال موقفه الذي ،قام به ،إذ أوردت بعض المصادر درة فعله في أثناء المجادلة أكانت هذه ماء الحوأب أولاً ؟ ، وورد " ... ،وجاء عبد الله بن الزبير ،فقال :النجاء النجاء ، فقد أدركهم والله علي بن أبي طالب " [١٢٤] وهذه الحادثة أنما تعزز ما ذهب إليه من ترجيح أولاً وثانياً عبد الله من خلال هذا شغل القوم بأمرهم وأضاع على أم المؤمنين فرصة التأكد من ظنها ،وربما أن عبد الله التمس من أم المؤمنين رغبة جادة للتأكد من ظنها وإذا صدق فأنها تعود من حيث أنت ،ويمكن أطلاق برهان على صدق الترجيح واعتماداً على أبن طقطقا و ذكر :" ... ،ثم عزمت على الرجوع ، فقالوا لها إن الدليل كذب ولم يعرف الموضع ،وقالوا لها : إن تسيري من هذا الموضع وألا أدرككم علي بن أبي طالب فيه فهلكتم "[١٢٥] ، أذن وعلى ضوء المتقدم تم لعبد الله بن الزبير ما أراد .

وتمت السيطرة فيه لا أصحاب لجمل على البصرة سيطرة كاملة على البصرة تحت زعامة السيدة عائشة فما كان منهم أن ألا بدئواً تحركاً جديداً لحشد التعبئة والتأييد لما خرجوا من أجله إذ قامت بمكاتبة كل ذي شأن وتأثير ، وقد أوردت بعض المصادر تحركها هذا "...، فما كان من أم المؤمنين ألا أن كتبت إلى رجال بأسمائهم . فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم وأجلسوا في بيوتكم "[١٢٦] ، وهذا العمل الحاصل من قبل من سيطر على البصرة وتم اعتماده ، وعند المضي قدماً في تحليله سنلاحظ فيه عدة نقاط أساسية:-

- أولها ، اعطاء فكرة واضحة ما الذي كانت تحويه مكاتبات أم المؤمنين من مطلب أساسية وما الغرض منها .

- ثانيها ،طلبت إلى من كتب إليهم تثبيط الناس عن بيعة على بن أبي طالب خليفة المسلمين .

- ثالثها ،اعتزال الأحداث الجارية ويمكن تقديم برهان أوضح على ما اعتمدنا على ضوء المصادر المتوفر وما تقدمت به إذ أوردت كتاب السيدة المؤمنين إلى زيد بن صوحان ونصه :(لما قدمت عائشة إلى البصرة كتب إلى زيد بن صوحان ،من عائشة أبنه أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله (ﷺ) إلى أبنها زيد بن صوحان ، أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم ، فانصرنا على أمرنا هذا ، فأن لم تفعل فخذل الناس عن علي) [١٢٧] ، وإذا ما أردنا تكوين فكره واضحة عن فحوا كتاب أم المؤمنين (رضي الله عنها) إلى زيد بن صوحان سنجد أن الكتاب فيه مطالبة بالنصر والقدوم عليها إلى البصرة ومعنى هذا أن قدومه عليها في البصرة ، أنه لن يأتيها مفرداً بل سيأتي بالذي يأتمرون بأمره من عبد القيس في الكوفة ومن في البصرة سينضمون إليهم ، واعتماداً على ما وصفت المصادر زيد بن صوحان به أنه سيد من سادات عبد القيس مطاع فيهم[١٢٨] ،ويضاف إلى وصف زيد بن صوحان في أغلب المصادر، وأن من بين المتوفر منها ، قد وصف قبيلة عبد القيس عامه آنذاك بالتشيع ،ألا من شذ من منهم وهو صحار بن العباس العبد[١٢٩] في معرض حديثة عن سيرته [١٣٠] ، وإذا لم يستطيع تقدم النصرة لها والقدوم عليها فليخذل الناس عن بيعة علي في الكوفة . وكتب إليها زيد جواباً من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة

أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله (ﷺ) :أما بعد :(فأنا أبنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك ، وألا فأنا أول من نابذك) ، قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ! أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه) [١٣١] .

ومن الواضح في جواب زيد صوحان إنه قد حسم أمره في الوقوف إلى جنب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وطلب من أم المؤمنين التراجع عن موقفها وألا يكون على طرف النقيض معها ، ويضاف إلى هذا إنه كان من المناهضين لسياسة عثمان بن عفان، وأحد الثائرين والمطالبين بالإصلاح، وقد وصفته بعض المراجع بهذه الصفة بمعرض حديثه حول أوضاع الكوفة أيام الخليفة عثمان بذكره "...،وكان في طليعة هؤلاء المصلحين زيد و صعصعة ابنا صوحان "[١٣٢] ،من المتقدم إن زيداً و صعصعة أبنا صوحان وقد وصفوا في هذا الوصف، لكونهم التزموا جانب من يعتقدون انه الحق منذ البداية أذن وعلى الأرجح إنها كانت على معرفة بموقفه! وما الداعي لمكاتبته بهذا الأسلوب ؟ ربما إنها أرادت من تلك المحاولة معه عسى أن يتراجع عن مواقفه، أو ربما استشارت فيمن لهم معرفة بالكوفة والشخصيات المؤثرة فيها وأشير إليها به فكتبت إليه لضمه إلى جانبها وهذا على الأرجح .

وقد ذكر سلفاً إن الخليفة علي أقام في الربذة بعد إن فاته القوم إلى البصرة [١٣٣] ، ثم تحرك الى ذي قار، وقد ذكر أبو مخنف تحرك الإمام علي :فلما نزل أمير المؤمنين ذي قار بعث إلى الكوفة الحسن أبنه(عليه السلام) وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عباده ، ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة ،...)"[١٣٤] ،

ويبدو من المتقدم من كلام أبي مخنف ، أن بعث الأمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى الكوفة أمر لا غبار عليه وليس فيه شيء خلافاً للأحداث على اعتبار أنهما ضمن الجيش منذ بدايته انطلاقا من المدينة وصولاً إلى الربذة في ذي قار ، ومن ذي قار أرسلا مبعوثين إلى الكوفة ،أما زيد بن صوحان وعلى وفق ما سيأتي من أحداث أنه كان في الكوفة وقد ثار وألقى خطبه يحث الناس فيها على النهوض مع أمير المؤمنين لمقاتلة من شق عليه في أمره [١٣٥] ،وربما كان قدومه على أمير المؤمنين وعلى الأرجح قدومه الأول

عليه في ذي قار منفرداً ليعلن موقفه وتأييده له وهذا أولاً ، وثانياً ليطلعه على كتاب أم السيدة عائشة ورده عليها ،وعندما دخل من بعثهم أمير المؤمنين إلى الكوفة لم يدخل معهم بل جاء بعدهم وهم في المسجد يحثون الناس للنهوض إلى أمير المؤمنين وأحدث ما أحدث في المسجد من مساعده للقوم ،أما قيس بن سعد ، والذي أورد أبو مخنف إنه كان ضمن من بعثهم علي (عليه السلام) إلى الكوفة فهذا الأمر مستبعد لكون قيس بن سعد كان عامل الخليفة علي على مصر ولم يتم عزله عن مصر إلا بعد معركة صفين.

أما ما ذكره أبو مخنف ،فأن بعض المصادر المتأخرة نقلته على علاته دون مناقشة أو حتى حاولت إسقاط اسم قيس بن سعد ،والذي نحاول إسقاطه من الوفد الذي بعثه أمير المؤمنين مستعينين بالأدلة المتقدمة في المصادر .

وبعد وصول الأمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى الكوفة وافتراق زيد بن صوحان عنهم قبل دخول الكوفة ، وهذا المرجح ،أوردت أغلب المصادر اختلافاً في الذي جرى بين الأمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري وزيد بن صوحان ومن تدخل في المجادلة من بقيتة المؤمنين والمسلمين، ويمكن إبرازه على ضوء المصادر ،وكان أمير المؤمنين قد بعث الأمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر، فأقبلا حتى دخلاً المسجد وكان أول من تلقاهم المسروق بن الأجدع (عليه السلام) فسلم عليهما وأقبل على عمار بن ياسر ،فقال: يا أبا اليقضان علام قتلتم عثمان؟، فأجاب عمار بن ياسر: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا ،قال المسروق :فو الله ما عقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين ، فخرج أبو موسى فلقي الحسن (عليه السلام) فضمه إليه ،وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقضان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأحللت نفسك مع الفجار؟ فقال :لم أفعل ولم يسؤني ،فقطع الحسن (عليه السلام)عليهما الكلام وأقبل على أبي موسى الأشعري فقال له :تثبط الناس عنا ؟ فو الله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ،فقال :صدقت بأبي أنت وأمي ،ولكن المستشار مؤتمن ،سمعت رسول (عليه السلام) يقول:(أنها ستكون فتنه القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ،والماشي خير من الراكب)[١٣٥] ،وقد جعلنا الله أخواناً وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا ،فغضب عمار وسبه و قام ،وقال :(يا أيها الناس أنما قال له وحده :

أنت فيها قاعداً خير منك واقف) ،فقام رجل من بني تميم فسب عمار ،وقال له:(أنت أمس من الغوغاء ، واليوم تسافه أميرنا) [١٣٦]، وثار زيد بن صوحان وطبقته والناس معه ،وجعل أبو موسى يكفكف الناس ،وقد وقف زيد بن صوحان على باب المسجد ومعه كتاب إليه من أم المؤمنين عائشة تأمره ، فلما فرغ منها قال: (أمرت أن تقر في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنه فأمرتنا بما أمرت به وكبت ما أمرنا به) ، وتهاوى الناس ، وقام ،أبو موسى وحاول تثبيط الناس من جديد وطلب إليهم أن يكونوا جرثومة العرب يأوي إليهم المظلوم ، ويأمن بهم الخائف ، فقام إليه زيد فشال يده المقطوعة فقال:(يا عبد الله بن قيس رد الفرات على أدراجه أرددده من حيث يجيء ، حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد . فدع عنك ما لست مدركه ، يسيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، انفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق) . فقام القعقاع بن عمرو فقال: (أيها الناس إني لكم ناصح وعليكم شفيق ،ولأقولن لكم قولاً هو الحق ،إنه لا بد من إمارة تنظم الناس ،تردع الظلم ،تقر المظلوم ،وهذا علي ولي ما ولي ،وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا ، وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع) ثم تكلم سيحان بن صوحان وقال:(أيها الناس لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظلم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا وإليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينهم وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدين فمن نهض إليه فإنا سائرون معاً) [١٣٧].

ويبدو من خلال المتقدم أن الاختلاف مازال قائماً في مصادر الأصول في راوية ما يجري من أحداث داخل الكوفة ، ومحورها الربط بين موقف زيد بن صوحان وبعثة الأمام الحسن (عليه السلام) وموقف أبي موسى الأشعري وأهل الكوفة ، وقد أوردت بعض المصادر "...، أثناء قدوم الأمام الحسن (عليه السلام) ومعه عمار بن ياسر (رضي الله عنه) ،أن زيد بن صوحان قدم من عند عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) ومعه كتابان منها ، أحدهما موجه إلى والي الكوفة والأخر موجه إلى أهل الكوفة عامه ،ومفادها عدم الخروج والاستنفار مع الخليفة علي(عليه السلام) وتحدثت فيهما بشأن اصلاح أمر المسلمين .وقد ثار على أثر ما أتى به زيد بن صوحان و عمار بن ياسر (رضي الله عنه) ومن ثار معه ..." [١٣٨] ، ويتضح من الذي أورده

ألبستي أن زيد قدم من عند أم المؤمنين (ﷺ) ومعه الكتابان المقدم ذكرهما ، ولم يأتي على ذكر أن عائشة أم المؤمنين (ﷺ) كاتبت زيد بن صوحان مباشرة ، وهذا مخالف لما تقدمت به من الذكر بعض المصادر [١٣٩] .

وهنالك من المصادر من أورد ما يفيد "...، أن زيد بن صوحان عندما قدم ودخل المسجد كان معه كتابان الأول كتابه الخاص به والموجه إليه من أم المؤمنين(ﷺ) والثاني موجه إلى أهل الكوفة عامة "[١٤٠]، وهذا ما أكتفت بالقول فيه بعض المصادر ثم تأتي على أكمال باقي الحدث ، ويمكن تعليل الاختلاف في المصادر عامه بخصوص دور زيد بن صوحان وإخوانه داخل الكوفة وتضارب نقل عامه الإحداث نتيجة أهمية ما جرى من حدث وميول المؤلفين في التقليل من شأن هذا أو تعظيم شأن هذا، مع الاتفاق على سرد الخطوط العامة للحدث ،ويبدو من مسير الأحداث نجاح الأمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر (ﷺ) ، في استنهاض أهل الكوفة لنصرت الخليفة علي(عليه السلام) [١٤١] ، ومن المصادر من ذكر "...، فنفر معه تسعة الألف ،وروي أيضاً أنهم كانوا أثني عشر ألفاً " [١٤٢] ، و يبدو من المتقدم وعلى الرغم من اختلاف المصادر بتقدير عددهم أنهم انضموا إلى جيش الخليفة في ذي قار .

فقالوا : لربيعة ، فقلت من رئيسها ؟ فقال : زيد بن صوحان ألعبدي ،فقلت كم أنتم ؟ فقالوا : طوى الديوان عند الجسر على خمسه الألف وستمائة وخمسه وستين رجلاً .

كذلك الحال من الكردوسين الآخرين [١٤٣] ، ويبدو من خلال هذه الرواية أنها أقرب إلى رواية أبي مخنف من ناحية العدد في الكردوس الواحد ، وكذلك الحال مع ما أورده الطبري من ناحية العدد الإجمالي .

وفي راوية أخرى "... ، أن الذين نفروا إلى الخليفة في اليوم الثالث بعد وصول الأمام الحسن (عليه السلام) تسعة ألاف يقودها القعقاع بن عمرو و مالك الأشتر وزيد بن صوحان وأستقبلهم الخليفة[١٤٤] ، و من الملاحظ أتفاق المصادر في ذكر أسماء رؤساء النفار واختلافها بعدد من ألتحق بجيش الخليفة في ذي قار[١٤٥].

وأن الخليفة بدء يعد العدة للمسير نحو البصرة ،وقد أوردت عن زيد بن صوحان قال:(شهدت علياً في ذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج خطب فقال: الحمد لله

على كل أمر وحال والغد و الآصال ، وأشهد أن لا أله ألا الله وأن محمداً عبده و رسوله ،...)[١٤٦] .

واعتمادا على بعض المصادر كان لزاماً على الخليفة أن يدفع بورقته الأخيرة لتفادي وقوع الحرب وحقن دماء المسلمين فقد أتخذ تحرك الخليفة علي (عليه السلام) لمنع الحرب بأي ثمن وجهان الوجه الأول، وقد أوردته بعض المصادر ومفاده: فلما كان من الغد دعا علي(عليه السلام) عنده بزيد بن صوحان وعبد الله بن عباس ،فقال لهما :أمضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقري في بيتك ؟ فخدعت و انخدعت ،واستنفرت فنفرت، فأتقى الذي إليه مرجعك ومعادك ،وتوبي أليه فأنه يقبل التوبة من عباده ولا يحملنك قرابة وطلحة وحب عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بك إلى النار . فانطلقا أليها وابلغاها رسالة علي (عليه السلام) فقالت عائشة : ما أنا برادة عليكم شيئاً فأني أعلم أي لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب ،فرجعها إليه وأخبراه بالخبر[١٤٧].

وقد اختلفت المصادر في تحديد موقع معركة الجمل ستة ٣٦هـ [١٤٨].

ونستطيع القول واعتماداً على أبن قتيبة أن المعركة استمرت سبعة أيام [١٤٩] واعتماداً على تحديد الفترة الزمنية للمعركة فأنها شملت عدة اماكن من البصرة لتحركات الجيشين في الكر و الفر.

ومن المتقدم بدأت حرب الجمل بعد فشل كل المساعي والجهود في التوصل الى حل يرضي الطرفين ،رغم المساعي الكبيرة التي بذلها الخليفة علي بن أبي طالب(عليه السلام) لوقف الحرب ومن خلال المتوفر بين أيدينا واعتماداً على أقدم الروايات المتوفرة فأن الحرب بدأت من قبل جيش البصرة ،إذ ذكر لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا ،قال علي (عليه السلام) لأصحابه لا يرمن رجل منكم بسهم ،ولا يطعن أحدكم فيهم رمح ، حتى أحدث إليكم ، وحتى بيدؤكم بالقتال والقتل ،فرمي أصحاب الجمل عسكر علي(عليه السلام) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً فضح إليه أصحابه ،وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين ،وجيء برجل إليه، وأنه لفي فسطاط له صغير ،فقيل له :هذا فلان قد قتل، فقال اللهم أشهد ،ثم قال :أعذروا القوم، فأتي برجل أخر فقيل :وهذا قتل ،فقال :أعذروا إلى

القوم ،وهذا قد قتل ،فقال :اللهم فأشهد ،أعذروا الى القوم ،ثم أقبل عليه أحد أصحابه وهو يحمل أخاه ،وقال :قد أصابه سهم فقتله ،ووضعه بين يدي علي (عليه السلام) ،فنعد ذلك أسترجع أمير المؤمنين ودعا بدرع رسول الله وتقلد سيفه ودفع راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) السوداء التي تعرف بالعقاب الى ولده محمد [١٥٠] ،وهذه أولى بدايات حرب الجمل وكان لآل صوحان فيها دور بارز وقد أورد الضبي: "...، أن أم السيدة عائشة قالت :أيها الناس ألعنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو وضج أهل البصرة بالدعاء ،وسمع علي (عليه السلام) قولها فقال ما هذه الضجة فقالوا أن أم المؤمنين عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان ،فأقبل يدعو ويقول :اللهم ألعن قتلة عثمان وأشياعهم وأرسلت الى من بحيالها أن أثبتوا في أماكنكم ،وذمرت الناس حيث رأت أن القوم لا يريدون غيرها ولا يكفون عن الناس حتى ازدلفت مضر البصرة فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم علي (عليه السلام) فأمر محمد ولده وقال :له أحمل وقد أوى علي (عليه السلام) إلى الراية ليأخذها منه فحمل محمد وحملت معه مضر الكوفة ومع علي (عليه السلام) أقواماً غير مضر ومنهم زيد بن صوحان، فقال له رجل من مضر :تنحى الى قومك مالك لهذا الموقف ألست تعلم أن مضر بحيالك وأن الجمل بين يديك وأن الموت دونه ،قال له زيد الموت خير من الحياة ،والموت ما أريد فأصيب وأخوه سيحان وجرح صعصعة ،وقد بعث علي (عليه السلام) الى اليمن والى ربيعة أن اجتمعوا على من يليكم ،فقام رجل من عبد القبس فقال :ندعوهم الى كتاب الله عز وجل ،وقالوا وكيف يدعونا الى كتاب الله من لا يغش حدود الله سبحانه ومن قتل داعي الله كعب بن سور ،وأقبلت ربيعة على راية المسيرة فقتل على راية المسيرة ،من أهل الكوفة زيد وصرع صعصعة ثم سيحان " [١٥١].

وعند تأمل هذه الرواية أوردت مقتل الإخوة الثلاثة وهذه عند سيف بن عمر ،وقد أوردها عنه الطبري ، ثم أن الطبري وعاد وذكر رواية أخرى وقد ذكر فيها أن صعصعة بن صوحان لم يمت أنما جرح في المعركة وتفاصيل ما أورد في الرواية الأولى لا تختلف عن الذين ذكره سيف ألا في جرح صعصعة وعدم موته [١٥٢] .

ومن خلال مسيرة المعركة وذكر المصادر لها والطريقة التي تأتي بها على ذكر دور صعصعة وأخويه زيد وسيحان فيها مع الخليفة علي (عليه السلام) فيها فأن ابن أعثم الكوفي

أورد "...، وبعد مقتل مجموعه من أصحاب علي (عليه السلام) في المسيرة حمل راية عبد القيس زيد بن صوحان فقاتل حتى قتل ثم أخذها سيحان فصرع واخذ الراية صعصعة فجرح"(١٥٣) .

ومن خلال التفاصيل الواردة عن طبيعة معركة نجد فيها اشارة لأثر آل صوحان بالقول وكان سيحان هو الخطيب قبل صعصعة وكانت الراية بيده في يوم الجمل فقتل هو زيد يوم الجمل ، ثم أخذها صعصعة وقد أضاف البعض الى النص وجرح (١٥٤) .

فضلاً عن المتقدم أن أغلب المصادر لم تأت على ذكر أي رواية فيها احدهم خطيب أو شاعر أثناء المعركة ، بل اكتفت مع اختلاف في بعض التفاصيل بالذكر أن قاتل زيد بن صوحان هو عمر بن يثري ، ولا تأت ألي ذكر من قتل سيحان ومن جرح صعصعة على الرغم من بقاء صعصعة حي بعد معركة الجمل، ويمكن أثبات برهان من خلال هذه الرواية التي ذكرت في أغلب المصادر ومفادها :وكره القوم بعضهم بعضاً وأدعى وتلاقوا جميعاً بقلبيهم ، وأخذ بن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز ،وأدعى قتل علباء بن الهيثم وزيد بن صوحان وهند بن عمرو.

فقال وأرتجز :

أرديت علباء و هندا في طلق ثم أبن صوحان خصيباً في علق

وخرج إليه عمار بن ياسر (رضي الله عنه) ودار بين الاثنين قتال وأتى به عمار (رضي الله عنه) أسيراً الى أمير المؤمنين علي فأمر بضرب عنقه "(١٥٥)

وفي مقتل زيد بن صوحان ومن قتلهم ابن يثري يقول البلاذري :" أن أبن يثري قتل مجموعه من خيرة أصحاب الامام علي أفضلهم زيد بن صوحان"(١٥٦) ،وربما أطلق البلاذري هذا الرأي مستنداً على توثيق زيد بن صوحان عند الكثيرين من أصحاب الحديث والسن ومنهم من نقل عنه .

ونلاحظ المصادر التي تورد أحداث معركة الجمل لا تذكر شيء عن استشهاد سيحان وتركز على استشهاد زيد على الرغم أن من الاثنين استشهدا في يوم واحد وجرح صعصعة ربما في نفس اليوم . ويمكن تعليل هذا بأن سيحان قتل مباشرة أما زيد فأنه لم يقتل بل أصيب بجراح مات على أثرها ،انه ربما وقد حاول قتل قاتل أخيه سيحان لكن

أبن ثربي تمكن من قتل زيد وربما حاول صعصعة الثأر لأخويه في المعركة لكنه جرح وقد أختلف المصادر في ذكر حادثة استشهاد زيد بن صوحان وقد أخذ الاختلاف مأخذه في نقل أحداث استشهاد زيد بن صوحان بين المصادر التي أوردت ما هو متشابه في العام من نقل الحادثة اختلفت في ذكر تفاصيلها ، وقول زيد لحظة استشهاده :"... ،: يا أمير المؤمنين ، أني رأيت يداً أشرفت من السماء وهي تقول : هلم إلينا ،وأنا خارج إلى بن يثربي، فإذا قتلني فادفني بدمي ولا تغسلني ،فأني مخاصم عند ربي ،ثم خرج فقتله عمرو، ثم رجع إلى خطام الجمل ..."[١٥٧] ، وهذا أول القول في وصية زيد وبعض المصادر تورد ما وقف عند هذا الحد على الرغم من اختلاف القول بالمتقدم ، فأن الاختلافات تأتي تباعاً ، وقد ذكر ولما صرع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى جلس عند رأسه فقال :يرحمك الله يا زيد فقد كنت خفيف المؤنة عظيم المعونة قال :فرفع زيد رأسه إليه ثم قال : وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين . ما علمتك إلا بالله عليماً وفي أم الكتاب علياً حكيماً وأن الله في صدرك العظيم والله ما قاتلت معك عن جهالة ولكني سمعت أم سلمة [١٥٨]، زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:(من كنت مولا فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله. وكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله) [١٥٩] ، وقد أوردت مصادر أخرى اختلاف في قول زيد ولكن في نفس الحادثة ونصه :(...،فرفع إليه رأسه وقال : وأنت يرحمك الله فو الله ما عرفتك إلا بالله عارفاً و بآياته ،والله ما قتلت معك عن جهل ولكني سمعت حذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :علي أمير ألبررة، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ألا وأن الحق معه يتبعه ، ألا فميلوا معه)[١٦٠] .

ونقلت المصادر وصية زيد بن صوحان في أوجه متعددة ،ومنها ما أورده أبن أبي شبيبة الكوفي :"...، قال: يوم الجمل أدفنوني وما أصاب الثرى من دمائنا " [١٦١] ،ومن المصادر ذكر قول زيد :(...، أن زيد بن صوحان لما أستشهد يوم الجمل فقال لا تغسلوا عنى دماً ولا تنزعوا عنى ثوباً فأني رجل محاج أحاج يوم القيامة من قتلني)[١٦٢] ، أما أبن عساكر فأنه ذكر ما هو مختلف ومفاده: و مات فيهم زيد بن صوحان حين رفع من

المعركة وهو جريح قال قلنا له أبشر أبا عائشة فقال أتقولون قادرين أتيناهم في ديارهم وقتلنا أميرهم وعثمان على الطريق فيا ليتنا إذ أبتلينا صبرنا ثم قال شدوا علي إزاري فأني مخاصم و افضوا بخدي إلى الأرض وأسرعوا بالانكفاء عنى ، ثم قال زيد أدفنوني وأبن أمي في قبر ولا تغسلوا عنا دماً فإنا قوم مخاصمون وكان سيحان بن صوحان قتل يوم الجمل أيضاً وهو الذي دفن مع زيد أخيه في قبر واحد وذكر أبن عساكر أن زيداً أوصى أن يدفع معه مصحفه [١٦٣] .

وقد ذكر أبن عساكر وصيته زيد عاملتاً بعكس بعض المصادر تنقل بعض أجزائها و خصوصاً قول: (زيد أدفنوني وأبن أمي في قبر واحد)[١٦٤] ، وعند تأمل الذي أورده أبن عساكر فأنه بذلك نقل الوصية كاملتاً على العكس من بعض المصادر التي أوردتها في أجزائها البسيطة وعاد بالأحداث إلى مقتل عثمان بن عفان وربما من خلال هذا الربط ربما يصدر رأي في حرب الجمل وما تلتها من حروب على هذا الأساس كأنما قال أن مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فتح الباب على مصراعية لحرب أهلية ضروس كانت نتائجها تحويل وجهة الحكم من انتخاب إلى وارثه ، وبنقل أبن عساكر الوصية أغلق الباب أمام باقي المصادر المتقدمة والمتأخرة في نقل وصية زيد وكذلك فتح الطريق أمام الباحثين للتأكد من أن قبر زيد بن صوحان لا يضم جثمانه وحده بل مع أخيه وقد ذكر هكذا قول عند ألصنائعي [١٧٥] وأبن سعد [١٦٥] والذهبي [١٦٦] .

فضلاً عن ذكر وصية زيد بن صوحان في مصادر أخرى وطرق مختلفة[١٦٧] و هنالك بعض المصادر أوردت حديث زيد الذي تحدث به مع أمير المؤمنين وأخرجته عن حذيفة أبن اليمان [١٦٨] ، أما بعض المصادر عندما تناولت أحداث حرب الجمل وذكر من قتل من الفريقين فأنها تأتي بالقول: " من أصحاب علي فمن حفظ لنا زيد وسيحان أبنا صوحان ،..." ،ويورد السيوطي مقتل زيد بن صوحان على أنه من الأعلام الذين قتلوا في خلافه علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع مجوعة من الصحابة وتحت عنوان من مات أو قتل من الأعلام ،..." [١٧٠] .

قبر زيد بن صوحان الكوفي:

ومن قبور آل صوحان قبري زيد و سيحان ابني صوحان، وقد ذكر في بعض المصادر قبر زيد بنص مفاده : وقبره شاخص اليوم في البصرة على يمين الذاهب إلى السيبة [١٧١] في منطقة كوت الزين [١٧٢] وهذا نص الذي ذكر [١٧٣] ، وذكر قبر زيد في بعض المصادر بهذا التحديد ونجد بعض المراجع الحديثة المتخصصة في البحث عن هكذا موضوع متفقة مع هذا الرأي [١٧٤] ، ومن المراجع من يختلف بعض الشيء مع الرأي المقدم عند حديثها عن سيرة سيحان بن صوحان و مفاده "...، ولم يعرف قبر لسيحان ، بل ولا لغيره من قتلى الطرفين قبر ، وفي سنة ثلاث وأربعين بعد الثلاثمائة وألف صار طريقي إلى الفاو ، فمررنا بقبة عالية مائلة إلى الانهدام على ربوة بالقرب من ناحية السيبة ، فقيل لي : هذا قبر أحد قواد جيش علي (عليه السلام) الذي قتل في واقعة الجمل ، ولعلة قبر أحد الأخوين ؛ سيحان ، وأما زيد ، وقبر زيد أقرب أن يكون ؛ لأن بالقرب منه مكان يقال له الزيادية ٠ كما أن في ذلك الصقع ناحية يقال لها : سيحان ، والله اعلم " [١٧٥] .

الخاتمة

وبعد الانتهاء من البحث والتقصي لابد من عرض اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة وهي:

١-توصلت الدراسة ربما الى اثبات نسب زيد بن صوحان الكوفي من خلال الرواية التي نقلها كلُ من ابو علي القالي وابن عساكر واعتمدت الدراسة في اثبات نسب زيد بن صوحان الكوفي على ابو علي القالي لكونه اعتمدها عن عامر الشعبي الذي كان احد معاصري صعصعة بن صوحان اخي زيد بن صوحان .

٢-ان زيد بن صوحان من عائلة كريمة ولها قدم في الاسلام وان ابوه صوحان العبدي من الذين وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ربما، وكان رأسا في الجاهلية والاسلام بشهادة السيدة عائشة .

٣-اثبتت الدراسة ربما، ان زيد ان زيد بن صوحان من الصحابة ومن خيارهم وانه من الابدال واستنادا على كتب الحديث النبوي الشريف زيد الخير ومن افاضل الصحابة .

٤-ساهم زيد بن صوحان في جهاد المشركين وكانت بدايات ظهوره السياسي في حروب الردة وهذا الرأي اعتمد على ما ذكره الشيخ الطوسي .

٥- عدت كتب الحديث النبوي الشريف زيد بن صوحان من اصحاب نبينا الاعظم محمد(ﷺ)، و الخليفة عمر بن الخطاب وكان يتمتع بمكانة كبيرة لديه، ومن خواص شيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) .

٦- نفي زيد بن صوحان من الكوفة مرتين لكونه قاوم سياسة الانحراف التي اتبعها الولاة الامويين في الكوفة والتي كانت بدعم الخليفة عثمان بن عفان الذي لا يحرك ساكننا امام انتهاكات الولاة الامويين وتعديهم على قيم الاسلام العظيمة.

٧-وقف زيد بن صوحان الى جنب الخليفة على بن ابي طالب (عليه السلام) لكونه كان يرى فيه قيم الاسلام الحقيقية ، وكان احد الذين شاركوا في بيعة الامام علي (عليه السلام) وقاتل معه المنحرفين وناكثي البيعة التي هي حق الامة في اختيار من يمثلها.

٨-رفض زيد بن صوحان جميع المحاولات التي كانت تنوي منعه من الوقوف مع امير المؤمنين علي (عليه السلام) سيما تلك التي حاولت بها السيدة عائشة لأقناعه وثنيه عن مساندة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولكنه كان مصرا للوقوف جنب الامام علي (عليه السلام) متمثلاً بقول رسول الله (ﷺ): (اللهم اخذل من حذلة).

٩-استشهد زيد بن صوحان في معركة الجمل وهو يدافع عن قيم الاسلام مع امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودفن في البصرة وهنالك قبر له هنالك وقد اوصى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ان يدفنه واخيه سيحان في قبر واحد .

ملخص البحث:

كان زيد بن صوحان الكوفي واحداً من الشخصيات الهامة التي كان لها الاثر الكبير في مجريات الاحداث السياسية في تاريخ الدولة الاسلامية، سيما في العهد الراشدي ،وعده المؤرخون واصحاب السير واحداً من الصحابة ومن الابدال، وهو أحد اللذين ذكرهم رسول الله (ﷺ) في حديثه الشريف، ومن الشخصيات المؤثرة في مسيرة الاحداث السياسة، من خلال مواقفه السياسية، وتشير مصادر التاريخ الاسلامي الى وضوح اثره السياسي في خلافة عثمان بن عفان، وعد من قادة المعارضة في الكوفة للسياسات التي

اتبعها الخليفة عثمان وولاته، وأنه من اشد انصار الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) الى ان استشهد في حرب الجمل عام ٣٦هـ .

الهوامش:

١-السمعاني،الانساب،٤/٢٤٨.

٢-ابن سعد، الطبقات الكبرى،٦/٤٧٠.

٣-ابن حجر، الاصابة في تميز الصحابة،٢/٢٢٥.

٤-القالي، الامالي،٢/٢٢٦-٢٢٧.

٥- أبن عساكر، تاريخ دمشق،٢٤/٩٠-٩٤

٦-الذهبي، سير اعلام النبلاء،٤/٣١٠.

٧- ابن عساكر ،تاريخ مدينة دمشق، ٢٤/ ١٠٠ .

٨-الهروي ،القاسم بن سلام، غريب الحديث ٤ / ٤٤١-٤٤٢ ٠

٩-المفيد ، المسائل الصاغانية ، ص ٣٧.

١٠- للاستزادة ينظر المصادر المطلع عليها ولم تذكر نسب ال صوحان كما ذكره القالي وابن عساكر؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٣/ ١٦٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٨/٦٥، القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ص٢٠٥، ص٣٣٨.

١١-القالي،٢/٢٢٦-٢٢٧؛ أبن عساكر، تاريخ دمشق،٢٤/٩٠-٩٤.

١٢-الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ٨/ ٤٤٠.

١٣-ابن سعد ، المصدر السابق ، ٦/٤٢٥.

١٤-ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ١٢٤.

١٥-الإبدال: قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا منهم فإذا مات احدهم أبدل الله تعالى مكانه أخر ، الموسوي، حسن، ثقاة الرواة، ص٥١.

١٦-ألبستي ، محمد بن حيان ، مشاهير علماء الأمصار ،١٦٢؛ الزعيلي نصب الراية في علماء الأحاديث الهداية ، ١/ ٢٧ .

١٧-اليعقوبي ،البلدان،ص١٤٧-١٥٠.

١٨-الصنعاني ، المصنف، ١١ /٢٦١؛الطبراني ،١ /١٣٧.

١٩- الطوسي، الخلاف ،ص٢٦٧؛ الحر ألعاملي، وسائل الشيعة،٣٠/٢٧٨

٢٠-النعماني، كتاب الغيبة ، ص١٠٥؛ المشكيني، علي، اصطلاحات الاصول ، ص٢٨٢.

٢١- صفين :وهو موضع على شاطئ الفرات الغربي ، و بها وقعة صفين بين علي (عليه السلام) ومعاوية سنة ٣٧هـ ،، الحموي ، معجم البلدان، ٣/ ٤٧١ ٠

٢٢- أبن كثير ، البداية والنهاية ، ٦ /٢٤٧.
٢٣-أبو مخنف ، لوط بن يحيى ، تاريخ أبي مختف ، استخراج وتنسيق وتحقيق كامل سلمان الجبوري ،١، / ٣٧- ٥٠٨ : وفي حقيقة الأمر لا يوجد هكذا عنوان لكن المؤلف جمع الروايات الخاصة بأبي مخنف في بطون المصادر وأخرجها بهذه الصيغة أو في هذا العنوان (نصوص من تاريخ أبي مخنف).
٢٤-ابن الكلبي ، جمهره النسب،٢/ ٥٨٩ .
٢٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٦ /٤٧٠ .
٢٦-ابن ماجة، سنن ابن ماجة ،١٦٨/١.
٢٧-ابن حجر ، فتح الباري في صحيح البخاري ، ٢٣٤/١٢.
٢٨-الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، ج٣، ص٥٢٦.
٢٩-البرقي، رجال البرقي ،١/ ٥.
٣٠-ابن قتيبة ، المعارف ،ص٤٠٢.
٣١-الليثي، تاريخ خليفة بن خياط ،ص١٤.
٣٢-ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،١٢٣/٦؛أليثي ، الطبقات ، ص٢٤٣.
٣٣-الاصمعي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ١٣٧-١٤٠.
٣٤-أبن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب، ١٢/٢؛ الحسيني ، ضامر بن شد قم ، وقعة الجمل ، ص٣٠.
٣٥-ابن سعد ، الطبقات ، ٥/ ٥٥٧- ٥٥٨ ؛ النويري، نهاية الارب ، ٦٥/١٨-٦٧.
٣٦-ابن الكلبي ،جمهرة النسب ،٣ / ٥٨٩ .
٣٧-الجاحظ، البيان والتبيين، ٨١/١.
٣٨-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،٤٤٣/١٩.
٣٩-١٠٧/١.
٤٠-٥٨٩/٣.
٤١-سير اعلام النبلاء،٥٢٥/٣.
٤٢-كتاب السنة،ص٥٣٧.
٤٣-مروج الذهب،٢٨/٣.
٤٤-البغدادي، خزانة الادب ولب لسان العرب،٤٤٠/٨.
٤٥-ابن سعد، الطبقات،٤٢٦/٦.
٤٦-ابن الكلبي، جمهرة النسب، ٥٨٩/٢.
٤٧-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،٤٤٣/١٩.

٤٨-صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين ،ص٢٠٢-٢٠٨.
٤٩- غريب الحديث ،٤/ ٣٧٧ .
٥٠-الاستيعاب،١٢٤/٢.
٥١-تاريخ مدينة دمشق،٤٢٩/١٩.
٥٢-أسد الغابة في معرفة الصحابة،٢٤٨/٢.
٥٣-سير اعلام النبلاء ،٥٢٥/٣.
٥٤-الاصابة،٥٣٢/٢.
٥٥-جندب بن كعب: وهو جندب بن كعب بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن عامر بن ذهل، قاتل الساحر أيام الوليد عقبة بن أبي معيط، ابن الكلبي ،نسب معد واليمن الكبير ، ٤٨٦/٢ .
٥٦-ابن سعد، الطبقات ،٢٢١/١؛الموصلي، مسند ابو يعلى الموصلي،٣٩٣/١.
٥٧-الطوسي، البيان في تفسير القرآن،٢٨٣/٥.
٥٨-أبن سعد ،الطبقات،٦/ ٤٢٥ .
٥٩-أبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٢٤٨/٢.
٦٠- الدنيوي ، الاخبار الطوال ، ص ١٦٥- ١٩٨.
٦١-الليثي، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥٥-٦٠.
٦٢-ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،٢٠١/٢-٢٠٤.
٦٣-البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٨٣.
٦٤-للاستزادة حول بيعة أبي بكر: ينظر، الكوفي، سليم بن قيس، كتاب السقيفة، ص٦٥-١٥٠، ص٢٣٤-٢٣٧، وهذا الكتاب عبارة عن روايات لسليم بن قيس الكوفي، وأعطاها سليم لأبان عند موته أما أبان فقام بعرضها على الأمام علي بن الحسين (عليه السلام).
٦٥-ابن ماكولا، اكمال الكمال،٤٢٤/٢.
٦٦-الطبري، التاريخ،٣/ ٣١١٥-٣١٦ .للاستزادة ،حول تفاصيل حروب الردة، ينظر عوض الله،الخلفاء الراشدون،ص٣٦ -٤٦.
٦٧-البيان في تفسير القرآن،٢٨٣/٥ .
٦٨-أبن سعد، المصدر السابق ،ح/ ٤٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ،٣/ ٥٢٦ .
٦٩-تاريخ مدينة دمشق، ٤٣٧/١٩.
٧٠-ابن حزم،المحلى،١٤٥/٨.
٧١-ابن أنس، كتاب الموطأ، ٨٦٩/٢ .
٧٢-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/،٤٧٥.

٧٣-أبو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف، ج١، ص٧٠.
٧٤-اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،١١٤/٢.
٧٥-أبن أعثم الكوفي ، الفتوح، ٢/ ١٦٧-١٦٨؛ المسعودي ، مروج الذهب،٢/ ٤٨٧.
٧٦- ألمقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، وهذا الكتاب منسوب إليه، وقد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسية كلمان هوار من أعضاء مجلس العلوم الفرنسي، ٢٠١/٥.
٧٧-أبن أعثم الكوفي، الفتوح،٢/ ١٧٢.
٧٨-الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص٣٥.
٧٩-أبو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف،٧٦/١.
٨٠- الضبي، المصدر السابق، ص٣٦- ٣٧؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٨.
٨١-الطبري، التاريخ،٣١٨/٤؛ابن كثير، المختصر في أخبار البشر،٢٣٥/١.
٨٢-ابو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف،٧٦/١؛ الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص٣٧.
٨٣-ابو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف،٧٧/١.
٨٤-ابو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف،٧٠/١.
٨٥-الطبري، التاريخ ،١٣٨/٣؛ابن الاثير،الكامل،٣٢/٣.
٨٦-ابن حجر،الاصابة،٦٤٨/٢.
٨٧-مروج الذهب،٤٨٨/٢.
٨٨- الطبري،التاريخ، ٣١٩/٤؛ ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق،٩٥/٤.
٨٩-النميري، تاريخ المدينة المنورة،١١٤١/٣.
٩٠-المعافري، الالعواصم في القواسم،ص١٣٤.
٩١-الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،٥٢١/١.
٩٢-الطبري، التاريخ،ج٣١٧/٤-٣٢٦.
٩٣-أبو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف،١/ ص٧٠.
٩٤- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ص١١٤.
٩٥-ابن أعثم الكوفي، المصدر السابق،١٧٧/٢- ١٧٨.
٩٦-أبن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٤٠/٥.
٩٧- محمد علي الصلابي، سيرة امير المؤمنين عثمان بن عفان، ص٣٥٤.
٩٨-الطبري،التاريخ،٣٢١/٤-٣٢٢.
٩٩-الطبري،التاريخ،٣٢١/٤-٣٢٢، ٣٣٥.
١٠٠-ابن الاثير،الكامل،٣٦/٣.

١٠١-محمد علي الصلابي، سيرة امير المؤمنين عثمان بن عفان، ص٣٥٤.
١٠٢-الطبري،التاريخ،٤/٣٣٢؛ ابن الاثير،الكامل،٣٣/٤٠.
١٠٣-ابن الجوزي،المنتظم،٥/٥١-٥٣؛ابن كثير المختصر في اخبار البشر،١/٢٣٦.
١٠٤-الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص٨٢؛ المالقي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان،١/٧٨.
١٠٥-الطبري،التاريخ،٤/٣٧١.
١٠٦-اليعقوبي،التاريخ،٢/١٢١-١٢٢.
١٠٧-الطبري، التاريخ،٤٣٧٠-٣٧٨.
١٠٨-التميمي، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار،١/٣٧٧.
١٠٩-المحولي،ذم الثقلاء،ص٥٦.
١١٠-ابن عبد ربة ،العقد الفريد، ٥/٥٢.
١١١-الانبياء/١٠١.
١١٢-المالقي، التمهيد والبيان،١/١٨٧.
١١٣-للاستزادة ، فيما يتعلق ببيعة الإمام علي(عليه السلام) والطريقة والظروف التي بويع بها للخلافة ، ينظر: أبي مخنف، نصوص من تأريخ أبي مخنف، ١/٨٩-٩٠ والجمل وصفين والنهروان ، وهو عبارة عن روايات أبي مخنف في بطون المصادر الأولية ،والمتعلقة بالأمام علي(عليه السلام) منذ البيعة ومعاركه الثلاثة واستشهاده، جمعها وحققها وعلق عليها حسن حميد السنيد ، ط١، دار الإسلام ، إيران ، ص ٥١-٦١؛ الطبري ، التاريخ،٤/- ٤٣٤ ؛ابن أعثم الكوفي ،الفتوح،٢/ ٢٥٠- ٢٦١ .
١١٤-اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، ٢ /١٢٤ .
١١٥-وللاستزادة في الروايات التي توضح موقف طلحة والزبير،ينظر:ابن قتيبة ،الامامة والسياسة،١/٤٧؛ اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، ٢/١٢٤٠١٢٤؛الطبري،التاريخ،٤/٤٣٨.
١١٦-ابن قتيبة ،الامامة والسياسة،١/٤٥؛ ابن مسكويه، تجارب الامم وتعاقب الهمم،١/٢٩٨.
١١٧-ابن مسكويه، تجارب الامم وتعاقب الهمم،١/٢٩٩؛ ابن الجوزي،المنتظم،٥/٧٨.
١١٨-ابو مخنف، نصوص من تاريخ ابي نخنف،١/٩٢.
١١٩-أبو مخنف ، نصوص من تاريخ أبي مخنف ، ج١، ص ص ٩٩-١٠٠، للاستزادة، فيما يتعلق بموقف السيدة المؤمنين، ينظر ، اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي،٢/١٢٥ ؛الطبري ،التاريخ، ٤/ ٤٤-٤٥٠.
١٢٠-ابن مسكوية ،تجارب الامم،١/٣٠٠ -٣٠٢؛ ابن الجوزي،المنتظم في تاريخ،٥/ ص٧٨ .
١٢١-ابن مسكوية ،تجارب الامم،١/٣٠٠ -٣٠٢؛ ابن الجوزي،المنتظم في تاريخ،٥/ ص٧٨ .
١٢٢- للاستزادة ، حول تفاصيل شراء الجمل،ينظر ، الطبري المصدر السابق ،٤/٤٥٦- ٤٥٧ ؛ابن مسكوية ، تجارب الامم ١/ ٣٠٢؛ أبن الأثير.

١٢٣-أبو مخنف ، الجمل وصفين والنهروان ،ص٩٦؛ ابن قتيبة ،الامام والسياسة،١/ ص٥٧ .
١٢٤-الفخري في الآداب السلطانية ، ص٨٦.
١٢٥-الطبري،التاريخ،٤/٤٥٧.
١٢٦-ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية،ص٨٦.
١٢٧-الطبري ، التاريخ،٤/ ٤٧٦ ؛أبن مسكوية ، تجارب الامم،١/٣٠٨ ؛أبن الأثير،الكامل ،٣/ ١٠٨ .
١٢٨-أبو مخنف ، نصوص من تاريخ أبي مخنف ،١/١٢٣ . والجمع وصفين والنهروان ، ص١٠٧؛الطبري ، التاريخ،٢/٤٧٦؛ابن مسكوبة ، تجارب الامم،١/ ٣٠٨ .
١٢٩-ابن سعد، الطبقات،٦/٤٢٤؛ابن عبد البر، الاستيعاب،٢/١٢٤؛ابن الاثير، اسد الغابة،٣/٢٤٨.
١٣٠-ابن قتيبة، المعارف،ص٣٣٩.
١٣١-أبو مخنف، نصوص من تأريخ أبي مخنف، ١ /١٢٣ والجمل وصفين والنهروان ، ص١٠٨؛ الطبري ، التاريخ، ٤ / ٤٧٦ – ٤٧٧ .
١٣٢-صائب عبد الحميد، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي،ص٣٢٢.
١٣٣-ابن مسكوية ،تجارب الامم،١/٣٠٢.
١٣٤-تأريخ أبي مخنف ،نصوص من تاريخ أبي مخنف،١/١٠٨ والجمل وصفين والنهروان ، ص١٢١ .
١٣٥-ابن مسكوية، تجارب الامم،١/٣٠٩.
١٣٦-للاستزادة،حول تفاصيل تباين المواقف بين زيد بن صوحان وأخيه سيحان وأبو موسى والي الكوفة ، ينظر ،الضبي ،الفتنة ووقعة الجمل ، ص١٤٠؛ الاسكافي ،المعيار والموازنة،ص ١٢٠ ؛ الطبري ، المصدر السابق،٤/ ٤٨٢- ٤٨٦.
١٣٧-أبن لأثير ،الكامل، ٣ / ١١٩ – ١٢١ .
١٣٨- أبن كثير ، البداية والنهاية،٧/٢٣٤- ٢٣٥ .
١٣٩-ألبستي ، الثقات ، ٢/ ص٢٨١ .
١٤٠-المفيد ، الجمل ، ص ١٦٧ .
١٤١-ابن أبي الحديد، نهج البلاغة،١٤/١٩.
١٤٢-الطبري،التاريخ،٤/٥٠٠.
١٤٣-ابن اعثم الكوفي،الفتوح،٢/٢٩٢.
١٤٤-ابن مسكوية، تجارب الامم،١/٣١٠.
١٤٥-ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب،ص٣٦١؛ البحراني،مدينة المعاجز،ص٣٠١-٣٠٢

١٤٦-أبو مخنف ، نصوص من تأريخ أبي مخنف، ١/ ١٢٣والجمل وصفين والنهروان ، ص١٤٠.
١٤٧-ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،٣/١٢٢-١٢٤.
١٤٨-اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،٢/١٠٨.
١٤٩-الامامة والسياسة،١/٦٧.
١٥٠-أبو مخنف ، نصوص من تأريخ أبي مخنف، ١/ ١٣٦.
١٥١-الطبري،التاريخ،٤/٥١٣.
١٥٢-الضبي،الفتنة ووقعة الجمل،ص١٥٩-١٦١؛الطبري،التاريخ،٤/٥١٤.
١٥٣-الطبري،التاريخ،٤/٥١٤.
١٥٤-ابن اعثم ،الفتوح،٢/٣١٨-٣١٩.
١٥٥-ابن الكلبي،جمهرة النسب،٣/٥٨٩.
١٥٦-زين العابدين،التحرير الطاووسي،ص٩٠٣.
١٥٧-جمل من انساب الاشراف،٣/ ٤٠.
١٥٨-أبو مخنف ، نصوص من تأريخ أبي مخنف، ١/ ١٢٣والجمل وصفين والنهروان ، ص١٤٠.
١٥٩-المفيد،الاختصاص،ص٧٩.
١٦٠-ابن جبر، نهج الايمان،ص١٩٠.
١٦١-الحلي ،كشف اليقين، ص٢٣٦.
١٦٢-الصنعاني،المصنف،٣/١٣٩.
١٦٣-ابن الاثير،اسد الغابة،٣/٢٤٨.
١٦٤-ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق،١٩/٤٤٥.
١٦٥-المصنف،٥/٢٧٤.
١٦٦-الطبقات الكبرى،٦/١٢٥.
١٦٧-سير اعلام النبلاء،٣/٥٢٨.
١٦٨-البخاري،التاريخ الصغير،١/٥٨.
١٦٩-البستي، كتاب المجروحين،١/١٥٣؛ ابن الجوزي، الموضوعات،١/٣٥٣.
١٧٠-السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص١٨٧.
١٧١-السيبة : السيبة ناحية في البصرة تابعة إلى قضاء أبو الخصيب في محافظة البصرة ، وذكر الحموي " سيبية :بكسر اولة ، وسكون ثانيه ، وباء موحدة ثم باء مثناه من تحت مخففه ، مدينة قديمة كثيرة المياه " ، وربما كان تكون نفس المدينة الموجودة في البصرة لكون الحموي لم يحدد مكانها ، ولكن بمرور الزمن

وتغير لهجة السكان أصبحت الكلمة سيبة ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٣ ، حرز الدين ، المرجع السابق ،١/ ٣١٨ .

١٧٢- كوت الزين : قرية تابعة إلى ناحية السيبة ، حرز الدين ،مراقد المعارف ، ص ٣١٨.

١٧٣- المشهدي ، المزار الكبير، ص ٥١ .

١٧٤- حرز الدين ، مراقد المعارف ،٣١٨/١ .

قائمة المصادر

- القرآن الكريم

أبن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ)

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة،تحقيق محمد شيري، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢ - الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م.

أبن اعثم ، احمد (٣١٤هـ)

٣- الفتوح،تحقيق محمد عبد العظيم،ط١، دار الندوة ،بيروت،١٩٦٩م.

الأندلسي، محمد بن يحيى(ت٧٤١هـ)

٤- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق محمود يوسف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ .

الباقلاني، محمد بن الطيب(ت٤٠٣هـ)

٥- تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل،تحقيق عماد الدين احمد،ط١،مؤسسة الثقافة،بيروت،١٩٨٧م.

الباقلاني، محمد بن الطيب(ت٤٠٣هـ)

٥- تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل،تحقيق عماد الدين احمد،ط١،مؤسسة الثقافة،بيروت،١٩٨٧م.

ألبرقي، احمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ)

٦- رجال ألبرقي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، ط١، مؤسسة النشر، جامعة طهران، ١٣٨٣هـ .

ألبستي، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)
٧- مشاهير علماء الامصار ،حققه وثقه علي ابراهيم،ط١،الناشر الوفاء،المدينة المنورة، ١٩٨٥م .
ألبستي، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)
٧- مشاهير علماء الامصار ،حققه وثقه علي ابراهيم،ط١،الناشر الوفاء،المدينة المنورة، ١٩٨٥م .
البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)
٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه محمد نبيل، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م .
البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ)
١٠-جمل من انساب الاشرف،عني بمراجعته والتعليق عليه محمد رضوان،مطبعة السعادة ، القاهرة، ١٩٥٩م .
التميمي، محمد بن النعمان (ت ٣٦٣هـ)
١١-شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(٥٩٧هـ)
١٢- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،تحقيق محمد عبد القادرعطا،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٩٢م .
أبن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)
١٣-الإصابة في تمييز الصحابة،تحقيق عادل احمد عبد الموجود،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٥ هـ .
١٤-فتح الباري في صحيح البخاري،تحقيق مجموعة من علماء الازهر،مطبعة بولاق،مصر١٣٠٠هـ .
أبن حزم ، علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ)
١٥-المحلى، تحقيق احمد شاكر ، ط١ ، دار الفكر، بيروت ، ١٣٥٢ هـ .

أبن حزم ، علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ)
١٤- المحلى، تحقيق احمد شاكر ، ط١ ، دار الفكر، بيروت ، ١٣٥٢ هـ .
الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)
١٦-معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
الدمشقي ، محمد بن احمد (ت ٨٧١هـ)
١٧- جواهر المطالب في مناقب الأمام الجليل علي بن ابي طالب ، تحقيق محمد باقر ، ط١ ،
مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ، قم ، ١٤١٦ هـ .
الدنيوري،احمد بن داود(ت٢٨٢)
١٨-الاخبار الطوال، تحقيق محمد عصام ،ط١، دار الكتب العلية ،١٤٢١هـ .
أبن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)
١٩- الطبقات الكبرى، اعد فهارسه رياض عبد الله، ط٣،دار أحياء التراث العربي،بيروت،١٩٩٦م .
السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢ هـ)
٢٠- الأنساب،تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي،ط١،مطبعة دار الجنان،بيروت، ١٤٠٨ هـ .
الشيباني ، عمرو بن ابي عاصم (ت ٢٨٧هـ)
٢١- كتاب السنة، تحقيق محمد ناصر الدين،ط٣،منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
الصنعاني،عبد الرزاق بن همام(٢١١هـ)
٢٢- المصنف،عني بتحقيق نصوصه والتعليق علية حبيب عبد الرحمن الاعظمي،الناشر المجلس العلمي،١٣٩٢هـ.
الضبي، سيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ)
٢٣-الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق احمد راتب، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٢٩١هـ.

الطبراني، سليمان ابن احمد (ت ٣٦٠هـ)
٢٤- مسند الشاميين،حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد،ط٢،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦م.
الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)
٢٥- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)
٢٦- البيان في تفسير القرآن،تحقيق احمد حبيب،ط١،دار احياء التراث العربي،بيروت١٤٠٩ه .
القالي، اسما عيل بن القاسم (٣٥٦هـ)
٢٧- الأمالي، علق عليه أنطوان صالحاني، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
أبن قتيبة ، عبد الله ابن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
٢٨- المعارف ، تحقيق ثروة عكاشة، ط١، منشورات الشريف الرضي، ايران، ١٤١٥هـ.
٢٩- الإمامة والسياسة، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ ، وهذا الكتاب منسوب إليه .
القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)
٣٠- صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، بلا.
أبن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)
٣١- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري،ط١،دار أحياء التراث العربي،بيروت، ١٤٠٨هـ.
٣٢- المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود ديّوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
الكلبي محمد بن هشام (ت ٢٠٤ هـ)

٣٣- جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤ م.
٣٤- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن ، ط١، عالم الكتب، بيروت ، ١٩٨٨م.
الكوفي، سليم بن قيس، (ت ٧٦هـ)
٣٥- كتاب السقيفة، تحقيق العلوي ألنجفي ، ط٣، دار ألإرشاد الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
أللّيثي ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)
٣٦- تاريخ خليفة بن خياط ،راجعه وضبط حواشيه وفهرسه مصطفى نجيب و حكمت كشلي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م.
٣٧- الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، ط١ ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٣ م .
أبن ماكولا، علي بن هبه الله بن علي (ت ٤٧٥هـ)
٣٨- إكمال الكمال، تحقيق عبد الرحمن ألمعلمي، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٢م.
أبن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)
٣٩- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٤ م.
ألمحولي ، محمد بن خلف (ت ٣٠٩هـ)
٤٠- ذم الثقلاء، تحقيق مأمون محمود، ط١، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، ١٤١٢هـ.
أبو مخنف ، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ).
٤١- نصوص من تاريخ أبي مخنف ، جمع و استخراج الروايات وتنسيقها وتحقيقها كامل سلمان الجبوري ، ط١، دار المحبة البيضاء ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .
٤٢- الجمل وصفين والنهروان، وهي روايات ابو مخنف قام بجمهعا وترتيبها حسن السنيد، قم ،١٤١٤هـ .
المزي، جمال الدين بن يوسف (ت ٧٤٢ هـ)
٤٣- تهذيب الكمال ، تحقيق بشار عواد ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ.
المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

٤٤- مروج الذهب، صححه وحققه يوسف ألبقاعي، ط١،دار أحياء التراث العربي،بيروت، ٢٠٠٢م.
المعافري، محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ)
٤٥- العواصم في القواصم، تحقيق العواصم في القواصم،تحقيق محمد جميل،دارالجيل ، بيروت ١٤٠٧هـ.
المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٣١٤ هـ)
٤٦- المسائل الصاغانية،تحقيق السيد محمد القاضي، ط١،مطبعة مهر، إيران، ١٤١٣هـ.
ألمقدسي، مطهر بن طاهر(ألمتوفي في القرن الرابع الهجري)
٤٧-البدء والتاريخ، وهذا الكتاب منسوب إليه، وقد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسية كلمان هوار من أعضاء مجلس العلوم الفرنسي، يطلب من مكتبة المثنى، بغداد، ١٩١٦م.
النعماني ، محمد بن إبراهيم (ت ٣٦٠هـ)
٤٨- كتاب الغيبة ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مكتبة الصدوق ، طهران ١٣٩٧ هـ .
النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)
٤٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، المشرف العام على الطباعة عبد الحميد نديم، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
الهروي ، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)
٥٠- غريب الحديث ،تحقيق محمد عبد المعيد ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٦م.
اليعقوبي، احمد بن إسحاق (ت ٢٩٢هـ)
٥١- تاريخ اليعقوبي علق علية ووضع حواشيه خليل المنصور، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٩م.

ثروات الولاة في الكوفة حتى نهاية العصر الاموي

ا.م.د ثريا محمود عبد الحسن الخزعلي
ا.م .د ازهار غازي مطرالبهادلي
جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

المقدمة:

عمال أو ولاة الخلفاء الراشدون (رضي):

اتخذ الرسول (ص) مجموعة من العمال لمساعدته في إدارة شئون الدولة الإسلامية الناشئة(١) لكن بعد وفاته عمل خليفته أبو بكر الصديق(١٣-١١ه) على نشره الإسلام ، فأرسل الجيوش إلى المناطق المجاورة وتم فتح جزء من العراق وبلاد الشام فخضعت له مناطق جديدة(٢)، حيث أبقى على العمال الذين عينهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -على مكة وصنعاء والبحرين..(٣)، فكان أبو بكر الصديق هو الذي يولي الولاة على المدن ، والعمال على القبائل، والقادة العسكريين ،كما تمتع قادة الجيوش في هذه المرحلة بصلاحيات إدارية، فقاموا بتعيين عمال على المناطق التي فتحوها(٤) .وعند انتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب(٢٣-١٣ه) توسعت الدولة اتساع كبير فقد شملت العراق وفارس والشام ومصر(٥)، وهذا الامتداد الواسع للدولة في عهده اقتضى تعيين العديد من الولاة في المناطق البعيدة عن مركز الدولة بحيث تم تقسيم الدولة إلى عدة وحدات إدارية أهمها :المدينة والبصرة والكوفة وأجناد الشام واليمن ومصر(٦). ولأن الفتوحات استمرت في عهد الخليفة عثمان بن عفان(٣٥- ٢٣ه) وتم في عهده ضم بلدان جديدة، ظهرت الحاجة إلى التوسع في الجهاز الإداري بتعيين موظفين يقومون بإدارة وتنظيم شئون المناطق المختلفة للدولة، ولذلك جرى تعيين ولاة للمناطق الجديدة والمختلفة في الدولة الإسلامية لإدارتها والإشراف على شئونها ولمواجهة الحاجات والمصالح الطارئة فيها وهذا الأمر اقتضى من الدولة تعيين موظفين جدد، فزادت نفقاتها لتخصيص رواتب وأعطيات لهؤلاء الولاة لقاء عملهم(٧).ثم انتقلت عاصمة الخلافة في أواخر عهد الخليفة علي بن أبي طالب(٣٩-٣٥هـ) من المدينة إلى الكوفة وقام علي (عليه السلام) بتغير العمال القدامى(٨). أما عن طريقة تعيين موظفى الدولة فقد كان الخلفاء الراشدين يقومون بذلك فكان يعين الخليفة عاملاً على الحرب

وعاملاً على الصلاة وعاملاً على الخراج فمثلاً عين الخليفة عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون الجمحي (ت ٣٦ه-٦٥٦م)على جباية البحرين ثم عزله وولى أبا هريرة (ت٥٨ه-٦٧٧م) (٩) ، واستعمل عثمان بن عفان (ت ٣٥ه-٦٥٦م) عبد الله بن أبي سرح (ت٣٧ه-٦٥٧م)على خراج مصر(١٠) وقد يجمع الخليفة الصلاة والحرب والخراج لوالي واحد فقد جمع عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان (ت١٧هـ-٦٣٨م) واليه على البصرة الإشراف الإداري والمالي(١١) ، وجمع علي بن طالب(عليه السلام) (ت ٣٩ه-٦٥٩م) لعبد الله بن عباس (ت٦٨ه-٦٨٧م) واليه على البصرة الإشراف الإداري والمالي أيضًا(١٢) وأمر على زياد بن أبيه (ت ٥٣ه-٦٧٣م) على فارس وخراجها(١٣).

الرقابة المالية للولاة فى العهد الراشدى :

مارس الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بنفسه الرقابة على إيرادات الدولة ومصروفاتها وشدد الرقابة على عماله الذين يتولون شئون المسلمين" فكان إذا استعمل عاملاً، كتب له عهداً وأشهد عليه واشترط عليه أن لا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً" (١٤). وكان عمر بن الخطاب يعتمد في رقابته لعماله ومحاسبته لهم على وسائل وطرق كثيرة كان من شأنها إحكام الرقابة على مالية الدولة فقد " كان يكتب أموال عماله إذا ولاهم ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك وربما أخذه منهم"(١٥). واشتهر عنه فى محاسبة عماله بقوله" أيما عامل لي ظلم أحد فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته" (١٦). ونتيجة للتطورات الواسعة والهامة التي شهدها عصر الخليفة عمر بن الخطاب واتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد إيراداتها نتيجة الفتوحات ، أصبحت الوظائف أكثر تحديداً بحيث أصبح لكل عمل عامل(١٧) ، مما أدى إلى زيادة النفقات المالية، (١٨) وبالتالي كان لزامًا عليه أن يبتكر من الأساليب والوسائل لإحكام سيطرته على عماله ، فقد طبق الطرق التي طبقها رسول الله (ص) في مجال الرقابة الإدارية وطورها وابتكر طرقاً أخرى(١٩) ،وقد تمتع الولاة في العهد الراشدي أول الأمر باختصاصات شاملة(٢٠) فكان يفوض إليهم النظر في سائر أمور الولاية فهم الذين يديرون الجيش ويديرون أمور الجند ويؤمون الناس في الصلاة ويحلون النزاعات ويقيمون الحدود(٢١). واستمرت

الرقابة على الولاة في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على نفس النهج الذي آلت إليه منذ عهد الرسول(ص) حتى وفاة عمر بن الخطاب حيث كان الخليفة عثمان يحرص على الحج بنفسه ويلتقي بالحجاج ويسمع شكاياتهم وتظلمهم من ولاتهم، وكان يطلب من عماله أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم(٢٢) وكان يستقبل الكتب التي يرسلها الرعية من الأمصار إلى المدينة بما فيها من شكاوي فقد استقبل كتباً عديدة من ضمنها كتاب أهل الكوفة(٢٣) وكتب من أهل الشام(٢٤) وسار الخليفة عثمان بن عفان على نهج عمر في إرسال المفتشين إلى الأمصار عند قدوم الشكاوي حيث أرسل عمار بن ياسر إلى مصر ومحمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام، بالإضافة إلى إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى(٢٥).كما أثر على علي بن أبي طالب(عليه السلام) حزمه وشدة رقابته على عماله وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم حيث كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيساءلون الناس وقد يسأل بعض العمال عن بعضهم ويأمرهم بتفقد أمورهم :" كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم"(٢٦).وكان يعتمد أيضًا على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوا هذه الولايات وقد يكونون من موظفي الوالي ومنتقلين من ولاية إلى أخرى(٢٧)، بالإضافة إلى الشكاوى التي تقدم ضد الوالي وكان إذا بلغته شكاية قال:"اللهم أني لم أمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك"(٢٨).كما حث على توفير الراتب المناسب حتى لا يتعدى العمال إلى المال العام حيث قال :"ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغني لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم أن خالفوا أمرك "(٢٩) وبلغت درجة المراقبة عند الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) لولاته أنه يقول لأحدهم باستحواذه على بعض المال: "لا فتش على ذلك تفتيشاً شافياً"(٣٠).

وسائل ثروة الولاة فى العصر الراشدى :

١- التجارة :

هنالك إشارات واضحة إلى أن عمال الخليفة عمر بن الخطاب علموا في التجارة واستغلوا وضعهم في تنمية أموالهم وقد نقلت المصادر الأدبية قصيدة ليزيد بن عمر بن الصعق لما نظر إلى أموال العمال تكثر استذكر ذلك على عمر بن الخطاب بأبيات شعر(٣١) ، وفيها يشتكي إلى عمر بن الخطاب هذا الأمر ويطلب التحقيق في مصادر ثروات العمال الذين عددهم فى قصيدته فيقول فى مطلعها :(٣٢)

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت ولي الله في المال والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى يسيغون مال الله في الأدم الوفر
فأرسل إلى الحجاج (٣٣)فأعلم حساب وأرسل إلى جزء (٣٤)وأرسل إلى بشر(٣٥)ويذكر أحد المؤرخين حادثة توضح لنا العمل في التجارة لأحد العمال في أيام الخليفة عمر في مال الله إذ ذكر أن أبا موسى الأشعرى قد دفع مالاً من بيت مال المسلمين إلى ولدي عمر عبيد الله وعبد الله في البصرة اشتريا منه بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمر ان يأخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح فأخذ جميعاً نصف الربح وأخذ النصف لبيت المال(٣٦)، وكذلك فعل عمر بن الخطاب مع عبد الله ولده إذ قال عبد الله : "شهدت جلولاء وابتعت من الغنائم بأربعين ألفا فقدمت بها المدينة على عمر ، فقال ماهذا ؟ فقلت ابتعت من الغنائم ...وكأني بك تبايع والناس يقولون بجلولاء هذا عبد الله بن عمر صاحب رسول الله(ص) وابن أمير المؤمنين ، وأكرم أهله عليه وان يرخصوا عليك كذا وكذا درهماً أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش... فباع من التجار متاعاً بأربعمائة ألف فأعطاني ثمانين ، وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفا إلى سعد، فقال :أقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة..."(٣٧)،كما ذكر أحد المؤرخين أبيات من الشعر عن كثرة أموال عمال عمر ، وكثر قول الناس في ذلك بحث قال شاعرهم(٣٨) :

نحج إذا حجوا ونغزو إذا غزو فأنالهم وفرا ومالي من وفر
إذا التاجر الهندي جاء بغارة من المسك راحت في مفارقهم تجري

فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون أن قاسمتهم منك بالشطر

ومن ولاته الذين عملوا في التجارة عتبة بن غزوان (ت ١٧هـ/٦٣٨م) عامله على الطائف(٣٩)، وعتبة بن فرقد عامله على أذربيجان والذي أرسل إليه الخبيص ليأكله فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب " يا ابن أم عتبة إنك لتأكل الخبيص من غير كدك ولا كد أبيك" (٤٠)، وعمل سلمان الفارسي (ت ٣٦هـ/٦٥٦م) عامله على المدائن في تجارة الخوص وورد أنه قال " لو أن عمراً نهاني عنه ما انتهيت"(٤١) ومارس التجارة أبو هريرة أثناء ولايته لعمر بن الخطاب على البحرين مما جعل عمر بن الخطاب يعترض عليه لكثرة أمواله وبنائه قصراً له في المدينة(٤٢) واستغل عثمان بن أبي العاص (٤٢هـ/٦٢٢م) والي عمان والبحرين في عهد عمر بن الخطاب منصبه في العمل بالتجارة(٤٣) ، وعهد إليه الخليفة عمر بتنمية أموال الأيتام بقوله لعثمان بن أبي العاص :" أن في يدي مالاً لأيتام قد كادت الصدقة أن تأتي عليها فهل عندكم من متجر فقال عثمان: نعم فأعطاه عشرة آلاف، فغاب عنه مدة ثم رجع إليه فسأله عن المال فقال له عثمان: هو ذا قد بلغ مئة ألف"(٤٤).ومن عماله الذين قام بمقاسمتهم أموالهم عتبة بن أبي سفيان الذي استعمله على الطائف إذ تلقاه الخليفة ذات يوم ومعه مال فسأله عنه فأجابه بأنه ماله الخاص خرج به لشراء ضيعة إلا أن الخليفة رد عليه بأنه ما كان لعامل من عماله أن يملك هذا الذي كان يبلغ ثلاثين ألفا فبيت مال المسلمين أحق به(٤٥). كما بلغه أن عامله الحارث بن كعب بن وهب أحد بني ليث بكر بن كنانة باع إبلا وعبيداً بمائة دينار فسأله عنها فأجابه: أنه خرج بنفقة يتجر بها فقال: له الخليفة لم نرسلك للتجارة وطلب منه أداء تلك الأموال لبيت المال قال : أما والله لا أعمل لك بعدها، قال: إنا والله لا استعملك بعدها (٤٦).وقد نمى التاجر عمرو بن العاص القرشي أمواله أثناء ولايته على مصر في عهد عمر بن الخطاب(٤٧) فكتب إليه الخليفة بهذا الشأن: أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية لم يكن حين وليت مصر فكتب إليه عمرو إن أرضنا ارض مزارع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا ، وما كان من الخليفة إلا أن قاسمه ماله (٤٨).وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعرى ينهاه عن الترف والتلاعب فيقول:" وقد بلغني أنه قد فشا لك

ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حتفها في السمن، وأعلم أن العامل إذا زاع زاغت رعيته وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام"(٤٩) فلما لم يرتدع عزله عن البصرة وقاسمه أمواله(٥٠).

وكذلك استفاد عدد من العمال من غنائم بيت المال فقاموا بشرائها والمتاجرة بها فقط روي أن عبيد الله بن معمر (ت٢٩هـ/٦٥٠م) وعبد الله بن عامر بن كريز (ت٥٩هـ/٦٧٩م) اشتريا من عمر بن الخطاب رقيقاً سبي في احدى المعارك ففضل عليها من ثمنه ثمانون ألف درهم فأمر بهما عمر أن يلزما فقال طلحة ما لابن معمر يلازم فاخبره خبره ، فأمر بالأربعين ألف التي عليه فدفعها عنه وعن عبدالله بن عامر (٥١).

وعبر الشاعر عبد الله بن همام السلولي(٥٢) عن مدى استغلال الولاة أو العمال للغنائم إذ نظم قصيدة بعثها إلى عبدالله بن الزبير (ت٧٢هـ/ ٦٩١م) يحتج على هؤلاء الذين آثروا من هذه الأعمال:

يا ابن الزبير أمير المؤمنين ألم يبلغك ما فعل العمال بالعمل
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا صلب الخراج شحاحاً قسمة النفل(٥٣).

٢- الإقطاعات:

ترتبط وسائل ثروة الولاة بموضوع الإقطاعات التي وهبتها الدولة لهم وما نتج عن ذلك من إقطاعات لخاصتهم، مما أدى إلى ظهور طبقة من الملاك الكبار ،ولقد منحت الدولة الولاة الأراضي والعقارات لكسب إخلاصهم وميولهم لها وكان هذا سبب في ازياد ثرواتهم وتوسيع ملكياتهم وقد عرف الإقطاع منذ زمن الرسول (ص) (٥٤) فأقطع عمر بن الخطاب إقطاعات كثيرة وتوسع الخليفة عثمان بن عفان كثيراً في منح الإقطاعات فأقطع الأشعث بن قيس طيزناباد والذي تولى أذربيجان في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام (٥٥) وأقطع أيضا جرير بن عبدالله البجلي أرضاً على شاطئ الفرات(٥٦) وملك عامله على الشام معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ/٦٨٠م) أراضي الصوافي ومنحه إياها(٥٧) وأقطع مروان بن الحكم فدك(٥٨). وقد ساعدت الإمكانات الكبيرة للولاة في استصلاح مساحات كبيرة من أراضي الموات كشق الأنهار

. فقد قام عثمان بن أي العاص الثقفي (ت٤٢هـ/٦٦٢م) باستصلاح مساحة نسبت إليه وعرفت بشط عثمان (٥٩) وله أيضا عدة دور في البصرة(٦٠) .

وأقطع الخليفة أبو بكر واليه على العراق خالد بن الوليد ، موضع دار في المدينة(٦١)، وحبس موضع داره في المدينة على أقاربه لا تباع ولا توهب ولا تورث(٦٢) ولعبد الله بن عامر بن كريز مزارع في النباج بنجد(٦٣)، واشتهر بتملكه الأراضي(٦٤)، وعبد الله بن أبي سرح كان له بالمدينة أرض تسمى كَيْدَمه اشتراها بأربعين ألف درهم(٦٥)، ولسعيد بن العاص ضيعة غناء بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة(٦٦) .وأقطع الخليفة عمر بن الخطاب نافع بن الحارث بن كلدة واليه على المدائن عشرة أجربه في البصرة (٦٧).

٣- المنح والهبات:

لقد حصل الولاة على هبات وعطايا الخلفاء مما زاد من إمكانياتهم المالية وبالتالي تقوية وضعهم الاجتماعي وتحسين ظروف معارفهم وأقربائهم الاقتصادية فلقد أعطى عثمان بن عفان عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألف درهم(٦٨)، وأعطى واليه على البحرين مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ/٦٨٥م) خمسة عشر ألف درهم (٦٩) ، وأعطاه خمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار ، فبنى مروان دارا بالمدينة ، ودعا الناس إلى طعامه وقال مروان :"والله ما أنفقت في داري هذه من أموال المسلمين درهماً فما فوقه (٧٠) . وأعطى عثمان بن عفان الحارث بن الحكم والحكم بن أبي العاص كلاً منهما مئة ألف درهم(٧١) ، كما أقطع الحارث بن الحكم موضع سوق المدينة (مهروز) (٧٢)، وأعطى العباس بن ربيعة بن الحارث مائة ألف درهم(٧٣) ، ووصل علي بن أبي طالب (عليه السلام) أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري كل ما في منزله فبلغ ذلك أربعين ألفا(٧٤) ، ويذكر أن عبد الله بن عامر بن كريز (ت ٥٩هـ/٦٧٩م) أراد أن يكتب لرجل خمسين ألف درهم فجرى القلم بخمس مئة ألف فراجعة الخازن في ذلك فقال: أنفذه، فما بقي إلا نفاذه ، وأن خروج المال أحب إليه من الاعتذار(٧٥).

وقد انعكس ثراء الولاة على مأكلهم وملبسهم فارتدوا لباساً يليق بمكانتهم الاقتصادية والاجتماعية فقد لبس سعد بن أبي العاص الخز واختتم بالذهب(٧٦) ، وذكر أن عبد

الله بن عامر بن كريز أول من لبس الخز بالبصرة(٧٧) ، ووفد عليه ابن جابر بن عبدالله الأنصاري ، ورجل من ثقيف فأمر لهما ابن عامر بأربعة آلاف درهم وكسوة مطرف(٧٨) ، وأعطى يعلي بن أمية والي اليمن لعثمان بن عفان أبو سفيان عشرة آلاف درهم(٧٩) ، وأعطى الأشعث بن قيس أثناء ولايته لأذربيجان لرجل ألفين درهم(٨٠) .

ومن هبات الولاة أيضًا هبات سعيد بن العاص عندما وفد على عثمان بن عفان حيث أفشي الصلات والكسى بين وجوه المهاجرين والأنصار بالمدينة(٨١) ووهب الولاة للشعراء هبات كثيرة ، فقد وهب الوالي الوليد بن عقبة في ولايته للكوفة فى عهد عثمان للشاعر لبيد بن ربيعة العامري مائة من الإبل(٨٢) ، ومن هباته هبته لأبي زبيد الشاعر داراً في الكوفة بعد أن طلبها منه(٨٣)، وأعطى سعيد بن العاص رجلاً فقيراً من أهل الكوفة طلب معونة ثلاثة عبيد على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم(٨٤) وان رجلاً قال له أنه صاحب معروف وأنه حجب عنه فأعطاه سعيد مائتي ألف درهم وما يملكه ذلك الحاجب جراء حجب الرجل(٨٥) .

وأعطى الوالى معاوية بن أبي سفيان(ت٦٠هـ/٦٨٠م) لأبي ذر الغفاري ألف دينار ليختبر بها صدق زهده(٨٦) ، كما أرسل الولاة هدايا إلى الخلفاء لضمان رضاهم وكانت متنوعة وغالية الثمن وهذا دلالة على أوضاعهم المالية الجيدة ، فقد وجه معاوية بن أبي سفيان هدايا كثيرة إلى الخليفة عثمان بن عفان جمعها بعد فتح قبرص(٨٧).

٤- الرواتب والأرزاق:

حددت الدولة رواتب غير ثابتة لعمالها فقدمت لهم من بيت المال نقوداً أو أرزاقاً(٨٨) ، فقد فرض عمر بن الخطاب لـ عياض بن غنم الفهري عامله على ولاية حمص مقابلاً يومياً(٨٩)، لأنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أصبحت الإدارة أكثر تنظيماً وخاصة مع توسع الدولة وكثرة الأموال بسبب الفتوحات فكان يفرض للولاة أرزاق تتناسب مع طبيعة العمل الذي يؤدونه وحسب حجم الولاية فقد فرض لأبي عبيدة بن عامر بن الجراح ألفي درهم في السنة عندما ولاه الشام(٩٠) وجعل لمعاوية بن أبي سفيان ثمانين ديناراً في كل شهر(٩١) أي في السنة بلغ عطاءه أيام ولايته على الشام عشرة آلاف دينار سنوياً(٩٢) ، كما أقطعه الخليفة عثمان بن عفان إقطاعات عديدة كرزق له على عمله

أثناء ولايته على الشام(٩٣) وأعطى أبو موسى الأشعرى الخليفة عمر بن الخطاب ستمائة درهم في الشهر لولاية البصرة(٩٤) ،وعمار بن ياسر ستمائة درهم في الشهر لولاية الكوفة ،(٩٥) وسلمان الفارسي أربعون ألف درهم في السنة لولاية المدائن(٩٦) ، وهرثمة بن عرفجة مائتي درهم في الشهر لولاية الموصل(٩٧)، وعمرو بن العاص مائتي دينار في السنة لولاية مصر (٩٨) ، والربيع بن زياد الحارثي ألف درهم في السنة لولاية البحرين(٩٩) ، وكان عطاء عثمان بن حنيف والي البصرة في عهد علي بن أبي طالب في السنة خمسة آلاف درهم(١٠٠).

٥- الاختلاس:

لجأ بعض الولاة والعمال إلى طرق غير مشروعة لتحقيق الثراء ، وكانت الرعية إذا تيقنت من هذا الأمر بعثوا الشكاوي للخلفاء تطالبهم بعزل هؤلاء الولاة .

وممن لجأ إلى هذه الوسيلة مصقلة بن هبيرة الشيباني(ت٥٠ هـ/٦٧٠م) عامل علي بن أبي طالب(عليه السلام) على إحدى بلاد الأهواز ، حيث كان يوزع الغنائم على أقاربه فبلغ ذلك الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فكتب إليه :"إنك تقسم في المسلمين المال من بيت المال على ملذاته وترفهه ، وعندما وصل الخبر للخليفة علي بن أبي الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دمائهم فيمن هم من أفراد قومك..."(١٠١)، فقام بسرقة الأموال وهرب بها إلى معاوية ،فكتب له الخليفة :"أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك فارفع إليَّ حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام"(١٠٢) .

وقام الوالى يزيد بن حجية التميمي عامل الخليفة على بن أبى طالب على الري وأحوازها ثلاثين ألفا من بيت المال فطالبه الخليفة فأنكر(١٠٣)، وهرب إلى معاوية بن أبي سفيان حيث قام " فكسر الخراج واحتجن المال لنفسه فحبسه الخليفة علي وجعل معه مولى يقال له سعد فهرب يزيد وسعد نائم ولحق بمعاوية"(١٠٤).وقام عبدالله بن سوار بن همام العبدي عامل الخليفة على على البحرين بجمع الأموال وهرب بها .(١٠٥) .واختلس الوالى المنذر بن الجارود العبدي والى فارس من خراجها ، وكان

أربعمائة أربعمائة ألف درهم فحبسه الخليفة علي(عليه السلام) وأمره بدفعها فتشفع فيه صعصعة بن صوحان ، وكفله بالمال فأطلقه الخليفة علي(عليه السلام) حيث أراد أن يحقق بعض الفوائد المادية لبني قومه فكتب إليه علي بن أبي طالب(عليه السلام) مؤنباً: " تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك"(١٠٦). وقام القعقاع بن شور الذي استعمله الخليفة علي(عليه السلام) على ميسان بإنفاق طالب(عليه السلام) ، أخذ الأموال وهرب إلى معاوية بن أبي سفيان(١٠٧)، فأصدق إمرأة بمائة ألف درهم(١٠٨) . وأما الأشعث بن قيس فكان والياً لعلى بن أبى طالب(عليه السلام) على أذربيجان، فكتب إليه الخليفة علي(عليه السلام):" وان عملك ليس لك بطعمة ؟ ولكنه في عنقك أمانة ... وفي يديك مال من مال الله تعالى وأنت من خزانه حتى تسلمه لأهله ..." (١٠٩) ، وعند وصول كتاب الخليفة علي(عليه السلام) إلى الأشعث جمع أهل بيته وثقته واستشارهم وقال: "إن كتاب علي جاءني وقد أوحشني وهو أخذي بمال أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية ، فقال القوم :الموت خير لك من ذلك..."(١١٠). وولى الخليفة علي(عليه السلام) النعمان بن عجلان على البحرين ، فأخذ مال البحرين فلما بلغ ذلك الخليفة كتب إليه قائلاً:" أما بعد فانه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه ، أخل بنفسه..." (١١١). وكتب لعامله قدامة بن عجلان على كسكر: أما بعد فاحمل ما قبلك من مال الله فإنه فيء للمسلمين ، لست بأوفر حظاً فيه من رجل منهم ولا تحسبن يا ابن أم قدامة أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأمك فجعل حمله وأعجل في الإقبال إلينا إن شاء الله(١١٢).

أشهر ولاة العهد الراشدي غنًا ومصير ثروتهم :

المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ/٦٦٩م):

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو الثقفي (١١٣) اسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وله في صلحها كلام ، وهو أحد الدهاة العرب المشهورين (١١٤). أحد التجار المشهورين من الطائف وصل بتجارته إلى الإسكندرية وافداً على حاكمها المقوقس(١١٥)، تذكر المصادر التاريخية أن الرسول (ص) انزل الوفود في داره فقد روي عن أوس بن حذيفة قال:" قدمنا على رسول الله (ص) في

وفد ثقيف فنزل الأحلاف على المغيرة بن شعبة فأكرمهم"(١١٦). شارك في خلافة أبي بكر الصديق في حروب الردة ١١ه/٣٢مـ (١١٧)، وشهد معركة اليرموك حيث فقئت إحدي عينيه (١١٨) ، وساهم كذلك في معركة القادسية ١٥ه/٦٣٦مـ (١١٩).استخلف عتبة بن غزوان المغيرة على البصرة، وسار إلى المدينة فمات في الطريق فأقر الخليفة عمر بن الخطاب المغيرة بدلا منه على البصرة ثم عزله عن البصرة بعد اتهامه بحادثة الزنا وولاه الكوفة(١٢٠)، وامتلك المغيرة بن شعبة دوراً في الكوفة(١٢١) . ويروي أنه له خبرة بالنساء وتزوج الكثير من النساء فيذكر أنه" .. لما أسننت أرضيتهن بالمداعبة والفكاهة فلما هرمت أرضيتهن بالمال..."(١٢٢)، وهذا يدل على أنه كان كثير المال.

فضلاً عن أن الذهبي يشير إلى أن عمرو بن العاص هو الذي أشار على الخليفة بتولية المغيرة بن شعبة على الكوفة بقوله له: "ألا أدلك على أمير الكوفة؟ قال بلى، فقال له هو المغيرة بن شعبة... واستعن برأيه وقوله في المكيدة واعزله عن المال، فقد كان قبلك عمر ، وعثمان قد فعلا ذلك". (١٢٣).ومن الجدير بالذكر أن المغيرة بن شعبة كانت له معرفة بأهل العراق، وكان يعرف كيف يسوسهم وذلك بحكم تجاربه السابقة، فقد كان من الرجال الذين اعتمد عليهم الخليفة عمر بن الخطاب، إذ عينه والياً على البحرين بعد عام (١٥هـ/٦٣٦م) (١٢٤)، وكذلك عين واليا على صنعاء لعدة أشهر، ولم يرد أي ذكر للسنة التي تم فيها هذا التعيين(١٢٥)، ثم عين والياً على البصرة (١٥-١٧هـ/ ٦٣٦-٦٣٨م)، وعزل عنها بسبب حادثة الزنا التي اتهم بها(١٢٦). وفي عام(٢١ه/٦٤١مـ) ، عزل الخليفة عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة وولى عليها المغيرة بن شعبة وأوصاه قائلا: ليأمنك الأبرار ولتخافك الفجار(١٢٧)، وكانت هذه الوصية بمثابة برنامج سار عليه المغيرة بن شعبة في ولايته على الكوفة.

ومن خلال الوقوف على شخصية المغيرة بن شعبة، والذي كان سنه قد تجاوز الستين عاما، فانه من المؤكد لم يغير موقفه اعتباطا وينضم إلى صف معاوية بن أبي سفيان، فهذا الرجل الذي عرف بدهائه لا بد أنه استطاع أن يقرأ الموقف السياسي آنذاك، مما دفعه إلى كسر عزلته والانضمام إلى صف معاوية بن أبي سفيان ، كل هذه الأمور دفعت

بمعاوية بن أبي سفيان بضمه إلى جانبه للاستفادة من قدراته وقابليته الإدارية والعسكرية(١٢٨). قدم المغيرة بن شعبة إلى الكوفة في عام (٤١هـ/٦٦١م)، وهو كبير السن ، وقد صقلته الحياة، وكانت أمامه مهمة عسيرة تتمثل في تثبيت الحكم الأموي في بلد غير مستقر(١٢٩)، لذلك اتبع المغيرة بن شعبة سياسة العافية في تعامله مع أهل الكوفة فهو أحب العافية وأحسن في الناس السيرة حيث لم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم"(١٣٠)، متبعا سياسته المعروفة لين بدون ضعف، وقوة بدون شدة اعتمادا على وصية الخليفة عمر بن الخطاب التي أشرنا إليها سابقًا.

-سعد بن أبي وقاص (ت ٥٦ه/٦٧٥مـ):

هو سعد بن أبي وقاص(١٣١) بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة(١٣٢) بن كلاب(١٣٣) بن مرة بن كعب بن لؤي(١٣٤) بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة(١٣٥) ويكنى أبا إسحاق، وأمه حمنه بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي(١٣٦). ولد سعد بن أبي وقاص عام الفجار عام٥٩٠م(١٣٧)، كان من أوائل المسلمين وأسلم وعمره سبعة عشرة سنة(١٣٨) هاجر إلى المدينة قبل مقدم النبي محمد (ص) إليها وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد(١٣٩). وهو من أغنياء المسلمين (١٤٠)، ومن الدلائل التي تدل على غناه: شراؤه لبئر سماه الرسول (ص) فيما بعد بئر (السقايا) اشتراه سعد ببكرين ويقال بسبع أواق، ولما ذكر للنبي(ص) أن سعد اشتراه قال: "ربح البيع"(١٤١) ،ولبس الخز ،وخاتم ذهب،(١٤٢) وابتنى داراً بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات(١٤٣) وبنى قصره بالحجارة والآجر والجص(١٤٤)، ، واشترى بيت رافع بن خديج مولى النبي(ص) بأربعة آلاف منجمة(١٤٥). وعندما مرض سعد بن أبي وقاص أوصى بثلث ماله ، وعندما زاره الرسول فقال له :" انك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس"(١٤٦) ، وله أموال في الغابة إذ كان يذهب إلى ماله في الغابة فيأتي من خلف قبور الشهداء فيقول السلام عليكم ثلاثاً (١٤٧) . شكلت الغنائم مصدر واسع من مصادر تكوين ثروة سعد بن أبي وقاص إذ كان من أبرز المشاركين في الغزوات والسرايا في عهد الرسول (ص) وكذلك في العهد الراشدي حيث كان له

نصيب كبير من غنائمها فلقد شارك في القادسية وفتح المدائن وفتح جلولاء(١٤٨) ، واعتزل أخر أيامه في قصر بناه بطرف حمراء الأسد واتخذها رضا ومات بها وحمل إلى المدينة فدفن فيها(١٤٩) ، وترك يوم مات مائتين وخمسين ألف درهم(١٥٠)، وتوفي عام ٥٦هـ/٦٧٥م (١٥١)،وعمره ٨٥ سنة (١٥٢)، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخر المهاجرين وفاة توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ويلتقي نسبه مع الرسول (ص) في كعب بن لؤي(١٥٣) تولى الكوفة في سنة ٢١هـ/٦٤١م فشكاه أهل الكوفة إلى عمر فعزله(١٥٤)، وكان الخليفة عمر قد أرسل إليه محمد بن مسلمة عندما بنى باب لقصره فأحرقها وقاسمه أمواله(١٥٥) .و كان سعد أحد البدريين الذين كان عطاءه خمسة آلاف درهم(١٥٦)، كان خلال عمله على الصدقات في بيت المال(١٥٧) كان قد اقترض أموالاً للتجارة (١٥٨). وأقطعه الخليفة عثمان بن عفان عندما منح الإقطاعات من الصوافي المحيطة بالكوفة فقد منح سعد بن أبي وقاص الهرمزان(١٥٩). وكان قد أرسل بزكاة ماله فبلغت خمسين ألف دينار، فأمواله وعقاراته كانت بعد توليه قيادة الجيش في العراق وتوليه الكوفة وأملاكه زادت أيام الخليفة عثمان بن عفان.(١٦٠) وتذكر المصادر التاريخية أن سعد بن أبي وقاص والي الكوفة (٢٤-٢٦هـ) أنه استلف أموالاً من بيت مال الكوفة ، ولما تأخر عن موعد ردها خاصمه صاحب بيت المال (عبد الله بن مسعود)(١٦١)، ولما علم الخليفة عثمان بن عفان ذلك عزل سعد عن ولاية الكوفة(١٦٢). وكان سعد قد تصدق بداره في المدينة(١٦٣)، على أولاده صدقة جعلها حبساً لا تباع ولا توهب وقد حاول ورثة سعد بن أبي وقاص أن يتوارثوا تلك الدور الموقوفة فاختصموا إلى مروان بن الحكم فاستشار فيها أبناء أصحاب رسول الله فأنفذها على ما صنع سعد(١٦٤).

أبو موسى الأشعرى:

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن صفار(١٦٥) بن حرب بن عامر بن عنز بن عامر بن عذر(١٦٦) بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعرى(١٦٧) ولد سنة ٢١ قبل الهجرة في مدينة زبيد باليمن(١٦٨). ثم تولى بعد ذلك ولاية الكوفة فقد عرف عن الخليفة عمر بن الخطاب أن يحسن اختياره لعماله وشدته في مراقبتهم ومحاسبتهم ،وقد

اختار لولاية البصرة والكوفة خيرة صحابة رسول الله (ص)وأقدرهم على الإدارة، فأقبل بنفسه إلى أهل الكوفة ، وسألهم عمن يريدون فاختاروا أبا موسى الأشعرى ، فأقره والياً عليهم في سنة ٢٢هـ بعد أن عزل عمار بن ياسر، وقد أقام أبو موسى الأشعرى والياً على الكوفة سنة فشكاه بعض أهلها إلى عمر وقالوا عنه بأن غلامه يتاجر بأقواتهم فعزله الخليفة عمر وصرفه عن البصرة حتى سنة ٢٩هـ (١٦٩). وتولى الكوفة في عهد الخليفة عثمان بن عفان في سنة ٣٤هـ(١٧٠) وعندما نزل الكوفة ابتنى بها داراً(١٧١) .

الأوضاع المالية للولاة في العصر الأموي:

- مصعب بن الزبير(ت٧٠ه/٦٨٩م):

تولى البصرة والكوفة سنة ٦٧ه/٦٨٦م ـوعزل في السنة نفسها ثم أعيد العام التالى ٦٨/٦٨٧م ، واستمر لثلاث سنوات ٧١ه/٦٩٠م فكانت مدة حكمه ثلاث سنوات وبضعة أشهر في عهد عبد الله بن الزبير(١٧٢) . وكانت ظاهرة الاستيلاء على الأموال قد انتشرت فى العراق فى تلك الفترة بسبب سيطرة الزبيريين بقياده مصعب بن الزبير على العراق لصد المختار(١٧٣)، وبعد استشهاد المختار قام مصعب بن الزبير باختلاس الأموال الموجودة في البصرة وإعطائها مهوراً لاثنين من النساء تزوجهن في وقت واحد(١٧٤)، وانعكس ثراء العمال على مأكلهم وملبسهم وعلاقاتهم الاجتماعية وظهرت صفات الثراء على زوجات الولاة وجواريهم فقد دخل مصعب بن الزبير على زوجته عائشه بنت طلحة وهي نائمة ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها(١٧٥)، وقد أهلهم وضعهم الاقتصادي على بذل الأموال الجزيلة للحصول على زوجات ، فقد كان عند مصعب بن الزبير امرأتان بلغ مهر كل واحدة منهن ألف ألف درهم(١٧٦).

الحجاج بن يوسف الثقفي(ت٩٥هـ/٧١٤م):

وليّ مكة والكوفة والبصرة وواسط (٧٥-٩٥ه/ ٦٩٤-٧١٤م) في عهد الخليفتين عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦ه/٧٠٥-٧١٤م)(١٧٧). وقد بلغ راتبه نصف مليون درهم سنوياً(١٧٨). ويدلل على ثروته وعظمها أنه كان قد أنفق

أموالاً طائلة لإطعام الجند إذ كان يصنع يومياً الطعام لعشرة آلاف من جند الشام(١٧٩)، بالإضافة إلى ذلك فقد أنفق على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم(١٨٠) .كما دفع الحجاج بن يوسف مائتي ألف درهم كصداق هند ابنة النعمان(١٨١)، وخطب ابنة عبدالله بن جعفر الهاشمي القرشي(ت٨٠هـ/٧٠٠م)" وتدعى أم كلثوم على ألفي ألف درهم في السر وخمسمائة ألف درهم في العلانية" (١٨٢)، وهذا يدل على أنه كان على جانب عظيم من الترف والغنى. وذكرت بعض المصادر أن عمالة الحجاج بن يوسف كانت تقدر بخمسمائة ألف درهم في السنة(١٨٣)، فقد كان الحجاج إذا وضع على رأسه قلنسوة طويلة لم يجرؤ أحد من الخلق أن يضع على رأسه مثلها(١٨٤). كما يدلل على ثروته أنه امتلك ستمائة درع كان قد وفقها للجهاد في سبيل لله فأوصى ابنه في وصيته بقوله :" أنه لم يترك بيضاء ولا صفراء إلا ستمائة درع ثلاثمائة يبعث بها إلى ثغور المسلمين يجاهد بها العدو وثلاثمائة تدخر لمن خرج من منافقي أهل العراق"(١٨٥)، وحفر بئراً بالشجي(١٨٦)، حيث مات قوماً من العطش في أيامه فقال :" إني أظن أنهم دعوا الله حين بلغ بهم الجهد فاحفروا في مكانهم الذي كانوا فيه لعل الله أن يسقى الناس فأمر ببئر فحفرت فأنبتت ماءاً لا ينزح"(١٨٧).وعمل الصهاريج بالقرب من البصرة ، والحجاج عملها لتكون مادة لشرب أهل الموسم والقوافل ومن يرد من المسافرين(١٨٨)، كما اصلح بركة الياقوتة التي اشرنا اليها سابقاً (١٨٩).وقد صادر الخليفة الوليد بن عبدالملك تركة الحجاج الثقفي والبالغة مائتى مليون درهم(١٩٠)، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه وقد يكون عشرين مليون درهم.

الملخص:

تنوعت الحياة الاقتصادية وتباينت من فترة الى اخرى ما بين رخاء وشدة وكان لكل عصر سمة اقتصادية خاصة به، فعنينا في هذه الدراسة جمع الولاة الكوفيين الاغنياء بذكر اسمه ونسبه ومصدر ثروته وكيف انفق هذه الثروة ، ومع ان حركة الفتوحات الاسلامية كانت سببا اساسيا وعاملا مؤثرا في تنامي ثروات هولاء الولاة بدءا من العصر الراشدي وحتى نهاية العصر الاموي الا انها لم تكن الوحيدة فالنشاط الاقتصادي الذي

شارك فيه الولاة كان نشاط تجاري ملحوظ كعمليات الاتجار بالغنائم والتي ساهمت مساهمة فعالة في زيادة ثرواتهم كما شاركوا في انشطة اقتصادية اخرى من زراعة وصناعة وسبب اختيار الموضوع هو لكشف الغموض عن ما يتعلق بثروات الولاة قبيل تولي الحكم واثناءه وبعد ترك المنصب وتبيان الاصلاحات المالية والاقتصادية التي قام بها هولاء الولاة واثر تلك الاصلاحات على وضعهم المالي، فسنبدء بعرض لممتلكات الولاة من الاراضي الزراعية وعرض من مارس التجارة وتوضيح دور الرقابة المالية ووسائل ثرواتهم كالتجارة والاقطاعات والمنح والهبات والرواتب والارزاق والاختلاس ومن الولاة الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة ابو موسى الاشعري وعبيدالله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفي وكل هولاء الولاة جاءت ثرواتهم اما من التجارة او الاقطاعات او المنح او الهبات او الرواتب واخيرا الاختلاس

الهوامش والمصادر:

(١)العمري:اكرم ضياء،عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، مكتبة العبيكان ، المدينة المنورة ،١٤١٤ه ، ص١١١.

(٢)ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري(ت٢٣٠ه/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ج٥، ص٥٢٥؛ ابن حبان : محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي(ت٣٥٤ه/ ٩٦٥م)، الثقات ،ج٢، ص١٧٩؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠ه/٩٧١م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ، ط٢، الموصل ، ١٤٠٤ه- ١٩٨٣م، ج١٨، ص٩٤.

(٣) الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠ه/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٦م، ج٣، ص١٤٧-٤٢٧؛ العمري:المصدر السابق ، ص١٢٠.

(٤)البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩ه/٩٨٢م)، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٣ه-١٩٨٣م، ص١١٧؛ الطبري: المصدر السابق ، ج٤، ص١٨٥-٢٢٦.

(٥) ابن سعد: المصدر السابق ، ج٣،ص٢٨٢؛ الطبري: المصدر السابق ، ج٤، ص٣١١؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٧، ص٣٤.

٦- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (٢٨٤ه/٨٩٧م)،

- تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : خليل المنصور ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م ،ج٢، ص١٥٤ ؛ ابن سعد:الطبقات، ج٣، ص٢٨٢؛ خليفة : ابو عمر خليفة بن خياط العصفري(ت٢٤٠ه/٨٥٤م)، تاريخ خليفة، راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز ، حكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٥م ، ص١٥٣؛ جاسم صكبان :دراسات في التاريخ العربي من خلافة أبو بكر حتى سقوط الدولة الأموية ،المكتبة الوطنية ، بغداد، ١٩٨٥، ص٥٤.

(٧)اليعقوبي: البلدان، وضع حواشيه :محمد امين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م . ص٢٩٦؛ المقدسي، مطهر بن طاهر(ت٣٨٧ه/٩٩٧م)، البدء والتاريخ ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، د.ت،ج٢،ص١٩٥؛ ابن قتيبة: ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري(٢٧٦ه/٨٨٩م):المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة ، القاهرة ،١٩٦٠م،ص٣١٦.

(٨)الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢ه/٨٩٥م)،الأخبار الطوال ، تحقيق:محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠١،ص١٣٣؛ الطبري:تاريخ الرسل،ج٦،ص٢٥.

(٩)ابن سعد:المصدر السابق ، ج٥، ص٥٦٠؛ ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦ه/١٢٢٨م) ،معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت، د.ت، ج١، ص٣٤٨؛ ابن حجر: شهاب الدين بن احمد بن علي بن حجر

العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢/ ١٤٤٨م)،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق :الشيخ عادل احمد عبدالموجود ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ج٥، ص٤٢٤.

(١٠) الزبيري :ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب(٢٣٦ه/٨٥٠م)، نسب قريش، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص١٧٨؛ خليفة : تاريخ خليفة،١٧٨؛ ابن قتيبة:المعارف، ص٣١٨؛ الدينوري : الأخبار، ص١٣١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص١٧٦، الطبري:تاريخ الرسل، ج٥،ص٢٥٦؛ المسعودي:ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦ه/٩٥٧م)،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وراجعه كمال حسن مرعي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م ،ج٢،ص٣٤٣؛ ابن الأثير: عز الدين بن الأثير ابو الحسن علي بن محمد بن ابي الكرم (ت٦٣٠ه/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ ، تحقيق : ابي الفداء عبد الله القاضي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م،ج٢،ص٤٨٢.

(١١)خليفة : المصدر السابق ،ص ١٥٤، البلاذري: فتوح البلدان،ص ص ٣٣٨-٣٤٠؛ اليعقوبي: المصدر السابق ،ج٢، ص١٦١؛الطبري: المصدر السابق ، ج٥، ص٢٣٩؛ المقدسي:البدء والتاريخ ،ج٥،ص١٧٥؛ ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ه/٩٧٧م)،صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢م، ص٢٣٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٢، ص٣٩٥.

(١٢)الدينوري:الأخبار،ص١٣٣؛ اليعقوبي: المصدر السابق ،ج٢،ص١٧٩؛ ابن الأعثم: ابو محمد احمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي(ت٣١٤ه/ ٩٢٦م)،الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦، ج٢، ص٣٣٨؛ ابن دريد: ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١ه/٩٣٣م)،الاشتقاق ، تحقيق :عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، ط٣، القاهرة ، د. ت،ص٤٤٢؛ المقدسي: المصدر السابق ، ج٥، ص١١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٣، ص٩٢.

(١٣)الطبري: المصدر السابق ،ج٦،ص٧١؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢،ص٦٤٠.

١٤- الطبري: المصدر السابق ،ج٢،ص٥٦٩؛ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي (٥٧١ه/١١٧٥م)،تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت ،١٩٩٥،ج٤٤،ص٢٧٦؛ ابن الجوزي: ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ه/١٢٠١م)، مناقب عمر بن الخطاب، تحقيق: حلمي محمد اسماعيل ،دار ابن خلدون ،١٩٩٦،ص٨٦.

(١٥)البلاذري: فتوح البلدان،ص٢٢١؛ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨ه/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق :احمد امين ،احمد الزين ،ابراهيم الابياري ، دار احياء الثراث العربي ، ط٣، بيروت ، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م،ج١، ص ص٤٣-٤٤؛ ابن قدامه: قدامة بن جعفر(٣٣٧ه/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد،ط١، العراق، د.ت، ص٢٣٩؛ السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت٩١١ه/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار النهضة ، القاهرة ، ١٣٩٦ه-١٩٧٦م ،ص١٤١.

(١٦) ابن سعد: الطبقات،ج٣،ص٦٢٠.

(١٧)الطبري: تاريخ الرسل،ج٤،ص٦٧.

(١٨) نزار الحديثي: الأمة والدولة في سياسة النبي (ص) والراشدين، دار الحرية للطباعة، (بغداد) ١٩٨٧، ص١٩٣.

(١٩)محمد كرد علي: الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤، ص ٢٥؛ علي محمد حسنين: الرقابة الإدارية في الإسلام، دراسة مقارنة، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٤، ص ١٢٩ ؛ يوسف إبراهيم:النفقات العامة في الإسلام ، قطر، دار الثقافة ، ط٢، ١٩٨٨،ص١٣١.

(٢٠)عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : النظم الإسلامية في اليمن، ميلاداً ونشأة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق(١٤٠٩هـ/١٩٨٩، ص ٤٠.

(٢١)الماوردي:ابو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠ه/١٠٥٨م)،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،ص٥١.

(٢٢)الطبري: تاريخ الرسل، ج٥، ص١٣٤.

(٢٣)ابن شبه: ابو زيد عمر بن شبه(ت٢٦٢ه/٨٧٦ م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج٣، ص١١٤٢.

(٢٤)ابن أعثم: الفتوح، ج٢، ص١٨٨.

(٢٥)الطبري: المصدر السابق ،ج٥ ، ص٩٩؛ النويري: شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣ه/١٣٢م)، نهاية الأرب نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق :محمد رفعت فتح الله ، مراجعة ابراهيم مصطفى، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٩٧٥، ج١٩، ص٤٧٤.

(٢٦)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٤.

(٢٧)المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٥، الطبري: المصدر السابق ، ج٦، ص٨٢.

(٢٨)ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨ه/١٣٢٨م)، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، دار الجيل ، ط١، بيروت ، ١٤١٣ه-١٩٩٣م، ص٢٩؛ مجموع الفتاوى ،جمع وترتيب : عبد الرحمن بن حمد بن قاسم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨. ج٢٨، ص٢٦٩.

(٢٩)محمد كرد علي: الإدارة الإسلامية، ص٥٩.

(٣٠)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠١.

(٣١)أبو عبيد: الأموال،ص٣٤٢.

(٣٢)تنسب هذه القصيدة إلى أبي المختار النميري . انظر: ابن عبد الحكم: فتوح،ص٣٦١، البلاذري: فتوح البلدان،ص٥١٣،٣٧٧-٥١٤؛ ابن حجر: الإصابة،ج٦، ص٧٠٤.

(٣٣)الحجاج بن عتيك الثقفي وكان على الفرات.

(٣٤)جزء بن معاوية عم الأحنف وكان على سرق.

(٣٥)بشر بن المحتفز كان على جند نيسابور.

(٣٦)الطرطوشي : سراج الملوك ، ج٢، ص٤٨٠.

(٣٧)ابن الجوزي :المنتظم ، ج٣، ص١٢٩ .

(٣٨)الداودي: الأموال، تحقيق ودراسة :رضا محمد سالم شحاذة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٨، ص٩٣-٩٤.

(٣٩)الطبري: تاريخ الرسل ،ج٥، ص١٤٢؛ المقدسي:البدء والتاريخ،ج٥، ص١٧٦؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق،ج١، ص٢٣٢؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٥.

(٤٠)ابن الجوزي: صفة الصفوة،ج١،ص٥٤١.

(٤١)أبو عبيد: الأموال، ص٣٤٣؛ ابن سعد: الطبقات،ج٤، ص ص٣٣٥-٣٣٦، ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٤٨؛ البلاذري: فتوح البلدان،ص١١٢-١١٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج١،ص٥٤.

(٤٢)خليفة: تاريخ خليفة، ص١٥٤، البلاذري: فتوح البلدان، ص٩٣؛ الطبري: تاريخ الرسل،ج٥، ص ص١٠، ٢٣٩، ٢٩٥، ٣١٠؛ ابن الأثير: الكامل،ج٢،ص٣٩٥؛ ابن حجر، الإصابة،ج١،ص٣٢٧.

(٤٣)ابن حزم:المحلى،ج٥، ص٢٠٨؛ البيهقي: السنن،ج٤، ص١٠٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة،ج٢، ص٣٨؛ الزيلعي: نصب الراية،ج٢، ص٣٣٣؛ ابن حجر: الدراية،ج١، ص٢٤٩؛ تلخيص،ج٢، ص١٥٩.

(٤٤)ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج١، ص٤٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج،ج١٢، ص٩٧.

(٤٥)ابن عبد ربه: المصدر السابق،ج١، ص٥٧؛ ابن أبي الحديد: المصدر السابق،ج١٢، ص٤٢-٤٣.

(٤٦)أبو عبيد: الأموال، ص١٩٣، ٢١٤٠؛ ابن عبدالحكم: فتوح، ص ص٥٣، ٧٣، ١٧٠، ٢٥٨؛ اليعقوبي: مشاكلة الناس، ص١٦؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد،ح١، ص٥٤.

(٤٧)البلاذري: فتوح، ص٣١٨-٣١٩؛ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ،ص١٤٦؛ ابن عبد ربه: المصدر السابق ،ج١، ص٣٩؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج١، ص ص٤٣-٤٤ ، ص ص١٧٤-١٧٥.

(٤٨)البلاذري: المصدر السابق ، ص٢٢١؛ ابن عبد ربه: المصدر السابق ،ج١، ص٣٨؛ قدامة :الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٣٩ .

(٤٩)ابن قتيبة: عيون الأخبار،ج١، ص٦٤؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٥٨؛ الماوردي: نصيحة الملوك؛ محمد خضر، ط١، مكتبة الفلاح، (الكويت ١٤٠٣هـ)، ص٢٩٩.

(٥٠)ابن عبد ربه: المصدر السابق ،ج١، ص٥٤.

(٥١)الأصفهاني: الأغاني،ج٧،ص٦٤؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق،ج١١،ص٢٠٢.

(٥٢) عبدالله بن همام السلولي: من بني مرة بن صعصعة شاعر إسلامي كان يقال له العطار لحسن شعره توفي سنة ١٠٠ هـ: انظر: الأصفهاني: المصدر السابق ،ج٣،ص٣٦٢.

(٥٣)البلاذري: أنساب،ج٥، ص٤٠٠.

(٥٤)الهمذاني: صفة جزيرة ،ص٢٣٠؛ الديار بكري: تاريخ الخميس،ج١، ص١٢٨، ٢١٨.

(٥٥)البكري: معجم ما استعجم،ج٤، ص١١٧٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٥٤.

(٥٦)البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٣؛ الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص٥٤.

(٥٧)ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٢٠٦

(٥٨)ابن سعد: الطبقات،ج٥، ص٣٨٨؛ ابن قتيبة: المعارف، ص١١٢؛ البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٧٥؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج١، ص١٩٨.

(٥٩)ابن دريد: الاشتقاق، ص٢٠٢؛ خريسات: القطائع، ص٧٦.

(٦٠)ابن خياط: الطبقات، ج١، ص١٨٣.

(٦١)محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ع، بيروت، ١٩٨٣، ص١٨.

(٦٢) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج١، ص٢٤٤.

(٦٣)الحموي: المصدر السابق، ، ج٥، ص٢٥٦.

(٦٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج١، ص٣٦.

(٦٥)البكري: المصدر السابق، ج٤، ص١١٤٥.

(٦٦)المصدر السابق، ج٣، ص٩٣٢.

(٦٧) ابن الأثير :أسد الغابة، ج٥، ص٨؛ ابن قدامة: المغني، ج٦، ص١٦٤.

(٦٨) ابن قتيبة: المعارف، ص١١٣؛ المقدسي: البدء، ج٥، ص٢٠٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج١، ص١٩٨؛ ابن خلدون: تاريخ العبر، ج ٢، ص١٠٤.

(٦٩) المقدسي: المصدر السابق ، ج٥، ص٢٠٠.

(٧٠) البلاذري: أنساب الأشراف ،ج٥، ص١٢٨؛ ابن الأثير:الكامل،ج٢، ص٤٨٤.

(٧١) ابن قتيبة: المصدر السابق ، ص١١٣؛ المقدسي: المصدر السابق ،ج٥، ص٢٠٠؛ ابن أبي الحديد: المصدر السابق ، ج١، ص١٩٩.

(٧٢) ابن قتيبة: المصدر السابق ، ص٨٤.

(٧٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٥٤.

(٧٤)الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص٤٠٤.

(٧٥) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٦٠.

(٧٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٠، ص١٥.

(٧٧)ابن سعد: الطبقات،ج٥، ص٤٧؛ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٤٨٢.

(٧٨)ابن الجوزي: المنتظم، ج٥، ص٣١٣؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٧٩)ابن قتيبة: المعارف، ص٢٧٦.

(٨٠) ابن العديم: بغية الطلب، ج٤، ص١٩١٥.

(٨١) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص١٣٧.

(٨٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٦٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٣٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة،ج٤، ص٥١٥.

(٨٣)الأصفهاني: الأغاني، ج٥، ص ص١٢٣-١٢٤.

(٨٤)التنوخي: الفرج بعد الشدة،ج٣، ص ص٢٨٣-٢٨٤.

(٨٥)أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٩، ص١٩٣؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٥٨.

(٨٦) ابن شبة: تاريخ المدينة، ج٣، ص١٠٤٠، العسكري: الأوائل، ص١٥٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١١٤.

(٨٧) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص٣٥١

(٨٨)ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٥٩؛ الذهبي : سير أعلام، ج٤، ص٣٤٨.

(٨٩)البيهقي: السنن، ج٩، ص١٣٦؛ الطرطوشي: سراج، ص١٣٣؛ ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٣٩٨؛ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص٣٢٩؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص٢٢٦

(٩٠)ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٩٠.

(٩١) ابن عساكر: المصدر السابق، ج١٦، ص٧٠٠؛ الذهبي: سير أعلام، ج٣، ص١٣٣.

(٩٢)الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ص٨٠٤-٨٠٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٩، ص٣٦٢.

(٩٣)ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٢٠٦.

(٩٤)هانى أسعد: العطاء في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، ج الجامعة، ١٩٨٥، ص٢٠٤.

(٩٥)أبو يوسف : الخراج، ص٣٦؛ ابن سلام: الأموال، ص٧٤؛ ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٨؛ ابن زنجوية: الأموال، ج١، ص٢٠٩.

(٩٦)البلاذري: فتوح البلدان ، ص٦٤١.

(٩٧)المصدر السابق ، ص ٤٦٧.

(٩٨)المصدر السابق ، ص٦٤٠.

(٩٩) المبرد: الكامل، ج١، ص١٥٣؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص٢١٩.

(١٠٠) الصنعاني: المصنف، ج١، ص٣٣٣؛ البيهقي: السنن، ج٩، ص١٣٦؛ الطرطوشي: سراج، ص١٣٣.

(١٠١)البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص ٣٨٩، ابن أبي الحديد: شرح نهج،ج١٦، ص١٧٥.

(١٠٢)الطبري: تاريخ الرسل، ج٦، ص٤٤-٤٥ ؛ ابن الأثير: الكامل ، ج٣، ص٤٢٠.

(١٠٣)البلاذري : المصدر السابق ، ج٣، ص٢١٥-٢١٦؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٦٥،ص١٤٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٢، ص٣٦٧.

(١٠٤)الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص٥٧٥.

(١٠٥)العسكري: الأوائل، ص١٩٦-١٩٧.

(١٠٦)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٣؛ ابن أبي الحديد: المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٢، ج٥، ص٢٣٦؛ البلاذري: المصدر السابق ، ج، ص٣، ص١٦٣.

(١٠٧) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٣، ج٤، ص٨٧؛ الطبري: تاريخ: الطبري،ج٥،ص٣٦٩.

(١٠٨)ابن أبي الحديد: المصدر السابق ، ج٤، ص٨٧.

(١٠٩) المصدر السابق ، ج١٤، ص٣٣؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص٢١٠-٢١١.

(١١٠)ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج١، ص٨٤،

(١١١)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠١.

(١١٢)البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٨٨.

(١١٣) ابن سعد: الطبقات ،ج٤،ص٨٤ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٥، ص٢٦١.

(١١٤) ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٥، ص٢٦١ ؛ ابن حجر: الإصابة ، ج٦، ص١٩٨.

(١١٥) الواقدي: المغازي،ج٢، ص٥٩٦،ج٣،ص٩٦٥؛ ماسينيون لويس: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، جمعية منتدى النشر، النجف -١٩٧٩ ، ص ٣٧.

(١١٦) ابن سعد: الطبقات،ج٥، ص٥١٠-٥١١ .

(١١٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص٣٣٧.

(١١٨) ابن قتيبه: المعارف، ص٢٥٣؛ ابن رسته: الأعلاق ، ص ٢٣٤.

(١١٩) الطبري: المصدر السابق: ٣ج، ص٥٢٧.

(١٢٠) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩، ص١٥٨-١٥٩؛ابن قتيبة: المصدر السابق ، ص١٢٨؛ الطبري: المصدر السابق ، ج٤، ص٧٠؛ قدامة: الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٦٥

(١٢١)ابن خياط: الطبقات، ج١، ص١٨٣.

(١٢٢) ابن معين: يحيى معين عون زياد بسطام (ت ٢٣٣)، التاريخ ، دراسة وترتيب وتحقيق : أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز،(مكة . ١٩٧٩م)، ج٢، ص ٥٧٩ ؛ أبو حيان التوحيدي، علي محمد العباس (ت٤١٤هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق : وداد القاضي، دار صادر ، (بيروت ـ ١٩٨٨م) ، ج١، ص ١٢٧.

(١٢٣) الذهبى : سير أعلام : ج٣، ص٣٠.

(١٢٤) المصدر السابق ، ج٣، ص١٨، ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل أحمد، القاهرة، بلا، ١٩٦١م، ص٤١.

(١٢٥) الصنعاني : تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد العمري وآخرون، د.ت، ١٩٧٤م، ص٦٤.

(١٢٦) ابن قتيبة: المعارف، ص١٢٨؛ البلاذري: أنساب، ج١، ص٤٩١؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٤، ص٧٠؛ قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٦٥.

(١٢٧) ابن الأثير: الكامل ، ج٣، ص١٦.

(١٢٨) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، بلا، ١٩٥٦م، ص٨٨؛ ابن الجوزي: الأذكياء، بيروت، د.ت: ص٩٥؛ التوحيدي: البصائر والذخائر: ج٢، ص٦٢٢.

(١٢٩) William Temple Muire, the caliphate Its Rise, Decline and fall, Edinbrg ١٩٢٤, P٣٠٦.

وقارن: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، بيروت، ١٩٤٨: ج١، ص٤٥.

(١٣٠) الطبري: تاريخ الرسل،ج٥، ص١٧٤

(١٣١)الأصبهانى: حلية الأولياء،ج١، ص٩٥.

(١٣٢)البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٠، ص٢٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص٧٣، ابن خلدون: العبر، ج٢، ص١٤٨.

(١٣٣)ابن حجر: تهذيب: ج٣، ص٤٨٣.

(١٣٤)ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٣٧؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة ،ج١، ص٣٥٦: الذهبي، سير أعلام،ج١، ص٩٢؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج٢، ص٦٠٦.

(١٣٥)ابن قتيبة: المعارف، ص١٠٦.

(١٣٦)ابن سعد: المصدر السابق ، ج٦، ص١٢، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص٢٩٠؛ الذهبي: المصدر السابق ، ج١، ص٩٦، ابن حجر: المصدر السابق ، ج٤، ص٧٣.

(١٣٧)البلاذري: المصدر السابق ، ج١٠، ص١١.

(١٣٨) ابن سعد: المصدر السابق ،ج٣، ص١٣٩-١٤٠؛ الخزاعي :تخريج الدلالات السمعية ،ج١، ص٤٥٨.

(١٣٩) ابن عبدالبر: المصدر السابق ، ج٢، ص٦٠٧.

(١٤٠) ابن قتيبة: المصدر السابق ، ص٥٧٥ ؛ الكتاني : التراتيب الإدارية ،ج٢، ص١٦٥.

(١٤١) الواقدي: المغازي ، ج١، ص٢٣.

(١٤٢)ابن سعد: المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٤.

(١٤٣)المسعودي : مروج الذهب ، ج٢، ص٢٦٢؛ الكتاني : التراتيب الادارية ، ج٢، ص٤٠١.

(١٤٤) البكري: معجم ما استعجم،ج٣، ص٩٥٦.

(١٤٥)الزبيدي: أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف ، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ط٢، دار الإرشاد، (بيروت، ١٣٨٦هـ) ، ج ١، ص١٤٧، والمنجمة هي تنجيم الدين وهو أن يقرر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة.انظر: الجزري: مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ه) ، النهاية في غريب الأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية (بيروت . ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م) ، ج٥، ص٥٥ ، ويقال جعل مالي على فلان نجوما منجمة يودي كل نجم منها في شهر كذا، واصل ذلك أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها، ينظر: الأزهري: أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠ه) ، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ،(بيروت . ٢٠٠١ م) ،ج١١، ص٨٨.

(١٤٦) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص١٤٥- ١٤٦.

(١٤٧) الواقدي:المغازي، ج١، ص٣١٣.

(١٤٨) الواقدي: المصدر السابق ، ج١، ص٣٤٥ ؛ ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله (ت٦٦٠ه)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، د ت)، ج٤، ص ١٨٩٥.

(١٤٩) الذهبي: سير أعلام ،ج١، ص١٢٣؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج١، ص٢٣.

(١٥٠)الذهبي: سير أعلام ،ج١، ص١٢٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق،ج٢٠، ص٣٦٣؛ الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١١٨.

(١٥١)الذهبي: المصدر السابق، ج١، ص٩٧؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص٢٦.

(١٥٢)ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص٧٤.

(١٥٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج١٠، ص٣٦٠،

(١٥٤) ابن حجر: المصدر السابق ، ج٣، ص٧٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٥٦؛ الطبري: تاريخ الرسل،ج٢، ص١٢٢.

(١٥٥) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج١، ص٤٤؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٢؛ ابن الأثير: الكامل،ج٢، ص٥٣٠، ابن سلام: الأموال، ص٢٦٩.

(١٥٦) الذهبي: سير أعلام،ج١، ص٨٦.

(١٥٧) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج١، ص٤٤.

(١٥٨) ابن سعد: الطبقات،ج١، ص٩؛ الكتاني: التراتيب الإدارية ، ج٢، ص٢٢٥.

(١٥٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٣٥؛ العسكري: الأوائل، ص١٤٥.

(١٦٠) الطبري: جامع القران،ج٤، ص١٩٣.

(١٦١) البلاذري: أنساب،ج٢، ص٥١٨؛ الطبري: تاريخ الرسل،ج٢، ص٢٥١؛ ابن عساكر: تهذيب،ج٦، ١٠٥؛ ابن الأثير: الكامل،ج٣، ص٤٢.

(١٦٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٨؛ ابن الجوزي:المنتظم،ج٥، ص١٢٣؛ ابن خلدون: العبر،ج٢، ص٩٩٩.

(١٦٣) ابن قدامة: المغني،ج٦، ص١٨٦.

(١٦٤) ابن شبه النميري: تاريخ المدينة ،ج١، ص٢٣٧؛ الخصاف: أحكام الأوقاف ، ص١٤.

(١٦٥) ابن سعد: الطبقات،ج٤، ص١٠٥؛ البلاذري: أنساب،ج١٦، ص٢٠١؛ ابن دريد: الاشتقاق،ص٤١٧؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب،ج٣، ص٩٧٩.

(١٦٦) ابن سعد: المصدر السابق،ج٤، ص١٠٥.

(١٦٧) ابن خياط: طبقات خليفة، ج١،ص١٥٦؛ ابن حزم: جهرة أنساب العرب،ص ٣٩٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤،ص١٩٩.

(١٦٨)القمي: سعد بن عبدالله بن خلف، المقاولات والفرق، تصحيح محمد جواد مشكور، حمدان، ١٩٦٣، ص ١٥٢.

(١٦٩)الطبري: المصدر السابق ،ج٤، ص١٦٤.

(١٧٠)ابن خياط: تاريخ،ج١، ص١٥٧،١٤٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب،ج١، ص٤٠.

(١٧١)ابن سعد: الطبقات،ج٦، ص١٦.

(١٧٢) ابن عبدربه : العقد الفريد ، ج٣، ص٤.

(١٧٣) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص١٦٥؛ الطبري : تاريخ الرسل ، ج٦، ص١١٦؛ ابن الاثير : الكامل ، ج٣، ص٣٨٢.

(١٧٤) البلاذري: فتوح البدان ، ص٤٣٢.

(١٧٥) الاصفهاني : الاغاني ، ج١١، ص١٨٧؛ الصفدي: الوافي: ج١٦، ص٦٠٢.

(١٧٦) الاصفهاني : الاغاني ، ج٣، ص ٣٥٧.

(١٧٧) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص١٧٠؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٦، ص ص٣١٩ ،٢٠٢؛ ابن الاثير ، الكامل، ج٤، ص٣٣.

(١٧٨) الاصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٢٣٩

(١٧٩) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٠٠، عبدالجبار السامرائي: الأصلاحات ، ص٩٤.

(١٨٠) ياقوت: معجم البلدان ، ج٥، ص٣٤٩.

(١٨١) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٢٣.

(١٨٢) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٤٨١؛ ابن عبد ربة: العقد الفريد، ج١، ص٣١٢.

(١٨٣) البلاذري : انساب الاشراف ، ج٥، ص ص٣٣٠- ٣٣١ ؛ الاصفهاني : الاغاني، ج١٢، ص ص٢٠١-٢٠٣

(١٨٤) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ، ص٤٨.

(١٨٥) ابو شحيد: سناء صابر محمود : تاريخ الخلفاء ، مؤلف مجهول ، تحقيق ودراسة تاريخية ، الجامعة الاردنية ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٣، ص ٢٨٨.

(١٨٦) الشجي : الشجي بكسر الجيم موضع في طريق البصرة كان مفقراً مات به قوم ايام الحجاج ، وسمى الشجي بأحاطة الماء به ، انظر : البكري: معجم مااستعجم ، ج٢، ص٨٧١ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج٣، ص ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١٨٧) الحربي : المناسك ، ص٥٧٨.

(١٨٨) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٣، ص٤٠٦.

(١٨٩) الازرقي : اخبار مكة، ج٢، ص٢٢٤.

(١٩٠) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ص٢٠٨، ٢٠٩.

دور المرأة الكوفية السياسي والثقافي (دراسة تاريخية)

أ.م.د محمد علي حسين
م.د مها عبد الرحمن حسين
قسم التاريخ/ جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة:

من الحقائق المسلم بها عند قراءة التاريخ الاسلامي عامة ، وتاريخ المدن الاسلامية خاصة ، إذ ان ما سجل من المأثر والمفاخر والاحداث والانجازات المختلفة الجوانب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، ومن ثم اتحاد هذه الجوانب المختلفة لترسم صوراً حضارية تميز هذه المدينة عن تلك ، هي في نتاج تحصيل حاصل لما سطره ابناء هذه المدينة من بطولات وانجازات متنوعة نقشت على صفحات التاريخ بأحرف من ذهب لا تصدأ ولا تُدرس مهما طال عليها الدهر ، ومن هذه الامصار الاسلامية مدينة الكوفة الغراء التي خط تاريخها الزاخر رجال يتجسد فيهم قول الله جل في علاه :(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[١] ، من اجل اعلاء كلمة الحق ومواصلة نشر الدين الاسلامي باعتبارها قاعدة لانطلاق جيوش الفتوحات الاسلامية بعد ان تم تمصيرها الى هذا الغرض عام(١٧هـ/٦٣٨م)[٢] ونزول العديد من الصحابة الاخيار فيها[٣] ، والتي عرفت بحبها وولائها لأهل البيت(عليهم السلام) ويتجلى ذلك بقول الامام علي(عليه السلام):" يا اهل الكوفة انتم اخواني وانصاري واعواني على الحق واصحابي الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجوا تمام طاعة المقبل"[٤] ، ولترتدي مدينة الكوفة تاج الرفعة والتميز باختيار امير المؤمنين علي(عليه السلام) لها كعاصمة جديدة للدولة العربية الاسلامية عام(٣٦هـ/٦٥٧م) بعد تكالب الفتن استناداً الى قوله(عليه السلام): " ان اهل الكوفة اشد إلي حباً ، وفيهم رؤوس العرب واعلامهم ، فكتب اليهم اني قد اخترتكم على الامصار واني بالاثرة"[٥] ويافوز اهلها بذلك في ذاك الزمان الى زماننا هذا.

وغيرها الكثير من الصفحات المشرقة لتاريخ مدينة الكوفة ، على ان ذلك لم يكن حكراً لمواقف رجالها بل كانت المراءة الكوفية جنباً الى جنب الرجل تشد ازره في الجهاد والقتال والعمل مع كونها الام المربية للأبطال والزوجة الصالحة والاخت لتخوض في

كل ضروب وشؤون الحياة المختلفة وليرسمن دورهن وامجادهن بخطوط من نور تتناقلها الاجيال من جيل لأخر بما قمن به من اعمالاً خلدت ذكرهُن خاصة إذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ما واجهته مدينة الكوفة من احداث جسام كان لها خلالها دوراً بارزاً وواضحاً بثباتها وشجاعتها ، اضافة الى ما كن يتمتعن به من ثقافة وبلاغة متناهية اعترف واقر بها القاصي قبل الداني ، وهذا ما سنتطرق اليه في بحثنا هذا الذي يتضمن تسليط الضوء على دور المرأة الكوفية السياسي من خلال استعراض ما توصلنا اليه من هذه الشخصيات مع ضرورة التنويه الى قلة اهتمام البعض من مؤرخينا بتاريخ المراءة بصورة عامة ، اضافة الى بيان دورها الثقافي والعلمي والذي امتزج في بعض هذه الشخصيات مع دورها السياسي ، وقد نوهنا الى ذلك من خلال ما يتمتعن به من بلاغة وفصاحة اضافة الى كونهن راويات ومحدثات وشاعرات.

المبحث الاول : الدور السياسي

مع تتابع الاحداث السياسية الجسام على مدينة الكوفة يبرز في صفحات تاريخ هذه المدينة نسوة كن مكملات لدور الرجل في شجاعتهن وبسالتهن وثباتهن على مبدأ وطريق واضح هو طريق الحق ، والذي سيتم ذكرهن استناداً الى التتابع الزمني لهذه الاحداث ، ومما توصلنا اليه منهن كالاتي :

١- ام الخير بنت الحريش

هي السيدة ام الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية[٦] ، من سيدات المجتمع الكوفي ومن ربات البلاغة والفصاحة ، تعد ام الخير تابعية لم تر النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) وعاصرت ورأت بعض اصحابه ، كانت مشهورة بذكائها وشجاعتها وولائها لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)،إذ شهدت معه معركة صفين سنة(٣٧هـ/٦٥٨م) وكانت بين صفوف المقاتلين تشجعهم على الثبات والقتال بشجاعة[٧] ، بعبارات نافذة تنم عن بلاغة وفصاحة كان واقعها في نفوس المقاتلين الشيء الكبير ، حتى مع جيش معاوية بن ابي سفيان الذين لم يتناسوا ذلك .

وهذا الموقف لهذه السيدة الجليلة يتجلى واضحاً من خلال ما ورد لنا من المحاورة التي جرت فيما بعد بينها وبين معاوية بن ابي سفيان والتي اظهرت من خلال مقابلتها له الشجاعة والبسالة التي اظهرتها في ساحة المعركة.

ومن الجدير بالذكر قبل ذكر هذه المحاورة لابد لنا من الاشارة الى ان ما ورد عن هذه السيدة هو ما ذكر عن اسمها فقط ولا شيء عن حياتها او حتى نهايتها متى ولدت؟ ومتى توفيت؟ واسئلة اخرى كثيرة لا نجد لها ذكر في المصادر التاريخية التي تخص الموضوع وهو ما يرجح الى ما ذكرناه سلفاً عن ابتعاد المؤرخين الاوائل عن الاهتمام وذكر تاريخ المرأة بشكل عام إلا ما ذكرته بعض المصادر التي اشارت الى هذه المحاورة[٨] بدون ذكر لتاريخ هذه المقابلة .

ومما ورد عن خير ام الخير الكوفية ان معاوية بن ابي سفيان كتب الى واليه بالكوفة(بدون ذكر لاسم هذا الوالي وبالتالي فترة المقابلة ايضاً لا يمكن تحديدها) ما نصه: " ان يحمل اليه ام الخير بنت الحريش بن سراقة ويرحلها براحلة محمودة الصحبة غير مذمومة وقال له: اعلم اني مجازيك بقولها فيك بالخير خيراً وبالشر شراً ، فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها واقراها اياه فقالت: اما انا فغير زائغة عن الطاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت احب لقاء امير المؤمنين لأمور تختلج في مجرى النفس مني يغلي بها صدري كغلي المرجل يوقد تحته بجزل السمر في الصيف ، فلما حملها واراد مفارقتها قال لها: يا ام الخير ان امير المؤمنين قد ضمن ان يجازيني فيك بالخير خيراً وبالشر شرا ، فما لي عندك قالت: يا هذا لا يطمعنك برك بي معرفتي بك ان اقول فيك إلا ثلاثاً ثم اذن لها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فدخلت فقالت: السلام عليك يا امير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام ، وبالرغم منك والله دعوتني امير المؤمنين ، قالت: يا امير المؤمنين مه؟ فان بديهة السلطان مدحضة لما يجب عمله ، قال: صدقت ، كيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك ، قالت: بخير لم ازل في عافية وسلامة حتى ادتني اليك الركاب وانا في عيش وملك ، رفيق فتيق.

وهنا تظهر شجاعتها في وصف حالها وتغيره بعد مقابلته من السلامة الى سوء الحال ، وهنا يشعر بذلك معاوية بن ابي سفيان بقوله: بحسن نيتي ظفرت بكم واعنت عليكم ،

قالت بشجاعة: مه يا امير المؤمنين اعيذك بالله من خطل القول وما تدري عاقبته ، قال : ليس لهذا اردناك ، قالت له : فانا اجري في ميدانك اذا اجريت شيئاً اجريته ، ثم قالت: فأسال عما بدا لك ، قال : اخبريني كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر، قالت: لم اكن رويته قبل ولا درسته بعد وانها كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة فان احببت ان احدث لك مقالاً غيره فعلت ، قال: لا اشاء ثم التفت الى اصحابه فقال: ايكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل من القوم يا امير المؤمنين انا احفظه كحفظي سورة الحمد ، قال : هاته ، قال: نعم ، كأني بها في ذلك اليوم (ويقصد معركة صفين) وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جمل وبيدها سوط منشورة الظفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته (وهنا نجد مبالغة واجحاف في حق هذه السيدة بوصفها بهذه العبارات ، فما تعمل بالسوط في ساحة المعركة وكيف تكون ناشرة لظفائرها) ليسترسل الراوي عن ذلك بقوله: وهي تقول (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)[٩] ، ان الله عزوجل اوضح الحق وابان الباطل ونور السبل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مشتبهة ولا عشواء مدلهمة فألى اين تريدون يرحمكم الله افراراً من امير المؤمنين(وتقصد امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)) ومن الزحف ام رغبة عن الاسلام ام ارتداداً عن الحق اما سمعتم الله تعالى يقول:(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)[١٠] ، ثم رفعت راسها الى السماء وقالت: اللهم انه قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب ازمة القلوب فاجمعهم اللهم الكلمة على التقوى والف القلوب على الهدى واردد الحق الى اهله ، فأي شجاعة وبسالة لام الخير في خضم المعركة.

ولم تكتفي ام الخير بذلك بل اخذت بتأكيد ولائها لأمير المؤمنين علي(عليه السلام) رغم ان الموت قاب قوسين او ادنى من ذلك بقولها: هلموا رحمكم الله الى الامام العدل والتقي الوفي والصديق الوصي انها أُحن بدرية وضغائن جاهلية واحقاد احدية وثب بها معاوية عند الغفلة ليدرك بها الفرصة من ثارات بني عبد شمس ، ثم قالت: مرددة الآية الكريمة (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)[١١] ، صبراً معاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكونوا قوماً

مستبصرين فكاني بكم وقد لقيتم اهل الشام كحمر مستنفرة لا تدري اين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الاخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى وعما قليل لتصبحن نادمين حين تحل بكم الندامة فتطلبون الاقالة (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)[١٢] ، انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومنن لم يسكن الجنة نزل النار، ايها الناس ان الاكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا مدة الاخرة فنسعوا لها سعيا وابتاعوا بدار لا يدوم نعيمها ولا تتصرم همومها ، ايها الناس انه لو لا ان يبطل الحق وتعطل الحدود ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه فألى اين تريدون رحمكم الله افراراً عن ابن عم رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) وزوج ابنته وابي سبطيه خُلق والله من طينته وتفرع من نبعته وخصه بسره وجعله باب مدينته وعم بحبه المسلمين وابان ببغضه المنافقين فلم يزل كذلك حتى ايده الله بمعونته يمضي على سنن استقامته لا يعرج لراحة اللذات ها هو مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون واطاع والناس مخالفون مرتابون فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر وافنى اهل احد وهزم الله به الاحزاب وقتل اهل خيبر وفرق به جمع هوازن ، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا. ثم يصف الراوي كلامها بقوله: قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية: يا ام الخير والله ما اردت بهذا الكلام إلا قتلي ولو قتلتك لما حرجت في ذلك ، وهنا نجد ام الخير تجدد موقفها وثباتها على الحق على الرغم من تهديد معاوية لها بالقتل بقولها:" انه والله انه ليسرني ان يجري الله قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه ، فقال: هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان؟ قالت: وما عست ان اقول فيه استخلفه الناس وهم راضون به وقتلوه وهم له كارهون"[١٣] ليتواصل معاوية بن ابي سفيان في سؤالها استدراجها وهي ثابته كثبات الحبل امام الرياح العاتية ليكون نهاية هذا اللقاء ان معاوية اقر ببلاغتها وشجاعتها وفصاحتها وارجعها مكرمة.

٢. عكرشة بنت الاطرش

من الجدير هنا قبل بيان دور هذه السيدة الجليلة لابد ان ننوه الى ان هناك اختلاف في ذكر اسمها ، فقسم من المصادر التي ترجمت لها اشارت ان اسمها عكرشة بنت الاطش[١٤] في حين هناك من اشار الى انها عكرشة بنت الاطرش[١٥] بن رواحة ، ومن خلال العودة الى كتب الانساب والتراجم لم نجد أي اشارة او صلة بين (الاطش) وبين الاسماء والمسميات للأشخاص وكذلك اسماء القبائل ، وحتى في معاجم اللغة العربية لم نعثر على معنى او اشتقاق لهذه اللفظة ، في حين وجدنا لفظة (الاطرش) وتعني الاصم ، وقيل رجل اطرش: دقيق الحاجبين[١٦] ، واستناداً الى ذلك نجد ان اسمها على الارجح هو عكرشة بنت الاطرش بن رواحة[١٧] ، هي من ضمن النساء اللواتي كن لديهن الشجاعة والقدرة على الثبات في المواقف الحاسمة بوقوفها بكل بسالة واقدام في ساحة معركة صفين حاملة للسيف لتجدد ولائها لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) ولتشد من ازر الجنود وتحضهم وتدفعهم للذود بحياتهم دفاعاً عن ذلك[١٨].

وكان لها مع معاوية بن ابي سفيان موقف بطولي اخر فيما بعد ، وذلك عندما وفدت عليه رغم ان المصادر لم تذكر تاريخ محدد لهذه الوفادة ، لتظهر امامه بمظاهر الفصاحة والبلاغة في خطابها معه في محاولة منها لإرجاع عطاء اهلها ما نصه:" دخلت عكرشة بنت الاطرش على معاوية وهي متكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة فقال لها معاوية ، هيه يا عكرشة الان صرت امير المؤمنين قالت: نعم إذ لا علي حي ، فقال لها: الست صاحبة الكور المسدول والوسط المشدود المتقلدة بالسيف ذي الحمائل وانت واقفة بين الصفين يوم صفين تقولين: ايها الناس عليكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة دار لا يرحل من قطنها ولا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فلا تبيعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تتصرم همومها فكونوا قوماً مستبصرين ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يعرفون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله واياكم والتواكل فان ذلك نقض عرى الاسلام واطفاء نور الحق واظهار الباطل .... ، لتتواصل السيدة في خطابها الحماسي ليكون محط تساءل معاوية عن هذا الموقف قائلاً لها: ما حملك

على ذلك؟ قالت :يا امير المؤمنين يقول الله عزوجل(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)[١٩] ، ان اللبيب اذا كره شيئاً لا يحب اعادته ، قال: صدقت اذكري حاجتك فذكرت مسالة الصدقات فردها اليهم واجاب طلبها بعد ان اعيته ببلاغتها قائلاً لها: هيهات يا اهل العراق قد فقهكم علي بن ابي طالب فلن تطاقوا ثم امر برد صدقاتها"[٢٠] ، وقبل الختام لابد لنا من الاشارة ان المصادر التي اشارت الى هذه السيدة لم تشر علانيةً على انها من اهل الكوفة تحديداً ، ولكن اشارتنا اليها ضمن نساء الكوفة استناداً الى امور عدة وهي :-

أ. عبارة معاوية بن ابي سفيان بقولها يا اهل العراق التي اشرنا اليها انفاً تحسم مسالة مونها من مصر اخر من الامصار الاسلامية بشكل قاطع وانما هي من اهل العراق.

ب. مسالة ولائها وموقفها مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) يعزز انها من اهل الكوفة تحديداً لا غير عما عرف عن اهل الكوفة منبع التشبع والولاء لأهل البيت(عليهم السلام) إذا ما خذنا بنظر الاعتبار في ذلك الزمان اهواء وميول بقية مدن العراق.

٣. الزرقاء بنت عدي

وهي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية[٢١] الكوفية[٢٢] ، وهي من الاعيان وممن شهد لها التاريخ بالشجاعة والسالة والفصاحة والبلاغة والثبات بكل قواها على الولاء لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) بمشاركتها في واقعة صفين مع ابناء قومها تدعوا المقاتلين الى نصرت الحق والفوز بالأخرة بأسلوبها الفصيح النافذ في عقول وقلوب السامعين لها ، حتى ان معاوية استقدمها الى بلاطه بعد ان تم له الامر بعدما سئل مجالسه في احدى ليالي سمره عن امرها وما يفعل بحقها؟ فاشروا عليه بقتلها ، ولكنه رفض خشية ان يقال عنه انه قتل امرأة بعد ان تم له الامر وظفر بالحكم فاستدعاها عن طريق واليه في مدينة الكوفة دون ذكر من هو هذا الوالي وعند امتثالها بين يديه خاطبها قائلاً:" الست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وانت بين الصفين وتحضين عليها ، قالت: بلى وخطبت فيهم قائلة:" ايها الناس انكم في فتنة غشيتكم جلابيب الظلم وحادت بكم عن قصد المحجة ، يا لها من فتنة عمياء صماء لا يسمع

لداعيها ولا ينقاد لسائقها ، ايها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكوكب لا ينير في القمر وان البغل لا يسبق الفرس.... ، فقال لها معاوية: يا زرقاء لقد اشركت عليا في كل دم سفكه ، فقالت: احسن الله بشارتك يا امير المؤمنين مثلك من بشر بخير وسر ، قال لها: وقد سرك ذلك؟ قالت: نعم ، وانى لي بتصديقه ، فقال معاوية: والله لو فاؤكم له بعد موته اعجب الي من حبكم له في حياته[٢٣] ، توفيت السيدة زرقاء الكوفية نحو(٦٠هـ/٦٨٠م)[٢٤].

٤. امنة بنت الشريد الكوفية

هي السيدة المجاهدة الصابرة زوجة الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي[٢٥] ، من اهل الكوفة ، اشتهرت بفصاحتها وبلاغتها وشجاعتها وولائها لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) وتحملت في سبيل ذلك مرارة السجن وظلمته[٢٦] ، فكانت من النساء الكوفيات اللواتي يضرب بهن المثل في شدة الصبر والشجاعة.

يتجلى موقف هذه السيدة الجليلة مع معاوية بن ابي سفيان بعد استشهاد الامام علي(عليه السلام) ، عندما بدأ معاوية في طلب شيعة الامام علي(عليه السلام) وكان منهم عمرو بن الحمق زوج السيدة امنة بنت الشريد ، إلا انه تمكن من الفرار من ايديهم لتكون تحت سيطرتهم السيدة امنة عندما ارسل اليها معاوية الى الكوفة وحملت الى دمشق ووضعت في احد سجون دمشق لمدة سنتين كانت خلالها صابرة ومحتسبة الى الله الى ان تم قتل زوجها وارسال راسه الى معاوية بن ابي سفيان ، فامر بحمل الراس اليها في السجن وامر بحراسه حفظ ما تقوله السيدة امنة بعد ان يتم طرح راس زوجها في حجرها ، فكان من السيدة امنة ما روي عنها حجرها ما نصه " فلما اتاها الرسول بالراس وطرحه في حجرها ارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على راسها ثم قالت: واحزناه لصغره في دار هوان وضيق مجلس سلطان ، نفيتموه عني طويلاً ثم اهديتموه الي قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وانا اليوم له غير ناسيه ارجع ايها الرسول الى معاوية وقل له ولا تطوه ايتم الله ولد واوحش منك اهلك ولا غفر لك ذنبك ، وطلبت من الحرس ان يوصل هذا الدعاء الى معاوية ، وبالفعل رجع الحرس الى معاوية فاخبره بما قالت ، فارسل اليها ، فاتته وسألها عما قالت ، فلم تنكر السيدة امنة هذه

المقولة ولا دعائها عليه وردت على تساءل معاوية قائلة: نعم غير نازعة عنه ولا معتذرة منه ولا منكرة له فلعمري اني اجتهدت في الدعاء غاية الاجتهاد وان الله من وراء العباد ، فما بلغت شيئا من رائيك والله بالنقمة من ورائك ، فاعرض عنها معاوية واشير اليه بقتلها ، إلا انه امرها بالخروج قائلاً: اخرجي ثم لا اسمع بك في شيء من الشام ، قالت: لأخرجن من الشام فما في الشام لي من حبيب ولا اعرج فيها الى حميم وما هي لي بوطن ولا احن فيها الى شجن ولقد عظم فيها ديني وما قرت بها عيني وما انا اليك فيها بعائدة ولا حيث كنت لك بحامدة ، فامر معاوية ان يبعث اليها ما يقطع به لسانها عنه ويخف بها الى بلدها ، فلما اعطيت ما امر معاوية قالت: واعجبا من معاوية يقتل زوجي ويبعث الي بالجوائز ، ورحلت تريد الكوفة فماتت في طريقها عام(٥٠هـ/٦٧٠م) ، وقيل انها توفيت في طاعون عمواس[٢٧].

٥. السيدة طوعة الكوفية

عند الحديث عن دور هذه السيدة الكوفية التي لم نعثر على ترجمة وافية لها ، إذ لم نجد أي اشارة لها في كتب التراجم ، وامام ذلك وجدنا ان دورها مخلداً في كتب التاريخ الاسلامي ، فما هو هذا الدور الذي خلد أمراءه لا يعرف عنها الا اسمها.

انه شجاعتها وثباتها على نصرت الامام الحسين(عليه السلام) مما جعلها جزءا لا يتجزأ من احداث واقعة الطف الخالدة ، لا يشير أي مصدر الى هذه الواقعة المؤلمة إلا وجدنا ذكراً لها ، وذلك باقتران اسمها مع شهيد الكوفة مسلم بن عقيل بن ابي طالب(عليه السلام) بضيافتها له(عليه السلام) ، بعدما دخل مدينة الكوفة وجد نفسه وحيداً طريداً من قبل والي المدينة عبد الله بن زياد الذي توعد اهالي الكوفة بالعقاب الشديد لمن يأويه قائلاً:" ايها الناس ان مسلم بن عقيل اتى هذا البلد واظهر الفساد وشق العصى وقد برات الذمة من رجل اصبناه في داره ، ومع هذا العقاب رغبهم في تسليمه لهم قائلاً: من اتاني بمسلم بن عقيل فله شعور الاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله في كل يوم حاجة مقضية"[٢٨] وما كان من مسلم بن عقيل إلا ان يأخذ بالتنقل في ازقة الكوفة وقد استبين انه ليس في المدينة من ينصره او يقوم بضيافته ، الى ان وصل الى دار امرأة اروع ما قيل عنها :" انها سيدة من في هذا المصر رجالاً ونساءً بما تملكه من

انانية ونبل"[٢٩] ، انها السيدة طوعة من قبيلة كندة[٣٠] ، التي كانت تقطن في دور لبني جبلة من كندة ، كانت السيدة طوعة ام ولد للأشعث بن قيس[٣١] ، فاعتقها ثم تزوجها اسيد الحضرمي[٣٢] ، فأنجبت له ولداً يدعى بلال- ويا باس هذا الولد من هذه السيدة الجليلة.

كانت السيدة طوعة تترقب رجوع ابنها بلال عند باب دارها كأغلب نساء الكوفة من شدة خوفهن على رجالهن من الاعتقال والوضع السيء الذي كانت تعيشه المدينة ، فسلم عليها مسلم بن عقيل وطلب منها ان تسقيه الماء فاسقته ، فجلس(عليه السلام) وادخلت الاناء ثم خرجت فقالت:" يا عبد الله الم تشرب؟ قال: بلى ، قالت: فاذهب الى اهلك ، فسكت ، ثم عادت فقالت مثل ذلك ، فسكت ، ثم قالت له: في الله سبحان الله يا عبد الله ، فمر الى اهلك عافاك الله ، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا احله لك ، فقام وقال: يا امة الله ، مالي في هذا المصر منزلاً ولا عشيرة فهل لك الى اجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد اليوم ، فقالت: يا عبد الله ، وما ذاك. قال: انا مسلم بن عقيل ، كذبني هؤلاء القوم وغروني ، قالت: انت مسلم؟ قال: نعم ، وهنا يتجسد فعلاً دور هذه السيدة رغم الوعيد والتهديد ورغم المغريات الكبيرة لمن يسلم او يبلغ عن مسلم بن عقيل ، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشى ، ولم يكن بأسرع من ان جاء ابنها فراها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال: والله انه ليريني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه ، ان لك لشاناً ، قالت: يا بني اله عن هذا ، قال لها: والله لتخبريني ، قالت: اقبل على شانك ولا تسالني عن شيء ، فالح عليها ، فقال: يا بني لا تحدثاً احداً من الناس بما اخبرك به واخذت عليه الايمان فحلف لها فأخبرته"[٣٣] ، لم تكن السيدة مخبره له لولا اصرار ابنها واتهامها لها بريبة الامر ، وبعد ان اعطاها الايمان بعدم ابلاغ احد ابلغته بما قامت به ، ويا فوزها بما قامت ، في وقت خذل الرجل عهده وايمانه وانحاز عن نهج الحق وقام بالإبلاغ عن مسلم بن عقيل وكان ما كان من احداث مؤلمة ، فخسر الدنيا والاخرة في حين كانت امه السيدة طوعة رابحة لها وقدوة لكل امرأة مسلمة في الثبات والشجاعة والتمسك بمنهج اهل البيت(عليه السلام).

المبحث الثاني : الدور الثقافي

الكوفة مدينة العلم والعلماء الذين وضعوا الاسس الاولى لمدرسة العراق مع علماء البصرة في مجال التدوين والكتابات التاريخية الرائدة في كافة العلوم والمعارف ، على ان هذه الريادة لم تكن حكراً على رجالها ، بل كان للمرأة الكوفية الدور العلمي والثقافي وان لم تسلط عليهن الاضواء بصورة كافية في بعض المصادر التاريخية ولنا فيما ذكرنا من موقفها السياسي مما يعزز ذلك فكانت المرأة الفصيحة ذات الخطاب البلاغي الذي ينم عن ثقافة عالية ، اضافة الى ذلك توجد المرأة الكوفية المحدثة الراوية والناقلة للحديث النبوي الشريف واخبار ال البيت(عليهم السلام) وكان من حصيلة بحثنا في هذا المضمار الاتي:-

١. تَملكُ

امرأة من اهل الكوفة روت عن ام سلمة(رضي الله عنها) وعنها ابو اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي(ت١٢٩هـ)[٣٤].

٢. السيدة جرداء

هي المحدثة جرداء بنت سمير الكوفية ، عرف عنها موالاتها لشيعة الامام علي(عليه السلام) ، روت عن زوجها هرثمة بن سليم الكوفي[٣٥] ، وقيل هرثمة بن ابي سلمى الكوفي[٣٦] .

٣. جسرة العامرية

هي المحدثة جسرة بنت دجاجة العامرية الكوفية ، تابعية من الثقات ، روت عن ابي ذر الغفاري(رضي الله عنه) سماعاً ، وعن الامام علي(عليه السلام) ، وعن امهات المؤمنين عائشة وام سلمة(رضي الله عنهما)[٣٧] ، روى عنها خلق كثير منهم افلت بن خليفة العامري وعمر بن عمير واخرون[٣٨] .

٤. سلمى الكوفية

اشير الى هذه السيدة المحدثة انها من اهل الكوفة مولاة لبكر بن وائل ، حتى ان المزي ذكرها بانها سلمى البكرية[٣٩] ، روت عن امهات المؤمنين عائشة وام سلمة(رضي الله عنهما) ، وروى عنها رزين بن حبيب الجهني البكري الكوفي[٤٠] .

٥. شعثاء الكوفية

هي السيدة شعثاء بنت عبد الله الاسدية الكوفية ، روت عن الصحابي عبد الله بن ابي اوفى ، وعنها سلمة بن رجاء[٤١] .

٦. ام عمرو الكوفية

مما عرف عن هذه السيدة انها عجوز صدوق كوفية ، روت عن والدها حسان بن يزيد بن ابي الغض الكوفي[٤٢].

٧. ام غفار الكوفية

اشير اليها بهذه السيرة المقتضبة ، انها ام غفار الكوفية روت عن عمامة بنت شوال ، وروت عنها ام عبيدة بنت العيزار[٤٣] .

٨. غنيمة بنت الازدي الكوفية

هي المحدثة غنيمة او غثيمة بنت عبد الرحمن بن نعيم الازدي الغامدي الكوفية ، عرف عنها انها من بيت جليل الكوفة ، روى عنها ابن اخيها بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن نعيم ، روت السيدة غنيمة عن ابي الحسن وابي عبد الله(عليهما السلام)[٤٤].

٩. قمير الكوفية

هي المحدثة قمير بنت عمرو الكوفية ، تابعية من الثقات ، روت عن زوجها مسروق بن الاجدع بن مالك الهمداني الكوفي(ت٦٠هـ) وعن ام المؤمنين عائشة(رضي الله عنها)[٤٥] وروي عنها خلق كثير منهم عامر الشعبي ومحمد بن سيرين واخرين[٤٦].

١٠. نائلة الكوفية

لم تحدثنا المصادر عن هذه السيدة الجليلة وما ذكر عنها كان شحيحاً عدا ما ذكر ابن سعد في احدى رواياته انها نائلة الكوفية مولاة ابي العيزار عن ام عاصم[٤٧].

الملخص :

الحمد لله رب العالمين ، وافضل الصلاة واتم التسليم على الرسول الامين خاتم الانبياء والمرسلين محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آله الاوصياء المصطفين والحجج المنتجبين وبعد...

عند التصفح والتتبع لتاريخ دولة او مدينة ما يجد الباحث في ذلك ان تاريخ كل مصر من الامصار الاسلامية التي قد يبلغ مجدها وزهوها عنان السماء كالكوفة التي تعد اهلاً لذلك ، هو تحصيل حاصل لما سجله رجالٌ شدوا العزم على ان يسطروا امجادهم بسطور من ذهب ولتكون صفحات تاريخ مدنهم مشرفة بما بذلوه من الارواح وكل غالي ونفيس في سبيل ذلك ولا يقتصر هذا على الرجل فقط ، بل تعدى الى المرأة المسلمة التي تشد ازره في الجهاد والقتال والعمل مع كونها الام المربية والزوجة والاخت الصالحة لتخوض في كل ضروب وشؤون الحياة المختلفة ، وليرسمن دورهن بخطوط من نور تتناقلها الاجيال من جيل الى جيل لتكون محصلتها ان تكون قدوة لكل امرأة مسلمة منذ ذلك الزمان الى وقتنا هذا ، ومن بينهن المرأة الكوفية التي نقشت مواقفها بخط بهي جلي واضح ، بما قمن به من اعمال خلدت ذكرهن خاصة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ما واجهته مدينة الكوفة من احداث جسام كان للمرأة خلالها دوراً واضحاً وبارزاً بثباتها وشجاعتها اضافة الى ما كُن يتمتعنَ به من ثقافة وبلاغة متناهية يعترف بها القاصي قبل الداني ومنهن عكرشة بنت الأطروش وموقفها البطولي بين صفوف جيش الامام علي(عليه السلام) في واقعة صفين وما جرى بينها وبين معاوية بن ابي سفيان فيما بعد ، ومنهن ايضاً طوعة الكوفية التي من خلالها سجل لكل نساء الكوفة موقفاً بطولياً خلد ذكرها بشجاعتها وثباتها على نهج اهل البيت(عليه السلام) وتمسكها بذلك رغم ما كانت تعيشه المدينة من تضييق الخناق من قبل والي الدولة الاموية عليها ، اضافة الى مواقف اخرى سنستعرضها من خلال بحثنا هذا.

تضمن البحث ايضاً الاشارة الى دور المرأة الكوفية التعليمي والثقافي من خلال استعراض اهم ما توصلنا اليه من النساء المحدثات ومنهن على سبيل المثال المحدثة نائلة الكوفية ، وام غفار الكوفية وغيرهن ممن تفقهن وتدارسن اخبار النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) واخبار آل بيته الطيبين الطاهرين(عليهم السلام).

الهوامش:

(١) سورة الاحزاب ، الآية(٢٣).

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٠-٢٨٣

(٣) للوقوف على تعداد الصحابة والتابعين الذين استقروا في مدينة الكوفة ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٨٦-٣٧٨.

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٥ ، ص٧٩؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٩٠.

(٥) الاسدي ، الفتنة ، ص١٣٥؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص٤٤٧.

(٦) البارقية : مؤنث بنو بارق ، بطن من خزاعة من بني عمرو بن مزيقياء من الازد من القحطانية وهم بنو بارق بن عدي بن حارثة بن مزيقياء ومنهم السيدة ام الخير . القلقشندي ، نهاية الارب ، ص١٦٩.

(٧) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٢٧؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٠ ، ص٢٣٣؛ الامين ، اعيان الشيعة ، ج٣ ، ص٤٧٦.

(٨) ينظر هذه المحاورة : ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٢٧؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٤١؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٣٥٤؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٢٩٦.

(٩) سورة الحج ، الآية(١) .

(١٠) سورة محمد ، الآية(٣١).

(١١) سورة التوبة ، الآية(١٢).

(١٢) سورة ص ، الآية(٣).

(١٣) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٢٧؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٤١؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٣٥٤؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٢٩٦.

(١٤) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٣٧؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٧٤؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٢٩٠.

(١٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١٠ ، ص٣٥١؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٣٠٠.

(١٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٣١١؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٧ ، ص٢٤٣.

(١٧) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٣٧؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٧٤؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٢٩٠.

(١٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١٠ ، ص٣٥١؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٣٠٠.

(١٩) سورة المائدة ، الآية(١٠١) .

(٢٠) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٣٧؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٧٤؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٢٩٠.

(٢١) الهمدانية : بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة ، وهي منسوبة الى همدان وهي قبيلة من اليمن نزلت الكوفة وتنسب الى همدان بن مالك بن زيد بن اوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان ، لهم بطون متعددة وكثيرة استقروا في الكوفة بعد الفتوحات الاسلامية واشتهر العديد من رجالها في الكوفة . السمعاني ، الانساب ، ج١٣ ، ص٤١٩.

(٢٢) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٦٣؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٣٧؛ ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، ج٣ ، ص٨٧؛ ابن دريد ، تعليق من آمالي ، ص٢٠٣؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٣٤٧؛ الابي ، نثر الدر ، ج٤ ، ص٥٥؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص١٦٥؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٢٩٩؛ الباعوني ، جواهر المطالب ، ج٢ ، ص٢٣٣.

(٢٣) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٦٣؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٣٧؛ ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، ج٣ ، ص٨٧؛ الباعوني ، جواهر المطالب ، ج٢ ، ص٢٣٣.

(٢٤) الزركلي ، الاعلام ، ج٣٠ ، ص٤٤.

(٢٥) هو عمرو بن الحمق بن كاهل ويقال كاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي ، صحابي اسلم بعد صلح الحديبية ، سكن الشام ، ثم سكن الكوفة ، شهد مع الامام علي(عليه السلام) حروبه كلها وفي صفين كان يومها على خزاعة وكان ممن طلبهم معاوية ، فخرج الى مصر الى ان قتل سنة(٥٠هـ/٦٧٠م) وحمل راسه الى معاوية . ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج٣ ، ص١١٧٣؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٤ ، ص٥١٤؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٧٦.

(٢٦) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٥؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٦٤؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٤٠؛ الزركلي ، الاعلام ،ج١ ، ص٢٦.

(٢٧) ابن بكار ، اخبار الوافدات ، ص٥؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٦٤؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٤٠؛ الزركلي ، الاعلام ،ج١ ، ص٢٦.

(٢٨) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ، ص٥٢.

(٢٩) القريشي ، حياة الامام الحسين(عليه السلام) ، ج٢ ، ص٣٨٦.

(٣٠) كندة : وتنسب هذه القبيلة الى ثور بن مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهي من قبائل اليمن الكبيرة المشهورة ، تفرقت في البلاد ومنها مدينة الكوفة بعد الفتوحات الاسلامية وكان منهم جماعة مشهورين في كل فن. السمعاني ، الانساب ، ج١١؛ ابن الاثير ، اللباب في تهذيب ، ج٣ ، ص١١٥.

(٣١) الاشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة الكندي ، يكنى ابا محمد ، امير كندة في الجاهلية والاسلام ، وفد على النبي(صلى الله عليه واله وسلم) مع جمع من قومه فاسلم ، شهد معركة اليرموك فأصيبت عينه ، اقام في المدينة المنورة وكانت له وقائع كثيرة ثم انتقل الى الكوفة وكان مع الامام علي(عليه السلام) يوم صفين إذ كانت راية كندة معه ، وشهد واقعة النهروان ، توفي سنة(٤٠هـ/٦٦١م). ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٩٩؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٢٣٩؛ الزركلي ، الاعلام ، ج١ ، ٣٣٢.

(٣٢) لم نعثر على ترجمة له ولا لابنه بلال .

(٣٣) البلاذري ، جمل من انساب ، ج٢ ، ص٨١؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٥ ، ص٣٧١ ؛ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ، ص٥٢؛ الاصبهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص١٠٤؛ المفيد ، الارشاد ، ج٢ ، ص٥٤؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٥٠.

(٣٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٥٧؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٥ ، ص١٧٧.

(٣٥) الامين ، اعيان الشيعة ، ج٤ ، ص٦٩.

(٣٦) العجلي ، معرفة الثقات ، ج٢ ، ص٣٢٥.

(٣٧) العجلي ، معرفة الثقات ، ج٢ ، ص٤٥؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٤ ، ص١٢١؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ج٧ ، ص٥٢٤.

(٣٨) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥ ، ص١٤٣.

(٣٩) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥ ، ص١٩٦.

(٤٠) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج٧ ، ص٥٢٦.

(٤١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥ ، ص٢٠٦؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص٤٢٨.

(٤٢) ابن حبان ، الثقات ، ج٤ ، ص١٦٥؛ محب الدين الطبري ، الرياض النضرة ، ج٣ ، ص١٨.

(٤٣) ابن نقطة ، اكمال الاكمال ، ج٤ ، ص١٨٢؛ الدمشقي ، توضيح المشتبه ، ج٣ ، ص٣٠٢.

(٤٤) الاردبيلي ، جامع الرواة ، ص٤٥٨؛ الامين ، اعيان الشيعة ، ج٨ ، ص٣٨٦.

(٤٥) العجلي ، الثقات ، ج١ ، ص٥٢٤؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص٤٤٦؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢١٥.

(٤٦) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥ ، ص٢٧٣.

(٤٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٨؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٧ ، ص١٥٧.

المصادر والمراجع

- الآبي ، ابو سعد منصور بن الحسن الرازي(٤٢١هـ/١٠٣٠م).
١. نثر الدر في المحاضرات ، تحقيق: خالد عبد الغني ، دار الكتب العلمية ،(بيروت-٢٠٠٤م).
- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
٢. اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: علي محمد عوض ، وعادل احمد ، دار الكتب العلمية ،(بيروت-١٩٩٤م).
٣. الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ،(بيروت-١٩٩٧م).
٤. اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ،(بيروت-د.ت).
- الاردبيلي ، محمد علي (١١٠١هـ/١٦٩٠م).
٥. جامع الرواة ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ،(قم-١٤٠٣هـ).
- الازدي ، ابو بكر محمد بن الحسن(٣٢١هـ/٩٣٣م).
٦. تعليق من آمالي ابن دريد ، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ،(الكويت-١٩٨٤م).
- ابن اعثم ، محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)
٧. الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، دار الأضواء للطباعة والنشر ،(بيروت – ١٤١١هـ).
٨. الفتوح ، دار الاضواء ، (بيروت-١٤١١هـ).
- الباعوني ، ابي البركات محمد بن احمد الدمشقي(ت٨٧١هـ/١٤٦٧م).
٩. جواهر المطالب في مناقب الامام علي(عليه السلام) ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع احياء الثقافة الاسلامية ،(قم-١٤١٦هـ).
- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
١٠. جمل من انساب الاشراف ، تحقيق: سهيل زكار واخرون ، دار الفكر،(بيروت-١٩٩٦م).
١١. فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ،(بيروت-١٩٨٨م).

- ابن بكار ، العباس بن الوليد الظبي (ت٢٢٢هـ/٨٣٦م).
١٢. أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق : سنية الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٣م) .
- ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن احمد السبتي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)
١٣. الثقات ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، (الهند–١٩٧٣م) .
- ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
١٤. الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥هـ) .
١٥. تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ،(الهند-١٣٢٦هـ).
١٦. لسان الميزان ، مؤسسة الاعلمي ،(بيروت-١٩٧١م).
- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
- الدمشقي ، محمد بن عبد الله بن محمد(٨٤٢هـ/١٤٣٨م).
١٨. توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة ،(بيروت-١٩٩٣م).
- الاسدي ، سيف بن عمر التميمي(ت٢٠٠هـ/٨١٦م).
١٩. الفتنة ووقعة الجمل ، تحقيق: احمد راتب ، ط٧ ، دار النفائس ،(بيروت-١٩٩٣م).
- ابن سعد ، محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م).
٢٠. الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،(بيروت-١٩٩٠م).
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد أبي منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)
٢١. الأنساب ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى واخرون ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر اباد-١٩٦٢م).
- الاصبهاني ، علي بن الحسين بن محمد(٣٥٦هـ/٩٦٧م).

٢٢. مقاتل الطالبيين ، تحقيق: السيد احمد صقر ، دار المعرفة ،(بيروت-د.ت).
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
٢٣. تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، دار التراث ،(بيروت-١٣٨٧هـ).
- ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
٢٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩٢م) .
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٤٩م).
٢٥. العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤٠٤هـ) .
العجلي ، ابو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح الكوفي(ت٢٦١هـ/٨٧٥م).
٢٦. معرفة الثقات في رجال اهل العلم والحديث ، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم ، مكتبة الدار ،(المدينة المنورة-١٩٨٥م).
- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م).
٢٧. تاريخ دمشق ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر ،(بيروت-١٩٩٥م).
- القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).
٢٨. صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ،(بيروت – د.ت) .
٢٩. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب ، (بيروت – ١٩٨٠م) .
- محب الدين الطبري ، ابو العباس احمد بن عبد الله بن محمد(ت٦٩٤هـ/١٢٩٥م).
٣٠. الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ،(بيروت-د.ت).
- المزي ، ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف(ت٧٤٢هـ/١٣٤١م).
٣١. تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق: بشار عواد ، مؤسسة الرسالة،(بيروت-١٩٨٠م).
- مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)
٣٢. تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : أبو القاسم أمالي ، ط٢ ، شروش ، (طهران – ٢٠٠٠م)

- ابن نقطه ، ابو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي(ت٦٢٩هـ/١٢٣٢م).
٣٣. اكمال الاكمال ،تحقيق:عبد الفيوم عبد ريب النبي ، جامعة ام القرى،(مكة المكرمة-١٤١٠هـ).

المراجع

- الأمين ، محسن (ت١٣٧١هـ/١٩٥١م)
٣٤.أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف ، (بيروت – ١٩٨٣م) .
- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي.
٣٥. الإعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ٢٠٠٢م) .
- الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣هـ).
٣٦. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق: مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) لتحقيق التراث ،(دار المفيد-د.ت).
- القريشي ، الشيخ باقر شريف
٣٧. حياة الامام الحسين(عليه السلام) ، مطبعة الآداب ،(النجف-١٩٧٥م).

الكوفة رمز الوسطية والتعايش السلمي ونبذ التطرف
- سياسة الإمام علي انموذجا-

أ.م.د. علي قاسم زيدان
جامعة ديالى/ كلية العلوم الإسلامية/قسم العقيدة والفكر الاسلامي

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

لقد عرف الاسلام بسماحته وعدله ورحمته، ووصف كامل للائمته واتباعهم، بل حتى مع خصومه واعدائه، عرفه العدو قبل الصديق، وعرفه القاصي والداني، ومع الاسف الشديد اساء البعض فهم الاسلام، واضمروا له العداء سرا وعلانية، فزعم اعداءه إنه دين عنف وقتل واضطهاد وسلب للحقوق والحريات، وهذا كله كذب وافتراء على الاسلام فقد كذبوا فالإسلام ما جاء إلا من أجل ارساء قواعد العدل والرحمة والسماحة والانصاف، وكل ما تعتريه المعاني السامية والانسانية لهذا الدين العظيم.

وهذا البحث المتواضع جاء لكي يبين ما لهذه الاوصاف من سوق رائج في الحياة الانسانية عموما، فهو يجلي الحقائق ويكشف حقيقة الاسلام وسياسته الشرعية مع التعامل مع الاخرين، ولأنه يترتب على هذا النوع من الأبحاث فروع كثيرة وجوانب مهمة في النواحي النظرية والتطبيقية، وهذا ما يبرز لنا الأهمية الكبيرة لهذا البحث، والموضوع الذي يتناوله:

وقد دفع الباحث إلى اختيار هذا البحث عدة أسباب:

منها الأهمية الكبيرة التي يحتلها هذا الموضوع في واقعنا المعاصر وما تمر به الامة من ويلات الارهاب التكفيري والطائفي، وحاجة الخطاب الإسلامي إلى معرفة مفاصل

الوسطية والتعايش السلمي وأركانهما، وما للإمام (عليه السلام) من مواقف منها؛ وبغية تنزيلها في الواقع الإسلامي ذي المشارب المختلفة، وإلى غيرها من الأسباب.

مخطط البحث:

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وتوصيات أتبعتها بقائمة للمصادر.

وقد اشتملت المقدمة على الافتتاحية، وسبب اختيار الموضوع وأهميته، وأما التمهيد تكلمت فيه عن معنى السياسة الشرعية وعرفتها لغة واصطلاحا، وأما المبحث الاول: تكلمت فيها عن حياة الامام علي (عليه السلام)، وأما المبحث الثاني: تكلمت فيه عن الوسطية وسياسة الإمام في تشريع الاحكام، وأما المبحث الثالث: تكلمت فيه عن معنى التعايش السلمي والتسامح والمحبة في سياسة الامام علي(عليه السلام)، والتوصيات التي خرج بها الباحث، وقائمة بالمصادر.

تمهيد: مفهوم السياسة الشرعية:

من اجل أن نوضح معنى السياسة الشرعية لا بد من التعريف اللغوي والاصطلاحي، وسأقف عند هذين التعريفين من غير توسع.

تعريف السياسة الشرعية في اللغة والاصطلاح:

السياسة لغة: بكسر السين من سَاسَ يسُوسُ الدواب، راضها وعنى بها، وسَاس الرعية يسُوسَها سِياسَة إذا قام به، وسوَّسه القوم إذا جعلوه يسوسهم، وساس الأمر سياسة أي: قام بأمر السياسة، والسوس: تأتي بمعنى الرياسة أو التدبير بهذه السياسة(١).

السياسة الشرعية اصطلاحا: تعريف أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي بأنها: "ما كان من الأفعال، بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولا نزل به وحي"(٢).

فالسياسة إذن: هي أي فعل يكون فيه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، ولو لم يفعله الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولو لم يرد فيه نص قراني، فالسياسة فعل اجتماعي عام. وأطلقت السياسة في التاريخ الإسلامي على كل ما يتعلق بأمور التهذيب والتربية والإصلاح والتكوين(٣).

فمن هذا التمهيد يرى الباحث ان السياسة الشرعية هي ما تدور مع مصلحة المسلم، وأبعد عن ما يفسده، ولا بد أن يكون لها سند شرعي من الكتاب أو السنة.

المبحث الاول: حياته: اسمه ونسبته وكنيته ولقبه - وميلاده ووفاته:

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

١ - اسمه ونسبه: هو الإمام علي بن أبى طالب (عبد مناف)، بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد، بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهو ابن عم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكان اسم علىٍّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة(٤) ... كليث غابات كريه المنظرة(٥).

وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا(٦).

٢ - كنيته: أبو الحسن، نسبه إلى أبنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ويكنى أيضًا بأبي تراب، كنية كناه بها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك أن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جاء بيت فاطمة (رضي الله عنها) والدة الامام علي (رضي الله عنه) فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟(٧).

ووجده مضطجعا في المسجد فكناه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ابا تراب من رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي، ومن كناه: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمى(٨) ، وأبو السبطين(٩).

٣ - لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، ولي الله: حيث يقول بعض المفسرين مثل الطوسي أنه نزلت فيه آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١٠)، وحيدرة: وتعني الأسد، والمرتضى، وباب مدينة العلم: وهي تسمية مستندة لحديث الرسول محمد بن عبد الله(صلى الله عليه

وسلم) يقول فيه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»(١١)، وليد الكعبة: لما ذكر بأنه ولد داخل الكعبة، وشهيد المحراب: لأنه قتل أثناء الصلاة(١٢).

ثانيًا: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة(١٣)، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين(١٤)، وتؤكد اكثر الروايات قول ابن حجر وابن إسحاق فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين(١٥).

وذكر الفاكهي(١٦) ، أن عليًا أول من ولد من بنى هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت أن عليًا ولد في جوف الكعبة(١٧).

ثالثا: وفاته:

استشهد الامام علي عليه السلام في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة(١٨)، استشهد وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه(١٩).

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص(٢٠)، وصلى عليه الحسن ابن علي، (رضي الله عنهما)، فكبر عليه أربع تكبيرات (٢١).

واخيرا اقول فقد استوعب الامام علي (رضي الله عنه) دقائق القران الكريم فانطلق ينادي: (سلوني قبل أن تفقدوني)(٢٢)، (ما من اية في كتاب الله انزلت في سهل او جبل الا وانا عالم متى نزلت وفيمن انزلت)، لذلك نرى الامام عليه السلام بتعايش مع القران الكريم ويعده المرجع الاول في توجيه نظامه السياسي وهو محور وحدة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، في بناء الروح الانسانية والحساس بالجمال ومعاني الحياة التي جاء بها القران الكريم(٢٣).

المبحث الثاني: معنى الوسطية في تشريع الاحكام:

أولا: معنى الوسطية لغة:

الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهى كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين.

يقول ابن فارس: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه"(٢٤) .

ويقول ابن منظور: "وسط الشيء وأوسطه: أعدله"(٢٥) .

ثانيا: الوسطية في الشرع:

جاءت الوسطية في الشرع بمعنى العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط، وتفسير الوسطية بالعدالة والخيرية هو المنسجم كذلك مع مرتبة الشهادة التي نالتها الأمة، فالشاهد من شروطه العدالة، قال الحافظ في الفتح: " وشرط قبول الشهادة العدالة، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله: وسطا؛ والوسط: العدل " كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}(٢٦) .

يقول ابن جرير الطبري: "الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين"(٢٧).

وفي ضوء هذا المصطلح الاسلامي الوسطية: الذي يبرز فيه الوصف الجامع حين نقرأ الآيات القرآنية الكريمة في اشارات الى هذه الخصيصة من خصائص التشريع الاسلامي في الاصلاح فأمة الاسلام هم: قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}(٢٨). وهذه الآية المباركة تشير الى المنهاج السماوي الوسطي بين الاسراف والاقتار وهذا العدل الالهي الذي جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وترعرع عليه اهل البيت والصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين في تنشئة جيل مبارك ينتهج التشريع الاسلامي، وهو منهاج في مختلف الحياة الفردية والاجتماعية، فإن العقل المسلم السوي للمسلم يستطيع أن يفقه هذا المنهاج ويطبقه في سائر حياته.

وجاء في الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة)(٢٩).

ويقول الحافظ ابن حجر: قوله: أوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}(٣٠).

والإسلام وسط كذلك في تشريعه ونظامه الاجتماعي، فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم، وكثرت فيها المحرمات، مما حرمه إسرائيل على نفسه، ومما حرمه الله على اليهود، جزاء بغيهم وظلمهم كما قال الله تعالى : {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}(٣١).

وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة، حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجيء لينقض ناموس التوراة، بل ليكمله، ومع هذا أعلن رجال المسيحية أن كل شيء طاهر للطاهرين!

فالإسلام قد أحل وحرم ، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر، بل من حق الله وحده، ولم يحرم إلا الخبيث الضار، كما لم يحل إلا الطيب النافع، ومن المعلوم أن اليسر ورفع الحرج ومراعاة المصالح وجلبها ودرء المفاسد ودفعها من أعظم مقاصد الشريعة، والقراءة المتأنية للمنهاج الوسطي في تشريع الاحكام وتطبيقه بما يلائم المصالح ولا يعارض النصوص والاصول التي جاء بها(٣٢).

وللإمام علي (كرم الله وجه) في رسالته الى واليه على مصر الاشتر النخعي: (واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض)(٣٣)، وهي تشير الى الخط الوسطي البارز في المجتمع لكي يكون هناك توازن في العلاقات بين طبقات المجتمع عموما، وهذه هي الفطرة الاسلامية التي جاء بها الاسلام وكانت من معالم تصور الفكر والحياة الاسلامي الوسطي العدل وصدق الله العظيم إذ يقول: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}(٣٤).

فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة، وأهل الوسطية في بحثنا هذا من المسلمين وسط بين القدرية الذين لا يؤمنون بقدرة الله الكاملة، ومشيئته - سبحانه وتعالى - الشاملة، وخلقه لكل شيء، وبين الجبرية الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب.

ومن خلال ما سبق اتضح لنا أن كلمة (وسط) تستعمل في معان عدة أهمها:

١ - بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

٢ - قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

٣ - وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.

٤ - وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر.

٥ - وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا، كوسط الطريق، ووسط العصا، وقد تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني والمهم -هنا- متى يطلق لفظ (الوسطية) بل على ماذا يطلق هذا المصطلح؟ فهناك من جعل مصطلح الوسطية مرادفا للفظ الخيرية، ولو لم يكن بين شيئين حسا أو معنى(٣٥).

المبحث الثالث: التعايش السلمي والتسامح والمحبة في سياسة الامام علي(عليه السلام):

قبل الخوض في سياسة الامام علي (عليه السلام) لابد ان نوضح معنى التعايش السلمي لغة واصطلاحا:

التعايش لغة: عَاشَ، عَيْشًا وعيشة ومعاشا صَار ذَا حَيَاة فَهُوَ عائش، (أعاشه) جعله يعِيش يُقَال أعاشه الله عيشة راضية، (عايشه) عَاشَ مَعَه، (عيشه) أعاشه، (تعايشوا) عاشوا على الألفة، والمودة وَمِنْه التعايش السّلمِيّ(٣٦).

اصطلاحا: لم يجد الباحث تعريف واضح المعنى للتعايش السلمي الا الشي القريب منه وهو إن التعايش السلمي هو التقارب بين أفراد المجتمع الواحد اي كان انتماءه الديني او الفكري، وهو مسئولية كل إنسان يعيش فوق تراب الوطن؛ ولأهميته أمر به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "السلام اسم من أسماء الله فأفشوه بينكم"(٣٧)،

وسيادة السلام يقتضي العدل بين الناس على مستوى الأفراد والدول والجامع هو الوطن (الارض)، والوطن: هُوَ منزل الْإِقَامَة، والوطن الْأَصْلِيّ مولد الْإِنْسَان أَو الْبَلدة الَّتِي تأهل فِيهَا، فالوطنية هي نسبة الى من ولد وسكن وتأهل فيه(٣٨).

وان سماحة الاسلام والتعايش السلمي هو بحث من صميم علم السياسة الشرعية وفي العلاقات بين ابناء المجتمع عموما، ويشهد تاريخ النظم الاسلامية ما يدل على انفتاح الدين الاسلامي على جميع الاديان وتراث وتاريخ الامم السالفة والمعاصرة، وهي كلها تشهد على تعايش المسلمين مع غيرهم بسلم وسلام.

وسياسة الامام علي (رضي الله عنه) في حثه على التعايش السلمي، فلقد بني الاسلام منذ نزوله على اليسر والرحمة والسماحة، ولن يشاد هذا الدين العظيم احد إلا غلبه بالحق لأنه جاء عالميا وخالدا، وهو ما جعله صالحا لكل زمان ومكان وسائر شعوب العالم، وهذه الرحمة والسعة والسماحة وقبول الاخر تتوائم مع عالميته، والنصوص التي خاطبت العقول النيرة بالعدل والحق تشهد بذلك، فلهذا دخل الاسلام الكثير من الناس وصار المعيار الوحيد بهذا الدين العظيم الخالد هو التقوى والصلاح بدليل قوله تعالى: {يَا أَيهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ من ذكر وَأُنْثَى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إِن أَكْرمكُم عِنْد الله أَتْقَاكُم}(٣٩).

فعلي (عليه السلام) يزرع ثقافة التعايش السلمي ومبدأ التعددية ويبذر الحب الذي أهم مقوم للفكر الديني والذي مع الأسف شوهه الجاهلون والمتطرفون ممن يحملون الدين كونه حالة عصبية أو من منطلق لا يمكن مناقشتها في هذا البحث، فنرى الامام عليٌ (عليه السلام) في موقع آخر يقول للمسؤولين في ولايته (رضي الله عنه): (انصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة.... ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسّن مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد)(٤٠) والمعاهد هو غير المسلم واليوم وبعد تلك القرون ننادي بهذه المبادئ الإنسانية العظيمة ونسعى الى تحقيقها، ولكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) مارسها كحاكم بشكل عملي في الكوفة وهو يمر على رجل يتسول ويطلب من الناس، فيسأل عنه ويجيبوه بأنه مسيحي غير مسلم، فينتفض هذا الحاكم العادل فيقول لهم زاجرا (استعملتموه حتى إذا كبر

وعجز منعتموه؟ انفقوا عليه من بيت المال)(٤١) هنا يؤكد الامام على حقوق المواطنة الكاملة لجميع المواطنين دون تميز.

ويوصي أمير المؤمنين (سلام الله عليه) (مالك) بنشر التسامح والمحبة بين افراد المجتمع، يقول: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان إمّا آخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)(٤٢).

ولقد ارسى الامام علي (عليه السلام) أسباب التعايش السلمي والمحبة ومنها:

١-حقوق الانسان:

أرى أن الحديث عن سياسة الإمام علي (عليه السلام) وعن مواقفه الخالدة في مجال حقوق الإنسان لابدّ أن يتنزل ضمن الرؤية الشمولية لحقوق الإنسان في الإسلام، فقد كانت مواقفه معبرة أصدق تعبير عن هذه الرؤية، مستميتاً في الدفاع عنها قولاً وعملاً إلى آخر لحظة في حياته.

وان سيرة الامام علي (عليه السلام) غنية بالشواهد والوقائع التي تؤكد قيمته الانسانية واحترامه لحقوق الانسان، ولم ينظر الى أعدائه نظر كره أو غل، بل كان الامام يشفق على هؤلاء حتى في المحن لأنهم يحاربون ويخاصمون الله ورسوله(٤٣).

إن الدارس لمواقف الإمام علي (عليه السلام) من قضايا حقوق الإنسان يلمس بسهولة بأن جل أقواله، والقيم التي آمن بها، وعلمها المسلمين تخدم حقوق الإنسان وحريته، وتناهض كل سلطة تحاول أن تظلم الإنسان، وتغتصب حقوقه، وخصوصاً حقوقه السياسية والاجتماعية، وهو ما يوضح لنا صرامة المدرسة السياسية الفكرية التي أسسها في نضالها من أجل بناء مجتمع العدل السياسي والاجتماعي، ولقد نبّه المسلمين إلى خطر الانحراف الذي بدأت تبرز معالمه في خلافة عثمان(رضي الله عنه)، فقد خطب الإمام في المدينة إثر بيعته قائلاً: (.. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم

أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا) (٤٤).

٢- العدل والمساواة بين ابناء المجتمع عموما:

ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علىّ هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله، أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو إحدى أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس وهذا هو صلب التعايش السلمي المجتمعي، وهناك قصص كثيرة عن عدله كرم الله وجهه منها ما قاله شريح: (قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب، فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال: نعم قنبر والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا»(٤٥)، فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوقعت منك ليلاً، فأخذتها قال: أما إذا قلتها فهي لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع على الشراة بالنهروان(٤٦).

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(٤٧)، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس

بالتساوي بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ للمرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يعطي غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم، وهذا قبل سفكهم للدماء واعتدائهم على الناس(٤٨).

ومن خلال تلك الرسائل أراد الامام (عليه السلام) أن يبسط العدل والمساواة بين الرعية التي أمر الله بها من خلال تطبيق مبادئ العدل والمساواة لدى الحاكم، وهناك يريد الامام ان يساوي بين الفقير والغني وبين القوي والضعيف، في العيش والكرامة والحقوق والواجبات. ونظرية الامام في العدل والمساواة بين الرعية قائمة على احترام الانسان وحقوقه التي أسسها الاسلام كدين حق وكرسها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وحافظ عليها الامام في حكمه الذي دام خمس سنوات وثلاث أشهر.

٣- الحريات العامة:

وقد كان لأمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء علي الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليه لمجرد الظنون والشكوك(٤٩).

وكان يأمر كرم اله وجهه عماله بعدم التعرض للخوارج في طريقهم ما داموا لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس، وقال لهم: (إن لكم عندنا ثلاثًا، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا)(٥٠).

والحريات كمفهوم تقرن بعلي ابن أبي طالب وحكومته الانسانية لأنه لم يتعامل معها تعامل بتجرد، بل تعامل مع الحرية فهما علمياً وسلوكا عملياً، وقد يذهب الامام (رضي الله عنه) في عدالته الانسانية وإيمانه بالحرية الى فعل أبلغ وأصدق من المفهوم

والعملي، لأنه يجسد القيم والمثل العليا في أعلى مراتبها في عمله اليومي وسلوكه العملي(٥١).

ولا يمكن فصل الحريات عن شخصية وحياة وسيرة الإمام علي لأنه تجسد في مفهومها وشرب من نخب القيم الانسانية التي تشكل الاطار الجامع والحافظ لمعاني الحرية الانسانية. وللإمام أقوال وعبر مأثورة الى قيام الساعة تشير الى قيمة الحياة الحرة من خلال كلماته الرائعة التي تناول فيها الحرية كبعد إنساني وحق طبيعي. حيث قال الامام (عليه السلام): (أيها الناس إن ادم لم يلد عبدا ولا امة وان الناس كلهم أحرار)، وقال عليه السلام أيضا: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا)، ويقول أيضا:(الحر حر ولو مسه الضر، والعبد عبد وان ساعده القدر)، ويقول عليه السلام:(الحرية منزهة من الغل والمكر)، ويقول عليه السلام: (من أوحش الناس تبرأ من الحرية)(٥٢).

٤- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضيلة من فضائل هذه الأمة. قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(٥٣) وقال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٥٤) وهذه المسئولية تتأكد على كل من الامراء والعلماء والحكام بشكل خاص وعلى الآحاد من المسلمين بشكل عام.

لان الأمراء والحكام مسئوليتهم أعظم وأخطر لأن لهم الولاية والسلطان ولديهم القدرة على تنفيذ ما يأمرون به وينهون عنه وحمل الناس على الامتثال ولا يخشى من إنكارهم مفسدة لأن القوة والسلاح في أيديهم، ومخاطر تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)(٥٥). ويقول الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) في مخاطر تعطيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم).

ثم قال: (والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا)(٥٦).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)(٥٧).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)(٥٨).

وهنا تظهر أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين عليه السلام: اني لم أخرج أَشِراً ولا بَطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خَرَجْتُ لطَلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنكَر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام». (٥٩).

ومن آثار الامام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام: (من كانت فيه ثلاث سلمت له الدنيا والآخرة: يأمر بالمعروف ويأتمر به وينهى عن المنكر وينتهي عنه، ويحافظ على حدود الله عزَّ وجلَّ)(٦٠).

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام: (فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً قُلِبَ فجُعِلَ أعلاه أسفله وأسفله أعلاه)(٦١).

٣- عن أمير المؤمنين: (إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجلٍ ولا يقطعان من رزق)(٦٢).

وآثاره (عليه السلام) بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- عن الإمام علي عليه السلام: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الله أمركم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)(٦٣).

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّما يجمع الناس الرضا والسخط وإنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمَّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا)(٦٤).

وكل هذه التوجيهات والتحليلات لنهضت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس معنى المعروف يقتصر على المعروف الفرديّ، ولا المنكر يقتصر على المنكر في الممارسة الفرديّة، بل هناك المعروف الاجتماعي والمعروف الفكريّ والعقائديّ، وهناك المعروف

الاقتصاديّ والمعروف السياسيّ والمعروف الحقوقيّ وغيرها والمنكر كذلك: منه السياسيّ والعقائديّ والفكريّ والاجتماعيّ والماليّ.

فهذا هي سياسة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) والنهج الذي اتبعه وما يطرح اليوم في الواقع السياسي الشرعي ضد من يروج للإرهاب التكفيري والطائفي.

التوصيات التي خرج بها الباحث:

وفيما يأتي يسرد الباحث نص أهم هذه التوصيات نهجاً على ما سبق من دراسة البحث: "الحمد لله الذي جعلنا بالإسلام خير أمة والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه وبعد:

فالسياسة الشرعية: هي كل فعل يكون فيه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، والامام اسمه علي بن أبى طالب (عبد مناف)، بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد، واستشهد الامام علي (عليه السلام) في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة، وهو ابن خمس وستين سنة، وكان الامام علي (عليه السلام) من أهل الوسطية في سياسته العامة، والوسطية عنده بمعنى الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة، وجاء الاسلام بتوطيد معنى التعايش السلمي وهو بحث في صميم علم السياسة الشرعية وفي العلاقات بين ابناء المجتمع عموما، ويشهد تاريخ النظم الاسلامية ما يدل على انفتاح الدين الاسلامي على جميع الاديان وتراث وتاريخ الامم السالفة والمعاصرة، وهي كلها تشهد على تعايش المسلمين مع غيرهم بسلم وسلام، ونبذ الارهاب ومواجهة كل نفس فيه تطرف تكفيري وطائفي، وكانت سياسة الامام علي (رضي الله عنه) في حثه على التعايش السلمي والتسامح والمحبة بين افراد المجتمع عموما وهو منهج حياة واضح في سياسة الامام علي (عليه السلام)، فلقد بني الاسلام منذ نزوله على اليسر والرحمة والسماحة والمحبة، ولن يشاد هذا الدين العظيم احد إلا غلبه بالحق لأنه جاء عالميا وخالدا، وهو ما جعله صالحا لكل زمان ومكان ولجميع ابناء شعوب العالم، وهذه الرحمة والسعة والسماحة والمحبة وقبول الاخر تتوائم مع عالميته، ولقد ارسى الامام علي (عليه السلام) أسباب التعايش السلمي

والمحبة ومنها: حقوق الانسان التي ثبت معالمها (عليه السلام)، وكما ارسى العدل والمساواة بين ابناء المجتمع عموما قولا وفعلا، وكما ارسى أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) أقوال وأفعال تدافع عن الحريات ومواقفه زاهرة في دعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، وكما ارسى الامام (عليه السلام) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع مستويات الحياة الاجتماعية والفكريّة والعقائديّة، وهناك المعروف الاقتصاديّ والمعروف السياسيّ والمعروف الحقوقيّ وغيرها، والمنكر كذلك: منه السياسيّ والعقائديّ والفكريّ والاجتماعيّ والماليّ وغيرها، وكل هذه الاسماء والمسميات بكل انواعها وعناوينها في التشريع الاسلامي وسياسة الامام (كرم الله وجهة) رافضتا كل ما يسمى ارهاب وتكفير وطائفية.

ولعلي بهذه الكتابة المتعجلة المتواضعة أضع لبنة بسيطة في البناء الشامخ، بناء التعقل والمرونة وإبراز محاسن الإسلام وسماحته ويسره، ومنهج الوسطية الداعي إلى التعقل والتثبت والمرونة والتؤدة الى شرع الله، ونبذ الارهاب والتكفير الطائفي.

وأخيرا أقول وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وأعانهم وهداهم إليه إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين.

ملخص البحث:

الحمد لله الحى القيوم، العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه أهل العلم الصحيح والمنهج القويم والذوق السليم. وبعد؛ فهذا الجهد المقل للباحث والموسوم بـ (الكوفة رمز الوسطية والتعايش السلمي ونبذ التطرف سياسة الإمام علي انموذجا) جاء ليبرز سياسة سيدنا الامام علي (عليه السلام) في بناء مجتمع يسود فيه التعايش السلمي والتسامح والمحبة بين ابناء المجتمع الاسلامي، وخاصة بين ابناء بلدنا العزيز، ويكشف زيف المغرضين للإسلام والمسلمين، الذين ما زالت سموم اقلامهم والسنتهم تحاول الحط من ديننا الاسلام العظيم اذ وصفوه بالإرهاب والعنف وتجاهل الاخرين من غير المسلمين في البلاد الاسلامية وغيرها، فذهب الباحث في هذا البحث المتواضع الكشف عن الصورة الحقيقية المشرقة للشريعة

الاسلامية وسياسة ائمتها في كيفية التعامل مع ابناء المجتمع عموما، وقد جاء البحث مرتبا على النحو الاتي: توضيح معنى (السياسة الشرعية)، ولها عدة تعاريف عند الفقهاء ومنها: هو ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا نزل به وحي، ومن هذا المنطلق ومن مصلحة المجتمع لا بد من توضيح تام لسياسة الامام الشرعية التي طبقها من مصلحة الناس، وجاء البحث مقسما إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث والتوصيات التي خرج بها الباحث وقائمة بالمصادر، وتكلمت في المقدمة عن سبب اختيار الموضوع وأهميته، وأما المباحث فهي مقسمة: المبحث الاول: تكلمت فيه عن حياة الامام (عليه السلام)، وأما المبحث الثاني تكلمت فيه عن معنى الوسطية في تطبيقها عند الامام(عليه السلام)، وأما المبحث الثالث تكلمت فيه عن معنى التعايش السلمي والتسامح والمحبة في سياسة الامام علي(عليه السلام)، وأهم المبادئ التي أرساها، والتوصيات التي تم التوصل اليها الباحث، والمصادر التي أستعان بها.

والله تعالى اسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل.

الهوامش:

(١)ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ، ط: دار صادر بيروت ط١ :١٠٧/٦ مادة سوس، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مكتبة لبنان ناشرون بيروت، تحقيق محمود خاطر ص:٣٢٦، ومعجم لغة الفقهاء عربي انكليزي وانكليزي عربي وضع محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي ص:٢٥٨، الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(٢)الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للشيخ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية، نشر مطبعة المدني القاهرة تحقيق د٠محمد جميل غازي ص:١١.

(٣)ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة جمع وإعداد علي بن نايف الشحود باحث في القران والسنة:٤٠٣/١٢.

(٤)حيدرة: من أسماء الأسد.

(٥)الطبقات الكبرى (٣/ ١٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٣)، الإصابة (١/ ٥٠٧) ، الاستيعاب (١٠٨٩١)، المنتظم (٥/ ٦٦)، المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٠).

(٦)الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص (٦١٧).

(٧)غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٧٠)، خلافة علىّ بن أبى طالب، عبد الحميد بن على ناصر فقيهي ص(١٨).

(٨)رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٩).

(٩)رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠).

(١٠) سورة المائدة الآية: ٥٥.

(١١)المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: ١٣٧/٣، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

(١٢)البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، وأسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره - دراسة شاملة)،المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي:ص٢٧.

(١٣)السيرة النبوية (١/ ٢٦٢) دون إسناد.

(١٤) الإصابة (٢/ ٥٠١) ترجمة علي (عليه السلام).

(١٥)المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٣) رقم ١٦٥إسناده حسن.

(١٦) هو: عبد الله بن أحمد بن زكريّا المكّيّ صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبد الملك بن دهيش...، ينظر ترجمته في: الجرح والتّعديل (٦/٥)ت/٢٨،والسّير (٦٣٢/١٢).

(١٧) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٣) دون إسناد.

(١٨)التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.

(١٩)تاريخ الطبري (٦/ ٦٧)، واسمى المطالب في سيرة الامام علي: للصلابي ص٩٦٤.

(٢٠)المنتظم (٥/ ١٧٥)، الطبقات (٣/ ٣٣٧).

(٢١)الطبقات (٣/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢٢) نهج البلاغة ص٢٨٦.

(٢٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٢٤)معجم مقاييس اللغة: (٦\ ١٠٨) .

(٢٥) لسان العرب: (٧\ ٤٣٠) .

(٢٦)سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٢٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢\ ٦، ٧) .

(٢٨) سورة الفرقان: الآية: ٦٧.

(٢٩) رواه البخاري في الجهاد والسير: (٢٧٩٠) ، ومسند أحمد: (٣٣٩/٢) .

(٣٠) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٣١) سورة النساء الآية: ١٦١.

(٣٢) ينظر: تفسير القرطبي: ١٣٥/٤.

(٣٣) ينظر: نهج البلاغة ص٣٣٧.

(٣٤) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٣٥)الوسطية في القرآن الكريم، المؤلف: الدكتور عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي ص٣٣، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

(٣٦)المعجم الوسيط،: ٢/ ٦٣٩ المؤلف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

(٣٧) المعجم الوسيط للطبراني: ٢٣١/٣.

(٣٨) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ص:٩٤٠، ومحاضرتان عن فن الاتصال والحضارة الإسلامية، المؤلف: علاء إسماعيل الحمزاوي:١١/١.

(٣٩) سورة الحجرات الاية:١٣.

(٤٠) وقعة صفين، المؤلف: نصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٢:ص١٠٨،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع.

(٤١)ينظر: نهج البلاغة ص٣٣٧.

(٤٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٤٣)ينظر: نهج البلاغة ص٣٣٧.

(٤٤) ينظر: نهج البلاغة ص٢٧٢.

(٤٥) المستدرك على الصحيحين: ١٨٢/٣.

(٤٦) ينظر: اسمى المطالب للصلابي: ص٢٨٢.

(٤٧) سورة الحجرات الاية:١٣.

(٤٨)ينظر: اسمى المطالب للصلابي: ص٢٨٢.

(٤٩) ينظر: نهج البلاغة ص٤٢، اسمى المطالب للصلابي: ص٢٨٢.

(٥٠)ينظر: تاريخ الطبري:١٥٥/٣، واسمى المطالب ص٢٨٤.

(٥١) موقع: najialghezi.com

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) سورة آل عمران الاية:١١٠.

(٥٤)سورة التوبة الآية: ٧١.

(٥٥) سورة المائدة الآية: ٧٨ - ٧٩.

(٥٦) هذا حديث ابن مسعود، أخرجه أبو داود رقم (٤٣٣٦) والترمذي رقم (٤٧ ٣٠) وابن ماجه رقم (٤٠٠٦) وهو حديث حسن بشواهده.

(٥٧) هذا حديث أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤٩) والترمذي رقم (٢١٧٢).

(٥٨) هذا حديث حذيفة، أخرجه الترمذي رقم (٢١٦٩) وهو حديث حسن بشواهده.

(٥٩) ينظر: بحار الأنوار: ٤٤: ٣٢٩؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ١٧٩ .

(٦٠) بحار الانوار:٤٢٢/٧٤.

(٦١) نهج البلاغة:٣١٢/١٩.

(٦٢) نهج البلاغة:٣٠٦/١٩.

(٦٣) نهج البلاغة: ٦/١٧.

(٦٤) نهج البلاغة: ٢٦١/١٠.

المصادر بعد القران الكريم

١-الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢-الاستيعاب في أسماء الصحاب لابن عبد البر مطبوع بهامش الإصابة في م مصطفى محمد ١٣٥٨هـ.

٣-البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١ه (١٩٣٢م) .

٤-التاريخ الكبير، عبد الله بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

٥-الجرح والتعديل، شيخ الاسلام ابي محمد عبد الرحمن ابي حاتم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان عن الطبعة الأولى سنة ١٢٧١هـ.

٦-السير الكبير، تأليف: الإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفي سنة ١٨٩هـ، تحقيق عبد العزيز أحمد.

٧-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار؛ ط دار العلم للملايين.

٨-الطبقات الكبرى -محمد بن عبد الله بن سعد -دار صادر، بيروت، لبنان.

٩-الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للشيخ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية ،نشر مطبعة المدني القاهرة تحقيق د٠محمد جميل غازي.
١٠-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني، نشر مؤسسة الرسالة بيروت.
١١-المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
١٢-المعجم الوسيط - دار إحياء التراث العربي، ط. الثانية ١٣٩٢هـ.
١٣-المعجم الكبير: للطبراني، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، بتحقيق عبد المجيد السلفي الدار العربية للطباعة، بغداد سنة ١٩٧٩م.
١٤-المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
١٥-المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى٥٩٧هـ): ٣٩/١، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٦-غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم بن إبراهيم العزباوي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.
١٧-الوسطية في القرآن الكريم، المؤلف: الدكتور عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٨-اسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) شخصيته وعصره، الدكتور علي محمد الصلابي، دار بن كثير بيروت سنة:١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
١٩-بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، ط الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٠-تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، ط. دار المعارف بمصر.
٢١-جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١ سنة: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٢-سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر- بيروت.
٢٣-سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة:(٢٧٥ه)، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٤-سنن النسائي، المؤلف أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ سنة:١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٥-سنن الترمذي تحقيق وشرح أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢ سنة:١٣٩٨ه.
٢٦-شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق الشيخ حسن تميم، بيروت سنة: ١٩٦٣ م.
٢٧-صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٨-صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط١سنة: ١٣٧٤ه.
٢٩-صفوة الصفوة، للعلامة ابن الجوزي، دار الشعب، بالقاهرة سنة ١٣٩٣ه.
٣٠-محاضرتان عن فن الاتصال والحضارة الإسلامية، المؤلف: علاء إسماعيل الحمزاوي.

٣١-مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ). نشر: دار الكتاب العربي - بيروت عام ١٩٧٩م.
٣٢-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر مؤسسة الرسالة ط٢ سنة:١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣٣-معجم لغة الفقهاء عربي انكليزي وانكليزي عربي وضع محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي، الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
٣٤-معجم مقاييس اللغة- أبو الحسين أحمد بن فارس- تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، ط٢.
٣٥-موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة جمع وإعداد علي بن نايف الشحود باحث في القران والسنة.
٣٦-وقعة صفين، المؤلف: نصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٢، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٣٨٢ه، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع.
٣٧-نهج البلاغة: للشريف الرضي. نشر مكتبة الزهراء، بيروت – لبنان.
٣٨-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ، ط- دار صادر بيروت الطبعة الأولى.
موقع: najialghezi.com

سجون الكوفة في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ)

ا.م.د. خالد تركي عليوي النداوي
ا.م.د. ثريا محمود عبد الحسن الخزعلي
كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

المقدمة:

تعد السجون من المؤسسات السياسية والاجتماعية المهمة عبر العصور ونخص بالذكر منها الدولة العباسية في العصر الاول حيث اختلطت فيه الكثير من الشعوب والثقافات الداخلة على العرب والمختلفة عن تعاليم الاسلام فكانت مؤسسة السجون في تلك الحقبة من الزمن ذات اهمية بالغة ، فمفهوم السجن ارتبط في اذهان البشر بصورة لا يمكن ان تتغير ولا تتطور الى الافضل رغم تطور حياة البشر ، فهو مكان الحجز والحصر والقيد الى غير ذلك من المسميات ومن هنا فان السجن كبناء في حد ذاته لا يشكل موضوعاً ذا اهمية ، يحرص المؤرخون والجغرافيون على وصف تصاميمه وشكله ولا يعتبر السجناء فئة تستحق البحث في اخبارها باستثناء بعض الساسة والقادة والمشاهير من الناس .

نتناول في بحثنا هذا تعريف بالسجون لغةً واصطلاحاً ، وقدمنا مقدمة تاريخية للسجون في العصر الاموي بمدينة الكوفة ، ووضحنا اماكن وجودها والتي كان من اهمها سجن الكوفة الذي اودع فيه انصار الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهما السلام) ، وسجن القاضي بالكوفة ، ولم تقتصر السجون في العصر الاموي على الرجال فقط بل ظهرت سجون للنساء في البصرة والكوفة .

لقد توسع الخلفاء الامويون والعباسيون في تشييد السجون لما نجم في زمنهم من الخلاف على الحكم وظهرت الاحزاب التي تعارض حكمهم ، واتخذوا من بيوت بعض الولاة سجوناً فزجوا فيها الكثير من السجناء ، وهناك سجون في دور الخلافة وقصورها وهي اشد مناعة واشتهرت بالسوء والفظاعة وقد عرف من سجون العراق منها سجون الكوفة حيث سجن فيه الشعراء والعلماء وسجن حيث سجن فيه اللصوص وقطاع الطرق وسجن السرداب وحرص الخلفاء العباسيين على تطوير واصلاح السجون من الانحرافات فقابلها علماء الدين بالوعظ والانكار كما حرص على الاهتمام بتعليمهم

الحرف وحاول الخلفاء العباسيين دفع التعذيب والاذى عن السجناء وكذلك الانفاق على السجناء من بيت المال وكذلك اوضحنا الغاية من السجن عند الخلفاء العباسيين وتناولت اصناف السجناء وبالأخص العلويون ومنهم عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن ن علي بن ابي طالب واخوته وبني اخوته (عليهم السلام).

السجن لغة : معناه الحبس وهو يطلق على الموضع او المكان[١]، وللحبس معان متعددة في اللغة منها المنع والامساك[٢] ، والحبس مصدر حبس بمعنى منع او امسكه عن وجهه[٣]، وفي القراءة بفتح السين على المصدر، وبكسرها على المكان ولكن الشائع في نطقها سجن بكسر السين[٤] .

أما ما يقصد بتعريف السجن اصطلاحا : فهو وضع الفرد أو مجموعة من الافراد المحكوم عليهم بعقوبة السجن ، أو المتهمين في قضايا على ذمة التحقيق في مكان مغلق عليهم بأحكام ، يحول بينهم وبين ممارسة عاداتهم اليومية بصورة طبيعية ، متعرضين في ذلك السجن لمختلف انواع الضرر والاذى ، لفترات زمنية معلومة ومحددة سواء قصرا أو طولا ، بحكم السياسة والأمن القومي في كثير من الاحيان وبحكم الشريعة احيان اخرى[٥] .

السجون في عصر الدولة الاموية

لكثرة الاضطرابات التي صاحبت قيام الدولة الاموية اهتم الامويون بالسجون وخاصة بعد استشهاد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) (٤٠ ه/٦٦٠م) وعدم الاستقرار والثورات التي قام بها العلويين والخوارج وغيرهم من الحركات المناهضة لهم ، قام عبيد الله بن زياد بالقبض على انصار الامام الحسين بن علي(عليه السلام) والزج بهم في سجن البصرة واوثقهم بالسلاسل ولكن بعد ورود وفاة يزيد بن معاوية هرب عامله عبيد الله فتمكن الثوار من اخراج السجناء من انصار الامام الحسين بن علي(عليه السلام) واغلبهم من بني تميم وغيرهم من سجناء اهل البصرة[٦] ، ثم قام والي العراق خالد بن عبدالله القسري بسجن كل من يهجو بني امية ويمدح بني هاشم من الشعراء ، فقبض على الشاعر الكميت بن زيد الاسدي[٧]، وبسبب هذه التهمة رمي به في سجن الكوفة ، بل وامر الخليفة هشام بن عبدالملك بقطع يدي الكميت ورجليه وبضرب عنقه

، وان يهدم داره ، وان يصلب على ترابها لأنه مدح بني هاشم وهجا بني امية في شعره ، ولما بلغ الكميت ما أمر به الخليفة دبر حيلة للهروب من السجن ، فاستطاع الهرب من السجن في ثياب امرأة ، ونجي من القتل[٨]. وما لبث ان تغير والي العراق فتولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي[٩] وامره هشام بأخذ خالد وعماله وسجنهم وتعذيبهم، فقام يوسف بن عمر بسجن خالد وعماله في سجن الحيرة[١٠] ، بل تعدى الامر اكثر من ذلك ، فقام بسجن اهل بيته وجماعة من النساء والصبيان في سجن الكوفة ، مع اصحاب الجرائم وتعرضهم لكثير من الاضطهاد وانواع التعذيب داخل اسوار السجن[١١] . ومما عرف من سجون بني امية في بلاد العراق سجن الكوفة الشهير ، الذي اودع فيه المختار بن ابي عبيد الثقفي ، وظل في هذا السجن حتى استشهاد الامام الحسين بن علي عليه السلام (٦١ه/٦٨١م)، فخرج منه مطالبا بدمه حتى تم له ما اراد[١٢] ولم تقتصر السجون على الرجال فقط، بل ظهرت سجون للنساء ، ومن السجون التي حبست فيها النساء هو سجن الكوفة[١٣] .

هيئة بناء السجون :

اخذت الدولة في تثبيت دعائم اركانها على الاطراف التي تسيطر عليها ، فاتخذت لها سجونا كانت في بادئ الامر شراء حيث كان الحبس يتم في اماكن واسعة ، اتخذت في الاصل بيوتا ، ثم جعلت هذه الدور سجونا يحبس فيها المجرمين والمخالفين لتعاليم الدولة مثل سجن دار بلال بالكوفة[١٤] . ففي بادئ الامر هي ان تصبح البيوت والمباني القديمة سجونا في جميع الولايات التي خضعت لها الدولة الاسلامية وذلك للسهولة في تحويلها فحولت كثير من دور الحكام الذين انقضت مدة حكمهم الى سجون فحولوا قصر ابن هبيرة [١٥]في الكوفة الى سجن ودار مروان بن الحكم الى سجن[١٦] . كما بنى الحجاج عدد من السجون وكان منها سجن لعلعا وهو مكان يطلق عليه نفس الاسم بين البصرة والكوفة[١٧] وقد استمر الخلفاء العباسيين في بناء السجون من حيث وجود الساحة الواسعة وتحيط بها عدد من الحجرات والمرافق التي تعلوها اروقة تدفع عنهم شدة البرد في الشتاء والحر في فصل الصيف وتلطف الجو لهم .

مواقع السجون في الكوفة :

١-سجن القاضي بالكوفة : وهو من سجن الحقوق المدنية ، حيث يحبس فيه المحكوم عليهم بالديون المالية والتجارية ونحوها [١٨] فكان القاضي يأمر المتعنت المغتصب للحق في رد الحقوق الى اصحابها ، فيحبسه في سجن الكوفة المعروف بسجن القاضي[١٩] .

٢-سجن الكوفة :هذا السجن معروف من عصر الدولة الاموية ن حيث حبس فيه المختار بن ابي عبيد الثقفي لمناهضته ابن زياد والي العراق[٢٠] وفيه حبس عبيدالله بن الحر ، حبسه مصعب بن الزبير مخافة الثورة عليه ، وقد وصف موضع سجنه بقوله[٢١]:

فمن مبلغ الفتيان أن اخاهم أتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضي بمثلها اذا قام عنته كبول تجاذبه

كذلك سجن في هذا السجن سادات بني الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب منهم عبدالله المحض بن الحسن بن علي ، وكان شيخ الطالبين في عصره وسجن معه بنيه وأخوته وبني اخوته ، وظلوا في هذا السجن حتى ماتوا في الحبس[٢٢] .

٣-دار بلال بالكوفة : كان هذا السجن دارا وسمي بذلك نسبة الى صاحبها بلال في زمن الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩ه/٧٧٥-٧٨٦م) وكان القاضي شريك النخعي[٢٣] يسجن فيها من ثبت عليه الحق[٢٤] .

٤-سجن الهاشمية : الهاشمية مدينة بناها السفاح قرب الكوفة[٢٥] ، وفي سجنها حبس محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن المحض ، وعلي بن عبدالله بن الحسن المعروف بالحبر ، وغيرهما من ال البيت (عليهم السلام) لخروجهم على الخليفة ابو جعفر المنصور ، وعرف عن هذا السجن الشدة والقسوة وسوء المعاملة ، حيث لا يسمع فيه السجناء اذاناً ولا يعرفون فيه وقت صلاة الا بالتلاوة[٢٦].

اما من ناحية العناية بالسجون فقد اوضح ابو يوسف القاضي بأن الاسير من اسرى المشركين لابد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب يترك يموت جوعاً ؟ وانما حمله على ما صار اليه القضاء او الجهل ، ولم تزل الخلفاء تجري على اهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف واول من فعل ذلك هو الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالعراق[٢٧] ، ثم بدا

يشرح الامر بقوله " كان علي بن ابي طالب اذا كان في القبيلة او القوم الرجل الداعر حبسه ، فان كان له مال انفق عليه من ماله، وان لم يكن له مال انفق عليه من بيت مال المسلمين ، وقال يحبس عنهم شره ، وينفق عليه من بيت مالهم[٢٨] .

اما الغاية من السجن فقد شوهد امير المؤمنين علي ابي طالب (عليه السلام) بالكوفة يعرض السجناء عليه ويفحص احوالهم ويعلم امورهم[٢٩] ، وليس من المصادفة اطلاق الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) اسم نافع ثم المخيس على اول سجن بني في الاسلام[٣٠] ، بل قصد من ذلك معنى التأديب والردع الحاصلين في السجن ، لان النافع من النفع ، والمخيس من التخييس بمعنى التذليل والتليين والتهذيب[٣١] ، واكد الفقهاء ما بينه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) من ان غاية السجن في غير التهمة هي الرجز والاصلاح ، حيث ذكر ابو يوسف القاضي ان غاية السجن التأديب والتوبة[٣٢] .

اصناف السجناء :

١-سجناء البيت العباسي : في هذا العصر اتخذ العباسيون اسلوب القوة والسيطرة ، للحفاظ على كرسي الخلافة ، فأصبحت عادة حتى نهاية الدولة العباسية فمنصب ولاية العهد لاكثر من شخص فكان هو السبب في الصراع الدموي الذي نشب بين العباسيين انفسهم واودى بالكثير منهم الى السجن وكذلك القتل[٣٣] ، ويعد عبدالله بن علي احد اهم سجناء البيت العباسي حيث امر الخليفة ابو جعفر المنصور ان يسجن في سجن القصر بالحيرة[٣٤] ، ويعد هذا السجن من اشد السجون حراسة كونه داخل اسوار قصر الخليفة نفسه ، وتوفي سليمان بن علي عام (١٤٣ه/٧٥٩م) وهو من اشد المدافعين عن اخيه عبدالله ، وحاول مرة اثر مرة ان يحصل لأخيه على عفو من الخليفة الا ان جميع محاولاته باءت بالفشل وذلك لإصرار المنصور على الانتقام من عمه عبدالله بن علي[٣٥] وظل عبدالله مهملا في السجن حتى قامت ثورة محمد بن عبدالله العلوي النفس الزكية واخوه ابراهيم عام (١٤٥ه-٧٦٢م) [٣٦] ، وجعل امر السجن لابي الازهر المهلب بن ابي عيسى ،ثم جاءت الاوامر بقتل عبدالله بن علي على ان يحتال في قتله وبالفعل دخل عليه وخنقه حتى مات[٣٧] ، ثم امر ابي الازهر حراس السجن ان يجروا الماء على

اساسات السجن وجوانبه فذاب الملح فانهار السجن على من فيه[٣٨] ثم احضر القاضي وغيره من رجال الدولة فنظروا الى ذلك ، وذلك لكي يثبتوا للعامة والخاصة ان موته كان قضاء وقدر[٣٩] .

١-سجناء ساسة البيت العلوي :

كان الخلفاء العباسيين يضعون العيون والجواسيس ورجال الشرطة ليأتوا بالاخبار عن ساسة البيت العلوي وفتحت لهم ابواب السجون ولكن كانوا في الغالب يوضعون في سجون انفرادية خوفا منهم على باقي السجناء من تغير اهوائهم وفكرهم السياسي وفي هذه السجون لا يرون ضوء النهار لانها كانت سجون تحت الارض .

أمر الخليفة ابو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨ه)(٧٥٤-٧٧٥م) بالقبض على سادات بني هاشم وخاصة بني الحسن والحسين (عليهم السلام) ومنهم عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن ن علي بن ابي طالب واخوته وبني اخوته (عليهم السلام) فقيدهم بسلاسل الحديد وأمر بسجنهم في سجن قصر بن هبيرة بالكوفة [٤٠] ، ثم امر بنقلهم وارسالهم مكبلين بالسلاسل والقيود الى الكوفة بعدما انشأ لهم سجنا خاصا بهم اطلق عليه سجن السرداب في باطن الارض وهو عبارة عن سرداب تحت الارض لا يفرقون فيه بين ضياء النهار وظلام الليل وهذا السجن كان على شاطئ نهر الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة[٤١] .

ومما يدل على سوء هذا السجن _السرداب _ انهم كانوا يتوضؤون في مواضعهم لشدة ضيق مساحة السجن فلما اشتدت عليهم الرائحة الكريهة، طلبوا سرا من بعض مواليهم ان يرسلوا اليهم شيئا من الغالية ، التي يدفعون بشمها تلك الروائح الكريهة ، ولكن مع طول البقاء في هذا السجن الموحش وسوءه ، وعدم دخول الهواء النقي اليه ، وعدم تعرضه لأشعة الشمس سرعان ما انتشر فيهم المرض والطاعون لسوء السجن، فانتشر الورم في اقدامهم ، فلا يزال المرض ينتشر فيهم ويرتفع المرض حتى يصل الى قلب احدهم فيموت رغم انفه من شدة المرض ، ويرجع ذلك الى عدم وجود رعاية صحية للسجناء السياسيين، فمات في هذا السجن عبدالله بن الحسن[٤٢] ، فدفن في القادسية[٤٣] ، واشتد عليهم المرض لسوء السجن والرعاية فيه حتى ماتوا جميعا في هذا السجن

بالكوفة[٤٤]. وبعد ذلك تم القبض من قبل شرطة المنصور على الديباج الاصغر وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن العلوي ، وكان من احسن الناس وجها ، فهدده المنصور بقوله" لا قتلنك قتلة لم اقتلها احد" ، فأمر المنصور حراسه ببناء سجن خاص انفرادي ليسجن فيه ،فنبوا سجن على شكل اسطوانة في باطن الارض ، ووضعوا فيه محمد بن ابراهيم داخل هذا السجن واغلقوا عليه جميع منافذه التي كانت من الاعلى ومنع عنه الماء واهمل جوعا وعطشا حتى مات فيه[٤٥]، ومما تجدر الاشارة اليه ان ابراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) كان ممن حمل مصفدا بسلاسل الحديد من المدينة المنورة الى الانبار[٤٦] ،فكان يقول في رحتله لأخويه عبدالله والحسن :" اعوذ بالله من منايا طيبن منايا تمنينا ذهاب سلطان بني امية واستبشرنا بسلطان بني العباس ، ولم يكن قد انتهت بنا الحال الى مانحن عليه..." وكان فيمن قتل معهم اسماعيل بن ابراهيم الغمر ومحمود بن ابراهيم وقيل ان الاخير دفنه الخليفة حياً [٤٧] ، وكان الخليفة ابي جعفر يستدعي بين الحين والاخر عبدالله بن الحسن ويسأله عن بنيه ، فلم يجب الخليفة الى ما اراد ، فأمر بتشديد الامر عليهم داخل السجن الموحش (سجن السرداب) [٤٨] .

ومما جعل الخليفة يصر على مكوث بني علي بن ابي طالب (عليهم السلام) في هذا السجن هو قول عبدالعزيز بن سعيد وهو احد جلساء الخليفة ، حيث قال:" ا تطمع في خروج محمد وابراهيم ابني عبدالله ، وبنوا الحسن مخلون؟ والله للواحد منهم اهيب في صدور الناس من الاسد..." [٤٩]، ولما علم محمد ذو النفس الزكية بما حدث لابيه وقومه من حبسهم جميعا في سجن المنصور بالكوفة اعلن راية العصيان والثورة ضد الحكم العباسي وذلك عام (١٤٥هـ/٧٦٤م) وكان متخفيا عن عيون وجواسيس العباسيين في المدينة المنورة ومن ثم امر انصاره بالخروج والثورة ضد الحكم العباسي، فاستطاع السيطرة على المدينة المنورة وعزل الوالي وتعيين واليا وقاضيا ثم توجه هو وأنصاره الى سجن المدينة فكسروا ابوابه واخرجوا من فيه[٥٠].كما ان هناك شخصيات اخرى من البيت العلوي تعرضت للملاحقة والسجن والتعذيب ولكن ليست في سجون الكوفة وانما في السجون العباسية الاخرى وهي ليست موضوع بحثنا .

٢-الراوندية وسجنهم :

وهم قوم من اهل خراسان يقولون بتناسخ الارواح يزعمون ان روح ادم في عثمان بن نهيك رئيس حرس الخليفة المنصور[٥١] وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور[٥٢] وان جبريل هو الهيثم بن معاوية ، فلما ظهروا وأعلنوا مبادئهم وأرائهم ، زحفوا الى قصر المنصور بالهاشمية ، فاخذوا يطوفون بالقصر ويقولون : هذا قصر ربنا ، فعلم المنصور بهم فأمر رجال الشرطة ويعاونهم رجال الحرس بالقبض على زعمائهم فتم سجنهم وامر رجال شرطته بالا يتجمع الراوندية عند قصرة فغضب الراوندية لما فعل المنصور بأنصارهم وسجن زعمائهم[٥٣].

السجون السياسية في العراق

استخدم الخلفاء العباسيين ومن جاء من بعدهم امور غير انسانية بالسجناء السياسيين ، لانهم يرون فيهم العدو الذي يزيل ملكهم فابتكروا اشياء غاية في الصعوبة لحبس هؤلاء السجناء السياسيين ومن هذه الامور هي وضعهم في سجون خاصة بنيت خصيصاً لهم ، حتى يتم للخلفاء الانتقام منهم ويذيقونهم اشد العذاب ،

ومن هذه السجون :الحجرة المطينة : وهي حجرة تسد بابها ونوافذها بالطين مع حرمانه من الهواء والماء والطعام فيموت جوعا واختناقا[٥٤]، ومن السجون التي تخص فئة السجناء السياسيين كذلك هي السجون التي تبنى على اساس من الملح ، حتى اذا وضع فيه السجين ، اجروا على جدرانه بالماء فينهار السجن على من فيه فيتخلصون منه ، ليعتقد العامة من الناس بأنه قضاء وقدر ، حيث حبس فيه عم الخليفة ابو جعفر المنصور وكنا قد ذكرناه سابقا .

وكذلك من السجون التي اخترعها الخلفاء العباسيون للمعارضين السياسيين ، سجن السرداب ، حيث هذا السجن عبارة عن نفق او سرداب تحت الارض لمسافة معينة وكان هذا السجن بسرداب الهاشمية قرب الكوفة بالعراق ووصف هذا السجن بأنه سجن موحش شديد الظلام لا يعرف ليله من نهاره[٥٥]،وفي هذا السجن حبس الخليفة ابي جعفر المنصور عبدالله بن الحسن بن ابي طالب واهله من العلويين(عليهم السلام) وذلك مخافة الثورة عليه وليجبر أبناء عبدالله بن الحسن من تسليم انفسهم للخليفة ابو

جعفر المنصور ، فمكثوا في السجن ثلاث سنوات لا يسمعون فيها أذاناً ولا يعرفون فيه وقت الصلاة إلا بالتلاوة [٥٦] ، حتى ان بعضهم قال في هذا السجن من شدة ما يروه من المهالك :

خرجنا من الدنيا ونحن أهلها فلسنا من الاموات فيها ولا من الأحيا
اذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا :جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
طوى دوننا الأخبار سجن ممنع له حارس تهدأ العيون ولا يهدأ
قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل عن الناس لا نُخشى فنُفشى ولا نغشى
ألا أحد يأوي لأهله محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا[٥٧]

وممن سجن في هذا السجن سجن السرداب ابراهيم بن المهدي لما سخط عليه الامين فسجنه في سرداب موحش مظلم وأغلقه عليه[٥٨] ،ومن السجون الاخرى التي خصصها الخلفاء العباسيين لمعارضيهم والساخطين عليهم من السياسيين خاصة سجن المطمورة وهو عبارة عن غرفة تحت الارض[٥٩] ، ويسمى هذا السجن بالمطبق ايضا، وكانت تستخدم هذه الغرفة في بيوت العرب كمستودع للطعام ونحوه[٦٠] ، وقد تهيأ لتكون سجناً[٦١] ويعزل فيها السجين عن الدنيا بأسرها وممن حبس في هذا السجن ابراهيم بن المهدي بعدما ثار على الخليفة المأمون ودعا لنفسه ، فظل فيها بأسو حال[٦٢]، وسجن اخر هو سجن البئر، حيث استخدم الخلفاء العباسيين البئر كسجن للساخطين عليهم ، فحبس الخليفة المهدي وزيره يعقوب بن داود في بئر لتعاطفه وميوله تجاه العلويين والافراج عنهم من السجن[٦٣]. وسجن التنور عبارة عن صندوق مصنوع من الحديد والخشب فيه مسامير من حديد أطرافها الى داخله مثل رؤوس المسال تمنع من يكون فيه من الحركة لضيقه وعندما يدخل فيه السجين يمد يديه الى فوق راسه ليقدر على دخوله ، فاذا دخل لم يقدر على الجلوس لشدة ضيقه[٦٤]. وسجن اخر بناه الخليفة المعتصم العباسي حيث بناه في بلدة بستان موسى بالعراق على شاطئ دجلة اسماه سجن بستان موسى وهو كالبئر حفرت الى الماء مجوف ومدرج من داخله ، وحفرت فيه عدة مواضع من التدرج على شكل غرف او مستراح لا يتسع الا لرجل واحد فلا يمكنه ان يجلس

فيها ولا يمد رجليه وسجن في هذا السجن محمد بن القاسم من نسل الامام علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ،فأصابه البرد والرطوبة فأغمي عليه فأخرجوه من ها السجن الى مكان اخر حتى تهيأ له الخروج من السجن عام (٢١٩ه/٨٣٤م) [٦٥]، وهنالك سجن الكنيف وهو ما يسمى بالمرحاض لستره قاضي الحاجة[٦٦]،وممن سجن فيه سليمان بن وهب ن سعيد بن عمرو الحارثي وكان وزير ومن كبار الكتاب نقم عليه الموفق فحبسه فمات ، فيذكر" انه لا يعرف الليل من النهار فأقام عشرين يوماً لا يفتح الباب الا مرة واحدة ها الي بخبز وملح وماء حار حتى فديت نفسي بمال أخذ مني"[٦٧] وسجن اليهود حبس فيه اهل الذمة وكان بالموصل[٦٨].

ومن هنا نرى الشدة التي استخدمها الخلفاء العباسيين مع المعارضين السياسيين لدولتهم فكانت لهم سجون خاصة بحيث لا يعرف السجين مكانه ولا اين هو ولا يعامل معاملة حسنة وهذه السجون تدل على بشاعة وانخلاع بعض الخلفاء العباسيين من المشاعر الانسانية ، وقت اتخاذ قرارهم بحبس خصومهم السياسيين ، وهذه التصرفات لا تعتبر او تمثل الحقيقة التي جاء بها الاسلام ولا تنسجم مع مبادئ الشريعة الاسلامية وقوانينها ، لأنها خرجت بالحبس عن معناه وغايته الشرعية في التقويم والردع والاصلاح الى اشباع غرائز الاحقاد الشخصية والرغبات السياسية والوشايات البعيدة عن الاسلام وتعاليمه الواضحة .

وسائل التعذيب المستخدمة داخل السجون العباسية

شكت السجون العباسية من سوء المعاملة وخاصة من القائمين عليها فاستخدم السجان والحراس وسائل تعذيب بدءاً من الضرب التقليدي ، حتى اخترعوا الات لتعذيب السجناء وهو اما الاعتراف بالتهم الموجهة اليه او للأخبار عن اشخاص يطلبهم الخليفة او للتنكيل بالسجين جزاء ما اقترف من عمل ضد الخليفة او الوزير أو احد من الناس. فتذكر المصادر التاريخية بعد ان غضب الخليفة ابو جعفر المنصور على ابن المقفع الكاتب الشهير رماه في السجن واوكل اليه سفيان بن معاوية وامر حراسه بتكبيل ابن المقفع بالحبال فشاداه كتافا بالحبال واثقلاه بالحديد ، وامر حراسه بإحضار تنور واشعل فيه النيران ثم امر الحراس ، بقطع عضواً عضو من ابن المقفع ثم يلقوه أمام اعين ابن المقفع

في التنور لتلتهمه النار الى ان قطع جميع اعضاءه ثم احرقه وهو يقول : والله يا ابن الزنديقة لا حرقنك بنار الدنيا قبل نار الاخرة[٦٩]. ومن وسائل التعذيب الاخرى هي الضرب بالسوط في تعذيب السجناء للاعتراف بما يريده الوالي منه ، وتطورت وسائل التعذيب الاخرى حتى ان اهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف العذاب[٧٠] بعد زجهم في السجون بالزنانير[٧١] والسباع والسنانير[٧٢] كما استخدم الجزارين كما تم منع الطعام عنهم حتى الموت فيروي رجل من موالي بني هاشم كان محبوساً في نفس السجن الذي فيه يحيى بن عبدالله بن الحسن العلوي وملئت لكل منهما زنزانة ، فيقول: من خلف حائط قصير ، فقال لي يوماً اني قد منعت الطعام والشراب منذ تسعة ايام ، فلما دخل اليوم العاشر، دخل السجان على يحيى بن عبدالله ففتش الزنزانة ، حتى نزع عن يحيى ثيابه ثم حل سراويله، فوجد السجان الموكل بيحيى أنبوبة قص شدها يحيى على باطن فخذه ، فيها سمن بقر كان يتغدى منها الشيء بعد الشيء يقيم به رمقه ، فلما أخذها السجان لم يجد يحيى ما يقيم به بدنه حتى مات[٧٣]. ومن وسائل التعذيب الاخرى هي حرمان الماء فقط ، فعندها قام الافشين بمنع الطعام عن العباس بن المأمون حتى يجوع ويشتد جوعه فلما طلب العباس الطعام قدم اليه الافشين طعاما كثيرا فأكل كثيراً لكن منعه الماء حتى مات من العطش، وكان معه عجيف بن عنبسة منع منه الماء ايضا[٧٤].ومن وسائل التعذيب الاخرى التي استخدمها الخليفة المعتصم ما ذكره الامام احمد بن حنبل في محنة خلق القران فبعد ان حاجه الخليفة في المحنة فأبى على الخليفة فأمر به الخليفة وقال : خذوه واقلعوه واسحبوه بالمخلعة وهي مصنوعة من الخشب، قال احمد : فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط ، وانا انظر وكان معي شعرات من شعر النبي(ص) مصرورة في ثوبي فجردوني منه وحدت بين العقابين، فأمرني فقمت بينهم، وجئ بكرسي فأقمت عليه ، وأمرني بعضهم ان اخذ بيدي بأي الخشبتين ، فلم افهم ما يريد فتخلعت يداي وجيء بالضرابين ومعهم السياط فجعل احدهم يضربني سوطين ثم الاخر كذلك فضربوني اسواطا فأغمي علي وذهب عقلي مراراً فاذا سكن الضرب يعود عقلي وقام الخليفة يدوعني فلم اجبه فضربني مرات فذهب عقلي... [٧٥].

ويبدو ان الخليفة خشي عليه من شدة العذاب ان يموت وهو الامام احمد لما له من قدر بين الناس ، فأمر بفك قيوده من رجليه وافرج عنه وكان جملة ما ضرب ثمانين سوطاً لكن الضرب كان مبرحا شديداً قوياً[٧٦].

الزنادقة والسجون العباسية

أمر الخليفة المهدي عام (١٦٦هـ) رجال شرطته بالقبض على داود بن روح بن حاتم ، واسماعيل بن مجالد ومحمد بن ابي ايوب المكي ، ومحمد بن طيفور، واتهمهم بالزندقة وسجنهم ثم استتابهم وأمر بأطلاق سراحهم من السجن وبعث داود الى ابيه وهو على البصرة وأمر بتأديبيه [٧٧] ، ولم تسلم سجون الزنادقة من الهاشميين انفسهم ففي عام (١٦٩ه/٧٨٦م)عندما اشتد المهدي في طلب الزنادقة ، قبض محمد بن عيسى صاحب الزنادقة على يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب فأحضر أمام الخليفة المهدي ، وقرر بالتهمة فأقر بالزندقة فقال له المهدي :" لو كان ماتقول حقا لكنت حقيقا ان تتعصب لمحمد ، ولولا محمد من كنت ، أما والله لولا اني جعلت على نفسي أن لا أقتل هاشميا لقتلك ، ثم قال لولي العهد الهادي : أقسمت عليك ان وليت هذا الامر لتقتلنه ثم أمر به الخليفة ان يزج به في سجن الزنادقة " [٧٨]، وعندما تولى الهادي الخلافة اهتم بامر الزنادقة طبقا لوصية والده ، حيث قال له :فارفع فيها الخشب وجرد السيف فيها ، وتقرب بأمرها الى الله ، فأني رايت جدي العباس في المنام قلدني سيفين لقتل اصحاب الاثنين [٧٩] وممن قتل من الزنادقة ايام الهادي يعقوب بن الفضل الهاشمي، قتله الهادي وهو في سجن الزنادقة تبعا لوصية والده، كذلك سجن في هذا السجن ابن ل داود بن علي بن عبدالله بن عباس وكان قد اقر بالزندقة ، فمات ابن داود في هذا سجن الزنادقة ايام ابيه[٨٠] .

تشدد الخليفة المأمون وهو في بغداد على هؤلاء ممن يذهب ويعتقد الى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة ، فأمر المأمون رجال الشرطة بحملهم اليه من البصرة بعد ان سموا واحدا واحدا ودونوا اسمائهم ثم صارمن رجال الشرطة الى السفينة لنقلهم الى بغداد ، وجئ بالقيود من الحديد فقيدوهم جميعا ، خشية هروبهم منهم[٨١] . وكان الخليفة المأمون يأمر بتقييد الزنديق بقيد من الحديد في يديه ورجليه ، ثم يحضره أمامه ،

ثم يساله عن حاله ويستكشف مذهبه ، ويدعوه الى التوبة الى الله عز وجل والرجوع عما هو فيه ، ثم يمتحنهم بضروب من المحن ، كما يزعم الزنديق ، منها اظهار صورة ماني له ، ويأمره أن يبصق عليها ، وأن يتبرأ منها ثم يأمره أن يذبح طائرا ما ، وهو الدراج ، فمن اجابه الى ذلك نجا ، ومن تخلف عن ذلك قتل بأمر الخليفة المأمون [٨٢]. فلما وصل رجال الشرطة بهؤلاء العشرة من الزنادقة الى بغداد ، وأدخلوا على المأمون ، جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالإسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ، ويظهر له صورته ، ويأمره ان يبصق عليها والبراءة منها ، وغير ذلك فيأبون على الخليفة ، فيمرهم على السيف ، واحدا تلو الاخر حتى قتلهم جميعا [٨٣] .

الإنفاق على السجون والإفراج عن السجناء

انفقت الدولة العربية الاسلامية منذ نشأتها على السجون ونزلائه باعتبارها مؤسسة من مؤسسات الدولة فقد اوصى الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) اولاده بعد ان طعنه ابن ملجم حيث قال :" أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره فإن عشت فأنا ولي دمي "[٨٤] . ومن الثابت ان الامام علي (عليه السلام) هو اول من اجرى الطعام والشراب وفعل ذلك في العراق [٨٥] ، وعمل بهذا القضاة فلما حبس القاضي شريح ابنه عبدالله أمر غلامه أن يذهب اليه في السجن بالطعام والشراب وسارت سنة متبعة الى يومنا هذا [٨٦]. ففي عهد المنصور كانت رواتب عمال السجون وغيرهم من الكتاب تقدر بثلاث مئة درهم للرجل واستمر بالزيادة في عهد المأمون حيث قام وزيره الفضل بن سهل بزيادة الانفاق على عمال السجون[٨٧] . وأنشأ الخليفة المهدي ديوان الأزمة وأجرى الأرزاق على المجذومين وأهل السجون في جميع ولايات الدولة العباسية[٨٨] .فكانت موارد السجن المادية في هذا العصر ، لا تخل بأقوات السجناء ، ولا تبخس مرتبات عمال السجن الا في بعض السنوات التي غلت فيها الاسعار بالعراق ، حيث بلغ القفيز من الحنطة في بغداد والبصرة والكوفة وسائر بلاد العراق اربعين درهما [٨٩]، بل وضع الخلفاء العباسيون ميزانية خاصة للسجون قدرت في بعض الاحيان بألف وخمسمائة

دينار في الشهر لنفقات السجون واقواتها ومؤنتها [٩٠] وبذلك نرى انها التزمت الى حد كبير بنفقات السجون من ملبس ومأكل ومشرب على نفقة بيت مال المسلمين .

اما الافراج عن السجناء فكانت هناك عدة عوامل منها التوبة حيث يكثر الفقهاء وعلماء الشريعة والقضاة من ذكر توبة السجين ، ويعتبرون ذلك شرطا هاما لأطلاق سراحه وقطع عقوبته [٩١] ، وايضا من الطرق الاخرى للأفراج هي إصدار قرار بالعفو العام عن السجناء والتي اصبحت سنة للخلفاء العباسيين عقب تولي امور الخلافة وتيمنا بعهد جديد حيث قام الخليفة المهدي سنة(١٥٩هـ) بإصدار عفوا عن السجناء ألا من كان قبله تباعه من دم أو قتل ، ومن كان معروفا بالسعي في الارض بالفساد[٩٢] وشمل العفو السجناء السياسيين من الطالبيين وغيرهم من الناس ، فأطلقهم وأمر بجوائز وصلات وأرزاق دارة ، ثم أطلق سائر السجناء من العامة حتى أنه أفرج عن عبدالله بن مروان بن محمد ، حيث كان مهملاً من ايام الخليفة ابو العباس السفاح ،وأعطاه عشرة الاف درهم[٩٣]. ولما بويع محمد الامين بالخلافة أخرج من السجون العباسية في العراق من كان الرشيد قد حبسه [٩٤] كما ان قيام الثورات والفتن الداخلية كان احد اسباب الافراج فقد كان يحرص زعماء الثورة والمناوئين للحكم العباسي من اقتحام السجون وكسر أبوابها وإخراج من فيها من السجناء وضمهم اليه وهذا ما حدث مع محمد النفس الزكية عندما قام بثورته في المدينة عام (١٤٥هـ) فأقتحم برجاله السجن وكسر ابوابه وكذلك فعل ابراهيم بن عبدالله في ثورته بالبصرة[٩٥] ، واخر طرق الخروج من السجون هي محاولة الهرب من السجن وحراسه[٩٦] فقد استخدموا شتى الطرق كحفر السراديب داخل جدران السجن[٩٧] او الهروب من نوافذ السجن ، وأخيراً استغلال غفلة الموكلين بالسجن حيث هرب احد السجناء ايام الخليفة المنصور[٩٨]، وهروب السجين يزيد بن الفيض من سجن الزنادقة ببغداد عام (١٦٧هـ)[٩٩]، وهروب احمد بن عيسى والقاسم بن علي من سجن الرشيد وغيرهم [١٠٠] .

الخاتمة : اهم النتائج التي توصلنا اليها :

١-السجن هو المكان المغلق بإحكام والذي تنفذ فيه الاحكام الشرعية .

٢-ان الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) أول من بني مكانا للسجن ، وكان ذلك في الكوفة بالعراق .

٣-معرفة مواقع السجون العباسية في العراق وبالتحديد سجون الكوفة موضوع الدراسة، مع معرفة اشهر من سجن بها في ذلك العصر.

٤-الاهتمام بتصنيف السجناء الى فئات مراعين الجنس والمذهب .

٥-ظهور الحاجة الى اصلاح امر السجون حيث لم يسكت الفقهاء والعلماء بل قابلوها بالوعظ والارشاد .

٦-الاشارة الى سجناء المعتقدات الدينية كسجناء الزنادقة حتى ان الخلفاء العباسيون شيدوا سجون خاصة بهم .

٧-الاهتمام بالإنفاق على السجون والسجناء والاهتمام بالسجناء واحوالهم وحتى الاعانة المالية عقب الافراج عنهم .

٨-معرفة الافراج عن السجناء والتي اهمها عفو الخلفاء أو بشفاعة احد المقربين من الخلفاء عن بعض السجناء .

الهوامش:

---

(١) ابن منظور : جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١ه)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف(القاهرة –د.ت) ،ج٣ ، ص١٩٤٧ .

(٢) مما يدل على ذلك قوله تعالى (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) سورة هود اية ٨ .

(٣) السجن : الحبس ، السجن بالفتح ، والمصدر :سجنه ، يسجنه سجنا ، أي حبسه والسجن : المحبس ، والجمع سجناء وسجني .ينظر : ابن منظور : لسان العرب، ،ج٣ ، ص١٩٤٧ .

(٤) الطبري :ابي جعفر محمد بن جرير ،(ت٣١٠ ه) ، جامع البيان عن تآويل أي القران المعروف ب تفسير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ج١٣ ، ص١٤٣ ؛ ابن الجوزي : الامام ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي

البغدادي (ت٥٩٧ ه) ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الاسلامي للنشر ، ط٣ ، (١٤٠٤ه_١٩٨٤م) ، ج٤ ، ص٢٢٠.

(٥) علاء طه رزق حسين : السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك ، عين للدراسات والبحوث ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، القاهرة ، ص٣٠ .

(٦) ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت٢٥٤ه) ، اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، لجنة التأليف والنشر ، ط١،(القاهرة –د.ت)، ص١٨٨.

(٧) الكميت بن زيد بن خنس الاسدي (٦٠-١٢٦ه/٦٨٠-٧٤٤م)ابو المستهل ، شاعر الهاشميين، من اهل الكوفة ، اشتهر في العصر الاموي ، وكان عالما بأداب العرب ولغاتها واخبارها وأنسابها ، كان كثير المدح لبني هاشم من اشهر شعره الهاشميات. الزركلي : الاعلام ، ج٥، ص٢٣٣.

(٨) الاصفهاني : الاغاني ، ج٤، ص٨٣٨.

(٩) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب الثقفي ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص٢٦٨.

(١٠) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، مراجعة : نواح الجراح ، دار صادر ، ط١،(بيروت-١٤٢٤ه/٢٠٠٣م)، ج٤، ص١٤١٣؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٢٢٤.

(١١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٤، ص١٤٥٥.

(١٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٣، ص١٠٩٨؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٤، ص١٦٨.

(١٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٣١١.

(١٤) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٠، ص٢٤٠.

(١٥) قصر ابن هبيرة :ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، كان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بنى على فرات الكوفة مدينة نزلها ولم يستتمها حتى كتب اليه مروان بن محمد بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية وكان الناس لايعرفونه لا قصر ابن هبيرة .ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٦٥ .

(١٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص١٩٧؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٥٢٦.

(١٧) الاصفهاني : الاغاني ، ج٢١، ص١٣٦.

(١٨) ابن الجوزي : ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٩٧٩) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دراسة محمد عبدالقادر واخرون ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٢ه / ١٩٩٢م ، بيروت ، ج٨، ص٢٥٦؛ ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ، ط٥، بيروت ، ج١، ص٤١٢.

(١٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج١، ص٥٥٦ .

(٢٠) الطبري ك تاريخ الرسل والملوك ،ج٣، ص١٠٩٧ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٤، ص١٦٨.

(٢١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٤، ص٢٩٠.

(٢٢) ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت ٧٠٩)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ص١٦٣_١٦٤.

(٢٣) شريك النخعي : (٩٥-١٧٧ه/٧١٣-٧٩٤م) ابو عبدالله شريك بن عبدالله بن الحارث النخعي الكوفي عالم بالحديث فقيه اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة١٥٣ه ثم عزله واعاده المهدي وعزله موسى الهادي وكان عادلا في قضائه مولده في بخارى ووفاته بالكوفة . الزركلي : الاعلام ، ج٣، ص١٦٣.

(٢٤) وكيع : اخبار القضاة ، ج٣، ص١٦٥

(٢٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص٣٨٩

(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠، ص٩٥، ١٠٩

(٢٧) ابو يوسف : الخراج ، ص١٤٩.

(٢٨) ابو يوسف : الخراج ، ص١٥٠.

(٢٩) المطرزي : المغرب في ترتيب المغرب ، ص٢١٩.

(٣٠) ابن الهمام : كمال الدين محمد بن عبدالواحد بن عبد الحميد (ت ٨٦١ه) ، من فقهاء الحنيفية ، فتح القدير شرح الهداية ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ب.ت ، ج٥، ص٤٧١..

(٣١) ابن منظور : لسان العرب ، ج٦، ص٤٥٠٧ .

(٣٢) ابو يوسف : الخراج ، ص١٦٣.

(٣٣) الدوري : عبدالعزيز ، العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي ، دار الطليعة للنشر ، ط٣، (لبنان _ ١٩٩٧) ، ص٥٢ .

(٣٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٣٦٨.

(٣٥) البلاذري :انساب الاشراف ، ج٤، ص١٥٤؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٧، ص٥٠٤.

(٣٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص٢٣.

(٣٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٢٤١.

(٣٨). ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٥٨٢؛ ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٦٨

(٣٩). الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤، ص١٦١٩

(٤٠). قصر ابن هبيرة :ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، كان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بنى على فرات الكوفة مدينة نزلها ولم يستتمها حتى كتب اليه مروان بن محمد بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية وكان الناس لايعرفونه لا قصر ابن هبيرة .ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٦٥ .

(٤١). المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٢٣٦؛ ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٦٢.

(٤٢). عبدالقاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٥٩

(٤٣). القادسية : بلد معروف العراق ،بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب اربعة اميال . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٩١

(٤٤). المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٢٣٦؛ ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٦٤

(٤٥). ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٥٢٦ ؛ المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص١٠٢

(٤٦) الانبار : بلد السفاح وكانت داره التي يسكنها عامرة أهلة كثيرة النخل والزروع لجيدة والثمار والاسواق الحسنة تقع على شرقي نهر الفرات ، ينظر :ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٣٢ .

(٤٧). المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص١٠٢

(٤٨). ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٥٢٢

(٤٩). ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٥٢٢

(٥٠).المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢، ص٢٣٦ ؛ ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٦٤.

(٥١). الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤، ص١٥٥٧

(٥٢). ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص٥٩

(٥٣). ابو الفدا ، تاريخ ابو الفدا ، ص٣٣٦؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠، ص٨١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣، ص١٨٥

(٥٤). ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣، ص٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٩-٢٣٠

(٥٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣، ص٣١٠.

(٥٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠، ص٢٤١

(٥٧) النجفي ، حصاد السجن ، ص٣٢؛ حسن ابو غدة ، أحكام السجن ، ص٣٥٦

(٥٨) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج١، ص١٣٢.

(٥٩) الحلفي ، ادباء السجون ، ص١٥٥.
(٦٠) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٢٧٢٠.
(٦١) الفيومي ، المصباح المنير ، ص١٤٣.
(٦٢) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٢، ص٢٥٤.
(٦٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣، ص٢١١.
(٦٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٥، ص١٩٣٩؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥، ص٢٧٩؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤، ص٦.
(٦٥) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج١، ص١٣٩.
(٦٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥، ص٣٩٤١ ؛ الفيومي ، المباح المنير ، ص٢٠٧.
(٦٧) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج١، ص٥١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣، ص١٣٧.
(٦٨) متز ، الحضارة الاسلامية ،ج١، ص٩٥.
(٦٩) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص١٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٠، ص١٠٢
(٧٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج٥، ص٥٢٩ ؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٤٣.
(٧١) الزنانير : الحصى الصغار وقال ابن الاعرابي : الزنانير الحصى فعم بها الحصى كله من غير ان يعين صغيراً أو كبيراً. ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤، ص٣٣٠.
(٧٢) السنانير : عظام حلوق الابل واحدها سنور والسنور جملة السلاح وخص بعضهم به الدروع ، ابو عبيدة : السنور الحديد كله . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤، ص٣٨١.
(٧٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٤٠٨
(٧٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥، ص١٩٠٦؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٤٩٢
(٧٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٨٣؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠، ص٣٧٤.
(٧٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٣٦٥.
(٧٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٥، ص١٦٧٥؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٧٣.
(٧٨) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص١٥٣-١٥٤.
(٧٩) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٨٩.
(٨٠) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٨٩
(٨١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٢، ص٣٣٤ .
(٨٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص١٨٧١ .
(٨٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٣٣.

(٨٤) البيهقي : ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨ه) ، سنن البيهقي الكبرى، مراجعة : محمد عبدالقادر العطار ، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة-١٤١٤ه/١٩٩٤م) ، ج٨ ، ص١٨٣؛ ابن قدامة : المغني ، ج٨، ص١٠٦.

(٨٥) أبو يوسف : الخراج ، ص١٦١ .

(٨٦) ابن وكيع : أخبار القضاة ، ج٨، ص٣٠٨، ٣١٧.

(٨٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٣٣.

(٨٨) أبو يوسف : الخراج ، ص١٦١ .

(٨٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٣٨٥ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٩٤ .

(٩٠) متز : الحضارة الاسلامية ، ج٢، ص ١٩٥ ؛ عاشور : سعيد عبد الفتاح ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر المجلد الجادي عشر ، العدد١ (الكويت -١٩٨٠) ، ص١٢٥.

(٩١) ابن فرحون : برهان ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت٧٩٩ه) : تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام ، مكتبة الكليات الازهرية ، ط١، القاهرة-١٤٠٦ه/١٩٨٦م) ، ج٢، ص٢٦٠.

(٩٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٥، ص١٦٦٠؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، مراجعة: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ،(بيروت-١٤١٢ه/١٩٩٢م) ، ج٨، ص ٢٢٧ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٤١ .

(٩٧) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٩٤-٣٩٥ .

(٩٨) ابن قتيبة : ابو محمد بن عبدالله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٦ه) ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة دار المعارف ، ط٤، (القاهرة-١٣٨٨ه/١٩٦٩م) ، ص٣٨٤.

(٩٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٥٣٠ ؛ ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٦٦؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٥، ص٩٦ .

(١٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص١٤٩ .

(١٠١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص١٥٥؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٣٩٢.

(١٠٢) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ، ج١٣، ص٤٨ .

(١٠٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص١٥٦.

(١٠٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢، ص١٨٠ .

قائمة المصادر والمرجع :

القران الكريم .

ابن الاثير : ابو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت٦٣٠ه) ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت .

ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ،-١٩٩٥)

البلاذري : ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٩ه) ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبدالله انس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة ، (بيروت -١٩٨٧م).

البيهقي : ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨ه) ، سنن البيهقي الكبرى، مراجعة : محمد عبدالقادر العطار ، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة-١٤١٤ه/١٩٩٤م)

التنوخي : القاضي ابي علي الحسن بن علي (ت٣٨٤ه) ،الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، (بيروت -١٣٩٨ه/١٩٧٨م)

الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي (ت٣٣١ه) ،الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، (القاهرة -٢٠٠٤م) ،

ابن الجوزي : الامام ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٧ ه) ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الاسلامي للنشر ، ط٣ ، (١٤٠٤ه-١٩٨٤م)

ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، مراجعة: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ،(بيروت-١٤١٢ه/١٩٩٢م)

ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت٢٥٤ه) ، اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، لجنة التأليف والنشر ، ط١،(القاهرة –د.ت)،

حسن ابو غدة : أحكام السجن ومعاملة السجناء في الاسلام ، مكتبة المنار ، ط١، (الكويت-١٤٠٧/١٩٨٧م) .

الحلقي : عبدالعزيز ،ادباء السجون ، مطبعة الزهراء (النجف- د.ت)
ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨ه) ، تاريخ ابن خلدون والمسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، مؤسسة جمال للطباعة ، (بيروت-١٤٩٩ه/١٩٧٩م) ،.
الزركلي :خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط٥، (بيروت-٢٠٠٢م)
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت٩١١ه) ، تاريخ الخلفاء ،دار الكتب العلمية (بيروت-د.ت)
الطبري : ابي جعفر محمد بن جرير ،(ت٣١٠ ه) ، جامع البيان عن تآويل أي القران المعروف ب تفسير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مراجعة : نواح الجراح ، دار صادر ، ط١،(بيروت-١٤٢٤ه/٢٠٠٣م).
ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقى (ت٧٠٩ه)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ،(بيروت-د.ت)
عاشور : سعيد عبد الفتاح ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر المجلد الجادي عشر ، العدد١ (الكويت -١٩٨٠)
عبد القاهر البغدادي : ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت٤٢٩ه)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ،مكتب اب سينا، (القاهرة -د.ت)،
علاء طه رزق حسين ، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك ، عين للدراسات والبحوث ، ط١ ، (القاهرة ٢٠٠٢) .
ابو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦ه)،الاغاني ،الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، (القاهرة -١٣٩٠ه/١٩٧٠م)

ابن قتيبة : ابو محمد بن عبدالله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٦ه) ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة دار المعارف ، ط٤، (القاهرة-١٣٨٨ه/١٩٦٩م).
ابن قدامة : ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد المقدسي (ت٦٢٠ه) ،المغني ، تحقيق :عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، ط٣، (الرياض-١٤١٧ه/١٩٩٧م) .
ابن كثير :اسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤ه) ، البداية والنهاية، دار التقوى ، ط١ ،(القاهرة -١٤٢٠ه/١٩٩٩م) .
المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥ه) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية،(بيروت-١٤٠٧ه/١٩٧٨م).
المطرزي : ابي الفتح ناصر الدين (ت٦١٠ه) ، المغرب في ترتيب المعرب ، تحقيق : محمود فاحوري ، وعبد الحميد مختار ، مكتبة اسامة بن زيد ، ط١، (حلب-١٣٩٩ه/١٩٧٩م)
المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥ه) ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٨٤)
ابن منظور : جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١ه)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف(القاهرة –د.ت) .
ابن الهمام : كمال الدين محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد (ت٨٦١ه) ، فتح القدير شرح الهداية ، مطبعة مصطفى محمد ، (القاهرة –د.ت).
ابن وكيع : ابي بكر محمد بن خلف البغدادي (ت٣٠٦ه)، اخبار القضاة ، تحقيق : عبدالعزيز المراغي ،الم الكتب ،(بيروت-د.ت) .
ياقوت الحموي :شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦ه) ، معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبدالعزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت - د.ت) .
اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤ه) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ج٢، ص٢٣٢ ؛
ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢ه) ، الخراج ، المطبعة السلفية ، ط٦، (القاهرة -١٣٩٧هـ).

اسس ومبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في ضوء فكر الامام علي(عليه السلام)(بين المنهج والتطبيق)

ا. م . د. حمدان رمضان محمد
ا.م. د. عائدة محمد عبيد

المقدمة:

وقد اشارت المصادر إلى ان رسول الله (ص) قد اخذ الامام علي (عليه السلام) وضمه أتليه بسبب الازمة الاقتصادية التي تعرضت لها قريش [١]

إن الإسلام الحق، يدعو إلى إقامة نظامه الاجتماعي و السياسي على العدل الخالص والحق المحض، فليس في أي تشريع من تشريعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ما يتجافى مع الصالح العام، ولا ينشد تطور الإنسان وتقدم حياته. فقد عالج الإسلام جميع قضايا الإنسان ووضع الحلول لجميع مشاكله. وكانت المبادئ التي بشر بها الرسول(ص) والتي جسدها(ص) في حياته، والتي تقوم على أساس الاعتقاد والإيمان بالله والعدل الاجتماعي واحترام الكرامة الإنسانية، لم يستطع أن يكمل مسيرتها وتجسيدها بعد الرسول(ص)، باستثناء علي بن أبي طالب(ع)، الذي أقام نظامه القويم الذي يضمن للناس الحرية والعدل جميعاً.

فقد جاء في حلية الاولياء: ان الإمام علي(ع) كان يأمر بيت المال في كل عشية خميس بتوزيع كل ما فيه، فينضح بالماء ثم يصلي فيه ركعتين، فلا تأتي الجمعة وفي بيت المال شيء[٢]. وجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ان الإمام علي كان ينضح بيت المال، ثم يتنقل فيه ويقول:((اشهد لي يوم القيامة، اني لم احبس فيه المال على المسلمين))[٣].

وجاء في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ان الإمام علي كان يعطي العطاء في السنة ثلاث مرات، واذا اتاه مال بعد استكمال عطاءه من بيت المال لثلاث مرات، لا يؤخره للسنة القادمة، بل يقسمه في نفس السنة. وقد اتاه مال من اصبهان، فقال:((اغدوا الى العطاء الرابع، اني لست لكم بخازن. وقسم الحبال، فاخذها قومٍ وردها قوم))[٤]. بل ان الإمام علي(ع)، كان لا يؤخر عطاء الناس من بيت مال المسلمين، اذا اتاه مساءاً للصباح، وقد شهد للإمام(ع) بمثل هذه المواقف. فقد جاء في كتاب الامالي للشيخ

المفيد: انه قد أُتي بمال عند المساء، فقال(ع):((اقسموا هذه المال، فقالوا: قد امسينا يا امير المؤمنين، فأخره الى غد . فقال لهم: تقبلون* لي ان اعيش الى غد ؟ فقالوا: ماذا بايدينا ؟ قال: فلا تؤخروه حتى تقسموه، فأُتي بشمع، فقسموا ذلك المال تحت ليلتهم))[٥].

من جانب آخر، كان(ع) لا يؤخر ما في بيت المال من الأموال، بل كل عائداته وموجوداته. فقد ذكر المعتزلي: انه(ع) كان يقسم بين الناس الابزاز** والحرف*** وكذا وكذا[٦].

فالمال مقرر في ملكية الأفراد، لا يجوز أن يحبس في أيدي فئة معينة من الناس، حتى لو كان الخليفة نفسه، فالمال في القرآن الكريم والحديث، مال الجماعة أولاً ولا ينال منه الأفراد الا بقدر اخذ من حاجتهم إليه ومن سعيهم في سبيله، فالمال ليس إلا واسطة لإقامة حدود العيش بالنسبة للكائن الاجتماعي[٧].

لهذا كان(ع) حازماً اتجاه ولاته في آليات تصرفهم بالمال العام، لا بل لا يتوانى هذا الحزم وهذه الشدة حتى مع افراد عائلته، فعندما بلغه ان احد عماله يأكل ما تحت يديه من المال العام، بعث اليه على عجل، فقال له(ع):((فأتقِ الله وارددِ الى هؤلاء القوم اموالهم، فانك ان لم تفعل، ثم امكنني الله منك، لاعذرن الى الله فيك والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفر مني بارادة، حتى آخذ الحق منهما، وازيل الباطل عن مظلمتهما))[٨].

كان(ع) لا يقبل ان يكون المال دولة بين الاغنياء، فيقول:((ان الله فرض على الاغنياء في اموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا وعروا وجهدوا في منع الاغنياء، فحق على الله ان يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه))[٩].

من هنا كان هم الإمام(ع) في سياسته المالية بشكل عام، هو تأمين الحاجات الضرورية للجميع حتى يتجسد التوازن الاقتصادي بين الطبقات داخل المجتمع الاسلامي. وقد حقق(ع) هذا الهدف ايام حكومته، ولأستمر ذلك لو امتدت فترة خلافته وترسخت هذه المبادئ بشكل اعمق. حيث جاء في فضائل الصحابة لابن حنبل:((ما اصبح بالكوفة احدٍ الا ناعماً؛ وان اوطأهم منزلة، ليأكل من البر ويجلس في الظل ويشرب من

ماء الفرات))[١٠]. فكان(ع) جُل اهتمامه هو حماية الطبقة السفلى في المجتمع، وقد اوصى عماله وولاته، على التأكيد بضرورة حماية هذه الطبقة الضعيفة، وجعل هذا الاهتمام من اولويات سياسته المالية، فقد كتب لاحد ولاته:((انظر الى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه الى قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به موضع الفاقة والخلات*، وما فضل عن ذلك فأحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا))[١١]. ويستمر تركيز الإمام(ع) على العناية الخاصة بهذه الطبقة ذات السواد الاعظم في المجتمع الاسلامي. ففي عهده(ع) للأشتر:((اعلم ان الرعية طبقات... ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة، الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفيء الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه))[١٢].

ومن افراد هذه الطبقة التي كان(ع) يهتم بها، هي طبقة الايتام، فكثير من الشواهد التي تدل على ان الإمام(ع) كانت عنايته خاصة جداً للايتام وخصوصاً في الجانب المالي. ونقلت الروايات عنه كمواقف انسانية نحو رعايته بهذه الطبقة. فقد روي في اصول الكافي:((فقد جاء عسل وتين من همدان وحلوان، فأمر(ع) العرفاء ان يأتوا باليتامى فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها ؟ فقال: ان الإمام ابو اليتامى، وانما العقتهم هذا برعاية الآباء))[١٣]. وهذه رؤية الإمام(ع) لأُبوته للأيتام داخل حكومته، وهي عنده مسؤولية اقتصادية وانسانية واجبه تجاههم، تشمل طابع توظيف السياسة المالية تجاه الايتام من قبل الحاكم السياسي.

ومن السياسة المالية التي سلكها وطبقها الإمام(ع)، والتي تعكس ابعاد العدالة الاجتماعية في المجال الاقتصادي، ضمن ادارة حكومته، هو النهي عن التبذير واسراف بذل المال العام وتحريم ذلك وعدم الجود فيه. فقد كان(ع) ينهى عماله وولاته بذلك. وكذلك كان يحرم الامتيازات المالية للاولاد والمقربين، ونبذ التفريق في العطاء على اساس أي اعتبار، بحيث كان(ع) يعد المال العام امانة لدى العاملين في اطر الدولة، وكان لايسمح لهؤلاء في بذل هذا المال وتوزيعه هدايا وهبات. فقال(ع):((جود الولاة بفيء المسلمين جور وختر*))[١٤]. وجاء في الاستيعاب لابن عبد البر: ان الإمام(ع) كان يُبدي حذراً في توزيع المال العام أزاء المقربين اليه، ولم يستثنِ احد من ذلك، فقد كان

لا يترك في بيت المال شيئاً، الا ما يعجز عن قسمته في يومه. ويقول:((يا دنيا غُري غيري، ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء، ولا يخص به حميماً ولا قريباً))[١٥]. ويقول ايضاً(ع):((ألا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله..))[١٦].

ويقول محمد الريشهري: ان الإمام علي(ع) كان يحث، بل يعمل على التقشف في المال العام، والاحتياط في صرفه، فمن الواضح ان نهج الإمام(ع) في صرف المال العام، يشد اليه الانظار، ويوحي بالدروس والعبر، وانه لكي يدفع ولاته، بل جميع أفراد مملكته والعاملين فيها، إلى انتهاج اقصر نهايات التقشف وصيانة الاموال العامة، فقد عمم(ع) امراً ادارياً، حث فيه هؤلاء ان لاينسوا هذا المبدأ، بل راح يحثهم على الاقتصاد حتى في امر الكتابة، باختصار الكلام وقصد المعاني وعدم الاكثار بالارسال والخطب، لأنها تبذير للمال العام، لأن في ذلك في نظره ما يجلب الضرر في اموال المسلمين التي لا تتحمل ذلك[١٧]. فقد ربط(ع) المقتصدين بصفة المتقين، فيقول:((منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد))[١٨]. وكثير ما كان(ع) يحث على عدم التبذير حتى في المال الشخصي، فيقول:((كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً))[١٩]. وقد كان(ع) يحرص بنفسه وسلوكه العملي في انتهاج منهج البساطة والاقتصاد في التصرف في بيت المال، وربما الباحث في هذا الشأن قد يبعث على الدهشة، اذ لابد من تطبيق منهج البساطة والتواضع والتدبير في مختلف شؤون الحياة. ولذلك حرص(ع) كل الحرص على انتهاج البساطة والاقتصاد في كل الشؤون الفردية والاجتماعية، فسلوك الحاكم اذا كان يمثل هذا المنهج، فالشعب سيسلك هذا فالناس على دين ملوكهم[٢٠].

ودليل ذلك ما جاء في كتاب الاختصاص للشيخ المفيد يؤكد فيه وبأسلوب محقق: انه دُخل على الإمام علي(ع) قبل ان يستشهد بيوم، فشهدوا جميعاً انه قد وفر فيئهم، وظلف*عن دنياهم، ولم يرتشي في اجراء احكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين، ما يساوي عقالاً، ولم يأكل من مال نفسه، الا قدر البلغة، وشهدوا جميعاً، ان ابعد الناس منهم بمنزلة اقربهم منه[٢١].

هكذا كانت مجمل السياسة المالية عند الإمام علي(ع)، فقد كانت تمثل وقفة انسانية تعكس كل جوانب العدالة الاجتماعية في الاسلام، من خلال ضبط بيت المال وفق الرُؤيا والمنهج الاسلامي، واتباع السياسات المالية الصحيحة، من حيث انفاق عائدات بيت المال في مكانها المقرر وضمان حق الفقراء والايتام والعاجزين وكافة متطلبات مؤسسات الدولة، وكانت سياسته المالية، تقوم على تقسيم الفائض بعد ان يتم اعطاء المذكورين حصصهم من بيت المال، لذلك كانت سياستة المالية، تمثل العدالة في تقسيم وتوزيع الثروات العامة والموارد من خلال جعل اولوية للضمان الاجتماعي، والاهتمام بالطبقات الضعيفة والمحرومة، وايضاً حثه المتواصل على عدم حبس الحقوق العامة والاسراع في انفاقها لمستحقيها.

سياسة الاشراف المباشرعلى السوق من قبل الإمام(ع):

أن ما يحتله السوق من اهمية بالغة في الاقتصاد وحياة الناس ومعيشتهم، دفع الى حرص الإمام(ع) على ممارسة اشراف مباشر عليه، حيث كان يراقب السوق شخصياً في اطار برنامج يومي من قبله في كافة اسواق الكوفة، ويعتبر ذلك مهمة من مهمات الخليفة، وهو يحث الباعه على التزام التقوى والاحتراس عن التطفيف والكذب والظلم والاحتكار، ويناهم عن ضروب المعاصي التي قد ينزلقون اليها في هذا المجال، كما يطلب رعاية الانصاف وتحري الاخلاق الاسلامية في التعاطي مع المشترين.

لقد كان(ع) يخرج صباح كل يوم ويطوف اسواق الكوفة، سوقاً سوقاً يقف على اهل كل سوق ويراقب اعمالهم وينصحهم[٢٢]. وكان يخاطب(ع) جميع المشتغلين في السوق، فيقول:((يامعشر التجار، اتقوا الله، قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، واوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس اشياءهم، ولا تعثوا في الارض مفسدين. فيطوف في جميع اسواق الكوفة، ثم يرجع ويتفقد الناس))[٢٣].

ان الإمام(ع) كان يراقب عمليات البيع والشراء، ويؤكد على ما جاء في كتاب الله والعمل بسنة نبيه(ص) في المعاملات من البيع والشراء. وجاء في دعائم الإسلام: ان

الإمام(ع) ينهى عن الغش في السلعة، فعندما يأتي إلى السوق ويخاطب كافة اصحاب المهن فيه، ويقول لهم بأعلى صوته:((يا معشر القصابين لا تنخعوا، ولا تعجلوا الانفس حتى تزهق، واياكم والنفخ في اللحم للبيع، فإني سمعت رسول الله(ص) ينهى عن ذلك، ثم أتى للتمارين فقال: أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده، ثم أتى السماكين فقال: لا تبيعوا الا طيباً واياكم وما طفا، ثم اتى إلى الكناسة* فإذا فيها انواع التجارة؛ من نحاس، ومن بائع، ومن قماط، ومن بائع ابل، ومن صيرفي، ومن خياط، ومن بزاز، فنادى بأعلى صوته: ان اسواقكم هذه يحضرها الايمان، فشوبوا ايمانكم بالصدق، وكفوا عن الحلف؛ فإن الله عز وجل لا يقدس من حلف بأسمه كاذباً))[٢٤].

وهنا يُراعي الإمام(ع) ويراقب كل تحركات الباعة والمشترين، ويراقب ويحث على ذبح الحيوان وتذكيته على الطريقة الشرعية، ويدعو ويحث على الصدقة وعدم إتيان الحلف في البيع والشراء، لأن الحلف له مساوئ تعرقل عملية الرزق، فيقول(ع):((يا اهل السوق، اتقوا الله واياكم والحلف، فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة، فإن التاجر فاجر الا من اخذ الحق واعطاه. والسلام عليكم))[٢٥].

كان الإمام(ع) ينهى بأستمرار عن الغش في التعامل، ويؤكد على حرمته ويتولى هذه المسؤولية بنفسه، ويعاقب من يتلبس بممارسة الغش. ففي دعائم الإسلام:((كان الإمام علي(ع)، يمشي في الاسواق وبيده درة يضرب بها كل من وجد من مطفف او غاش في تجارة المسلمين، قال الاصبغ: قلت له يوماً انا أكفيك هذا يا امير المؤمنين، واجلس في بيتك! قال: ما نصحتني يا اصبغ))[٢٦].

ومن آليات مراقبة عمليات السوق، كان(ع) يراقب الاسعار في السوق ويحاسب من يغالي في اسعار البضائع والسلع. فقد جاء في فضائل الصحابة عن ابي الصهباء:((رأيت علي بن ابي طالب بشط الكلأ يسأل عن الاسعار))[٢٧]. حيث يحث(ع) على تخفيض الاسعار وعدم استغلال الناس ايام القحط، ويحث(ع) على الحسن في المعاملة بين الطرفين، فقد كان(ع) يمر على الباعة في السوق فيقول به:((احسنوا ارخصوا بيعكم على المسلمين؛ فإنه اعظم للبركة))[٢٨].

ان الإمام علي(ع) كان يمشي في الاسواق وحده وهو خليفة المسلمين ورأس السلطة السياسية، يمارس واجباته السياسية في مجال الاقتصاد ومراقبة السوق ويمارس واجبته الانسانية كانسان. فقد جاء في البداية والنهاية: ان الإمام علي يمشي في السوق، ويرشد الضال ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ:((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين))*، فقال الإمام علي: هذه الآية نزلت في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس[٢٩].

ومن اوجه سياسة الاشراف المباشر على السوق، محاربة الإمام(ع) الاحتكار والمال الحرام. والاحتكار هو حبس السلعة وبيعها بأسعار باهضة[٣٠]. لقد تعامل(ع) مع التجار والصناع الذين يحملون هذه الصفة مع المجتمع تعاملاً حاداً، لأن في الاحتكار ضرراً للمجتمع ويعتبر من المآخذ السلبية على الحاكم، اذا لم يتخذ الموقف المطلوب في حدود العدل، لذلك فقد انزل عقوبات شديدة رادعة لمن يخالف، وهذا العقاب الصارم يجب ان يكون في حدود الشريعة الاسلامية. وكانت كتبه إلى ولاته وخطبه وتجوله في الاسواق بنفسه لمعالجة حالة الاحتكار الاقتصادي للبضائع، دليلاً على مراقبة ومتابعة الإمام(ع) للاحتكار ومحاربته. فقد جاء في دعائم الإسلام: ان الإمام علي، امر رفاعة احد قضاته على الاهواز، بالنهي عن الاحتكار وانه من ركب النهي، فأوجعه وعاقبه باظهار ما احتكر[٣١]. وجاء في المحلى لابن حزم: قال احد التجار من الكوفة:((احرق لي علي بن ابي طالب، بيادر بالسواد كنت احتكرتها، لو تركها لربحت فيها مثل عطاء الكوفة))[٣٢]. وفي المصدر نفسه: لقد احرق علي بن ابي طالب طعاماً محتكراً بقيمة مائة الف دينار[٣٣].

كذلك اشار(ع) إلى منع الاحتكار بشكل مباشر في عهده للأشتر، وفيه مضامين منع الاحتكار، ووضع عقوبة لمن يتعامل بالاحتكار ويضر الناس ويستغلهم في غير اسراف بالعقوبة، :((واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فأمنع من الاحتكار، فإن الرسول(ص) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار

لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف))[٣٤]. ويتضح لنا من امر الإمام(ع) بالتنكيل والمعاقبة، دليل واضح على حرمة الاحتكار شرعاً، وذلك لعدم جواز اقامة العقوبة على المكروه.

يذكر باقر القرشي: ان الاحتكار يثبت في سبعة اشياء: الحنطة والشعير، والتمر والزبيب، والسمن والزيت، والملح. فأذا احتكرها الشخص ولم توجد عند غيره، وجب على الدولة ان تستولي عليها ان اجحف صاحبها بالسعر[٣٥].

يقول الإمام(ع):((الاحتكار رذيلة))[٣٦]. و:((الاحتكار شيمة الفجار))[٣٧]. و:((المحتكر محروم من نعمته))[٣٨]. و:((كن مقتدراً ولا تكن محتكراً))[٣٩]. و:((الاحتكار داعية الحرمان))[٤٠].

يقول الناصري: ان الإمام(ع) يرى ان حماية الأُمة من الاحتكار والغش ورعاية التجار وتنظيمها بما يكفل مصالح الجميع، هي من فرائض الإسلام ومن واجبات ائمة المسلمين وقادتهم، ومصدر هذا الاهتمام والتحذير هو صريح احكام الله التي تواترت بها الاحاديث، كقوله(ص):((لا يحتكر الطعام الا خاطيء وانه ملعون)). فالإمام(ع) لم يكتف بالوصايا والعهود، وانما كان يمارس المراقبة والتفتيش بنفسه في الاسواق والتجمعات، كما مر بنا، ويواصل التحذيرات ويهدد بأشد العقوبات، فقد مارس معاقبة المحتكرين بنفسه، وانه كان شديد البغض والشنئآن للإحتكار والمحتكرين. وهذا من اجلى مظاهر عدالة الحاكم ومسيرته الصالحة، وحرصه على مصالح الأُمة وتنفيذ احكام الشريعة، من خلال وضع الضوابط والمراقبة المشددة للسوق ما يشمل ذلك من تنظيم المبيعات وتمييز المكاسب المباحة من المحرمة، وردع المتعدين على حدود الله وتحقيق مصلحة كافة الاطراف[٤١].

من هنا نقول، ان الإمام علي(ع) قد اتخذ التدابير اللازمة للضرب على أيدي المستغلين والمحتكرين وطرح مبدأ من اين لك هذا ؟ وتابع وحارب جني المكاسب المحرمة والأرباح الطائلة، من خلال أتباع سياسة المراقبة والأشراف المباشر على مجمل الحياة الاقتصادية ومنها السوق، بفعاليته وتأثيره المباشر بحياة الناس، على أساس انه مكان لتبادل الحاجات وتوفيرها للناس من غذاء ولباس...

ثم المرحلة الاهم والاكثر فاعلية في فكره العسكري ، الا وهي فترة خلافته ((٣٥هـ /٦٥٥م – ٤٠هـ /٦٦٠م)) التي تميزت بانها فترة حروب مستمرة خاض خلالها ثلاث حروب كبيرة ، فضلا عن مجموعة من الحروب الصغيرة كانت الميدان التطبيقي لمرحلة الاعداد والتجربة التي كانت زمن رسول الله (ص) .

ان الذي يميز حروب الامام علي (عليه السلام) انها كانت مع فئات مسلمة وهذا مما يتطلب ايجاد فكر خاص في التعامل مع هذا الواقع ، لولا الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فما علم كيف يعالج هذا الموقف ولولا سياسته المحكمة وفكره العسكري الواسع ، لاجتاحت الدولة الإسلامية عواصف وأعاصير ليس من المستبعد ان تطيح بها ، وتنهي وجود الاسلام ، فكان بمثابة الوتد الذي لولاه لزاغت الارض باهلها فاصبح بفكره العسكري اساسا لاستمرار وجود الاسلام وكان البلسم الذي وضع على تلك الجراح ، التي اصابت جسم الامة وكادت تؤدي بحياتها.

ولا نبالغ بالقول ان هذه الدراسة هي غوص في بحر لجي وعميق ، وكانها دراسة لعالم باجمعه وليس لجانب واحد من حياة شخصية واحدة ، وهذه هي الصعوبة الرئيسة التي واجهتني في هذا البحث لان عظمة الامام علي (عليه السلام) لا يمكن ادراكها ومعرفة حقيقتها ، وهو الذي عجزت العقول عنه ، وجفت الاقلام في الكتابة فيه وعجزت الالسن عن التكلم بفضائله ، فكيف بي عبدا عاجزا عن الوقوف أمام هذه العظمة .

وما عساي ان اكتب فيها وقد سبقني الكثير بذلك ، ولكن محاولة بسيطة ومتواضعة لدراسة جانب من جوانب هذه الشخصية جاءت اطروحتي هذه ((الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري)) عسى ان نوفق لابراز هذا الجانب ولو بالمستوى الذي يتناسب مع قدرنا لا مع قدره (عليه السلام) .

الهوامش:

[١] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٢٨/١ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ٩٠/٢ ، ابن عبدالبر ، الاستيعاب ، ٣٨/١ ، ابن طاووس ، الطرائف ، ١٧/١ ، ابو الفداء ، المختصر ، ١١٦/١ ، الديلمي ، ارشاد القلوب ، ٢١٢/٢ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ٧١/٧ .

[٢] - ابو نعيم الاصفهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، مصدر سابق، ج٧، ص٣٠٠.

[٣] - جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص٢١٣.

[٤] - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٤٢، ص٤٧٧.

[(*)]- تقبلون: تكفلون، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١١، ص ٥٤٤.

[٥] - المفيد، الامالي، مصدر سابق، ص٤٠٤.

[(**)] - الابزاز: التابل، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١١، ص٤٠٤.

[(***)]- الحرف: حب كالخردل، انظر: المصدر نفسه، ج٩، ٤٥.

[٦] - ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٩.

[٧] - جورج جرداق، الإمام علي(ع)، صوت العدالة الانسانية، مصدر سابق، ص١١٤-١١٥.

[٨] - المصدر السابق ، ص١٥٠.

[٩] - ابي بكر بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج٧، ص٣٧.

[١٠] - احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص٥٣١، ح٨٨٣.

[(*)] - الخلات: الحاجة والفقر، انظر: مبارك بن مبارك، النهاية في غريب الحديث والاثر، مصدر سابق، ج٢، ص٧٢.

[١١] - محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، مصدر سابق، ج٣٣، ص٤٩٧.

[١٢] - ابي محمد الحراني، تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم عن آل الرسول، مصدر سابق، ص١٣٢.

[١٣] - ابي جعفر بن يعقوب الكُليني، اصول الكافي، مصدر سابق، ج١، ص٤٠٦.

[(*)] - ختر: الغدر، انظر: مبارك بن مبارك، النهاية في غريب الحديث والاثر، مصدر سابق، ج٢، ص٩.

[١٤] - عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج٢، ٣٧٠.

[١٥] - ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢١٠.

[١٦] – لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٧٣٠.
[١٧] – محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي(ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، مصدر سابق، ج٤، ص٣٠.
[١٨] – لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٧٣٢.
[١٩] – المصدر نفسه، ص٧٣٢.
[٢٠] – صادق الحسيني الشيرازي، السياسة من واقع الإسلام، مصدر سابق، ص١٠١-١٠٣.
[*] – ظلف: أي متنزه او نزيه النفس، انظر: محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٦٧.
[٢١] – المفيد، الاختصاص، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، (قم، جماعة المدرسين للنشر، د.ت)، ص١٦٠.
[٢٢] – حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦٧.
[٢٣] – المفيد، الامالي، مصدر سابق، ص١٩٧.
[*] – الكناسة: محلة في الكوفة.
[٢٤] – النعمان محمد بن منصور المغربي، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣٨.
[٢٥] – ميرزا النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مصدر سابق، ج٢، ص٤٦٣
[٢٦] – النعمان محمد بن منصور المغربي، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣٨.
[٢٧] – احمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مصدر سابق، ج١، ص٥٤٧، ح١٩.
[٢٨] – محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: سليم النعيمي، (قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ)، ج٤، ص١٥٤.
[*] – سورة القصص: الآية ٨٣.
[٢٩] – ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج٨، ص٥.
[٣٠] – علي صلاح، الحكم والادارة في نهج الإمام علي(ع)، مصدر سابق، ص٩٧.
[٣١] – النعمان محمد بن منصور المغربي، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦.
[٣٢] – علي بن احمد بن سعيد "ابن حزم" المحلى، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ج٩، ص٦٥، المسألة ١٥٦٧.

٣٣ - المصدر نفسه، ج٩، ص٦٥، المسألة١٥٦٧.

٣٤ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح: محمد عبدة، (مصر، مطبعة الاستقامة، د.ت)، ج٣، ص١١٠.

٣٥ - باقر القرشي، النظام السياسي في الإسلام، مصدر سابق، ص٦٤.

٣٦ - عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج١، الحكمة ١١١.

٣٧ - المصدر نفسه، ج١، الحكمة ٦٦.

٣٨ - المصدر نفسه، ج١، الحكمة ٤٦٤.

٣٩ - المصدر نفسه، ج٦، الحكمة ٩٣٤٩.

٤٠ - المصدر نفسه، ج١، الحكمة ٢٥٥.

٤١ - محمد باقر الناصري، علي ونظام الحكم في الإسلام، مصدر سابق، ص٩١.

مرويات مؤرخي القرن الخامس للهجرة عن الكوفة البكري (ت ٤٨٧ هـ) في كتابه معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع أنموذجاً

أ.م.د. صباح كريم رياح الفتلاوي/ مركز دراسات الكوفة –جامعة الكوفة
أ.م.د. بشرى ناصر الساعدي/كلية الاداب – الجامعة المستنصرية

المقدمة :

تعتبر الكوفة من أهم المدن التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ العربي الاسلامي ، فهي المدينة العربية الاسلامية الثانية التي اسست في العراق بعد البصرة ، إذ خطّت المدينة في العام (١٧) للهجرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد ان خطت البصرة في العام (١٥) للهجرة .

وكان ترك العرب المسلمين لمدينة المدائن عاصمة الساسانيين ، وكذلك طبيعة الجو الصحراوي الذي يتوافق مع طبيعة المقاتلين في الكوفة من الأسباب الموجبة لانشاء هذه المدينة ، بعد ان وجد الخليفة عمر ضرورة قيام قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق لتكون بديلاً للمدائن ، فتوافد نتيجة لذلك بعد العرب الذين سكنوها في البداية ، الكثير من الفرس والسريان واليهود والنصارى ، وكثر فيها العمران لتأخذ دورها الكبير في الحياة العربية الاسلامية .

كان اختيار الامام علي (ع) للكوفة عاصمة للدولة العربية الاسلامية وانتقاله اليها من المدينة المنورة سنة (٣٥ هـ) قد أعطى للكوفة أهمية أكبر نتيجة الأحداث التي حصلت في فترة خلافة الإمام علي (ع) والصراع مع الأمويين والخوارج الذين شقوا عصى الطاعة للامام ، مما جعل الإمام علي (ع) يخرج لمحاربتهم فكانت الكوفة ، هي العاصمة وهي القاعدة العسكرية للدولة العربية الاسلامية.

ومع الاهمية الكبيرة لهذه المدينة الاّ أننا نجد عدداً قليلاً من المؤرخين قد تطرق الى خطط الكوفة وكيفية بنائها وتمصيرها ، من خلال كتبهم التي تناولوا فيها البلدان بصورة عامة أمثال (الطبري) (ت٣١٠ هـ) في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) ، و (اليعقوبي) (ت ٢٨٤هـ) في كتابه (البلدان) ، و (البلاذري) (ت ٢٨٤هـ) في كتابه (فتوح البلدان) و (أبي

عبد الله البكري) (ت ٤٨٧هـ) في كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) وغيرهم .

وفي هذا البحث وقع اختيارنا على ابي عبد الله البكري (من مؤرخي القرن الخامس الهجري) لغرض دراسة وتناول خطط الكوفة من خلال مروياته المذكورة في كتابه (معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع)كمصدر اساسيي في البحث بالاضافة الى العديد من المراجع التي أفردت لها قائمة مستقلة في نهاية البحث ومن أهمها ، كتاب (العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية) لـ (مصطفى عباس الموسوي) ، وكتاب (خطط الكوفة وشرح خريطتها) لـ (لماسينون) ، وكذلك كتاب (تخطيط مدينة الكوفة) (للدكتور كاظم الجنابي) ، اضافة الى بعض الكتب الادبية ومنها كتاب (الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة) لـ (يوسف خليف) .

وقد وزعت مفردات البحث الى مقدمة ومبحثين ، تناول الاول منهما مدينة الكوفة وتمصيرها وخططها بصورة عامة، بينما اشتمل المبحث الثاني على كل ما ورد في مرويات البكري (ت ٤٧٨هـ) في كتابه (معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع. .) بعد جرد الكتاب وتثبيت ما ورد فيه بدون اضافة أو حذف ، ثم عرجنا على الخاتمة وكذلك تثبيت قائمة بالمصادر والمراجع التي تم اعتمادها في هذا البحث.

وختاماً نتمنى ان نكون قد وفقنا في ما نبتغيه ، وهذه اقصى غاياتنا ، وان تخلل البحث بعض الثغرات فنحن نتحمل تبعاتها ما دام هدفنا جميعاً خدمة الحقيقة والعلم .

ومن الله سبحانه وتعالى التوفيق وبه نستعين.

المبحث الاول

الكوفة تاريخها وعوامل نشأتها

تاريخها وتسميتها:

إن الكوفة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها،ولم يسكنها العرب ولا غيرهم، ولم تدل الآثار التاريخية على وجود مُسْتَوطَنٍ من المستوطنات القديمة،وإنما كان موضعها جزءاً سهلياً من الضفة اليمنى للفرات الأوسط الى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة ويدعى (سورستان) من الاسم الفارسي سورستان (١)، التي تعني

الصحراء ، ويدعى كذلك بـ " خد العذراء " .(٢).

وحينما مصرها العرب ، عرفت بالكوفة ، فتكوف بها ، والتكوف يعني التجمع (٣) ، وقيل المواضع المستديرة من الرمل تسمى ،"كوفاني وبعضهم يسمى الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفه " ، وعرفت أيضاً بالكوفان وهو أيضاً ما بين الدغل والقصب والخشب (٤) .

ذكر ياقوت الحموي في معجمه :"إن عبده بن الطيب وهو من الشعراء القدماء سماها"كوفة نجد " (٥) . أما الفيروزابادي صاحب كتاب "المحيط " فقد قال :" ان الكوفة بالضم تعني (الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة حمراء تخالطها حصباء" (٦) . والواقع ان هذا التعريف ينطبق على أرض الكوفة حين تقدم عليها لا تجد في طريق الكوفة غير الرمال الحمر التي تخالطها الحصباء فيحتمل العرب عندما نزلوا فيها فسموها باسمها .

كانت هناك وجهات نظر مختلفة في تسمية الكوفة وقد أجملها ياقوت فيما يلي :

(١) سميت الكوفة لاستدارتها ، وذلك من قول العرب ، رأيت كوفان ، وكوفان بضم الكاف وفتحها ، تعني الرملة المستديرة .

(٢) سميت الكوفة لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوف الرمل . . . .يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً .

(٣) يقال أخذت الكوفة من الكوفان . وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد في قول العرب (٧) .

(٤) ويقول لويس ماسينيون: إن اسم الكوفة (سرياني) لأنها عرفت عند طائفة السريان تنزل الديّارات في أطراف الكوفة عند النجف والحيرة باسم (عاقولا) أو (ياكيولا) وكلمة (عاقولا) تعني بالسريانية حلقة أو دائرة (٨) .

تمصير الكوفة وتخطيطها

بعد الفتوحات العربية الاسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، أحس المسلمون بحاجتهم الى الاستقرار ، وبعد المعارك مع الفرس ، وضعوا رأيهم بالاستقرار في المدائن عاصمة الدولة الساسانية، ولكن سرعان ما كرهوا الإقامة فيها لعدة أمور :

❖ الأمر الأول : لأن العرب قد فطروا على حب الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء

النقي .

❖ الأمر الثاني : كان موضع المدائن واحاطته بالمياه والمستنقعات جعلها عرضة لانتشار البعوض وأخطار الفيضانات .

❖ الأمر الثالث : وهو سياسي وعسكري يكون قرب المدائن من الحدود مع الدولة الفارسية وبعدها عن مركز الخلافة الإسلامية ، مما يجعلهم بالقربِ من الفرس .

❖ الأمر الرابع : إن هدف الفتوحات العربية الإسلامية في بادئ الأمر كان السيطرة على الموضع الغربي للفرات الأوسط ،بالأخص منطقة الحيرة .(٩).

لم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها وإنما كانت أرضاً خالية من السكان حيث كان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمودياً من الفرات يسمى الملطاط (١٠) ، (وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه اللطاط) (١١) ، والكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قومٌ خذ العذراء وقد ذكر المؤرخون عدة تسميات للكوفة (١٢) فقد سميت الكوفة كوفاناً بضم الكاف وهو ما يطلق على الرميلة المستديرة ، وقيل سميت كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً ، وقد ذهب جماعة إلى أنها سميت كوفة لموضعها من الأرض حيث إن كل رملة يخالطها حصباء وتسمى كوفة ، ويقال أيضاً إنها سميت بالكوفة لأن سعداً لما افتتح القادسية ونزل المسلمون الأنبار ، فآذاهم البق ، فخرج فأرتاد لهم موضع الكوفة وقال: تكوفوا في هذا الموضع أي إجتمعوا والتكوف يعني التجمع وقيل أيضاً إنها سميت كوفة نسبة إلى جبل صغير كان فيها يسمى كوفان ، وقيل أيضاً سميت نسبة إلى جبل (ساتيدما) المحيط بها كالكفافة عليها ، وقال محمد بن سهل :سميت الكوفة لأن جبل (ساتيدما) محيط بها كالكفافة عليها(١٣) .

وكان تأسيس الكوفة إحدى الضرورات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس على عهد الخليفة عمر ، فبعد اندفاع الجيش بقيادة سعد بن أبي وقاص بعد فتوح السواد الفاصلة إلى بلاد فارس طالت خطوط المواصلات بين المدينة المنورة وميادين القتال فكان لابد للجيش المحارب ان يتخذ نقطة إرتكاز له ليستريح عندها من عناء السفر والحرب لتكون معسكراً ثابتاً قريباً من ميادين القتال (١٤) ، إضافة

إلى ميزة وقوعها على حافة الصحراء لا يفصل بينها وبين العاصمة ماء أو جسر (١٥) ، ولم يكن هذا العامل هو العامل الوحيد في إرساء الأساس لهذه المدينة وإنما كان هنالك العديد من العوامل التي تظافرت وأدت بالتالي إلى نشوء الكوفة أو غيرها من المدن العربية الإسلامية وأهم هذه العوامل (١٦) :

١-العامل الاقتصادي : وذلك لتوفر المادة الأولية للبناء وكلفة نقلها القليلة وذلك ما يجعلها عملية غير مكلفة ساعدت على بناء تلك المدن .

٢-العامل الجغرافي : فقد أوصى الخليفة عمر قواده عند بناءهم للمدن أن تبنى بين حجر ومدر لتكون قريبة من حافات الصحراء على طرق القوافل وقريبة من مصادر الماء حيث الزراعة وخيراتها الوفيرة إضافة إلى الأثر البيئي والمناخ الذي يلائم المسلمين ، لذلك كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد:" ليرتاد منزلاً لا برياً ولا بحرياً وليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر" (١٧) .وأضاف " إن العرب بمنزلة الابل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فأرتد لهم موضعاً عدتاً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً " (١٨).

٣-العامل الحربي (العسكري) : إن المدن تلك بنيت أساساً لتكون مدناً عسكرية ونستدل على ذلك من أمر الخليفة عمر لقائده سعد أن (يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا) (١٩) ، والقيروان تعني المعسكر ، فوجود المدن على حافة الصحراء تسهل عمليات النقل ووصول الامدادات من حاضرة الدولة العربية الإسلامية (المدينة المنورة) (٢٠).

٤-العامل الاجتماعي : إن نشأة أي مدينة يجب أن تكون بجوار مدن آهلة بالسكان أي حضرية ، لتسهيل تحويل سكان المناطق الحضرية تلك إلى الإسلام خاصة ونحن نعرف إن الوثنية والمسيحية والمجوسية هي التي كانت سائدة آنذاك .

٥-العامل الفكري : إن المدن هذه كانت قريبة من مراكز علمية مهمة وهو ما يؤدي بالتالي إلى عملية الاختلاط العلمي وقد لعبت المراكز العلمية القريبة من هذه المدن دوراً في نمو الحركة الفكرية في هذه المدن .

٦-البعد الحضاري : إن العامل الفكري أدى إلى حدوث إحتكاك حضاري نتيجة إقتراح سكان هذه المدن مع سكان المدن القريبة والتي كانت مدناً ذات حضارات عريقة . (٢١).

بنـاء الكوفـــة :

لما أتم سعد بن أبي وقاص فتح العراق كتب له الخليفة عمر يأمره بالنزول في الموضع الذي وصفه له ، وقد بدا لسعد أول الأمر إن عمراً قصد المدائن في أمره في إقامة معسكر الجيش الإسلامي ، ولكن على ما يبدو إن جو المنطقة الرطب لا يلائم العرب المتعودين على جو الصحراء الحار والجاف(٢٢)، فتغيرت ألوانهم وضعفت أجسامهم وشكوا أحوالهم إلى الخليفة عمر (٢٣)، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس لا برياً ولا بحرياً ليس بينه وبينهم بحر ولا جسر فبعث سعد بناءً على أمر الخليفة، سلمان وحذيفة رائدين فسار سلمان غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى وصل الكوفة فأعجبتهما البقعة منزلاً فصلياً ودعوا الله تعالى أن يجعلهما منزل الثبات فرجعا إلى سعد بالخبر، وارتحل سعد بالناس من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة ١٧ هـ ، وكان بين نزوله الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران (٢٤) ، ولما إنتهى إلى موضع مسجدها رمى بسهم قبل مهب القبلة وعلَّم موقعه ثم تلاه بسهم قبلَ مهب الشمال وعلم موقعه ثم علَّم دار إمارتها ومسجدها في مقام الحالي وفيما حوله (٢٥) .

خطط الكوفـــة :

اختطت كل قبيلة مع رئيسها ، ثم أقطع أصحاب رسول الله (ص) فكانت عبس إلى جوار المسجد ثم تحول قوم منهم إلى أقصى الكوفة ، واختط أصحاب رسول الله (ص) مثل عبد الله بن مسعود وطلحة بين عبيد الله وعمرو بن حريث وجبير بن مطعم وغيرهم ، الدور حول المسجد وأقطع الخليفة عمر ،سعد بن أبي وقاص الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد (٢٦) ، ولم تكن الكوفة أول أمرها سوى أكوام وكتل من الخصائص (الأكواخ الخشبية) والخيام التي نصبت بصورة مؤقتة عند تمصيرها سنة ١٧هـ.(٢٧) وعندما وقع الحريق في الكوفة في (شوال ١٧ ه) بعث سعد نفراً إلى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن ، فوافق على أن لا يزيد أحدهم على ثلاثة أبيات وقدَّر المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين ذراعاً ، وأول شيء خط فيها وبني مسجدها وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين

رخام من بناء الأكاسرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحدٌ بنيانه (٢٨) .
ويصف ابن جبير الجامع: بأنه آخر المدينة مما يلي شرقي البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطان وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة مفرغة بالرصاص ، ولا نهي عليها وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفاً (٢٩) .ومنذ عام ٢٢ هـ في أمارة المغيرة بن شعبة بدأ الناس بتشييد المساكن الحقيقية من الآجر وأول تلك المساكن بنيت في محلة كندة ، ولقد قسمت الكوفة في الثلاثين سنة الأولى من تمصيرها إلى أسباع وهي:
١-كنانة وحلفاءهم (الأحابيش) وجديلة ويكنون بأهل العالية وعددهم ضئيل بالنسبة إلى غيرهم.
٢-قضاعة وغسان وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد وهم من اليمانيين.
٣-مذحج وحمير وهمدان وهم من العناصر اليمانية الخالصة .
٤-تميم والرباب وبنو العصر وهم من العناصر الحضرية التي لم يبق منها سوى تميم.
٥-أسد وغطفان ومحارب ونمير من بكر بن وائل وضبيعة وتغلب ومعظمهم من ربيعة.
٦-أياد وعك وعبد القيس وأهل الهجر والحمراء .
٧-طي ، القبيلة التي قل شأنها وعلى الرغم من وجود سهم لهذه القبيلة في الغنائم والفيء منذ البداية ، ورغم إنها كانت تشكل في صنفين فيلقاً مستقلاً إلا أن إسم هذا السبع لم يذكر في المصادر.
تغير سكن القبائل في هذه الأسباع مع قدوم الإمام علي (ع) إلى الكوفة بعد وقعة الجمل سنة ٣٦هـ (٣٠). وفي سنة ٥٠ هـ في أمارة زياد بن أبيه تحولت الكوفة من الأسباع إلى الأرباع شأنها شأن البصرة وكما يلي (٣١):
١-أهل العالية(المدينة) .
٢-تميم وهمدان .
٣-ربيعة وبكر وكندة .
٤-مذحج وأسد .

والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ مما يلي الجانب الشرقي ، والذي يتكون من حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد إمتداد البصر (٣٢)، وكانت ثغور الكوفة أربعة ، حلوان وعليها القعقاع ، وماسيندان وعليها ضرار بن الخطاب ، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك ، والموصل وعليها عبد الله بن المعتم ، وولي سعد بن ابي وقاص الكوفة بعد تخطيطها ثلاث سنين ونصف(٣٣) .

كان في الكوفة شوارع حقيقية تسمى السكك وعرضها خمسون ذراعاً تنار بالمشاعل ليلاً مثل سكة شبث في منازل تميم وسكة العلاء بن محرز في منازل قريش ، وسكة عميرة في منازل كندة وفيها مفارق للطرق تسمى (جهارسوج) وهي كلمة خارجية تعني الجهات الأربع وهي جهار سوج خنيس وبجيلة ، وكندة ، وهمدان (٣٤).

وأما المسافات بين الكوفة وما يليها من المدن فمن الكوفة إلى المدينة نحو (عشرين مرحلة) وبين المدينة إلى مكة نحو (عشر مراحل) ومن الكوفة إلى مكة أقصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل (٣٥) . ومسافة الطريق من الكوفة إلى البصرة (٨٥ فرسخاً) يبدأ من الكوفة إلى القرعاء والتي بها مسجد سعد ومنه إلى مارق ثم إلى القلع ثم سلمستان ثم آقز ثم الأخاديد ثم إلى عين هيد فعين جمل ومنها إلى البصرة (٣٦).

ولم يكن في الكوفة بادئ الأمر سور أو خندق بل كانت حفرة في الجهة الشمالية الشرقية تسمى (مسناة جابر) إضافة إلى قنال في الجنوب الشرقي هو نهر البويب ومنه مدت الجداول حيث الحمامات والسقايات ولم تكن في الكوفة آبار صالحة للشرب طيلة الأعوام المائة الأولى بل كان الماء ينتقل من شريعة الفرات ، وبعد زمن حفروا بئراً فوجدوا ماءها صالحاً للشرب سميت بـ (بئر علي) (٣٧). وكان لكل قبيلة جبانة (مقبرة) تعرف بها مثل جبانة الأزد وجبانة مراد وجبانة كنده وهكذا .(٣٨).

المبحث الثاني :

الكوفة في كتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)لابي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ)

سنتناول في هذا المبحث كل ما ورد عن الكوفة في كتاب(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لمؤلفه أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) ، بعد أن جردناه جرداً كاملاً

وبحثنا فيه عن كل شاردة وواردة تتعلق بأي معلومة من الكوفة حيث سنثبت المعلومة دون تدخل فيها ، وهذا الكتاب جهد توثيقي حاول الكاتب فيه توثيق اسماء الاماكن والبلدان بعد ان لاحظ تعدد التسميات نتيجة تنوع لهجات بني البشر، فاراد ان يكون هناك مصدر تاريخي موثوق يستطيع الباحثون الرجوع اليه للتوصل الى الاسماء والالفاظ الصحيحة للاماكن.

واعتمد البكري في تأليف معجمه الجغرافي والتاريخي على مصدرين:الاول مصادر تاريخية مثل كتاب "صفة جزيرة العرب" للحسن بن احمد الهمداني ، والمصدر الثاني هو الرواة من المسافرين والتجار، حيث كان يلتقيهم باستمرار لمعرفة اسماء البلدان والبلدات التي مروا بها واحوال الشعوب فيها(٣٩).

ان ابي عبيد البكري يضبط الكلمات بالعبارة لا بالحركات ، وهذه احدى مزاياه، ولولا ذلك لاختل المعجم وضاعت قيمته، ومن مزاياه انه اول معجم كتب بالترتيب الالفبائي ، ومن اهم مزاياه الضبط الدقيق للاسماء فانه لهذا الغرض ألف، وقد ابان عن ذلك في مقدمته، اذ رأى كثيرا من اسماء البلدان التي ترد في الاحاديث والاشعار والسي والتواريخ، قد دب اليها التصحيف والتحريف، وكان هذا التحريف داءا" قديما لم يسلم من آفته حتى أئمة الرواة وكبار العلماء، كالاصمعي من علماء اللغة ، ويزيد بن هارون من المحدثين، فراعه ذلك، واوحى اليه بتأليف كتابه. (٤٠).

ان اهم مايعاب به البكري في منهجه بتأليف هذا الكتاب، انه جعل ترتيب الكلمات في كل باب على ترتيب الحرفين الاول والثاني الاصليين من الكلمة،دون النظر الى ترتيب مابعدهما من الحروف ، وعلى الرغم من هذا تلقى العلماء المسلمون قديما وحديثا" معجم البكري بالقبول ووثقوا صاحبه ، ورفعوه مكانا عليا" ،فوق اللغويين واصحاب المعاجم . واعتمدوا عليه في تحقيق المشكلات ، خصوصا علماء المغاربة والاندلسيين ، من المحدثين والاخباريين ، ومن اشهرهم :القاضب عياض (ت٥٤٤ه)في مشارق الانوار، والسهيلي (ت٥٨١ه) في الروض الآنف ، واكثر من انتفع به من اصحاب المعاجم العربية وجعلوه اصلا" لهم : الفيروزابادي (ت٨١٧ه)صاحب القاموس المحيط ، والزبيدي (ت١٢٠٥ه) صاحب تاج العروس، وشيخه محمد بن الطيب

الفاسي(ت:١١٧٠ه) صاحب الحاشية على القاموس وكثير غير هؤلاء. فالمعجم يعتبر جهدا متميزا وفريدا يعتبر الى اليوم مرجعا للدارسين في مجالات التاريخ والجغرافية وعلم الانسان .(٤١). وقد اورد البكري معالم ومناطق الكوفة ومواقعها على النحو الآتي:

الكوفـــــة :

معروفة ويقال لها أيضاً كوفان وسميت بالكوفة لأن سعداً لما افتتح القادسية نزل المسلمون الأنبار فآذاهم البق فخرج فأرتاد لهم موضع الكوفة ، وقال تكوفوا في هذا الموضع أي أجتمعوا والتكوف : التجمع ، وقال العتبي : والكوفة رملة مستديرة ومنه قولهم كأنهم يدورون في كوفان أي في شيء مستدير ، وقال محمد بن سهل : سميت الكوفة لأن جبل ساتيدما محيط بها كالكفافة عليها ، قال: وكانت الكوفة منزل نوح وهو بنى مسجدها ثم مصرها سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب ، وقيل :بل سميت بجبل صغير كان فيها يسمى كوفان (٤٢).

(١)ســـاتيدمـا :

بكسر التاء وبعدها يا ودال مهملة وهو جبل متصل ببحر الروم إلى بحر الهند وليس يأتي يوم من الدهر إلا سفك عليه دم ، وهو الجبل الذي يحيط بالكوفة كالكفافة ولأجله سميت المدينة بالكوفة (٤٣).

(٢)صحـــراء أثيـــر :

بضم الهمزة وفتح التاء وهي منسوبة إلى أثير بن عمرو السكوني المتطبب وهو الذي استخرج من رئة شاة عرقاً وأدخله في جراحة علي (رض) ثم نفتح العرق وأستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال: إعهد عهدك يا أمير المؤمنين (٤٤) .

(٣)أنقـــــرة :

بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر القاف بعدها راء مهملة ، وضع بظهر الكوفة أسفل من الخورنق كانت أباد تنزله في الدهر الأول (٤٥) .

(٥) باجميـــرا :

بضم الجيم وفتح الميم وبالياء أخت الواو والراء المهملة المفتوحة ، وهي موضع من

سواد الكوفة وهو الذي عسكر فيه مصعب بن الزبير (٤٦).

(٦)بـــآرق :

جبل بالسواد قريب من الكوفة نزله سعد بن عدي بن حارثة بن امرئ القيس فسمي بهذا الجبل باراً فهم بنو بارق ، وروى محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس إن رسول الله (ص) قال : الشهداء على بارق نهر في الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشياً (٤٧) .

(٧)بانقيـــا :

بزيادة ألف بين الباء والنون وكسر النون ، أرض بالنجف دون الكوفة ، وسبب تسميتها إن ابراهيم ولوطاً (ع) مرا بها يريدان بيت المقدس مهاجرين فنزلا بها وكانت تزلزل كل ليلة وكانت ضخمة جداً ، فلما باتا لم تزلزل فمشى بعضهم إلى بعض تعجباً من عافيتهم في ليلتهم ، فقال صاحب منزل ابراهيم بأن ذلك بسبب شيخ بات عنده يصلي ليله ويبكي فسألوه المقام عندهم على أن يجمعوا له من أموالهم فقال إنما أمرتُ بالهجرة ، فخرج حتى أتى النجف ، فلما رآه رجع أدراجه فاستبشروا وظنوا إنه رغب فيما عندهم فقال لمن تلك الأرض يعني النجف ، قالوا لنا ، قال أتبيعونها قالوا هي لك فو الله ما تنبت شيئاً ، فدفع لهم غنيمات كن معه والغنم بالنبطية تعني نقيا ، وذكر إبراهيم إنه يحشر من ولده من ذلك الظهر سبعون ألف شهيد ، فاليهود تنقل موتاها إلى بانقيا لذلك الحديث (٤٨).

(٨)ذات التنانيـــر :

وهي أرض بين الكوفة وبلاد غطفان وفيها قال الشاعر الراعي :

تحملن من ذات التنانير بعدما مضى بين أيد بها السوام المسرخ (٤٩).

(٩)الثويـــة :

بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء أخت الواو ، موضع من وراء الحيرة قريب من الكوفة وفيه مات زياد بن أبي سفيان وكان سجناً بناه تبع فكان إذا حبس فيه إنساناً ثوى فيه ، وفيها قال الشاعر:

وبتن لدى الثوية ملجماتٍ وصبحن العباد وهنَّ شيبُ (٥٠).

(١٠)الجوسـق :

من مصانع الفرس بالكوفة وفيها قال الشاعر قيس بن الأصم الضبي :

إني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الخربِ (٥١).

(١١) حامـر :

موضع على الفرات ما بين الكوفة وبلاد طيء ، وقيل هو وادٍ يصبّ في الفرات (٥٢) .

(١٢) دومة الكوفة : بالضم أيضاً ، وهي النجف بعينه وفيها يقول حنين العبادي:

أنا حنين وداري النجفُ وما نديمي إلا الفتى القصفُ (٥٣).

(١٣) دير الجماجم :

هو دير بظاهر الكوفة على طريق البر الذي يسلك إلى البصرة وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وبين عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، ويقول أبو عبيدة سمي دير الجماجم لأنه كان يصنع أقداح من خشب وقدح الخشب يسمى جمجمة ، وفي هذا الدير يقول الضحاك اليربوعي :

إن يهلك الحجاج فالمصر مصرنا وإلا فمثوانا بدير الجماجم (٥٤) .

(١٤) ديـر قـرة :

ويسمى قرة وهو بأزاء دير الجماجم وهو على قول ابن شبه ، وهو ملاصق لطف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة ، وفي ثورة ابن الأشعث نزل بدير الجماجم فيما نزل الحجاج دير قرة ((٥٥)

(١٥) دير هنـد :

وهو دير بنته هند بنت النعمان وهو يقارب بني بني عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه وقد ذكر عدة من الشعراء وفيه يقول معن بن زائدة الشيباني :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً لدى دير هندٍ والحبيب قريبُ ((٥٦) .

(١٦)راسب :

بكسر السين والباء المعجمة بواحدة موضع قريب من العذيب بالكوفة وفيه قال القطامي:

سأخبرك الأنباء عن أم منزلِ تصيفتها بين العذيب فراسبِ (٥٧).

(١٧)الرُّهَيْمَـــه :

بضم أوله على لفظ التصغير ، موضع بقرب الكوفة وإياه عنى أبو الطيب بقوله:

وردنا الرهيمة في جوزةٍ وباقية أكثر مما مضى (٥٨).

(١٨) زرارة :

بضم أوله على لفظ إسم الرجل ، قرية من قرى الكوفة وهي التي مر بها علي بن أبي طالب (رض) فقال ما هذه القرية قالوا قرية تدعى زرارة يُلحمُ فيها وتباع فيها الخمر ، قال أين الطريق إليها قالوا باب الجسر ، قال : إنطلقوا إلى باب الجسر ، فقام يمشي حتى أتاها ، فقال عليٌ بالنيران إضرموها عليها فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً (٥٩).

(١٩) العُذيـــب :

بضم أوله تصغير عذ ، واد بظاهر الكوفة وفيه قال الشماخ :

فمرت على عين العذيب وعينها كوقب الصفا جليسها قد تغورا (٦٠).

(٢٠) الغريّـــان :

على لفظ تثنية الذي قبله معروفان بالكوفة وفيهما قال الكميت :

أتعرف رسماً بالغريين مقفراً لظبية أم أنكرت أو تنكرا(٦١) .

(٢١) قَطـــوان :

بفتح أوله وثانيه بعده واو على وزن فعلان ، موضع على باب الكوفة (٦٢).

(٢٢) -الكُناســـة :

بضم أوله ، معروفة بالكوفة كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناستهم فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يسأله أن يقطعه إياها فسأل إبن سعيد عنها فقال : ما بالكوفة مثلها ، فلم يعطه إياها واتخذها لنفسه (٦٣) .

(٢٣) اللُّـــجُّ :

بضم أوله وتشديد ثانيه غديرٌ عند دير هند وفيه قال الأعشى :

فأني وثوبي راهبِ اللجِ والتي بناها قصيٌّ والمضاضُ بن جرهمِ (٦٤).

(٢٤) - مُخَيَّس :

سجن بناه علي (ع) بالكوفة وكان له من قبل سجن يسمى نافعاً ولم يكن مستوثق البناء

، فكان المسجونون يخرجون منه فهدمه وبنى مخيساً وقال :

ألا تراني كيساً مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا

حصناً حصيناً وأميراً كيسا .....وقال الخليل مخيس سجن الحجاج (٦٥) .

(٢٥)- المـذار :

أرض بقرب الكوفة سميت بذلك لفساد ترتبها ، والمذر الفساد في الرائحة ، وفيها قال العجاج :

بجانب الكوفة يوماً مشجبا وبالمذار عسكراً مشيبا (٦٦)

(٢٦)- نافـع :

اسم سجن بالكوفة كان علي بن أبي طالب (ع) بناه من قصب فنهبه اللصوص فبنى سجناً من مدر وحجر وسماه مخيساً (٦٧) .

(٢٧)- النجـف :

بلا هاء وضع معروف بالكوفة وفيه قال الكميت :

فيا ليت شعري هل أبصرن بالنجف الدهر حُضّارها (٦٨).

(٢٨)- النخيلـة :

تصغير نخلة ، بالكوفة وهي التي كان علي (ع)يخرج إليها إذا أراد أن يخطب الناس (٦٩).

(٢٩)- نِفـرً :قرية من سواد الكوفة بكسر أوله وتشديد ثانيه (٧٠) .

وقفنا فيما تقدم عن كل ماذكره ابي عبيد البكري عن الكوفة في كتابه المشهور"معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ،وما في ذلك من وصف دقيق للاماكن والنواحي في الكوفة انذاك وفق المنهج الذي اختطه في الوصف.

الخاتمـة:

لقد تبين من دراستنا لتاريخ وتمصير وتخطيط مدينة الكوفة ، وفي ضوء النصوص التاريخية التي وردت في كتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) ، إن الأسباب الرئيسية لتمصير الكوفة ، واختيارها على أطراف الصحراء بالذات ، هي أهمية موقعها من الناحية العسكرية ، إذ يمكن من خلالها فرض السيطرة الكاملة على

الموقع الغربي على طول الفرات ، وذلك لقربها من البادية المجاورة للصحراء العربية ، اضافة إلى اتصالها بالطرق الرئيسية في جميع الاتجاهات ، وكذلك خلوّ المنطقة من العوارض الطبيعية ، مما يسهّل عملية إرسال المدر أو سحب القطع الحربية .

ومن ذلك نلاحظ وصية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) إلى سعد بن أبي وقاص، عند اختيار أية مدينة بضرورة ، بناءها بين حجر ومدر ، لتكون قريبة من حافات الصحراء على طرق القوافل التجارية ، وكذلك قريبة من مصادر المياه ، وان يرتاد منزلاً لا برياً ولا بحرياً .

إن اختيار مدينة الكوفة لا يختلف عن سابقتها من المدن في إنشاءها إذ أنشأت قرب مدن آهلة بالسكان ، فكانت بالقرب من مدينة الحيرة ، وغيرها من المدن والمراكز العلمية ، مما يؤدي إلى تسهيل عملية نمو الحركة الفكرية والإختلاط العلمي في هذه المدن .

ويؤكد الطبري بأن أول ما اختط في الكوفة هو المسجد الجامع الكبير ، والذي أصبح من المساجد الأربعة المهمة في العالم الإسلامي ، وكذلك كثُرت المساجد في الكوفة ، وان لم يتبق منها حالياً سوى مسجد السهلة .

لقد تميز منهج البكري في ما أورده في كتابه عن الكوفة بتخصيص أغلب صفحات كتابه لأسماء ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، والتي لم يتطرق إليها الكثير من البلدانيين ، من أمثال الحموي واليعقوبي وغيرهم ، إلاّ أنه أهمل الكثير من أسماء المواضع والبلدان خارج شبه الجزيره العربية إذ خصص معظم صفحات كتابه لأسماء المواضع في شبه الجزيرة العربية .

لقد تتبع البكري انتقال وسير القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى أماكن استقرارها . إن منهج البكري يختلف عن منهج الطبري في توضيح الصورة الدقيقة والبيّنة لخطط مدينة الكوفة ، لذا جاء المبحث الأول في كتاب البكري في بيان خطط الكوفة من المصادر والمراجع الأخرى ولم نلاحظ تركيزه بصورة متكاملة لخطط هذه المدينة بسبب اهتمامه بمدن ومواضع الجزيرة العربية .

استخدم البكري لغة يشوبها الإبهام والغموض في وصفه لبعض المواضع والبلاد مثل عبارة (بلد معروف ، موضع في ديار مرّة أو تميم ، أو موضع ذكره فلان ولم يحدده ،

موضع في البادية . . .الخ)،وهذه العبارات والمواضع دون تحديد مكانها بالضبط مما يوقع الباحث في حيرة تستلزم في كل منها الرجوع إلى الكتب البلدانية الأخرى لمعرفة مكانها بالضبط .

وأخيراً نلاحظ عدم اهتمام البكري بقياس المسافات بين البلدان سواء المسافات بالليالي والأيام أو المراحل أو الأميال مما شكل هذا الأمر ميزة انفرد بها البكري عن غيره من البلدانيين .

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في البحث وبما توصلنا إليه عبر ما ذكرناه من شواهد وحوادث ومواضع ، راجين منكم القبول ومن الله عز وجل التوفيق .

الهوامش:

---

[١] المسعودي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

[٢] البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧٧ .

[٣] ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، الجزء ١١، القاهرة ، بلا ، ص ٢٢٢ .

[٤] المصدر نفسه،ص ٢٢٢

[٥] الحموي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٩٥ . الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩٥ .

[٦] الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر (ت ٨١٧هـ) ، قاموس المحيط ، الجزء ٣ ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ ، ص ١٩٣

[٧] ماسينيون ، لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة تقي المصبعي ، صيدا ، بيروت ، ١٩٣٩ ، ص ٢٥ .

[٨] المصدر نفسه،ص٢٥.

[٩] المحنك،هاشم حسين ناصر،موجز تمصير الكوفة وعمرانها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين،(النجف الاشرف : دار انباء للطباعة والنشر،٢٠١٠)،ط٢،صص٥٦-٦٣.

[١٠] أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٧٧ .

[١١] شهاب الدين ياقوت بن أبي عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بلا ، ١٩٢/٥ .

[١٢] ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٣٤٠ هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٥ ،ص ٦٣ ، الحموي ، المعجم ، ٤٩٠/٤ .

[١٣] أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفا السقا، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ٤ / ١١٤٦ – ١١٤٢.

[١٤] مصطفى عباس الموسوي ، العوامل التأريخية لنشأة المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٨٢، يوسف خليف ، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٢١-٢٣ .

[١٥] عبد الرحمن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، تأريخ الغبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ٣/ ٣٢١ .

[١٦] حسن عيسى الحكيم ، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ألقيت على طلبة الدراسات العليا – الماجستير ، بكلية الآداب بجامعة الكوفة ، قسم التأريخ ، في ٤/٧/ ٢٠٠١.

[١٧] ابن الأثير محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢ / ٣٦٨ .

[١٨] البلاذري ، ٢٧٦ .

[١٩] المصدر نفسه،ص ٢٧٤.

[٢٠] الحكيم ، المصدر السابق.

[٢١] الحكيم ، المصدر نفسه.

[٢٢] الموسوي ، ص ٨٤ .

[٢٣] بو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٣٤٠ هـ) ، تأريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، النجف

[٢٤] ابن الأثير ، الكامل ، ٣٦٨/٢ .

[٢٥] الحموي ، المعجم ، ٣٩١/٤ .

[٢٦] أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩١ ، ص ٣١٠ – ٣١١ .

لويس ماسينيون ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المطبعي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٧٩ ، ص ٣٧ . [٢٧]

[٢٨] ابن الأثير ، الكامل ، ٣٦٨/٢- ٣٦٩ .

[٢٩]أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤ هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٦٤ ص ١٨٧-١٨٨ .

[٣٠]ماسينيون ، الخطط ، ص ٤٢ – ٤٨ .

[٣١] الطبري: التاريخ١٠٥/٦.
[٣٢] الكناني ، رحلة ابن جبير ، ص ١٨٩ .
[٣٣] ابن الأثير ، الكامل ، ٣٦٩/٢ - ٣٧١ .
[٣٤] ماسينيون ، الخطط ، ص ٦٦- ٧٠ .
[٣٥] الحموي ، المعجم ، ٤ / ٤٩٣ .
[٣٦] أبو علي أحمد بن عمر بن رسته (ت ٢٩٠هـ) ، الأعلاق النفسية ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩١ ، ص ١٨٠.
[٣٧] ماسينيون ، الخطط ، ص ٧١ .
[٣٨] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١١ .
[٣٩] السقا،مصطفى،مقدمة تحقيقه لكتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري ،ا، (القاهرة:مطبعة عابدين، ١٩٨٨)،لمقدمة ،ص١.
[٤٠] المصدر نفسه ،ص١.
[٤١] المصدر نفسه ،ص١.
[٤٢] البكري ، المعجم ، ١١٤١/٤- ١١٤٢ .
[٤٣] المصدر نفسه ، ١٠٩/١ .
[٤٤] المصدر نفسه ، ٢٠٣/١ .
[٤٥] البكري ، المعجم ، ٢٢٠/١ .
[٤٦]البكري ، المعجم ، ٢٢٠/١ .
[٤٧] البكري ، المعجم ، ٢٢٢/١-٢٢٣.
[٤٨] المصدر نفسه ، ١/ ٣٢٠ .
[٤٩] البكري ، المعجم ، ٣٥٠/١ ـ ٣٥١
[٥٠] المصدر نفسه ، ٢ / ٥٦٦ .
[٥١] المصدر نفسه ، ٢ / ٤٠٤ .
[٥٢] المصدر نفسه ، ٢ / ٤١٨ .
[٥٣]) المصدر نفسه ، ٣/ ١٠٨٤ .
[٥٤] البكري ، المعجم ، ٢ / ٥٧٣ - ٥٧٤ .
[٥٥] المصدر نفسه ، ٢ / ٥٩٢ - ٥٩٣ .
[٥٦] المصدر نفسه ، ٢ / ٦٠٤ - ٦٠٥ .
[٥٧] البكري ، المعجم ، ٢ / ٦٢٦.

[٥٨] المصدر نفسه ، ٢ / ٦٨١ .
[٥٩] المصدر نفسه ، ٢ / ٦٩٥ ـ ٦٩٦.
[٦٠] البكري ، المعجم ، ٣ / ٩٢٧ - ٩٢٨ .
[٦١] المصدر نفسه ، ٣ / ٩٩٥ - ٩٩٦ .
[٦٢] المصدر نفسه ، ٤ / ١١٣٦ .
[٦٣] المصدر نفسه ، ٤ / ١١٣٦ .
[٦٤] المصدر نفسه ، ٤ / ١١٩٩ .
[٦٥]البكري ، المعجم ، ٤ / ١١٥١ .
[٦٦] المصدر نفسه ، ٤ / ١٢٠٣.
[٦٧] المصدر نفسه ، ٤ / ١٢٩٠ .
[٦٨] البكري ، المعجم ، ٤ / ١٢٩٩ .
[٦٩] المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٠٥ .
[٧٠] المصدر نفسه ، ٤ / ١٣١٨ .

المصادر والمراجع:

١. إبن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ)، الجزء ٢ ، الكامل في التاريخ ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١٩٨ .

٢. إبن بطوطة ، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد (ت٧٧٧هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

٣.البكري ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع ، تحقيق مصطفا السقا ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٤. البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٥. الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٦. إبن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤ هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ١٩٦٤ .

٧. إبن خلدون ، عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨هـ) تأريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت، ١٩٥٩ .
٨. الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، دار النشر فرانزشتايز، ط٢ ، نيسمبادن ، ١٩٦١ .
٩. الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، طبع الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
١٠. الفيروابادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) ، قاموس المحيط ، الجزء٣ ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ .
١١. اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب واضح (ت ٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي، الجزء ٢ ، ١٣٥٨ ، البلدان ، النجف ، ١٩٥٧ .
١٢. إبن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، الجزء ١١ ، القاهرة .
١٣. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٢٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٤. يوسف خليف ،حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
١٥. البراقي، السيد حسين السيد أحمد (ت ١٣٣٢هـ) ، تاريخ الكوفة ، النجف،١٣٥٦هـ.
١٦. العزاوي ، عبد الرحمن حسين ، الطبري ، السيرة والتاريخ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
١٧. ماسينيون ، لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة تقي المصبعي ، صيدا ، لبنان ، ١٩٣٩.
١٨. حـــلاق، حسان ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، بيروت ، ١٩٨٦ .
١٩. الحكيم ، د. حسن عيسى ، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا – الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٣/١٩.

٢٠. الحكيم ، د. حسن عيسى محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا - الماجستير ، كلية الآداب بجامعة الكوفة ، في ٢٠٠١/٤/٧ .
٢١. الجنابي، د. كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة ، مطابع دار الجمهورية ،بغداد،١٩٦٧.
٢٢. السقا،مصطفى،مقدمة تحقيقه لكتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري ،ا، (القاهرة:مطبعة عابدين، ١٩٨٨).

الكوفة في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة
ـ دراسة موازنة ـ

أ.م.د. صفاء عبد الله برهان الغرباوي
كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد

المقدمة:

حظيت مدينة الكوفة الشريفة، بمنزلة مهمة في الوجدان الإسلامي؛ لما تمثله من نواة المدينة العربية في فجر الإسلام، وهو ما جعلها تحتل مراتب متقدمة، عند الحديث عن المدن الإسلامية، وقد زانها شرفا ورفعة، اختيارها عاصمة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكانت الحاضرة المدنية والعلمية والدينية وقتذاك.

لقد كثير الحديث عن مدينة الكوفة، في متون الفكر والتاريخ والسياسة والأدب، وفيما يتعلق بالشأن الأخير، نجد الشعراء نظموا القصائد المستقلة فيها، أو تلك التي جاءت الكوفة ضمن موضوعات القصائد المتنوعة. ولا ريب في تأثير الأدب في حياة الإنسان، ومنه الأدب النثري، بألوانه المتعددة، كالقصة والخطبة والرسائل والمناظرات والمقامات. وقد وردت الكوفة في كل تلك الألوان، بحسب الحاجة التي يمليها فكر الإنسان وذائقته، بما أثرى تلك المتون النثرية. والملفت للأنظار أن الألوان الأدبية، تفتقد طيفا مهما، هو أدب الرحلات، الذي لما يزل يصارع البقاء؛ لعدم عناية الباحثين بهذا اللون من الأدب، علاوة على عدم اهتمام بعض الرحالة، بتدوين رحالتهم بصيغة أدبية، تعنى بوصف الأماكن والأحداث والشخصيات. هذا الطيف الأدبي، قد أثرى النثر العربي كثيرا، ولاسيما من قبل الرحالة المغاربة والأندلسيين، الذين شغفوا بالرحلات إلى المشرق الإسلامي، وعمد ثلة قليلة منهم إلى تدوين رحلاتهم، وقد ازدانت تلك التدوينات باسلوب أدبي، ارتقى بما حدثوا عنه في الأماكن التي زاروها.

إن المتتبع لأثر أدب الرحلات، يدرك أن هذا الفن الجميل، قد أضاف للأدب العربي الكثير، ولاسيما فيما يتعلق بوصف المجتمعات البعيدة، بما يشغل الذائقة الشخصية للرحالة والمتلقي معا. وكان العراق من أهم البلاد المشرقية، التي رنت لها أبصار المغاربة والأندلسيين، فحاز على مدونات كثيرة، أظهرت ما كان عليه هذا البلد، فوصفوا أمكنته

واشخاصه وأحداثه، ولكن لم تحظ مدينة الكوفة، إلا على ذكر رحلتين اثنتين، هما ابن جبير الأندلسي (٥٧٨__٥٨١هـ)، وابن بطوطة المغربي (٧٢٥_ ٧٤٩هـ)، إزاء صمت الرحلات الأخرى؛ لأسباب متنوعة كعدم زيارة المدينة أصلا، أو عدم الالتفات إليها عند المرور بها، فكانوا كراما في مرورهم، أو أن ثمة مدونات تناولت الكوفة، ولكنها أمست مدونات مفقودة. ومن هنا حرص الباحث على ذكر ما جاء في هاتين الرحلتين، ولاسيما أنهما تمثلان عنوانان مهمان في أدب الرحلات، ولكي لا يندثر ذكر الكوفة في هذا الفن النثري، كما اندثر ما سواها، الذي قلّ الاعتناء به أصلا. فجاءت مفردات البحث معرفة به، ومن ثم التعريف بالرحلتين، وأهم المحطات التي وقف عندها الرحلتين، موازنا بينهما بحسب الأوصاف التي أورداها، وما رشح منها من نتائج توصل إليها البحث.

▪ مدخل .. أدبية الرحلة:

كان للرحلة أهمية واضحة في وجدان العرب؛ لما تمثله من تجديد في حياة الإنسان العربي، يشمل المكان الذي يحتضن الكثير، مما لم تألفه الذات المرتحلة. وهو ما يعني تغييرا مهما في أدبيات الإنسان، وارتقاء في نظرته إلى مفردات الحياة، وهذا ما درجت عليه الذات العربية، التي ألفت الترحال لأسباب متنوعة، والمؤكد أن ذلك منح العربي تميزا واضحا.

ومن الطبيعي أن منهجية الشخصية العربية، وما يعتريها من رؤى نقدية، تطورت بتطور حياة العرب العقائدية والفكرية والاجتماعية، بعد بزوغ الإسلام الذي شكل موقفه الخاص من الرحلة، بخاصة الهجرة النبوية الشريفة، التي غيرت مسار الإسلام، وانتقلت به نقلة واضحة، ومن هنا كان للارتحال أثره، الذي يؤثر في الإنسان والكان معا، وهو الشأن الذي يزود تلك الشخصية بالكثير من المعارف، التي ترتقي بصاحبها و تميز بها طوابعه.

كان للأوصاف التي رمقها المتلقي العربي، بحسب المنهجية التي أملت على الرحالة، أن يدوّن ما لم يألفه في بيئته، بما يشتمل على الارتقاء بالموصوفات، وعرضها في صورة أدبية، بما يمنحه الأسلوب الوصفي، الذي تحظ به مفردات الوصف، والذي يحدّ بأنه

(إسلوب إنشائي، يتناول الأشياء في مظهرها الحسي).[١]وهذا الاتساع في مفهوم الرحلة، ودخولها في حقل أدبي، يعتمد الوصف، أثر في تداخل المعاني، التي تزدان بها الموصوفات، ولاسيما عند الرحالة الأديب، الذي يعمل على وضع الرحلة في حيز صنعته، وهو ما يمكن كتابات الرحالة، من الرسوخ في جنس أدب الرحلة؛ بوصفه (مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من سلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها).[٢]

ولهذا استحوذ أدب الرحلات، على ما يحمله هذا الجنس الأدبي، من تفسير الظواهر والأحداث والأماكن، بحسب موازينه الأدبية الخاصة، التي تحدث كثيرا من الانطباعات، والتي تحتكم إلى التعمق في فهم الأدبية من جهة، وتمكين ما تقع عليه العين الراحلة مما يحيط بها من مؤثرات المكان المزار من جهة أخرى، بما تفرض على الكاتب من استنفار الحواس الخمس؛ لأجل تقديم وصف أدبي يليق بكل ذلك، والمؤكد أن ذلك يكون في صياغة نثرية، تناظر الصياغة الشعرية، بما تسجله من ملاحظات، تعنى بخصائص أدب الرحلات، التي تؤكد بدورها جنسه الأدبي، وبهذا فإنه يفسر لنا حقيقة، وهي (اعتماد الكاتب في عرض أفكاره ومعانيه على الوضوح التام، والتحليل والبسط والإفاضة والالتزام في كثير من الأحيان بالدقة اللغوية، والاعتماد أحيانا على الأقيسة والبراهين العقلية والمنطقية؛ لذا كان النثر أدق من الشعر في عرض المعاني وتحليلها).[٣]

وهنا نجد أن الوصف يعتمد ما تقدم ذكره في النص؛ للتركيز على أوجه كثيرة، بما ترصده العين الأدبية. ومن أهمها ما يعمل في الوجدان من استقراء، يؤدي إلى تحكيم العقل أولا والعاطفة ثانيا، با عتماد الحوادثِ والظواهر المتفردة، التي تمثل مسيرة الحياة والإنسان معا؛ لترتبط أدبية الرحلة، بما تنماز به عن الاجناس الأدبية الأخرى، ما يعني (إن موضوع العلم الأدبي، يجب أن يكون دراسة الخصيصة النوعية للموضوعات الأدبية، التي تميزها عن كل مادة أخرى).[٤]

وبهذا فأن مسألة تصوير البيئة مكانا وإنسانا، ستخصص حيز الرحلة الأدبي، التي تراعي صيغة هذا الأدب وشكله، ومن ثم فإنها تخضع في تكوينها إلى المزاج الشخصي

للرحالة، التي تحتم الوقوف عند طبيعة هذا المزاج، وما ينتج عنه من مفردات، تسلك نفسها في عالم الرحالة الأدبي، الذي يؤثر إظهار الحوادث، وبيان الأمكنة و الظواهر المتعلقة بها، المتفرد عن المنظور المحلي؛ لأن (الاقتصار على التراث القومي وحده في عملية الإبداع، لا يغني عن التراث الإنساني).[٥]

إن المتأمل للصورة التي يرسمها أدب الرحلات، يلاحظ خضوعها لعناصر مهيمنة عليها، بخاصة التفاعل مع التراث المحلي للمجتمعات الأخرى، الذي تتجلى تأثيراتها على المستوى الثقافي، وتمثل وحدة في النشاط الإنساني، ومن ثم فهو يقدم صورة للنظير، دون أن يطرأ عليها أي تغيير؛ ليبتعد عن النمطية الراسخة، وليفسح المجال للرؤى والمنهجية المقابلة، أن تتجاوز النظرة الثابتة، التي تجسّد تراثا موقوفا على أبناء جلدته، وتبدو تعبيرا عن معرفة صالحة في زمانها ومكانها.

▪ الغرب الإسلامي و الرحلات:

شغف أبناء الغرب الإسلامي _ الذي يشمل المغرب والأندلس_ بالرحلة إلى المشرق، وقد كان الداعي لذلك، هو روحانية الشرق وسحره، الذي بان في هواجسهم الدينية والاجتماعية، علاوة على مزاج الرحلة العالي، الذي عرف عن المغاربة والأندلسيين، بحيث طغت الرحلات في تلك الاصقاع على ما سواها، وشكلت حضورا اجتماعيا، وانتجت مادة أدبية وثقافية، فضلا عن المادة الجمالية، التي تتضح أمام متلقي النصوص الرحلية، ويتعين معها قراءة النص، بما تحتمله من مشاهد ناطقة. ومن ثم عد منجزهم الرحلي نشاطا انسانيا، يحتوي صورة المجتمعات الأخرى، التي تشرق أبعادها الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية، التي تحرك محاور كثيرة من تلك الرحلات. وهكذا انتهت الرحلة في مجملها إلى تشكيل أدبي ضمن منظومة إنسانية، يعتمد عناصر متنوعة، تستجيب لرغبة أبناء الغرب الإسلامي؛ ومن هنا فلا ريب أن (شكلت الرحلة بالنسبة لمسلمي الغرب الإسلامي، منذ فجر الدعوة الإسلامية، وإشراق شمسها على ربوع هذا الجانب من العالم الإسلامي، هاجسا دائم الحضور، ومطلبا قوي الإلحاح).[٦]

ولا ريب في أن أدب الرحلة، الذي انماز به أولئك المغاربة والأندلسيون، إنما احتكم إلى قضية الطبع بنحو كبير، وهو ما يساير حقيقة فن الرحلات، على احتسابه ضمن

الفنون الإنسانية، التي تنتظم ضمن قواعد مؤسسة، ونتائج مقننة، التي تعتمد مخزونها المتنوع؛ لتفهـم طبيعة الإنسان الانتقالية، ومن ثم لتخضـع تفسير الظاهرة الأدبية، وهو ما يمنح الطبع منزلته المهمة في العملية الإبداعية، وتبين حقيقته التي تتلخص في أن (الطبع هو عمود العملية الإبداعية، وهو الذي يتحكم في توجيه المبدع إلى نظم و نثر، وإليه يعود تفوقه في غرض أو مجموعة أغراض في إطار الصناعة والفن الواحد).[٧] وهكذا تتحدد معالم هذا الفن النثري، في مرحلة التأسيس والتكوين والنتاج، التي تجعله يمد جنسه إلى فن الأدب، مستندا إلى حراك إنساني في الرؤية والتجربة والنتاج، بما يجعله يتحرك في محورين أساسين، الأول فعل السفر، وما يكشف لهم من حركة المجتمعات المزارة، حيث أديانها وأساطيرها وعاداتها وتقاليدها وأحداثها. والآخر منجز الرحالة نفسه، الذي يصف ذلك في لغة، ترتقي بطبيعة تلك المشاهد والأحداث والأشخاص. وهو ما وقع لأبناء الغرب الإسلامي، الذين حرصوا على اكتشاف الشرق بحواضره ومعالمه ورموزه الإنسانية، وكان ذلك يمثل دافعا مهما لرحلة الكثيرين إليه، بمعنى أن (العامل الجغرافي الذي جعل الغرب الإسلامي في أقصى نقطة من خارطة العالم الإسلامي، حتى سمي في بعض الحوارات الطريفة بذيل الطاووس، كان دافعا قويا لأهله؛ للتواصل مع عواصم الثقافة العربية في المشرق).[٨]

كان العراق أحد أبرز البقاع المشرقية، التي تطاولت لها أعناق الرحالة المغاربة والأندلسيين؛ لما يحمله من خزين حضاري كبير، ولاسيما بعد شروق شمس الإسلام، وبناء مدينة الكوفة في سنة ١٦هـ، أول المدن الإسلامية التي بنيت خارج أرض النبوة، بعدما فتح المسلمون العراق، وتحريره من الإمبراطورية الساسانية، وازدادت أهمية الكوفة، بعد أن اتخذها أمير المؤمنين علي عليه السلام عاصمةً للخلافة الإسلامية في سنة ٣٥ هـ. لكن المفارقة الغريبة حقا، أن مدونات الرحالة المغاربة والأندلسيين، قد صمتت عن الحديث عن تلك المدينة، ولم تنبس ببنت شفة، حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بحيث سجلت أول زيارة لها من قبل رحالة أندلسي. هو بنيامين التطيلي (٥٦١_٥٦٩ هـ)[٩]، الذي كان معنيا بتدوين الجاليات اليهودية خارج الأندلس، فمر على ذكر الكوفة، وذكر أنه: (يقيم بها سبعة آلاف يهودي. وفيها قبر يكينة

ملك يهوذا، حوله كنيس يهودي، وفيها أيضا مسجد كبير للمسلمين، في رحبته مرقد الإمام علي بن أبي طالب، صهر نبيهم محمد، يحجونه للزيارة والتبرك).[١٠] والملاحظ أن غاية الوصف، تقدم تقريرا للوجود اليهودي بالكوفة عددا وآثارا، وذكر مسجد الكوفة المعظم فحسب. ولكنه وقع في لبس تاريخي، عندما نسب موضع مرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام في المسجد، على حين أنه مكان اغتياله في المحراب.

▪ رحلتا ابن جبير و ابن بطوطة:

إن المتمعن في أدب الرحلات، يدرك أن هاتين الرحلتين، تعدان من أهم ما انتجه وجدان الغرب الإسلامي، فيما يخص هذا الحقل من الدراسات الأدبية. وقد أشار الكثير من الباحثين إلى أهميتهما على المستويات كافة،؛ لما تضمنتا من معلومات موثقة، وأسلوب محكم، وقصص مشوقة. بما أثرى أدب الرحلات، وجعل منهما، أساسا منظورا إليه من قبل الرحالة المغاربة والأندلسيين، وهم يدونون متونهم الرحلية. فقد وصف ابن عسكر المالقي، رحلةَ ابن جبير الأندلسي[١١]، بقوله: (له كتاب جمع فيه رحلته، وعجائب ما رأى وشاهد، وأتقن فيه غاية الاتقان).[١٢] ولا ريب في أن ابن جبير، كان على درجة عالية من الضبط والموضوعية والأمانة في النقل، أسوة بالرحالة المغاربة والأندلسيين، الذين كانوا من النخب الثقافية، و كان (حرصهم شديدا على تدوين وتوثيق دقائق رحلاتهم إى المشرق ومجرياتها).[١٣] أما رحلة ابن بطوطة المغربي[١٤]، فتعد من أشهر الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون، إن لم تكن أشهرها، ومما يميزه في تلك الرحلة أنه (لم يكن نقالة، اعتمد على كتب غيره، بل كان رحالة، انتظم محيط اسفاره عددا كبيرا من الأقطار).[١٥] ويكفي في علو شانها، ما قرره الدكتور عبد الهادي التازي، الذي كان أهم من اعتنى بها، وحققها تحقيقا رصينا، قال: (إن رحلة ابن بطوطة ستبقى في حاجة أكثر إلى استجلاء غوامضها والكشف عن عن المزيد من أسرارها وفوائدها).[١٦] ولا مشاحة في أن كلمة التازي، تعطي لرحلة ابن بطوطة أعمارا أدبية، تتجاوز حدود الزمان والمكان، بحسب ما أودعها من معلومات متنوعة، ذات فوائد طريفة على الوجدان المحلي عامة.

▪ مدينة الكوفة:

استحوذت مدينة الكوفة على أهمية واضحة، ضمن اهتمامات المتون الرحلية؛ لما تمثله من الأنموذج العمراني الأول والرصين، الذي شكّل أساس المفهوم الإسلامي للحواضر الإسلامية، وكان له أن يبلغ مدى واسعا في التفكير الإنساني؛ لما يحرزه من أهمية اجتماعية؛ إذ العمق الروحي للجماعة المسلمة، سواء أكانت محلية أم زائرة، التي تنظر إلى الكوفة، بوصفها تلك المدينة العربية الأولى، التي تمصرت في ظل الإسلام، واتخذت أول عاصمة بعد المدينة المنورة. وهو ما يخضع الوجدان المسلم للإرادة العلوية الشريفة، التي حققت للمسلمين فضاء روحيا وماديا، يقوم على أسس من المبادئ، التي تمكن من الانخراط الفعّال في المشروع العلوي للدولة الإسلامية.

وقد أدركت النصوص الرحلية تلك الغاية، وبانت من مفردات الرحالتين، الصفةُ الحقيقية التي نشأت عليها الكوفة، وإن تغيرت أحوالها العمرانية إلى حد كبير، ولاسيما في زمن الرحلتين، ولكن ذلك لم يمنع من تصوير حقيقة تلك المدينة في كتاباتهم، بما أشعر المتلقي بمسايرتها للذائقة الأدبية، بحسب الخطاب الذي تبتغيه الذات الراحلة، ومن ها كان (على الناثر أن يحيط بالأحداث التاريخية، والاجتماعية، وأخبار العرب، حتى يحسن تصويرها، ولا يتجاوز حقائقها المألوفة).[١٧]

لقد أظهر ابن جبير الأندلسي، الحال التي غلبت على الكوفة، بما وقعت عليه عيناه، وقد بانت في ثقافة الغزو، التي تغلبت على ثقافة التحضر؛ نتيجة ما قامت به قبيلة خفاجة العربية حينها، وهو ما يشكل الأسلوب البدائي، الذي شمل شعوبا وأجناسا في حضارات قديمة، عندما لا ينظر إلى الحاضرة السياسية والعلمية كالكوفة بعين تفوقها، بل من عين نزعة التسلط والحصول على المغانم؛ نتيجة تردي أحوال المسلمين في أيام الاحتلال الاجنبي، حيث تعاقب احتلال البويهيين والسلاجقة، الذين جثموا على صدر العراقيين وقتذاك، ولم يكن تعنيهم عمران البلاد والعباد، قال واصفا الكوفة: (هي مدينة كبيرة عتيقة، قد استولى الخراب على أكثرها، ومن أسباب خرابها، قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي محييا ومفنيا، بناء هذه

المدينة بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق، آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل من جهة الشرق).[١٨]

يبدو أن الكوفة هنا كانت تمر بحال عسيرة، بل نرمق من وصف ابن جبير، أنه لا يمكنه أن يعطيها الصفة العلمية، التي عرفت عنها؛ بوصفها مدرسة إشعاع للقراءآت القرآنية والمدارس النحوية؛ والسبب تعاقب الأزمان التي ابتعدت عن تلك المرحلة الزاهرة، علاوة على تعرب القبائل المحيطة بها، ولاسيما خفاجة، ما جعلها تجافي التفوق على الأجناس والبيئات الاخرى؛ لأن الصفة البدائية التي أدركتها عين ابن جبير، قابلت تحضر ما سواها وقتذاك، ولاسيما بلاد الأندلس موطن ابن جبير. وهذه البدائية بتاريخ معين، بدليل أن الحال استمرت إلى زمن مرور ابن بطوطة بالمدينة؛ إذ نجد أن الحال استمر، لدرجة أن الوصف جاء مقاربا كثيرا في جزء من مفردات ابن بطوطة، قال: (مدينة الكوفة، وهي إحدى أمهات البلاد العراقية، المتميزة فيها بفضل المزية، مثوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب أمير المؤمنين، إلا أن الخراب قد استولى عليها؛ بسبب العدوان التي امتدت إليها، وفسادها من عرب خفاجة، المجاورين لها، فإنهم يقطعون طريقها، ولاسور عليها، وبناؤها بالآجر، وأسواقها حسان، وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك).[١٩] وواضح أنه ينماز من وصف ابن جبير، بالانفتاح على حقيقة الكوفة، عندما عرف بماضيها التليد في النصف الأول من وصفه، حيث (الحاضرة العراقية، واحتضان السلف الصالح، ودار العلم، والعاصمة العلوية). ومن هنا نلحظ أن توصيفاته المقتضبة، كانت تكثف دلالاتها التي يتجاوز فيها مفهوم التفكير، المكانَ المتحوّل عبر الزمان، وهو في الوقت ذاته، يسير في صيرورة بيّنة، ويبرز معها صنع الحدث، على وفق ثنائية (الثابت / المتحوّل)، وهو ما يعطي للكوفة العلوية منزلتها الروحية، التي أثرت الحضارة الإسلامية. وهذا الشأن يؤكد أن ابن بطوطة، كان يساير طبيعة الذات الإنسانية، التي تسعى به إلى البحث عن هوية الذات المفقودة، وما تضم في ثناياها من ميادين متعددة، تلج إلى الألق العقلي. وبعدها نراه يردد كلمات الخراب، التي ساقها ابن جبير؛ مشخصا أثر قبيلة خفاجة في خرابها، وهو قطع الطريق أمام الناس، ما يعني تعرّب هؤلاء القوم وقتذاك، بما فرضته

ظروف الاحتلال الاجنبي للبلاد، ولكنه ينفرد بوصف داخلي لمدينة الكوفة، حيث البعد التجاري لها، التي تقف به موقفا واضحا إزاء الخمول الفكري حينذاك، وهو ما يضع المتلقي، إزاء ما يفتح كل ما هو ضيق؛ ليؤكد أن الحياة مزدهرة؛ بسبب تلك الأسواق الحسان.

▪ جامع الكوفة:

مثّل جامع الكوفة المعظم، صورة مهمة من صور النشاط الإنساني الكبير؛ بوصفه المؤسسة العلمية والقضائية؛ لينطلق منها المنجز العلوي، ولاسيما في الحواضر والبوادي الكبرى، وما تعمله من أسباب التحضر؛ إذ نقل ذلك المنجز الكبير، الكوفة من معسكر لجيوش الفتح إلى حاضرة الدولة الإسلامية، بما جعلها تغترب عن المدن الإسلامية زمنذاك. وعلى وفق ذلك كان لجامع الكوفة، منزلته الروحية والحضارية في وجدان المسلمين. وهو ما أدركته العيون الزائرة له، وبينوا ذلك بمفرداتهم الوصفية، التي لا تظهر معها طبيعة الوصف، العاملة في الشخصية الإنسانية، حيث عمران ذلك المسجد المادي والروحي، وما يفرزه من نشاط إنساني، يتداخل في ذهنية المتلقي، ويعمل في بقية العناصر المكونة للنتاج الإنساني. ويسرد أحوال البلاد والعباد المشرقية، التي تحتضن أحداثا ومعالما، توطّئ مفاهيم تاريخية قائمة الذات، ومتمكنة من النفس البشرية، التي تحرز مكانتها في الحيز المقابل، بما يربط علاقة الإنسان بالمكان؛ فمثلت الرحلة (طريقا للمجد، وشكلت سبيلا للشهرة والتألق في مجتمع ظلت أنظاره وقلوبه وأفئدته، مرتبطة بالمشرق كرمز للصفاء والطهارة والنقاء، وكعلامة للجذور والأصول، وكمنبع للحقيقة والشريعة).[٢٠]

ومهما يكن من شان يذكر، فقد أفصحت مفردات الرحلتين، عن إعجاب كبير بذلك المسجد الشريف، الذي بدا معهما تأثرهما في كثير من أوصافهما؛ بسبب المرحلة المتقدمة لتفوق العراقيين الحضاري، ولاسيما عند بزوغ الاسلام عليهم، وازدهارها في بلاد الرافدين، الذي انجلى واضحا في العلوم والعمران، فجعل ما سواها يستشعر التبعية لها، والشعور بالضآلة أمام المنجز العراقي، فأورد ابن جبير وصف ذلك المسجد المعظم بنحو وافٍ، يمكن أن نلتقط منه ما يعين على فهم ذلك الوصف بنحو متتابع، بحسب

الموضوعات التي أوردها، قال: (هو جامع كبير، في الجانب القبلي منه. خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما أرى في الأرض مسجدا، أطول أعمدة منه، ولا أعلى سقفا).[٢١]

الوصف هنا يدقق في بناء ذلك الجامع، كان يسجل الرصيد العمراني، الذي بلغه بخلاف حال الكوفة؛ إذ لم يصله خراب الأعراب والأحقاب، ومن هنا احتل منزلة مرموقة، شكل بها المعلم الأبرز للكوفة، بحسب طريقة بنائه الهندسية المتفردة، التي بينت التراث العمراني للعراقيين، ومنها البلاطات التي أدهشت عين ابن جبير، ولا ريب فهم بناة الجنائن المعلقة، وزقورة أور، وقصور الحيرة المجاورة للكوفة، وغيرها من المعالم العمرانية العراقية. وقد منحت ابن جبير، مساحة من التأملات الذاتية لهذا المكان، بما خالف المألوف المختزن في ذهنهم، ومن ثم فإن محصلة الوصف المكاني هذا، يسعى إلى الخروج بتلك المشاهد من تجريدتها؛ لتعرض إلى طول الباع العراقي، الذي أنشأ هذا المسجد الشريف، وأكدت أنه تنتمي إلى ما هو أعم وأشمل، حيث أحداث وشخصيات و أمكنة وأزمنة؛ ليوجه بتلك الأوصاف المجتمعات المسلمة إلى صفة هذا المسجد، ولاسيما عند مقارنته مع المسجد النبوي الشريف، ما يعني أنه كان يخاطب الضمير الجمعي؛ لأن (الذي لا شك فيه، أن الأديب لا يكتب لنفسه، وإنما يكتب لمجتمعه، وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح).[٢٢] وهو أمر لا يختلف عليه اثنان، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بزيارة بلاد بعيدة، تختلف في تمدنها وتحضرها وبداوتها، بما يشكل رغبة ملحة للمسلمين في الأصقاع الغربية، للوقوف على معالم الإسلام الأولى بالمشرق.

في الوقت الذي نجد ابن بطوطة، قد وصف ذلك المسجد بنحو مقتضب، لم يرتق إلى وصف ابن جبير، ولم يرد ذلك المنجز العمراني إلى أصوله الحضارية، علاوة على مقارنته بالمسجد النبوي وطول أعمدته، التي تؤكد استقلاله، وما تضمنت من مفردات

تتداخل وظيفيا في خدمة المتلقي. قال ابن بطوطة: (جامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة، قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة، قد صنعت قطعا، ووضع بعضها على بعض، وأفرغت بالرصاص، وهي مفرطة الطول).[٢٣] فلم يكن هذا الوصف، سوى ترديد مبتسر المعنى والألفاظ، وقد كان عيالا على وصف ابن جبير، ولم يزد عليه إلا بنعت الجامع بـ(الأعظم والشريف)، وكأنه اكتفى بما ورد في وصف ابن جبير، الذي يعني معه أن الذائقة الأندلسية، كانت تعتمد مساحة التأملات، التي لم يديمها ابن بطوطة، ما يؤشر حقيقة أن الأماكن المنظور إليها، تكون ذات أبعاد حدثية، وهو ما لم يرجح وصف ابن جبير؛ لما أروده من وصف مكثف وافٍ لحال ذلك المسجد.

▪ الآثار النبوية:

احتوى جامع الكوفة الكثير من الآثار النبوية القديمة، التي كانت تغذي شريان الحياة الروحية، ولم يكن بوسع أي كان، أن يحجب البصر عنها، وهو ما يجلي أهمية أخرى لهذا الجامع الشريف، بما يمكنه أن يكون الأوفر حظا، بعد المسجد النبوي الشريف، الذي احتوى معالم النبوة المحمدية ومدفنها، فكان جامع الكوفة يضم معالم الخلافة العلوية، مسبوقة بآثار الأنبياء الأولين، وكان الكوفيون حريصين على تلك المشاهد الشريفة، و غير مستعدين للتفريط بكينوتها الروحية، فحافظوا على ذلك التراث الجليل، بما تنماز به هويتهم التاريخية والثقافية. فكان أن شخصت تلك المعالم الجليلة، التي توارثوا نسبتها إلى أصحابها جيلا عن جيل، وبما أكد معه النزعة الشخصية في إكبار تلك البقاع المباركة، وفي الوقت نفسه أثر ذلك في أدبيات الرحالة الزائرين، التي تعاملت على وفق المقابل الذوق الشخصي لها، والانطباع المعرفي للكوفيين، الذي يعني عدم الانسياق، خلف النوازع المحلية لهم. ويبدو أن تلك الرؤية المرتحلة، كانت تمثل تنوعا في معالجة الموروث الإنساني، وكل ذلك قد أدى إلى (جعل المدينة الإسلامية تمور بالحركة والحياة؛ لأنها استقطبت الفعاليات الإنسانية على الصعيد الاجتماعي والديني والفكري).[٢٤]

لقد كان هذا الاتجاه الحركي، ذا تأثير حضاري مهم، يعيد لآثار الأنبياء كينونتها، ويغرس التصورات الخاصة بمعتقدات الشعوب، منذ أمد بعيد في الأبعاد والرؤى، سواء اتفقت مع حقيقة نسبة الموروث أم لا، قال ابن جبير: (في الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بآخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير، محلق عليه أيضا بأعواد الساج، هو موضع فار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر، يقال: إنه كان متعبد إدريس صلى الله عليه وسلم، ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال: إنه منشأ السفينة).[٢٥] وكما يلحظ فإن ابن جبير، يبدو هنا أنه يقدم وصفا مقتضبا عن تلك الأمكنة المشرفة، التي تخص معالم نبوية مهمة، وهي (موضع فار التنور، وبيت النبي نوح عليه السلام، ومتعبد إبراهيم، ومنشا سفينة نوح)، وهي آثار مهمة، ترتبط بعضها ببعضها الآخر زمنا وحدثا، بما يجاري وجدان القارئ والجمهور وحركة التاريخ. ولكنه أخضع المعلمين الآخيرين في هذا النص، إلى عملية النقد الموضوعي، عندما لم يؤكد نسبتها، بقوله: (يقال)، وهو بذلك عزله عن كل ما هو خارجه، دون أن يمس بحقيقة تلك المشاهد الجليلة؛ لأنه ناقل ليس أكثر، وليس له أن يحكم على حقيقة نسبة هذا المعالم إلى أصحابها، وبذلك فقد احترز بنفسه، عن النفي والإثبات، التي تسهم في حركة البناء الداخلي للنص نفسه، وقد وضح ذلك بحمله أقوال الكوفيين أنفسهم، التي تقيد مقالته إزاء المتلقي، قال: (هذه الآثار الكريمة، تلقيناها من ألسنة شيوخ البلد، فأثبتناها حسبما نقلوها إلينا، والله أعلم بصحة ذلك كله).[٢٦] وعلى وفق تلك الحال، فقد احترز ابن جبير بمفرداته، وقد تعامل مع ما تلقاه من شيوخ الكوفة بحيادية، تصف الأشياء كما هي، وتبتعد عن تقييمها؛ لأنها ستجعله غريبا عن مجتمع إسلامي عريق، فما كان منه أن يتجنبها؛ لأنه أدرك أن (الغريب هنا من يجتنب المجتمع، وما يشيع به من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس).[٢٧] بخلاف ابن بطوطة، الذي لم يسمح لذاته، أن يتفاعل مع معتقدات أهل الكوفة، أو يسير في سبيل سلفه ابن جبير، الذي يتمكن من قراءة حركة التاريخ، ما جعله منغلقا في تفكيره، كما بان في قوله: (في الزاوية من آخر هذا البلاط، مسجد صغير، محلّق عليه أيضا بأعواد الساج، يذكر أنه الموضع الذي فار منه

التنور، حين طوفان نوح عليه السلام، وفي ظهره خارج المسجد، بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام، وإزاءه بيت، يزعمون أنه متعبد إدريس عليه السلام، ويتصل بذلك فضاء، متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال: إنه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام).[٢٨] كما يدرك من عبارات التقليل والزعم، التي ساقها في مشاهداته، فإنه لم يكن مقتنعا بنسبة تلك الآثار الكريمة، و قد كاد أن يكون وصفه ترديدا لسلفه ابن جبير، لولا أنه انحرف عن خطه بتلك المعالجة الشخصية، بما يظهر معه توجه مفردات الوصف، إلى ما يتضمنه المسجد الشريف، بما يمكن المتلقي من معرفة ما يسرده، وتحجب ابن بطوطة أن يكون مرسلا لأوصاف جديدة، بعد الرحلة السابقة، بما يحول الرحلتين إلى منجزين متقاربين، يحتويهما الوصف نفسه، الذي لا يقدم وظيفة نقل الأفكار، بل لا يتجاوز أن يكون وسيلة وغاية، تغرس وجودها الذاتي. مع الفارق في الترجيح وما زاد عليه ابن بطوطة من وصف: (بهذا المسجد آثار كريمة، فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال: إن الخليل، صلوات الله عليه، كان له مصلى بذلك الموضع).[٢٩]
إن طبيعة التناول الوصفي، الذي ساقه كل من ابن جبير وابن بطوطة، فيما يتعلق بآثار النبوة المذكورة، كانت تتناول المرحلة الزمنية التي امتدت قبلهما، فضلا عما بعدهما زمنيا، وهي مفردات لا تتعدى ما هو داخل في المسجد، التي يمكنهما من النظر فيها، وما يظهر معها استقلالها الزمكاني أيضا، من دون بيان مدى حضورها في وجدان المجتمع الكوفي خاصة، وهي ما هي من حيث وجودها في ذلك المجتمع؛ بوصفه عنصرا مهما في بنيته. ولاسيما ممن أدركوا تلك الآثار، التي لا يمكن ان ينظر إليها بنحو معزول؛ نتيجة تلاشي أغلب تلك الآثار في الأزمان اللاحقة، وهو ما ينشد حيز العلاقة بين داخل النص وخارجه، وقد ذكر السيد حسين البراقي، معلقا على كلام ابن بطوطة: (ويظهر من قوله في ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح، أن بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية، ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح، الذي بجنب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد. وأما متعبد إدريس فليس له اليوم عين ولا أثر، وأما الفضاء الذي ذكره المتصل بالجدار القبلي من المسجد الذي

نجرت فيه السفينة، فهو الفضاء الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين، وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي).[٣٠]

ولا شك في أن ما قدمه ابن بطوطة وعقب عليه السيد البراقي، يمثل أثر الزمان في عفاء المكان؛ نتيجة التعاقب على الآثار القديمة إلى حد كبير. بما يؤكد أن السطوة الزمانية، تفعل فعلتها في الغربة المكانية، وعلى وفق ذلك فقد بين السيد البراقي، بعد قرون خمسة، مثلت المسافة الزمنية التي دثرت تلك المعالم النبوية، وقد بين السيد البراقي ذلك، بعدما شرح قسم من مفردات ابن بطوطة، ولاسيما فيما يخص المعالم العلوية الشريفة، التي لم تسعف ابن بطوطة في التنبه إليها، على ما للرجل من ملكة عالية في تحسس الأمكنة والسؤال عنها، وليس ذلك بغريب عنه، فهو لم يستطع فهم سر تلك المعالم النبوية، التي تجاورت في حاضرة الخلافة العلوية، وسبقتها بقرون طوال، ومن ثم فإنه لم يستطع أن يحقق هدف الرحالة من رحلته، عندما يمر ببعض الأماكن المهمة، التي تذهب إلى أن الرحالة في المدونات الرحلية، قد (اتخذ من الصورة المكانية وسيلة لخلق التوافق النفسي الطبيعي).[٣١] لتؤكد أن ثقلها الروحي، يختبيء في تلك الآثار المؤصلة، التي مهدّت نفسها لتكون موئلا، تأسست عليه حاضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

- الآثار العلوية:

وكما بينا في المفردات السابقة، فقد كان للارتباط الكبير والمتعاقب، بين المعالم النبوية، على مختلف المشارب من زمن سيدنا نوح إلى سيدنا إبراهيم عليهما السلام، ارتباط بيّن في الوجود المقصود في الكوفة، وإن لم تسم بهذا الاسم، وقد أدركت تلك الأرض المباركة، نزول امير المؤمنين علي عليه السلام، واختياره لها كحاضرة للخلافة الإسلامية بعد المدينة المنورة. من هنا كان للوجود العلوي المبارك أهميته، بعد تحويل تلك المدنية الإسلامية المحدثة بصفتها العسكرية، إلى حاضرة متمدنة، لفت أنظار الباحثين في شؤون العمران الحضاري، فعدت أنموذجا للمدينة الإسلامية، التي ألفت معالم عصرية فاقت ما سواها، حتى في المسجد الذي تحول إلى دار للخلافة العلوية، ومؤسسة مهمة من مؤسسات الحكم، التي تدير شؤون الرعية عامة، وأنف من المقام في قصر الإمارة؛ زهدا

وورعا وتيسيرا للقاء الناس، وقد كتب له حسن الخاتمة في محراب ذاك المسجد، فأمسى معلما للشهادة والإجلال، ومن هنا كان مسجد الكوفة، يتجاوز حيزه المكاني؛ ليشكل فضاءً وهو (أوسع من المكان، وهو مجموعة الأمكنة التي تقوم عليها سيرورة الحكي).[٣٢]

وقد أوردت رحلة ابن جبير، وصفَ ذلك المكان الشريف، بنحو موجز: (على مقربة منه، مما يلي الجانب الأيمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج، مرتفع عن صحن البلاط، كأنه مسجد صغير، وهي محراب امير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع، ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، فالناس يصلون فيه، باكين داعين).[٣٣] كذلك كان لابن جبير، أن يمر على البيت الشريف، الذي غسل فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: (مع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت، يقال: إنه كان بيت ابنة نوح صلى الله عليه وسلم).[٣٤]

هنا نجد ابن جبير الأندلسي، معطيا توصيفا دقيقا لمحراب أمير المؤمنين علي عليه السلام. وواضح أن ثمة أعمدة من ساج، كانت عمادة ذلك المحراب، ويبدو أن صفة هذا المحراب، تنطبق على محراب مسجد الكوفة، لا المحراب المعروف حاليا، الذي ضُرب فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ لأن هذه الأوصاف لا تنطبق على المحراب المشهور، الذي لم يبلغ ارتفاعه كما أورده ابن جبير، فضلا عما ورد في تحديد موقعه، وهي إشارة مهمة لحقيقة المحراب المنسوب، بما يخالف الموروث المشهور عن هذا المحراب، الذي لم يتم تجاوزه؛ بسبب سلطته التي تؤكد بنحو مبين أن (الموروث أشمل من التراث؛ لأنه يشتمل على كل ما أنجزه الأسلاف، وكل ما فكروا به، منه ما بقي، وما زال يملك مفاعيل مؤثرة فينا _وهو التراث_ ومنه ما أدى دورا في مرحلة من المراحل تم تجاوزه بعد ذلك).[٣٥] وهنا نجد ابن جبير، يبين الطقوس العبادية التي يؤديها المسلمون هناك، وقد كان ناقلا أمينا لما رآه، من دون تدخل في معتقداتهم. والحال نفسها عندما يذكر المكان الذي غسل فيه امير المؤمنين علي عليه السلام، واتصاله ببيت ابنة نوح عليه السلام، موردا إياه في صيغة تضعيف (يقال)، من دون أن يعلق على حقيقة نسبته، نفيا أو إثباتا، بحسب المنهج الذي اختطه من بيان الوصف دون ترجيح.

أما ابن بطوطة المغربي، فقد كان مرددا لمفردات ابن جبير، مع الاقتصاد بها إلى حد معين، وقد ختم حديثه، بما يتعلق ببيت ابنة نوح عليه السلام، بإيكال العلم لله تعالى، قائلا:(على مقربة منه، محراب محلّق عليه أعواد الساج، مرتفع، وهو محراب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وهنالك ضربه الشقي ابن ملجم، والناس يقصدون الصلاة به).[٣٦] وقال: (في آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه، ويتصل به بيت، يقال أيضا: إنه بيت نوح عليه السلام، والله أعلم بصحة ذلك كله).[٣٧] وواقع الوصف الذي ساقه ابن بطوطة، يعتمد الواقع التاريخي وحسب، الذي يصف الأمكنة، والاحتراز من التدخل في حقائقها، على ما له من رؤية خاصة، لا تحقق أو تتابع حقيقة تلك الآثار الجلية، ولاسيما أن الرجل بعيد عن تلك البيئة ثقافيا، ما يجعله يرصف المفردات، كما ألفتها العين من دون تحريك لذائقته الأدبية، التي تمنح المكان ثقلة وتأثيره في الوجدان الإنساني؛ لأن مغزاه العميق (يقتضي أشكالا، ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون، في بعض الأحيان، الهدف من وجود العمل كله).[٣٨] فكان التعريف بهذه الأمكنة الشريفة، التي احتواها ذلك المسجد، يشكل الخصيصة المهمة في النصوص، من حيث كشفها لموقع تلك الأمكنة.

▪ ضريح مسلم بن عقيل:

شكل ضريح الشهيد مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، أحد أهم معالم مسجد الكوفة المعظم، وقد بلغت شهرة ذلك الضريح الشريف حداً، جعلته أحيانا يتفوق على شهرة المسجد المعظم، وبذلك أظهر تفوقا على ثقافة المكان الأصلية؛ لذلك حاز الضريح التفضيل الإيجابي، ومختزلا لوعي الزائر للكوفة عامة، بل لا نبالغ إن قلنا، إنه مثل (مكانا للوعي تختزل عبره الوعي بالأمكنة كلها، ابتداء من الأمكنة الصغرى، والأمكنة الكبرى المألوفة).[٣٩] ولا يعني ذلك أن الضريح الشريف، قد تقدم على المعالم الأخرى، بصورة تجع تلك الأماكن ثانوية الحضور. بل إن الوجدان الشعبي، قد وقف هذا الموقف؛ نتيجة ما ضم من جسد شريف لسفير الإمام الحسين عليه السلام، الذي سجل ذاته كأول شهيد في النهضة الحسينية الخالدة، بعد التضحيات الكبيرة والمواقف الشجاعة، التي أبداها في حاضرة الكوفة، وهو وحيد غريب مخذول مقتول. ولم يحضر دفن جثمانه

الشريف أحد، فكان مشهده الشريف يعلن عن ظلامة كبيرة للهاشميين، دغدغت المشاعر الإنسانية، التي تتعاطف مع المظلوم، ومن هنا جاء دور أدب الرحلات؛ لكي يسجل (مشاعر الأمة وآرائها، ومن هذه الآراء، ما يتعلّق بصلات هذه الأمة بغيرها، وبالصور التي تكونها لنفسها). [٤٠]

ولم يفت ابن جبير الأندلسي، أن يمر بذلك الضريح؛ تبركا به، وإتماما لزيارة معالم المسجد الشريف، قال واصفا (في الجهة الشرقية من الجامع، بيت صغير، يصعد إليه، فيه قبر مسلم بن عقيل، رضي الله عنه، وفي جوفي الجامع على بعد منه يسير، سقاية كبيرة من ماء الفرات، فيها ثلاثة أحواض كبار).[٤١] ومن الواضح أن هذه اللقطة، التي يقدمها ابن جبير لضريح مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، والسقاية التي تتوسط المسجد الشريف، كانت تمثل مرحلة زمكانية، حافظت على وجودها إلى وقتنا الحاضر، على الرغم من وصف غرفة الضريح بالبيت الصغير، التي مثلت مرحلة الضمور والتبعية للمسجد الشريف. ولم يكن هناك فرق كبير بين هذا الضريح، وبقية المعالم التي تجعل أي منهم، يتفوق على الآخر، ولكن الملفت للنظر إنه لم يشر إلى بقية المشاهد الشريفة هناك، ولعل تقدّم شخصية الشهيد مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، قد غطت على الشخصيات الأخرى، كالمختار المجاور له، أو هانئ بن عروة المقابل له، والمستشهد معه في اليوم نفسه رضوان الله عليهم. في الوقت الذي وصف الأحواض الثلاثة الكبيرة، ومصدر مياهها، التي لم يتبق منها سوى اثنين، ولكن مع هذا فقد بينت مفرداته المكانية، أن (المكان قد يعبر بمجرد ذكره عما يعجز النص الأدبي الإبانة عنه، أو التعبير عن دلائليته).[٤٢] وكان من نتائج هذه الرؤية الثقافية، أن لحقت الرحلة مفاهيم جديدة، تتمثل في وصف المكان الآخر والبيئات الأخرى، التي تعنى بدراسة كل ما هو طارئ وطريف، لم تألفه الذات الراحلة، ومن بعدها الذات المتلقية، بما يشكل معه حركية اجتماعية وحضارية، تفي بحاجة الإنسان إلى الرحلة، من حب المعرفة والانطلاق في فضاءات مكانية جديدة، ومنها ذواتنا التي تتعرف على أوصاف عتيدة في وقتها، بما لم تدركه أبصارنا الآن. على حين نجد أن ابن بطوطة، قد ذكر مرقدين شريفين، لاثنتين من بنات الإمام الحسين عليه السلام، قال: (في الجهة الشرقية من الجامع، بيت مرتفع يصعد إليه،

فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رضي الله عنه، وبمقربة منه خارج المسجد، قبر عاتكة، وسكينة بنتي الحسين عليه السلام).[٤٣] ويمكن أن نلمس من هذا الوصف المكثف، أن ابن بطوطة المغربي، أدرك عمارة ضريح مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، ولكنه لم يذكر ما يخص الأحواض التي بينها سلفه ابن جبير، ولعل ذلك غفلة منه. في الوقت الذي حدد مرقد السيدتين الجليلتين عاتكة وسكينة، الذي لم يعرف لهما أي أثر في وقتنا هذا، بل حتى لم يذكر أنهما هناك، والمعروف هناك مشهد خديجة ابنة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

▪ الفرات والقصر:

كان نهر الفرات بالكوفة، يمثل مصدرا لحياة تلك المدينة، بما لم يمنحه الأعراب الذين خربوا حياة فيها، بما لبّى حاجات نفسية و اجتماعية للشعب الأجنبي، دون أن تلبي حاجات المجتمع وقتذاك، وقد جاءت أوصاف الرحالتين، بنحو واقعي يصف الأشياء كما هي، وهو الشأن الذي نقع عليه في أدب الرحلات، التي تعنى بـ(الوصف الدقيق، والتصوير الأمين والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتجلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي).[٤٤]وبناء على تلك الحقيقة الأدبية، فإن الرحالة يكون أمام عمل كبير، يقتضي منه عدم تحكيم عواطفه الشخصية، التي قد تعارض هذه الرؤية أو تلك، أو تتلاعب بالحقائق التي تعنى بالأمكنة والطقوس، ما يمنح أدب الرحلات الموضوعية فيما يصفه، الذي يشكل أهمية ذلك الأدب، وعليه قال ابن جبير الأندلسي: (إن وقت المقام بالكوفة، ضاق عن ذلك، لأنا لم نبت فيها سوى ليلة يوم السبت. وفي غدائه رحلنا، ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات، والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ، مما يلي الجانب الشرقي. والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفتة، يتصل سوادها، ويمتد امتداد البصر).[٤٥] وهنا ندرك أن الأوصاف التي ساقها ابن جبير، كانت تلبي حاجة ذلك الوقت، واستثمر تلك المدة الزمنية، ومن ثم فقد استوقفه نهر الفرات، الذي كان موطنا لراحته، بحسب الحال البديعة التي كان عليه. وقريب من مسجد الكوفة المعظم، كان للزائر لتلك البقة الشريفة، أن يرمق أطلال خربة لقصر الكوفة، التي أصابها فعل الإنسان، ما يحاول

بحسب فكره، أن يدفع الضرر والفساد، وهو الشأن الذي قام به عبد الملك بن مروان، والحقيقة إنما وقع منه ذلك؛ للهروب من مصير تكرر في ذلك الحيز المكاني، وعلى وفق ذلك ندرك، أن ذلك الفعل البشري، كان يؤشر التخلي عن التعامل مع الموروث المادي، ولم يكن بوسعه أن يجرب ممارسته. وهكذا فقد كانت تلك الآثار، تمثل بحد ذاتها درسا تاريخيا، يندر تكراره في بقعة أخرى، التي وصفت الآثار المعتبر بها (سواء ما كانت عليه، وما طرأ من تغيرات أو زوال أو تجديدات أو إصلاحات، وكانت هذه الأوصاف على جانب كبير من الأهمية في عالم الآثار والفنون).[٤٦] لقد كان ذلك القصر، يضع أمام المتلقي، نوع من التفكير الشخصي، الذي يسعى إلى التعامل بطريقة الحلول السريعة، التي تقوم على معيار الخشية من تكرار المصير، ومن ثم تدرك آثار تلك الثقافة في آثار شاخصة، وهو ما جعل المتلقي في حال من الانبهار، على الرغم من أن ذلك، قد أدى إلى ضياع الخصوصية الحضارية، التي حوصرت بالفعل الشخصي، الذي يخالف التجربة الإنسانية؛ نتيجة محدودية آثاره، وكان لمثل هذا الأنموذج أن يكون (مصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة الزيارة).[٤٧] كذلك قدم ابن بطوطة عرضا لقصر الكوفة، كان يمثل صمتا للحياة، ونكوصا على ذلك التاريخ، وهو ما بينته مفردات ابن بطوطة الذي ذكره وحده فحسب، مشفوعا بذكر نهر الفرات. قال: (أما قصر الإمارة بالكوفة، الذي بناه سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، فلم يبق إلا أساسه. والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ، في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة، المتصل بعضها ببعض).[٤٨] ولم يكن وصف نهر الفرات هنا، إلا من باب الإحاطة بجغرافية تلك المدينة، التي يتحتم أن تكون مفردة من مفردات رحلاته، أسوةً بغيره مما يذكره الرحالة عند زيارتهم بلدا أجنبيا، ويبدو من وصف الفرات، أنه ينبض بالحياة، بخلاف قصر الكوفة المغتال تاريخيا، ويبدو أن طريقة تحلّق النخيل حول الفرات، بما يساير نبض المجتمع بالحياة؛ نتيجة ما يهبه الماء والنبات. قد جذبت انظار ابن بطوطة لأرض السواد. والذي يفهم من هذه الثنائية (الموت/ الحياة)، كان أهم ما ينبغي التأكيد عليه؛ لأنها تعبر عن مناخات المجتمع، وقد ذكر ذلك الشريف الإدريسي، قائلا: (بين بغداد والكوفة

سواد متصل وأعمال غير متميزة، تخترق إليها أنهار الفرات).[٤٩] لقد عرف عن الإنسان المغربي، ومنهم ابن بطوطة المغربي، أن جغرافية المغرب الإسلامي، كانت تحاصر طموحه الشخصين وطبيعته التواقة للترحال، وأدرك بنحو واضح (أن عليه أن يسعى لرؤية العالم الآخر، عالم المشرق الذي كان مصدر سعادته).[٥٠] ومن هنا فقد عرض لنا ابن بطوطة، موضع قبر أشقى الأشقياء ابن ملجم، كما للتابعي الجليل المختار بن أبي عبيد، رضوان الله عليه؛ ولعل ذلك متابعة منه لتاريخ تلك المدينة، قال: (رأيت بغربي جبانة الكوفة، موضعا مسودا شديد لسواد في بسيط أبيض، فأخبرت أنه قبر الشقي ابن ملجم، وأن أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير، فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام، وعلى قرب منه قبة، أخبرت أنها على قبر المختار بن أبي عبيد).[٥١] واضح أنه يحرز ما لتلك المدينة من معالم، ومنها وصفه للطقوس التي تقام على قبر اللعين ابن ملجم، وهو ما لم يدركه سلفه ابن جبير الأندلسي، كذلك لم يدركه ابناء هذا العصر، وهو ما يؤكد اختلاف الموضعين، لاختلاف صاحبيهما، وهو عندما يذكر أفعال الكوفيين، إنما يرصف أفعال جماعة إنسانية، تعانق ثقافة دينية، دفعتها إلى إشهار مصير ذلك شقي المريد، بعمل يفهم منها طبيعة تفكيرها، وبذلك يقدم ابن بطوطة تلك الصورة، نقلا أمينا من دون تدخل، أو إبداء رأي في تلك الطقوس.

▪ نتائج البحث:

بعد الانتهاء من تدوين مفردات البحث هذا، الذي ركن إلى أدب الرحلات مرجعية، وتعلقت اهدابه برحلتي ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة المغربي، اللتان جرت أحداثهما بين أواسط القرن السادس، حتى الثلث الأول من القرن الثامن الهجريين، اللذان تفردا من دون رحالة الغرب الإسلامي، بوصف مدينة الكوفة الشريفة، ودونا الكثير من المعلومات، التي تخص تلك المدينة، فإن للباحث أن يرصف أهم النتائج التي توصل إلها في يسير دراسته هذه، التي وازنت بين الرحلتين، وبين ما تحمله ذات الغرب الأسلامي تجاه الكوفة، ومن أهم تلك النتائج:

ـ ظهرت صورة الكوفة في وضع مزري إلى حد ما؛ نتيجة ما احتملته من إهمال وتعاقب الأحداث، ولاسيما الأثر السلبي للقبيلة العربية (خفاجة) حينذاك، بما يمثل مرحلة

ضنك فكري واجتماعي واقتصادي، حاصر ذلك المجتمع، ولم تترك كل العوامل مجتمعة، فرصة للكوفة للنهوض حينها.

ـ أما عن مسجد الكوفة المسجد الأعظم في الإسلام، الذي بني بعد المسجد النبوي الشريف، بزمن قليل، فقد حافظ على آثاره وعمرانه، وقد أظهرت الأوصاف التي ساقها الرحالتان، تلك المنزلة الروحية، التي حفظت للمسجد الشريف كينونته، ولم يتخالف الرحالتان في وصفهما كثيرا.

ـ كانت لآثار الأنبياء نوح وإدريس وإبراهيم عليهم السلام، أن تشكل إحدى أهم معالم مسجد الكوفة الأعظم، مع ملاحظة السبق الزمني لتلك الآثار، ولكنها شكلت مهدا روحيا، تأصلت عليه الكينونة الكوفية هناك، على الرغم مما ورد من تهوين غير مدروس في نسبتها للنبوة.

ـ كذلك أدركت مفردات الرحلتين، معالم علوية جليلة بالمسجد، وهي محراب أمير المؤمني علي عليه السلام، وبيته الشريف، وقد بان من الأوصاف المساقة هناك، أن لها منزلة كبيرة في الوجدان المسلم عامة، بحسب صيغة الدعاء على قاتله، كذلك تحديده لمكان المحراب الحقيقي.

ـ وفيما يتعلق بضريح الشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، وبنات الائمة، والمختار بن أبي عبيد، فقد أولى الرحالتان ذكرهما، ولكن بنحو يتضائل بحسب منزلة أصحابها، وإن جاءت مقتضبة بنحو عام، واللافت ذكره هو تحديد قبر ابن ملجم اللعين، وطقس الإحراق عليه.

ـ كان نهر الفرات، يشكل معلما نابضا بالحياة في الكوفة، على خلاف قصرها الذي كان عنوان اليباب، وقد ورد مفردات واصفة في ذلك، بما أظهر عينة من بلاد العراق وقتذاك، و بما يظهر الهوية الحضارية للكوفة، التي تعاشقت فيها هاتان الثنائيتان الرئيستان (الخراب والعمار)، التي شكلتها دهور وأحداث كبرى.

ينظر البحث في صورة مدينة الكوفة، بحسب منظور أدب الرحلات، الذي يعد من الحقول الأدبية، الذي نهض في العصور الأسلامية المتأخرة، ولاسيما ببلاد المغرب والأندلس، و مثل معينا لاينضب للباحثين في العلوم الإنسانية عامة؛ لما احتوته نصوصه

من طريفومثير علاوة على ما ترتسم به رؤى الرحالة المغاربة والأندلسيين، من معطيات جديدة، تشملميادين جغرافيةوثقافية .

وقد نهضت رحلتا ابن جبير الأندلسي (٥٧٨__ ٥٨١ هـ)، وخلفه ابن بطوطة المغربي (٧٢٥_ ٧٤٩هـ)، بنصيب مهم في وصف لمدينة الكوفة، بخلاف الرحلات الأخرى التي لم تذكر هذه المدينة، ومن هنا مثلت مادة أساسية للباحثين، تقدم بدروها نصوصا رحلية،أثارت منذ القدم وإلى عصرنا اهتماما الكثيرين؛ لما تضمنتاه من أسلوب متميز في أدب الرحلات عامة، وما تمنحه من وصف واف،مثل وثيقةمدونةًتصفتلك المدينة العريقة، ومجتمعها، ولاسيما مسجدها العتيق.

وهكذا... فقد خاضت مفردات هذا البحث في تلك الفجاج الادبية، فشرعت بتقديم مفهوم أدب الرحلات، الذي عانى النسيان من قبل الباحثين المعاصرين، إلى الحد الذي حسب على الأدب الجغرافي سهوا وغفلة، بعدها عرضت إلى الموازنة بين وصف الرحالتين الكبيرين، بما اشتملت عليه مفرداتهما من وصف المدينة، ومسجدها، وساكنتها، وقصصا، وما يمكن متابعته من تصوير معبرعنمشاهدات كل منهما، وأدواتهم الأدبية التي عالجت ما شاهداه، وتقديمهم للأحداث التي عاشوه تجربة حقيقية معيشة؛بما تفترضه من تحري صدق المعلومات، وأهمية الوصف الذي يرتقي بمدوناتهم إلى مصاف الأجناس الأخرى من قصة وسيرة شعبية، التي احتوت نسبة عالية من الواقعية، بما يعني أن أدب الرحلة في جوهره، هو صورة من الواقع المحسوس، الذي يزدان برؤى المنشئ وتصوراته، بحسب تجربته المحسوسة في المكان الذي ارتحل إليه. ومنه مدينة الكوفة محل دراستنا، التي توزعت مباحثها، بحسب المشاهد الموصوفة، التي تمت موازنتها أدبيا، عبر معالجة تهدف إلى بيان طبيعة الأسلوب، والنمو العضويللمكان الموصوف، وما يعني ذلك من تعبيرشخصي، يتوخى وقائع شهدها الرحالتان، أو سمعا بها،وأماكن زارها في مسافة زمنية، تقارب القرن والنصف، هي الفاصل بين زيارتهما المهمة.

الهوامش:

[1] بناء الرواية: سيزا قاسم أحمد، الهياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤: ٧٦.

[2] الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: نصر عبد الرزاق الموافي، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٩٩٥: ٤٠.

[3] في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم: عثمان موافي: دار المعرفة الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢: ١٣٣/١.

[4] تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧: ١٣.

[5] التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية: عثمان حشلاف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦: ١٦.

[6] الرحلة العياشية: عبد الله بن محمد العياشي، حققها وقدم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٦: ١١.

[7] الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: باية بن مساهل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٩: ٩٥.

[8] الرحلة العياشية: ١١.

[9] هو بنيامين بن يونة التطيلي النباري، أشهر الرحالة اليهود، غادر سرقسطة في سنة ٥٦١ هـ. أسوة بقومه الذين هجروا الأندلس في القرنين (٦و٧ هـ)؛ نتيجة الضغوط الأسبانية. وطاف الكثير من البلدان التي احتوت الشتات اليهودي، وسجل أماكن الوجود اليهودي فيها، ومفردات حياتهم المحلية، عاد إلى الأندلس في سنة ٥٦٩هـ، وتوفي بها في سنة ٥٨٦ هـ. ينظر: يهود الأندلس والمغرب، حاييم الزعفراني، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠: ٦٧، ويهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي (٩٢ _٨٩٧ هـ): د. هشام فوزي عبد العزيز، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١٥، المطبعة المغاربية للطبع والنشر والإشهار، تونس، ١٩٩٦: ١٠١.

[10] رحلة بنيامين التطيلي: ٣١٣_٣١٤. ذكر محقق الرحلة في هامش الصفحة، قائلا: (يروى أن بعض أثرياء اليهود من بغداد، ومنهم آل نطيرة، كانوا يبعثون مقدارا من المال، يوزع على العلويين وبني هاشم).

[11] هو محمد بن أحمد بن جبير: من أهل غرناطة، كان من عمال السلطان، واكتسب مالا كثيرا . ثم نزع عن ذلك كله، وتصدق بجميع ماله، وزهد في الدنيا، كان من أهل العلم والفضل، والدين والأدب البارع والشعر الفائق، سكن مالقة وأقام بها مدة، ورحل إلى المشرق إلى مات رحمه الله. ينظر: أعلام

مالقة: أبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٩ . ١٣٨.

[١٢] المصدر نفسه: ١٣٨.

[١٣] الرحلة العياشية: ١٢.

[١٤] هو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي المغربي: ولد بطنجة في سنة ٧٠٣هـ، وكان عالما فقيها ناسكا بارا، ولما بلغ ٢٢ سنة، خرج عن مدينته بقصد الحج، فأخذ يتقلب في الأمصار ، توفي في سنة ٧٧٩ هـ. ينظر: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، ط٢، الرباط، ١٩٩٣: ٢/٥.

[١٥] تاريخ الأدب الجغرافي: اغناطيوس يوليانوفيتش: ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧: ٤٥٢.

[١٦] رحلة ابن بطوطة: أكاديمية المملكة المغربية، ط١، الرباط، ١٩٩٧: ١/ ١٤.

[١٧] الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: ١٠١.

[١٨] رحلة ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الأندلسي: دار صادر بيروت، د ت: ١٨٧.

[١٩] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٢٠] الرحلة العياشية: ١١.

[٢١] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٢] في النقد الأدبي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٩٨٨: ١٩١.

[٢٣] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٢٤] مدينة قسنطينة في أدب الرحلات: عبد الحافظ بورايو، رسالة ماجستير في كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧: ١٥.

[٢٥] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٦] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٧] الاغتراب سيرة ومصطلح : محمود غريب، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣: ٤٤.

[٢٨] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٢٩] المصدر نفسه: ٢/ ٥٥. وقد بين السيد حسين البراقي، قائلا: (إن ابن بطوطة شاهد آثارا كثيرة، وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر، ويظهر من كلامه في محراب أمير المؤمنين أنه المحراب الموجود الآن، الذي بجنب المنبر المبني بالجص والحجارة). تاريخ الكوفة:حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧: ٣٨.

[٣٠] تاريخ الكوفة: السيد حسين البراقي، حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧ ٣٨.

[٣١] التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣: ٦٤.

[٣٢] قراءات متعددة للشخصية دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ: روزو ماري شاهين، دار الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٩٥: ٤١.

[٣٣] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٣٤] المصدر نفسه: ١٨٨.

[٣٥] نحن والآخر : محمد راتب الحلاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧: ٥٦.

[٣٦] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٣٧] المصدر نفسه: ٢/ ٥٦.

[٣٨] بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩: ٣٣.

[٣٩] الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: الشريف حبيلة،، عالم الكتب، ط١، عمان، ٢٠١٠: ٢٢.

[٤٠] الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١: ٣٣١.

[٤١] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٤٢] سيميولوجية النص السردي مقاربة سيميائية لرواية الفراشات وغيلان: ذويبي الزوبير، رابطة أهل القلم، ط١، سطيف، ٢٠٠٦: ٢٢.

[٤٣] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٤٤] مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج: كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج، مكتب غريب الفجالة، القاهرة، د ت: ٦.

[٤٥] رحلة ابن جبير: ١٨٩.

[٤٦] أدب الرحلة الأندلسية والمغربة حتى نهاية القرن التاسع الهجري : نوال عبد الرحمن الشوابكة، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨: ١٥٩.

[٤٧] أدب الرحلات: د. حسين محمد فهيم: ١٥.

[٤٨] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٤٩] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٢: ٢/ ٦٦٨.

[٥٠] رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية: د. عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٦: ٢٠.

[٥١] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

▪ مصادر البحث ومراجعه:

ـ أدب الرحلات: د. حسين محمد فهيم: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، الكويت، ١٩٨٩.

ـ أدب الرحلة الأندلسية والمغربة حتى نهاية القرن التاسع الهجري: نوال عبد الرحمن الشوابكة، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨.

ـ الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ٢٠٠٠.

ـ الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، ط٢، الرباط، ١٩٩٣.

ـ أعلام مالقة: أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

ـ الاغتراب سيرة ومصطلح : محمود غريب، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣.

ـ بناء الرواية: سيزا قاسم أحمد، الهياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

ـ بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩.

ـ تاريخ الأدب الجغرافي: أغناطيوس يوليانوفيتش: ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧.

ـ تاريخ الكوفة: السيد حسين البراقي، حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧.

ـ تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧.

ـ التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية: عثمان حشلاف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.

ـ التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

ـ رحلة ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، أكاديمية المملكة المغربية، ط١، الرباط، ١٩٩٧.

ـ رحلة ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الأندلسي: دار صادر بيروت، د ت.
ـ رحلة بنيامين التطيلي: تقديم د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٢.
ـ رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية: د. عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٦.
ـ الرحلة العياشية: عبد الله بن محمد العياشي، حققها وقدم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٦.
ـ الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: نصر عبد الرزاق الموافي، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٩٩٥.
ـ الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: الشريف حبيلة، عالم الكتب، ط١، عمان، ٢٠١٠.
ـ سيميولوجية النص السردي مقاربة سيميائية لرواية الفراشات وغيلان: ذويبي الزوبير، رابطة أهل القلم، ط١، سطيف، ٢٠٠٦.
ـ في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم: عثمان موافي: دار المعرفة الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢.
ـ في النقد الأدبي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٩٨٨.
ـ قراءات متعددة للشخصية دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ: روزو ماري شاهين، دار الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٩٥.
ـ مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج، مكتب غريب الفجالة، القاهرة، د ت.
ـ نحن والآخر: محمد راتب الحلاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.
ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٢.
ـ يهود الأندلس والمغرب، حاييم الزعفراني، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

❖الرسائل والبحوث الاكاديمية:

ـ الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: باية بن مساهل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٩.

ـ مدينة قسنطينة في أدب الرحلات: عبد الحافظ بورايو، رسالة ماجستير في كلية الىداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧.

ـ يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي (٩٢ _٨٩٧ هـ): د. هشام فوزي عبد العزيز، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١٥، المطبعة المغاربية للطبع والنشر والإشهار، تونس، ١٩٩٦.

حقوق المواطنة في فكر الإمام علي وتطبيقاتها العملية خلال حكمه في الكوفة

د. محمد علي محمد رضا الحكيم
مركز دراسات الكوفة- جامعة الكوفة

المقدمة:

كان موضوع حقوق المواطنة محطة مهمة من محطات نظر الفكر الإنساني في مراحلة المختلفة، فقد بحث الإغريق هذا الموضوع وكانت لهم وجهات نظر طريفة ومتباينة، واستمر البحث في هذه القضية الحيوية إلى يومنا هذا.

وكان على الإسلام كدين شامل لكل نواحي الحياة الإنسانية أن يعطي تصورا ينسجم مع رؤيته الشاملة للخالق والكون والإنسان، وقد أطرها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في مضامين الصحيفة المسماة (وثيقة المدينة)، التي كانت بمثابة الدستور الذي حدد الحقوق والواجبات لمواطني الدولة الإسلامية. وقد عبرت هذه الصحيفة عن رؤية متقدمة وغير معهودة في المجتمع العربي قبيل نزول الرسالة الإسلامي.

وكانت تجربة الإمام علي صلوات الله عليه عند تسلمه خلافة المسلمين للفترة الممتدة بين عامي (٣٥-٤٠) هجرية، هي الأخرى تجربة غنية ومميزة في تأريخنا الإسلامي، فهي غنية في مجال التنظير الفكري القيمي والحقوقي، كما أنها غنية من حيث الممارسة العملية الفعلية لقيادة المجتمع الإسلامي في مرحلة عصيبة وحرجة، إذ جاءت عقيب الثورة على عثمان بن عفان، بعد أن سلط خلال حكمه أقربائه من بني أمية على رقاب المسلمين، وأخذوا يتصرفون في أموال المسلمين بما يرضي أهوائهم، ومن هؤلاء عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعبدالله بن أبي سرح وغيرهم. فاختلت بذلك الأسس القيمية والنظم الحقوقية في المجتمع الإسلامي. وما نتج عنها من فتنة تصدع على اثرها الكيان السياسي الإسلامي، ونشوب ثلاثة حروب داخلية هي: حرب النهروان والجمل وصفين. فتركز اهتمام الإمام عند توليه قيادة المجتمع الإسلامي -على الرغم من تلك الاضطرابات- في إعادة إحياء القيم الإسلامية التي أرسى دعائمها النبي الكريم، وتثبيت صيغه الحقوقية كما أقرها الإسلام.

وهي من جانب آخر مميزة لما تمثله شخصية الإمام في واقع العالم الإسلامي، إذ هو ربيب النبي وخليفته لدى عامة المسلمين، وهو الإمام المعصوم المفترض الطاعة لشيعة أهل البيت عليهم السلام؛ ومن هنا كان لقوله وفعله وتقريره على حد تعبير الفقهاء بعدا تشريعيا مهما في أدبيات الفكر الإسلامي عموما.

إن البحث عن موضوع حقوق المواطنة لدى الإمام فهو بحث شيق وعميق، تتداخل فيه الأقوال والأفعال، وتتجانس فيه العقائد والمواقف. والأسئلة التي تستوجب الإجابة عنها هي: هل يمكننا أن نعثر على متبنيات لحقوق المواطنة في أقوال الإمام؟ وإن كانت كذلك فهل التزم بها الإمام كمبادئ عمل في سيرته العملية؟ وإن صح ذلك فهل اعتمدت كمنهج عمل للدولة حين أصبح على قمة الهرم السلطوي؟ ومن ثم أيمكننا الادعاء بأن الإمام ليس كآخرين، الذين إذا قالوا نقضوا وإذا عاهدوا نكلوا. بل تبدو سيرته بقوله وفعله وتقريره مزيجا واحدا يعكس صورة من صور الكمال المتفرد، والتمسك المعصوم بثوابت الشرع الذي يعز فصله ويستحيل نقضه، مهما جاءت النتائج وغلت التضحيات؟

وتتوفر الدراسة على مبحثين، الأول تناول لمحة عن حقوق الإنسان على مدى التاريخ الإنساني، بدءا من الفكري الشرقي القديم في الصين والهند حتى بلاد الرافدين ووادي النيل، وشملت الأديان السماوية الثلاث. أما المبحث الثاني فقد ركز على استعراض حقوق الإنسان عند الإمام علي (ع) وتطبيقاتها العملية في ضوء تسلمه قيادة الدولة الإسلامية.

المبحث الأول: لمحة في تاريخ حقوق الإنسان

أولا: الحقوق الإنسانية في الفكر الشرقي القديم

قبل أن نقلب صفحات التاريخ البشري من أجل التنقيب على بعض الإشارات في أقوال وأفعال الماضين مما يتعلق بحقوق الإنسان، لابد أن نحدد مفهوم الحق والمقصود من حقوق الإنسان. (يعرف القانونيون الحق بأنه الرابطة القانونية التي بمقتضاها يخول لشخص على سبيل الانفراد والاستئثار التسلط على شيء أو اقتضاء أداء معين من آخر. ويقسمون الحقوق إلى سياسية ومدنية. والحقوق المدنية إما عامة وهي الحقوق

اللازمة للفرد كحماية شخصه وكفالة حريته، وإما خاصة وهي حقوق الأسرة والحقوق المالية)[١].

ولو عدنا إلى التاريخ للبحث عن بعض المؤشرات لاحترام الحقوق الإنسانية، لوجدنا أن البوذية وهي العقيدة الثانية من حيث الانتشار في الهند، وقد تجاوزت حدودها مولدها إلى الدول المجاورة. والواقع أنها مثلت ثورة على العقيدة الهندوسية التي أقرت نظام الطبقات، إذ لا فرق بين إنسان وإنسان آخر، وان الطبيعة في الأصل فارغة، وهذا يزيل عن البشر كل أصناف الحواجز فيما بينهم، ويجعل من أحقر الديدان قرين للأدميين؛ ولذا جاءت تعاليمها عامة لجميع الطبقات والشرائح، لا فرق بين الأمير والفقير ليس في الجسم فحسب بل بالروح أيضا، وهي للمرأة كما للرجل، ولو كان هناك انقسام فعلي لبني البشر، فهو على أساس الصلاح فهناك فريق صالح وآخر شرير. وقد نسبوا إلى بوذا وصايا هي في مجملها قضايا أخلاقية ذات صلة بالمثل العليا للحق الإنساني، كرفض القتل والسرقة وحرمة السكر والعلاقات الجنسية غير المشروعة. ولكن تعاليمها الأولى شوهت وزيد عليها فيما بعد حتى أصبحت لا تختلف كثيرا عن التعاليم الهندوسية التي ثارت عليها[٢].

أما في الصين فتتجلى العقيدة الكونفشيوسية التي تدعو إلى الأمن والسلام والإخاء بين الناس كافة. وفي هذا الصدد تؤكد على أن الحل الوحيد لإصلاح المجتمع يكمن في إصلاح الحكم، ولا يتحقق ذلك إلا من قبل حكام يستعينون بوزراء وإداريين مستنيرين ومتحلين بأخلاق فاضلة. وفي هذه الحالة يملك الملوك ولا يحكمون، لأنهم يتركوا شؤون الحكم لأولئك الوزراء الذين عليهم أن لا يداهنوا الحاكم أو يخدعوه، ولهم أن يعارضوه علنا اذا اقتضى الأمر، لان إساءة الحاكم مع عدم وجود الناصح يؤدي لا محالة إلى الثورة وتدمير الدولة. وبهذا المعنى كان كونفشيوس يؤمن بالنظام الطبقي، إلا أن الانتماء إلى طبقة معينة يكون بموجب كفايته الشخصية التي تتحدد من علمه وحكمته وأخلاقه الفاضلة وليس بموجب الإرث الأسري، وبالتالي فان انتشار التعليم كفيل بتحقيق التوافق الاجتماعي والقضاء على الفوارق الطبقية[٣].

واذا ساد التماثل الاجتماعي حينئذ يصبح مجمل العالم جمهورية واحدة، يختار فيها الناس حكامهم من ذوي المواهب والفضائل، ويعملون على تدعيم قواعد السلم الشامل. وفي هذه الحالة تتوسع العلاقات الاجتماعية حتى تكاد لا يرى فيها الأفراد أن آباءهم من ولدوهم دون غيرهم ولا أبناءهم من ولدوا لهم، وإنما يسعون إلى تهيئة سبل العيش للجميع من دون استثناء، فيتكفلون بالمسنين حتى يستوفون آجالهم، ويهيئون سبل النماء للصغار والعيش الكريم للأرامل والأيتام والمقعدين من المرضى. هناك فقط يكون لكل إنسان حقه، وتصان شخصية المرأة فلا يعتدى عليها(٤).

فالعقيدة الكونفشيوسية التي ما فتأت تؤكد على التمييز بين البشر، غير أن ذلك لم يستدعي لديها التقسيم الطبقي على أساس الوراثي، وإنما يقوم على التعرف على الإمكانات الحقيقية للبشر، والاستفادة منها لقيام مجتمع إنساني شامل وفق التصور الاشتراكي.

ودعا زرادشت إلى تحقيق العدل بين الناس ووضع الفواصل بين الحقوق والواجبات للفرد والجماعة واحترامها. وكان ينادي بتحقيق المعروف واجتناب الشرور التي هي برأيه الجهل والفقر والظلم والبغضاء، التي هي عقبات في طريق سعادة الإنسان. ويعتقد أن العلم يرفع من مرتبة الإنسان، لأن من يمتلك زمامه يصبح بإمكانه نشر الفضيلة بين الناس، فيخدم نفسه وبلده، وليس ذلك فحسب وإنما يرضي ربه أيضا. كما أن الإحسان إلى المحتاج هي أهم فضيلة يكتسبها الإنسان، ذلك لأن مساعدة الفقير البائس تساهم في إقامة إرادة الإله في الدولة، وتكسب صاحبها القرب منه. ولكن عندما اعتلى الأكاسرة عرش فارس تغيرت النظرة إلى عامة الناس وحورت العقيدة الزرادشتية فأقروا نظام الطبقات(٥).

وينقل أن الكتب الزرادشتية القديمة كانت تتضمن أجزاء مخصصة للشريعة والقانون، تتناول الجرائم التي ترتكب تجاه الدولة، الملك، الجار ..الخ. ولكن الامتهان والتعذيب من اجل الاعتراف بالذنب وإظهار البينة يبدو أنها كانت أمرا مألوفا عند الساميين(٦).

ولعل اشهر ما وصلنا من قوانين تتعلق بالحقوق في العصور القديمة كانت شريعة حمورابي، التي يبدو أنها كانت نسخة مطورة عن الشرائع السومرية السابقة بما يتناسب

مع ذلك العصر. وكان حمورابي قد سطر في مقدمتها: حمورابي الملك الكامل أنا، من أجل البشر الذين منحهم الرب إنليل وولاني رعايتهم مردوك، لم أكسل ولم أقعد مكتوف اليدين، بحثت لهم عن مواقع الخير، فرجت الضيق عنهم، نشرت النور فوقهم،....أؤمن لهم العيش بسلام، وأطمئن عليهم في أعماق معرفتي، لا أسمح للقوي يسلب حق الضعيف، أضمن حق الأرامل واليتامى في بابل التي رفع كل من الاله آنو وإنليل رأسها عاليا في اسانجيلا، البيت الأزلي ثابت الأركان مثل السماء والأرض، من أجل تثبيت حقوق البلاد وتقرير مصيرها، وإعادة الحق إلى أهله، كتبت كلماتي العذبة هذه أمام صورتي كملك يقيم العدل، الملك الشامخ بين الملوك[٧].

ومن الأحكام التي تضمنتها شريعة حمورابي أن العين بالعين والسن بالسن. ومن بينها عقوبات تتعلق بالسرقة والنهب والاغتصاب، والاعتداء على الوالد، واختلاس الساحر لأموال الناس والإضرار بهم. وأكدت حقوقا للمرأة حين وضعت عقوبة للشخص الذي يرمي امرأة بالفحشاء ولم يثبت عليها ذلك، كما حددت عقوبة الشخص الذي يدلي بشهادة كاذبة تتعلق بتهمة القتل. وتنظم شريعة حمورابي ظاهرة الرق في المجتمع البابلي، ففيها فقرات تفصل حدود الرق حقوقهم وواجباتهم[٨].

وفي الحضارة المصرية القديمة كانت كثير من المثل المرتبطة بحقوق الإنسان تقدم من المعلمين والحكماء في اطار التربية والتعليم إلى الناشئة على قطع من الخزف والحجر الجيري. وكشفت تعاليم اخناتون الذي قال بنوع من التوحيد عن دعوة إلى السلام والتسامح والمساواة. فالإله الواحد لا يتجلى في الوقائع الحربية ولا في الانتصارات وإنما في الزرع والخصب. وطالب بتوفير العلم للجميع من دون تمييز. كما ألغى المراسيم والتقاليد الملكية الخاصة بالفراعنة، وأكثر من ذلك نزل إلى الطرقات مع عائلته كسائر أفراد المجتمع[٩].

يظهر مما تقدم أن هناك إضاءات إنسانية متطورة ظهرت في مراحل تاريخية مبكرة، وعبرت من دون شك عن مؤشرات تقدير للحقوق الإنسانية، وان اختلفت في مستوياتها وفي توجهاتها. ولكن المعيار الفعلي والحقيقي الذي يحكم على تلك التجارب ويقيمها سلبا وإيجابا ، لا يتعلق بقيمة الفكرة ومدى ترابطها المنطقي والعقلي، فالمحك الأساسي

لها يكمن في مدى انعكاسها على ارض الواقع، وبروزها كقيم حاكمة على البشر سواء كانوا في السلطة أم خارجها. نعم هي في مجال التقييم الأخلاقي يمكن أن تجد لها محلا فيه، أما في مجال الممارسة العملية فهي ليست حاكمة ولا محددة للنشاط الإنساني. ولو نظرنا إلى شريعة حمورابي على سبيل المثال لوجدنا أنها في الحقيقة (ليست شريعة بالمعنى المعتاد للكلمة. إذ هي لا تحاول أن تغطي جميع الحالات الممكنة، فكثير من الحالات المحذوفة ذات أهمية عظيمة، ومحاولات تنظيمها قليلة جدا...تتألف هذه القوانين ظاهريا من سلسلة مختلطة من القرارات اتخذها قضاة في حالات مستقلة. وليس هناك ما يدعو للافتراض بأن لهذه القرارات أية سلطة كحجج قانونية ملزمة لأحكام تالية كما في القانون الإنكليزي...ولم يكن النص المكتوب للقانون ملزما ولا بأي معنى من المعاني، وإنما كان مجرد مذكرة تسجل قرارا يعتمد على المفاهيم البابلية للعدل) [١٠]. ولو قلنا أن هذا الحكم فيه نوع من التعسف ، إذ كيف يتسنى للفكر الإنساني في تلك المرحلة التاريخية إحصاء جميع الحالات وتغطيتها قانونيا؟! كما أنه ليس صحيحا مقارنة التزام القضاة بمقتضى نص القانون بين مرحلة شريعة حمورابي والقانون الإنكليزي الذي حظت فيه البشرية بمستوى تطور ملحوظ لا يمكن قياسه بتلك المرحلة. ومع ذلك يمكن القول أن الإنسان يميل إلى الحقوق بشكل فطري، فالعدالة نابعة من الذات الإنسانية وان المساواة قائمة على أساس الفطرة، فلا خلاف في ضرورة العدل، ولم يشاهد طوال التاريخ دكتاتورا أو متعسفا رفع شعار أنه جاء من أجل الظلم والجور، ولم يجرؤ حتى الجبابرة والفراعنة على الإعلان الصريح عن معارضتهم للمفاهيم الراسخة في ضمير الإنسانية كالعدل والحرية، وإنما يزعم الجميع أنهم يهدفون إلى إقامة العدل ورفع الظلم، على الرغم من أنهم عملوا على ترسيخ كل ما يناقضها[١١]؛ والنتيجة التي أريد أن أتوصل إليها هي أن ما شهده الشرق القديم بل العالم أجمع من تسلط الدكتاتوريات والفراعنة طوال التاريخ، وما شهده من امتهان لحقوق الإنسان وكرامته كان يجري تحت عناوين الحق والعدل والمصالح العليا للبلاد وما إلى ذلك من خلال إفراغها من محتواها الحقيقي. وإن الظهور الحقيقي لمفهوم الحقوق والحريات كان في العصر الحديث بعد أن شهد الغرب ثورات كبرى، نتجت عنها تحديد سلطة الحكام

ووضعها تحت الرقابة الصارمة. ولذا فان كل ما سبق قوله من مفاهيم سامية تتعلق بالحق الإنساني، فإنها كانت حقائق أخلاقية ومثل سامية تطمح إليها النفوس السليمة، ولم ترق إلى أن تكون ممارسات فعلية إلا في أوقات قليلة أو ربما نادرة بالقياس إلى عموم التاريخ الإنساني.

ثانيا: الحقوق الإنسانية في الأديان السماوية

هناك فارق أساس في مصدرية الحقوق بين الرؤية الدينية والرؤية الوضعية. ففي الوقت الذي تستمد الأديان الحقوق من شرائعها، فنصوص الشريعة وقواعدها الكلية هي التي تقرر الحقوق للإنسان. والشريعة وفق هذا المنظور هي أساس الحق ومصدره، وهي سنده وضمانه وجوده في المجتمع. في حين أن الرؤية الوضعية تجعل من الحق أساسا للتشريع، أما مصدره فهو تصور مفكر أو قرار لحاكم أو فلسفة جماعة معينة. ومهما كانت الأسس الحقوقية فطرية ونابعة عن طبيعة الإنسان إلا أن تفاصيلها وتفرعاتها ومصادقيها ليست كذلك، إذ هي خاضعة لخصوصيات الزمان والمكان؛ وبالتالي فإن معيارية الحقوق في التصور الوضعي نسبي، وقابل للتغير بحسب الزمان والمكان، وباختلاف الميراث الثقافي للجماعة الإنسانية، بل قد تنقسم الجماعة على نفسها بالرؤية للحق، ومن ثم يلجأ إلى مبدأ الأكثرية في تحديده، بخلاف الشريعة الدينية فإن الاعتقاد بربانيتها والإيمان بذلك، يخضع الجميع للحقوق المقررة فيها.

فالقوانين العبرية تضاد القوانين السابقة، فبينما كانت القوانين الحيثية وقوانين بلاد ما بين النهرين علمانية بطبيعتها تدون قرارات المشرعين أو مراسيم الملوك، كان يعتقد العبرانيين يعتقدون أن الله نفسه يملي عليهم القوانين، والتي تبدي انسجاما مع مطالب الدين العبري، وتلك طبيعة أخلاقية ثابتة مفقودة لدى تشريعات الشعوب المحيطة بهم. القوانين العبرية مأخوذة من أسفار العهد القديم المعروفة عند اليهود بالتوراة (القانون)، وإن الأقسام الأكثر قدما للقوانين تعود إلى عهد موسى (ع)، حينها كان العبرانيون مجموعة من القبائل الرحّل وكان عليها أن تكتسب وجودا مستقرا من خلال تشكيل دولة، ثم أضيفت إليها قوانين جديدة خلال مرور السنين، كما أعيد تفسير القوانين القديمة[١٢].

لقد أشارت تلك الشرائع إلى الأحكام المتعلقة ببعض القيم الأخلاقية في تنظيم العلاقات الإنسانية وفرض العقوبات على المتعدي بما يتناسب وأسس العدل، حيث أقرت القصاص فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن وكذا اليد والرجل والكي والجرح والرض. وميزت التشريعات بين الفعل المتعمد عمن سواه، والتعدي المؤدي إلى القتل عن سائر الضرر، وتناولت عقوبات الاعتداء على الوالدين أو العبيد ، حتى الجنين الذي لم يولد بعد، وفصلت موقف ولي الدم وكيفية أخذ القصاص من الجاني والأداة التي تستخدم في القصاص، وشملت بعض فقراتها اعتداء الحيوانات ومحاسبة مالكيها[١٣]. وثبتت كيفية الشهادة أمام القضاء وحدودها، وحرمة الكذب وشهادة الزور والرشى[١٤].

أضف إلى ذلك نجد أحكام نلمس منها شيئا من الحقوق الإنسانية، مثل اللوم الموجه إلى الغني والمقتدر اللذين يضران الفقير ويسيئان استعمال ما أوتيا من سلطة، وتدعو إلى الرأفة والرحمة بالفقراء والدخلاء ودفع استحقاقاتهم. فقد ورد في سفر التثنية لا تهضم أجرة الفقير والدخيل الذي يعمل في الأرض، وأنه إذا نسيت حزمة من حصادك فلا ترجع عليه، وإن فرطت الزيتون أو الكرم في حقلك فلا تراجع ما بقي منه؛ لأنه من حصة الغريب واليتيم والأرملة. [١٥]

غير أن التشريع التوراتي تطور على أيدي الربانيين المنتسبين لليهود، ويمكن أن نلمس ذلك في كتاب التلمود وهو الكتاب المعتمد أكثر من التوراة لدى أتباع الديانة اليهودية، وفيه جرى التفريق بين اليهودي وغيره من البشر، فجسد اليهودي يختلف كليا عن أجساد الآخرين من حيث أكلهم وشربهم وطينتهم، وما يصح على الجسد (المادة) يصح على النفس (الروح)، إذ أن أصل أرواح سائر شعوب العالم هو من طبقات النجاسات الثلاث بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وهو شعب الله المختار. واستنتجوا من ذلك أن روح اليهودي تستحق الحياة، فيما أن أرواح الآخرين لا تستحق ذلك، لان روحهم ليست ذات قيمة إلا كقيمة أدنى الحيوانات كالخنزير، ولذا فسر قوله لا تقتل إنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل، وأصبح من العدل أن يقتل اليهودي الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل الشعوب

التي سكنت أرض كنعان ولابد أن يقتلوا عن آخرهم، ومن قتل مسيحيا أو أجنبيا أو وثنيا يكافأ بالفردوس[١٦]. وأضحت أحكامهم التشريعية تأمروهم بحروب إبادة، يقتل فيها جميع من تقع أيديهم عليهم من الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم. لقد نذر بنو إسرائيل لله تعالى إذا حقق لهم طلباتهم أن يبيدوا جميع الشعب والمواشي، ولم يرد أنهم سعوا إلى إصلاح أعدائهم أو التفاوض معهم في شؤون الصلح[١٧].

وكرست المسيحية جل اهتمامها في الاعتناء بالحياة الروحية للإنسان، وكان ذلك على حساب تنظيم الحياة الاجتماعية، التي اقتصرت فيها على جوانب ضيقة تتعلق بطقوس الزواج والطلاق وإجراءات الصلح وما إلى ذلك. ويرجع السبب في هذا القصور إلى كون المسيحية قد ظهرت في محيط اجتماعي انتشرت فيه الشريعة اليهودية أو العهد القديم كما يطلق عليه المسيحيون. ويعتبر العهد القديم بالإضافة إلى العهد الجديد الذي سطر ما يتعلق بتعاليم السيد المسيح، الكتاب المقدس للديانة المسيحية ومصدرا لإيمان النصارى[١٨]. فعلى الرغم من (أخذ المسيحية بالشرائع اليهودية التوراتية في طقوس العبادة وغيرها، إلا أن الدافع إلى قيام المسيحية كان دينيا خالصا غرضه تحقيق الخلاص الذي تنشده كل الديانات، ومقت سلوك اليهود وتصرفاتهم، فكانت صورة الخلاص المنشودة تتمثل بمجموعة من القيم الإنسانية والمثل العليا تضمن الحقوق الإنسانية والحريات للجميع) [١٩].

لقد قدست المسيحية الإنسان ووضعته في مكانة مميزة لم تضعه فيها أي من الديانات السماوية السابقة أو اللاحقة لها، أي الديانة اليهودية والديانة الإسلامية. فإن الإنسان في العقيدة المسيحية، هو صورة لله رب الكون، وهذا ما يجعله مميزا عن باقي المخلوقات سواء من حيث التكوين، أو من حيث الدرجة أو المنزلة التي من المفروض أن يتمتع بها لأنه مخلوق مبارك ذو شأن وقيمة عليا. ولما كان الأمر كذلك، فإن الإنسان ينفرد بالتمتع بالكرامة الإنسانية التي تتأصل فيه ولصيقة بشخصه لمجرد كونه إنسانا، مهما كان جنسه أو لونه أو عرقه.... وما إلى ذلك. ومن هنا نجد أن الكرامة الإنسانية في المسيحية هي خصوصية أو ميزة عالمية يتسم بها جميع أعضاء الأسرة البشرية، وهذا ما يذكرنا بالفقرة الأولى من ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[٢٠].

لكن إضفاء صفة (المحورية) على الأنسان مبدأ فلسفي قديم أكدته الأساطير الإغريقية القديمة، إذ تدور حركة الإلهة وحوادث العالم حول محور الإنسان ورغباته، واعتمده سقراط والمذاهب الفلسفية التي جاءت بعده، ثم تسلل هذا اللون من التفكير إلى المسيحية الأوربية، فحلت محورية الإنسان بدلا من محورية الله، وأصبح (الله) على وفق هذا التصور في خدمة الإنسان وحاجاته. إن تصور الذنب على أنه أمر فطري في الإنسان، والاعتقاد بضرورة النجاة منه، أديا إلى ظهور آلية لاهوتية توجب تضحية الرب الذي تحول إلى إنسان في هيئة السيد المسيح. وهكذا أضحى الرب في خدمة الإنسان. وبهذه الطريقة حلت محورية الإنسان الغربية محل محورية الله التي هي مبدأ الدين السامي(٢١).

ثم أن الكنيسة المسيحية كانت في بداية الأمر محامية عن حقوق المظلومين والمهمشين، حاملة بذلك إلى الحضارة الغربية بوادر قانون حقوق الإنسان. وقد ذهب القديسون إلى القول أن الحاكم مكلف بمراعاة القوانين الإلهية لأنه يتلقى سلطانه من الرب، فاذا ما خرج عن تلك القوانين فأنه سوف يخرج عن سلطان الرب ولا يمثل إرادته، فيصبح حاكما جائرا تسقط طاعته وتجب مقاومته وعزله. وعندما قويت شوكة المسيحيين في الدولة الرومانية بعد أن كانوا مستضعفين فيها، اتخذوا موقفا حاسما في حقهم بمقاومة الطغيان ونجحوا في ذلك واستقامت الأمور لهم بعد أن تحولت روما إلى الديانة المسيحية. ولكنهم تنكروا لما دعوا إليه في بداية ظهور المسيحية من الحرية والإخاء، واعتبروا حق الغير في الاعتقاد باطلا يجب مقاومته واضطهدوا كل من يخالفهم الرأي(٢٢). وكان مما يميز العصور الوسطى التي ظهرت فيه الكنيسة كقائد للمجتمعات الغربية، هو الانقسام الحاد إلى ثلاث طبقات، ولكل طبقة عدة درجات، فكان البون شاسعا بين الناس والخضوع هو القاعدة العامة. ومن مخلفاته ظهور محاكم التفتيش التي عملت على نشر المذهب الكاثوليكي واضطهاد الفئات والمذاهب والأديان المخالفة له. كما شهد التاريخ الحروب الصليبية وممارساتها الشنيعة تجاه الأسرى والأطفال والنساء. (٢٣)

أما في الإسلام فأن الشريعة أساس الحق ومصدره، وهي ربانية ومتعالية على حدود الزمان والمكان، وهي أمانة في عنق الناس عليهم رعايتها والتمسك بها. وقد أكدت على كثير من القضايا التي ارتبطت بحقوق الإنسان. فالإنسانية كلها ترجع إلى اصل واحد، (يأيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء..النساء:١)، وان هذا التنوع والاختلاف بين الناس مدعاة للتواصل والترابط، وأن لا مزية لبعضكم على بعض إلا بالتقوى، فطاعة الله والقرب منه هو معيار التفاضل فيما بينكم ، (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم.. الحجرات :١٣). ولا يجوز التعدي على حياة الناس، (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.. الأنعام: ١٥١)، كما أن الجزاء مقرر لمن ينتهك هذا الحق، (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ..البقرة:١٧٨). وحق التكافل منصوص عليه، (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم..المعارج:٢٥، ٢٤) [٢٤].

ولا مجال للتسلط في الإسلام، فبعد أن استبعد استعلاء العرق والجنس والطبقة، استبعد (الكهنة) أيضا، فلم يعرف المجتمع الإسلامي طبقة (رجال الدين) تحوطهم العصمة ويزعمون لأنفسهم صلة بالله غير سائر البشر، ويدعون ترفعا عن شئون الدنيا وعامة الناس. إلى جانب ذلك لم يتخذ الإسلام موقفا معارضا ضد الديانات الأخرى، (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ويخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين..الممتحنة:٨)، ولذا ظل أتباع الديانات محتفظين بعقيدتهم وطقوسهم ويتمتعون بعلاقات طبيعية مع أفراد المجتمع الإسلامي، عدا أولئك الذين يتخذون موقفا عدائيا تجاه المجتمع الإسلامي، (إنما ينهاكم الله عن الذي قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون..الممتحنة:٩) [٢٥].

غير أن مراجعة بسيطة للتاريخ الإسلامي تكشف أن القيم الإسلامية سرعان ما تبدلت، وأن معاوية والأمويين لما هيمنوا على مقدرات الأمة الإسلامية، ابدلوا مقوماتها التي قامت عليها كالتراحم والأخوة الإيمانية وإنكار الذات، لتظهر محلها روابط النسب وتعلو

نعرة العصبية العربية، والتعالي على باقي الأجناس بل وتفضيل العرب بعضهم على بعض. كما أنهم غيبوا الأسس التي قامت عليها الخلافة، ولذلك أتهموا أنهم طغاة مستبدون سلبوا الحكم ووأدوا الشورى، وجعلوا الخلافة ملكا، وأقصوا الموالي وجعلوهم بمنزلة الأرقاء وسفكوا الدماء وانتهكوا المقدسات ولم يرعوا الحرمات[٢٦].

وبذلك كان أغلب المسلمين ينظر إلى الأمويين على أنهم مغتصبين وغير أهل لمركز الخلافة الروحية والزمنية، وكان من جانب الأمويون أن تكون لهم (عقيدة تسند حكمهم إلى جانب القوة، ولم تكن هذه العقيدة أو الأيديولوجية بمعنى أدق إلا الجبر، فما من عقيدة تمسك زمام الأمر وتصرف الناس عن الثورة عليهم وعلى ولاتهم مثل عقيدة الجبر، إن وصولهم إلى الحكم وأعمالهم ليست إلا نتيجة لقدرة من الله قد قدر) [٢٧].

المبحث الثاني: حقوق المواطنة عند الإمام علي

جاءت خلافة الإمام علي في ظروف عصيبة مرت بها الأمة الإسلامية، حيث شهدت ثورة عارمة اشتركت فيها مختلف الأمصار، حين قدمت وفودها إلى المدينة لتعبر عن سخطها على الخليفة عثمان الذي لم يف بمسؤولياته في إقامة العدل، فقتل على أثرها الأمر الذي احدث فتنة عمياء هزت كيان الأمة الإسلامية ، وكانت بمثابة الزلزال الذي أضعف أساسات البناء السياسي الإسلامي، وبالتالي كان من العوامل التي عجلت بأنهاء مرحلة الخلافة باستشهاد الإمام ثم تسلط بني أمية على الدولة الإسلامية[٢٨].

إن تلك الظروف المضطربة والملابسات التي أحاطت بخلافة الإمام، قد سلطت الضوء على عظم شخصية الإمام وثراء سيرته، فكانت المشكلات الكبرى والصراعات العنيفة التي حلت بالأمة الإسلامية تتطلب قرارا حاسما وموقفا صلبا، لا يقوم به إلا الأفذاذ من الناس، وكشفت عن سيرة ثرية تبدت فيها القرارات والمواقف كمنار تضيء الطريق لمن جاء بعده، ينهل منها ما شاءت قدرته وموهبته الاستفادة من ذلك المنهل الرحب والعطاء الثر.

كما أن شخصية الإمام قد أحيطت بهالة قدسية نادرة، وجد فيها الأبعدون صوتا للعدالة الإنسانية، ولمس فيها الأقربون صحابيا جليلا زق العلم من صاحب الرسالة الأعظم،

منذ أن ربّي في حجره إلى خليفة لأمته، وتمسك بها الأدنون لأنها طهرت من الجليل الأعلى الذي أراد لها أن تكون هاديا لرسالته ومنارا لبلاده.

أما البحث عن موضوع حقوق المواطن لدى الإمام فهو بحث شيق وعميق، تتداخل فيه الأقوال والأفعال، وتتجانس فيه العقائد والمواقف. والأسئلة التي تستوجب الإجابة عنها هي: هل يمكننا أن نعثر على متبنيات لحقوق الإنسان في أقوال الإمام؟ وإن كانت كذلك فهل التزم بها الإمام كمبادئ عمل في سيرته العملية؟ وإن صح ذلك فهل اعتمدت كمنهج عمل للدولة حين أصبح على قمة الهرم السلطوي؟ ومن ثم أيمكننا الادعاء بأن الإمام ليس كآخرين، الذين إذا قالوا نقضوا وإذا عاهدوا نكلوا. بل تبدو سيرته بقوله وفعله وتقريره مزيجا واحدا يعكس صورة من صور الكمال المتفرد، والتمسك المعصوم بثوابت الشرع الذي يعز فصله ويستحيل نقضه، مهما جاءت النتائج وغلت التضحيات؟

أولا: الحقوق المدنية

-حق العمل والملكية الخاصة:

مع أن الإمام كان يستشف من بعض حديثه تلك النظرة الدونية إلى الحياة، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأكيد على أهمية العمل والكسب ورفض الرهبانية والاقتصار على العبادة، فهو (ع) يأمر واليه ب(استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصي بهم خيرا،...فأنهم مواد المنافع) [٢٩]. ولم يكتف بالحث على العمل الذي ينفع الجماعة ورعاية العاملين، ولإعلاء من شأن هذا العمل ، اشترط ألا يجبر العامل على عمله، فالعمل الذي لا يواكبه رضا وجداني عميق من قبل العامل، فيه إساءة للحرية والعمل نفسه؛ وإنصافا للشخص يحرم إكراهه على عمل من غير مبرر، كما لابد أن تكون ثمرة العمل من حق العامل وحده[٣٠]. وكمثال تطبيقي على ذلك نذكر أهل القرية الذين طلبوا من حاكمهم إعادة فتح مجرى نهر سابق قد اندثر، وذلك بأمر القادرين على العمل بالسخرة، ولكن الإمام رفض ذلك، وطلب منه، أن يدعو الناس إلى حفر النهر، ثم يكون الأجر والنهر فيما بعد لمن عملوا بمليء إرادتهم[٣١].

ولا تعني حرية العمل عند الإمام أن يكون السوق مفتوحا على مصراعيه لجشع بعض التجار، كما هو حال السوق في الدول الرأسمالية، وإنما لابد للدولة من مراقبة حركة السوق، وتنظيمها وفقا لموازين التكافؤ في الفرص وتحقيق العدالة. فقد نبه الإمام في العهد: (وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ﴿المشتري﴾، فمن قارف ﴿خالط﴾ حكرة ﴿الاحتكار﴾ بعد نهيك إياه فنكّل ﴿عاقبه﴾، وعاقب في غير إسراف ﴿تجاوز حد العدل﴾) [٣٢].

ويركز الإمام في سياق توصياته إلى عامله أن يكون هدفه الأساس البناء والأعمار ولا يكون مبلغ همه أخذ الضرائب، فيقول: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة) [٣٣]. ويضيف الإمام بضرورة مراعات الناس في أخذ الضرائب: (فأن شكو ثقلا أو علة...خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم) [٣٤]. لان ذلك فيه صلاح الحاكم والمحكومين، (فأنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم) [٣٥].

وقد ورد عن الإمام (ع) في رواية مفصلة أنه بعث أحد عمال جباية الزكاة، وأوصاه بتقوى الله ورعاية حقوقه، فأن وصل لتلك المنطقة نزل بعيدا عن البيوت، ثم يأتيها وهو على سكينة ووقار فيسلم على أهلها ويقول لهم، أرسلت إليكم لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فأن قال قائل ليس عليّ حق، فلا تراجعه، وإن أنعم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيرا، ولا تدخل إلا بأذنه، وإن دخلت فلا تدخل دخول متسلط عليه ولا عنف به، ثم أقسم المال قسمين وخيره في أحدهم وخذ الآخر، وهكذا حتى يبقى ما فيه حق الله[٣٦]. وفي الحقيقة فأن هذا التعامل مع المواطنين عند أخذ الضريبة المفروضة عليهم، هو أرقى تعامل يمكن أن يتصور في نظام ضريبي حضاري.

ذلك لان للمسلم حرمة في نفسه وأهله وماله لا يجوز التعدي عليها، بل تمتد هذه الحرمة لتشمل كافة مواطني الدولة الإسلامية سواء من المسلمين وغيرهم، فقد جاء في نهج البلاغة، (لا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام) [٣٧]. حينئذ يخرج

المرء من كونه مواطن ويصبح معادي يستحق العقوبة والردع. بل نجد أن الإمام قد حث الناس على الجهاد حينما بلغه (أن رجلا منهم ﴿ الأعداء﴾ كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها...ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أن أمرأ مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جدير) (٣٨).

-الضمان الاجتماعي:

يؤكد الإمام علي في عهده إلى عامله على ضرورة إحاطة الطبقة الفقيرة من المحتاجين والمرضى وذي العاهات بالرعاية الأزمة، حيث يقول: (الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسي ...والزمني...واحفظ لله ما استحفظك..من حقه فيهم) (٣٩). وضرورة عدم التقصير في ذلك بحجة الانشغال بالمصالح العليا للمجتمع، (فلا يشغلنك عنهم بطر ﴿طغيان النعمة﴾، فأنك لا تعذر بتضييع التافه ﴿البسيط الحقير﴾ لأحكامك الكثير المهم) (٤٠). ثم يشير الإمام إلى شريحة أخرى من الشرائح الاجتماعية التي هي بحاجة إلى رعاية خاصة من الدولة، (وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ﴿المتقدمون فيه﴾ ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل)(٤١).

أما في مجال الممارسة العملية، فقد كان شديد الحرص على مراعات هذه الشرائح الضعيفة ومواساتها، وقد نزلت فيه آيات من التنزيل تقديرا لعطاءه، فقد ذكر الواحدي أن عليا (ع) حصل على كمية من الشعير أجرا على عمل قام به، فأتى به إلى بيته فأخذوا ثلثه وعملوا منه خبزا ليأكلوه، فجاءهم مسكين فدفعوه إليه، فعملوا الثلث الثاني وأتاهم يتيما فأعطوه إياه، ثم عملوا الثلث الثالث فسألهم أسير فأطعموه ذلك. فطووا في كل ذلك الوقت من غير طعام، فنزلت هذه الآية: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا..الانسان:٨) (٤٢).

ولم يستثني من العطاء أحد من رعايا الدولة الإسلامية، ففي زمن خلافته عليه السلام مر به شيخ كبير مكفوف يسأل الناس، فسأل الإمام ما هذا؟ فقالوا له نصراني، فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال(٤٣). وعن

الإمام الباقر (ع) أن أمير المؤمنين جاء يوما إلى السوق فابتاع ثوبين أحدهما بثلاث دراهم والآخر بدرهمين، فدفع الأول إلى عبده قنبر، فقال له قنبر، أنت أولا به، لأنك تصعد المنبر وتخطب الناس، فأجابه الإمام: أنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أكون أفضل منك لباسا، لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون(٤٤).

كما كان شديد المحاسبة لعماله عندما يلمس منهم شيء من التقصير في ذلك، وفي سيرته كثيرا مما يصح أن يكون مثالا في هذا المقام. ومنها أنه سلام الله عليه بلغه أن عامله عبد الله بن العباس قد تجاوز على بعض الأموال العامة، وهذا الشخص من أقرب المقربين إلى الإمام، أولا لأنه ابن عمه، وثانيا لأن ابن عباس كان لصيقا بالأمام كونه أحد مستشاريه وقادته، فبعث إليه كتابا يذكر فيه خاصية القرب لهذا الرجل، فيقول: (أما بعد فأني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن من أهلي رجل أوثق منك في نفسي) (٤٥) . وفي نفس الوقت فأن ذلك لم يمنعه من غض الطرف على جرأته على المال العام فيوبخه، وقد جاء في الكتاب: (أيها المعدود عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شرابا وطعاما، وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما، وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال...والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما) (٤٦).

ومنها أيضا أنه أتته العيون بخبر عن عامله في البصرة عثمان بن حنيف، حيث بلغه أنه دعي إلى وليمة فأجاب الدعوة!! ولمجرد أنه شك في مصدر هذه الأموال وضرورة الاحتراز من الشبهات، كتب إليه كتابا طويلا ينتقده فيه نقدا مرا، ويحذره من عاقبة الوقوع في الشبهات، هذه فقرة منه: (فانظر إلى ما تقضمه من هذ المقضم فان اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه) (٤٧). ثم يذكره بسيرته ومواساته للفقراء، إذ يقول: (ألا وإن إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد...ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن

هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون رثى وأكباد حرى...أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش) (٤٨).

-حرية التنقل والسكنى:

فقد ورد في نص العهد في سياق الحديث عن أصحاب الأعمال والحرفيين، وضرورة رعايتهم من قبل السلطة فضلا عن اعتراضهم ومنعهم وهم يسعون حثيثا طلبا للرزق في أطراف البلاد المترامية، حيث يقول: (وجلابها ﴿الأرزاق﴾ من المباعد والمطارح ﴿الأماكن البعيدة﴾، في برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ﴿لا يمكن وصول الناس إليها﴾ ولا يجترئون عليها، فأنهم سلم ﴿أي التجار والصناع﴾ لا تخاف بائقته ﴿دهاؤه﴾، وصلح لا تخشى غائله، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك) (٤٩).

يظهر من كلام الإمام أن توصيته بهذه الشريحة، لكونها أولا لأنها تقدم في حركتها وتنقلها الخدمات للمجتمع، وثانيا لأنهم أناس مسالمين لا يخشى من جانبهم، فتكون حركتهم نافعة على العموم. ولكن سيرة الإمام تبين أنه لم يمنع أحد حتى حين شك في نواياهم. فقد استأذن طلحة والزبير الإمام في الخروج إلى مكة معتمرين، ولكن الإمام أظهر لهما شيئا من الشك فيما صمما عليه، فأكدا له أنهما لا يريدان غير العمرة، فسمح لهما في الخروج، مع أنه لم يزايله الشك في نواياهما(٥٠). وتذكر المصادر التاريخية أنه أكد عليهما البيعة له، لتكون الحجة عليها أوثق فيما لو انقلبا عليه. وفعلا كان شك الإمام في محله ولم يتجها إلى مكة، وإنما كانت وجهتهما إلى البصرة، التي حثوا أهلها على الخروج عن طاعة الإمام، وحدوث معركة الجمل(٥١).

بل إن فلسفة الإمام اقتضت عدم منع الأشخاص من التنقل حتى في الظروف العصيبة، فقد بلغه أن رجالا من أهل المدينة يخرجون خلسه للانضمام إلى صف معاوية، فكتب إلى عامله على المدينة، لا ليأمره بمنعهم عن الخروج والانضمام إلى العدو، وإنما كتب له بأن لا تأس لفراق مثل هؤلاء الذين مالوا إلى الطمع، فرجحوا الباطل على الحق. وجاء

فيه: (أما بعد، فقد بلغني أن رجالا ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك مددهم، فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل...فهربوا إلى الأثرة) [٥٢].

-حرية الاعتقاد:

يأمر الإمام عامله بقوله: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان أما أخو لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق). [٥٣] ويمكن أن نستفيد من هذا النص حرية المعتقد؛ ذلك لان الرعية بحسب النص هم صنفان، والصنف الأول هم المسلمون، الذين ينتظمون مع الحاكم المسلم تحت عنوان (الأخوة الإسلامية)، أما الصنف الثاني فأنه يشمل كل من لا ينتمي إلى صنف المسلمين. ولما كان الإسلام دين وعقيدة، فأن الصنف الثاني يشتمل على كل من له دين وعقيدة غير إسلامية من مواطني الدولة الإسلامية. إذن فأن رعايا الدولة الإسلامية ومواطنيها هم من ديانات وعقائد مختلف، وهي معروفة ومشخصة وليست خافية على الحاكم الإسلامي، وإن الإمام سلام الله عليه حين وجه حاكمه على مصر ليس السماح لهم وغض الطرف عنهم في ممارسة دينهم وعقائدهم بحرية، وإنما يتوجب عليه أن يتوجه لهم جميعا بمختلف انتماءاتهم الدينية والعقائدية بالمحبة والرحمة عليهم واللطف بهم.

ولو رجعنا إلى التاريخ الإسلامي، وعددنا حركة الخوارج حركة عقائدية تصحيحية (طبعا من وجهة نظرهم)، وليست سياسية لأنهم كانوا لا يستهدفون الوصول إلى السلطة، وإنما تصحيح مسار الأمة، وذلك ما نبه إليه الإمام حين قال: لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه[٥٤].

ولكن معارضة الخوارج للأمام لم يقابها (ع) إلا بمنتهى الروية في محاولة لاستيعابهم. لقد كان الإمام خليفة وكانوا هم من رعاياه، وكان بإمكانه أن ينفذ فيهم أشد أنواع العقوبات، ولكنه لم يسجنهم ولم يجلدهم، ولم يبادرهم بحرب. فأرسل إليهم أقرب معاونيه وأعلم مستشاريه كعبد الله بن عباس وصعصعة بن صوحان يجادلونهم من أجل عودتهم إلى صفوف الأمة، ثم حاورهم بنفسه ما استطاع لهدايتهم سبيل[٥٥].

وكان يعرف الإمام أن أحدهم يهم بالخروج والانضمام إليهم، فلا يستكرهه ولا يستبقيه، ويفسح لهم المجال لان يتوجهوا حيث يشاؤون، ويحسن معاملة من أقام منهم، ولا يرضى أن يتعرض له من أصحابه أحد، . ثم أنه كان يعطيهم نصيبهم من الفيء أسوة بسائر الناس. فالناس أحرار في ما يرون من قول وعمل، وموالاة ومعاداة، إلا أن يتجاوزوا على الناس ويعتدوا عليهم ويفسدوا في الأرض، حينذاك يتوجب على الإمام إلزامهم بالحدود في غير لين(٥٦).

-حق الحياة:

ومن وصايا الإمام لمالك الأشتر حرمة حياة الإنسان وعدم سفك الدماء، فكتب: (إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها)(٥٧).

ولست أدعي أمرا هو بحاجة إلى برهان حين أقول أن الإمام رجل حرب وبطل معارك، فقد شارك في حروب المسلمين والمشركين وغزواتهم، وقتل في تلك الحروب والمغازي أبطال المشركين، وبطش بأعلام قريش وكبار بيوتاتها. وكانت بدر وأحد والخندق شواهد على ما أقول. ولكن لو تساءلنا عن تلك السيرة المليئة بالحروب والتاريخ المضمخ بالدماء، هل كان ذلك كاشف عن عدم رعاية حق الإنسان في الحياة أم كان ناتج عن عقيدة راسخة بشرعية الجهاد؟ بداية يصرح الإمام في النص السابق على تحذيره عامله من مقاربة سفك الدماء بغير حق. ثم يردف ذلك بما يكشف عن فلسفته الخاصة التي تذهب إلى أن سفك الدماء من غير وجه حق، هي أكبر جريمة يمكن أن يقترفها إنسان، وهي مدعاة أكثر من أي شيء آخر للنقمة، التي توجب زوال النعمة وانقطاع مدتها.

ولو عدنا لسيرة الإمام (ع) لنبحث عن الشواهد حية، التي لا سبيل إليها بتأويل، ولا يتطرق إليها شك. إذ تذكر كتب التاريخ أن رجلا من الخوارج سمع حديث الإمام وهو يعض بعض جماعته، فبهره حديثه فصاح معجبا إعجاب الكاره الذي لا يملك بغضه ولا إعجابه: قاتله الله كافرا ما أفقهه. فانتفض بعض اتباع الإمام ليقتلوه، فنهاهم الإمام وقال لهم: إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب(٥٨).

كما أن تاريخ الإمام يتحدث عن بعض المشاغبين في جماعته، الذين يعترضون عليه في كل خطوة، ويثقلون عليه باللجاجة في مواقف تضيق فيها الصدور. (ولم يكن الأشعث بن قيس بالوحيد في هذا الباب، بل كانوا له شركاء من الخوارج وغير الخوارج، يظهرون بالعنت في غير موضعه ويذهبون به وراء حده...ألا يخطر على البال هنا، أن ضربة من الضربات القاضية كانت تنجع في هذا العنت المكرب، حيث لا تنجع العقوبة الشرعية أو الاحاييل السياسية؟ ماذا لو أن الإمام جرد سيفه بين أولئك المشاغبين، وأطاح برأس الأشعث بن قيس قبل أن يفيق أحد إلى نفسه، ثم ولى على الفور من يقوم مقامه ...؟ أكان بعيدا أن تفعل الرهبة فعلها، فيسكن المشاغب ويهاب المتطاول ويجتمع المتفرق، ويقل الخلاف بعد ذلك على الإمام؟)[٥٩]. هذا المنهج اعتمدته الميكافيلية، واستساغته البرغماتية، واعتبرته الاشتراكية ضرورة لحفظ المجتمع. ولكن هيهات فليس ذلك في فلسفة الحكم عند الإمام، ولا طريقته في التعامل مع موضوع الدماء، مع علمه بنجاعته، وعدم غيابه عن نظره.

حتى قتال العدو عند الإمام له أصوله وأخلاقياته، (فليس الغدر قتالا، ولا المباغتة دون الإعذار جائزا عنده، بل لابد من الالتزام بالأصول الأخلاقية. ومن هنا فأن الإمام حينما أرسل الأشتر في مقدمة الجيش إلى مناوئيه أوصاه قائلا: إياك أن تبدأ بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم، ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة) [٦٠]. فليس البغض أو العصبية ما يحمل على القتل عند الإمام ، وإنما الحجة والإعذار بالنصيحة مرة تلو الأخرى، حتى إفراغ الوسع وقيام الحجة على القتال. وليس قوله السابق لمالك نصيحة خاضعة لاشتراطات الحرب وتقلباتها، وإنما هي فلسفة عمل وضوابط شرع لا يمكن تجاوزه. فحين سمع أن جماعة الخوارج (خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيفعلون. وكذلك فعل قبل وقعة الجمل، وقبل وقعة صفين، وقبل كل وقعة صغرت أو كبرت ، ووضح فيها عداء العدو أو غمض، يدعوهم إلى السلم وينهي رجاله عن المبادأة بالشر، فما رفع يده بالسيف قط، إلا وقد بسطها قبل ذلك للسلام) [٦١].

-العدالة:

جاء في نص العهد: (وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية) (٦٢).

لقد ركز الإمام على موضوع العدل أيما تركيز، سواء على مستوى توجيهه ونصحه ومواعظه للآخرين، أم على مستوى عمله الفعلي وممارساته العملية، حين كان خارج السلطة أم حينما تسلم مقاليد خلافة المسلمين؛ ذلك لان العدل أولا قيمة من قيم الدين ومعيار للشريعة، فكان تمسك الإمام بهذه القيم بمقدار تمسكه بدينه وشريعتها المقدسة. كما أن تشدده في التزام قيم العدالة الاجتماعية وتحقيق المساواة، ورفضه التام لأي ممارسة أو تطبيق عملي يحيد عنها ولو بصورة آنية، اقتضاء للمصالح العليا ولاعتبارات السياسة ومتطلبات الظروف التي تحيط بالدولة؛ كون أن خلافة الإمام جاءت بعد ثورة عارمة لم يشهدها المجتمع الإسلامي من قبل، نتيجة ابتعاد سياسة الدولة عن قيم الإسلام الأصيلة التي قامت على العدل والمساواة، فظهر خلالها انقسام ملحوظ للمجتمع إلى طبقات متمايزة على أسس عرقية ومادية، فكان تشدد الإمام في التمسك بتلك القيم من أجل إعادتها وإحيائها في نفوس الناس من جديد. لذا جاء تأكيده على واليه إلى مصر بالنص السابق، على إقرار الحق شريعة بين الناس وتحقيق العدالة يجب أن تكون القيمة العليا للحاكم، وفي ذلك توفير الأرضية الصحيحة لكسب رضا المواطنين وجلب مودتهم، وهي في الوقت ذاته تحقق رضا الله تعالى.

ولما بويع الإمام على الخلافة ونهض بأعبائها، كان عازما على إعادة الحق إلى نصابة مهما كلفه الأمر، فقام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا لا يقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا. ألا وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فانتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل لاحد على أحد) (٦٣). بل وأقسم على نفسه أن يعيد كل الحقوق التي اغتصبت إلى مستحقيها ، إذ يصرح: والله لو وجدته قد تزوج به النساء

وملك به الإماء لرددته، فأن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[٦٤].

وطلب من الإمام تفضيل بعض الأشراف ممن يتخوف منه مخالفته ويحتمل افتراقه عن جماعته، لان الناس أصحاب دنيا ولما رأوا ما يفعله معاوية بمن انقطع إليه منهم، فأن استتب الأمر لك عدت إلى سيرتك إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسوية. فأجابهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام، والله ما أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجما ، ولو كان مالهم مالي لسويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم[٦٥].

وكان الإمام (ع) إذا عين واليا على إقليم من أقاليم أو مدينة من مدن الدولة الإسلامية، أعطاه عهدا يقرأه على الناس، فأن أقره الناس، كان ذلك العهد بمثابة العقد بينه وبين الناس، لا يجوز لهم أن ينحرفوا عنه، ولا يجوز للحاكم أن يتأوله أو يخالفه، وإن خالفه وانحرف عنه في شيء قليل أو كثير، كان ذلك موجبا للحساب والعقوبة. لقد ربط الإمام ولاته وعماله بالشعب بمثل ما أرتبط به، فكان شديد المراقبة لهم، فكانت تلك الخطوة الرائعة منسجمة مع دستوره العام في الحقوق والواجبات، وهي تنسجم مع أرقى دساتير الأمم في وقتنا الحاضر، حين جعل من المحكوم نفسه رقيبا أعلى على الحاكم[٦٦].

وهكذا فعل حين ولى الإمام مالك الأشتر على مصر.

فكانت أولى الفقرات من وصايا الإمام إلى واليه هي المحافظة على القانون والالتزام به، ف(أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها) [٦٧]. فالوالي ليس حرا في تصرفه مع الناس، وإنما هو مقيد بسنن الشريعة وقوانينها فيما يخص الحقوق والواجبات بين المواطنين. وفي ذات الوقت فأن طاعة المواطنين للحاكم مشروطة بالتزامه بالشريعة، ففي كتاب الإمام إلى أهل مصر (فاسمعوا له، أطيعوا أمره فيما طابق الحق) [٦٨]. ذلك لان إقامة الحق أساس السعادة، (وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على الظلم) [٦٩].

ومن وصاياه سلام الله عليه لمالك الأشتر: (انصف الله وانصف الناس من نفسك، ...، فإنك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) (٧٠). وفي هذا الباب روي أن امرأة اسمها (سودة) جاءت إلى الإمام، تشكو رجلا قد ولاه عليهم لجمع الصدقات فجار عليهم، وكان يصلي فلما انتهى من صلاته، سألها ما حاجتك، فأجابته بخبره، فبكى وقال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك. ثم كتب كتابا على ورقة من الجلد، ودفعه إلى المرأة من دون ختم، فدفعته إلى صاحبه فانصرف عنهم معزولا. وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام)(٧١).

ويتحدث الإمام عن قضية هي في غاية الأهمية بالنسبة للحكام وذوي النفوذ، لأنها كثيرا ما كانت محل ابتلاء وامتحان لهم، وغالبا ما فشلوا في ذلك، وهي أن قواعد العدالة توجب أن تكون عامة شاملة لكل الرعايا من غير استثناء، فلا إثرة لاحد من الناس مهما كانت له صلة القربى معه، أو كانت له حظوة لديه، بل يوصيه بعدم الأثرة حتى مع نفسه، فيقول: (وإياك والاستئثار ﴿تخصيص النفس بزيادة﴾ بما الناس فيه إسوة ﴿متساوون﴾) (٧٢). ثم يذكره بضرورة الأنصاف مع الأهل والمقربين، بقوله: (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى ﴿تميل إليه﴾ من رعيتك، فإنك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) (٧٣). ويؤكد على هذا المعنى بعبارة أخرى: (وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع) (٧٤). ولكنه (ع) ينبه إلى أن قواعد العدالة قد لا تقتضي المساواة في المعاملة بين الناس، حيث يقول: ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، والزم كلا منهم ما الزم نفسه(٧٥). ثم يضيف: (وإن ظنت الرعية بك حيفا ﴿ظلما﴾، فأصحر لهم بعذرك﴿ بين لهم عذرك فيه﴾). (٧٦)

ولابد من القول أن شخصية الإمام كانت تتجسد فيها مؤهلات قوية في تطبيق العدالة الاجتماعية، وكان إلتزامه بها بالغا ما بلغ هو السبب الذي أبعد عنه ذوي الأطماع والأغراض الذين يمنون أنفسهم بالأثرة، وأخاف ذوي المناصب والكنوز، وقطع آمال حواشي السلاطين، وهدد الفجرة الذين استحقوا إقامة الحدود الإلهية. فاجتمعت هذه العوامل على التأجيج ضد الإمام وجرت عليه النوائب والحروب.

ثانيا: الحقوق السياسية والقضائية

-الحقوق السياسية:

من أصعب القضايا التي تتناول في مجال حقوق الإنسان وأكثرها حساسية، هي القضايا التي تتعلق بالحقوق السياسية للمواطنين، خاصة وأن البحث يتناول مرحلة تعود إلى مرحلة سابقة بأكثر من ألف عام، ولعل ذلك يرجع إلى أنها ترتبط ارتباط مباشر بموضوع السلطة وصلاحيات السلطان، وهم حسب الفرض الراعي الأول للحقوق. فالحاكم قد لا يعسر عليه أن يكون كريما في عطائه، ومنصفا في توزيع المال، وأريحيا في تقبله لأشخاص يحملون عقيدة مخالفة، ولكن حينما يصل الأمر إلى صلاحياته في ممارسة سلطته وتقبله للمعارضة أمر ليس باليسير بابسط عبارة يمكن أن تقال.

بداية نقول أن الإمام كان يرى أنه أحق بالخلافة بعد النبي (ص)، لأنه ربيب النبي وأخوه وصهره، وصاحب السابقة في الإسلام والبلاء الحسن في المشاهد كلها. وقد صرح النبي في حقه الكثير من الأقوال، ومنها قوله (ص): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأيضا قوله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. ومن أجل ذلك طلب العباس عمه حين قبض النبي البيعة منه، هو وأبو سفيان الذي أراد بيعة علي عصبية لبني عند مناف. ولكن الإمام أبى البيعة مخافة الفتنة. ولما بويع الخلفاء الثلاثة قبله، طابت نفسه بما كان يراه حقا له، فبايعهم مكرها، وصبر مخافة الفتنة وحفظا للدين وحقنا لدماء المسلمين(*)، وكان ناصحا لهم(**). وحين قتل عثمان كان طبيعيا إذا أن يفكر في نفسه وما غلب عليه من حقه، ولكنه مع ذلك لم يطلب الخلافة ولم ينصب نفسه للبيعة، إلا حين استكره على ذلك، وفزع إليه المهاجرون والأنصار يلحون عليه في تولي أمور الأمة، وإخراجهم من تلك الفتنة المظلمة التي عمت بعد مقتل عثمان، وهدد

بالقتل من قبل بعض الثوار في حال عدم إجابته لهم[٧٧]. وهو يقول في وصف تلك الحال: (فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل ﴿ الأنثى صاحب الأولاد﴾ على أولادها، تقولون: البيعة البيعة! قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها) [٧٨].

ويكشف الإمام سر طلبه للحكم، وقبوله للخلافة بقوله: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك) [٧٩].

ثم أنه عليه السلام لما بويع لم يكره أحدا عليها، وإنما قبل البيعة ممن بايعه وترك من لم يرد أن يبايعه، فترك عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاس ومحمد بن مسلمة الأنصاري[٨٠].

ولما أراد بعض الثوار أن يرغموا أولئك النفر المتخلفين عن البيعة، ويحملوهم قسرا عليها، أبى الإمام ذلك أشد الإباء، لان قاعدته العامة في شأن البيعة تستند إلى حرية الأفراد، فمن بايع قبلت منه، ومن أبى فهو حر في رأيه. كما أن عبد بن عمر لما أبى البيعة للإمام أراد نفر أن يقدم كفيلا لئلا يثير الفتنة، فأبى أيضا من تقديم الكفيل، فقال لهم الإمام خلو سبيله، وأنا كفيله[٨١].

وإن كانت فلسفة الإمام تستلزم الحرية السياسية والمسؤولية الشرعية، في وقت السلم وفي قضية البيعة، التي هي عقد وحرية الاختيار فيه ركن أساس، فما هو موقفه من حرية الرأي في وقت الحرب؟ إذ إن الدول الديمقراطية الحديثة تعلن فيها حالة الطوارئ، التي تضيق فيها كثير من حالات الحرية المعتادة. أما عند الإمام فالأمر مختلف. فقد جاء حبيب بن مسلم الفهري إلى الإمام حين اشتدت الفتن وسعرت نار الحرب، وطلب منه أن يعتزل الخلافة ويكون الأمر شورى بين المسلمين، فأشار عليه الإمام بأن هذا ليس محلك ولا أنت له أهل، فقام حبيب وقال: والله لتريني بحيث تكره. وليس بخاف ما في هذا القول من التهديد الصريح، لأعلى قمة في هرم الدولة وفي زمن الحرب. فماذا يكون الرد على مثل هذا التهديد؟ هل أمر بسجنه والحيلولة دون تحقيق مبتغاه في صريح تهديده؟ ألم يكن الإمام قادر على منعه؟ ماذا كان جواب الإمام؟ إنه لم يفعل شيء

من هذا القبيل، وإنما نظر إليه وقال بلهجة الواثق من عدالته المعترف بحق الناس في القول والفعل: اذهب فصوب وصعد ما بدا لك[٨٢].

وتتخذ الدول بصورة عامة موقفا موحدا فيما إذا داهمها خطر، إذ تستحث الجميع وتسوقهم بكل السبل لدرء ذلك الخطر، أما الإمام فقد كان طريق التعبة لديه من خلال القناعة وحدها، فعندما خرج إلى حرب الجمل، بعث كتابا للناس يستحثهم ، أورد فيه: (وأنا أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إليّ، فإن كنت محسنا أعانني وإن كنت مسيئا استعتبني) [٨٣]. حيث لم يكن الإمام ليلجأ في ذلك إلى أي نوع من القهر المادي أو المعنوي، فالقهر بمختلف ألوانه مناف لأصول رؤية الإمام إلى الحرية وشروطها. لقد كان يتوجه إلى عقول الناس بمنطق العقل وبما يملكه من حجة وبرهان، ويتوجه إلى قلوبهم وضمائرهم بمنطق القلب والضمير، فيلحق به من يلحق ويتخلف من يتخلف. فالأمام لا يقبل الإكراه ولا يجيزه، وهو يأبى أن يلحق به أحد من الناس من غير بصيرة وإيمان، لذلك لم يجبر أحدا من الناس على اللحاق به في حرب الجمل وحرب صفين وحرب الخوارج[٨٤]. وتذكر المصادر التاريخية أن الإمام لم يتخذ موقفا ضد جماعة رفضت محاربة الخوارج، منهم عبيدة السلماني والربيع بن خثيم ومعهما نحو أربعمائة رجل، قالوا للأمام إنا شككنا في قتال هؤلاء، مع علمنا بفضلك وسابقتك. فلم يفرض عليهم الخروج لحرب الخوارج[٨٥].

وكان الحكام يعتبرون الدولة بسكانها وأرضها ملكا خاصا لهم، يتصرفون به كما يشاؤون دون حسب أو رقيب، وكانت أموال الدولة وأموالهم شيئا واحدا ينفقون منها كما يرون، وكانت مراكز الدولة والمسؤوليات العامة ملكا لهم، يعينون فيها ويعزلون على هواهم. أما الإمام فقد أقام نظاما إداريا محكما، حدد فيه الوظائف العامة وطرق تعيين المسؤولين، وبين واجباتهم وحقوقهم، وأقام عليهم تفتيشا دقيقا، ووضع أسس الثواب والعقاب[٨٦].

وفي نص عهده سلام الله عليه إلى مالك الأشتر تفصيل دقيق لتلك الأسس والقواعد والشروط الإدارية، لا مجال لذكرها هنا، لأنها تدخل في بحث النظام السياسي والإداري عند الإمام. أما الوصايا التي ترتبط بموضوعنا حقوق الإنسان، فكانت تدور حول

توجيه الإمام بضرورة تمسك الحاكم بقواعد القانون والشرع في تعامله مع الناس، (ولا تقولن إني مؤمّر ﴿مسلط﴾ آمر فأطاع) (٨٧)، الأمر الذي يفرض عليه الخروج عن إطار الفعل الفردي المحكوم بالنظرة الشخصية والالتزام بقواعد الشرع، لأن ذلك كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية، ويستلزم رضا الرعية. ويمكن القول أن الأسس الدستورية في فلسفة الحكم عند الإمام علي تقوم على ثلاثة أمور هي : الحق، العدل، رضا القاعدة الشعبية، (وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية) (٨٨). الذين هم الدعائم الأساسية للدولة. حيث يقول: (وإنما عماد الدين وجماع ﴿جماعة﴾ المسلمين والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوك ﴿الميل﴾ لهم، وميلك معهم) (٨٩). كما إن (سخط العامة يجحف برضى الخاصة ﴿يذهب برضاهم﴾، وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة) (٩٠). وبالتالي فأن معيار صلاح الحكام في دستور الإمام، يستشف من رضى العامة، إذ يقول: (إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده) (٩١). ورفضه التام لأساليب العنف والبطش من قبل الحكام في توطيد دعائم حكمهم، (فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فأن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله) (٩٢).

وفي هذا المجال أيضا يطالب الإمام من الحاكم أن يفرغ جزء من وقته لاستماع قضايا الناس وشكاياهم، ويصف آداب التعامل معهم، إذ يقول: واجعل لذوي الحاجات ﴿المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم﴾ منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك ﴿لا يتعرض لهم جندك﴾ وأعوانك من حراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع ﴿غير متردد أو خائف عن التعبير بما عنده﴾،.....ثم احتمل الخرق ﴿العنف ضد الرفق﴾ منهم والعي ﴿العجز عن النطق﴾، ونح عنك الضيق (٩٣).

ومن أجل تطبيق هذه القواعد الدستورية، ولأهمية وخطورة مواقع المسؤولية (العامل) في النظام الإداري الإسلامي، يضع الإمام شروطا مشددة في عملية اختيارهم، فيقول: (ثم أنظر في أمور عمالك فأستعملهم اختبارا ﴿بالامتحان﴾، ولا تولهم محاباة ﴿من الميل الشخصي﴾ وإثرة ﴿استبدادا بلا مشورة﴾،...وتوخ ﴿اطلب وتحر﴾ منهم أهل

التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم ﴿السابقون﴾ في الإسلام) [٩٤].
وفضلا عن ذلك يجب وضعهم تحت المراقبة، (وابعث العيون ﴿الرقباء﴾ من أهل الصدق والوفاء عليهم) [٩٥].

وقد طبق الإمام تلك الشروط بدقة وصرامة، ولم يرض أن يتنازل عنها، مهما كانت الأسباب وجاءت النتائج، إذ كانت لتلك الأسس والشروط قيمة عليا في نظر الإمام، لا تقوم مقامها ضرورات الظروف ولا تعادلها مقتضيات المصلحة السياسية. فعندما بويع الإمام للخلافة أقبلا طلحة والزبير عليه وبايعاه راضيين طائعين، ولكنهما بدا لهما بعد ذلك من الإمام ما لم يكونا ينتظران، فقد كانا يقدران أن الإمام محتاج إليهما أشد الاحتياج، إذ كانت لطلحة مكانة عند أهل الكوفة، وللزبير مثلها عند البصريين، فكانا يطمحان في أن الإمام سيعرف لهما مكانتهما وسلطتهما على أهل الكوفة وأهل البصرة، وسيشركهما في أمره ويقاسمهما الخلافة، التي ستكون ثلاثية لهؤلاء النفر من أصحاب الشورى. وبالتالي يكون أمر الشام هينا عليه. ولما لم يريا ما كان يتوقعانه من الإمام، وأن أمرهما سيكون كأمر غيرهما من أعلام المهاجرين، وسيأخذان عطاءهما بالتساوي كل عام، ولم يلقيا منه ما كان يمنحهما عثمان من الرفق واللين والتسامح، فدبرا أمرهما في رؤية وأناة[٩٦].

وتبدو الصورة أكثر وضوحا لما جاءه عليه السلام المغيرة بن شعبة وبايعه على الخلافة، قال له (إن لك حق الطاعة والنصيحة، وأن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وأن الضياع اليوم تضيع به ما في غد. أقرر معاوية على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت. فأبي وقال: لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري. قال المغيرة: فأن كنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية، فأن في معاوية جرأة، وهو في أهل الشام يستمع له، ولك حجة في إثباته، إذ كان عمر قد ولاه الشام. فقال علي: لا والله.. لا أستعمل معاوية يومين) [٩٧].

وكان نتيجة الرفض الشديد لمقتضيات المصالح السياسية ومتطلبات الظروف، وتمسكه الصارم بقيمه ومبادئه، التي لم يتنازل عنها ولو آنيا؛ شاع الرأي القائل أن الإمام رجل شجاع، ولكن لا علم له بخدع الحرب والسياسة بين أصحابه ومناوئيه، معززين قولهم

هذا بمخافته نصائح الدهاة من أنصاره، وما آلت إليه أحوال الأمة وعدم استقامة الأمر له[٩٨].

وكان جواب الإمام على ذلك: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)[٩٩].

-الحقوق القضائية

عند مراجعة سيرة الإمام نجد أن أكثر ما تكلم به هو حث الناس على طاعة الله تعالى والعمل بأوامره والانتهاء عما نهى عنه في سننه وشرائعه، وقد جرت عادة الإمام أن يبتدأ بالحديث في ذلك والتأكيد عليه في كل فرصة سانحة. تلك الشرائع (التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها) [١٠٠]، ولعل أهم جزء منها ما يتعلق بالقضاء بين الناس، وضرورة تطبيقها في الفصل في الخصومات وتحقيقا للعدالة، (فأنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) [١٠١] ؛ وذلك لكي يكون (الإنسان على بينة من قانونية أو عدم قانونية تصرفه، ومن العقوبات التي قد يستحقها إذا ما اقترف جرما ما، وليحضر على الحاكم أن يصدر قوانين تعاقب على أفعال لم تكن تعبر جرائم عند إتيانها، أو تضع عقوبات معينة على جرائم لم تكن توضع على مرتكبيها من قبل) [١٠٢].

ولأهمية المؤسسة القضائية في الدولة الإسلامية، فقد سلط الإمام الضوء عليها في عهده إلى عامله على مصر، وجاء تأكيده على أهم مفاصلها وهو القاضي وكيفية اختياره، وما هي المواصفات التي يجب أن يتمتع بها، إذ ذكر: (أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم ﴿لج في الخصومة وأصر على رأيه﴾، ولا يتمادى ﴿يستمر ويسترسل﴾ في الزلة ﴿السقطة في الخطأ﴾، ولا يحصر ﴿لا يعيا في المنطق﴾ من الفيء ﴿الرجوع إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ﴿اقربه وأبعده﴾، أوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما ﴿الملل والضجر﴾ بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم ﴿أقطعهم للخصومة وأمضاهم﴾ عند اتضاح الحكم) [١٠٣].

ولم يترك الإمام جانب أخر مهم في حديثه عن القاضي، وهو ما يرتبط بشخصه وحياته الخاصة، حيث يقول: (وأفسح له في البذل ما يزيل علته ﴿أوسع له في العطاء بما يكفيه﴾، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمل بذلك اغتيال الرجال له عندك) [١٠٤]. وبعد ذلك يؤكد الإمام على أن يكون تحت المراقبة الشديدة، فيقول: (أكثر تعاهد ﴿تتبعه بالاستكشاف والتعرف﴾ قضائه) [١٠٥]؛ وبذلك يأمل الإمام تحصيل الإنسان لحق التقاضي، بالصورة التي تحقق له العدالة في الحكم والتكافؤ والمساواة بين الناس.

وعلى صعيد السيرة العملية للإمام، فقد ورد أنه عليه السلام حينما كان خليفة للمسلمين وجد درعه عند أحد النصارى، فأخذه إلى القاضي ليخاصه عليها، فسأله القاضي: هل لك من بينة يا أمير المؤمنين؟ ولم يجد الإمام بينة على ما ادعاه، فقضى بالدرع للنصراني، فأخذها ومشى والإمام ينظر إليه، إلا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد ليقر للإمام بأحقيته بالدرع، وأن هذه هي أحكام الأنبياء، ثم أسلم على يديه[١٠٦].

أما على صعيد القضاء في موضوع الدماء فقد كان موقف الإمام حاسما، وعلى وفق تفاصيل فقهية قانونية متعددة. إذ أشار على الخليفة الثاني بقتل أكثر من شخص ثبتت جنايتهم بقتل رجل واحد، بعد تردد بعضهم في الحكم بالقضية. وروي عن الإمام أخذ القصاص من ثلاثة أشخاص اشتركوا في قتل واحد. واقتص من حرا قتل عبدا متعمدا، ومن رجل اعتدى على امرأة فقتلها. بل يروى عن الإمام أن من رأيه الاقتصاص من المسلم الذي يقتل يهوديا أو نصرانيا[١٠٧]. هذه الآراء للإمام تكشف عن مضامين إنسانية عالية، من حيث أنها تنطوي على رؤية تساوي بين البشر، إذ لا فرق بين الرجل والمرأة، وبين الحر والعبد، وبين المسلم والمعاهد من النصارى واليهود.

ولم يقتصر النظام القضائي الإسلامي على أخذ القصاص في القتل العمد أو الخطأ، إذ سن للولي الدم التخيير بين القصاص أو أخذ الدية على تفصيل. وقد طور الإمام هذه التشريعات وكشف عن الكثير من تفصيلاتها. ومنها أن المسلم والمعاهد والمستأمن في الدية سواء. ويعد هذا المبدأ مبدءا إنسانيا في غاية السمو، لأنه ينظر إلى الإنسان كإنسان من دون النظر إلى معتقده أو مكانته في المجتمع[١٠٨].

ولم تتغير مواقف الإمام حتى وهو على فراش الموت بعد أن ضربه قاتله غدرا، حيث أوصى أن تطبق بحقه الإجراءات القانونية، فيوصي أهله بالقول: يا بني عبد المطلب لا ألفيكم تخوضون دماء المسلمين خوضا، تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثّل بالرجل، فأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور[١٠٩].

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نأتي على توكيد بعض الأمور التي انطوت عليها، تتضمنها النقاط الآتية:

أ-شهدت الحضارات الشرقية المختلفة التي ظهرت في مراحل تاريخية مبكرة من عمر الإنسانية، تبلور طروحات تكشف من دون شك عن مؤشرات تقدير للحقوق الإنسانية، وان اختلفت في مستوياتها وفي مرجعيتها الفكرية. ولكن إلى جانب ذلك شهد الشرق القديم تسلط دكتاتوريات وفراعنة امتهنت حقوق الإنسان وكرامته؛ مما يدلل على أن المعيار الحقيقي الذي يحكم على التجارب ويقيمها سلبا أو إيجابا، لا يتعلق بقيمة الفكرة أو تماسكها المنطقي، بقدر ما تكون قيمة حاكمة على سلوك البشر، ولذا فان كل ما سبق قوله من مفاهيم سامية تتعلق بالحق الإنساني، فإنها كانت حقائق أخلاقية ومثل سامية تطمح إليها النفوس السليمة، ولم ترق إلى أن تكون ممارسات فعلية إلا في أوقات قليلة أو ربما نادرة بالقياس إلى عموم التاريخ الإنساني.

ب- وتضمنت التوراة اليهودية مؤشرات مهمة في مجال حفظ حقوق الإنسان وصيانة كرامته، غير أن التشريع التوراتي قد جرى تطويره على يد الربانيين اليهود، ويمكن أن نلمس ذلك في كتاب التلمود وهو الكتاب المعتمد أكثر من التوراة لدى أتباع الديانة اليهودية، وفيه جرى التفريق بين اليهودي وغيره من البشر، فاليهودي (روحا وجسدا) يختلف كليا عن الآخرين؛ واستنتجوا من ذلك أن اليهودي فقط يستحق الحياة، فيما الآخرين لا يستحقونها، وفي ضوء ذلك فسر قوله لا تقتل أنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل حصرا، شعب الله المختار، وأصبح من العدل قتل اليهودي للأجنبي

لأنه قد يكون من نسل الشعب الذي سكن أرضهم المقدسة، وأضحت أحكامهم التشريعية تأمرهم بحروب إبادة ضد الشعوب الأخرى.

ت-وقدست المسيحية الإنسان ووضعته في مكانة مميزة لم تضعه فيها أي من الديانات السماوية الأخرى. فإن الإنسان في العقيدة المسيحية، هو صورة لله رب الكون، وهذا ما يجعله مميزا عن باقي المخلوقات، ولما كان الأمر كذلك، فإن الإنسان ينفرد بالتمتع بالكرامة الإنسانية التي تتأصل فيه ولصيقة بشخصه لمجرد كونه إنسانا. وبهذه الصورة حلت محورية الإنسان محل محورية الله التي هي مبدأ الأديان السماوية، وأدت إلى ظهور آلية لاهوتية توجب تضحية الرب- الذي تحول إلى إنسان في هيئة السيد المسيح- من أجل سلامة الإنسان.

ثم أن المسيحيين لما هيمنوا على الدولة الرومانية بعد أن كانوا مستضعفين فيها، تنكروا لما دعوا إليه في بداية ظهور المسيحية من الحرية والإخاء، واعتبروا حق الغير في الاعتقاد باطلا يجب مقاومته واضطهدوا كل من يخالفهم الرأي، واتخذوا موقفا حاسما في حقهم بمقاومة الطغيان. وكان مما يميز العصور الوسطى التي ظهرت فيه الكنيسة وهي تقود المجتمعات الغربية، هو الانقسام الحاد إلى ثلاث طبقات والبون الشاسع بين الناس، وظهور محاكم التفتيش التي عملت على نشر المذهب الكاثوليكي واضطهاد المذاهب فضلا عن الأديان المخالفة. كما شهد التاريخ الحروب الصليبية وممارساتها الشنيعة بالضد من حقوق الإنسان.

ث-أما في الإسلام فالإنسانية كلها ترجع إلى اصل واحد، وان هذا التنوع والاختلاف بين الناس مدعاة للتواصل والترابط، وأن لا مزية لبعضكم على بعض إلا بالتقوى. ولا يجوز التعدي على حياة الناس وأموالهم، كما أن الجزاء مقرر لمن ينتهك هذا الحق. غير أنه سرعان ما تبدلت، حيث أن معاوية والأمويين لما هيمنوا على مقدرات الأمة الإسلامية، ابدلوا مقوماتها التي قامت عليها كالتراحم والأخوة الإيمانية وإنكار الذات، لتظهر محلها روابط النسب وتعلو نعرة العصبية العربية، والتعالي على باقي الأجناس وجعلوهم بمنزلة الأرقاء، هذا فضلا عن سفك الدماء وانتهاك المقدسات والحرمات.

ولكن تيارا إسلاميا آخر ظل متمسكا بمبادئ الإسلام قاده الإمام علي، الذي تكشف سيرته بكل تفاصيلها، سواء أكان في مستوى المواطن (الذي يوصف بالتعبير الحديث بأنه معارض للحكم)، أم كان خليفة للمسلين وقائدا للدولة الإسلامية، تكشف سيرته عن التزام صارم بالقيم الرفيعة، التي تتضمن احتراما لكرامة الإنسان وحفظا لحياته، وإيمانا عميقا لحريته في التعبير عن رأيه وعقيدته، وتعبر عن تضامنها المطلق مع المحرومين والمعوزين. تترابط فيها الأقوال والأفعال، وتتجانس فيها العقائد والمواقف، بصورة من صور الكمال المتفرد، والترابط المعصوم الذي يعز فصله ويستحيل نقضه. فهو عليه السلام ليس كآخرين، الذين إذا قالوا نقضوا وإذا عاهدوا نكلوا. بل تبدو سيرته بقوله وفعله وتقريره مزيجا واحدا، تتجلى فيها القيم الإنسانية بأبهى صورها.

ولما كانت شخصية الإمام تحوطها هالة من الاحترام والتقديس لعامة المسلمين، كونه خليفة لهم، وإماما معصوما لدى بعضهم، كان لتلك السيرة قوة تشريعية. فإلى أي مدى استلهم فقهاء المسلمين من تلك السيرة حقوقا تصون حياة الإنسان وكرامته وحريته؟ هذا التساؤل يمكن أن يجاب عليه في بحث مستقل آخر إن شاء الله تعالى.

الهوامش:

(١) عثمان\ د. محمد فتحي\حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي\ص١٥.

(٢) الباش\حسن مصطفى\حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان\ص٢١-٢٢.

(٣) عبد الحي\د. عمر\الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة\ص١٩٠.

(٤) الباش\حسن مصطفى\حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان\ص٢٣.

(٥) المصدر السابق\ص٢٦-٢٧.

(٦) سعفان\د. كامل\معتقدات أسيوية (موسوعة الأديان)\ص١٨٨.

(٧) المصدر السابق\ص٧٥.

(٨) الباش\حسن مصطفى\حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان\ص٢٨-٢٩.

(٩) المصدر السابق\ص٣٢-٣٣.

(١٠) مجموعة مؤلفين\شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم\ص١٠-١١.

(١١) الداماد\مصطفى محقق\الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني\ص٨٥-٨٦.

(١٢) مجموعة مؤلفين\شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم\ص١٤-١٥.

(١٣) المصدر السابق\ص٤٣-٤٥.
(١٤) المصدر السابق\ص٣١.
(١٥) الموحي\عبد الرزاق رحيم صلال\حقوق الإنسان في الأديان السماوية\ص٥١.
(١٦) الباش\حسن مصطفى\حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان\ص٤٢.
(١٧) الموحي\عبد الرزاق رحيم صلال\حقوق الإنسان في الأديان السماوية\ص٦٩.
(١٨) طالبي\سرور\حقوق الإنسان في ضوء المسيحية.
(١٩) الموحي\عبد الرزاق رحيم صلال\حقوق الإنسان في الأديان السماوية\ص١٠٩-١١٠.
(٢٠) طالبي\سرور\حقوق الإنسان في ضوء المسيحية.
(٢١) الداماد\مصطفى محقق\الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني\ص٩٧.
(٢٢) الموحي\عبد الرزاق رحيم صلال\حقوق الإنسان في الأديان السماوية\ص١١٠
(٢٣) المصدر السابق\ص١٢٢.
(٢٤) التركي\د. عبد الله بن عبد المحسن\حقوق الإنسان في الإسلام\ص١٨،٢٥.
(٢٥) عثمان\ د. محمد فتحي\حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي\ص٢٢-٢٣.
(٢٦) نوار\ د. صلاح الدين محمد\نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني\ص٨٩-٩٠.
(٢٧) صبحي\د. احمد محمود\الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي\ص١٥٦.
(٢٨) نوار\ د. صلاح الدين محمد\نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني\ص٨٧-٨٨.
(٢٩) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٤.
(٣٠) جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\ص١٤٤.
(٣١) المصدر السابق\ص١٥٧.
(٣٢) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٥.
(٣٣) المصدر السابق\ص٢٣.
(٣٤) المصدر نفسه.
(٣٥) المصدر نفسه.
(٣٦) القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد إلى اللحد\ص١٥٥.
(٣٧) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين \ص٥٦٦.
(٣٨) المصدر السابق\ص٦٩.

(٣٩)عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٥.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر السابق\ص٢٦.

(٤٢) الواحدي\أبي الحسن علي بن أحمد\أسباب نزول القرآن\ص٤٧٠.

(٤٣) العاملي\الحر\وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة\ج١١\ص٤٩.

(٤٤) القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد إلى اللحد\ص١٤٢.

(٤٥) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين \ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٤٦) المصدر السابق\ص٥٤٧-٥٤٨.

(٤٧) المصدر السابق\٥٥٢.

(٤٨) المصدر السابق\٥٥٢-٥٥٤.

(٤٩) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٥.

(٥٠) حسين\طه\الفتنة الكبرى ..علي وبنوه (٢)\ص٢٥.

(٥١) الدينوري\أبي حنيفة بن داود\الأخبار الطوال\ص١٤٤.

(٥٢) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٦١٨.

(٥٣) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص١٥-١٦.

(٥٤) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص١٠٣.

(٥٥) القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد إلى اللحد\ص٢٩٠-٢٩١.

(٥٦) جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\ص١٥٢.

(٥٧) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٩.

(٥٨) العقاد\ عباس محمود\عبقرية الإمام علي\ص١٩.

(٥٩) المصدر السابق\ص١٤٤.

(٦٠) المدرسي\هادي\ أخلاقيات أمير المؤمنين\ص٤٥.

(٦١) العقاد\ عباس محمود\عبقرية الإمام علي\ص١٩.

(٦٢) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢١.

(٦٣) القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد إلى اللحد\ص٢٤٧.
(٦٤) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٥٠.
(٦٥) الحراني\ بن شعبة\ تحف العقول عن آل الرسول\ص١١٤.
(٦٦) جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\\ص١٣٧.
(٦٧) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص١٥.
(٦٨) نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٥٤٣.
(٦٩) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص١٧.
(٧٠) المصدر السابق\ص١٦.
(٧١) القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد إلى اللحد\ص١٥٧.
(٧٢) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٣٠.
(٧٣) المصدر السابق\ص١٦.
(٧٤) المصدر السابق\ص٢٨.
(٧٥) المصدر السابق\ص١٨.
(٧٦) المصدر السابق\ص٢٨.
(٧٧) حسين\طه\الفتنة الكبرى ..علي وبنوه (٢)\ص١٧-١٨.
(❖) حيث يقول عليه السلام: (فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما، تكون مصيبته به علي أعظم من فوت ولايتكم). نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ ص٦٠٤.
(❖❖)مع أن الإمام كان يعتقد بأحقيته في الخلافة، وقد اغتصبت منه، ولكنه كان ناصحا (وهو بحسب الاصطلاح الحديث معارضا) لمن تصدى منهم للخلافة، وكان عمر كثير ما يستشيره في القضايا الكبرى فيشير عليه وينصحه بما يلزم ذلك، ومنها استشارته في أمر خروجه بنفسه لغزو الروم، فأشار عليه الإمام بعدم الخروج بنفسه(٧٧). نهج البلاغة\ جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٢٥٢.
(٧٨)نهج البلاغة\ جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٢٥٥.
(٧٩) المصدر السابق\ص٢٤٨.

(٨٠) الدينوري\أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة\الإمامة والسياسة\ج٢، ١\ص٥٣.
(٨١)جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\ص١٣٦.
(٨٢) المصدر السابق\ص١٥٠.
(٨٣)نهج البلاغة\ جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٥٩٩.
(٨٤) جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\ص١٥٣.
(٨٥) الدينوري\أبي حنيفة بن داود\الأخبار الطوال\\ص١٦٥.
(٨٦) طي\د. محمد \الإمام علي ومشكلة نظام الحكم\ص١٧١.
(٨٧) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص١٦.
(٨٨) المصدر السابق\ص١٧.
(٨٩) المصدر نفسه.
(٩٠) المصدر نفسه.
(٩١) المصدر السابق\ص١٥.
(٩٢) المصدر السابق\ص٢٩.
(٩٣) المصدر السابق\ص٢٦.
(٩٤) المصدر السابق\ص٢٢.
(٩٥) المصدر السابق\ص٢٣.
(٩٦) حسين\طه\الفتنة الكبرى ..علي وبنوه (٢)\ص٢٠.
(٩٧) العقاد\ عباس محمود\عبقرية الإمام علي\ص١٢٢.
(٩٨) المصدر السابق\ص١٢٠.
(٩٩) نهج البلاغة\ جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٤٢١.
(١١٢) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص١٥.
(١١٣) المصدر السابق\ص١٦.
(١١٤) طي\د. محمد \الإمام علي ومشكلة نظام الحكم\ص١١٧.
(١١٥) عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\ص٢٦.
(١١٦) المصدر السابق\ص٢٢.
(١١٧) المصدر نفسه.

(١١٨) العقاد\ عباس محمود\عبقرية الإمام علي\ص٤٦.
(١١٩) السعد\غسان\حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب(دراسة علمية)\ص٦١.
(١٢٠) المصدر السابق\ص٦٧.
(١٢١) نهج البلاغة\ جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ص٥٦٢-٥٦٣.

المصادر:

١- الباش\حسن مصطفى\حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان\جمعية الدعوة الإسلامية العالمية \ط١ \١٤٢٦\بنغازي.

٢-التركي\د. عبد الله بن عبد المحسن\حقوق الإنسان في الإسلام\نسخة pdf \الموقع الإلكتروني:https://islamhouse.com/ar/books

٣- جرداق\جورج\ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية\دار الأندلس\ط١\٢٠١٠\ بيروت \لبنان.

٤-الحراني\ بن شعبة\ تحف العقول عن آل الرسول\منشورات الفجر\ط١\٢٠٠٨\بيروت لبنان.

٥-حسين\طه\الفتنة الكبرى ..علي وبنوه (٢)\دار المعارف\ط١٣\القاهرة.

٦-الداماد\مصطفى محقق\الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني\دار الهادي للطباعة والنشر\ ط١\٢٠٠٢.

٧- الدينوري\ابي حنيفة بن داود\الأخبار الطوال\تحقيق عبد المنعم عامر\دار إحياء الكتب العربية \ط١ \١٩٦٠\القاهرة.

٨- الدينوري\أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة\الإمامة والسياسة\ج٢،١\مطبعة البابي الحلبي\ط٣\ مصر\١٩٦٣.

٩-السعد\غسان\حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب(دراسة علمية)\مركز الأبحاث العقائدية \ نسخة doc مأمنة\الموقع الإلكتروني:
www.aqaed.com/book/٥٩٥/١.htm

١٠- سعفان\د. كامل\معتقدات أسيوية (موسوعة الأديان)\دار الندى\ط١\١٩٩٩\القاهرة.

١١- صبحي\د. احمد محمود\الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي\دار المعارف\ط٢\القاهرة.
١٢- طالبي\سرور\حقوق الإنسان في ضوء المسيحية\الموقع الإلكتروني:
http://jilrc.com
١٣-طي\د. محمد \الإمام علي ومشكلة نظام الحكم\مركز الغدير\ط١\١٩٩٧\بيروت\لبنان.
١٤- العاملي\الحر\وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة\ج١١\باب١٩\تحقيق محمد الرازي \دار إحياء التراث \بيروت \لبنان.
١٥- عبد الحي\د. عمر\الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة\المؤسسة الجامعية للدراسات \ط ١\ ١٩٩٩\بيروت.
١٦- عثمان\د. محمد فتحي\حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي \دار الشروق \ ط١\١٩٨٢
١٧-العقاد\ عباس محمود\عبقرية الإمام علي\دار الكتاب العربي\بيروت\لبنان\١٩٦٧.
١٨-عهد الإمام علي بن أبي طالب الى واليه على مصر مالك الأشتر\إعداد المستشار فليح سوادي\قسم الشؤون الفكرية والثقافية –العتبة العلوية المقدسة\ط١\٢٠١٠.
١٩- القزويني\محمد كاظم\الإمام علي من المهد الى اللحد\مؤسسة الاعلمي للمطبوعات\ط٣\ ٢٠٠٩\بيروت\ لبنان.
٢٠- مجموعة مؤلفين\شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم\ترجمة أسامة سراس \دار علاء الدين\ط٢\١٩٩٣\دمشق.
٢١- المدرسي\هادي\ أخلاقيات أمير المؤمنين\مؤسسة الاعلمي\ط١\١٩٩١\بيروت \لبنان.
٢٢-الموحي\عبد الرزاق رحيم صلال\حقوق الإنسان في الأديان السماوية\دار المناهج\تقديم أ.د. سعدون محمود الساموك.
٢٣-نهج البلاغة\جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين\ تحقيق فارس الحسون \مركز الأبحاث العقائدية\ط١\١٤١٩\النجف الأشرف\العراق.

٢٤-نوار\ د. صلاح الدين محمد\نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني\منشأة المعارف\ ١٩٩٦\\الإسكندرية.
٢٥-الواحدي\أبي الحسن علي بن أحمد\أسباب نزول القرآن\ تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول\دار الكتب العلمية\ط١\\١٩٩١\\بيروت\لبنان.

الخط العربي والنقود في مدينة الكوفة حتى نهاية العصر الاموي

م. د. صلاح هاتف حاتم
جامعة القادسية / كلية الاثار

زاولا : نشأة الخط الكوفي

بظهور شمس الاسلام دخل الخط العربي[١] مرحلة جديدة فاخذ كتاب القرآن الكريم على عاتقهم اتقان كتاب الله عز وجل بكل اخلاص ليظهروه للناس بالمظهر المناسب وبأحلى واجمل صوره ممكنة وذلك لقدسيته في نفوس المسلمين ولبيان كلماته بوضوح ويسر فكانت هذه الدعوة الى تجويد القران الكريم ساهمت اسهاما فعالا في تجويد الخط العربي منذ عصر النبي ﷺ والعصر الراشدي فقد كان النبي الكريم ﷺ يحث على تعلم القراءة والكتابة [٢]وفي القران الكريم آيات كثيرة تدعوا الى القراءة والتعلم مثل سورة العلق (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) وسورة القلم(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)) فضلا عن ظهور التدوين[٣] ومن الخط الكوفي انحدر الخط المغربي والاندلسي ، ساهمت هذه الامور مجتمعة في تحسين وتجويد الخط العربي والخط المستخدم على الرقوق بشكل عام معروف بالخط الكوفي التي مصرت سنة (١٧هـ / ٦٣٨م)[٤] قريبة من الحيرة وريثة حضارات وسط وجنوب العراق وهذا ما يؤيده الراي القائل بان الخط الحيري[٥]يعتبر المصدر الذي تطور عنه الخط العربي قبل الاسلام يتبين ذلك من الرواية التي نصت على ان خالد بن الوليد عندما توجه في حروبه لفتح ارض السواد وجد قبائل عربيه في الانبار فسألهم ما انتم قالوا : قوما من العرب نزلنا الى قوم من العرب قبلنا فلما رآهم يكتبون سألهم ممن تعلمتم الكتابه ، قالو من قبيلة اياد ثم انشدوا :

قومي اياد لو انهم أمم او لو اقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم[٦]

بلغ الخط العربي الذي انتقل مع المسلمين من الحجاز الى العراق مرحلة متطورة في مدينة الكوفة وذلك لأن العرب المسلمين عند تحرير العراق من الاحتلال الساساني احتاجوا الى نسخ جديده من القرآن الكريم فالمرجح انهم استعانوا بالنساخين السريان الذين لم يكونوا غرباء عن العرب المسلمين[٧] وكان لهم معرفة ودراية بالمداد ومواد

الكتابة مثل الاقلام والمهارق (الاثواب) والجلود والقراطيس وغيرها [٨] فالمرجح انهم جعلوا قواعد واصول هندسية للخط العربي كما كان للخط السرياني ، فلما رأت بقية اقاليم الدولة العربية الإسلامية جمالية الخط القادم من مدينة الكوفة عملوا على تقليده وجعلوه الخط المتبع في كتابة القران الكريم والمراسلات وتسمى باسم المدينة التي صدر منها فاشتهر باسم الخط الكوفي ، لاسيما وان الكوفة اصبحت عاصمة الدولة العربية الإسلامية في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام(٣٦ – ٤٠ ه / ٦٥٦- ٦٦٠ م) ووفود القبائل العربية اليها من الجزيرة ، ساهم ذلك في اتساع النشاط الثقافي والحضاري [٩] حيث نقل التوحيدي ان الامام علي علية السلام كان يتابع الخطاطين الذين يقومون بكتابة المصاحف في الكوفة ويبدي لهم النصائح في كيفية كتابتها حيث قال لأحد الكتبة (الق داوتك ، وأصّل سن قلمك ، وفرج بين السطور ، وقرمط حروفك)[١٠].

كان بداية ظهور الخط الكوفي على المسكوكات العربية الاسلامية وبعض النقوش الكتابية مثل رسائل الرسول (انظر شكل ١) ويتضح ان اللين واليبوسة[١١] صفات من اصول الكتابة العربية في الجاهلية والاسلام ، حتى اصبحت في نهاية العصر الراشدي وبداية العصر الاموي اكثر دقة ورصانة ويميل الى الليونة اكثر ، وقد اطلق المختصين[١٢]على الخط الكوفي خلال العصر الراشدي والعصر الاموي بشكل عام بالخط الكوفي البسيط او الكوفي البدائي وذلك لخلوه من أي ضرب من ضروب الفن والزخرفة ولم يلحقه أي تظفير او تزهير ويميل نحو التأنق والليونة دون ان تدخل عليه أي زيادات او زخارف نباتية ، ويقوم على اصول هندسية حيث تلتقي الحروف الهندسية العمودية مع الحروف الممتدة المنبسطة (لوح شكل ٢) ومن الخط الكوفي ولد الخط المغربي الذي نحن بصدد دراسته .

مصرت الكوفة سنة (١٧هـ/٦٣٨ م) وأصبحت مركزاً للعلم والأدب بعد أن صيرها أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عاصمة للخلافة الأسلاميه عام ٣٦ هـ (١) ، وهاجر إلى الكوفة (إذ هي عاصمة البلاد) الكثير من المسلمين من مختلف الآفاق

وسكنتها القبائل العربية من اليمن والحجاز ، وعمرت فيها الأسواق التجارية ، وتطورت العلوم اللغوية والنحوية والخط العربي .

وأصبحت قاعدة مهمة من قواعد الفتوحات الأسلاميه التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية تطوي الأرض شرقا وغربا في نشر الدعوة الأسلاميه ، ورفد بيت المال بالكم الهائل من الثروات ، فقد بلغ خراج الكوفة في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي حصله سهل بن حنيف مئة مليون وثمانية وعشرون مليون درهم (٢)

أهمية المسكوكات الكوفية

تعتبر نقود الكوفة واجهه حضارية مهمة لهذه المدينة من النواحي الاقتصادية والتاريخية والصناعية والفنية والأثرية خلال حقبة طويلة من الزمن عاصرت خلالها المسكوكات جميع الحقب التاريخية وكانت مرآة عاكسة للإحداث السياسية والاجتماعية لما يحدث في مدينة الكوفة وقد احتلت المسكوكات الكوفية مكانها البارز في المتاحف العالمية وبكميات كبيرة لاسيما في المتحف العراقي .

عيار المسكوكات الأموية في مدينة الكوفة

لاتختلف المسكوكات الأسلاميه في سبكها وسكها في مختلف أصقاع الدولة العربية الأسلاميه وإنما تختلف في عيارها والدرهم أربعة دوانق ، والدينار تتفاوت قيمته بين (١٠ــ ١٢) درهم وكان العيار بالصنجات الزجاجية التي وضعت لوزن الدنانير والدراهم والجواهر الثمينة ، وذلك لحفظ الوزن ثابتا والزجاج أحسن مادة لهذا الغرض إذ لاتؤثرفية الرطوبة مما يوجب اختلاف الوزن ، وكان عيار الفضة التي يضرب منها الدراهم يتحسن من حين إلى آخر ويتبارى الأمراء في تجويده وتحسينه كما تشددوا في تنقيته وتخليصه من الشوائب والزيوف فلما ولي عمربن هبيرة الكوفة سنة (١٠١ــ ١٠٥هـ) ضرب دراهم أنت أجود بكثير مما ضرب الحجاج ، فخلص الفضة من الشوائب واشتد في تبديل العملة ، كما شدد على من يضربونها وكانت دراهمه تدعى بالهبيريه وكان الدرهم الهبيري يزن ستة دوانق بنفس وزن الدراهم التي أقرت في زمن الرسول (صلى الله علية وآله وسلم) .

وعندما ولى خالد بن عبدا لله ألقسري الكوفة لهشام بن عبد الملك سنة (١٠٦ـ ١٢٠ هـ) اشتد في تخليص الفضة من الشوائب ، واشتد في أمر المسكوكات أكثر من ابن هبيرة ، حتى استطاع أخيرا أن يحكم أمرها

وكان وزن الدرهم ألخالدي يزن سبعة دوانق كما أن حجمه اكبر من حجم الدراهم الهبيرية ، وسميت بالدراهم الخالديه

ولما تولى يوسف بن عمر الثقفي الكوفة (١٣٠ـ ١٣٦ هـ) بعد خالد ألقسري أفرط في الشدة وذهب ابعد من أسلافه في تخليص العملة من الشوائب والدقة في العيار وصغر حجمها ، وجعلها على وزن ستة دوانق ونقل دور السك من الكوفة إلى واسط ، وقد غالى يوسف غلوا شديدا في مراقبة الطباعين وأصحب العيار في الكوفة وذلك لكثرة الغشاشين والمزيفين ، فحبس وقطع الأيادي وانتزع الجلود ، وغيرها من الإجراءات القاسية في سبيل السيطرة على شؤون السكة

هذا وكانت الدراهم الهبيرية الخالديه واليوسفية أجود أنواع الدراهم الأموية المضروبة في الكوفة وواسط ، حتى أن الخليفة العباسي ابوجعفر المنصور لم يكن يقبل جباية الخراج بغير هذه الدراهم .

كما راقب ولاة الكوفة في العهد الأموي تداول العملة بين الناس وقد عهدوا إلى المحتسب بالتفتيش ومراقبة الدراهم والدنانير لمنع الغش والتلاعب وقد أشار الأب ماري انستاس الكرملي في كتابة المسكوكات وعلم النميات إلى رجل كان يسمى (الناقد) كانت وظيفته أن يجلس في السوق ليستشيره الناس في تمييز الدراهم وفحصها ، حتى يعرف جيدها من رديئها ويضمن تمام وزنها .

ضرب المسكوكات في الكوفة

وأول أشارة لضرب المسكوكات في الكوفة كانت في زمن الأمير زياد بن أبية بإيعاز من الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٤هـ) (٣) وذكر ابن قتيبة (أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ـ ٨٦ هـ) عين الحجاج واليا على العراق سنة ٧٥هـ ، وضرب له الدنانير والدراهم العربية سنة ٧٦هـ) ، وبذلك يكون ابن قتيبة قد انفرد بذكر ضرب الدنانير على يد الحجاج (٤) غير أن الحجاج قد ضرب دراهم نقش عليها أسمه

والعبارة التالية (بسم الله لااله إلا الله وحده محمد رسول الله) سنة (٧٦هـ) (٥) والمرحلة النهائية لتعريب المسكوكات كانت سنة (٧٨هـ) ويحتفظ المتحف العراقي بدرهم ضرب بأرمينية معرب تعريبا كاملاً لسنة (٧٨هـ) بالرقم (١٤٤٧٢)، خاض الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٦ـ ٩٢هـ) معارك عنيفة إلا أن استقام الأمر لحكام بني أمية (٦) ، وابتدأ سك الدراهم الأموية المعربة في الكوفة سنة (٧٩هـ) ، والدراهم التي نحن بصدد دراستها تبدأ بسنةِ (٨٠هـ) في مدة ولاية المغيرة بن عبدا لله بن أبي عقيل أميراً من قبل الحجاج على الكوفة ، وكان الحجاج في وقتها منشغلاً بحروبهِ مع الخوارج ، ونصوص هذا الدرهم هي كالآتي

لا اله إلا	الله احد الله
مركزالوجة: الله وحدة لاشريك له	مركز الظهر: الصمد لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفوا احد
الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة ثمنين	الطوق : محمد رسول الله ارسلة بالهدى ودين الحق ليظهره على

شـــــكل (١)

الدين كله ولوكره المشركون نلاحظ أن نصوص هذا الدرهم مشابهه لنصوص الدرهم المضروب بدمشق سنة(٧٩هـ) ، ويحيط بنصوص الوجه ثلاث حلقات وقد غفل من ذكر أسماء الخلفاء أو الأمراء .

وفي درهم آخر مضروب في الكوفة سنة (٨١هـ) نصوص الوجه والظهر فيه مشابهه للدرهم السابق:

لا اله إلا	الله احد الله
مركزالوجة: الله وحدة لاشريك له	مركز الظهر: الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة	الطوق : محمد رسول الله

سنة أحدى وثمنين ارسلة بالهدى ودين ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

شكـــل (٤,٣,٢)

وقد غفل هذا الدرهم من ذكر أسماء الأمراء أو الخلفاء مشابه لقالب الدرهم السابق ، بينما توزعت ثلاث حلقات متساوية الأبعاد على أطراف الوجه .

وخلال هذه السنة كانت رحى الحرب تدور بين عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج بن يوسف الثقفي ، فأستخلف الحجاج على الكوفة عبد الرحمن بن عبد الرحمن الخضرمي(٧)

وفي درهم مضروب في الكوفة سنة (٨٢هـ) ونصوصه كما يأتي

لا اله إلا الله احد الله

مركزالوجة: الله وحدة لاشريك له

مركز الظهر: الصمد لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفوا احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة أثنين وثمنين

الطوق : محمد رسول الله ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

شكل (٧,٦,٥)

والقالب مشابه تماما لقوالب الدراهم المضروبة للسنوات (٨٠، ٨١هـ) .

وفي هذه السنة شهدت الكوفة أحداثاً مضطربة إذ دخلها عبد الرحمن بن الأشعث الثائر على الحكم الأموي وطرد أميرها من قبل الحجاج مطر بن ناجية اليربوعي وتقدم الحجاج في نفس السنة بجيش جرار نحو الكوفة ودارت معركة بالقرب من الكـوفة في منطقة ديـر الجماجم قتل فيها الحجاج الكثير من أهالي الكـوفة من الفقهاء والقراء والعبـاد ، وانتهـــت بهزيمة ابـن الأشعث (٨) ، وجعل الحجاج بعد انتهاء المعركة عمير بن هاني العنسي أميراً على الكوفة (٩)

وفي فلس نحاسي نادر ضرب في سنة مئة للهجرة أبان خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) حمل أسم الأمير عبد الحميد بالنصوص التالية

بسم الله	أمر الأمير
مركزالوجة : ضرب هذا	مركز الظهر: عبد الحميد با
الفلس بالكو	لوفا والعــدل
فه سنه مئه	

شـــكـــــل (٨)

نلاحظ أن هذا الفلس حمل لقب الأمير وكنيته (الأمير عبد الحميد) ، وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد الملقب بالأعرج ، ولاه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أمرة الكوفة سنة (٩٩ـ ١٠٠ هـ) (١٠) ، ثار الخوارج في أيامه وجرت بينة وبينهم معركة انتهت بهزيمته أمام الخوارج وفرارة من الكوفة ف نفس السنة مما اضطر الخليفة الأموي عمربن عبد العزيزالى إرسال جيش لأنقاد الكوفة ، هذا وقد استمر الضرب على هذا المنوال طيلة خلافة الدولة الأموية في الكوفة دون ذكر اسم الخليفة أو الوالي واقتصر على ذكر المدينة وتاريخ السك ، في حين منحت صلاحيات للوالي أو الأمير بسك فلوس نحاسية تحمل نصوص مغايرة لنصوص الدراهم والدنانير ويحق للأمير أن يذكر عليها أسمة وبعض القابه وكناه.

هوامش البحث

١ـ ألبراقي ، حسين ألنجفي : تاريخ الكوفة ، تحقيق احمد العطية ، مطبعة الحيدرية ص ٢٨٥.

٢ـ نفس المصدر ص ٢٨٧.

٣ ـ الكبيسي ، حمدان : أصول النظام النقدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٨.ص ١٥.

٤ـ ابن قتيبة ، الدينوري : المعارف ،مطبعة القاهرة ١٩٨٠. ص٢٥٦.

٥ـ دفتر ،د ناهض عبد الرزاق : المسكوكات ، مطبعة الكويت ١٩٨١ ص٧١.

٦ـ الذهبي ،شمس الدين محمد: سير إعلام النبلاء، مطبعة الرسالة ،بيروت ١٩٨١، ج ٤/ص١٤٩.

٧ـ الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ،مطبعة المعارف القاهرة ، ج ٦ ، ص٣١٩.

٨ـ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث كان قائد عسكريا في جيش الحجاج ، ولاه الحجاج امارة سجستان ثم انقلب على الحكم الأموي لما وجد من ظلم وجور استطاع أن يهزم الحجاج ويدخل الكوفة عام (٨٢هـ) وهرب الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، فتبعة ابن الأشعث ودخل البصرة وبايعه أهلها وخلعوا الحجاج ، وسرعان ما بعث عبد الملك بن مروان بجيش جرار من جنود الشام استطاع

أن يهزم ابن الأشعث وأسرة، آل خليفة محمد علي : الكوفة وحكامها ، مطبعة أسوة ١٤٢٥ هـ ،ص٢٩٦.

٩ـ نفس المصدر.

١٠ـ الطبري ، ج٦ ، ص ٥٣٩

والشبكة العنكبوتية العالمية .

http://www.icollector.com



شكل ١



شكل ٢



شكل ٣



شكل ٤



شكل ٥



شكل ٦



شكل ٧



شكل ٨

الهوامش:

١ - يميل الكثير من الباحثين الى الاعتقاد بان الخط العربي مشتق من الخط النبطي واغلب الضن ان الخط النبطي مشتق اصلا من الخط الهجائي الارامي وذلك للتشابه الكبير بين الخطين وقد بنى الباحثين استنتاجاتهم هذه على دراسة واسعة لبعض النقوش النبطية المكتشفة في البتراء عاصمة الانباط و مدائن صالح وفي سيناء ووادي حوران في سوريا واستنادا الى هذه النقوش النبطية المؤرخة بالقرنين الثالث والرابع والسادس الميلادي تبين ان الخط العربي في بداياتة قريب الشبة بالخط النبطي المتأخر ، الجبوري ، سهيلة ياسين : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ، مطبعة الاديب ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٥١ ، و رحيم ، هاشم طه : النظرية النبطية حول اصل الخط العربي ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، عدد ١٠ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٣٩ .

٢ - مثل اشتراطة على اسرى بدر تعليم عشرة من صبيان المدينة القرأة والكتابة مقابل اطلاق سراحه واحاديث اخرى في الخط مثل اذا كتب احدكم (بسم الله الرحمن الرحيم) فليظهر اسنان السين ، واذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن ،الجميلي كمال عبد جاسم : اثر القران الكريم في الخط العربي ، مجلة البحوث والدراسات القرانية ، الجامعة الاسلامية بغداد ، عدد ٩ سنة ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ ، ص ٣١٦ .

٣ - التدوين أي كتابة السيره النبوية والتاريخ مثل كتاب المغازي النبويه للمؤلف محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) ، تحقيق زهير زكار ، دار الفكر دمشق ١٩٨١ و كتاب السير والمغازي للمؤلف محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) تحقيق زهير زكار ، دار الفكر دمشق ١٩٧٨ ثم توسع التدوين والكتابه في شتى العلوم والمعارف مثل اللغة والادب والتاريخ والفلسفة ، انظر ابن

زباله ، محمد بن حسن (ت ١٩٩ هـ) : اخبار المدينة المنوره : جمع وتوثيق ودراسة صلاح عبد العزيز ، المملكة العربية السعوديه ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥

٤ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .

٥ - انظر حميد ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض عبد الرزاق والعبيدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ٢٢- ٢٣

٦ - فرج ، محمد : الفتح العربي للعراق وفارس ، تقديم احمد حسن الباقوري ، القاهرة ، دار الفكر العربي١٩٦٦ ، ص ٩٥ .

٧ - فقد كانت الحيرة تزخر بمعاهد المدارس والكتاتيب ، زغلول ، الشحات السيد : السريان والحضارة الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ص ٢٠، و عبد الباقي محمود ، شيماء : دور نصارى العراق وتطورها حتى نهاية العصر الراشدي ، مجلة جامعة ديالى ، كلية التربية ، العدد ٥٣ ، ٢٠١١ ، ص ١٨ .

٨ - امين ، نضال عبد العالي : ادوات الكتابة ومواده في العصور الاسلامية ، مجلة المورد مجلد ١٥ عدد ٤ ١٩٨٦ ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ، ص ١٣٥

٩ - قطعت الكوفة شوطا بعيدا في المدنية والحضارة واصبحت مركزا للإشعاع الفكري الى جانب نظيرتها البصرة التان اشتهرتا بالفقه والحديث واللغة والتفسير ورواية الشعر والادب فضلا عن تنافسهما الشديد في هذة العلوم وقد لعب الخط الكوفي دورا كبيرا في نواحي الحياة المختلفة وذلك لعناية الكوفيين بة ، الجبوري ، كامل سلمان : الخط الكوفة تاريخه أنواعه تطوره نماذجه ، دار الهلال بيروت لبنان ، ١٩٩٩، ص ٥٧ - ٥٩.

١٠ - التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠ هـ) : ثلاث رسائل ، تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٥١ ، ص ٤٦ ، و حمزة ، حمود حمزة : التوريق والتزهير في الخط الكوفي : رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الاثار ، ١٩٨١ ، ص ١٥ .

١١ - يقصد باليبوسة ان تكون الحروف ممتده تتصف بالتربيع او الزوايا الحاده وقد عرف الخط الكوفي ايضا بالخط المزوي نسبه للزوايا وقد استخدم هذا النوع من الخط اليابس على المواد الصلبة مثل الاحجار والمعادن ، الشرعان ، نايف عبد الله : التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة ، ٢٠٠٧ ، المملكة العربية السعودية ، ص ٢٣٨ .

١٢ - الحسيني ، حسين فرج : النقوش الكتابية على العمائر في مصر ، تقديم اسماعيل سراج الدين ، دراسات في الخطوط عدد ، ٤ ، ٢٠٠٧ ، الاسكندرية ، ص ٥٤ ، الجبوري ، يحي وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ ، ص ٧١ فما بعد ، و ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض عبد الرزاق والعبيدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ١٠٨ .

دور الكوفة السياسي في العراق (ثورة العشرين نموذجا)

م. د صبا حسين مولى / رئيس قسم الدراسات التاريخية
م.د غصون مزهر حسين / مقررة قسم الدراسات التاريخية
مركز المستنصرية للدراسات العربية الدولية / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

مر ما يقرب (٩٨) عاما على اندلاع الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) ، هذه الثورة التي انطلقت من ظروف اجتماعية واقتصادية مغايرة لواقعنا الراهن ، فهي تعد اول ثورة في تاريخ العراق الحديث ، وشكلت منعطف تاريخي وسياسي واجتماعي للشعب العراقي ، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة ، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها ، والتي رافقت انطلاقها ، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق السياسي الحديث.

تنبع اهمية الثورة من امور عديده منها أنها أول ثورة وطنية ضد المحتل خاضها الشعب العراقي بكل طوائفه ، وهي تعد مفتاح وحدة العراق من الريف الى المدينة إنها أول ثورة في الشرق الاوسط ، اصطدم بها الاحتلال البريطاني ، وقد وصفها الإمام السيد (محمد الحسيني الشيرازي) ، "بأنها الثورة التي هزت العرش البريطاني" ، وهذه الثورة كانت مفتاح اعلان العراق كدولة تحت حكم النظام الملكي ، بعد سنوات من السيطرة الاجنبية عليه.

كما انها وحدت الشعب العراقي تحت قيادة شعبية موحدة من كافة فئات الشعب العراقي تحت إشراف المرجعية الدينية بقيادة المرجع الاعلى (محمد تقي الحائري الشيرازي) الذي اعطى فتواه بالإذن الشرعي بالجهاد واعلان الثورة ، (بسم الله الرحمن الرحيم، مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم، في ضمن مطالبهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذ امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم) ، وهذا ما يجعلنا ندرك الدور القيادي الذي اتخذته النجف ماضيا وفي الوقت الحاضر حينما اعلنت فتوى المرجعية الدينية من النجف الاشرف عام ٢٠١٤، بإعلان الجهاد الكفائي ضد داعش الارهابي بعد دخوله لعدد من مدن العراق وانتهاك الحرمات وقتل الناس وسلب الاموال، هي الاخرى كان لها دور فعال في القضاء على

المجموعات الارهابية واستعادة الارض العراقية . وهذا بحد ذاته يجعلنا نستدرك اهمية التاريخ ودورة في توثيق الماضي واستشراف المستقبل .

١-الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤

وصلت الحملة البريطانية إلى مياه شط العرب في يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وفي عشية الغزو العسكري البريطاني ، اصدر السير برسي كوكس الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية بيانا زعم فيه ان حكومته قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي من قبل العثمانيين ، لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء الاتراك من المنطقة وان لا عداء لها مع العرب شريطة ، الا يحموا الجنود الاتراك ، ولا يحملوا السلاح في تجوالهم واكد مهددا على منع ذلك ، كي يجرد السكان من وسائل الدفاع عن انفسهم في ظرف غابت فيه السلطة المحلية الحامية ، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي ان يتوغل بسهولة ، نزلت القوات البريطانية في الفاو في ساعة متأخرة من يوم ٦ تشرين الثاني ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيون إلى الانسحاب، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شط العرب. أمّا السلطات العثمانية في البصرة فلم يصل اليها خبر احتلال الفاو الا في اليوم التالي من المدنيين الذين غادروا المنطقة إلى البصرة، فاستعدت القوات العثمانية لتصد التقدم البريطاني باتجاه البصرة الا ان حركة هذه القوات كانت غير نظامية ولا مدروسة بل مليئة بالأخطاء سواء في شكل التقدم أو في التعبئة والتموين ولم تقدم الاستخبارات العثمانية اية معلومات لقائد القوة عن الموقع البريطاني، ولم تكن لديه خريطة للمنطقة وقصارى القول ان القيادة العثمانية اعتمدت على الارتجالية دون التخطيط والحسابات العسكرية الدقيقة [1].

أمّا الخطط العسكرية والامدادات البريطانية فكانت مبنية على حسابات دقيقة وتقديرات جيدة منذ بداية تحرك القوات البريطانية من الهند، مكنت البريطانيين من دحر العثمانيين في معارك السنية وسيحان وكوت الزين ، وفتح الطريق امام هذه القوات لاحتلال مدينة البصرة، حيث انسحبت القوات البريطانية باتجاه القرنة، ودخلتها القوات البريطانية في يوم ٢٢ تشرين الثاني وفي اليوم التالي استعرضت القوات البريطانية في

البصرة ، ورفع العلم البريطاني على سطح احد المباني الرئيسة ، واطلقت البحرية البريطانية مدافعها تحية له ، واذاعت السلطة المحتلة خطابا دعت فيه اهالي البصرة إلى التعاون معها باعتبارها السلطة الوحيدة القائمة واقعيا ووعد الخطاب بالحرية والعدالة[٢].

قامت القوات البريطانية بعد احتلالها لمدينة البصرة ، بإقامة المعسكرات لسكنى قواتها وانزال معداتها العسكرية ، والقيام بدوريات للحراسة ، والبحث عن الاسلحة في القرى المحيطة بالبصرة، وتقرر مطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة والزبير، وقد اعطى الاحتلال القرنة اهمية كبيرة لموقعها العسكري ، ولصلاحية الملاحة إلى الخليج العربي ، وغنى المنطقة الزراعية ، واحاطتها بإقليم الاحواز، فتقدمت القوات البريطانية واحتلت المدينة بعد استسلام القوات العثمانية في يوم ٩ كانون الاول ١٩١٤. وبدخول القرنة اصبح البريطانيون يسيطرون على ملتقى نهري دجلة والفرات والطريق الملاحي إلى الخليج العربي. لقد اوضحت الانتصارات البريطانية السريعة ضعف الاتراك، وعدم استعداد القيادة العثمانية في العراق للوقوف بوجه الغزو البريطاني ، لهذا اعاد العثمانيون النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق، وعملوا على كسب تأييد العراقيين لهم عن طريق اعلان الجهاد المقدس الذي كان له اثره في توجيه الراي العام المتأثر بالعواطف الدينية إلى حمل السلاح بوجه البريطانيين وبلغ عدد المتطوعين بين ١٠-١٥ الف مقاتل، وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في الشعيبة قرب البصرة [٣].

لقد اوضحت الانتصارات البريطانية السريعة ضعف الاتراك ، وعدم استعداد القيادة العثمانية في العراق للوقوف بوجه الغزو البريطاني ، لهذا اعاد العثمانيون النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق ، وعملوا على كسب تأييد العراقيين لهم عن طريق اعلان الجهاد المقدس الذي كان له اثره في توجيه الراي العام المتأثر بالعواطف الدينية إلى حمل السلاح بوجه البريطانيين وبلغ عدد المتطوعين بين ١٠-١٥ الف مقاتل ، وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في الشعيبة قرب البصرة . احتشدت القوات العثمانية بقيادة سليمان عسكري بك ومعها قوات المتطوعين وبدأت بمناوشة القوات البريطانية ، وبدأ الهجوم الفاصل صباح يوم ١٢ نيسان ١٩١٥ ولكنه كان هجوما فاقدا لعنصر المباغتة

نظرا لما سبقته من شواهد دالة عليه ، فقام البريطانيون بهجوم مضاد اسفر عن انتصار كاسح للقوات البريطانية ، وابادة قسم كبير من القوات العثمانية ، وتعد موقعة الشعيبة من المواقع الحاسمة في تاريخ عملية الاحتلال البريطاني للعراق ، فقد فتتت معنويات القيادة العثمانية وخاصة عند انتحار القائد سليمان العسكري كما اوجدت الشكوك بين الناس في امكانية صمود العثمانيين امام الغزو البريطاني واعتبرت معركة الشعيبة مأساة تاريخية هامة بالنسبة للعثمانيين. بعد هزيمة العثمانيين في القرنة والشعيبة تقهقرت قواتهم نحو العمارة والناصرية، بيد ان القوات البريطانية لاحقتها، واتجهت قوة برية ومائية في دجلة إلى العمارة، فاحتلتها في ٢ حزيران ١٩١٥، كما احتلت قوة اخرى ، اتجهت عن طريق الفرات ، الى الناصرية في ٢٥ تموز، وبعد معارك دامية تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية ، واصبحت ولاية البصرة كلها تقريبا تحت الاحتلال البريطاني(٤).

شجع احتلال ولاية البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية ، القادة العسكريين البريطانيين على طلب التقدم نحو بغداد ، واوضح السير برسي كوكس ، رئيس قادة الحملة السياسيين في برقية بعثها إلى نائب الملك في الهند، بانه لا يرى كيف يمكن ترك احتلال بغداد، وقد اخذت حكومة الهند على عاتقها تحقيق فكرة الزحف نحو بغداد بعد تعيين الجنرال جون نيكسون إلى القيادة ما بين النهرين في ٩ نيسان ١٩١٥، وخولته بالزحف على بغداد اذا كان مقتنعا بان القوة المتوفرة لديه تكفي للقيام بالعمليات المطلوبة. تقدمت الحملة البريطانية عن طريق دجلة باتجاه بغداد ، وكانت بقيادة الجنرال تاوزند الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السابقة ضعف مقاومة الاتراك وان قواته لن تجد صعوبة في احتلال بغداد ، أمّا العثمانيون فقد عمدوا إلى تجميع قواتهم المندحرة، وشكلوا لجنة تحصين مدينة بغداد للدفاع عنها وحدثت اول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت، في ٢٧ ايلول ١٩١٥ استمرت نحو عشرين ساعة واشترك فيها الاسطولان النهريان البريطاني والتركي ، وانتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين إلى خطوط دفاعية جديدة اقاموها قرب المدائن بعد ان خسروا ١٧ الف قتيل وجريح و١٢٨٩ اسيرا، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بعد بغداد بعد استعدادات دامت

ستة اسابيع. استعد العثمانيون بقيادة نور الدين لملاقاة البريطانيين قرب المدائن وحصلوا على امدادات عسكرية من الاناضول، كما وصل إلى بغداد الجنرال الالماني فون دوكولتز لتنظيم الدفاعات العثمانية ودارت معركة ضارية بين الجانبين، وخلال المعركة عززت القوات العثمانية بفرقة جديدة بقيادة خليل بك الامر الذي مكن العثمانيين من توجيه ضربة قوية اضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب والتراجع نحو الكوت بعد ان تكبدت خسائر فادحة بلغت في يوم ٢٢ تشرين الثاني وحده ٤٥١١ قتيلا [٥].

استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن ، وقامت بتعقب القوات البريطانية المتراجعة ، وتمكنت من محاصرة البريطانيين في مدينة الكوت في ٧ كانون الاول ١٩١٥، وقد استمر الحصار حوالي خمسة اشهر، ذاق فيها البريطانيون ويلات الحصار، فاكلوا لحوم الخيل وخلعوا ابواب وشبابيك البيوت لاستعمالها في الوقود. وقد حاول البريطانيون عدة مرات انقاذ جيشهم المحاصر دون جدوى ، واجروا مفاوضات مع العثمانيين لرفع الحصار مع استعدادهم لوضع مليون أو مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوات العثمانية ، لكنه امتنع عن قبول هذه الرشوة ، واصر على التسليم دون قيد أو شرط ، فاضطر البريطانيون إلى الاستسلام في يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦ بعد ان اتلفوا سلاحهم ومعداتهم وبلغ عدد القوات التي استسلمت ١٣٥٠٠ جندي عدا الضباط وارسل هؤلاء اسرى إلى الاناضول والحقيقة ان تسليم الكوت كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه احتلال بغداد، وان خسائر البريطانيين منذ البداية حتى تسليم الكوت كانت كبيرة إذ بلغت ٤٠ الف بين قتيل واسير، واخيرا فان تسليم الكوت كانت ضربة قوية لسمعة البريطانيين. في الوقت الذي كانت القوات البريطانية محاصرة في الكوت عقدت بريطانيا اتفاقية سرية مع الحلفاء لاقتسام الممتلكات العثمانية، عرفت باسم اتفاقية سايكس- بيكو [٦] . فقد تم تعين البريطاني مارك سايكس والفرنسي جورج بيكو لإجراء المفاوضات نيابة عن الدولتين. ولابد من الاشارة هنا ان بريطانيا كانت في الوقت نفسه قد دخلت في مفاوضات مع الشريف حسين في الحجاز لتضمن مساعدته في الحرب ضد الدولة العثمانية، وقد اشترط الشريف حسين ان تكون هذه المساعدة متوقفة على اعتراف بريطانيا بأماني العرب القومية. واذ كانت الحكومة الفرنسية شاعرة باحتمال

عقد صفقة عربية – بريطانية ، وتواقة الى الحصول على جزء من الامبراطورية العثمانية لنفسها ، فقد الحت على الاعتراف بمطالبها. ولما اقدمت بريطانيا وفرنسا على تحديد حقوقهما على هذه الشاكلة رغبتا في الحصول على مصادقة روسيا عليها، ومن اجل هذا ارسل سايكس وبيكو الى سان بطرسبورغ في اوائل ربيع عام ١٩١٦. وهناك عرضا لائحة اتفاقيتهما وحصلا على مصادقة روسيا عليها ، ولكن بعد ان كان الثمن الاعتراف بمطالب روسية اخرى في المنطقة. وقد اتخذت هذه الصفقة فيما بعد شكلا رسميا في ٢٦ نيسان ١٩١٦ باسم اتفاقية سازونوف - باليولوغ. وقد اصبحت بعد ذلك جزءا من لا يتجزأ من التسوية العامة التي تمت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، والتي يشار اليها عادة باسم اتفاقية سايكس-بيكو [٧].

من جانب اخر كانت الحرب في العراق ما زالت مستمرة ولم يحاول العثمانيون استثمار الهزيمة البريطانية في الكوت لمحاولة التقدم إلى جنوب العراق واعادة احتلاله وطرد البريطانيين منه ، وانما ارسلوا قواتهم إلى ايران لمحاربة القوات الروسية، مما اضعف القوات العثمانية الموجودة في العراق ، ومكن البريطانيين من تعزيز قواتهم من جديد وخاصة بعد تولي الجنرال ستانلي مود قيادة هذه القوات التي بدأت باستئناف الهجوم ضد العثمانيين منذ اوائل عام ١٩١٧، ودارت معارك هائلة بين الجانبين تضعضع فيها مركز العثمانيين الذين اضطروا إلى الانسحاب من الكوت إلى المدائن يوم ٢٧ شباط وتحصنوا فيها، لكن البريطانيين استمروا في تقدمهم نحو المدائن مما دفع العثمانيين إلى الانسحاب نحو نهر ديالى في ٦ اذار ثم انسحبوا من بغداد فدخلها البريطانيون بقيادة الجنرال مود فجر يوم ١١ اذار ١٩١٧، وقد اصدر الجنرال مود تصريحه الشهير الى اهالي بغداد: "اننا لم ندخل بلادكم اعداء فاتحين، انما دخلناها محررين". كان لاحتلال بغداد من قبل البريطانيين اثاره السياسية والعسكرية والنفسية على الوجود العثماني في مناطق العراق الاخرى ، وقد واصل البريطانيون تقدمهم في شمال العراق فاحتلوا سامراء في ٢٢ نيسان، والرمادي في ٢٩ ايلول، وتكريت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧، وبقي الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب الشرقاط حتى اواخر تشرين الاول ١٩١٨ وكان على بعد ١٢ ميلا من القوات العثمانية في مدينة الموصل عند عقد الهدنة في ٢٠

تشرين الاول ١٩١٨، وكانت الموصل بموجب اتفاقية سايكس- بيكو قد وضعت ضمن النفوذ الفرنسي ، بينما وضعت بغداد والبصرة ضمن النفوذ البريطاني، غير ان بريطانيا ظلت مصممة على نقل الموصل الى سيادتها، فطلب قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال، وكان قد تولى قيادة هذه القوات بعد موت الجنرال مود بمرض الكوليرا، في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧، من علي احسان باشا قائد القوات العثمانية في المدينة مغادرتها، وجرت مفاوضات بين الجانبين وافق فيها العثمانيون على الجلاء عن المدينة، ورفع العلم البريطاني عليها في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨، ولما كان من الممكن ان يشكل احتلال الموصل معارضة فرنسا، فقد تم تسوية الامر بأن تأخذ فرنسا حصة من النفط مقابل الموصل. وهكذا انتهت الاعمال العسكرية بعد ان امتدت زهاء اربع سنوات، وخضع العراق للإدارة البريطانية وقد كلف احتلال العراق البريطانيين خسائر فادحة قدرتها المصادر البريطانية، بحوالي مائة الف قتيل وجريح، هذا فضلا عن الخسائر المادية الهائلة، لهذا يمكن القول ان العراق كان من الجبهات الاساسية التي استنزفت العدد الكبير من الرجال والمال الوفير [٨].

٢-بداية النشاط السياسي للكوفة

كانت بداية النشاط السياسي لمدينة الكوفة ، حينما عقد فيها مؤتمر بين الثوار والقوات البريطانية المحتلة في ١٧ تموز ، وقد حضر المؤتمر عن الجانب المحتل الميجُر توربري الحاكم الإنجليزي للواء الشامية والنجف[٩]. ومثل الثوار بالإضافة إلى رؤساء العشائر الموجودة في المنطقة كل من الشيخين عبد الكريم الجزائري وجواد الجواهري اللذان كان مندوبين عن الشيخ فتح الله الأصفهاني وقد تم الاتفاق بين الطرفين على هدنة تكون مدتها أربعة أيام حيث تنسحب خلالها حامية أبو صخير إلى الكوفة من دون أن يصيبها أي أذى ، كما تعهد الميجر توربري بمراجعة الحاكم العام ببغداد حول مطاليب الثوار في اللواء وهي:

١. العفو العام عن جميع العراقيين بمن فيهم أهل الرميثة، الشامية والدغارة.

٢. توقف جميع الحركات العسكرية وإصلاح سكة الحديد ونقل القوات العسكرية من مكان إلى آخر.

٣.إطلاق سراح جميع المعتقلين والمنفيين خصوصا ابن المرجع محمد تقي الشيرازي.
٤. تشكيل المؤتمر العراقي [١٠].

لم يجد الثوار مصداقية من قبل الجانب البريطانية في تنفيذ مطاليبهم، الى جانب أن الكثير منهم قد ندموا في إعطاء هذه الهدنة وتخليص حامية أبو صخير من الحصار بعد أن كثر عليهم النقد والتجريح. لذا هاجم الثوار في اليوم الثالث من الهدنه أي في يوم ١٩ تموز على خمسة شخاتير وهي محملة بالمؤون والعتاد لنقلها لغرض إمداد حامية الكوفة وفي الوقت نفسه هاجم نفر من أهل الكوفة السراي الحكومي الموجود في المدينة وقاموا بالاستيلاء عليه[١١]. كما اقدم الثوار ومن أنضم معهم بحصار الحامية البريطانية الموجودة في الكوفة والتي كان يقدر عدد أفرادها ب ٧٥٠ شخصا مؤلفة من الجنود، ، الشرطة والموظفين .

بدا الحصار الفعلي للحامية في يوم ٢١ تموز وأناط الثوار بأمر الحصار بعلوان الحاج سعدون رئيس بني حسن. وقد كانت الحامية قد تحصنت في الخانات المشرفة على النهر كما كانت الباخرة الحربية آير فلاي قد رست في النهر تجاه الحامية لحمايتها. وقد كانت الطائرات البريطانية تقوم بالإغارة على الكوفة طيلة مدة الحصار على الحامية وفي يوم ٢٤ تموز ألقت إحدى الطائرات ثلاث قنابل على جامع الكوفة الكبير فأدى ذلك إلى مقتل العديد من الناس الذين كانوا متواجدين في الجامع. وقد استمر حصار الثوار للحامية ثلاثة أشهر وفي يوم ١٧ من شهر تشرين الأول وصلت القوات البريطانية إلى الأطراف الشمالية من البلدة وكان الثوار متجمعين فيها ، وللإمكانيات العسكرية للقوات البريطانية استطاعت فك حصار الحامية ،استعاده المدفع الذي كان الثوار قد استولوا عليه في معركة الرارنجية الذي كان من الاسلحة المستخدمة من قبل الثوار في قصف الحامية البريطانية إثناء فترة الحصار [١٢].

٣-الثورة في النجف

أعلنت الثورة في مدينة النجف في يوم ٢١ تموز وعند إعلانها انسحب معاون الحاكم السياسي للمدينة حميد خان من السراي الحكومي بهدوء وبدون أي مشاكل، وأصبحت مدينة النجف بعد إعلان التمرد تحكم نفسها بنفسها شأنها شأن جميع المدن

العراقية التي أصبحت لا تخضع لسلطة الإدارة البريطانية المتواجدة في العراق حيث تقرر في النجف تشكيل مجلسين هما الجلس التشريعي ومجلس تنفيذي على أن يكون عدد أعضاء المجلس التنفيذي للمدينة أربعة أشخاص وهم رؤساء المحلات الأربعة الموجودة في النجف وعلى ان يكون عدد أعضاء المجلس التشريعي ثمانية أشخاص يجرى انتخابهم من المحلات حيث جرت الانتخابات في يوم ٢٥ آب. وقد تمت مبايعة الشيخ فتح الله الأصفهاني لكي يكون المرجع الأعلى لدى الشيعة بعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي وذلك في شهر آب ، انتهز الحاكم البريطاني على العراق آرنولد ويلسون هذه المناسبة وأرسل رسالة إلى الشيخ فتح الله الأصفهاني وذلك بعد انتقال المرجعية الدينية له في يوم ٢٧ من آب يعرض فيها الصلح ، وعند وصول رسالة ويلسون إلى الأصفهاني استدعى الأخير حاشيته ومستشاريه للمداولة في الأمر وعندها انقسم الجمع إلى فريقين فريق يريد المفاوضة مع المحتل لغرض الصلح وفريق رفض ما عرضه ويلسون(١٣). وقد اشتد الجدال بين الفريقين وكانت الغلبة فيه للرافضين للمفاوضة مع الإنجليز حيث أرسل الشيخ الأصفهاني رسالة إلى ويلسون يعلن فيها رفضه للصلح . في يوم ١٨ تشرين الأول وصل إلى مقر الكولونيل الإنجليزي ووكر وفد من أهالي النجف لتسليم المدينة لهم بدون أية شروط . كما أبدى الوفد استعداده لقبول ما تفرضه عليهم الحكومة الإنجليزية من الشروط التي تراها مناسبة وملائمة (١٤).

وقد كانت أولى شروط القائد البريطاني للوفد هو تسليم الأسرى الذين كانوا معتقلين في خان شيلان بالنجف فجرى تنفيذ الطلب وسلم الأسرى في اليوم الثاني إلى القوات البريطانية ولم يعلنوا جميع شروطهم للوفد وذلك لانشغال قواتهم في قتال في مناطق أخرى وفي صباح يوم ١٦ تشرين الثاني بلغوا علماء ووجهاء النجف بقية الشروط عليهم وذلك بعد أن قاموا بحشد العديد من قواتهم بالقرب من المدينة وقد تم تنفيذ جميع شروط المحتل وبعدها دخلت تلك القوات المدينة وقامت بإغلاق باب السور وقامت بمنع الدخول والخروج من وإلى المدينة لا بإذن منها وقد استمر هذا الحال لمدة ٢٤ يوما(١٥).

كما اجتمع أعضاء جمعية النهضة الذين اجتمعوا في ١٩ آذار في النجف الأشرف وقرروا بالاجماع البدء بالثورة عن طريق اغتيال الضابط مارشال حيث سيؤدي ذلك إلى سلسلة ردود فعل من جانب الإنكَليز وضدهم، تؤدي في النهاية إلى قيام ثورة عامة في الفرات الأوسط.

وبالفعل تمَّ اغتيال مارشال على يد عشرين شخصاً تنكروا في ثياب الشبانا (البوليس المحلي) ودخلوا مقر الإدارة المركزية البريطانية في خان عطية أبو كلل تحت شعار انهم يحملون رسالة مستعجلة إلى المارشال [١٦].

ان ثورة النجف كانت أول ثورة في العراق على القوات البريطانية، وهي لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما تمكن الإنكليز من القضاء عليها في مهدها، ولكنها على الرغم من قصر عمرها تُعتبر حدثاً مهماً من الناحية السياسية والاجتماعية ، فهي تعطينا صورة حية من صور المجتمع العراقي في تلك المرحلة ، ومن الممكن القول انها من الأحداث التي تهم الباحث الاجتماعي والمؤرخ في آن واحد، أو لعل أهميتها الاجتماعية أكبر من أهميتها التاريخية.

الخاتمة :

لم تحقق الثورة كل أهدافها إلا أنها أسهمت في تغيير موقف الحكومة البريطانية والتخلي عن فكرة الحكم المباشر ، والاعتراف بتأسيس حكومة وطنية ، والاستقلال . وهذا ما سيؤثر على مستقبل الحركة السياسية في العراق عموماً الذي استفاد من الثورة ، إلا أن المرجعية الدينية دفعت الثمن . إذ لم تغفر لها بريطانيا ما سببته لها من مشاكل وصعوبات خلال خمس سنوات ، فغيرت من خططها بحرمان قادة الثورة وجماهيرها من السلطة. ورغم ذلك فقد حققت ثورة العشرين إنجازاُ عظيماً في تاريخ العراق الحديث، إذ لولاها لم يحقق العراق وجوده السياسي متمثلاً بتأسيس الدولة العراقية ولأول مرة منذ سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨ م. إذ بقي العراق طوال القرون التالية إما بأيدي أسر حاكمة غريبة عنه، أو ولاية تابعة للدولة العثمانية خلال القرون ١٦-٢٠ . فقد مهدت ثورة العشرين لتأسيس أول حكومة عراقية برئاسة عبد الرحمن الكيلاني بتاريخ

١٩٢٠/١٠/٢٥ ، ثم مجيء الأمير فيصل بن الشريف حسين، الذي أصبح الملك فيصل الأول، ليتولى عرش العراق في آب ١٩٢١.

الهوامش:

١ - أ.م.د. فلاح محمود خضر البياتي ،د. عبد الكريم حسين عبد. ، سياسة الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الاوسط ١٩١٧-١٩٢٠م مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، العدد ٦، اذار ٢٠١٢.

٢ - فيليب ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف، بيروت- ١٩٤٩م، ص ٤٦.

٣ - علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٤ ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٥ ، صص١٩٦-١٩٧ .

٤ - مذكرات تحسين علي، ١٨٩٠-١٩٧٠، تقديم ومراجعة د صالح العابد ،بيروت ، ٢٠٠٤، ص٤٤.

٥ - طونزند، مذكرات الفريق طونزند، ترجمة حامد احمد الورد، الدار العربية للموسوعات، ط٢، د. م-١٩٨٦م، ص ص٣٥٩و٤١٨.

٦ - وميض جمال عمر نظمي، ثورة١٩٢٠م، ط٢، بيروت- ١٩٨٥م، ص١٧٣.

٧ - عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، مطبعة العرفان، صيدا- ١٩٣٥م، ص٦٢.

٨ - المصدر نفسه ، ص ٦٣.

٩- عبد الله فياض ، الشورة العراقية الكبرى ١٩٢٠،، بغداد ١٩٦٣، ص٢١٢.

١٠ - المصدر نفسه .

١١ -عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي،ج١ ، ١٩٤٨، ص٨٥.

١٢ -امين سعيد ، الثورة العراقية الكبرى ،ج١، القاهرة . د.ت ، ص٤٢.

١٣ - فيليب ويلارد ايرلند ، العراق ، دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩، ص٢٠٤ .

١٤ - المصدر نفسه .

١٥ - وميض جمال عمر نظمي ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

١٦ - المصدر نفسه .

المصادر

١-أ.م.د. فلاح محمود خضر البياتي ، د. عبد الكريم حسين عبد ، سياسة الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الاوسط ١٩١٧-١٩٢٠ ، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، العدد ٦، اذار ٢٠١٢.

٢-امين سعيد ، الثورة العراقية الكبرى ،ج١، القاهرة . د.ت .

٣-طونزند، مذكرات الفريق طونزند، ترجمة حامد احمد الورد، الدار العربية للموسوعات، ط٢، د. م ، ١٩٨٦.

٤-عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي،ج١ ، ١٩٤٨.

٥-عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، مطبعة العرفان، صيدا ، ١٩٣٥ .

٦-عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، بغداد ١٩٦٣.

٧-علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٤ ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٥ .

٨-فيليب ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف، بيروت ، ١٩٤٩ .

٩-فيليب ويلارد ايرلند ، العراق ، دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩ .

١٠-مذكرات تحسين علي، ١٨٩٠-١٩٧٠، تقديم ومراجعة د صالح العابد ،بيروت ، ٢٠٠٤.

١١-وميض جمال عمر نظمي، ثورة١٩٢٠م، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.

حكم الحزب الأموي ودوره في الأحداث السياسية في الكوفة

م.د. سلام رزاق حسون
جامعة المثنى/ كلية التربية / علوم القرآن

التمهيد:

لقد كانت أولى أهداف الأمويين في سياستهم، القضاء على العلويين وأتباعهم وآثارهم بكل ما يملكون من الوسائل، وكان ذلك يشغل الجانب الاكبر من تفكيرهم وجهودهم، لأنه يرون فيهم الخطر الذي يهدد سلطانهم وسلامة دولتهم، وتتضح هذه الاهداف من سيرة المدبر الأول وداهية العرب معاوية وولده يزيد، ومن جاء بعده منهم، وقد أشار هشام بن عبد الملك، في رسالته التي بعثها إلى واليه في العراق، يوسف بن عمر، إلى النوايا السيئة التي حملها الأمويون على الشيعة وائمتهم، قال:(أما بعد، فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم، لانهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليه شرائع دينهم، ونحلوهم ما هو كائن، حتّى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها على الخروج)[1]، ولكنهم مع ذلك ما استطاعوا ان يطفئوا شعلة الحق من قلوب المؤمنين، ولم يتم لهم ما ارادوه، وإن حالوا بينهم وبين ادارة شؤون الامة والقيام بأمر الخلافة، لذا فقد نقض معاوية كل ما تعهد به للإمام الحسن عليه السلام بعد هدنة الخلافة لمصلحة الاسلام العليا على ان يحفظ لأتباع علي عليه السلام وللمسلمين حقهم وكرامتهم، فرحل الحسن عن الكوفة، هو وأهل بيته إلى مدينة جده محمد صلى الله عليه وآله، ولكن معاوية لنفاقه ودهائه ونفسه التي لا تعرف إلاّ المكر والغدر، أبى أن يفي بشيء مما عاهد عليه، فهل يمكن أن نعد عصر الأمويين خير القرون وقد خضّبوا وجه الاَرض بدماء الاَبرياء وقتلوا سبط النبي صلى الله عليه وآله في كربلاء عطشاناً وذبحوا أولاده وأصحابه وهتكوا حرمة الكعبة؟!

وهذا هو الحجاج صنيعة أيديهم اقترف من الجرائم البشعة ما يقشعر لها جبين الاِنسانية، ولا أطيل الكلام فيه والتاريخ خير شاهد على ذلك وبالمقابل وضع المحدثين وسماسرة الحديث روايات تمدح معاوية والعصر الأموي بما يطهر الجهاز الأموي الحاكم ممّا ارتكبه من مآسي وإحن[2].

وبعد هذا الإيجاز عن حقيقة الأمويين نودّ بيان متى نشأت الكوفة وعلى أيدي من؟والجواب على ذلك أن الكوفة أنشئت لتكون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن وأسسها سعد بن أبي وقاص سنة(١٧ هـ ٦٣٨م) بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، اذ كتب عمر الى سعد ان العرب لا يوافقهم الا ما وافق ابلهم ، وامر قواده ان يرتادوا موضعاً لا يفصله عن المدينة بحر ولا عارض ، إذ أن الكوفة لم تعرف كمدينة مسكونة الاّ في الفتوحات الإسلامية، في سهل يدعى سورستان من الإسم الفارسي شورستان والتي تعني الصحراء، إذ كان يقال لها (سورستان)[٣] و(خد العذراء) لأنها كانت أرض سهلية تصلح للزراعة، لخصوبة أرضها وقربها من نهر الفرات، إذ تقع على الضفة اليمنى منه ، وقيل: هي الرملة أو إنها الرملة الحمراء[٤]، وقال ابن سيدة: الكوفة سميت بذلك لأن سعداً لما أراد أن يبني الكوفة ويمصرها قال: (تكوفوا في هذا المكان أي اجتمعوا فيه)[٥]، وقال المفضل: إنما قالوا كوفوا هذا الرمل أي نحوّه وأنزلوا، ومنه سميت الكوفة، وقال الكسائي: (كانت الكوفة تدعى كوفان)[٦] ويحتمل أن التسمية جاءت من أن كل ارض فيها الحصباء مع الطين والرمل فتسمى : كوفة ، وهناك أسماء أخرى منها أن اسمها سرياني ، ومنها أنها بمعنى (البلاء والشر) أو(ما بين الدغل والقصب والخشب)[٧] وكذلك سميت كوفة الجند لأنها اسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند .

وأما تمصيرها فكانت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٧١هـ، وقال قوم إنها مصرت بعد البصرة بعامين في سنة ٩١ وقيل سنة ٨١هـ[٨] ، ومهما يكن فإن اسمها اسم عربي [٩] ،وقد وقع الإختيار عليها لجوها المناسب لسكنى العرب ، فمن الغرب الجو البري المتصل بصحراء الجزيرة العربية من نقاوة الهواء ومسرح الإبل، ومن الشرق الجو البحري حيث نهر الفرات إذ يمنع الغزاة من عبوره فضلا عن الإستفادة منه في إرواء الأراضي الزراعية القريبة منه أو بشق الأنهار والجداول لسقي المناطق البعيدة.

وتقع مدينة الكوفة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الاوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو ١٠ كم وغرب العاصمة بغداد بنحو ١٥٦ كم ترتفع المدينة عن سطح البحر بنحو٢٢م ،ويحدها من الشمال ناحية الكفل ومن الشرق ناحية السنية

وناحية الصلاحية، ومن الغرب كري سعد ، ومن الجنوب قضاء أبي صخير وناحية الحيرة[١٠].

وولي تخطيط المدينة أبو الهياج عمرو بن مالك الاسدي وبعد انتصار الجيش الإسلامي في معركة القادسية لاحظ عمر بن الخطاب أن أفراد الجيش في المدائن قد تغيرت ألوانهم ورأى ذلك في وجوه وفودهم فقالوا:(وخومة البلاد غيَّرتنا)[١١]، فاختار الخليفة الثاني مدينة الكوفة لتكون مركزاً للفتوحات الإسلامية وانطلاقا منها.

ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب استفسر عن سبب هذا التغيير في التعب الجسدي والارهاق النفسي للجنود من سعد بن أبي وقاص فأجابه : (غيرتهم وخومة البلاد، والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إبلها فكتب إليه يبعث سلمان وحذيفة ليبحثا عن مكان مناسب للجيش الإسلامي)[١٢]،ثم أن الكوفة حالها حال بلد السواد (العراق) من حيث الخيرات والخراج، فحمل من خراج سواد الكوفة إلى عمر في أول سنة ستة وثمانون ألف ألف درهم، وحمل من قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم[١٣].

وبدأت القبائل العربية التي تشكل الجيش الإسلامي ببناء بيوتها من القصب حسب أوامر الخليفة عمر بن الخطاب، الذي كان لا يريد لهذا الجيش الإستقرار في المدن خوفاً من تركهم للجهاد، فلم يسمح لهم بالبناء باللبن إلا بعد الحريق الذي وقع في الكوفةّ وبالبصرة، وكان أشدّهما حريقا الكوفة، فاحترق ثمانون عريشا، ولم يبق فيها قصبة في شوّال، فما زال الناس يذكرون ذلك[١٤]، فبعث سعد منهم نفرا إلى عمر يستأذنون في ذلك فسمح لأفراد الجيش البناء باللبن، ولكن شرط عليهم أن لا يزيد كل مقاتل عن ثلاث غرف في داره.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت للكوفة أهمية عظيمة في الإسلام فمنها انطلقت الفتوحات الإسلامية بإتجاه الشرق وحتى وصلت بلاد الهند والسند، وفيها نشأت مدرستها العلمية في كافة العلوم ولا زالت آثارها تدرس في وقتنا الحاضر حيث يقف النحويون على آراء رواد[١٥]هذه المدرسة في دروس اللغة العربية وقراءة القرآن[١٦].

وفيها أيضا نشأت مدرسة أهل البيت عليهم السلام وخاصة عندما نقل الإمام علي عليه السلام عاصمته إليها، فالتف حوله أهل الكوفة ينهلون من علمه وبيانه، ليكون منهجاً في دراستهم ،

فبزغ منهم أكابر العلماء الذين يشهد العدو والصديق بفضلهم أمثال: ميثم التمار ورشيد الهجري وكميل بن زياد وغيرهم.

وفي فضلها قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام :(إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة)[١٧] ، وقد مدح القرآن الكريم الكوفة، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾[١٨] قال: الربوة الكوفة، والقرار المسجد والمعين الفرات[١٩].

المبحث الأول : الحزب الأموي ونفوذه وردود الفعل الناس تجاه الخلافة

نشأ الحزب الأموي بطريقة مدروسة وخطة ممنهجة هدفها الأول هو السيطرة على دولة الإسلام أو ملك محمد كما يدعي أبو سفيان ذلك[٢٠]،واخذ يكّون له امتدادات ونفوذا داخل الحكم الاسلامي بعد رحيل الرسول محمد صلى الله عليه وآله الى الرفيق الأعلى، وهذا ما سيتضح جليا في المطالب الآتية .

المطلب الأول : نشأة الحزب الأموي زمن الخليفة عثمان بن عفان:

أول من اعتمد على الحزب الأموي في تكوين حكومة ائتلافية - حسب التعبير الحديث - هو الخليفة الثاني الذي جعل من بعضهم قادة لبعض الحروب بشكل كبير، فولى عمر معاوية على الشام، فانتهج لنفسه أُسلوباً تحكّمياً سلطوياً، وضرب على وتر الاستقلال مذ نُصب والياً عليه، وتساهل معه عمر لأسبابٍ ما[٢١]،ولكن هذا الأمر صار وبالا عليه إذ اغتيل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ويحتمل دور معاوية في ذلك ،إذ الحقائق تثبت ان الأمويين كان لهم يد في اغتياله، فالمستفيد الوحيد من ذلك الأمويين انفسهم.

وبعد تنصيب الخليفة الثالث عثمان بن عفان اطلق لهم العنان في اللعب بمقدرات الامة الاسلامية المتنامية، حيث عيَّن منهم الولاة والقضاة وقادة الحرب وخُزان بيت المال،فشرع الأمويون منذ اليوم الاول لخلافة عثمان بالتغلغل والنفوذ في ميادين الحكم حتى قال أبو سفيان : (تلقفوها يا بني عبد شمس تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار ولا حساب ...)[٢٢]، ومن قبل قوله لعلي عليه السلام حينما استولى أبو بكر على الخلافة:(ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا ! قال : فقال علي : يا أبا سفيان، طالما عاديت الإسلام وأهله فلم

تضره بذاك شيئاً !)[٢٣] ،لذا لعنه رسول الله ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به إذ قال: (لعن الله القائد والراكب والسائق)[٢٤]، فراقوا بدماء المسلمين وخاضوا جميع الفتن ، ومارسوا أنواع الشهوات.

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان - الذي كان يتطلّع إلى تسليط الاُمويّين على الناس - لم يرعوِ معاوية عن ظلمه وجوره وإعلامه المضاد،وتمرّغ في ترفه ونعيمه حتى تشبه بكسرى الفرس،بلا وازعٍ من ضمير، ولا رادعٍ من سلطان.

وفي السنة الثانية من خلافته ، مورست خطة التحويل عمليا ، فالهبات والقطائع الضخمة منحها الخليفة الثالث الى المقربين والولاة من بني أمية فكانوا يستغلون منصب الولاية لتكريس مقدرات الامة لمصالحهم الشخصية ، فأعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم إبن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم[٢٥]؛ فقال سعيد بن العاص والي الكوفة مخاطبا بعض جلسائه أن الفيء الذي أفاءه الله على المسلمين إنما هو بستان لقريش ليس لأحد دونها حق فيه ، فقال له الاشتر: (السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم انه بستان لك ولقومك)[٢٦]، بل أكد ذلك الوليد بن عقبة حينما ولي الكوفة مخاطبا سعداً بعد عزله : (لا تجزعنَّ أبا إسحاق ، كل ذلك لم يكن ، وانما هو الملك ، يتغداه قوم ويتعشاه آخرون)[٢٧]، فكانت فرصة لانقضاض الأمويين على مقدرات الامة وأرزاقها مما كانت سببا لقتله ، فضلا من أن التغاضي عن سلوك ولاته المقربين كان سببا لفقد الخلافة هيبتها.

ولما نما الأمويون وازدادوا قوة ونفوذا قرروا التخلص من عثمان نفسه ، والتمركز وبشكل اساسي في بلاد الشام المنطقة العربية الحديثة الانعتاق من ايدي الرومان ، إذ أن منطقة الشام متميزة بأن افرادها هم الذين قاموا بقيادة العرب الاخرين الى حد ما نيابة عن الحكم الروماني، لذلك قام الحزب الأموي باختيار هذه المنطقة - بعد تخطيط مسبق - موقعاً لقيادته، فستكون مسندة من الخلف من قبل الحكومة الرومانية وبالاضافة الى ان عرب الشام تأثروا بهم في قيادة الحكم من القدم[٢٨].

وأما الكوفة فكان الحزب الأموي على أشد قوته في ولاية النعمان بن بشير ، بسبب نفوذ الأشراف الموالين لبني أمية في المجتمع الكوفي وخاصة بعد التغييرات التي أجراها

زياد بن أبيه على نظام القبائل ،فقرب الأشراف فأصبحت لهم مكانة مقربة من الخليفة الأموي في الشام، أو والي الكوفة الذي يقربهم اليه بصورة غير مباشرة.

واشتهر من بين هذه الطبقة محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة ، وعمر بن سعد ، فكتبوا بعد هلاك معاوية الى الطاغية يزيد في الشام ، عندما شعروا أن النعمان ضعيف أو يتضاعف ، أمام حركة مسلم بن عقيل عليه السلام ، إن هذا يشكل خطراً على مستقبل الحزب في الكوفة ، فتبين حرصهم على بقاء الكوفة تحت سلطة الأمويين من خلال منع الإمام الحسين من الحصول على تأييد في هذه المدينة لثورته[٢٩] .

ومما ساعد على النفوذ الأموي في الشام والكوفة إنّ إمارة معاوية[٣٠] استمرّت عشرين سنة،وعمل على تجهيل الناس وتحميقهم، وبثّ الذعر والهلع في نفوسهم، وإبقائهم على جهلهم؛ فمهّد الأرضيّة للخلافة وكذلك استخدامه لعيونه وأتباعه في الكوفة لصالحه وبطرق مختلفة[٣١]،وعزم على مناوءة أميرالمؤمنين عليه السلام منذ تولّيه الخلافة في اعلامه المضاد، وجدّ كثيراً في تحريض طلحة والزبير عليه، فضلا من أنه حارب عليا في صفين وهو الخليفة الشرعي، وبعد قضيّة التحكيم أكثر من شنّ الغارات الوحشيّة على المناطق الخاضعة لحكومة الإمام عليه السلام ، وأفسد في الأرض، وأهلك الحرث والنسل، فتمكّن من فرض الصلح على الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤١هـ عبر مكيدة خاصّة، وضجيج مفتعل، فأحكم قبضته على السلطة بلا منازع، ثمّ طفق يضطهد شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره موغلاً في ذلك،وقد أفرط في سبّ الإمام عليه السلام ،وعندما طُلب منه أن يكفّ قال:(لا واللّه، حتى يربوَ عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير،ولا يذكر ذاكر له فضلاً)[٣٢] كل ذلك كان سببا لتسلط الحزب الأموي في الدولة ، فكان الإنقلاب المشؤوم لتكون الدول أموية مائة عام وأكثر.

المطلب الثاني : ردود الفعل تجاه الخليفة الثالث من نفوذ بني أمية :

وعودة على ذي بدء ، فقد تطور الأمر كثيرا في فترة الخليفة الثالث عثمان بن عفان إذ توسع نفوذ معاوية وآل امية وتسلط معاوية في زمن خلافة عثمان لولاية الشام ، وتعيين عامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنّسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردنّ أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانيّ،

وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاريّ، وعلى القضاء أبو الدّرداء[٣٣]،وجميعهم من أتباع معاوية وأعوانه مما ولد ردودا وأفعالا عند المسلمين.

أولا: ردود فعل صحابة رسول اللهﷺ تجاه تغلغل بني أمية في السلطة:

ونتيجة لأفعال الخليفة الثالث في تقريبه لبني لأمية ونفوذهم وترفهم دفع بعض الصحابة وغيرهم الى الوقوف بوجه هذا الأمر فقابل هذا التحدي والوقفة للأصحاب جملة من العقوبات وهي ما يلي :

١/ نفيه للصحابي أبو ذر الغفاري الى الشام ثم الى الربذة ،ومواجهة رجالات الكوفة ومنهم الأشتر النَّخعيُّ، وجندب الأزديُّ، وصعصعة بن صوحان، وكميل بن زياد، وعمير بن ضابئ، وابن الكوَّاء ، وغيرهم ممن رفضوا نفوذ بني أمية ومؤيديهم لأسباب واهية وضعيفة، فمثلا كان السبب في نفي أبي ذر [٣٤] أن أبا ذر ضرب كعب الأحبار بالعصا على رأسه لإفتاءه في دين الإسلام بغير علم[٣٥]، إذ حدث أن قال عثمان يوما والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئا قرضا، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الاحبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي)[٣٦]، فكان سببا لنفي عثمان لأبي ذر أولا إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكى معاوية تأليبه للناس، فنفاه إلى الربذة ثانية بقساوة وبدون رحمة.

٢/ ذكر الثقفي في تاريخه بإسناده قال : جاء رجل إلى الصحابي أبي بن كعب يستنكر فعل الخليفة عثمان فقال : (يا أبا المنذر ان عثمان قد كتب صكا لرجل من آل أبي معيط بخمسين ألف درهم إلى بيت المال فقال أبي : فلا تزالون تأتوني بشيء ما أدرى ما هو فيه، فبينا هو كذلك اذ مر به الصك فقام فدخل على عثمان فقال : أتكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصك بخمسين ألف درهم فغضب عثمان وقال : لولا أني قد كفيتك لفعلت بك كذا وكذا)[٣٧] ، فقام رجل إلى أبي بن كعب فقال : (يا أبا المنذر ألا تخبرني عن عثمان ، ما قولك فيه ؟ - فأمسك عنه ،فقال له الرجل : جزاكم الله شرا يا أصحاب محمد شهدتم الوحي وعاينتموه ثم نسألكم التفقه في الدين فلا

تعلمونا ، فقال أبي عند ذلك :هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة ، أما والله ما عليهم آسى ، ولكن آسى على من أهلكوا)[٣٨] .

٣/ كتب عثمان إلى معاوية بشأن جمع من رجال أهل الكوفة رفضوا تصرفات والي الكوفة، فقال له:(إنَّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة فَرُعْهُم، وأخِفْهم، وأدِّبهم، وأقم عليهم، فإن آنست منهم رشدا فأقبل منهم)[٣٩].

٤/ ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبداللَّه: (إنّ المصريّين اشتكوا عثمان واليهم... فلمّا كانوا بالبويب رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه، فإذا غلام لعثمان فأخذوا متاعه ففتّشوه، فوجدوا فيه قصبة من رصاص فيها كتاب في جوف الإداوة في الماء إلى عبداللَّه بن سعد: أن افعل بفلان كذا وبفلان كذا من القوم الذين شرعوا في عثمان ،فرجع القوم ثانية حتى نزلوا بذي خشب، فأرسل عثمان إلى محمّد بن مسلمة فقال: اُخرج فارددهم عنّي فقال: لا أفعل فقدموا فحصروا عثمان[٤٠] إذ كان مروان بن الحكم كاتب ابن عمّه عثمان وإليه الخاتم فخانه وأجلبوا بسببه على عثمان)[٤١] .

٥/ نفيه لعامر بن عبد القيس وهو من قادة الجهاد في القادسية ، وكان مقيما في البصرة، وكان على قسط كبير من الصلاح والتقوى، فكذب الخارجون عليه، واتهموه بالباطل، فسيَّره عثمان إلى معاوية بالشام[٤٢].

٦/ حمى عثمان الأحماء وآثر القربى واستعمل الفتى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكر الجور وآوى عثمان مروان بن الحكم طريد رسول الله[٤٣] ،وغيره مالا كثيرا مما سبب نقمة الصحابة على عثمان ،ثم تداول الخلافة بني مروان بعد ذلك، وهم الطلقاء ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من التابعين بإحسان فأكلوا مال الله اكلا ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبيداً .

٧/ لما بنى معاوية الخضراء بدمشق، قال أبو ذر يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الاسراف فوا الله لان أرضى الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان، فأغضب عثمان ذلك،فكان ينكر على معاوية أشياء يفعلها، ويقول بالشام: (والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما

هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، إني لأرى حقا يطفأ، وباطلا يحيى، وصادقا مكذبا، و أثرة بغير تقى، وصالحا مستأثرا عليه)[٤٤].

ثانيا : أهمية الكوفة اقتصاديا في نظر معاوية والتخطيط للسيطرة عليها: حدثت داخل الإسلام فتن كثيرة، منذ النّصف الثّاني من عهد الخليفة عثمان، وأعظم هذه الفتن خطورة وأشدّها تخريباً فتنة بني أميّة الّتي عصفت رياحها السّوداء الشّرّيرة على المجتمع الإسلامي، وتعاظمت خطورتها بعد مقتله اذ تعاظم شأن بني أمية خصوصا وأن معاوية ولي الشام فترة طويلة، فأثر ذلك على استقرار الأمة فاستغرقت لمواجهتها جهودا كبيرة شملت الجوانب الفكريّة والسّياسيّة والعسكريّة معظم جهود أمير المؤمنين عليّ في السّنين الأخيرة من حياته، بل آثارها شملت عقود من السنين حتى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي رفع السب[٤٥] عن الإمام علي عليه السلام هذا من جهة ،ولأهمية الكوفة ماليا استعان معاوية ببيت مال المسلمين في الكوفة وأسرف في ذلك ، فاستعان بمهندسين وفنّيين من غير المسلمين في بناء قصر الخضراء بدمشق الذي اتخذه معاوية مقراً لإقامته في فترة إمارته وخلافته على بلاد الشام[٤٦]، فكان يجبى من الكوفة أربعين ألف ألف، ويحمل إلى معاوية ثُلثي الأربعة الآلاف ألف لأن جباية الكوفة ثلثا جباية البصرة ، فقد جنى عبيد الله بن زياد خراج السواد فكان مائة ألف ألف وخمسة وثلاثون ألف ألف درهم [٤٧]، وكانت الكوفة بزراعتها الغنية مصدراً للأمويين في زيادة أموالهم عندما استولوا على السلطة كل ذلك كان مدعاة لأن يفكر معاوية في كيفية السيطرة على الكوفة من خلال التمهيد للخلافة وتقوية حزبه في إدارة شؤون الدولة والسيطرة على الكوفة من خلال أشخاص أمويين أو لهم ولاء للبيت الأموي وهم:

١/ عبد الله بن درّاج على خراج الكوفة وجمع الضرائب .

٢/ المغيرة بن شعبة وتعيينه على ولاية الكوفة لدهاءه ومكره [٤٨].

٣/ اتخذ زياد بن أبي سفيان – زياد بن أبيه - عامل معاوية على البصرة والكوفة بعد عبد الله بن عامر والمغيرة بن شعبة[٤٩] ،ومهمته في الكوفة إرسال التقارير الى الشام بما حصل فيها أولاً بأول إلى معاوية، وضبط الأمور أمنيا في المدينتين برجال من أهلها، وأصدر زياد أوامره (بألاَّ يدخل أو يخرج أحد من الكوفة أو البصرة بعد صلاة العشاء

زيادة في الإرهاب والشدة)[٥٠]، وهكذا تمكن الحكم الاموي من تثبيت قواعده من خلال أتباعه ومواليه بسياسة البطش والإرهاب،والسيطرة عليها فيما بعد، فهذا الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الأمويين قد ختم في يد جابر بن عبدالله الأنصاري وأنس بن مالك خادم النبي ، وعنق سهل بن سعد الساعدي ، يريد إذلالهم، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم[٥١].

المطلب الثالث :ولاة الكوفة أيام معاوية بن أبي سفيان والتمهيد للخلافة الأموية:

من خلال ما ذكرته كتب السير والتاريخ جلب معاوية لحزبه رجال شهد لهم التاريخ بالدهاء والمكر فضلا عن الفساد والانحراف عن جادة الحق ، بل جملة منهم من كان محكوم عليه في زمن رسول الله بالطرد أو الجلد لمخالفته حدود الله، وكذلك حالهم في زمن الخلفاء حيث أقيم على بعضهم الحدود ومنهم :

١/ المغيرة بن شعبة، فقد اتهم بالفاحشة ، وقد استعمله معاوية على الكوفة عام ٤١هـ وبقى في الولاية إلى عام ٤٩هـ وقيل ٥٠هـ، وهو الراجح وعندما مات ضم معاوية الكوفة إلى زياد، وعن الشعبي: سمعت قبيصة بن جابر يقول: (صحبت المغيرة بن شعبة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب، لا يخرج من باب إلا بمكر، لخرج من أبوابها كلها)[٥٢]،وقال الشعبي:.. (والدهاة أربعة: معاوية وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد)[٥٣] .

٢/ زياد بن أبيه على الكوفة: فمات المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها، فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة والبصرة فكان أول من جمع له ولاية الكوفة والبصرة،ولما أخذ حجر بن عدي ينادي بمظلومية أهل البيت وانحراف معاوية وأتباعه مدفوعا بعاطفة التحزب والتشيع أمر زياد جنده بالقبض عليه ، وبعثه مع أصحابه إلى الشام بشهادة مزوّرة ، وفرية ظالمة ، كان يراد منها قتله وتوجيه ضربة قوية لشيعة عليّ وتصفيتهم [٥٤]، فقتل مع أصحابه في مرج عذراء بصورة بشعة يندى لها الجبين[٥٥] ،ويقول المسعودي في ذلك : (في سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي ـ وهو أوّل من قتل صبراً في الإسلام ـ وحمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة)[٥٦].

٣/ ولاية عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، فقد ولي فارس لزياد، ثم استخلفه زياد على الكوفة عند مماته وهو من أتباع معاوية بن أبي سفيان.

٤ ـ ولاية الضحاك بن قيس الفهري : وفي سنة ٥٥هـ عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة، وولاها الضحاك بن قيس الفهري وكان قاسيا شديدا بحق أتباع علي عليه السلام وهو من أتباع الخوارج[٥٧].

٥ ـ ولاية عبد الرحمن بن عبد الله بن ربيعة الثقفي : وفي سنة ٥٨هـ ولي الكوفة[٥٨] ، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وعزل عنها الضحاك بن قيس.

٦ ـ ولاية النعمان بن بشير (٥٩ ـ ٦٠هـ) :في سنة ٥٩هـ عزل عبد الرحمن بن أم الحكم عن الكوفة، واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، وهو الذي أتى بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوباً بالدم وأصابع زوجته نائلة، ووضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، واقسم بعض أهل الشام أن لا يمسهم الماء إلا للغسل من الجنابة، وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلته، وقد اجتمع أهل الشام على قتال علي و هم يبكون على عثمان ويقولون: (إن علياً قتله وآوى قتلته وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه) [٥٩].

المبحث الثاني: موقف معاوية بعد مقتل الخليفة عثمان ومتابعة أتباع علي عليه السلام

انتهج معاوية بعد مقتل الخليفة عثمان وسائل متعددة في سبيل تشويه صورة الإمام علي عليه السلام واتباعه ،أو المطالبة بدم عثمان من خلال ارسال الكتب ، أو دس المنافقين بين أتباع أهل البيت أو مطاردة أتباعه في الكوفة خاصة، ولذا سنتناول ذلك في مطلبين:

المطلب الأول:كتب معاوية في تأجيج الموقف السياسي بعد قتل الخليفة الثالث:

استغل معاوية بعد وفاة عثمان الأوضاع لصالحه سواء كان ذلك على نطاق بيان مظلومية عثمان وأنه يطالب بدمه ،ومثل دور المشفق على هذه الأمة ، أم كان هدفه التخطيط للإنقلاب على الشرعية والمطالبة بالخلافة بصورة غير مباشرة ، واستخدم في ذلك أساليب الدهاء والمكر من أجل تنصيب نفسه خليفة ، ومن ذلك الحين بدأ الاختلاف بين المسلمين، فتشتت شملهم وابيحت الدماء بينهم وتناحرت الفرق الإسلامية حتى كفرت بعضها ، فمن أساليبه الماكرة أنه كتب جملة من الكتب وهي:

١ / كتابه الى الزبير بن العوام

من معاوية بن ابي سفيان . . .(سلام الله عليكم اما بعد ، فأني قد بايعت لك اهل الشام فأجابوني الى بيعتك فاستوثقتهم كما استوثق الحلف ، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك عليهما علي بن ابي طالب فأنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعتهم لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فعليكما بالظهور في طلب دم عثمان رضي الله عنه ، فأدعوا الناس الى ذلك بالجد والتشهير ، ظفركما الله تعالى وخذل مناوئيكما)[٦٠]، فغرر هو وطلحة بزوجة النبي (ص) السيدة عائشة حتى قادت جيشا مع أهل الأهواء والأطماع لحرب إمام المسلمين علي عليه السلام[٦١] .

٢/ كتابه الى مروان بن الحكم : (اما بعد ، فقد وصل الي كتابك بشرح خبر قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وما ركبوه به ونالوه منه جهلا بالله وجرأة عليه ، واستخفافا بحقه ، فلوح الشيطان بها في شرك الباطل ليدهدهم في أهويات الفتن ، ووهدات الضلال ، ولعمري لقد صدق إبليس عليهم ظنه ، اقتنصهم بأنشوطة فخه ، فعلى رسلك يا عبد الله تمشي الهوينى وتكون اولا ، فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد الذي لا يصطاد إلا غيلة ، ولا يتشازر الا عند حيلة ، وكالثعلب لا يفلت الا روغانا ، وأخف نفسك منهم اخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف ، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره ، وابحث عن أمورهم بحث الدجاج عن حب الدخن عند فقاسها ، وأنغل الحجاز فأني منغل الشام ، والسلام)[٦٢] .

٣/ كتابه الى سعيد بن العاص :

(اما بعد ، فقد ورد علي كتاب مروان بن الحكم من ساعة حين وقعت النازلة ، تصل بها البرد بسير المطيّ الوجيف ، يتوجس كتوجس الحية الذكر خوف ضربة الفأس وقبضة الحاوي ، ومروان لا يكذب أهله ، فعلام الافكاك يا بن العاص ولات حين مناص ؟ وذلك انكم يا بني امية عما قليل تسألون أدنى العيش من ابعد المسافة ، فينكركم من كان بكم عارفا ، ويصد عنكم من كان لكم واصلا ، فتتفرقون في البلاد ، وتتمنون لمظة المعاش . الا وان امير المؤمنين عتب عليه فيكم ، وقتل في سببكم ، فقبيح القعود عن نصرته ، والطلب بدمه ! وانتم بنو امية ، ودون الناس منهم رحما وقربا

وطلاب ثأره ، فأصبحتم متمسكين بشظف معاش زهيد فإذا قرأت كتابي هذا فدب دبيب البرد في الجسد النحيف ، وسر سير النجوم تحت الغمام ، واحشد حشد الذرة في الصيف لإنجحارها في الصرد فقد ايدتكم بأسد وتيم) [٦٣].

٤/ كتابه الى عبد الله بن عامر :

(اما بعد فإن المنبر مركب ذلول سهل الرياض لا ينازعك اللجام ، وهيهات ذلك إلا بعد ركوب اثباج المهالك ، واقتحام امواج المعاطب ، فكأني بكم يا بني أمية شعارير كالاوراق تقودها الحداة ،أو كرخم الخندمة (الخندمة : جبل بمكة) تذرف خوف العقاب ، فثب الان قبل ان يستشري الفساد ، وندب السوط جديد ، والجرح لما يندمل ... واجعل اكبر عدتك الحذر ، وأحد سلاحك التحريض ، وأغض عن العوراء ، وسامح عن اللجوج ، واستعطف الشارد ، ولاين الأشوس[٦٤] ، وقو عزم المريد ، وبادر العقبة ، وأزحف زحف الحية ، وإسبق قبل أن تسبق ، وقم قبل ان يقام لك ، واعلم أنك غير متروك ولا مهمل ، فأني لك ناصح امين ، والسلام)[٦٥]

٥/ كتب الى الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

(اما بعد ، يا ابن عقبة : كن الجيش ، وطيب العيش ، أطيب من سفع سموم الجوزاء[٦٦] عند اعتدال الشمس في أفقها ، إلا ان أخاك عثمان أصبح منك بعيدا ، فصرت بعده مزيدا ، فأطلب لنفسك ظلا تأوي إليه فتستكن به ، فأني اراك على التراب رقودا ، وكيف بالرقاد بك ؟ لا رقاد لك ! فلو قد استتب هذا الامر لمريده الفيت كشريد النعام يفزع من ظل الطائر ...لا واني أراك فسيح الصدر ، مسترخي اللبب ، رحوا الحزام ، قليل الاكتراث ، وعن قليل يجتث أصلك ، والسلام)[٦٧].

٦ / كتب الى يعلى بن أمية : (اما بعد ... كتبت الي صبيحة ورد علي كتاب مروان بن الحكم ، يخبرني بإستشهاد أمير المؤمنين وشرح الحال ، وانه قد طال به العمر حتى نقضت قواه ، وثقلت نهضته ، وظهرت به الرعشة في اعضائه ، فلما رأى ذلك منه اقوام لم يكن لهم عنده موضعا للامامة والامانة وثبوا إليه وألبوا عليه ، فكان اعظم ما نقموا عليه وأعابوه به ولايتك اليمن ثم ترامى بهم الامر حالا بعد حال ، حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بها الموت ، وهو مع ذلك صائم ، معانق المصحف .. فقد عظمت مصيبة

الاسلام باستشهاد صهر الرسول ، والامام المقتول على غير جرم سفكوا دمه ،وانت تعلم ان بيعته في أعناقنا ، وطلب ثأره لازم علينا ، فلا خير في امرئ يعدل عن الحق ، ويميل الى الباطل ... فشمر أطرافك لدخول العراقين ، فأني قد كفيتك الشام واهلها ، واحكمت امرها ، واعلم اني كتبت الى طلحة بن عبيد الله ان يلقاك بمكة لاجتماع رأيكما لاظهار الدعوة لطلب دم عثمان ، وكتبت الى عبد الله بن عامر ، يمهد لكم اهل العراقين ويسهل لكم حزونة عتابها واعلم ان القوم قاصدوك بادئ بدء ، لاستنزاف ما حوته يداك من المال فأعلم ذلك واعمل على حسبه ايدك الله تعالى بمشيئته والسلام)[٦٨] وفي تحليل موجز ترى كيفية التحريض وبأساليب ملتوية ضد من بايعته الناس في الحجاز خليفة شرعيا فلزمته البيعة فيا ترى ماذا تقول غدا في عدواتك لعلي عليه السلام وقتلك أصحابه وحربك في صفين؟؟؟؟.

المطلب الثاني : معاوية في تعقب ومطاردة شيعة ورجالات أهل البيت عليهم السلام:

بدايات الحزب الأموي ظهرت لما ولي معاوية الشام في زمن الخليفة الثاني،إذ بدأ التخطيط لحرف الدين الإسلامي عن نهجه القويم بعد خيانة السقيفة وتخاذل الكثير من الأنصاروالمهاجرين عن نصرة الحق المتمثل بعلي عليه السلام ،وبحكم التآلف بين الحزب الأموي والجناح الحاكم الذي كان يعتبر الجناح المعتدل في الحكم الاسلامي ، فقد مارس هذا ضغوطاً كبيرة على الخليفة الثاني حتى يصبح معاوية حاكماً على الشام ونجح في ضغوطه ، وباعتبار ان ابي سفيان كان قائداً لبني امية في ايام الجاهلية ، اختير يزيد بن ابي سفيان ليكون احد القادة العرب لجبهة الشام[٦٩]، لذا فقد تم تعيينه والياً على الشام، ومن بعده معاوية واليا للشام عشرين سنة،ولما وصل الحكم له نهج منهجا شديدا في مطاردته لأتباع الإمام علي عليه السلام في الكوفة خصوصا الشطر الأول من حياته، فلم يكن لمعاوية واتباعه شيئا غير مطاردة الشيعة والتنكيل بهم في مختلف أنحاء البلاد وخصوصا الكوفة لما عرفت بالولاء والتشيع ، فقال الحسن البصري في معاوية: ثلاث كنّ في معاوية، لو لم يكن إلاّ واحد منهن لكانت موبقة: (ابتزازه على هذه الأُمّة بالسفهاء حين ابتزها امرها، واستلحاقه زيادا وقد قال رسول اللّه :(الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وتنكيله لاتباع علي عليه السلام فقتل حجر بن عدي واصحابه.....)[٧٠]، فاستخدموا البطش والشدة في أتباع

علي عليه السلام ،ولم يكن معاوية بن ابي سفيان وحده ، فقد كان معه مجموعة من آل سفيان والمغيرة ومروان ، يشكّلون معاً تجمعاً كاملاً في مطاردة اتباع أهل البيت عليهم السلام ، ومن جملة ما فعله معاوية بن أبي سفيان ما يلي:

١/ استغل أتباعه من المتمردين والمارقين ذلك، وأول بدايات ذلك هو ما عمله معاوية خلال تواجده في الشام ،فاستطاع في فترة ولايته للشام أن يزرع البغض والكراهية في قلوب الشاميين تجاه الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام وأتباعه، وحالة الاستسلام والخضوع في أهل الشام التي زرعها معاوية بالمال والرهبة والسوط ، فخلق من المجتمع الشامي مجتمعا مطيعا له لا يوجد ما يناظرها بالنسبة الى الامام عليه السلام، فلا تجد المعارضة الداخلية كما هي الحال في مجتمع الكوفة ، فأهل الشام كانوا كفاراً ودخلوا الاسلام على يد معاوية واخيه يزيد من قبل في زمن الفتوحات الإسلامية للخليفة الثاني، فنظرتهم الى معاوية نظرة احترام وتقدير باعتباره همزه الوصل بينهم وبين الاسلام، وهذه الحقيقة استفاد منها الأمويون حيث زرع معاوية في قلوب الشاميين كل الحقد للبيت الهاشمي ، فلم يعرفوا إلا الاسلام السفياني ، إسلام المصالح والاهواء الذي يستحل كل شيء في سبيل الوصول إلى الاهداف الشخصية[٧١]،لذا عندما حاربوا الحسين عليه السلام فيما بعد حاربوه باعتباره شخصاً مارقاً من الدين ومخالفاً للامام الشرعي، وانطلقوا في محاربتهم الى ما عهدوه من السند الديني للأمويين في نفوس الشاميين .

وقد حاول أهل البيت بيان ذلك الزيف والخداع الذي حاول معاوية في إعلامه المضلّل الذي مارسه معاوية طيلة الأربعين عاماً من حكمه، لذلك حاول آل الحسين أن يستغلوا أي فرصة ممكنة لهذا الغرض على طريق تحقيق الأهداف الإلهية وكذلك الحال طيلة حياة الإمام السجاد (ع) ،فقد بذل جهدا كبيرا في تربية الأمة وشدها بالإسلام وايقاظ ضمير الأمة من خلال ترسيخ المفاهيم الفكرية والعاطفية الصحيحة عن طريق الدعاء والتضرع الى اللّه، لترسيخ المفهوم الاسلامي في وجدان الامة الذي غيبه بني أمية ،إذ أن الشاميين عاشوا الاسلام بمنظار آل أبي سفيان الذي قال: (تلاقفوها يا بني أمية تلاقفوها تلاقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ،ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة)[٧٢] ، وموقف أبي سفيان من قبر حمزة ، ليعتبر دليلا واضحا على

كفره ، وأنه لا يزال يعتبر حربه مع النبي (ص) حربا على الملك والسلطان ، والمكاسب الدنيوية . وقد دخل أبو سفيان مرة على عثمان ، فقال له : (قد صارت اليك بعد تيم وعدي ، فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك ، ولا أدري ما جنة ولا نار) [٧٣] .

وهذا الكره والحقد قديما إذ أن أبا سفيان كهفا المنافقين كان في يوم اليرموك يفرح إذا انتصر الكفار على المسلمين ، ويحزن حين يرى كرة المسلمين عليهم وكفريات أبي سفيان معروفة ومشهورة ،ولا مجال لاستقصائها، فمن أرادها فليراجع مظانها[٧٤].

٢/ كون قاعدة شعبية تواليه في المجتمع الشامي، فتزعم لواء الانشقاق على الدولة الاسلامية بما يملكه من رصيد وقاعدة قوية ، فنظرة اهل الشام ورجالاتهم الى معاوية وآل أبي سفيان تختلف عن نظرة اهل المدينة والعراق الى الامام عليه السلام وهذه النظرة المختلفة بالذات والتي زرعها معاوية عند الشاميين وما بثه من دعايات وإعلام معارض اوجدت في خلافة الامام عليه السلام تناقضاً ورفضا، وكثيراً من الاراء والاجتهادات المتضاربة وامتناعاً في كثير من الاحيان عن قبول رأى الامام عليه السلام بينما كان اهل الشام يتلقون اوامر معاوية بالتسليم والطاعة التامة[٧٥].

٣/ خلال هذه الفترة الطويلة أمات معاوية فيهم الوعي الديني، وجعلهم يسلّمون له رقابهم طاعة وخضوعاً بلا أدنى اعتراض ، فهو لم يسيطر على الشام وأطرافها من الناحية العسكرية والسياسية فقط، بل كان يهيمن عليهم فكرياً ودينياً أيضاً، وخلق منهم أُناساً صماً بكماً لا يفقهون، ليملي عليهم بما يشاء ممّا يضفي عليه طابع التعاليم الإسلامية دون اعتراض، وقد نجح وبما يتمتع به من دهاء وخديعة متميزين نجاحاً باهراً ملحوظاً في هذا المجال.[٧٦] ولعل دور هند لا ينساه التاريخ إذ قالت لمعاوية : (- فيما كتبت به إليه -: واللّه يا بنيّ إنّه قلّ أن تلد حرّة مثلك، وإنّ هذا الرجل - أي عمر - قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت)[٧٧].

٤/ جمعه للأموال في بناء الجيش الأموي في الشام وبث أعوانه في الكوفة وغيرها من الأمصار،وأول ما قام به معاوية بن ابي سفيان هو جمع الاموال من عرب الشام بطريقة مشروعة او غير مشروعة،واضافتها الى الاموال الموجودة والمجتمعة سابقاً عند الأمويين

نتيجة خبرتهم في التجارة وما تجتمع عندهم ايام الخليفة الثالث عثمان بن عفان،ثم اخذ يشتري بها ضمائر فلول الجيش الأموي الذي هزمه الاسلام

٥/ كوّن الحزب الأموي من حوله مجموعة من المرتزقة حتى اصبحوا جيشاً منظماً وقوياً ، يتألف من المحاربين القدماء واصحاب الضمائر الميتة الذين يفتشون عن الاموال[٧٨] ،فكانت النتيجة أن أصبح بهذه القوة يزيد خليفة للمسلمين ،وبهذا الجيش حارب الإمام الحسين عليه السلام فيا لها امة ما أضيعها وأضعفها[٧٩] لرفضه بيعة يزيد من قبل طرداء رسول الله ، ومنهم مروان بن الحكم طريد رسول الله فقال عليه السلام: «ان مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزىء بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية)[٨٠].

٦/ بعد هلاك معاوية ويزيد وترك معاوية الثاني الخلافة وصلت الى مروان الذي طرح نفسه كمرشح للخلافة والتف حوله المؤيدون لبني أمية وبايعوه في مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هجري /٦٨٤ م الذي عالج مسألة الخلافة والانقسامات في البيت الأموي فكون جيشا ضخما تشق طريقها نحو قرقيسيا بقيادة عبيد الله بن زياد. وكانت مهمة هذا الجيش تصفية جيوب المعارضة في العراق،وخصوصا الكوفة ضد النظام الأموي الذي انتقلت فيه السيادة الى المروانيين، وانتقل معها ولاء ابن زياد الذي ظل خادماً أميناً ومخلصاً لهذا النظام، مستعداً لتنفيذ أصعب المهمات في سبيله، بمقدار حرصه على استمرارية مصالحه الخاصة ومنها قتله للحسين عليه السلام

٦/ القساوة والغلظة والشدة التي استخدمها معاوية مع الصحابي الجليل أبو ذر بطلب من الخليفة عثمان، إذ روى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت عاملا لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخا على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فازبأر معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ ؟ فقال: اللهم لا، قال: من عذيري من جندب بن جنادة، يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ثم قال: أدخلوه، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من

غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني أستأذن فيك، قال جلام: وكنت احب أن أرى أبا ذر لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر، ضرب من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره حناء فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان الله ولرسوله، أظهرتما الاسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول اللهﷺ ودعا عليك مرات أن لا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ولى الامة الاعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الامة حذرها منه " فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل، قال أبو ذر: أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول وقد مررت به: " اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب)[٨١]

٧/ كتب عثمان إلى معاوية على إثر ما نادى به أبو ذر في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: (أن احمل جنيدبا إلي على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد فلما قدم بعث إليه عثمان: أن الحق بأي ارض شئت، قال بمكة، قال: لا، قال: ببيت المقدس قال: لا، قال: بأحد المصرين، قال: لا، قال: ولكني مسيرك إلى الربذة فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات)[٨٢]

المبحث الثالث : التركيبة السياسية في الكوفة وخطر الحزب الأموي : تمثلت التركيبة السياسية فيها بتوجهات سياسية فكرية عقائدية متنوعة تمثلت بالتجمع الشيعي والحزب الأموي والخوارج والموالي ، فعندما انتقلت القبائل العربية من مكة والمدينة إلى الكوفة انتقلت معها وجهات النظر السياسية المختلفة، فظهرت في الكوفة في بداية الحكم الأموي طبقات مختلفة عما كانت زمن الخلفاء الأوائل فألغى معاوية نظرية تقديم الافضل السائدة عند القبائل العربية واستبدلها بتقديم الموالي لبني أمية وإن كانت القبيلة لم تنتخبه ولم ترشحه زعيماً لها ، وتتولى هذه الطبقة مسؤولية توزيع الأموال والعطايا والأرزاق على أفراد العشيرة ، وهي أيضاَ تحدد مقدار ما يعطى لكل فرد .

وقد حظيت بتأييد الخليفة الأموي ونائبه على الكوفة عبيد الله بن زياد والذي كان يغدق على هذه الطبقة الأموال بسخاء ويقضي لهم الحوائج من إطلاق سراح سجين أو تعيين في منصب عسكري أو أمني ، بالإضافة الى الهدايا التي كانت توزع عليهم في

كل مناسبة ، وقد ساعدت هذه السياسة الأمويين على بقاء هذه الطبقة موالية ، ومطيعة لهم حتى نهاية حكمهم .

وبرز في الكوفة من الاشراف أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث ، وكثير بن شهاب الحارثي ، فلما وصل مسلم عليه السلام إلى الكوفة كانت هناك ثلاثة أحزاب سياسية، تحاول الوصول إلى السلطة وترى في نفسها الأحقية دون غيرها في الحكم وقيادة الأمة الإسلامية.

وكان رائد حملة البطش والإرهاب عبيد الله بن زياد، فهو خريج بارز من مدرسة العنف التي كان أبوه زياد أول مؤسسيها في كوفة العراق، ولعله كان أكثر تطرفاً وأشد عنفاً من أبيه، فقرر يزيد استدعاء مستشاره المسيحي ـ سرجون ـ والذي كان من قبل مستشار أبيه معاوية ، فأشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد على البصرة والكوفة فكتب اليه يزيد ، ويأمره بالرحيل فوراً الى الكوفة لمواجهة مسلم بن عقيل عليه السلام والقضاء على حركة الحسين عليه السلام وثورته ، فاستحسن ابن زياد المنصب الجديد عندما وصل اليه كتاب يزيد ، فتوجه مسرعاً الى الكوفة حتى يصل اليها قبل الحسين عليه السلام بعد أن ترك البصرة لأخيه عثمان وهكذا تحقق لما يربو اليه معاوية من السيطرة على الكوفة.

المطلب الأول : التركيبة السياسية والعقائدية في الكوفة :

تمثلت التركيبة السياسية فيها بتوجهات سياسية فكرية عقائدية متنوعة تمثلت بما يلي

١/ الحزب الشيعي ودورهم:

وهم شيعة الإمام علي عليه السلام الذين التزموا بوصية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في بيعة الغدير، وأطاعوا الإمام عليه السلام واتبعوه، دون غيره من الخلفاء واشتركوا في حروبه في الجمل وصفين والنهروان والتي كان لأهل الكوفة دوراً كبيراً فيها وعندما جعل الإمام علي عليه السلام الكوفة عاصمة له[٨٣] انتقل من المدينة إليها وانتفع شيعة الكوفة من وجوده المبارك بينهم ،وخاصة العلماء والأدباء والمحدثين فحفظوا خطبه واستمعوا إلى حديثه وكانوا يسألونه ويستفسرون منه عن أمور دينهم ودنياهم، وأمور حياتهم وآخرتهم، وقد نقلوا خطبه الشريفة وأحاديثه من جيل إلى آخر وإلى يومنا في كافة شؤون الحياة السياسية

والدينية والإجتماعية واستمر الأمر كذلك الى أن إستولى معاوية بمكره على الكوفة وحجم دور اتباع علي عليه السلام.

لذا عندما دخل مسلم الكوفة، نشط زعماء هذا الحزب في توحيد صفوف الشيعة وأخذ البيعة منهم لمسلم بن عقيل عليه السلام، وقاموا بثورتهم عندما سجن هانيء بن عروة في دار الإمارة، ولكن ثورتهم فشلت وقتل قائدهم وسجن بعض زعمائهم والبعض الآخر التحق بمعسكر الحسين عليه السلام وهكذا استمر ظلم الحزب الأموي .

٢/ الحزب الأموي وتحركه في الكوفة:

وهو الحزب الذي أنشأه عثمان بن عفان في المدينة في مدة خلافته عندما دعم بني أمية بشكل مطلق، ومدّهم بالأموال، وثبت نفوذهم في البلدان الإسلامية، عندما عينهم إمراء عليها، وكان معاوية بن أبي سفيان من أنشط أعضاء هذا الحزب حيث نجح في نشره في بلاد الشام، ويثبت في نفس الوقت مكانته بين الناس حتى تمكن من زيادة أنصاره وأعوانه وتحدى بهم الدولة الإسلامية المركزية الرافضة له ،فيرفض قرار عزله عن بلاد الشام، ويجند أفراد الحزب الموالين له لشن حرب ضد الإمام علي عليه السلام الخليفة الشرعي، ويطلب الخلافة لنفسه.

واستطاع بدهائه أن يكسب لحزبه شخصيات مهمة من أهل الكوفة إضافة إلى عامة الناس بعد أن أغراهم بالأموال، أمثال شريح القاضي، والأشعث وغيرهم ممن كان له دور وتأثير كبير في إيقاف معركة صفين واضطرار الإمام عليه السلام لموافقته على الصلح، واستمر العنف الأموي طيلة الحكم الأموي .

وبعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، أدرك معاوية عظمة مدينة الكوفة سواء كانت من الناحية الفكرية الثقافية، حيث العلماء والفقهاء بحلقاتهم العلمية في مسجد الكوفة، أو من الناحية الإقتصادية لأن الأراضي الزراعية الخصبة والتي تشكل مورداً مالياً ضخماً للخلافة، والتي يهتم بها معاوية كثيراً لأنها تشكل العمود الفقري لسياسة حزبه.

ومن أجل أهمية الكوفة زاد الإهتمام والحرص الشديد للسيطرة عليها ، وإخضاع أهلها من قبل معاوية والحزب الأموي، لذا عين عليهم زياد بن أبيه المعروف بظلمه وغطرسته، وأمره بأن يسب الإمام علي عليه السلام على المنابر وهكذا غيره، فكان الخطيب الأموي يفتتح

خطبة الجمعة بالسب واللعن للإمام عليه السلام، بل إكراه الناس على سب علي[٨٤] والبراءة منه ومن أبنائه.

فتعد فترة ولاية زياد بن أبيه من أشد السنين ظلماً على شيعة الكوفة، حيث القتل والسجن والتعذيب لكل معارض أو مخالف للحزب الأموي من جهة، ومن جهة أخرى الترغيب والتشويق بالأموال ولكل من ينضم ويرتبط بالحزب الأموي، ولذا لما دخل مسلم عليه السلام الكوفة كان الحزب الأموي قد مرت عليه عشرون سنة في السلطة، فالأجهزة الأمنية والعسكرية والإقتصادية وتنظيم الحياة الإجتماعية كلها تحت نفوذ هذا الحزب وأعضائه.

وقد تمسكت الشخصيات البارزة ببقاء مدينة الكوفة تحت سيطرة الأمويين ومنع انتقالها إلى الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام، لذلك كتبوا إلى يزيد بن معاوية عليه اللعنة في الشام عندما شعروا بأن النعمان ضعيف أو يتضاعف، خوفاً وحذراً، من فقدان الحزب الأموي سيطرته على هذه المدينة وبالتالي تتعرض مصالحهم للخطر، وبمساعدة هؤلاء استطاع عبيد الله بن زياد أن يجهز جيشاً من أهل الكوفة لمحاربة الحسين عليه السلام

ج/ حزب الخوارج وفتنتها:

وهو الحزب الذي عُرِفَ بالكوفة بعد انتهاء واقعة صفين، عندما انشق أفراد هذا الحزب عن جيش الإمام علي عليه السلام واعترضوا عليه لأنه رضي بالتحكيم، وقد حاججهم الإمام علي عليه السلام، فرجع قسم كبير منهم، وقاتل عليه السلام القسم الآخر فما بقي منهم إلا عدد قليل، ولكن حزبهم ظهر من جديد في عهد معاوية، فخرجوا على الدولة الأموية هذه المرة، فحاربهم زياد بن أبيه، واشتركوا مع جيش عمر بن سعد لمحاربة الحسين عليه السلام انتقاماً من أبيه عليه السلام ،فالخوارج يكفرون جميع المسلمين[٨٥] لانهم لم يشتركوا معهم في جهاد الأمويين ، ويكفرون عليا واتباعه[٨٦] ، وعثمان وحزبه ويستحلون دماء وأموال جميع من لم يساندهم ويدين بآرائهم ، فضلا عن تشريعاتهم المنافية لأصول الإسلام ومبادئه، وادعى يزيد بن انيسة أحد قادتهم ان الله سيبعث نبيا من العجم بكتاب ينسخ شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله[٨٧]، وفيهم من ادعى بأن سورة يوسف ليست من القرآن ، إلى غير ذلك من الآراء المنافية لضرورات الإسلام والتي تجعلهم في عداد الكفار والملحدين ومع

ذلك فالخوارج صادقون لا يستحلون الكذب ، والشيعة مبتدعة كذابون[٨٨]، فكان للخوارج دورا في اضعاف البيت الشيعي مقابل الحزب الأموي.

المطلب الثاني: خطورة معاوية في نهجه كملك، ودور سرجون في ولايتها: مما لا شك فيه أن بني أمية وصلوا الى السلطة واستولوا على الخلافة الإسلامية بحد السيف الذي أول من شهره معاوية بن أبي سفيان ضد الحكومة المركزية في المدينة والتي وافق عليها المهاجرون والأنصار من الصحابة عندما أعلنوا بيعتهم للإمام علي عليه السلام كخليفة شرعي للدولة الإسلامية، الا أن أساليب الدهاء والمكر لمعاوية فضلا عن القوة العسكرية والمالية من جمعه للخراج كانت حائلا عن بقاء خليفة علي عليه السلام خليفة للمسلمين وخرج عن الحكومة واعلن تمرده وغدره ومن ثم تسلطه فخرج عن مظاهر الإسلام من العدالة والتواضع و و ،فعمد الى إبراز مظاهر الملك فكان معاوية أول من أقام الحرس والشرط والبوابين في الإسلام لحماية مملكته، وأرخى الستور واستكتب النصارى فكان سرجون ،وأخذ الزكاة من الأعطية، وجلس على السرير ملكا والناس تحته، وجعل ديوان الخاتم وبنى القصور وسخر الناس في بنائه، ولم يسخر أحد قبله، واستصفى أموال الناس ظلما وجورا، فأخذها لنفسه، وكان سعيد بن المسيب يقول: (أول من أعاد هذا الأمر ملكاً،وكان معاوية يقول: أنا أول الملوك)[٨٩]، ورحل إليه ابن الخليفة عبد الله بن عمر يوماً، فقال:(يا أبا عبد الله! كيف ترى بنياننا؟ قال: إن كان من مال الله فأنت من الخائنين، وإن كان من مالك فأنت من المسرفين، ودخل إليه عدي بن حاتم، فقال له: كيف زماننا هذا يا أبا طريف؟ قال: إن صدقناكم خفناكم، وإن كذبناكم خفنا الله. قال: أقسمت عليك! قال: عدل زمانكم هذا جور زمان قد مضى، وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتي)[٩٠]، فكان خراج العراق وبلاد فارس في أيام معاوية على ستمائة ألف ألف وخمسة وخمسين ألف ألف درهم وقد وظفه لأهدافه وأمنياته.

إذ أن خراج السواد مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، وخراج فارس سبعين ألف ألف، وخراج الأهواز وما يضاف إليها أربعين ألف ألف، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر ألف ألف درهم..... بعد أن أخرج معاوية من كل بلد ما كانت

ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعله صافية لنفسه، فأقطعه جماعة من أهل بيته فعد ملكا في الأرض فشدد في أتباع علي عليه السلام[٩١].

ومن ذلك الحين بدأ الاختلاف والفرقة بين المسلمين وتشتت شملهم وابيحت الدماء بينهم وتناحرت الفرق الإسلامية حتى كفرت بعضها البعض[٩٢] ، وشكلت واقعة صفين منعطفاً خطيراً في تاريخ الإسلام وبداية تدهور الكوفة، ومن ثم تسلط معاوية بولاته عليها، لأن خروج معاوية العسكري فرّق وحدة المسلمين وشق عصاهم ، وجعلهم يتقاتلون في ما بينهم تاركين الكفار والمشركين في شرق الأرض وغربها ، فاستخدم معاوية في الكوفة سياسته المعروفة في استعمال السيف للمخالف ، والدرهم والدنيار للموالف ،فأثارت حفيظة المعارضين للحكم وتبلورت بثورة حجر بن عدي الكندي(ره) الفكرية بمعارضته ، فاستشهد واصحابه بعد أن أمر معاوية بقتلهم في سنة ثلاث وخمسين ،وهو أوّل من قتل صبراً في الإسلام[٩٣] ، ولم يكتف معاوية بغصب الخلافة بل جعلها ملكاً محضاً تنتقل من الأب الى الأبن كما هو الحال عند الفرس والروم ، وابتدع لتنصيب ابنه يزيد في الحكم منصب ولاية العهد حتى لا تذهب الخلافة الى غيره عدة أمور وهي:

١/ بذل أموالاً طائلة وزعت بسخاء على الفقهاء والشعراء الموالين له في سبيل دعمه واعلامياً، واستغل ذلك بالكوفة فكانت له مجاميع من ذلك تؤدي ما يريده[٩٤].

٢/ اشترى ذمم قسم من أهل الكوفة بحيث أصبحوا موالين له كابن الأشعث وزياد بن أبيه وغيرهما.

٣/ استخدم الشدة والرهبة والتخويف مع المسلمين فبايع عدد كبير من المسلمين ليزيد تحت ضغط وإجبار أبيه معاوية[٩٥] .

٤/ أمعن الأمويون في التنكيل والتعذيب بأهل البيت وكل من يتهم بالولاء والتشيع لهم[٩٦]، ولم يضعوا سيوفهم في أغمادها، ما دام بين المسلمين من يذكر عليّا بالخير او يسمي حسنا وحسينا، ومما ساعد على ذلك عدة من الأمور وهي:

أولا: دهاء معاوية في كسب زياد ابن أبيه:

لقد ساء معاوية أن يرى أحد ولاة الإمام علي عليه السلام مجداً في عمله نشطاً في ضبط بلاده وجمع خراجها، وكان زياداً والياً على خراسان، فكتب إليه معاوية في البداية يهدده ويوبخه ويذكره بأنه لا أب له فقد كتب إليه: (أما بعد فإنه عزتك قلاع تأوي إليها ميلاً كما تأوي الطير إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح: ﴿ **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرو** ﴾[٩٧])[٩٨]، وبهذا الأسلوب العدواني كتب إلى زياد مما ثار غضبه فأمر بجمع الناس فصعد فيهم خطيباً ليشتم معاوية وأمه فقال: (العجب من آكلة الأكباد ورأس النفاق: يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ..... في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين الي لوجدني أحمر، مخنثاً، ضراباً للسيف)[٩٩]، وفي خبر آخر(والله لو اذن لي فيه أو ندبني إليه لأريته الكواكب نهاراً ، ولأسعطته ماء الخردل) ثم كتب زياد إلى الإمام علي عليه السلام كتاباً، وأرسل معه كتاب معاوية فكتب الإمام علي عليه السلام إليه، يحذره من معاوية وأنه كالشيطان،فقال في كتابه عليه السلام: (أما بعد، فإني وليتك ما وليتك، وأنا أراك لذلك أهلاً، وأنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثاً، ولم تستحق بها نسباً وأن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله فأحذره ثم احذره، ثم احذره والسلام)[١٠٠]، واستمرت حالة العداء بين معاوية وزياد حتى بعد مقتل الإمام علي عليه السلام حيث استطاع معاوية أن يبث حكومته في بلاد الشام، فشعر بخطر زياد عليه لأنه مع الإمام الحسن عليه السلام، فكتب إلى زياد بنفس الأسلوب السابق محاولاً اخافته وتهديده، حتى يرجع عن نصرة الإمام عليه السلام فكتب إليه: (من أمير المؤمنين معاوية بن سفيان إلى زياد بن عبيد، أما بعد فإنك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة،.... قد هلكت وأهلكت، وظننت أنك تخرج من قبضتي ولا ينالك سلطاني هيهات)[١٠١] ، ولقد كان تسمية معاوية لأم زياد وأبيه ووصفه بأنه ابن زنا وبغاء أثراً في زيادة غضبه وانفعاله أكثر من المرة السابقة، وصعد المنبر خاطباً فقال: (ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسير النفاق، ورئيس الأحزاب ومن أنفق ماله في اطفاء نور الله كتب إلي يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها،

وعما قليل تصيرها الرياح قزعاً...)[١٠٢]،وبعد هذا الكتاب ازدادت العلاقة بين زياد ومعاوية حتى كتب إليه يدعوه إلى الشام لكي يكتب إليه عهداً بولاية العراق إذا ترك الإمام الحسن عليه السلام وانضم إلى الحزب الأموي.

واستطاع معاوية أن يغري مريم الخمار ليدلي بشهادته بعد أن استدعاه من الطائف على أن أبي سفيان زنى بسمية، في أثناء زيارته للطائف، وأنه طلب منه أن يحضر له امرأة يزني بها فوقع الإختيار على سمية هذه التي كان زوجها عبدا روميا يدعى عبيد، ووافق ابن عبيد على هذا الإستلحاق بعد أن أغراه معاوية[١٠٣] بالأموال أيضاً، ولكن ابنه رفض كل وسائل معاوية الترغيبية، حتى دس إليه معاوية من قتله، واعترض على هذا الإستلحاق أبو بكر أخو زياد فحلف أن لا يكلمه أبداً، وألزم نفسه على ذلك بإيمان عظيمة، لذلك عندما سمع أن زيادا يريد الحج (دخل عليه فوجد في حضنه بني يلاعبه، فقال للغلام: كيف أنت يا غلام، إن أباك ركب في الإسلام عظيماً زنى أمه، وأنتفى من أبيه، ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان ثم أبوك يريد أن يركب ما هو أعظم من ذلك، يوافي الموسم غدا، ويوافي أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي من أمهات المؤمنين. فقال زياد: جازاك الله يا أخي عن النصيحة خيراً، ساخطاً كنت أو راضياً، ثم كتب إلى معاوية: إني قد اعتكفت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب)[١٠٤].

واعترض على هذا الإستلحاق أبو العريان العدوي النسابة المعروف في زمانه فعندما مر زياد وهو والي البصرة بأبي العريان العدوي، وكان شيخاً مكفوفاً، ذا لسن وعارضة شديدة فقال أبو العريان ما هذه الجلبة؟ قالوا زياد بن أبي سفيان.

قال: والله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد ومعاوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمداً، فمن أين جاء زياد؟ فبلغ الكلام زياداً وقال له قائل: لو سددت عنك هذا الكلب فأرسل إليه بمائتي دينار، فقال له رسول زياد: إن ابن عمك زياداً الأمير قد أرسل إليك مائتي ديناراً لتنفقها، فقال: وصلته رحم! إي والله ابن عمي حقا[١٠٥].

وهكذا استطاع معاوية بالترغيب والترهيب أن يثبت نسب زياد ويخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله عندما جعل الولد للعاهر وللفراش الحجر بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وكان للإعلام دوراً كبيراً في تضليل الناس عن نسب زياد

لذلك اختلف فيه الناس، فالأمويين وحزبهم جعلوا أباه أبا سفيان تنفيذاً لرغبة معاوية وتحقيقاً لساعديه في ذلك وخاصة أن معاوية زوج ابنته من محمد ابن زياد.

والفئة الثانية ممن يعرفون سمية وزوجها عبيد نسبوه إلى عبيد وان اشتهرت بالزنا وفئة ثالثة احتاطت بأمره، وتركوا اسم أبيه إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو يعرف نسبه، فسموه زياد بن أبيه وقد اشتهر بعد ذلك بهذا الإسم.

ثانيا : دور سرجون في تنصيب عبيد الله بن زياد واليا والحد من الموالين

لما رفض زعماء الكوفة والموالين لأهل البيت تنصيب معاوية ليزيد على إثرة مشورة ازداد الحيف والشدة على اتباع أهل البيت فاخذ معاوية بالتنكيل والقتل والتشريد وهدم الدور ومصادرة الأراضي وغير ذلك من الاساليب التي اعتمدها معاوية ولأن الكوفة مركز الحزب الشيعي فقد سار شوطاً مهماً في عملية البناء التنظيمي، واتخذت الامور بعداً آخراً فتعدى الاحتجاج والرفض الى الثورة الشعبية، فكانت ثورة الإمام الحسين ،وكان ذلك فرصة مناسبة للحزب الشيعي في الكوفة بأن يتحرك، فجرت اتصالات مع زعيم الحزب في الحجاز، وكان حينئذ يتعرض لمجابهة من قبل ممثل السلطة الاموية في المدينة الوليد بن عتبة، الذي تلقى أوامر الخلافة بالسعي الى انتزاع البيعة من الحسين ورفاقه الرافضين بأي ثمن.

وفي الكوفة كان أركان الحزب الشيعي يجتمعون في منزل سليمان بن صُرد الخزاعي حينما تناهى اليهم خروج زعيم الحزب الى مكة، فقرروا أن الظروف مواتية للتحرك، فكتبوا الى الحسين يطلبون منه القدوم وتسلم قيادة الثورة.

وأخذت الرسائل تتوالى على الحسين ،فخرج الإمام عليه السلام على النظام الاموي لثبوت كفره ،ولأن يزيداً لن يدعه الا اذا بايع له، وقراره بشأن البيعة لا عدول عنه فالمصادمة بينهما اذاً واقعة وحتمية[١٠٦]، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام ، غير أن استخبارات السلطة وقفت على نشاط مسلم، ورفعت تقريراً عنه الى أمير الكوفة النعمان بن بشير الانصاري وهو معروفاً باعتداله، فرفض أن ينساق مع زبانية النظام الأموي وحاول بعدم اتخاذ أي اجراء ضد مسلم[١٠٧] ،فرفع هؤلاء تقريرهم مباشرة الى يزيد وفيه تحذير من نشاط مسلم ورغبة باستبدال واليهم الضعيف، بآخر قوي قادر على العنف ولا

يرتبك من سفك الدماء، فسارع يزيد الى عزل النعمان بن بشير فوراً بعد مشورة مستشاره سرجون المسيحي [١٠٨]،وأشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد[١٠٩] على البصرة والكوفة فكتب اليه يزيد في ذلك،وكان هذا ما تمناه زبانية النظام واتباعه من الأمويين في الكوفة ،والمستفيدين من خيراته.

ثالثا:خطة عبيد الله بن زياد وقساوته في السيطرة على الكوفة:

يعد قائد حملة البطش والإرهاب عبيد الله بن زياد، فهذا الرجل خريج بارز من مدرسة العنف التي كان أبوه زياد أول مؤسسيها في كوفة العراق، ولعله كان أكثر تطرفاً وأشد عنفاً من أبيه،مما كان سببا لأن يأمره بالرحيل فوراً الى الكوفة لمواجهة مسلم بن عقيل عليه السلام والقضاء على حركة الحسين عليه السلام وثورته ، فاستحسن ابن زياد المنصب الجديد عندما وصل اليه كتاب يزيد ، فتوجه مسرعاً الى الكوفة حتى يصل اليها قبل الحسين عليه السلام بعد أن ترك البصرة لأخيه عثمان ، وكان ابن زياد قد خطب بأهل البصرة قبل رحيله ، هدّدهم بالقتل والتعذيب اذا خالفوا أوامره أو شاركوا بثورة الحسين عليه السلام فقال ; (يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاّني على الكوفة ، وأنا غادٍ إليها ، وقد استخلفت عليكم عثمان أخي ، وإياكم والخلاف والإرجاف)[١١٠] ، ولهذا لعب ابن زياد دورا مهما في تثبيت سلطة الأمويين في الكوفة عندما وصل ابن زياد الى مشارف الكوفة ، خاف من أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام أن يقتلوه إذا عثروا عليه ، فاتخذ في دخوله طريق الحجاز ، وغيّر ملابسه فاتخذ عمامة سوداء ، ولباساً يمانياً وهو لباس المشهور عند أهل الحجاز وانتظر حتى الليل ليدخل الكوفة متلثماً بعمامته حتى لا يعرفة الناس جبناً منه ،وقد أمنّت هذه الحيلة وصول ابن زياد الى قصر الإمارة وبدأ بجمع أفراد الحزب الأموي من الأشراف والأعوان والشرطة، ومن ثم قام بما يلي:

١/ قام بجعل الدوريات العسكرية من الكوفة إلى باقي مناطق العراق والحجاز لمنع أي شخص من الإلتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام،وخروج أي أحد منها[١١١] فكان سببا لأن تتسع الجبهة التي تعارض الأمويين وأغلبها تحمل صبغة التشيع في الغالب، لكون زعمائها من الشيعة المؤمنين بحق أهل البيت، والتف حولهم الناقمون على سياسة معاوية وولده المستهتر بمقدسات الاسلام وكرامة الملايين من المسلمين.

٢/ جنى عبيد الله بن زياد خراج السواد فكان مائة ألف ألف وخمسة وثلاثون ألف ألف درهم،فوزعه على الموالين والأتباع في الكوفة، وأصبحت الكوفة بزراعتها الغنية مصدراً للأمويين في زيادة أموالهم عندما استولوا على السلطة.

٣/ استخدم ابن زياد حال وصوله السلطة اسلوب الأمويين المعروف ـ الترغيب والترهيب ، فبيّن للناس أنه الوالي الجديد الذي عين من قبل يزيد بن معاوية وعليهم الإلتزام بأوامره والانقياد لطاعته حتى يحصلوا على المكافأة وأن لا يخالفوا فيحصلوا على العقوبة ،فقال :(إن يزيد بن معاوية ولاني مصركم وثغركم ، وأمرني أن اغيث مظلومكم وأن أعطي الى محرومكم ، وأن أحسن الى سامعكم ، ومطيعكم ، وبالشدة على مريبكم)[١١٢] وفي هذه الخطبة يظهر ابن زياد بعض الليونة مع الترغيب للمطيع في سبيل كسب أهل الكوفة الى جانبه، وتظهر هذه الخطبة ايضاً أن ابن زياد كان منفذاً لأوامر يزيد بن معاوية ، وأن مخالفته مخالفة للسلطة المركزية. ٤/ ولما استقرت الأمور له ، فرض ابن زياد سياسة القبضة الحديدية في تعامله مع أهل الكوفة وهو يبث الرعب والخوف ، فصرح علناً بأنه سوف يقتل الابرياء بسبب المذنبين ، فعلى أولياء الأمور الحذر من خروج أبنائهم ضد السلطة الأموية وأن الأخ يقتل أخاه اذا التحق بمسلم بن عقيل عليه السلام فقال مخاطبا: (أما بعد ، فأنه لا يصلح هذا الأمر الا في شدة من غير عنف ، ولين من غير ضعف وايمُ اللّه لآخُذن البريء بالسقيم، والمطيعَ بالعاصي، والمقبلَ بالمدبر، حتى تستقيمَ لي قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل: انْج سعد فقد قُتِل سُعَيْد)[١١٣]،هكذا كانت سيرته في الكوفة وأهلها، حتى قال في حجر: (ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر وأدعه نكالاً لمن بعده! ويل أمك يا حجر! سقط العشاء بك على سرحان)[١١٤].

٥/ وساهمت الخطب الإرهابية والبيانات العسكرية التي تصدر بين فترة وأخرى في إضعاف معنويات أهل الكوفة الموالين لمسلم عليه السلام ،واستخدم التجسس[١١٥] عليهم حتى يصل الى مكان ومقر مسلم عليه السلام، فاستخدم اسلوب الحيلة والمكر للوصول الى مكانه ، فدعا ابن زياد عبداً يدعى معقلاً وناوله ثلاثة آلاف درهم في كيس، وقال: (خذ هذا المال، وانطلق، فالتمس مسلم بن عقيل، وتأت له بغاية التأتى)[١١٦] ،وفعلاً دَخَلَ معقل

المسجد ورأى مسلماً بن عوسجة وعليه آثار الصلاح والتقوى فدنى منه وتباكى وتظاهر أنه من الذين يبحثون عن مسلم عليه السلام لمبايعته ، فأخذ منه ابن عوسجة العهود والمواثيق المغلظة في كتمان الأمر، وهكذا قبض على مسلم وهانئ بن عروة، ومن دهاء ابن زياد أنه لم يقتل هانئ فوراً تحسباً لردة الفعل من عشيرته ، فأمر شُريحاً القاضي أن يكلم عمرو بن الحجاج وعشيرته من أعلى القصر ويشهد لهم بأن هاني حي وأن الذي بلغكم من قتله باطل، فاقتنع عمرو بن الحجاج بهذا الكلام فرجع مسرعاً وجبناً من ابن زياد ، وأدرك ابن زياد تخاذل عشيرة هاني وعدم مقدرتها على نصرته ومواجهة السلطة الأموية فخطَّطَ لتصفيته جسدياً .

٦/ بدأ ابن زياد بتنظيم أمور شرطته وعسكره ، فوضع خمسمائة من أفضل رجال البصرة والذين قدموا معه على حدود مدينة الكوفة خوفاً من دخول الحسين عليه السلام بصورة مفاجئة ، أو تحسباً لالتحاق أهل الكوفة بجيش الحسين عليه السلام ، ثم بدأ فوراً بالبحث عن مسلم بن عقيل عليه السلام ، والتهديد لمن انضم الى مسلم عليه السلام من أبناء عشيرتهم بقطع الحقوق المالية عنهم وعن عوائلهم إذا استمروا في محاربة ابن زياد وأعطى راية الأمان لكل واحد من الأشراف، ثم أمر محمد بن الأشعث وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وغيرهم، أن يدخلوا الرعب على أهل العصيان والتمرد ، ويمنون أهل الطاعة بالعفو والأموال.

وفكّر ابن زياد في خطة جديدة للتخلص من جيش مسلم وحصاره له فأمر طبقة الأشراف أن يصعدوا أعلى القصر ومعهم العرفاء والشرطة وأن ينادوا بأصحاب مسلم عليه السلام أن جيش الشام قادم ،واستدعى باقي الأعوان الموالية للحزب الأموي، فساهمت هذه الظروف في إضعاف معنويات المشاركين في الثورة ، وانكسار عزيمتهم فلم يبق معه الا المخلصين ، وقد امرهم بالتوجه الى نصرة الحسين عليه السلام ،وأمرهم بالتفرق عنه بعد صلاة العشاء حتى يخرج وحده من الكوفة وهكذا انتهت نهضة مسلم عليه السلام بدهاء ابن زياد ومكره[١١٧].

٧- الإغراءات المادية في السيطرة على الكوفة : بعد نجاح ابن زياد في تنفيذ خطته مع اصحاب مسلم عليه السلام ،وانخداع أهل الكوفة وبقاءه عليه السلام وحيداً أمر العرفاء بالبحث عنه[١١٨]

،وقد اختارهم ابن زياد من المعروفين بولائهم للحزب الأموي، وأعلن عن جائزة قيمتها عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد ، والتي يطمع فيها كل فرد من أعضاء الحزب الأموي. فضلا عن كل يوم حاجة مقضية لأي شخص يقبض على مسلم عليه السلام أو يخبر عن مكانه، أو يعطي معلومات تفيد الشرطة في إلقاء القبض عليه وحينئذ (أمر ابن زياد أن يُنادى في شوارع الكوفة وأزقتها أن برئت الذمة من الرجل من الشرطة أو العرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة الا في المسجد)[١١٩].

ثم بعد ذلك أمر ابن زياد رئيس شرطته الحصين بن تميم ، أن يمسك أبواب السكك ويعلن منع التجول في الليل ، وأن يشدد الحراسة على حدودها ، في سبيل قطع الطرق ومحاصرة مسلم عليه السلام وإلقاء القبض عليه .

وأعطى رئيس الشرطة صلاحية تفتيش ومداهمة أي بيت في الكوفة قائلا: (يا حصين بن نمير ثكلتك أمك إن صاح باب سكةٍ من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به؛ وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدةً على أفواه السكك)[١٢٠]، وهكذا كانت النهاية في وقوع مسلم عليه السلام في الأسر بعد أن طعنه أحدهم برمحه ، ثمَّ أمر ابن زياد بتنفيذ حكم الاعدام به ورمي جثته من أعلى القصر ، واستخدم ابن زياد بعد مقتل مسلم وهاني[١٢١] أساليب عدة لنشر الرعب والخوف في كافة أنحاء الكوفة منها :

١ ـ أمر أن تربط جثتي مسلم وهاني عليهما السلام بحبال وتسحب في سكك وأزقة الكوفة.

٢ ـ اعدام الشخصيات المهمة والرئيسة في اماكن متفرقة من الكوفة وأمر أن يقتل عمارة بن صخلب الأزدي في عشيرته الأزد وأمر بحنظلة بن مرة الهمداني الذي اعترض على اعدام مسلم وهاني عليهما السلام أن يعدم بالقرب منهما، وأما قيس بن مسهر الصيداوي فأمر أن يُرمى حياً من أعلى القصر .

٣ ـ قام ابن زياد بحملة واسعة من الاعتقالات للشخصيات الرئيسية في الكوفة أمثال (المختار الثقفي ، وعبد الله بن نوفل ، والاصبغ بن نباته والحارث الأعور الهمداني وغيرهم) وأودعهم السجن فضلا عن جو الرعب والقسوة لمدينة الكوفة.

وأخيراً نقول إن كل ظالم وله نهاية فانظر الى نهاية الطغاة من معاوية وأتباعه ،وانظر الى قباب الأئمة الاطهار وأتباعهم والعاقبة للمتقين.

الخاتمة والنتائج :

توضح الحقائق والبيانات أن معاوية وحزبه الدهاء والمكر في الوصول الى الحكم كما أن جهازه القمعي استخدم الشدة والقساوة في حكمه ،و لذا أوجز الباحث جملة من النقاط الرئيسة التي جاءت في البحث ومن خلالها يتضح حقيقة آل ابي سفيان والأمويين وخطورتهم على الإسلام ، وأهم النقاط هي :

١/ يعد الهدف الأول للأمويين في سياستهم القضاء على العلويين وآثارهم، بكل الوسائل، وكان يشغل الجانب الاكبر من تفكيرهم وجهودهم، لانهم يرون فيهم الخطر الذي يهدد سلطانهم ودولتهم، وتتضح هذه الافكار من سيرة معاوية وولده.

٢/ أنشئت الكوفة لتكون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن ،وأسسها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧هـ بأمر الخليفة الثاني وفيها نشأت مدرسة أهل البيت عليهم السلام وخاصة عندما نقل الإمام علي عليه السلام عاصمته إليها، فالتف حوله أهل الكوفة ينهلون من علمه وبيانه،فكان ميثم التمار ورشيد الهجري وكميل بن زياد(ره) وغيرهم.

٣/ نشأ الحزب الأموي بطريقة مدروسة وخطة ممنهجة هدفها الأول هو السيطرة على دولة الإسلام أو ملك محمد صلى الله عليه وآله كما يدعي أبو سفيان ذلك، واخذ يكّون له امتدادات ونفوذا داخل الحكم الاسلامي .

٤/ أول من اعتمد على الحزب الأموي في تكوين حكومة ائتلافية - حسب التعبير الحديث - هو الخليفة الثاني الذي جعل من بعضهم قادة لبعض الحروب ، واعتمد عليهم بشكل كبير، فولى عمر معاوية على الشام، فانتهج لنفسه اُسلوباً تحكّميّاً سلطويّاً بالمال والرهبة والسوط فاستطاع في فترة ولايته للشام أن يزرع البغض والكراهية في قلوبهم تجاه الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام فخلق منهم مجتمعا مطيعا.

٥/ بعد تنصيب الخليفة الثالث عثمان اطلق لهم العنان في اللعب بمقدرات الامة الاسلامية المتنامية حيث عيَّن منهم الولاة والقضاة وقادة الحرب وخُزان بيت المال فشرع الأمويون منذ اليوم الاول لخلافة عثمان بالتغلغل والتنفذ في ميادين الحكم .

٦/ استغل معاوية بعد وفاة الخليفة عثمان الأوضاع لصالحه من خلال بيان مظلومية عثمان وأنه يطالب بدمه ،ومثل دور المشفق على هذه الأمة، وكان هدفه التخطيط للإنقلاب على الشرعية والمطالبة بالخلافة بصورة غير مباشرة ، فكتب جملة من كتبه الى الزبير بن العوام، وغيره من أتباعه الشاميين الذين يقاتلون نيابة عن الحكم الروماني، لذلك قام الحزب الأموي باختيار هذه المنطقة - بعد تخطيط مسبق - موقعاً لقيادته ، فهي ستكون مسندة من الخلف من قبل الامبراطورية الرومانية.

٧/أسس معاوية جيشا وظيفته تصفية جيوب المعارضة في العراق، وخصوصا الكوفة والمشرق ضد النظام الأموي الذي انتقلت فيه السيادة الى المروانيين.

٨/ ظل ابن زياد خادماً أميناً ومخلصاً لهذا النظام، مستعداً لتنفيذ أصعب المهمات في سبيله، بمقدار حرصه على استمرارية مصالحه الخاصة ومنها قتله للحسين عليه السلام فاستخدم القساوة والغلظة والشدة التي استخدمها معاوية في القضاء على أتباع أمير المؤمنين ، واستغل أتباعه من المتمردين والمارقين ذلك.

٩/ عمد أهل البيت الى بيان الزيف والخداع الذي حاول معاوية في إعلامه المضلّل طيلة الأربعين عاماً من حكمه، فبذل الإمام السجاد عليه السلام جهد كبير في تربية الأمة،وايقاظ ضمير الأمة بترسيخ المفاهيم الفكرية الصحيحة عن طريق التوجيه لترسيخ المفهوم الاسلامي في وجدان الامة الذي غيبه بني أمية .

١٠/ ظهرت في الكوفة في بداية الحكم الأموي طبقات مختلفة فنشأت تركيبية سياسية متنوعة، فألغى معاوية نظرية تقديم الافضل السائدة عند القبائل العربية واستبدلها بتقديم الموالي لبني أمية، وتتولى هذه الطبقة مسؤولية توزيع الأموال والعطايا والأرزاق على أفراد العشيرة .

١١/ نهج عبيد الله بن زياد نهج الأمويين فكان يغدق الأموال بسخاء ويقضي لهم الحوائج من إطلاق سراح سجين أو بذل مال فضلا عن الهدايا التي كانت توزع عليهم في كل مناسبة، فكان منهم أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث وغيرهما.

١٢/ بدأ ابن زياد بتنظيم أمور شرطته وعسكره خوفاً من دخول الحسين عليه السلام للكوفة أو تحسباً لالتحاق أهل الكوفة بجيش الحسين عليه السلام، ثم بدأ فوراً بالبحث عن مسلم بن

عقيل عليه السلام، ثم أمر باقي الأشراف أن يهددوا من انضم الى مسلم عليه السلام من أبناء عشيرتهم بقطع الحقوق المالية عنهم وأعطى راية الأمان لكل واحد من الأشراف ليكسبوا من استطاعوا من جيش مسلم عليه السلام.

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين...وبعد:

من أهم الأحداث التاريخية والسياسية التي عصفت بالأمة الإسلامية هو الغزو الأموي للخلافة الذي تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبعد وصولهم الى سدة الحكم اتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا و دين الله دخلا، لذا كان من أولويات أهداف الأمويين في سياستهم وتوجهاتهم القضاء على الدعاة من العلويين وأتباعهم من خلال قتل رجالاتهم من جهة ، وتشويه عقائدهم والدس في الروايات مع بيان منزلة بني أمية وخصوصا معاوية وأنه كاتب الوحي من جهة أخرى ،ومما ساعد على ذلك الهبات والقطائع الضخمة التي منحها الخليفة الثالث الى المقربين والولاة من بني أمية ، فكانوا يستغلون منصب الخلافة لتكريس مقدرات الامة لمصالحهم الشخصية المنحرفة عن الخط الاسلامي ، فكان بعضهم يرى أن الفيء الذي أفاءه الله على المسلمين إنما هو بستان لقريش، وليس لأحد دونها حق فيه، فاستخدموا كافة الوسائل والطرق الملتوية والتي تحمل الغدر والدهاء، فبعد محاولته البائسة إخفاء حقيقة شخصية الإمام علي عليه السلام والشمس الساطعة من خلال منع ذكر مناقب الإمام علي عليه السلام عمد الى مطاردة أصحاب الإمام ومحبيه ومواليه كحجر بن عدي الكندي حتى قتله في مرج عذراء، وهو أحد أبرز رجالات قبيلة كندة الشهيرة وأشجعها، وأول من ثار بشدة على سياسة التجريح والتمييز، وصعصعة بن صوحان من بني عبد القيس الذي نفي بأمر من المغيرة - بعد أن ضاق بمعارضته - ومات في منفاه وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم من أتباع أهل البيت، وكذلك عمد بنفس الوقت الى إظهار مناقب بني أمية المزيفة ومؤامراتهم ضد الإسلام عموما، وضد أهل البيت خصوصا .

لذا أبرز الباحث هذا الجانب وركز عليه لأجل إعطاء صورة واضحة عن حقيقة بني أمية وأفكارهم ومتبنياتهم وسياستهم ، وخصوصا محاولة معاوية تشويه التاريخ بدهائه وحيله، وهكذا من جاء بعده ومطاردة العلويين لانهم الخطر الأشد الذي يهدد سلطانهم وسلامة دولتهم اعتمادا على مصادر الجمهور التاريخية المعتبرة لكي تكون النتائج أضبط وأدق ،هذا وقد اشتمل البحث على مباحث ثلاثة تناول الباحث في المبحث الأول: الحقائق المرتبطة بالحزب الأموي ونفوذه بمطالب ثلاثة حمل المطلب الأول :عنوان بدايات نشوء الحزب الأموي في زمن الخليفة الثاني بعد تسلم معاوية ولاية الشام ،وفي المطلب الثاني: ردود الفعل من صحابة رسول الله ﷺ، وفي المطلب الثالث: ولاة الكوفة وقساوتهم تجاه أهل الكوفة ودورهم في التمهيد للخلافة الأموية، وفي المبحث الثاني حمل عنوان: موقف معاوية بعد مقتل الخليفة الثالث بمطلبين: الاول تناول دور معاوية في تأجيج الموقف السياسي ، والمطلب الثاني: مطاردة ومتابعة رجالات وشيعة أهل البيت عليهم السلام، وفي المبحث الثالث تناول الباحث مطلبين: الأول التركيبة السياسية والعقائدية في الكوفة والثاني: خطر الحزب الأموي في الكوفة ، ودور سرجون في إدارة وولاية الكوفة من خلال مرتزقة الأمويين مع خاتمة، وجملة من النتائج تمثل حقيقة الحزب الأموي ودوره في الخلافة الإسلامية، وتشويه مسيرتها ونقلها الى النظام الوراثي التسلطي وما يحمله من آهات ومحن ، فضلا عما أجرمته السياسة الأموية في قتل صحابة رسول الله كحجر بن عدي(ره)، أو المشاركة في تعذيبه وإبعاده عن المدينة كما حدث لأبي ذر أو سجنه لأتباع أمير المؤمنين علي عليه السلام كالمختار وغيره، وقد اعتمد الباحث على جملة من المصادر التاريخية المهمة، وكتب السير والروايات المعتبرة وغيرها من أجل بيان الحقيقة الغائبة عن الكثير، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

---

١) تاريخ الرسل والملوك ،الطبري ٤/ ١٧٨.

٢) صحيح البخاري: ٩|٤٦، كتاب الفتن. ص ٢٤٩.

٣) البلاذري ، فتوح البلدان، ٢/ ٣٣٩ المطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ،مصطفى كامل .

٤) لسان العرب، ٩/ ٣١١.

[٥]) جمهرة اللغة ،٢/ ٤٦، المحيط في اللغة، ٢/ ٦٧.
[٦]) تهذيب اللغة ، ٣/ ٤١٥.
[٧]) م، ن.
[٨]) الحموي،أبو عبد الله ،ياقوت بن عبد الله،معجم البلدان،٤/ ٤٩١،المطبعة: دار الفكر- بيروت.
[٩]) عجائب البلدان ١/ ٨٨.
[١٠]) سراج الدين ابن الوردي،(٨٦١هـ) عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ١/ ٨٨، تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي.
[١١]) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ١١٠/٢، المطبعة: دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٤.
[١٢]) تاريخ ابن خلدون، ٢/ ١١٠.
[١٣]) المنتظم، ٤١/٢.
[١٤]) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣٣٣/٢.
[١٥]) الكسائي والفراء، والشيباني وغيرهم.
[١٦]) ظ: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، المخزومي : مهدي ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ط٢ ، ١٩٨٦م
[١٧]) المجلسي ، بحار الأنوار ٢٣/ ٢٨٨
[١٨]) المؤمنون ، ٥٠ .
[١٩]) معاني الاخبار: ١٠٦. ،بحار الأنوار، ١٤/ ٢٩٣
[٢٠]) قال أبو سفيان مخاطبا العباس عم رسول الله ﷺ: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك إنها النبوة. فقال: نعم إذن . ظ: ابن الإثير،الكامل في التاريخ،٣٢٩/١.
[٢١]) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، عليه السلام ٦/ ٢٢٥.
[٢٢]) بحار الأنوار، ٣٣/ ٢٠٨، وقريب منه مروج الذهب ،١/ ٣١٠.
[٢٣]) تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ١٢٠.
[٢٤]) تاريخ الرسل والملوك، ٦/ ١٦، المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ١/ ١٨٧ .
[٢٥]) البلاذري ، الأنساب ، ٥/ ٥٢.
[٢٦]) تاريخ ابن خلدون، ٢/ ١٤٠.
[٢٧]) راجع ابن الأثير، الكامل ٣ / ١٣٩ ، الكامل ٣ / ٨٣.
[٢٨]) ظ/ التاريخ الاسلامي دروس وعبر ،٢٠/١.

[٢٩]) ويظهر من الأخبار أأن النعمان بن بشير كان يعرف منزلة الحسين عليه السلام أراد أن لا يزج نفسه في حرب ومواجهة مسلحة ضد الحسين عليه السلام وشيعته ، فترك المجال مفتوحاً لمسلم عليه السلام ، ليأخذ البيعة من الناس وتهيئة الأجواء لقدوم الحسين عليه السلام ،ولكن الرسائل كانت قد وصلت الى يزيد، فأسرع في تغيير النعمان وإبداله بمن له القابلية والقدرة على مواجهة ثورة الحسين ع عليه السلام ، قبل أن تقع الكوفة بأيدي الشيعة ويفقد الحزب الأموي السيطرة عليها .

[٣٠]) ولد في سنة ٢٠ قبل الهجرة وأسلم سنة ٨ هـ مُكرهاً تحت بوارق فرسان الإسلام، وعُرف هو وأضرابه ب«الطُّلَقاء».

[٣١]) الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء ،تاريخ أبي الفداء، ١ / ٢٧٠

[٣٢]) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ١٧٧.

[٣٣]) تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٩.

[٣٤]) مروج الذهب ، ٢ / ٣٤٠ ومسند أحمد ، ١ / ٦٣ ، حلية الأولياء ١/ ١٦٠

[٣٥]) العاملي ، جعفر مرتضى،الصحيح من السيرة، ٨/ ١٨٣،عن مروج الذهب،٢/ ٣٤٠.

[٣٦]) المجلسي ، بحار الأنوار، ٢٢/ ٤١٥

[٣٧]) البصري ،أبوجعفر يحيى بن محمد العلوي ،الايضاح،١/ ٤٠٦.

[٣٨]) الايضاح ، البصري.

[٣٩]) تاريخ الطبري ٣٢٣/٥.

[٤٠]) الطبقات الكبرى: ٦٥/٣، تاريخ دمشق: ٣٢٣/٣٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٤١/٣ و٤٤٢، أنساب الأشراف: ١٨٢/٦ ،١٨٣ ، ١٧٧ .

[٤١]) سير أعلام النبلاء: ١٠٢/٤٧٧/٣.

[٤٢]) تاريخ الطبري ،٣٢٧/٥، الخلفاء الراشدون للخالدي، ١٣٤،صحيح السيرة النبوية، ٦٣٥.

[٤٣]) الكامل في التاريخ٢/ ٢٠٨.

[٤٤]) الاستيعاب ، الاصابة ج ١ / ص ٢١٦ ، شرح النهج ج ٨ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

[٤٥]) ظ/ ابن سعد ،طبقات ابن سعد،٦ / ٣٠٤ .

[٤٦]) ويروي البلاذري أنهم بنوه لمعاوية من الحجارة بعد أن كان قبل مبنياً باللّبن والطين.

[٤٧]) تاريخ الرسل والملوك،٣ / ٩ .

[٤٨]) الصلابي ،علي محمد،الدولة الأموية ،عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ١/ ٤٥٨،

[٤٩]) م، ن .

[٥٠]) أنساب الأشراف (٢١٨/٤ ـ ٢١٩)

[٥١]) أسد الغابة لابن الأثير ،٤٧٢/٢ ، تاريخ اليعقوبي (٢٧٢/٢)

[٥٢]) سير أعلام النبلاء، (٣٠/٣)

[٥٣]) سير أعلام النبلاء (٢٦/٣)

[٥٤]) م، ن.

[٥٥]) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٦ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٦٢ـ٤٦٦ / ٩٥

[٥٦]) مروج الذهب ٣ : ٣ـ٤ .

[٥٧]) ظ/ الهاشمي ، علي بن الحسين ،وقعة النهروان، أو الخوارج.١٧٧،المطبعة مؤسسة المفيد ،بيروت ،لبنان، مروج الذهب، ١/ ٣٨٥.

[٥٨]) ظ/ ابن الجوزي، المنتظم ، ١٧٧/٢.

[٥٩]) الكامل في التاريخ، ٢٢/٢.

[٦٠]) وقعة الجمل، ٧٧. جمهرة رسائل العرب ١ : ٣٠١ .

[٦١]) ظ/ ابن عبد البر، الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة لابن حجر ، ٢ /٢٤٥

[٦٢]) وقعة الجمل/ ٥٧.

[٦٣]) جمهرة رسائل العرب ١ : ٣٠١ .

[٦٤]) الذئب الاطلس : الذي في لونه غبرة الى السواد، والهناء : القطران ، والنقب بضم ففتح : القطع المتفرقة ، والشوس بالتحريك : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا .

[٦٥]) جمهرة رسائل العرب ١ : ٣٠٢

[٦٦]) سفعته السموم : لفتحه الريح الحارة لفحا يسيرا فغيرت لون البشرة

[٦٧]) انظر : جمهرة رسائل العرب ١ : ٣٠٣ .

[٦٨]) جمهرة رسائل العرب ١ : ٣٠٤ .

[٦٩]) ظ :الكامل في التاريخ ، ١/ ٣٩٠

[٧٠]) العراق في ظل العهد الأموي، الخرطبولي ،علي، ٢٠٩. ابن سعد في الطبقات ،٦ / ٣٠٤.

[٧١]) ظ: العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ١٠٦/٢، الناشر : دار الهادي،ط٤،(١٤١٥هـ)

[٧٢]) تاريخ ابن عساكر، ٧/ ٤٠٧.

[٧٣]) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٨٧ ، والكنى والالقاب ج ١ ص ٨٦ .

[٧٤]) ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٣ ، النزاع والتخاصم للمقريزي ص ١٨، وراجع الغدير ، ولا سيما ج ٨ ص ٢٧٨ / ٢٧٩ وج ١٠ ص ٧٩ - ٨٤ قاموس الرجال ترجمة أبي سفيان.

[٧٥]) ظ/ دور ائمة أهل البيت،١/ ٩٦.

[٧٦]) السبحاني، جعفر ، سيرة الأئمة، ٧/ ٧.

[٧٧]) البداية والنهاية

[٧٨]) مروج الذهب / ج ٣ / ص ٨٦ .

[٧٩]) علي بنِ الحُسَيْن الهَاشِمي ،وقعة النهروان ، ١٩٦ ، مؤسسة المفيد بيروت ، لبنان.

[٨٠]) الطبري، ٦/ ١٨٩.

[٨١]) الشيرازي، محمد ، طاهر، كتاب الأربعين،١٠٠/٢.

[٨٢]) م، ن.

[٨٣]) العاملي ، جعفر مرتضى، الصحيح من السيرة، ٥٣/٥.

[٨٤]) الكامل في التاريخ،٢/ ٤٢٤.، تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد إسماعيل ،١/ ٢٨٣.

[٨٥]) الشهرستاني ،أبو بكر، محمد بن الطيب ، الملل والنحل ،١١٤/١.

[٨٦]) الأشعري، مقالات الإسلاميين،٢٣/١، الباقلاني ، الإنصاف ،١/ ٢٤.

[٨٧]) الإيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، المواقف ،٣/ ٦٩٤، الناشر ،دار الجيل – بيروت ط١(١٩٩٧م)، تحقيق عبد الرحمن عميرة.

[٨٨]) دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري، ١٥١.

[٨٩]) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،١/ ٢٠١هـ).

[٩٠]) م، ن.

[٩١]) وخراج كور دجلة عشرة آلاف ألف درهم، وخراج نهاوند وماه الكوفة، وهو الدينور، وماه البصرة، وهو همذان، وما يضاف إلى ذلك من أرض الجبل أربعين ألف ألف درهم، وخراج الري وما يضاف إليها ثلاثين ألف ألف درهم، وخراج حلوان عشرين ألف ألف درهم، وخراج الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها خمسة وأربعين ألف ألف درهم، وخراج آذربيجان ثلاثين ألف ألف درهم، ظ/ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،١/ ٢٠٢هـ.

[٩٢]) كالسبئية والإباضية والخوارج والمرجئة والوعيدية وغيرهم ..ظ: الشهرستاني ، الملل والنحل،١/ ٣٥ – ٣٩.

[٩٣]) مروج الذهب ٣ : ٣ـ٤، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٦٢ـ ٤٦٦ / ٩٥

[٩٤]) الصلابي، الدولة الأموية، ١/ ٣٢٧

[٩٥]) بيضون،ابراهيم، التوابون،٧٣.

[٩٦]) م، ن، ٨٩.

[٩٧]) التوبلاي البحراني ، هاشم ،غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، ١/ ٧٠ ،تحقيق علي عاشور.

[٩٨]) ابراهيم بن محمد الثقفي ، الغارات،٩٢٧/٢،تحقيق: جلال الدين المحدث.،المطبعة : بهمن

[٩٩]) ابراهيم بن محمد الثقفي ، الغارات ،٢/ ١٨٩.
[١٠٠]) المجلسي ،بحار الأنوار،٣٣/ ٥١٩.
[١٠١]) الغارات، ٢/ ١٩٠.
[١٠٢]) م، ن.
[١٠٣]) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،١/ ١٢٨.
[١٠٤]) الغارات،٤/ ١٩٥.
[١٠٥]) ظ/ الغارات، ٤/ ١٩٦.
[١٠٦]) الطبري، ٦ /١٨٩
[١٠٧]) ظ: بيضون، ابراهيم، التوابون،٧٤.
[١٠٨]) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٣، ٢٣٢.
[١٠٩]) م، ن.
[١١٠]) الكامل في التاريخ، ١٥٥/٢.
[١١١]) مقاتل الطالبين،٧٣، التوابون،٧٧.
[١١٢]) أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ١/ ٢٦، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ١٥٥.
[١١٣]) الدينوري، ابن قتيبة ، عيون الأخبار، ٢٢٥/١.
[١١٤]) تاريخ الرسل والملوك، ١٩٤/٣.
[١١٥]) الأخبار الطوال،٢٣١/١.
[١١٦]) م، ن،٢٣٥/١.
[١١٧]) ظ/ المسعودي ، مروج الذهب، ١/ ٣٧٤.
[١١٨]) القَيّم بأمور القبيلة من الأفراد الذين يعينهم الوالي كنواب بينه وبين عشائرهم ، وهم مسؤولون عن توزيع الحقوق المالية والأرزاق على كل فرد من أفراد العشيرة ،ويَتعرَّف الأميرُ منه أحوالَهم. ظ/ النهاية في غريب الحديث،٣/ ٤٤٢.
[١١٩]) الكامل في التاريخ، ١٥٨/٢
[١٢٠]) تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٤/٣ .
[١٢١]) الأخبار الطوال ،١٤٠/١.

المصادر:

القرآن الكريم وخير ما نبتديء به
١.ابراهيم بن محمد الثقفي ، الغارات ،تحقيق: جلال الدين المحدث.،المطبعة : بهمن

٢.ابن الاثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، أسد الغابة ، المطبعة: دار الفكر ،بيروت
٣.ابن الإثير،علي بن محمد عبد الكريم ،الكامل في التاريخ، المطبعة: دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٥
٤.ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا وأخيه، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ،المطبعة : دار الكتب العلمية.
٥.ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، المطبعة: المعارف، ط١.
٦.ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، المطبعة: دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٤. المجلسي ، محمد باقر ،بحار الأنوار: الناشر : مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان
٧.ابن دريد الأزدي ، محمد بن الحسن(٣١٢هـ)جمهرة اللغة ، تحقيق رمزي البعلبكي
٨.ابن عبد البر، الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة لابن حجر
٩.ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١ هـ)،تاريخ دمشق ، دراسة وتحقيق علي شيري المطبعة والنشر: دار الفكر
١٠.ابن كثير، اسماعيل ،البداية والنهاية، (ت:٧٧٤هـ)،ط٣، ١٩٧٩م،المطبعة : مكتبة دار المعارف.
١١.ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، لسان العرب، المطبعة: دار صادر، بيروت
١٢.أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ،النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة: المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
١٣.ابو الفداء، إسماعيل،تاريخ أبي الفداء، المطبعة: دار المكتبة العلمية.
١٤.أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ،المختصر في أخبار البشر، المطبعة: دار الثقافة بيروت"
١٥.أبو الفرج الأصبهاني،علي ، بن الحسين، مقاتل الطالبيين،المطبعة: دار الكتب العلمية

١٦.احمد بن حنب ،مسند أحمد، المطبعة: دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ
١٧.الأشعري، مقالات الإسلاميين، المطبعة: دار الكتب العلمية.
١٨.الاصبهاني ،أبو نعيم أحمد بن عبد الله حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: دار الكتاب العربي ،بيروت ط٤ ، ١٤٠٥هـ
١٩.الإيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، المواقف ، الناشر ،دار الجيل – بيروت ط١(١٩٩٧م)، تحقيق عبد الرحمن عميرة.
٢٠.الباقلاني ،محمد بن الطيب، الإنصاف، المطبعة: دار المكتبة العلمية
٢١.البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري ،المطبعة: دار الفكر، بيروت، ط٢ ،١٣٩٢هـ.
٢٢.البصري ، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، (ت:٢٣٠هـ)،المطبعة: دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ
٢٣.البصري ،أبوجعفر يحيى بن محمد العلوي ،الايضاح، المطبعة، دار إحياء التراث،بيروت.
٢٤.البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف المطبعة: دار الفكر ،بيروت ، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي ، ط١، ١٤١٧هـ..
٢٥.البلاذري ، أحمد بن يحيى، (ت:٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ لعام الكتب
٢٦.البلاذري ، فتوح البلدان ،المطبعة : لجنة البيان العربي، القاهرة ،مصطفى كامل.
٢٧.البيشوائي ،مهدي ، سيرة الأئمة ، تعريب حسين الواسطي نشر مؤسسة الإمام الصادق _
٢٨.بيضون،ابراهيم، التوابون، المطبعة: دار الكتب العلمية، بيروت
٢٩.التوبلاي البحراني ، هاشم ،غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، تحقيق علي عاشور.
٣٠.الحسني ، هاشم ،معروف، دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري، المطبعة :دار الكتب العلمية.

٣١.الحموي،أبو عبد الله ،ياقوت بن عبد الله، تهذيب اللغة ، معجم البلدان، المطبعة: دار الفكر- بيروت.
٣٢.الخرطبولي ،علي،العراق في ظل العهد عوامل الازدهار وتداعي الانهيار، االمطبعة : دار الكتب العلمية.
٣٣.الدينوري، ابن قتيبة ، عيون الأخبار.المطبعة: دار المعرفة ، بيروت
٣٤.الذهبي ، محمد بن أحمد ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٣ ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٥.الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان ،سير أعلام النبلاء، المطبعة :مؤسسة الرسالة،ط٧ (١٤١٠هـ)
٣٦.الريشهري،محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، التحقيق والمطبعة والنشر : دار الحديث ط٢ ١٤٢٥
٣٧.سراج الدين ابن الوردي (٨٦١هـ)، عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي.
٣٨.الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ، الملل والنحل، المطبعة: دار المعرفة – بيروت ط(١٤٠٤ه) ، تحقيق: محمد سيد كيلاني
٣٩.الشهرستاني ،أبو بكر، محمد بن الطيب ، الملل والنحل، المطبعة :دار المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
٤٠.الشيرازي، محمد ، طاهر، كتاب الأربعين، المطبعة : دار الكتب العلمية.
٤١.الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد (٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة،
٤٢.الصدوق،محمد بن علي، معاني الاخبار،المطبعة: النجف، ط١.
٤٣.الصلابي ،علي محمد،الدولة الأموية ،عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ، المطبعة: دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ

٤٤.الطبري ، محمد بن جرير ،تاريخ الامم والملوك محمد بن جرير، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة " بريل " بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م راجعه وصححه وضبطه تخبة من العلماء الاجلاء
٤٥.الطبري ،محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، ط٤،المطبعة : دار المعارف القاهرة،ط٤ ١٩٦٨ م
٤٦.العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، الناشر : دار الهادي،ط٤،(١٤١٥هـ)
٤٧.العمري ،أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة،تاريخ الطبع ١٤١٢هـ، النشر: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة
٤٨.فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها،ط١،(١٤٠٠)هـ، المطبعة : دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
٤٩.القمي ، عباس ، الكنى والالقاب ، المطبعة : دار الكتب العلمية.
٥٠.المدرسي،محمد تقي، التاريخ الاسلامي دروس وعبر، المطبعة: دار نشر المدرسي،ط٥،(١٤١٨هـ)
٥١.المدني، الحسيني ،ضامن بن شدقم بن علي(١٠٨٢هـ) ،وقعة الجمل، ـ تحقيق : السيد تحسين آل شبيب الموسوي
٥٢.المروزي ،أبو عبد الله نعيم بن حماد (٢٢٩ هـ) ، كتاب الفتن ، حققه سهيل زكار المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٥٣.المسعودي،علي بن الحسين ، مروج الذهب ، المطبعة: دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ
٥٤.المعتزلي ، ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة، المطبعة: دار الفكر ،بيروت
٥٥.المقريزي ،النزاع والتخاصم ، المطبعة :
٥٦.الهاشمي ، علي بن الحسين ،وقعة النهروان، أو الخوارج. المطبعة مؤسسة المفيد ،بيروت ،لبنان.

٥٧. اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، المطبعة: المكتبة العلمية

خصائص الادارة في حكم امير المؤمنين علي (عليه السلام) [العدالة انموذجا]

م. نهى حامد طاهر عبد الحسين الطائي
كلية الطب العام / جامعة العميد / العتبة العباسية المقدسة

المبحث الاول

الاطار العام للبحث

اولا- المقدمة :

ان الاسلام دين الحق الذي لا ريب فيه ، وهو هدى الله الذي شرعه للانسانية لترتقي به الى اعلى مراتب الكمال . وقد اصطفى الله تعالى لهذا الدين رسولا كان شاهدا لسبيله القويم ورحمة للعباد وبشيرا بوعده ونذيرا بوعيده وداعيا اليه باذنه ، وهاديا الى سبيله ، فلا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، هو صفيه وحبيبه وعبده ورسوله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ولديمومة هذا الدين وحفظه خلف (صلى الله عليه واله وسلم) اوصياء هم الانموذج الامثل بعده فجعل امر امامة الامة لهم ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)) ﴿ الاحزاب : ٣٦ ﴾ وكان اولهم جامع المثل والفضائل امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) ، فقد قال رسول الله عنه : " من كنت مولاه فهذا علي مولاه " . (جرداق ، ٢٠١٢ : ج١ : ٣) .

لقد خلّف الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) منظومة فكرية متكاملة تصعب الاحاطة بمضامينها ومعانيها ، فهي معين ثَرٌّ لا ينضب . ما نهل منه شارب الا وخرج بجديد ينفع الناس والمخولقات كافة . وليس في الأمر مبالغة ان سمية بـ : «البيان الجامع». ان اصلاح العباد والبلاد هو الهدف الاساسي الذي يقوم عليه نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) . فقد تم تفسير خطبه ورسائله ، وأقواله حول شؤون المجتمع الاجتماعية والاقتصادية ، والعلمية ، والسياسية ، والبيئية ، والحفاظ علي أمن الناس ، وتأمين العيش الكريم لهم ، ورسمت المعالم الأساسية لأول ميثاق لحقوق الانسان . وكان (عليه السلام) ، في سلوكه اليومي وممارسته العملية عند ادارته للدولة منسجماً

تمام الانسجام مع أقواله ليس فقط مع محبيه ، بل حتي مع مبغضيه ، لأنه كان يؤمن أن الناس كلهم أخوة سوداً كانوا أم بيضاً ، مسلمين أو معاهدين (ابو جوهر ، ٢٠١٠ : ٧٥) .

لقد خلق الله سبحاته وتعالى الانسان ليكون خليفته في الارض ، وحمله مسؤوليات جسام ابت الجبال ان تحملنها واشفقن منها ، وكان لابد من ان يكرم هذا الانسان على تحمله المسؤولية الكبيرة ، وذلك يجعله خليقة الله في الارض ، ومن التكريم ايضا ان جعله مختارا ، والاختيار يعني الحرية ، وفي مقابل الواجبات التي تحملها الانسان لكونه خليفة الله في الارض بصريح (ايه الخلافة) ، فقد منحه الله حقوقا ، ولا شك ان هذه الحقوق تتاطر باطار الشريعة الاسلامية ، التي هي في الاساس نظام الحياة بالنسبة الى كل المخلوقات ، لذا كان من مسؤولية الحكم الاسلامي صيانة هذه الحقوق ، ومنح اصحابها فرصة كسب حرياتهم ، والحصول على حقوقهم كاملة غير منقوصة . ومن هنا اتت مناسبة التاكيد على مبدا الحقوق والحريات والعدالة عند امير المؤمنين (عليه السلام) بوصفه حاكما اسلاميا ، مهمته الاولى تنظيم شؤون الناس ، وارسالها على روابط متينة هدفها تحقيق العدالة (القزويني ، ٢٠٠٦ : ٢٢).

فكان الامام علي (عليه السلام) هو الرجل المعد لادامة الرسالة والحفاظ عليها ... فاصبح بحق امام الانسانية وطموح الانسان والانموذج الاعلى في طهارة الروح والمحبة والعدل ، وجميع الفضائل التي كان يحلم بها الانسان .. التي جسدها (صلوات الله عليه) بافعاله واقواله وجميل خطابه وجمال كلامه ، فكان بحق المصداق الاتم للانسان الكامل بعد سيد الخلق محمد (صلوات الله تعالى وسلامه عليه) (جرداق ، ٢٠١٢ : ج١ : ٤) .

كما واضح الامام علي (عليه السلام) بأن الحاكم ما هو إلا مسؤول مؤتمن على حقوق الناس وخدمتهم ، وعدل الحاكم هو ما يوجب على الرعية إتباعه . والمتدبر في امور ادارة الدولة للامام علي (عليه السلام) يجد في انه قد أنكر أن يكون الحاكم والحكومة سلطة متجبرة متسلطة على رؤوس الناس بل ان يكون الحاكم والحكومة في خدمة الناس ومداراتهم ، وإلا تحولت الحكومة الى منصب دنيوي يلهث وراءه كل من يحب الدنيا

ومغرياتها ، وكل باحث عن جاهٍ ، وهذا ماحذر منه الامام علي (عليه السلام) ونبه عليه ، وخوفٍ من عاقبته في الدنيا والآخرة (المالكي والعباسي ، ٢٠١٤ : ٣٠١).

وقد فسر بعض العلماء مبدا العدالة لدى امير المؤمنين علي (عليه السلام) في انه التفكير الصحيح ، اي ان الأسلوب الأمثل هو التفكير الصائب والأمعان والدراسة والمقارنة قبل الأقدام على عمل ، فالمعروف عن التفكير انه يوصل الأنسان الى المعرفة عبر العقل فأما ان تكون المعرفة في اطار الخير او في اطار الشر، فأن كانت خيرا ارتقى به الأنسان ، وقد يخطو به بمجتمعه الى مصير افضل لو كان له دور في قيادته ، وان كانت شراً مستطيراً تعرض الى مهاوي الخطر (التميمي ، ١٩٣١ : ٩١٨٧) .

ان منهجية العدل والمساواة التي سلكها أمير المؤمنين (عليه السلام) ابان حكمه في الكوفة ، كانت دافعاً اساسياً لموالي أهل المدينة لإعلان الثورة على ابن الزبير لما مارس ايام حكمه القهر ضد بني هاشم ، وقد اشترك في تلك الثورة جملة من الموالي كان من بينهم أرقاء لشخصيات سياسية واجتماعية مهمة من قريش ، وكان عليه السلام لشدة اهتمامه بالعدل في الرعية لم يشرك في عمله عمال عثمان المتهمين عند الرعية فعزلهم بعد أن تابع ادارتهم المالية متابعة دقيقة، جاء في كتاب له إلى الأشعث بن قيس الذي كان والياً لعثمان على اذربيجان :-

" وان عملك ليس لك بطعمة ، ولكنه في عنقك امانة ، وانت مسترعى لمن فوقك، ليس لك ان تفتات في رعية ، ولا تخاطر الا بوثيقة ، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وانت من خزانه حتى تسلمه الي، ولعلي الا اكون شر ولاتك لك والسلام " (الشريف الرضي ، ١٩٧٠ : ٤٧).

وقال الامام علي (عليه السلام) : " ان الله فرض في اموال الاعنياء اقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع به غني . فهو يشير بذلك الى ان جوع الفقير مسبب عن منع الاغنياء زكاة اموالهم ، ولو اخرجوها كما امر الله لما وجد على ظهر الارض فقيره . ان قول الامام ما جاع فقير .. الخ ، يؤيد النظرية القائلة ان وجود الفقر الى جانب الغنى مستلزم قهرا لوجود الظلم ، وايضا يدل عليها بدلالة اوضح واصرح قوله : " ما رايت نعمة موقورة الا والى جانبها حق مضيع " . لهذا فانه ليس من شك ان طيب النفس

وتراضي الاطراف المعنية هو قوام التعاون ، لان الانسان بطبعه لا يرضى الا بالعدل والمساواة (مغنية ، ٢٠٠٥ : ج٣ : ١٠٢) .

لهذا فان الامام علي (عليه السلام) هو اماما في ما اثبته من حقوق ، وفي ما علم وهدى ، وايته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في اسس البلاغة العربية في ما يلي القران من اسس ، وتتصل به اساليب العرب في نحو ثلاثة عشر قرنا فتبني على ينائه وتقتبس منه ويحيا جيدها في نطاق من بيانه الساحر . ولا عجب في ذلك ، فقد تهيات للامام علي (عليه السلام) جميع الوسائل التي تعده لهذا المكان بين اهل البلاغة . فقد نشا في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو ، ثم انه عايش احكم الناس رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وتلقى من النبي رسالته بكل ما فيها من حرارة وقوة ، اضف الى ذلك استعداداته الهائلة ومواهبه العظيمة ، فاذا باسباب التفوق تجتمع لديه من الفطرة ومن البيئة جميعا . (جرداق ، ٢٠١٢ : ٨).

ثانيا- اهمية البحث والحاجة اليه :

ان الانسان والمجتمع يتعرضان بشكل دائم لتدهور واضطراب وخسران في جميع مقومات الحياة وميادينها ، باستثناء من تكون المفاهيم والقيم الدينية هي الحاكمة على مسيرته وحركته ، حيث تحرر تلك القيم الإنسان والمجتمع معاً من جميع العبوديات الفكرية والاجتماعية والتربوية ، وتزرع في الضمير وخلجات النفس وفي الواقع الاستقرار والطمأنينة التي هي أساس الصحة النفسية والخلقية ، وتدفع الى العمل الايجابي البناء في اصلاح وتغيير النفس والمجتمع ، وأساس القيم المعنوية والنفسية الايمان بالله تعالى وباحاطته التامة بالانسان في حركاته وسكناته ، وهو الذي يجعل الضمير طامعاً في ثواب الله ، وخائفاً من غضبه وعقابه. ولقد أثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة انّ الابتعاد عن الدين فكراً وسلوكاً هو أساس جميع الوان الانحراف والانحطاط الفردي والاجتماعي ، ابتداءً بفقدان الصحة النفسية والروحية ، وانتهاءً بالممارسات المنحرفة ، ولهذا نجد انّ الانحراف يتزايد في المجتمعات غير الدينية التي لا تؤمن بمفاهيمه أو لا تتبناه منهجاً لها في القيم المعنوية تشمل : الايمان بالله ، والايمان بالثواب والعقاب ، وذكر الله

، وذكر الموت ، والاعتراف بالذنب ، والاستغفار ، والتوبة ، والرضا بالقضاء (العذاري ، ١٩٩٢ : ٣٢) .

وتعتبر العدالة قاعدة جوهرية لاستمرار حياة البشر بعيداً عن الظلم والجور والتطرف؛ فالعدالة هدف سماوي ويتبين في قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (سورة الحديد : ٢٥) . وكما هي هدف سماوي فالعدالة أيضا هدف إنساني ، يتمثل في الارتقاء بكرامة الإنسان وإحقاق حقوقه . وتُعرف العدالة بأنها الشعور بالإنصاف ، وهو شعور كامن في النفس يوحي به الضمير النقي ، ويكشف عنه العقل السليم . فمن خلال العدالة تستلهم قواعد تعرف باسم قواعد العدالة مرجعها مثل عليا ، تهدف إلى خير الإنسانية بما توحي به من حلول منصفة ومساواة واقعية ، تقوم على مراعاة حقائق ظروف الناس وحاجاتهم (كارمل واخرون ، ٢٠١٤ : ٧).

ان من الطبائع الإنسانية السليمة أنها خلَّدت شخصيتها المتميزة التي أسهمت بصورة أو أخرى في تذليل مصاعب الحياة ، وتركت بصماتها العلمية والعملية بين يدي الإنسان، لكي يوظِّفها لصالحه في تحقيق النجاح في الميادين كافة ، وعندما نقلب صفحات التأريخ الإنساني بتروٍ وتقصٍ منصف ، فإننا سنجد بين طياته شخصيات عظيمة قدمت للبشرية عصارة أفكارها المدعومة بأعمالها ، فنقلتها من سباتها وسكونها إلى منطقة الحراك والعمل الإنتاجي المبدع في شتى مجالات الحياة ، وبذلك أصبحت أمما لها حظوتها القوية في الوجود والتطور المتصاعد، ونقشت اسمها وأعمالها الكبيرة في سجل الإنسانية الخالد ، من خلال الإسهامات الفكرية والعلمية لشخصياتها العظيمة ، ولكننا قد نجد شخصية فذة فريدة تميزت بالتفوق المطلق وجمعت كل الخصائل الإنسانية الرفيعة والسامية الا وهي شخصية امير المؤمنين علي (عليه السلام) ، فهي تعد أعظم وأروع وأهم شخصية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المتفردة في صفاتها والمتميزة في سماتها، والتي جعلت من الإمام الشخصية الخالدة التي جاد بها التاريخ على المسلمين وعلى الإنسانية ، فتألقت متفردة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سماء البشرية

صانعةً مّثلاً أعلى ونموذجاً فريداً وشمساً زاهرة بالقيم والفضائل التي تمد العالم دائماً وأبداً بالخير والسعادة (الشيرازي ، ٢٠١٣ : ١١) .

وإذا ما انتقلنا إلى سيرة المصطفى، وبحثنا عن منزلة العدل في سنته التي اهتمت باستعراض دور العدل في حياة الفرد والجماعة على السواء ، ويتضح ذلك من المنزلة التي رتب فيها سيد الخلق الإمام العادل في الصنف الأول من الأصناف السبعة الذين يظلهم االله تعالى يوم القيامة ، فقال النبي (صلى االله عليه وعلى اله وسلم) : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل ..." ، فهذا خبر من الرسول الأكرم أن مكانة الإمام العادل لأحب وأقرب إلى الله يوم القيامة منه سبحانه وتعالى مجلسا، خلافا للإمام الجائر الذي هو من أبغض الناس إليه يوم القيامة وأشدهم عقابا وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) : " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى االله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر" ، تلك هي المنهجية التي وردت عن الرسول (عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام) ليبلغها إلى الناس كافة ، ليتمسكوا بها أسلوبا وعملا بما شرعه الله شرعة تسعد المتمسكين بها من كافة الناس ، وهذا ما تمسك به امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) (بن مشيش ، ٢٠٠٦ : ١٤).

ولقد اكد الامام علي (عليه السلام) الى انه من الشروط التي يجب ان تتوفر في القاضي العدالة ، ومن اهم الصفات التي تقتضي اداء الواجبات الشرعية واجتناب المحرمات ، فاذا لم يتمتع القاضي بهذه الصفة فلا سبيل له لتولي القضاء ، يقول (عليه السلام) : (لا يحمل الناس على الحق الا اورعهم عن الباطل) ، وطالب الامام علي (عليه السلام) بضروة تحقيق وترسيخ العدالة في القضاء ، اذ يقول (عليه السلام) : (اعدلوا اذا حكمتم) ، ويوصي (عليه السلام) قائلا : (ليكن احب الامور اليك اعمها في العدل واقسطها بالحق) (عفراري ، ٢٠١٦ : ١٩٩) .

كما سعى الإمام علي (عليه السلام) منذ اللحظات الأولى لوصوله إلى الحكم نحو ترسيخ أُسس العدالة في المجتمع الإسلامي ، فحارب الفقر محاربةً لا هوادة فيها ، وعمِلَ على إعطاء أصحاب الفيء حقوقهم ، وساوى بين الجميع في العطاء ، وأمر أصحاب

الأموال والثروات بدفع ما عليهم من حقوقٍ إلى بيت المال ، ثمّ ندّد بأولئك الذين يأكلون الأموال بالباطل سواء بالغصب أو بالسرقة أو بالاحتكار أو الرشوة ، واعتبر أن أعظم الجرائم اغتصاب مال الله من بيت المال الذي هو حقّ الأيتام والفقراء والمساكين ، وحاسب هؤلاء حساباً يسيراً ، وطبّق عليهم مبدأ من أين لك هذا؟ . وبهذا غدا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أعظم نموذج للعدالة والمساواة وواحداً من روادها الذين لم يعرف لهم التاريخ نظيراً . (الامين ، ١٩٨٣ : ج١ : ٣٤٨).

ولم يكن اهتمام علي (عليه السلام) بقضية العدالة الاجتماعية بمحض الصدفة ، بل إنّ ذلك يرتبط ارتباطا وثيقاً بالأوضاع الفاسدة التي آلت إليها حالة العالم الإسلامي آنذاك نتيجةً لتلك السياسات الفاسدة من قبل الحكّام الذين ميزوا بين الناس في العطاء . لهذا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) يعبّر عن هذه الحالة في اللحظة الأولى لاستلامه الحكم محدّداً الأهداف الأساسية لقبوله بالتصدي للخلافة : " اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ " . (الحراني ، ١٩٩٦ : ١٧١) .

ان الله خلق الكون ، وجعل خليفة الله على الكون هو نبينا ادم (عليه السلام) ، اذ قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (البقرة : ٣٠) ، والملائكة موجود علمي ، وأوّل من انطبق عليه وصف الخليفة هو آدم (عليه السلام) ، وتساؤل الملائكة عمّا قالوا عنه أنّه يفسد فيها ويسفك الدماء يطابق المدرسة الذاتية التي تكلّمنا عنها ، والتي يكون من نتائجها الفساد سواء كان فساداً مالياً أو خلقيّاً أو صحيّاً ، قال تعالى : { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (الملك : ١٤) ، أي : إنّ هذا الخليفة مقدّر له أن يصلح الأرض ، وهذا الخليفة هو آدم ومن بعده من الأنبياء والرسل إلى خاتم الأنبياء ، ومن الإمام علي (عليه السلام) إلى الإمام الحجّة (عجّل اللّه فرجه الشريف) ، ولولا هؤلاء الخلفاء لكتب الدمار للبشرية ،

ولعاشت البشرية الدمار على الصعيد البيئي والترابي والهوائي والصحي وغيرها (السند ، ٢٠٠٠ : ٣٤٤) .

لقد واجه الإمام (عليه السلام) صعوبةً كبيرة في سبيل إحياء الفكر الإسلامي من جديد ، ولهذا حارب الجميع وحاربه الجميع ، وبغضوه وكرهوه ، وخافوا من عدله ، وابتدعوا الثورات عليه بعد أن حطّم عروشهم وقضى على أحلامهم ، وبدأ بمعالجة الأوضاع المنحرفة والفاسدة التي خلّفها السابقون ، وعمِل على رفع الظلم عن المحرومين ، فساواهم بنفسه وكان أُسوةً لهم في جشوبة العيش ، وشريكاً لهم في مكاره الدّهر، وكان شعاره في الحكم دائماً القضاء على الظلم حيث يقول (عليه السلام) : " وَاللَّه لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا ا؟!" (الشريف الرضي ، ١٩٧٠ : ٢٢٤) .

ومن خلال ما سبق عرضه ، يمكن تلخيص اهمية البحث بان معنى ادارة الدولة لدى امير المؤمنين ، ينصب على الانسان الذي يتميز بجملة من الصفات لعل من ابرزها معرفة الاسلام وحسن تطبيقه ، والعدالة ، والوعي السياسي ، والصفات الشخصية الحميدة . وفي حالة المساس بالشريعة الاسلامية أو ظهور حالة الاستبداد والظلم من قبل الحكام أزاء الأمة وتبديد حقوقها نتيجة ضعف الوعي والأداء السياسي والإداري ، فإن الامام يمنح الحق للامة بأفرادها ومجموعها بالتصدي للحكومة واخطائها تجسيداً لحق المعارضة وبصورة تدريجية حتى تصل الى الثورة المسلحة للقضاء على الظلم والطغيان وذلك استناداً الى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أولاه الامام علي (عليه السلام) أهمية متميزة على الصعيدين النظري والعملي .

ثانيا- هدف البحث :

يهدف البحث الحالي ، التعرف على معنى العدالة في ادارة الدولة لدى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).

ثالثا – حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بمجال العدالة في حكم امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).

رابعا – تحديد المصطلحات :

١-الخصائص :-

ا- عرفها (ابو العزم ، ١٤٣١ه) :-

خَاصِّيَّةُ التَّفْكِيرِ وَالنُّطْقِ وَقْفٌ عَلَى الإِنْسَانِ" : مَا يُمَيِّزُهُ . (ابو العزم ، ١٤٣١ه : ٥٩).

ب- عرفها (موحي ، ٢٠١٠) :-

بانها السمة المميزة التي قد تكون ثابتة في الشخص او منسوبة اليه (موحي ، ٢٠١٠ : ١١٨) .

٢-الادارة :-

ا- عرفها (Gulshan , ٢٠١١) :-

هي عملية تحقيق الأهداف المرسومة باستغلال الموارد المتاحة، وفق منهج مُحدّد، وضمن بيئة معينة والإدارة (٣٠ : ٢٠١١ , Gulshan) .

ب- عرفها (Deslandes , ٢٠١٤) :-

هي عملية التخطيط والتنظيم والتنسيق والتوجيه والرقابة على الموارد المادية والبشرية للوصول إلى أفضل النتائج بأقصر الطرق وأقل التكاليف المادية .
(Deslandes, ٢٠١٤: ١٣).

٣-الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) :-

عرفه (المسعودي ، ١٩١٦) و (ابن الجوزي ، ٢٠٠٥) :-

أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القُرشي ، ولد في (١٣ من شهر رجب عام ٢٣ قبل الهجرة الموافق ٢٩ من شهر تموز لسنة ٥٩٩ م) واستشهد في (٢١ من شهر رمضان عام ٤٠ هـ الموافق ٢٧ من شهر يناير لسنة ٦٦١ م) ابن عم محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره ، من آل بيته ، وكافله حين توفي والديه وجده ، وأحد أصحابه ، هو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأوّل الأئمّة عند الشيعة ،

ولد في مكة وتشير مصادر التاريخ بأن ولادته كانت في جوف الكعبة ، وأُمّه فاطمة بنت أسد الهاشميّة ، أسلم قبل الهجرة النبويّة ، وهو ثاني أو ثالث الناس دخولا في الإسلام ، وأوّل من أسلم من الصبيان . هاجر إلى المدينة المنورة بعد هجرة محمد بثلاثة أيّام وآخاه محمد مع نفسه حين آخى بين المسلمين، وزوجه ابنته فاطمة (عليها السلام) في السنة الثانية من الهجرة . شارك علي في كل غزوات الرسول عدا غزوة تبوك ، وعُرف بشدّته وبراعته في القتال فكان عاملاً مهماً في نصر المسلمين في مختلف المعارك وابرزها غزوة الخندق ومعركة خيبر. لقد كان علي موضع ثقة الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) فكان أحد كتاب الوحي وأحد أهم سفرائه ووزرائه (المسعودي ، ١٩١٦ : ٥)،(ابن الجوزي ، ٢٠٠٥ : ٧).

٤- العدالة :-

ا- عرفها (قطب ، ١٩٩٥) :-

هي نظام اقتصادي ، اجتماعى يهدف إلى إزالة الفوارق الاقتصادية الكبيرة بين طبقات المجتمع (قطب ، ١٩٩٥ : ١٢) .

ب- عرفها (بشارة ، ٢٠١٣) :-

انه لفظ يقع في حقول دلالية متقاطعة مثل التساوي، و المعاملة بالمثل ، والمالءمة، والاستقامة ، وغيرها من الدلالات التي يتضمنها اللفظ العربي ؛ فلفظ عادل بالعربية معناه ناظر او شابه ، وايضا اوزن ، وعدل الشيء أي صححه وجعله مستقيما ، فالعادل هو الذي لا يميل به الهوى عندما يحكم بين خصمين او حينما يطبق القواعد الاجتماعية المانعة للشر (بشارة ، ٢٠١٣ : ٣) .

المبحث الثاني

الاطار النظري للبحث

اولا – منهج العدالة عند الامام علي (عليه السلام) :

قد لازمت شخصيةَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) السامية جوهرةُ العدالة الثمينة ، واقترن اسمه المقدس بالعدالة ، فقد كان عادلاً يأنس بالعدالة ويهتم بها . وإن كل مجتمع أو جماعة أو فرد مناد بالعدالة ، ويأمل في تكوين مجتمع يقوم على

أساس القسط والعدل ، يضع عدل الامام علي (عليه السلام) نصب عينه ، ويتخذ أسلوبه في تطبيق العدالة كقدوة في برنامجه الذي يسعى إلى تطبيقه . فحقاً لم يعرف تاريخ الإنسانية شخصاً كعلي (عليه السلام) خلد اسمه إلى الأبد ، وارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر ، فقد كان عاشقاً للعدالة ، مولعاً بها إلى غايتها القصوى . (الامين ، ١٩٧٣ : ج٧ : ٤٠٣) .

وقد قال العقاد عنه في كتابه (عبقرية الامام علي عليه السلام) بان سيرته تخاطب الانسان حيثما اتجه اليه الخطاب البليغ من سير الابطال والعظماء ، وتثير فيه اقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف وحسن الخلق ، وواقع العبرة والتامل . ففي سيرته (عليه السلام) معنى لملتقى العاطفة المشبوبه بالاحساس المتطلع الى الرحمة والاكبار ، لانه الشهيد ابو الشهداء ، يجري تاريخه وتاريخ ابنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والحكم والعدالة والعلم والخلق الرفيع (العقاد ، ١٩٦٧ : ٥) .

ومن بين العلوم التي انفرد بها الإمام علي (عليه السلام) وضعه لأنظمة الحكم والإدارة ، فقد وضع فيه أدق الأنظمة وأهمها إصلاحاً لحياة الإنسان السياسية والاجتماعية ، وعالج فيه بصورة موضوعية وشاملة جميع قضايا الحكم والإدارة في مجتمع لم يفقه أي بند من أنظمة الحكم والإدارة ، وقد شرع الإمام أروع صور الحضارة ، وأبهى ألوان التطور والتقدم الفكري ، إن الإنسانية على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي وإبداع فيما أسسه لها رجال السياسة والقانون من أنظمة الحكم والإدارة فإنهم لم يأتوا بمثل هذا العهد ، ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً فقد بلغ من عظيم ما سنه الإمام في عهده أنه أمر الحكام أن يساووا بين جميع طبقات الشعب حتى في اللحظة والنظرة ، وقد أقام بذلك أسمى صور العدالة التي ينشدها الإسلام وعلى أي حال فإنا نعرض صوراً من الأنظمة المشرقة التي تملأ النفوس إكباراً وتعظيماً(الطائي ، ٢٠١٦ :١٣) .

إن الإمام علي (عليه السلام) مصداقٌ بارز لآية : (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ) . نعم ، لقد كانت هذه العدالة ضالته ، وكان كالظاميء الذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه ، ساعياً إلى معين العدالة العذب . ولم يكن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يرضى بالكف عن تطبيق العدالة ، والتراجع عنها مهما كلف الثمن ، ولم يرض أن يتخطى

العدالة خطوة ، حتى من أجل تثبيت أركان حكومته الفتية ، وأبى أن يساوم أو يتبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن . كما أنه لم يرض أن يضحي بالعدالة ويقع تحت تأثير الرحمة والتحرق والشفقة ، فيعرض بذلك هذا الركن المقدس للتزلزل والانهيار . (الهمداني ، ١٤١٩ه : ١٤٠) .

لقد كان منهج الامام علي(عليه السلام) فى العدل كمنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن لم نقل إنه عينه لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " كفي وكف علي في العدل سواء" ، " ويدي ويد علي بن أبي طالب في العدل سواء " ، " وإنه أوفاكم بعهد الله تعالى ، وأقومكم بأمر الله ، وأعدلكم فى الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، وأعظمكم عند الله مزية " (الخراساني ، ١٩٧٨ : ج١ : ١٧٦) .

ولقوله (عليه السلام) : " والله ، لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا ، أو اجر في الأغلال مصفدا أحب إلي من ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، وغاصبا لشيء من الحطام ... والله ، لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته " (الشريف الرضي ، ١٩٧٠ : ٢٢٤) .

إن عدالة الامام علي (عليه السلام) كانت ذكراً يلهج به لسان الخاص والعام ، والعدو والصديق ، حتى كانت كثرة عدله هي السبب في قتله (عليه السلام) . ونحن إذا أردنا التعرض لنماذج لعدالته (عليه السلام) لاحتجنا إلى مجلدات طوال ، ولكن نقول : إن العدالة كانت نصب عينه ، وملأت وجوده وكيانه ، فقد كان (عليه السلام) يرى أنه : (في العدل صلاح البرية) . (الواسطي ، ١٣٧٦ه : ٣٠).

إن الوقوف على أرضية لفهم ابعاد حكومة امير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) ورصد ستراتيجيته وايديولوجيته وفق المعطيات التاريخية يوقفنا على حقيقة أن الحكومة في عهده كانت حكومة دينية متكاملة تعتمد على الرؤية الإلهية الشمولية لابعاد الكون والإنسان والحياة وانه لا مجال لحكم العقل النظري والعملي بدون الرجوع إلى النص القرآني والنص النبوي (المبارك ، ١٩٨٩ : ٧٥).

ان حكومة الامام علي (عليه السلام) كانت أشبه بالكونفدرالية لكنها وحدوية تخضع لنظام تشريعي مركزي من قبل الحكومة الموجودة في العاصمة التي يقيم فيها الإمام علي (عليه السلام) وهي الكوفة آنذاك وكذلك يوجد تراتب هرمي تسلسلي فالسلطة تتمثل في خليفة المسلمين وهو الإمام علي(عليه السلام) الذي يصدر القرارات التشريعية ثم تنزل إلى السلطة التنفيذية والقضائية ثم إلى بقية المؤسسات والأدنى فالأدنى (طي ، ١٩٩٧ : ١٢٠).

لقد تميز امير المؤمنين علي (عليه السلام) بالعدالة واحترام حقوق الانسان ، والدليل على ذلك ما حدث لعبيد الله بن الحر الجعفي ، عندما التحق بجيش معاوية في جوف الليل ذلك حين كانت نيران حرب صفين مشتعلة . وفي قوانين الحروب يعاقب مثل هذا الخائن بالإعدام واستطاع أن يقدّم عبيد الله خدمات كبيرة لمعاوية أما زوجته فكانت في الكوفة وتناهى إلى أسماعها خبر هلاك عبيد الله في المعركة فاعتدت عدة الوفاة وبعد ذلك تزوجت برجل من أهل الكوفة في الوقت الذي كان عبيد الله حياً في الشام وحين اخبر بزواج زوجته خرج من الشام ليلاً ووصل إلى الكوفة ودخلها ليلاً وتوجه فوراً إلى بيت زوجته وبعد حوار قصير اخبرته بزواجها . والتقى عبيد الله بأمير المؤمنين (عليه السلام) منكسا رأسه وعبيد الله يعلم أن علياً رجل الحق والعدل فانتهز الفرصة وقال هل أن خيانتي تمنعك من العدل يا أمير المؤمنين فأجابه الإمام واحضر زوجته وحل له مشكلته الشخصية إن هذا الموقف من حاكم الدولة تجاه أحد أفراد شعبه يعكس مدى عمق الوعي الحقوقي والإنساني تجاه الشعب من قبل علي(عليه السلام) بل تجاه الأعداء والمجرمين والخونة كل ذلك في سبيل تحقيق العدل والحرية والسلام (الشيرازي ، ١٩٩٩ : ٦٩).

ان هناك مجموعة من العوامل التي دعت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) للانتقال من المدينة المنورة الى الكوفة واتخاذها عاصمة لحكمه ، منها :

١-ضعف العامل الاقتصادي في كل من المدينة المنورة ومحطيها الاقليمي بنحو لا يؤهلها لتحمل مسؤولية تأمين الدعم الاقتصادي لمعاركه الثلاث ضد الناكثين والقاسطين

والمارقين، على العكس من الكوفة التي فيها ما يؤهلها لدعم المعركة واسناد الجند بشكل جيد.

٢- ضعف العنصر السكاني في المدينة فانّ عدد سكان المدينة لا يمكنها من إعداد قوّة قتالية كبيرة بامكانها مواجهة العساكر الأموية في الشام ، في حين نرى الكوفة قادرة بطبيعتها السكانية على تلبية هذه الحاجّة الضرورية.

٣- يوجد في المدينة من هو بعيد عن أمير المؤمنين فكراً وولاءً بل يرى نفسه بإزاء أمير المؤمنين (عليه السلام) من ناحية المنزلة الدينية والسياسية ، على العكس من المجتمع الكوفي.

٤- غلبت على المجتمع المدني خلال حكم الخلفاء الثلاثة روح الدعة والميل للحياة الرغيدة مما جعلهم بعيدين عن روح التضحية والفداء وقطع البراري والقفار كدعاة ومبلغين للرسالة وحاملين سلاح الدفاع عن قيم الرسالة.

٥- كثرة الصحابة الذين اختاروا السكن في الكوفة دون سائر البلدان الاسلامية.

٦-تمتع الكوفة على موقع جغرافي ستراتيجي يجعلها تحتل موضع القلب للعالم الاسلامي بين ايران والحجاز والشام ومصر. (جعفري ، ١٩٧٦ : ١٣٥).

وحينما قدم الإمام (عليه السلام) إلى الكوفة وجد هناك فريقين من القادة : الفريق الأوّل : المتمثل بالثوريين المندفعين نحو منازلة معاوية الحرب والقضاء على تمرده ومن أبرز هؤلاء مالك الأشتر النخعي . الفريق الثاني : وهناك فريق من الشيوخ والقادة غير ميالين للحرب إلا أنهم سايروا الإمام في حركته حفظا على مكانتهم ومصالحهم الشخصية والفئوية.

كما كانت هناك طائفة أخرى تمثل شريحة واسعة من المجتمع الكوفي فهي مع ميلها الروحي والنفسي لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أنها لا تريد التورط بمشاكل الحرب ، وقد أشار (عليه السلام) إلى هذا الطيف من الناس في أكثر من خطبة من خطب نهج البلاغة. (الطائي ، ٢٠١٦ : ٨).

ان مقاربة الامام علي (عليه السلام) للعدل المعبر عنها بوضوح هنا تتجاوز حدود سياقها التاريخي ، تماما كما تتخطى الحدود الشكلية للدين الاسلامي . ونستطيع رؤية

منهج العدل للامام علي (عليه السلام) على انه لا يخاطب اولئك الذين يرغبون في الحكم وفقا لمبادئ العدل فحسب ، بل ايضا اولئك الذين لم تكن لهم نيات فاسدة في البداية ، الا انهم صاروا مع ذلك مفسدين ، وتضم هذه الفئة الغالبية العظمى من البشر . وعلى هذا الاساس تعتبر العدالة عند الامام علي (عليه السلام) من الفضائل الانسانية والتي تكتسب صفة الفضيلة الالهية المميزة والمطابقة لها ، والجوهر الفعلي لكل الفضائل الانسانية الصادقة (القزويني ، ٢٠٠٦ : ٤٥).

فقد كان (عليه السلام) يسد جوعته بكسرة خبز يابسة ، ويأتدم الملح ليكون مستوى معيشته كأضعف الناس ، ويقول : (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره) . فإن مثل هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير الامام علي (عليه السلام) ، فهو نتاج تربية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن عدالة علي (عليه السلام) نشأت من العدل الإلهي وسعى لتطبيقها . ولذا أصبحت عدالته (عليه السلام) نموذجاً واضحاً لكل الاداريين والقادة وطلاب العدالة على مرِّ القرون ، ومصداقاً مشرِّفاً للإنسان المسلم المتكامل الذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات . (الكليني ، ١٣٦٣ه : ج١ : ٤١١).

ثانيا – مظاهر العدالة في ادارة الامام علي (عليه السلام) :

لقد كان من أهم الظواهر التي سعى الإمام علي (عليه السلام) للقضاء عليها والتي كانت بنظره السبب الأساس في إنحراف الأمّة وبالتالي أدّت إلى وجود الطبقية في المجتمع الإسلامي ، وانهيار دعائم العدالة الاجتماعية بين الناس ، فحاربها واقتلع جذورها من جسم الدولة الإسلامية على ضوء ما ورد عنه في نهج البلاغة يتمثّل بما يلي :-

أ- ظاهرة الانحراف عن كتاب الله وسنّة نبيّه :

ظهر لدينا بأن فساد المجتمع وانحرافه إنّما نشأ من إنحراف الحكّام الذين أماتوا السنن المحمّدية ، وأحيوا البِدع الأمويّة ، فأرجعوا الناس إلى عهد الجاهلية . لهذا توجّه الإمام علي (عليه السلام) إلى رأس السلطة في ذلك الوقت قائلاً : " فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّه عِنْدَ اللَّه إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدِيَ وَهَدَى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ

ضَلَّ وَضُلَّ ، بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً..." (الشريف الرضي ، ١٩٧٠ : ١٦٤) .

وفي إشارة منه (عليه السلام) إلى السبب الذي دعاه إلى تولّي الحكم ، وهو خوفه على الإسلام يقول : " فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً " (ابن ابي الحديد ، ٢٠٠٧ : ج١٧ : ١٥١).

ب- ظاهرة تعظيم الخليفة والثناء عليه :

إعتاد البعض من أصحاب المصالح أن يعظّموا موقعية الحاكم وخلافته بين الناس ، ولكنّ الإمام (عليه السلام) أراد أن يكون الخليفة كواحدٍ من الناس ، لا أن يكون كالملوك والسلاطين . وقد تناول الإمام هذه المسألة في كلام له عندما كان يخطب في صفّين فأجابه رجلٌ من أصحابه بكلام طويل ، يكثُر فيه الثناء عليه ، فقال (عليه السلام) : "... إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ..." (المازندراني ، ٢٠٠٠ : ج١٢ : ٥٠٢) .

ج- ظاهرة اهتمام الخليفة بحياته الخاصة :

عُرِف معظم الولاة باهتمامهم بحياتهم الخاصة، ومحاولة اكتنازهم الأموال والثروات الطائلة ، وهذا ما دعي الإمام علي (عليه السلام) إلى التركيز على الصفات والخصال التي يجب أن يتمتّع بها الحاكم الإسلامي ، واهتمامه بأمور الناس وتقديم مصالحهم

على مصلحته الخاصة ، وفي هذا المجال يقول (عليه السلام) : " أَلَا وَإِنَّ لكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِه ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَد اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ، وَمِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْهِ... فَوَاللَّه مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً ، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً ، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً... وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ... وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ -وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى ، وَأَكْبَادٌ حَرَّى؟! أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ : وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ..." (العاملي ، ٢٠٠٩ : ج٢١ : ٢١٩) .

ففي هذه الرسالة إلى عامله على البصرة يرسم الإمام علي (عليه السلام) أجمل وأعظم قانون للنظام الاجتماعي في الإسلام، حيث يُحدّد الإمام مبادىء التكافل والتساوي الاجتماعي بين الحاكم والرعيّة ، وكيف يجب أن يتأسى الحاكم بأضعف رعيّته ، ويشعر بآلامهم ومشاكلهم ، وأن لا يستغلّ منصب الخلافة لإشباع شهواته ورغباته ، وغيرها من الصفات التي يُمكِنُ أن نستخلصها من اماماته (عليه السلام).

د- ظاهرة تفضيل القربى والمعارف :

إتضحّ لدينا ممّا تقدّم مدى التغلغل الأموي في جسم الخلافة الإسلامية وسيطرتهم على كلّ مقاليد وزمام الأمور وذلك بسبب قرابتهم من الخليفة الثالث ، وهذا الأمر أتاح لهم فرصة السيطرة خصوصاً أن الخليفة الثالث كان يعاملهم معاملة خاصة ، ولكن الإمام علي (عليه السلام) ومن خلال إيمانه العميق بحقوق الناس وضرورة المساواة بينهم لم يرضَ بأن يُفضِّل أحداً من أقربائه على غيره من الناس ، بل الجميع عنده سواسية كأسنان المشط .

وفي كلام له يصف فيه وصول الخليفة الثالث إلى الحكم يقول (عليه السلام) : " إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ... وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ.." (ابن ابي الحديد ، ٢٠٠٧ : ج١ : ١٧).

هـ- ظاهرة قبول الرشوة :

ومن الأمراض التي انتشرت في جسم الخلافة الإسلامية مسألة قبول الولاة للرشوة من بعض أصحاب الثروات لأجل عدم مطالبتهم بالحقوق المفروضة عليهم لبيت المال، فكانت الرشوة وسيلة الأغنياء لإسكات هؤلاء الولاة . والإمام عليّ (عليه السلام) ومن موقع كونه خليفة المسلمين رفض حتى قبول الهدايا لأنّها قد تشوبها شائبة الرشوة ، وهذا ما عبّر عنه بقوله (عليه السلام) لأحد الناس حين أتاه بهديّة فقال (عليه السلام) : " وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ!.

فقال : لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هديّة.

فقلت : (أي الإمام) : هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ ! أَعَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمُخْتَبِطٌ ؟ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ " (الشريف الرضي ، ١٩٧٠ : ٢٢٤) .

المبحث الثالث

استنتاجات وتوصيات البحث

اولا – استنتاجات البحث :

من خلال ما تم التطرق اليه في المبحث الثاني ، تستنتج الباحثة ان مبدا العدالة في حكم الامام علي (عليه السلام) كان ارقى مبدا ، واسمى قيمة يمكن ان يعتمد عليها اي حاكم يرغب في تحقيق المساواة والامن والاطمئانينة بين الناس .

اذ ان الامام علي (عليه السلام) يرى بان ظاهرة الرشوة ، تعد من المظاهر التي تؤدي الى زرع الفساد والامراض الاجتماعية الاخرى مثل (الفقر ، والانحلال الخلقي ، والسرقة ، وانعدام المسؤولية) .

بلاضافة الى ان الامام (عليه السلام) كان يرفض تفضيل اقربائه من اجل تعيينهم في السلطة عن غيرهم من الناس ، حيث اعتبر الجميع سواسية كأسنان المشط .

كما نلاحظ إلى ان الامام (عليه السلام) لم يهتم بنفسه تاركا بذلك امور واحوال الناس ، وانما ركز على الصفات والخصال التي يجب أن يتمتّع بها الحاكم الإسلامي ، واهتمامه بأمور الناس وتقديم مصالحهم على مصلحته الخاصة .

ومن المميزات الاخرى في ادارة الامام علي (عليه السلام) انه أراد أن يكون كواحدٍ من الناس ، لا أن يكون كالملوك والسلاطين الذين يبحثون عن التقدير والثناء من بعض الناس من خلال تقديم الهدايا والقاء الشعر والمدح عليهم .

ثانيا – التوصيات :

١-تشجيع الباحثين على تناول الافكار العقائدية للامام علي (عليه السلام) في بحوثهم .

٢- نشر الوعي الديني والاخلاقي والجهادي من خلال اندماجها بافكار الامام علي (عليه السلام) حتى تكون وسيلة من وسائل التهذيب الاخلاقي للنشء الجديد.

٣-تشجيع طلبة الجامعة على تناول المهارات الادارية (العدالة وحقوق الانسان) للامام علي (عليه السلام) في بحوثهم وتفسيراتهم العلمية .

٤- اقامة الندوات والمؤتمرات التي تهدف الى توضيح المعالم الشخصية الادارية والعقائدية والجهادية للامام علي (عليه السلام) .

ثالثا – المقترحات :

١-اجراء دراسة مماثلة تهدف الى تحليل مضمون خطب واقوال الامام علي (عليه السلام) ، اثناء تسلمه ادارة الدولة الاسلامية .

٢-اجراء دراسة تهدف التعرف على اثر الجانب التربوي لخصائص شخصية الامام علي (عليه السلام) على المستوى الخلقي لطلبة الجامعة .

العلم الإداري في بعض مفرداته وأفكاره موغل في التاريخ البشري منذ القدم ، ولكنه حقق قفزة نوعية في جوانبه الفكرية والتنظيرية علي يد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وحيث إننا ندرك أن علم الإدارة ينقسم الى أنواع ؛ منها «علم الإدارة التجاري» (Business administration) ، و«علم الإدارة الشخصي» (Personal administration) ، و«علم الإدارة العامة » (Public administration) وأنواع اخرى.. ولقد استطاع الإمام علي (عليه السلام) اثناء حكمه في مدينة

الكوفة أن يثري علم الإدارة بكل أنواعه بمفاهيم غزيرة تحتاج الى عملية بلورة واستخراج بالتبحر في خطبه ورسائله وحكمه التي تحتوي على كم كبير من المفاهيم والرؤى الإدارية .

ان من يريد التطرق الى الخصائص الادارية للامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) اثناء حكمه في الكوفة ، عليه ان يدرك انه يمتاز بشخصية ادارية عربية اسلامية فذة قل نظيرها بين شخصيات العالم ، نسباً واخلاقاً وقوةً وعدلاً . فهو ليس امام الشيعة ولا العرب ، بل هو امام المتقين ، الذي ما جاء الا لعدالة الحياة واستقامة المثل وترسيخ الاخلاق وتعليم الناس منهج مدرسة لا زال لم يعرفها الا اصحابه الخلص . بحر كله ماء زلال ، وصحراء شاسعة كلها رمال صافية نقية ، وسهول يانعة كلها زروع مثمرة بهية ، وسماء زرقاء كلها نجوم ساطعة مضيئة ، انه امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

لقد فسر بعض العلماء مبدا العدالة اثناء حكم امير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة بانه التفكير الصحيح ، اي ان الأسلوب الأمثل هو التفكير الصائب والأمعان والدراسة والمقارنة قبل الأقدام على عمل ، فالمعروف عن التفكير انه يوصل الأنسان الى المعرفة عبر العقل فأما ان تكون المعرفة في اطار الخيراو في اطار الشر، فأن كانت خيرا ارتقى به الأنسان ، وقد يخطو به بمجتمعه الى مصير افضل لو كانله دور في قيادته ، وان كانت شراً مستطيراً تعرض الى مهاوي الخطر، فبفضل زيادة التمرين والتكرار ينمو لدى الأنسان قابلية القدرة على التفكيرالصحيح ، ويمكنه من اتخاذ القرار المفيد الذي يخدمه ويأنس به .

ولقد اكد الامام علي (عليه السلام) الى انه من الشروط التي يجب ان تتوفر في القاضي العدالة ، والتي تعد من اهم الصفات التي تقتضي اداء الواجبات الشرعية واجتناب المحرمات ، فاذا لم يتمتع القاضي بهذه الصفة فلا سبيل له لتولي القضاء ، يقول (عليه السلام) : " لا يحمل الناس على الحق الا اورعهم عن الباطل : ، وطالب الامام علي (عليه السلام) بضروة تحقيق وترسيخ العدالة في القضاء ، اذ يقول (عليه السلام) :

" اعدلوا اذا حكمتم " ، ويوصي (عليه السلام) قائلا : " ليكن احب الامور اليك اعمها في العدل واقسطها بالحق " .

Abstract
Characteristics of the administration in the rule of Imam Ali (peace be upon him) {justice model}
L.Nuha Hamid Taher
Faculty of Medicine
Alameed University
The administrative science in some of its vocabulary and ideas has been deeply rooted in human history since ancient times, but it has achieved a quantum leap in its intellectual and theoretical aspects on the hands of the Commander of the Faithful Ali ibn Abi Talib (peace be upon him). We recognize that the science of management is divided into types. , «The science of personal administration», «the science of public administration» and other types...Imam Ali (peace be upon him) could enrich the science of management in all kinds with abundant concepts that require the process of crystallization and extraction in the desert in his speeches and messages and wisdom, which contains a large number of concepts and administrative visions.

Those who want to address the administrative characteristics of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), he must realize that he is characterized by an administrative personality of Arab and Islamic is less similar among the figures of the world, ratios and ethics, power and justice. It is not in front of the Shiites or the Arabs, but it is in front of the righteous, which came only to the justice of life and the integrity of ideals and the establishment of ethics and the teaching of people school curriculum is still known only by his friends. The whole sea is water of stone, and vast desert are all pure pure sands and beautiful plains are all fruitful and beautiful, and a blue sky all bright bright stars, he is the Commander of the Faithful Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him).

Some scholars have interpreted the principle of justice in the Commander of the Faithful (peace be upon him) in that the correct thinking, that is, the best method is to think correctly and carefully and study and compare before the feet on the work. It is known to think that he brings man to knowledge through the mind either knowledge in the framework of good or within the framework of evil, if it was good to rise

by the human, and may move by the community to a better fate if he had a role in his leadership, although a radical evil is exposed to the dangers of danger, thanks to increased exercise and repetition grows in humans the ability to think right, and enables him to make the useful decision that serves and joy.

The Imam Ali (peace be upon him) stressed that it is one of the conditions that must be available in the judge justice, which is one of the most important qualities that require the performance of the duties of legitimacy and avoid taboo, if the judge does not enjoy this capacity there is no way to take over the judiciary, Ali (peace be upon him) says: "Do not carry people to the right, but to keep them away from falsehood." Imam Ali (peace be upon him) also called for the realization of justice in the judiciary. Ali (peace be upon him) said: "Correct if you rule.", As recommended by Imam Ali (peace be upon him) saying : "Let the things be loved for you, most of them in righteousness and the most righteous in truth."

قائمة المصادر :-

١-المصادر العربية :

⪼ابن ابي الحديد (٢٠٠٧) : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد ابراهيم ، الناشر : مكتبة الجواد بن العابدين ، مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني ، دار الكتاب العربي ، الجزء (١٧) ، الطبعة الاولى ، بغداد ، العراق .

⪼ابن ابي الحديد (٢٠٠٧) : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد ابراهيم ، الناشر : مكتبة الجواد بن العابدين ، مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني ، دار الكتاب العربي ، الجزء (١) ، الطبعة الاولى ، بغداد ، العراق .

⪼ابن الجوزي ، سبط (٢٠٠٥) : تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة ، المجلد الاول ، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان .

⪼أبو العزم ، عبد الغني (١٤٣١ه) : معجم الغني ، الناشر : موقع معاجم صخر ، القاهرة ، مصر .

⋗ابو جوهر ، محمد امين (٢٠١٠) : العدالة الاجتماعية في نهج الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، مجلة افاق الحضارة الاسلامية ، العدد (١٤) ، شمارة ، ايران ، ص (٧٥ – ٩٤) .
⋗الامين ، السيد محسن (١٩٨٣) : اعيان الشيعة ، تحقيق: السيد حسن الامين ، الناشر: دار التعارف للمطبوعات ، الجزء الاول ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، لبنان .
⋗الامين ، السيد محسن (١٩٨٣) : اعيان الشيعة ، تحقيق: السيد حسن الامين ، الناشر: دار التعارف للمطبوعات ، الجزء السابع ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، لبنان.
⋗بشارة ، عزمي (٢٠١٣) : مقالة في الحرية، أو الحرية بوصفها حريات ، الناشر : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان .
⋗بن مشيش ، حسين (٢٠٠٦) : مفهوم العدل لدى رواد النهضة في الجزائر ، مجلة الدراسات الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد (٩) ، الجزائر.
⋗التميمي ، عبد الواحد محمد (١٩٣١) : شرح غرر الحكم ودرر الكلم ، للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، ترجمة مكتبة الروضة الحيدرية ، مطبعة العرفان ، صيدا .
⋗جرداق ، جورج (١٩٧٠) : علي وحقوق الانسان : الإمام علي صوت العدالة الانسانیة ، منشورات دار مکتبة الحیاة – بیروت .
⋗جرداق ، جورج (٢٠١٢) : روائع نهج البلاغة ، العتبة العلوية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، الطبعة الاولى ، النجف الاشرف ، العراق .
⋗جرداق ، جورج (٢٠١٢) : علي وحقوق الانسان : موسوعة الامام علي صوت العدالة الانسانية ، العتبة العلوية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، النجف الاشرف ، العراق .
⋗الجعفري ، السيد حسين محمد جعفري (١٩٧٦) : المذهب الشيعي في مجرى التاريخ ، ترحمه محمد تقي آيت اللهي ، مكتب المطبوعات الثقافة الإسلامية ، طهران ، ايران .
⋗الحرّاني ، بو محمد الحسن بن علي ابن شعبة (١٩٩٦) : تحف العقول عن آل الرسول (صلوات الله عليهم اجمعين) ، تحقيق : چاپ علي اکبر غفاري ، ترجمه : محمّد باقر كمره‌اى ، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، الطبعة السادسة ، بيروت ، لبنان

⪼الخراساني ، إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمّد الجويني (١٩٧٨) : فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين ، تقديم وتحقيق : العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان.

⪼السند ، محمد (٢٠٠٠) : بحوث معاصرة في الساحة الدولية : دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر في ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، مركز الابحاث العقائدية ، الطبعة الاولى ، العدد (٣) ، قم المقدسة ، ايران .

⪼الشريف المرتضي علي بن الحسين (١٩٧٠) : نهج البلاغه من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، مركز الأبحاث العقائدية ، تحقيق الشيخ فارس الحسون ، النجف الاشرف .

⪼الشيرازي ، السيد محمد رضا (٢٠١٣) : الإمام علي (عليه السلام) التفوق المطلق والشخصية الجامعة ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية، العراق ـ كربلاء المقدسة .

⪼الشيرزاي ، السيد الامام محمد مهدي (١٩٩٩) : الحكومة الاسلامية في عهد امير المؤمنين ، مؤسسة الفكر الاسلامي للثقافة والاعلام ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان .

⪼الطائي ، نهى حامد طاهر عبد الحسين (٢٠١٦) : القيم السلوكية والمحددات النفسية في ضوء عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في رسالة مالك الاشتر ، مؤتمر الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ورئاسة جامعة الكوفة المؤقرة ، تحت شعار " عهد الامام امير المؤمنين (ع) لمالك الاشتر (رض) رسالة اصلاح ودستور حياة " ، المقيم بتاريخ (٢٤-٢٥/ ١٢) في كربلاء المقدسة .

⪼طي ، محمد (١٩٩٧) : الامام علي (عليه السلام) ومشكلة نظام الحكم ، مركز الغدير للدراسات الانسانية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان .

⪼العاملي ، السيد جعفر مرتضى (٢٠٠٩) : الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، المركز الاسلامي للدراسات ، الجزء (٢١) ، الطبعة الاولى ، النجف الاشرف ، العراق.

⋗ العذاري ، السيد شهاب الدين الحسيني (١٩٩٢) : ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت (ع) ، سلسلة المعارف الاسلامية ، دار الرسالة ، العدد (٤٢) ، بيروت ، لبنان.
⋗عفراوي ، اياد دخيل (٢٠١٦) : السياسة القضائية للامام علي (ع) ، مجلة كلية التربية الاساسية ، المجلد (٢٢) ، العدد (٩٣) ، بغداد ، ص ١٧٩ – ٢١٦
⋗العقاد ، عباس محمود (١٩٦٧) : عبقرية الامام علي (ع) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
⋗القزويني ، محمد باقر (٢٠٠٦) : خصائص الادارة عند الامام علي (عليه السلام) ، مجلة اهل البيت (عليهم السلام) ، العدد (١) ، كربلاء المقدسة .
⋗قطب ، سيد (١٩٩٥) : العدالة الاجتماعية في الاسلام ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
⋗كارمل ، اي . جيه ، واخرون (٢٠١٤) : العدالة الاجتماعية في الاردن ، مركز هوية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
⋗الكليني ، محمد بن يعقوب (١٣٦٣ه) : الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، الجزء الاول ، تحقيق علي اكبر الغفاري ، طهران ، ايران .
⋗المازندراني ، مولي محمد صالح (٢٠٠٠) : شرح أصول الكافي ، دار احياء التراث العربي ، الجزء (١٢) ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان .
⋗المالكي ، صبيح مزعل جابر ، والعباسي ، عماد الدين عبد الرزاق (٢٠١٤) : التناص بين عهد الإمام علي (ع) الى مالك الأشتر والرسالة الخامسة (في نصيحة الملوك) لسعدي الشيرازي ، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، العدد (٢) ، المجلد (٢٢) ، ص (٢٨٦ – ٣١٢) .
⋗المبارك ، محمد (١٩٨٩) : نظام الاسلام : الحكم والدولة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر.
⋗المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (١٩١٦) : مروج الذهب و معادن الجوهر- عربي-فرنسي ، الجزء الثاني ، مطبعة باريس للنشر والتوزيع ، فرنسا .

➢مغنية ، محمد جواد (٢٠٠٥) : موسوعة الامام علي (عليه السلام) ، مكتبة بارسا للنشر والتوزيع ، الجزء الثالث ، الطبعة الاولى ، قم المقدسة ، ايران .
➢موحي ، مهدي عطية (٢٠١٠) : تحليل العلاقة بين بعض خصائص الادارة وفاعلية الابداع ، مجلة كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بابل ، العدد (٣) ، ص (١١٥ – ١٤٨) .
➢الهمداني ، أحمد الرحماني (١٤١٩ه) : الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، ترجمة : حسنين استاذ ولي ، الناشر : مركز الثقافي للطباعة والنشر ، طهران ، ايران .
➢الواسطي ، كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي (١٣٧٦ه) : عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق الشيخ حسين الحسني البيرجندي ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، قم المقدسة ، ايران .

٢-المصادر الاجنبية :-

➢Deslandes G. (٢٠١٤) : "Management in Xenophon's Philosophy: a Retrospective Analysis", ٣٨th Annual Research Conference, Philosophy of Management, ٢٠١٤, July ١٤–١٦, Chicago
➢Gulshan, S, S (٢٠١١): Management Principles and Practice, Excel Books, New Delhi, India.

الانظمة الاقتصادية المتبعة في مدينة الكوفة أثناء خلافة الامام علي عليه السلام

م.م. أنوار سليم عبد الكريم رضا
جامعة السليمانية-كلية الادارة والاقتصاد

المقدمة:

تعد السياسة الاقتصادية الوسيلة التي تنتجها الدولة للوصول الى الاهداف المنشودة منها، فيما يتعلق بالرفاهية الاقتصادية، والتنمية وغيرها من جوانب الحياة .

وعرفت بانها مجموعة الاجراءات العملية التي تتخذها الدولة بغية التأثير في الحياة الاقتصادية، ولها مدلولات، فهي تعني الاهداف المطلوب تحقيقها والاساليب المتبعة لتحقيق الاهداف.

ولقد كانت مصادر السياسة عند الامام علي عليه السلام تعنى بالسعي بوسائل مباحة في تحقيق واقع اقرب الى اهداف المجتمع ، وبما ان النظام الاقتصادي في الاسلام ينبثق من القرآن، والسنة، والاجماع، فأن سياسة الامام الاقتصادية تكون قائمة على فكرة واحدة هي تسيير الاعمال بالأحكام الشرعية او جعل الاحكام الاقتصادية حسب ما تطلبه احكام الشرع لان الاسلام ينطوي كنظام شامل للحياة على تنظيمات قاعدية للحياة في كافة جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وله سياساته الاقتصادية الخاصة به التي تتفق مع الاطار العام لنظامه الاقتصادي ذي المعالم المميزة عن النظامين السائدين في العالم حاليا وهما النظام الرأسمالي والاشتراكي.[1]

وبعد البحث والاستقصاء تبين ان السياسة الاقتصادية عند الامام علي عليه السلام مستمدة من القرآن والسنة، والاجتهاد وفقا لتطور ظروف العصر في خلافته. والتي ادت عموم الرخاء المادي في ارجاء الدولة الاسلامية.

هدف الدراسة

١.تهدف الدراسة الى الكشف عن الفكر الاقتصادي عند الامام علي عليه السلام لتحليله وابرازه ليصبح شاملا جامعا تفيد منه البشرية في سائر شئونها الدنيوية.

٢.استمد الامام علي عليه السلام إصلاحاته الاقتصادية والمالية من الكتاب والسنة واجتهد في بيانها لتكون منارات لمن يرغبون استئناف الحياة الاقتصادية وفق منهج الله تعالى.

٣.قلة الدراسات الاقتصادية والمالية حول سياسة الامام علي عليه السلام في هذا الشأن وتركزها على معالجته للفتنة، وعلى الجانب الفقهي.

الفصل الاول _ قواعد المالية العامة في خلافة الامام علي عليه السلام

المبحث الاول (مفهوم المالية العامة)

-مفهوم المالية العامة المعاصرة:

هو العلم الذي يبحث في كيفية استخدام الادوات المالية العامة، من نفقات عامة، او ايرادات عامة، باتجاه تحقيق اهداف الدولة النابعة من فلسفتها الاقتصادية والاجتماعية.(٢)

-مفهوم المالية العامة الاسلامية:

يعرف علم المالية العامة الاسلامية بانه العلم الذي يبحث في وسائل تدبير المال اللازم للوفاء بالحاجات والمطالب المشتركة للأمة وفي الاساليب الخاصة بالموازنة بين ما سموه بالدخل والخرج وفي السلطات المختصة بإجراء العمليات المتعلقة بذلك. (٣)

-علاقة المالية العامة بالسياسة الاقتصادية:

ان العلاقة بين المالية العامة والسياسة الاقتصادية تظهر من خلال الاهتمام بالقواعد النظرية العامة. وذلك لان دراسة الافكار النظرية يقصد بها: التعرف على الواقع بقصد التأثير عليه عن طريق اتخاذ سياسة تهدف الى معالجة المشكلات التي يفرضها هيكل الاقتصاد القومي وهذا ما تتناوله السياسة الاقتصادية، كما انه من خلال الاهتمام بالقواعد النظرية للمالية العامة تهدف الى التعرف على الادوات المالية التي يمكن استخدامها لتحقيق اهداف السياسة الاقتصادية.

وتعتبر المالية العامة الواسطة الاساسية التي تعتمد عليها السياسة الاقتصادية لتوجيه القطاع الخاص بصورة تجعله مكملا للاقتصاد العام وتؤدي الى تعايشها في سبيل التنمية، ويظهر هذا في السياسة الاقتصادية للأمام من خلال دعوته الى الربط بين

جباية الخراج وعمارة الأراضي وتشجيع الانتاج والاستثمار، يقول الامام عليه السلام " وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في طلب الخراج" (٤)

المبحث الثاني

قاعدة الانفاق العام منوط بالمصلحة العامة عند الامام علي عليه السلام

هذه هي القاعدة الاولى من قواعد المالية العامة في سياسة الامام، ولابد في هذه القاعدة ان نبين مفهوم الانفاق العام ومفهوم المصلحة العامة. (٥)

اولا: مفهوم الانفاق العام

هو مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة او أحد تنظيماتها بقصد اشباع حاجة عامة.

ثانيا: مفهوم المصلحة العامة

عرف علماء الاقتصاد المصلحة العامة بانها كل ما يتم تحقيقه بواسطة الانفاق العام لتحقيق المنفعة التي تعود على افراد المجتمع.

ثالثا: مزايا الانفاق العام عند الامام علي عليه السلام

ما دمنا في صدد الحديث عن السياسة الاقتصادية في خلافة الامام فان البحث سيركز على مزايا الانفاق العام في الإسلام، مستوحيا ذلك من التطبيقات الاقتصادية في خلافة الامام ويتميز الانفاق العام في الاسلام في تلك الفترة بما يلي:

١-الانفاق العام عيني ونقدي: فالفكر الاسلامي يعتبر النفقة العامة متمثلة في كل مال له منفعة مباحة سواء في صورة نقدية او عينية. يدل ذلك ما روي عن الامام علي عليه السلام انه كان يأخذ الجزية من كل ذي صنعة من متاعه، من صاحب البر برا ومن صاحب المسان مسنا ومن صاحب الحبال حبالا ثم يدعو العرفاء فيعطيهم ما جمع ثم يقول " خذوا هذا فاقتسموه"، كما روى ابن عساكر في ترجمة الامام علي انه قسم الحبال فأخذها قوم وردها قوم. (٦)

ساهم الانفاق العام في السياسة الاقتصادية للأمام في تحقيق المصلحة العامة وذلك من خلال ارساء قاعدة الانفاق العام وأثره في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وذلك من خلال ايجاد دخول جديدة لبعض الفئات

الاجتماعية، يقول الامام "وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وان لك شركاء اهل مسكنة وضعفاء".(٧)

٢- تدرس المالية المعاصرة الايرادات العامة بصورة مستقلة دون ربط بينها وبين أوجه انفاقها بمعنى ان الإيرادات العامة تدرس دون ان يخصص لكل منها وجه إنفاق محدد. اما الفكر المالي الاسلامي فهو يقوم على الربط بين الإيرادات الاسلامية وبين النفقات العامة، فعند دراسة كل نوع من انواع الإيرادات العامة يبين مصرف كل منها على وجه محدد، وهذه سياسة الامام علي مع ولاته حيث خاطب احدهم قائلا "بلغني عنك امرا ءان كنت فعلته فقط اسخطت الهك وعصيت امامك، انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من اعراب قومك ....الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء". فالإمام علي عليه السلام لم يكتف بمراقبة الولاة في جباية الفيء بل انه راقبهم في صرفه في المصالح العامة.(٨)

٣-لا يشترط الفكر المالي عند الامام عليه السلام ان تكون النفقة صادرة من الدولة. فالإمام قد حث الافراد على الصدقة لتحقيق الضمان الاجتماعي حين قال: "ان الله فرض على الاغنياء في اموالهم بما يكفي الفقراء، فأن جاعوا او عروا فبمنع الاغنياء، وحق الله ان يحاسبهم ويعذبهم "وقد ارسى الامام عليه السلام سنة رائعة في الانفاق العام من قبل الافراد عندما وقف جزء من امواله في سبيل الله ،حيث كتب في صدقته " هذا ما امر به علي بن ابي طالب وقضى في ماله اني تصدقت بينبوع ووادي القرى في سبيل الله ،ابتغي مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله وفي الحرب والسلم وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيا او ميتا، ويبتغي في ذلك وجه الله والدار الاخرة" وتصرف الامام عليه السلام في هذا المجال لا يتمثل بوجهة نظر فردية، انما يندرج في اطار في اطار تشجيع الدولة للإنفاق العام من قبل الافراد.

كما ان الفكر المالي الاسلامي اوجب على الامام عليه السلام ان يرعى الفقراء والمساكين ان لم يحصلوا على النفقة من الافراد.

رابعا: منهج الامام علي عليه السلام في المحافظة على المال العام

نستوحي حرص الامام عليه السلام في توجيه النفقات العامة في المصالح العامة من خلال محافظه على المال العام وعدم انفاقه الا بما يحقق المصلحة العامة فقد منع الامام ان ينفق الما ل العام في المصالح الشخصية

واقتضاء الصالح العام في الانفاق العام في سياسة الامام عليه السلام يتجلى في جعل الانفاق الخاص يعاضد الانفاق العام فقد اعتبر الامام علي ان صرف المال من قبل الافراد في غير حقه تبذير واسراف. يقول الامام "لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله، الا وان بذل في غير حقه تبذير واسراف" كما انه خاطب عامله على مصر بمنع الاحتكار". ومما يبرز اهتمامه ايضا في المحافظة على المال العام انه كان يقدر نصيب الافراد من الاموال في الدولة الاسلامية بقدر خدمتهم للصالح العام، يقول" فأن كان للمرء الا يثاب الا في نطاق من خدمة الجماعة فأي جهد في سبيل الله خدمة الجماعة بذله الحارث بن الحاكم حتى يستحق مئتي الف درهم تدفع له من بيت المال".(٩)

خامسا: صور توجيه النفقات العامة في المصالح العامة في سياسة الامام علي عليه السلام المالية

١-مرفق الدفاع :هو اهم المرافق التي كانت تعتمد لها الاموال بسخاء وقد عني بأمر الدفاع عن العقيدة وما يتصل بها وما يستلزمه من واسع النفقات، لذلك كان مرفق الدفاع في خدمة بقية المرافق جميعا وكانت له المنزلة الاولى، حيث اجزل عليه في الاجور والاعطيات للجنود حتى يؤدي المسلمون مهمتهم الحربية على خير الوجوه واكملها، كما انه حرص على مكافاة ذوي الاعمال المجيدة والمواقف الخارقة التي يحققها الجنود والقادة والفرق والاثابة عليها بميزات مادية ومعنوية ومما يدلل على ذلك كتابه لاحد الولاة الذي بين فيه العلاقة بين القادة والجند قال الامام عليه السلام" وليكن آثر رؤوس جندك من واساهم في معونته وافضل عليهم" (١٠).

٢-من جدبة العدو "وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديل ما ابلى ذوو البلاء منهم. فان كثرة الذكر لحسن اعمالهم تهز الشجاع وتحرض المتكاسل.(١١)

٣-مرفق العدالة والمحافظة على المال العام: ومن حرص الامام علي عليه السلام على شيوع العدل بين الناس انه قضى بمجانية الحصول على الحكم، لأنه يعتبر اقامة العدل بين الناس من اهداف الدولة الاسلامية، فامر ألا يقام حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه. لذلك فان المتخاصمين لا يدفعان للدولة ولا للقاضي شيئا من المال للحصول على الحكم الذي يفصل بينهما. فجعل تكاليف القضاء بينهما مسؤولية بيت المال، كمان ان الامام توسع في رزق القاضي حتى لا يكون محتاجا لشيء فتعمه الرشوة التي حرمها الاسلام، فقد كان يعطي على القضاة رزقا، فحين ولي الاشتر القضاء في الكوفة صرف له في كل شهر خمسمئة درهم والواقع ان ما يبذل من النفقات في اقامة القسط بين الرعية وقمع الشرور قبل ان يستفحل اثرها، من اجل النفقات العامة التي تعود على الامة بالرخاء القومي والذي هو شرط في دوام الثروة العامة وتجددها وحفظ الامن الذي اذا اضطرب كان وزرا على الدولة .[١٢]

٤-التكافل الاجتماعي او الاحسان العام: قد حرص الامام علي عليه السلام على ايجاد مجتمع متكافل متوازن تسوده المحبة، ونلمس هذا من خلال التوجيهات السامية التي وجهها الى ولاته في الامصار يقول الامام عليه السلام "فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن من الضيافة وليفك به الاسير والعاني، وليعطي منه الفقير والغارم". ويقول ايضا "اذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة هو آتيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه، واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه تجده" كما انه اعتبر الفقراء والمساكين شركاء في المال العام فيجب ان يوفى لهم نصيبهم من هذه الشراكة من قبل الوالي او الخازن على بيت المال" وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وان لك شركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوو فاقة فانا موفك حقك فوق حقوقهم.[١٣]

سادسا: مصادر الانفاق العام في خلافة الامام علي عليه السلام

١-الاموال التي ليس لها مستحق وتتضمن:

أ-مال الضوائع والمقصود به المال الذي لا يعرف له مالك ومنها تركة من لا وارث له من اصحاب العصبات ولا يرثه الا أحد الزوجين ففي الحالة الاولى يستحق التركة كلها

بيت مال المسلمين وتصرف في مصاريف الدولة العامة وقضى الامام بأن من لا عصبة له يرثه بيت مال المسلمين.

ب-الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك مثل اللقطة والودائع التي يتعذر معرفة اصحابها قال الامام عليه السلام "من وجد لقطة عرفها حولا فان جاء لها طالب اعطاه اياها والا تصدق بها بعد السنة فان جاء صاحبها خير بين الاجر والضمان، فان اختار الاجر فله الاجر والثواب وان اختار الضمان كان الاجر والثواب للذي التقطها". (١٤)

ج-كما يشمل هذا المصدر كل مال لم يعرف له مالك او مستحق او يرسل للمسلمين بصفتهم العامة ولا يكون قاصرا على واحد منهم.

د-مصادرة الاموال التي توهب لولي الامر او لاحد افراد اسرته لما في ذلك من شبهة الرشوة فأن فعل ذلك ولي الامر او الوالي "فأن الهبة لا ترد الى مالكها ولكن تصادر او توضع في بيت مال المسلمين، فقد اهدى للحسين والحسن ابني الامام عليه السلام فأخذ الامام منهم هذه الهدية ووضعها في بيت مال المسلمين. روى ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة علي ابن ابي طالب" اهدي الى الحسن والحسين دهاقين السواد ثيابا، فقام علي عليه السلام يخطب في المدائن يوم الجمعة فراه عليهما فبعث عليهما فقال: ما هذان البردان قالا: بعث بهما الينا دهقان من دهاقين السواد، فأخذهما منهما ووضعها في بيت مال المسلمين.(١٥)

٢-الخراج: وهو ما يوضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها، فهو ضريبة مفروضة على عين الارض باعتبارها مملوكة ملكية عامة، سواء كان من يملكها مسلم او غير مسلم فكان الامام عليه السلام اذا اسلم الرجل من اهل السواد تركه يقوم بخراجه بأرضه ويصرف هذا الخراج في مصالح المسلمين العامة.

٣-الجزية: ما يوضع على اهل الذمة من مال، وقد بين الامام عليه السلام ان ما يؤخذ من اهل الكتاب والمجوس فتصرف حصيلة الجزية في مصالح المسلمين العامة بالاتفاق.

٤-العشور: مايفرض على اموال وعروض تجارة اهل الحرب واهل الذمة، المارين بها على ثغور الاسلام.

٥-الفيء: كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا الجاف خيل ولاركاب. قال الامام علي عليه السلام "ولأني رسول الله خمس الخمس فوضعته مواضعه حياة رسول الله". وأتي بمال من مال الفيء، فقلت: دعوه في بيت المال. فالفيء مورد من موارد بيت المال الدورية يصرف في المصارف العامة.

٦-الغنائم: يقصد بالغنيمة ما يظفر به المسلمون من الكفار بالقتال ويأخذونه عنوة وقهرا وقد جاء حكمها في سورة الانفال.

٧-مصادر الخمس: كما يضاف الى مصادر النفقات العامة في خلافة الامام عليه السلام مصادر الخمس حيث اوجب الامام الخمس في المال الحلال إذا اختلط بالحرام ولم يميز ولم يعرف صاحب المال الحرام.

٨-خمس الركاز: وهو المال المدفون قبل الاسلام.. وجاء عن الامام عليه السلام لمن يجد هذا المال فله اربعة اخماس ولبيت المال الخمس.[١٦]

المبحث الثالث

"قاعدة العدالة في فرض التكاليف المالية"

عند الامام علي عليه السلام

قد عني الامام عليه السلام عناية فائقة في تطبيق قواعد فرض التكاليف المالية في عدة جوانب وكما يلي.

١-قاعدة العدالة في فرض التكاليف : الزكاة فرضت في اموال الاغنياء ولم تفرض على اشخاصهم ، وهذا مفهمة الامام علي عليه السلام من نصوص الآيات القرآنية، لذلك فانه اينما وجد المال وجبت فيه الزكاة اذا توافرت شروط وجوبها ومن اوجبها عليه السلام في مال الصغير والمجنون رغم انهما ليسا بمكلفين فكان عليه السلام يزكي اموال ولد ابن ابي رافع ،وهم يتامى في حجره فعن عبيد الله بن ابي رافع قال "باع لنا الامام علي عليه السلام ارضا بثمانين الفا، فلما اردنا قبض مالنا نقص ،فقال اني كنت ازكيه، وكنا يتامى في حجره".

٢-منع ازدواج التكاليف: اتبع الامام علي عليه السلام نهج الهدي النبوي في فرض التكاليف، لذلك كان يرى ان لا يجتمع عشر وخراج على ارض واحدة ،اذا ادى

خراجها فلا شيء عليها فيما بقي وان كان مائة وسق وقال يحيى ابن ادم في كتاب الخراج عن سياسة الامام علي عليه السلام في جباية الضريبة "كان لا يأخذ من ارض الخراج الا الخراج".[١٧]

٣-مراعاة الظروف الشخصية لدافع التكاليف(المكلف):لم تقتصر العدالة التي طبقها الامام علي عليه السلام في فرض الضريبة والزكاة على عين المال فحسب، بل انها شملت ظروف الممول الشخصية وما عليه من اعباء وديون ،فوجب ان تتوفر للمكلف حد الكفاف من المعيشة وعليه اعفاء الدخول التي ضمن مسمى الحد الاولي اللازم للمعيشة . واعفاء المدين اذا كان عليه دين يستغرق النصاب او حاجته الاصلية.

٤-العدالة في التطبيق: ويشتمل نظام تطبيق العدالة في فرض التكاليف عند الامام، بالإضافة الى مراعاة العدل في عين المال وشخصية الممول، العدالة في التطبيق اي في جباية الواجبات المالية وقد امتازت سياسة الامام عليه السلام في هذا الشأن، فحرص كل الحرص على اختيار العاملين في الخراج وتوجيههم وتحصينهم، ايمانا منه بأن العدل اذا كان في نص القانون لم يثبت في ضمير القائمين على تنفيذه، وقد يحرف عن موضعه و يوشك ان يكون حبرا على ورق، فلابد ان يكون نابعا من الايمان الصادق للجباه. يقول الامام عليه السلام محددا الاسس التي ينبغي اتباعها في الجباية "لا تضربن احدا سوطا لمكان درهم، ولا تروعن مسلما، ثم اليهم بالسكينة والوقار".

٥-قاعدة (اليقين): يقصد باليقين ان تكون التكاليف المالية التي يلتزم الممول بدفعها محددة على سبيل اليقين دون غموض او تحكم من حيث معيار الدفع وطريقته بأن يكون المبلغ المطلوب دفعه واضحا ومعلوما لدافع الضريبة، وحتى يتحقق اليقين في دفع الضريبة يلزم امرين: ان تكون التشريعات المالية الضريبية واضحة جلية بحيث يفهما عامة الناس، وان تجعل في متناول المكلفين جميع القوانين المتعلقة بما تقرره من ضرائب وما يتفرع عنها من قرارات ولوائح وتعليمات.

٦-قاعدة الملائمة: ان تكون عملية فرض التكاليف المالية وجبايتها في اوقات مناسبة وملائمة بالنسبة للممول، وتكون طريقة الدفع مريحة بالنسبة له، كان يكون موعد جباية التكاليف بعد الحصاد اي عند نهاية الموسم الزراعي، وتقتضي قاعدة الملائمة ان تحدد

مواعيد الجباية، والسهولة والرفق في الجباية، حيث لا يجوز ان يطالب المكلف في زمن عسره وانما يطالب في وقت يساره.

٧-قاعدة الاقتصاد :هذه القاعدة على جانب كبير من الأهمية ،وتعني ان تحاط القاعدة الضريبية بما يضمن لها سهولة التطبيق ومرونته و يجنبها الدخول في متاهات الاجراءات وصعوبات الروتين والتعقيدات البيروقراطية مما يؤدي بدوره الى تحمل الادارة المالية لنفقات كثيرة في سبيل تطبيق نظامها الضريبي .ومراعاة هذه القاعدة هو الذي يضمن للضرائب فاعليتها كمورد هام واساس تعتمد عليه الدول لتغطية النفقات العامة التي يعود من وراء انفاقها بعض النفع، فاذا شعر الممول ان المال الذي يؤخذ منه لا يخصص لتحقيق هذا الهدف، بل يصرف جزء كبير منه على موظفي الادارة المالية ،ادى ذلك الى استيائه وتذمره ولن يلبث ان يهرب من دفع الضريبة مستقبلا.(١٨)

وهذه القاعدة واضحة وجلية في اسس جباية التكاليف عند الامام علي عليه السلام، حيث وجه عماله الى اتباع اسلوب الاقرار من قبل الممول لتقدير المادة الخاضعة للضريبة، يقول الامام مرشدا عامله في الخراج".....ثم تقول: عباد الله، ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في اموالكم فهل في اموالكم حق فتؤدنه الى وليه ،فان قال قائل لا، فلا تراجعه".(١٩)

المبحث الرابع

ملكية الدولة لوسائل الانتاج عند الامام علي عليه السلام

يقول الامام علي عليه السلام "ليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج..." لا تستقيم الحياة الا بتبادل الثقة بين الراعي والرعية، والسبيل الى ثقة الرعية براعيها ان تؤمن و توقن بأن يهتم بسياسة الانتاج وتحصيلها، ومن البداهة ان المورد الرئيس للثروة وزيادة الدخل هو الارض بخاصة في عهد الامام علي عليه السلام ،حيث كان الاعتماد قبل كل شيء على الزراعة وثروة الارض الموجودة فيها ولا تظهر هذه الثروة الى عالم الوجود الا بالعمل وتوفير الآلات ووسائل الانتاج للقطاع الخاص، من هنا كان اهتمام الامام عليه السلام بالعمارة اكثر من الخراج و بتوفير الحوافز للأفراد بتملك عناصر الانتاج يقول "ايها الناس من

احيا ارضا ميتة فهي له" وبين الامام ان الدولة لو اهتمت بجباية الخراج واهملت عمارة الارض لكانت تاجرا مستغلا ولعم الخراب والدمار فاذا صارت على ارباح التجار و الفلاحين والصناعيين، تعود على خزينة الدولة بما يزيد على ما تحصله نتيجة قيامها بهذه الاعمال بنفسها، وفي هذا تطابق واضح بين راي الامام عليه السلام ورأي ابن خلدون في اشتغال الدولة بالتجارة و الاعمال الاقتصادية التي يقوم بها القطاع الخاص، اذ ان تشجيع الدولة لعمارة الارض وتمليكها للأفراد سيزيد انتاجها، وبالتالي يزيد حصيلة الخراج وهذا يعود بالنفع والخير على الدولة.(٢٠)

الفصل الثاني

التنمية الاقتصادية عند الامام علي عليه السلام

المبحث الاول: مفهوم التنمية والعمارة

١-مفهوم التنمية في علم الاقتصاد: هو عملية استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة للمجتمع لتحقيق زيادة مستمرة في الدخل القومي تفوق معدلات النمو السكاني، مما يؤدي الى زيادة حقيقية في متوسط نصيب الفرد من الدخل، وعرفها اخرون بانها " تدخل اداريا من الدولة في الحياة الاقتصادية ،لرفع عجلتها نحو النمو العادل اسرع من معدل النمو الطبيعي، عن طريق الخطط والبرامج التي تنفذها الدولة لإجراء تغييرات واسعة في هيكل الاقتصاد ومكوناته" ومن علماء الاقتصاد من يعرف التنمية بان لها مدلول عام يشمل تنمية قطاع الدولة الاقتصادي بزيادة الإنتاج ،وبتنمية القطاع الاجتماعي من خلال التوزيع العادل للدخل على افراد المجتمع . (٢١)

١-مفهوم التنمية والعمارة عند الامام علي عليه السلام: يتحدد مفهوم العمارة عند الامام عليه السلام من منطلق المفهوم الاسلامي للتنمية ففي مقدمة عهده للأشتر النخعي، حين عينه على ولاية مصر، اكد على التنمية الشاملة لكل من الانسان والارض، والدليل على ذلك انه خص العمارة بالأرض مرة، ومرة اخرى خصها بالبلاد لتشمل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق الرفاهية للأفراد، يقول:" هذا ما امر به عبدالله امير المؤمنين، مالك بن الحارث الاشتر، في عهده اليه حين ولاه مصر، جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها" ففي هذه المقدمة يحدد

الامام وظائف الدولة، والتي من ضمنها عمارة البلاد، فعمارة البلاد امر واجب على الدولة، ومهمة اساسية من مهامها.

وعلى هذا فالعمارة عند الامام تعني رفع مستوى الانتاج الى اقصى حد، من خلال الاهتمام بقطاعات الاقتصاد الثلاثة الزراعة والصناعة والتجارة. وتتطلب العمارة الى جانب ذلك عند الامام مستوى الاستهلاك المرتفع لجميع الافراد في المجتمع، سواء منهم من لديه القدرة على تحقيق ذلك لنفسه ام من يعجز عن ذلك، فان على الدولة ان تقوم بتحقيق هذا المستوى للصنف الثاني من الناس يقول الامام عليه السلام "ما جاع فقيرا الا بما متع به غني".

مما سبق يتبين لنا ان العمارة عند الامام هي واجب ملقى على عاتق الدولة من خلال سعيها المتواصل لبذل اقصى الجهود في استثمار خيرات الارض ومكتنزاتها من جهة ورفع مستوى الاستهلاك لأفراد المجتمع من جهة اخرى. (٢٢)

المبحث الثاني

وسائل تحقيق التنمية عند الامام علي عليه السلام

بعد بيان مدى الارتباط بين مفهوم التنمية المعاصرة ومصطلح العمارة الذي كان شائعا في عصر الامام علي عليه السلام، أرى من المناسب والمفيد ان اعرض للخطوط العريضة التي رسمها:

المنهج الاول: الاسلوب غير المباشر لتحقيق التنمية: حدد الامام عليه السلام شروطا للأسلوب غير المباشر في التنمية يجب توافرها وتحقيقها قبل البدء بالأسلوب المباشر لتكون تمهيدا لنجاح التنمية وفيما يلي بعض هذه الشروط: (٢٣)

١-تحقيق الامن والاستقرار: ازدهار اقتصاديات الامم يقوم على استقلالها بنفسها، من حيث ادارة امورها، والتصرف في مواردها فالدولة القوية يكون اقتصادها مزدهرا فيعم الرخاء البلاد والعباد. وقوة الدولة تتحقق في عدة امور اهمها:

أ-القوة العسكرية: ويتجلى موقف الامام علي عليه السلام من ضرورة الاهتمام بالقوة العسكرية بقوله "هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين جباية خراجها وجهاد عدوها

وعمارة بلادها" نلمس من هذا النص ان ازدهار البلاد وعمارتها يعتمد على جهاد الاعداء

"اذ العمارة معطوفة على الجهاد ، لأنه لا يمكن لدولة ان تتمتع بالرفاه الاقتصادي، وهي عرضة لغارات اعدائها او مستسلمة لهم، فبين الامام في هذا النص المناخ الملائم للتنمية وهو تحقيق الاستقرار في الدولة برد الاعتداءات الخارجية، وان حالة عدم الاستقرار تؤدي الى حالة عدم تشجيع الاستثمار، ومن ثم اعاقة النمو الاقتصادي ،مما يترتب عليه ان اصحاب رؤوس الاموال سيمتنعون ويخسون من استثمار اموالهم، لذلك كلما كان البلد اكثر استقرارا وامانا في الوقت الحاضر وفي المستقبل كان تكوين رأس المال اكبر .

ب-تحقيق الامن والاستقرار داخل الدولة: لم يقصد اهتمام الامام علي عليه السلام باستقلال الدولة بمنع الاعتداء الخارجي عليها، بل اهتم بالاستقرار الداخلي وبمعاقبة الخارجين على النظام، وقد وجدت بعض النصوص القرآنية التي ربطت بين الامن والاستقرار، وبين قضية التنمية التي استقى منها الامام عليه السلام سياسته الاقتصادية.

٢-التعاوت والتماسك الاجتماعي: التعاون اشتراك شخصين او اكثر في اداء عمل ما، بحيث يعمل الفرد لمصلحة الجماعة وتعمل الجماعة لمصلحة الفرد، ويفيد الواحد من عمل الجماعة، وتفيد الجماعة من الواحد، وذلك لجمع موارد كل فرد وقدرته مع موارد وقدرة الاخرين وتنسيقها، لتصبح مجهودا واحدا بغية الوصول الى نتائج يسعى اليها مجموعهم. والامام عليه السلام يلح في دعوته الى التعاون ،وانه ليسوقها هنا في منطق واضح وحجة لازمة " (٢٤)

ايها الناس انه لا يستغني الرجل، وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم والسنتهم، الا ليعدلن احدكم عن القرابة ويرى فيها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه، ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تقبض عنه ايد كثيرة" من النص السابق يتبن لنا ان الامام عليه السلام يبرز دور الانسان في التنمية الاقتصادية من خلال اسهامه في التكافل الاجتماعي.

٣-الموازنة بين الزهد والعمل: ان الامام علي عليه السلام يعرف الزهد بقوله "الزهد كله بالتفريق بين كلمتين قال سبحانه (لكيلا تأسر على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه فالإمام ينظر الى الزهد على انه تمتع بالطيبات ضمن القيود الشرعية.

وان الزاهد عند الامام عليه السلام هو خير وسيلة لتعهد المسؤوليات على الوجه الاكمل.

٤-الاهتمام بالعلم: التعليم عند خبراء التنمية في العصر الحاضر من العوامل المهمة التي تلعب دورا حيويا في التقدم الاقتصادي ،حيث ان جمهور العلماء في العصر الحديث، اعتبروا التعليم هو الوسيلة الاساسية في انجاز التنمية .

ومن يتأمل في كلام الامام علي عليه السلام يجده قد حفل بالكثير من الدرر التي تحض على العلم وطلبه، ومن ذلك (انه خاطب كميل بن زياد بقوله "يا كميل- العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله ،يا كميل....العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة في حياته ،وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه".[٢٥]

كما ان دعوة الامام عليه السلام الى اخذ العلم من ايدي المشركين يتوافق مع مفهوم علم الاقتصاد الحديث، فلا مانع من الاستعانة بما توصل اليه علماء الاقتصاد الوضعي ،لتحقيق انتاج افضل ،لان الشرع ترك انتاج امر المال الى الناس، ينتجونه حسب خبرتهم في الصناعة، ومعرفتهم بأمور الابداع العقلي للبشرية.

المنهج الثاني: الاسلوب المباشر لتحقيق التنمية

من خلال استقراء كلام الامام علي عليه السلام في السياسة والاقتصاد. يتبين لنا ان الامام استخدم عدة وسائل لتحقيق التنمية الاقتصادية، ومن أشهرها السياسة الزراعية والتجارية والصناعية والسعرية، وسياسة تقسيم العمل ونظام الحوافز. ونستعرض في ادناه بعضا من هذه السياسات التي حفل الامام عليه السلام بها لتحقيق العمارة.

١-السياسة الزراعية: تعد الزراعة من أشهر حقول الانتاج لكل عصر ولكل مصر، لارتباطها بالأرض وما تنبته من غذاء ونبات يحتاجه الانسان والحيوان، ولأهمية الزراعة تطورت اساليبها حتى غدت لها سياسة وبرامج انتاجية جديرة بالبحث. (٢٦)

"يقول الامام علي عليه السلام ... ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عليهم، فانه ذخر "

(اي ادخار يعودون به عليك، يستثمرون به في ارضهم) فيعود عليك في عمارة بلدك"

في هذه الفقرة يقرر الامام ان تخفيض الاعباء على القطاع الزراعي، انما هو استثمار في هذا القطاع يعقب الادخار الذي يقومون به،عندما تزداد دخولهم ،بسبب تخفيض الاعباء على القطاع الزراعي، انما هو استثمار في هذا القطاع يعقب الادخار الذي يقومون به، عندما تزداد دخولهم، بسبب تخفيض الاعباء عنهم، ويقومون باستخدامه في تحسين اراضيهم، وتمويل الاستثمارات اللازمة له. وينعكس ذلك في تحقيق التنمية الاقتصادية، بتوسيع الموارد التي يملكها المجتمع.

ويمضي الامام مبينا العناية بالقطاع الزراعي، وتخفيف الاعباء عن الناس، بان الدولة تستطيع ان تعتمد عليهم في الظروف الطارئة، فتجدهم قطاعا قويا، يمكن ان يمد المجتمع بحاجاته، بعكس ما لو كانت الدولة قد اعتصرت قواهم من قبل، فإنها لن تستطيع ان تعتمد عليهم في اي ظرف طارئ، يقول الامام عليه السلام "فربما حدث من الامور ما عولت به عليهم من بعد ،احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته، وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها لأشرف الولاة على الجمع".

فلا يجوز ان يكون هم الدولة جمع الضرائب ،بل يجب ان يكون همها تهيئة الظروف للناس، حتى يتمكنوا من عمارة اراضيهم لتحقق انتاجا وفيا، ثم بعدها تفرض الضرائب، واذا كان صاحب الارض ليس عنده فضل من حاجة يستطيع ان يستعملها لغايات الاستثمار والاستصلاح نتيجة ارتفاع الضريبة او ظلم الحياة، فان هذا بالتأكيد سيؤدي الى قلة الانتاج، وارتفاع الاسعار والاعتماد على الاستيراد، وبالتالي استنزاف مبالغ كبيرة خارج الدولة.(٢٧)

٢-السياسة التجارية للإمام على عليه السلام: تركز السياسة التجارية عند الامام عليه السلام على عدة امور، واهمها:

أ-الاهتمام بالتجار: تشكل طبقة التجار وحدة اجتماعية عظيمة القيمة، بعيدة الاثر في الكيان الاجتماعي، ولو ان اضطرابا الم بنشاط هذه الطبقة لاضطرب المجتمع كله، فتحدث المجاعات في بعض الاطراف، بينما تتكدس المواد الغذائية في اطراف اخرى، وتوجد في بعض المناطق سلع كثيرة للاستهلاك، ويوجد في مناطق اخرى نقص في سلع الاستهلاك، يقول الامام عليه السلام "ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيرا، المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فانهم مواد المنافع، واسباب المرافق وجالبها من المباعد والمطارح" وان الخير الذي اراده الامام للتجار ،يشمل تسهيل مهمتهم، ليؤدوا خدماتهم للمجتمع على الوجه الاكمل، فلا يجوز ان تكون المكوس والضرائب باهظة تستضف الربح كله، او تبقى منه شيئا لا يسد الحاجة، ولا يحمل صاحبه على المخاطرة لان ذلك يلجئه الى ان يجمد ماله فلا ينميه بالتجارة ،ويلحق بالمجتمع من ذلك ضرر كبير فينشا عنه توقف حركة العرض والطلب، التي ينجم عنها هبوط المستوى الاقتصادي.

وسياسة الامام عليه السلام بالتجار تظهر برعاية شؤونهم، وتفقد احوالهم، وفسح المجال ليتسنى لهم ان يسهموا في رفع مستوى الإنتاج، وانماء الحياة الاقتصادية، والمتأمل في قوله "فأنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته فأنه يؤكد فيه وجوب العناية والرعاية بهم، لأنهم لا يخشى منهم شر، فطبيعة عملهم والوجدان الذي يدفعهم الى هذا العمل فيها خير المجتمع ورفاهه.

وتبدو هذه العناية والرعاية بهم جلية انه كان لا يأخذ على بيوت السوق كراء حيث جعل مهمة بناء الاسواق من قبل الدولة وتوفيرها للتجار دون مقابل تشجيعا لازدهار التجارة الداخلية وتنميتها.

واما قوله عليه السلام "تفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك "بعد ان امره وامر عماله برعايتهم، فأنه يشبه ان يكون امرا بإنشاء دائرة خاصة، تعنى بشؤون التجار في الوقت الحاضر.

واذا كان الامام عليه السلام قد اعترف بأن طبقة التجار يعود نشاطها على المجتمع بالخير فأنه يعترف ايضا انها تصيب في بعض الاحيان الى نشاط عدواني يضر بالمجتمع، عندما تستحكم العقلية التجارية في التاجر، الى حد انها تدفع بهما الى التماس الثروة من اقرب الطرق، وذلك بالاحتكار والتوصل به الى السيطرة على الاسواق، والتحكم بالأسعار، والتطفيف في الموازين، وبالغش وبيع الاصناف الرديئة، وبكل طريق يضمن ربحا وفيرا مقابل رأسمال قليل. (٢٨)

٣-السياسة الصناعية عند الامام علي عليه السلام:

يأتي اهتمام الامام عليه السلام في كتابه الذي وجهه الى واليه على مصر بقوله" فاستوص بذوي الصناعات واوص بهم خيرا" فالصناعات على الرغم من بدايتها في عهده ،الا انها لقيت منه هذه العناية، نظرا لما لمحه بفكره الثاقب من الدور المهم الذي تقوم به، والمتمثل في ان الصناع يبلغون من الرفق بالشيء وصناعته درجة لا يبلغها غيرهم، وهذا راجع الى تخصصهم بالطبع ،فهم يوفرون على المواطنين هذه المهمة،ومن اجل هذا،وتحقيقا لهذه المنافع للمجتمع،يجب على الدولة ان تهتم بشؤنهم وتعتني باحوالهم،ولذلك سلك الامام في اهل الصناعات مع التجار دعوته الى تنظيم التجارة. تتضمن السياسة الصناعية للامام علي عليه السلام على عدة امور من شانها ان تنمي وتنظم الصناعة في الدولة منها:

أ-الاهتمام باصحاب الصناعات:اصحاب الصناعات هم عصب الصناعة ولذلك استوصى بقوله"ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات خيرا". ان هذه العبارة بمفهومها المعاصر،من قبل الامام تشير الى امكانية انشاء غرف صناعية،توفر لذوي المهن المختلفة المعلومات اللازمة لزيادة استثماراتهم،والحاجة الى السلع الجديدة واثمانها وهذا له فوائد تتمثل في زيادة فرص اهل الصناعة في الاستثمار بما يتفق والشريعة الاسلامية،وتحتمل هذه العبارة ايجاد طرق لتدريس الراغبين مباشرة هذه الاعمال،مما يقلل تكاليف الانتاج،ومن ثم تزدهر الصناعة في الدولة.

ب-تنظيم الصناعة:حرص الامام علي عليه السلام على السياسة الصناعية لتكون وفق مقتضيات التنمية،فان من مقتضياتها رفع المستوى الانتاجي وتميزه،وهذا لايتم الا بظابط

يضبط اصحاب اصحاب الصناعات،لتحسين انتاجهم وليحقق الامام هذا الامر، ضمن الصناع واصحاب المهن ان وقع منهم اهمال. روي عنه عليه السلام انه قال "كل عامل مشترك اذا افسد فهو ضامن".

كما انه ضمن الخياط والصباغ والسياح ،والتضمين الذي فرضه الامام علي عام،والعام يبقى على عمومه ما لم يأت نص يخصصه،واذا كانت هذه العبارة عامة من قبل الامام، فانه يمكن حملها في العصر الحاضر على تضمين اصحاب المصانع اذا كانت صناعاتهم ليست مطابقة لمواصفات،ومقاييس تحددها الدولة بواسطة اجهزة معينة،ويكون تضمينهم لها،بمنعها من التداول في الاسواق واتلافها.

ج-تمويل المشاريع الصناعية:تقوم المشاريع الصناعية عند الامام عليه السلام على تمويل الصناعات بصيغ شرعية،هي المضاربة،وذلك بأن يكون رأس المال من طرف والجهد من طرف اخر،كأن يكون عاملا او صاحب مهنة،ويكون اقتسام الربح بينها حسب الاتفاق، يقول الامام"الوضيعة على المال والربح على ما اصطلحا عليه". (٢٩)

ويبدوا اثر تمويل المشروعات الصناعية مهما في تحقيق التنمية الاقتصادية،اذ ان المضاربة تعتبر تفاعلا بين اهم عنصرين من عناصر الانتاج في المنهج الاقتصادي والاسلامي هما:عنصر رأس المال وعنصر العمل، هذا التفاعل بامكانه ان يحقق مزيدا من الصناعات المحلية في الدولة على ان يتم من صاحب المهنة او الصنعة الجهد والعمل ومن الطرف الاخر راس المال .

د-دعوة الامام علي عليه السلام بأخذ العلم من غير المسلمين :دعا الامام علي لأخذ العلم من غير المسلمين،يمكن توظيف هذا المفهوم في مجال السياسة الصناعية،بالافادة من الخبرات التي تتميز بها الامم الاخرى في الصناعة،اذا كانت لاتتعارض مع نظام الاسلام الاقتصادي،نظرا لما يشهده العالم من تطور متصاعد في فنون الانتاج،فان مسألة نقل فنون الانتاج الحديثة عن المجتماعات الاخرى الاكثر تقدما،يعد من المسائل المهمة والحيوية في عمليات التنمية المختلفة.

٥-تحريم الامام علي عليه السلام صناعة المواد التي حرمها الشارع:تميزت السياسة الصناعية للامام بضبط الصناعة بما احله الشارع،ولذلك احرق قرية كان يصنع فيها الخمر. (٣٠)

٤-السياسة السعرية عند الامام علي عليه السلام:تتبع السياسة السعرية للامام عليه السلام من فهمه للسنة النبوية،فعن انس ابن مالك انه قال" غلا السعر في عهد رسول الله(ص) فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال:ان الله هو المسعر،القابض،الباسط الرزاق،واني لارجو ان القي الله عز وجل وليس احد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال"ووجه الدلالة من هذا الحديث عدم جواز التسعير،ولو كان التسعير جائزا لاجابهم اليه،كمان انه (ص) علل امتانه عن التسعير بكونه مظلمة،والظلم حرام فعليه يكون التسعير حراما.(٣١)

ويظهر راي الامام علي عليه السلام في الاسعار،بتفسير مجمل الحديث فقد سئل جعفر بن محمد التسعير،فقال:ما سعر امير المؤمنين عليه السلام على احد،ولكن من نقص عن بيع الناس قيل له"بع كما يبيع الناس والا فارفع من السوق" يقول ايضا وليكن البيع سمحا بموازين عدل واسعار عدل لاتجحف بالفريقين البائع والمبتاع".

فالامام عليه السلام يفسر الظلم الذي نص عليه الرسول (ص) في حديث التسعير،بأنه الظلم الذي يلحق بالبائع والمشتري،ومنعا لهذا الظلم يجب ان يتم البيع بثمن عادل،فرأي الامام عليه السلام في الثمن العادل يأخذ بعين الاعتبار مصلحة المنتج والمستهلك ويوائم بينهما،حيث لايكون هناك جور على العارضين للسلع او الطالبين لها من منتجين و مستهلكين،فلا يجوز تبعا للمعيار الاسلامي الحاق الضرر بالمنتج او البائع بانخفاض الثمن الى درجة تكون فيها الخسارة،كما انه لايجوز الحاق الضرر بالمستهلك بارتفاع الثمن الى درجة الظلم،فالامام يعتبر الثمن عدلا اذا كان لا يلحق ضررا بالمنتج والمستهلك معا ويحقق العدالة بينهما،كما ان مفهوم الثمن العادل عند الامام علي عليه السلام يتحدد من خلال القاعدة الشرعية " لاضرر ولا ضرار " ومن الضرر،الاضرار بالمنتج او البائع عن طريق بخس الثمن سواء كان بفعل المسهتلك او الدولة حالة تحديد الاسعر تحديدا دون مناسبة له،فالمستهلك هو المهم لنفاق السلعة

وخلوصها من السوق التجاري،فأن امتنع المشتري فترة دون ان يشتري بقصد الاضرار بالمنتج،وخاصة ما يسرع اليه الفساد كالخضراوات والفواكه ونحوها وذلك رغبة من المشترين الحط من السعر للسلعة،فيتجه صاحبها خشية كسادها ببيعها بأبخس ثمن،وهذا لايحل لهم وهو ظلم،يأباه الشرع الاسلامي وهو ضرر واضح في حق البائع المنتج،الامر الذي قد يؤدي به الى ان يتوقف عن الانتاج، وتبدأ تخف الزراعة،ويفتقر الانتاج الصناعي،وتقل حركة السوق التجاري بفعل تصرف المستهلك السيء،وكان عليه ان يستقبل السلع ويحفز البائع والمنتج كليهما على الاستمرار في حركة الانتاج وفي هذا المجال يبين الرسول (ص) ان المشتري يجب ان يكون سمحا يقول (ص) "رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى و اذا اقتضى"

سماحة الاسلام تظهر واضحة حيث اشار على المسلمين ان يميلوا الى السهولة في بيعهم وشرائهم والتبادل بعدم الاجحاف بالمنتج،اما بالنسبة للمشتري فان الامام علي عليه السلام يمنع الاجحاف به بطريقتين:

(اولاهما) منع الاحتكار:فالامام عليه السلام يدعو الى عدم الاحتكار،ويفهم هذا من كلامه انه سبب غلاء الاسعار،وعدم تحقق الثمن العادل،والاحتكار اذا حدث يشكل خطرا على الشعب ورخائه واستقراره،ويشكل عبئا على الحكومة المسؤولة عن رخاء شعبها وعن توفير سبل العيش لجميع افراده،لذا على الحكومة ان تبادر الى القيام بالتزاماتها،فتمنع الاحتكار وتعاقب عليه،يقول الامام علي عليه السلام: " واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا واحتكارا للمنافع فأمنع الاحتكار....فمن قارف مكره بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب من غير اسراف"، ولقد ذكر الامام عليه السلام هناك احتكار المنافع،واحتكار المنافع يعني به الاحتكار بجميع انواعه،سواء كان احتكارا للمواد والخدمات،واحتكار المنافع والخدمات قد يكون من قبل جماعة تشترك في مهنة معينة كالمهندسين والبنائين والخياطين والفلاحين،بحصر العمل بأفرادها،لتحصل على الارباح التي تريدها.

(ثانيهما)منع التحكم في البيع:يقول الامام عليه السلام"واعلم مع ذلك ان في كثير منهم و تحكما في البياعات،وذلك باب مضرة للعامة،وليكن البيع سمحا وبأسعار لاتجحف

بالفريقين من البائع والمبتاع" والظاهر ان المراد من التحكم في البيع،نتيجة الاحتكار وهو ما نلمسه في الوقت الحاضر' للتكتلات التجارية والصناعية وذلك بفرض اسعار عالية،للأضرار بالناس فيرى الامام عليه السلام ان من واجب ولي الامر ازالة كل ما من شأنه ان يلحق الضرر بالناس.(٣٢)

ويتراءى للباحثة ان الامام علي عليه السلام رأى ان تحديد السعر من قبل الدولة من شأنه ان يؤدي الى التدخل في الملكية الخاصة للافراد،التي جعلت وسيلة من وسائل الاسلام في تحقيق التنمية،حيث ان التنمية الاقتصادية وعمارة الارض،ليست عملية فنية يكتفى بها بمجرد اعداد خطة التنمية،ولا مجرد متابعة تنفيذها لدى القطاع الخاص او العام،بل لابد من تعبئة المواطنين لها بحيث يكون مطلبا ملحا يسعى اليه كل فرد.

ومن ابرز الامور التي اثمرت عنها سياسة الامام عليه السلام في اقرار الثمن العادل واطلاق الحرية الاقتصادية المنضبطة ان وفرت للناس الحوافز على العمل والانتاج، وازالت العوائق التي تحول دون ذلك،وهذا ادى الى نمو التجارة،ونمو التجارة ادى الى زيادة حصيلة الدخل الخاضع للزكاة،التي ترفع مستوى الطبقات الفقيرة وتزيد من استهلاكها،وبالتالي زيادة الطلب على السلع والخدمات،وزيادة الاستثمار الذي يعد عاملا مهما في انتعاش الاقتصاد وارتفاع مستوى المعيشة في الدولة .

وتخلص الباحثة الى ان الامام علي عليه السلام منع التسعير ما دامت الامور في السوق الاسلامي تسير سيرا حسنا من حيث عدم وجود احتكارات او تحكم في البيع من بعض التجار،فان حصل شيء من الاحتكار او التحكم تعين على الدولة التدخل،لمنع مثل هذه التصرفات.

الفصل الثالث

سياسة التوزيع والتوازن عند الامام علي عليه السلام

المبحث الاول

الاجراءات التي وضعها الامام عليه السلام لضمان عدالة التوزيع

طرح الامام علي عليه السلام نظاما متكاملا لعلاج ظاهرة الانحراف عن خط العدالة الاساسية في التوزيع،وحدد البرامج الواضحة لتجاوز الاخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال عدة امور،سنتعرف عليها في هذا المبحث.

ولم تقتصر جهود الامام عليه السلام في علاج مشكلات التوزيع على الناحية النظرية والمواقف الوعظية فحسب،وانما سلك الى جانب ذلك الوسائل والطرق العملية من خلال استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد،ومن ذلك استرداد الاموال التي أخذت من غير حق اضافة الى الى مراقبة طرق جباية الاموال،وتنفيذ توزيعها على قطاعات الامة كما تشدد في مراقبة ولاته على الامصار واستخدام نظام المراقبة والتفتيش،لذلك ورد كثير من النصوص التي يوجه فيها ولاته او جباة المال بأتجاه الطريق المثلى في عملهم المناط بهم،كما نجد نصوصا يوبخ فيها الامام ذلك الولي او يستدعيه للحساب او يعزله عن منصبه اذا خان الامانة التي انطيت به.(٣٣)

يقول الامام علي عليه السلام عن العدالة في التوزيع "أياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة،والتغابي عما تعني به مما قد وضح للعيون،فانت مأخوذ منك لغيرك" فانه يأمر الوالي الا يختص احد من المال العام،الذي يتساوى فيه الناس في الحقوق.وقد خاطب ضمائر الولاة وامرهم بتقوى الله في توزيع المال قائلا: " الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمنى،فأن في هذه الطبقة قانعا ومعترا،واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم.(٣٤)

المبحث الثاني

سياسة ومعاير التوزيع عند الامام علي عليه السلام

نهج الامام عليه السلام في سياسته الاقتصادية خططا متكاملة لتحقيق التوزيع العادل الذي جاء في القرآن والسنة النبوية ويظهر هذا من خلال انتهاجه عدة امور،نبينها في المطالب التالية:

١-تخفيف التفاوت بين الناس من الناحية المادية.

٢-الترغيب في الصدقات التطوعية.

٣-استخدام العديد من نظم التوزيع.

٤-الانضباط في آلية التوزيع .

١-تخفيف التفاوت بين الناس من الناحية المادية:

حرصت الشريعة الاسلامية على ضييق فجوة التفاوت بين الناس اقتصاديا بشتى الوسائل والسبل،تحقيقا لهذا الغرض فقد أعتبر الامام عليه السلام أربعة الاف درهم ما دونها نفقة، وما فوقها كنز، وذلك حتى يقلل من التفاوت بين الناس في ملكية المال.(٣٥)

ويخص الامام عليه السلام الفقراء واصحاب الاعذار الذين ليس لهم القدرة على العمل بالانفاق عليهم من بيت المال،ويحث الافراد على مساعدتهم،من هنا انكر على الذين يخزنون الاموال،ولا ينفقونها في سبيل الله،يقول عليه السلام "هلك خزان الاموال وهم احياء"

ولا تقتصر سياسة الامام عليه السلام في تقليل التفاوت بين الناس من خلال الحث على الانفاق،انما عالجه بأمور اخرى منها:-

ا-حق العمل:وهو الذي يكفل الاجر المسمى عند الاقتصاديين المعاصريين بالعائد،ولكنه يرتبط بحد الكفاية،لابحد الكفاف،يقول الامام عليه السلام حاثا على العمل "قد تكفل الله لكم بالرزق وامركم بالعمل" ويقول "الحرف مع الفقر خير نت الغني مع الفجور".

ب-منع الاحتكار والثروات المتضخمة:لما كان الاحتكار هو السبب الخفي الذي يحصل منه المستغلون على ثروتهم،وهو الوسيلة التي تؤدي الى تراكم الثروة' وابراز الفروق الطبقية بشكل سافر،واهم مصدر للتسلط والسيطرة،فأن موقف الامام من الاحتكار كان صارما وقد رأينا كيف يخفف الاحتكار ويمنعه و يلعن المحتكر ويعاقبه عقوبة شديدة حيث قام بأحراق طعام احتكره احد التجار.

ج-كفالة الاقارب:بعد ان حثالامام عليه السلام الافراد للانتفاع بدخولهم من ناحية،و بعد ان نهى عن الاحتكار ليمنع تراكم الثروة بطرق غير مشروعة، نجده من ناحية اخرى يعمد الى حلقة اخرى حلقات تنظيمه للتفاوت الطبيعي في الدخول،ومحاولة تضييق

اثرة،بحيث لايشكل مصدرا للتمايز الصارخ في المجتمع،اذ يلزم الغني بكفالة الاقارب والانفاق عليهم يقول عليه السلام

"عليك بصلة الرحم فأنها مكثرة في المال" وانكر على الذين لايصلون الرحم، ولا يساعدون اقاربهم في حال حاجتهم يقول "يأتي على الناس زمان يعدون لبصدقة غرما،وصلة الرحم منا".وصدق الامام عليه السلام فها نحن نرى كثيرا من المسلمين يرون الصدقات مغرما، وصلة الارحام منا.

٢-الترغيب في الصدقات التطوعية:

حرص الامام عليه السلام على جعل الصدقة تلعب دورا ايجابيا في توزيع الاموال،فقد عدها من الامور اللواتي هزلهن جد فيقول "ثلاثة لا لعب فيهن النكاح، و الطلاق ،و الصدقة".(٣٦)

٣-استخام العديد من نظم التوزيع:ومن النظم التي استخدمها الامام عليه السلام في التوزيع هي :-

أ-ظاهرة التسوية في العطاء:اشتهر الامام بالتسوية في العطاء وعندما عوتب على التسوية في العطاء قال "تأمروني ان اطلب النصر بالجور،ولو كان المل لي لسويت بينهم،فكيف وأنما المال مال الله" .

ب-محاربة نشوء الاقطاع والحمى:يقول الامام عليه السلام عن الاقطاعيين الذي ملكوا الاموال قبل خلافته بسبب نظام الاقطاع"والله لو وجدتهم تزوجوا بهذه الاموال النساء،وملكوا بها الاماء أني رادها،ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق وقد بدأ الامام بمحاربة نشوء الاقطاع،باتباعه سياسة المساواة في العطاء منذ مطلع خلافته في المدينة يذكر ان عليه السلام صعد المنبر في اليوم الثاني من بيعته في المدينة فقال "انتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على احد،واذا كان غدا ان شاءالله فأغدو علينا وان عندنا مالا نقسمه بينكم ولا يتخلفن احدا منكم عربي ولا اعجمي كان من اهل العطاء او لم يكن الا حضر ولم يفضل احدا على احد". (٣٧)

٤-الانضباط في الية التوزيع:

فقد استخدم الامام علي عليه السلام اساليب ووسائل فنية ومنضبطة،لتحقيق التوزيع العادل بين الناس ونوضحا فيما يلي :

ا-كان العطاء يوزع في المدينة بواسطة العرفاء-في خلافته عليه السلام- اذ كان لكل قبيلة عريف،يقوم بتوزيع العطاء على افرادها،وانه عليه السلام كان يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة فيقسمونه،وصار العطاء في خلافته يوزع مرة واحدة في السنة.

ب-تعيين خازن على الاموال قبل توزيعها على الناس،حيث كانت الارزاق تخزن في مكان يقال له الجار.

ج-كان الامام عليه السلام يتحرى الدقة في التسوية بتوزيع الانصبة بين الناس بواسطة الوزن،حيث انه كان يزنها ويعطي كل عريف حصته.

٤-معايير التوزيع عند الامام عليه السلام:يقصد بمعاير التوزيع (القاعدة التي تعنبر من ينطبق عليه التوزيع مستحقا لتلقى دخل حقيقي في حالة معينة، ومعايير التوزيع كثيرة منها:

١-معيار المعاوضة:يمكن ان يتم التوزيع بين افراد المجتمع مقايضة،سلعة بسلعة او عن طريق استخدام النقود بالبيع والشراء،او الحصول على خدمات عواما الانتاج حيث يدفع للعامل الذي يعمل بيده او بأية وسيلة اجرا مقابل الخدمة التي يقدمها.

ب-معيار الحاجة:تميز الاسلام بمراعاة احوال المحتاجيين،ومن تأمل هذا المعيار وجده مبنيا على عدة امور كأشتراك الناس في الموارد الطبيعية، وتوزيع الزكاة على المستحقين من المحتاجين لها .يقول الامام عليه السلام

"ان هذه الصدقات ليست للذين لهم في التجارة نصيب". (٣٨)

المبحث الثالث

توزيع الثروات والدخول عند الامام علي عليه السلام

❖توزيع الارض

راعى الامام عليه السلام في توزيع الارض الحالة التي كانت تسودها حين اصبحت ارضا اسلامية فقسمها الى عدة اقسام:

اولا:ارض اسلم عليها اهلها:هذه تكون ملكا لاصحابها،يتصرفون بها كما يشاؤون،استثمار واجارة وهبة وغير ذلك،ولا يحق لهم تعطيلها عن الانتاج فأن عطلوها كان لكل واحد من المسلمين الحق في استثمارها.

ثانيا:ارض صولح عليها اهلها:هذه الارض ينطبق عليها ما اتفق عليه الطرفان في عقد الصلح،وجميع الاراضي التي صولح اهلها عليه.

ثالثا:ارض فتحت عنوة:كان راي الامام عليه السلام في هذه الاراضي ان تكون للمسلمين جميعا ولا تملك ملكية فردية.

❖توزيع الغنائم

الغنائم هي ما اخذه المسلمون من اموال الحربين قهرا بالقتال وقد تناولنا الفرع الاول تقسيم الغنائم اذا كانت اراضي، وفي هذا الفرع سيتم البحث في توزيع الغنائم اذا كانت منقولة كالسلاح والنقود والمواشي،وقد نهج الامام في توزيع الغنائم القسمة التالية:

أولا:الصفي، وهو يصطفيه الامام من الغنيمة قبل القسمة فلا يدخله فيها.

ثانيا:خمس ما بقي بعد الصفي،وهذا الخمس تأخذه الدولة الاسلامية تصرفه في المصارف العامة التي ذكرها الله في قوله تعالى(واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل).

❖توزيع المياه الطبيعية

المياه ثروة مهمة من الثروات الاقتصادية ويمكن تقسيمها الى قسمين:-

الاول:المصادر المكشوفة التي اعدها الله للانسان على سطح الارض كالبحار والانهار والعيون الطبيعية.

الثاني:المصادر المكنوزة في اعماق الطبيعة والتي يتوقف وصول الانسان اليها على جهد وعمل،كمياه الابار التي يحفرها الانسان ليصل الى ينابيع الماء

❖توزيع المعادن والركاز:

تعد المعادن والركاز من المصادر الاقتصادية في الدولة ولذلك اهتم بها الاسلام،وسأعرض لكل منهما مبينا احكامهما عند الامام علي عليه السلام:

اولا المعادن:يراد بها الاماكن التي فيها جواهر الارض،ويدخل فيها الذهب والفضة والحديد والنحاس والنفط. رأي الامام عليه السلام ان توزيع المعادن لواجده وهو الذي يؤدي الخمس لبيت المال.

ثانيا الركاز:هو مال مدفون في الارض لا مالك له وهو دفين الجاهلية وقد قضي الامام في الركاز بان يكون خمسه لبيت المال.

المبحث الرابع

سياسة الامام علي عليه السلام في اعادة التوزيع وحفظ التوازن الاقتصادي

معنى اعادة التوزيع:

هو ادخال انظمة وسياسات محددة لأعادة تقسيم الدخل والثروة بين افراد الامة وذلك لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي.واعادة التوزيع في الاسلام قد تكون نتيجة سياسات مالية واجتماعية تتخذها الدولة كما في الزكاة ونفقات الاقارب والمواريث والكفارات والنذور او طوعية كما في الصدقات النافلة والهبات والوقف.[٣٩]

اولا: اعادة التوزيع الاجبارية: ((وتتضمن)) الاتي :-

١-نفقات الاقارب : قد اوجب الامام علي عليه السلام النفقة على الزوجة والاقارب، واشترط في النفقة ان تكون كافية للحاجات الضرورية من طعام وشراب ولباس.

٢-الزكاة:وهي ركن من اركان الاسلام،وتعد نظاما بعيد المدى واسع التاثير في توزيع الاموال بين الافراد،ويظهر هذا الاثر انها توزع على الاصناف المذكورة في نص القرآن الكريم .. ومن حرص الامام علي عليه السلام على ضرورة توزيع الزكاة على الاصناف المذكورين في كتاب الله تعالى،انه لم يجز اعطاء الرجل زكاة ماله الى من تجب عليه نفقته،لانه بذلك يكون دافعا لنفسه، قال الامام عليه السلام "ليس لوالد ولا ولد حق في صدقة مفروضة ومن كان له والد او ولد فلم يصله فهو عاق".[٤٠]

٣-العطاء:هي مبالغ سنوية او شهرية،تدفع من فائض بيت المال لصالح كل فرد او رب اسرة وقد اعتمد الامام على سياسة التسوية في العطاء بين الافراد ولم يفضل احد على احد واعطى الموالى كما اعطى العرب الصرحاء

وقد اتبع عليه السلام هذه السياسة في التسوية منذ مطلع خلافته في المدينة

فقد خاطب اهل المدينة قائلا"انتم عباد الله والما مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لاحد فيه على احد ". (٤١)

٤-الميراث:ان نظام الارث في الاسلام يوزع ثروة المتوفي بعد الديون والوصايا،ولما كان هذا النظام يتعدد فيه الورثة،ولاتصح الوصية باكثر من الثلث،ولا الوصية بأكثر من الثلث ولا الوصية لاي من الورثة فان اثره في تفتيت الثروة يكون كبيرا .وللامام علي عليه السلام اجتهادات واسعة في مسائل الميراث ابرزها قضائه في مسالة العول، وهي اذا ضاقت المسالة عن استيعاب سهام المستحقين،فقد قضى عليه السلام في هذه المسالة بقوله "الفرائض تعول".

اعادة التوزيع الاختيارية: والتي تتضمن الصدقات التطوعية والقروض.

النتائج:

بعد هذا التطرق في سياسة امير المؤمنين الامام علي عليه السلام الاقتصادية ، يحسن بالباحثة ان تبرز نتائج الدراسة لتكون زادا للدارسين في

هذا المجال، والتي يمكن تلخيصها بما يلي :

اولا: اليساسة الاقتصادية والمالية العامة:

١-لعبت سياسة الانفاق العام عند الامام عليه السلام دورا مهما في التنمية الاقتصاديةللبلاد الاسلامية وكان لها اثار مباشرة على الامة الاسلامية،وكان كتاب الامام عليه السلام الى الاشتر النخعي منهجية تبين سياسة الانفاق العام التي تتبناها والتي تؤدي الى التنمية الاقتصادية، وتوجيه الاقتصاد ذاتيا لمنع الكساد ومن ثم تحقيق الاستقرار الذي يساعد بدوره على التنمية.

٢-حدد الامام عليه السلام الغرض من فرض التكاليف للاصلاح الاقتصادي، في مجال توزيع الثروة وفي تشجيع الانتاج، ولحماية امن الدولة.

٣-وفي مجال فرض الضرائب،بين الامام اصول الجباية التي يجب ان تراعى عند فرض الضريبة، من حيث،اختيار الزمان والمكان الاهون على المكلف عند اخراجه الضريبة،فقد دعا الجباة الى مراعاة ظروف الممول فلا يطالب الا في وقت يساره ونتاج موسمه وبيع مصنوعاته .

٤-فرض الامام عليه السلام ملكية المال ووسائل الانتاج قيودا،تتمثل في الزام المالك بأستثمار ماله و تنميته بالطرق المشروعة،يظهر هذا من خلال اجتهاده في مسالة كنز المال ،" حيث اعتبر ان اربعة الاف درهم نفقة وما دونها كنز ".

ثانيا:التنمية الاقتصادية:

دعا الامام عليه السلام الى عدة سبل من شانها ان تنهض في التنمية الاقتصادية للدولة. وتوصلت الباحثة الى ان هذه السبل منها ماهو غير مباشر كالموازنة بين الزهد والعمل ،حيث كشفت الدراسة ان للزهد عند الامام مفهوما حقيقيا يجمع بين العبادة والعمل، فقد بين الامام ان الطيبات والموارد التي اودعها الله في هذه الارض،يجب استخدامها والاستفادة منها بما يحقق الرفاهية للانسان.

اما بالنسبة للوسائل المباشرة فمن ابرزها مسالة التسعير،حيث ان الامام منع التسعيرما دامت الامور تسير في السوق الاسلامي سيرا صحيحا عند عدم كوجود الاحتكارات او التحكم في البياعات.

وكان للامام عليه السلام اهتمام بارز في التجارة والصناعة،حيث انه امر بالاهتمام بالتجار والصناع وستوصى بهم خيرا، كما انه دعا الى مراقبتهم،حيث قضى بمعاقبة التجار اذا ظهر منهم احتكار،وبتضمين الصناع اذا كانت صناعتهم غير مطابقة للمواصفات المتفق عليها.

ثالثا:التوزيع:

اتسمت سياسة الامام عليه السلام في التوزيع بسمة بارزة هي التسوية في العطاء فقد لجأ الامام الى هذا المجال بعد مرحلة تميزت بالتفاوت في العطاء الذي ترتب عليه نتائج اقتصادية عملت على خلق طبقات اقتصادية متسعة الافق.

رابعا:السياسة الاقتصادية في مجال التوازن:

يتضمن التوازن عند الامام علي عليه السلام ،عدة مجالات كالموازنة بين قطاعات الاقتصاد الثلاثة من تجارة و زراعة و صناعة ، ومن النقاط البارزة في سياسة تحقيق هذا التوازن انه جعل اراضي السواد لخدمة اغراض التوازن الاجتماعي، وذلك بعدم تمليكها للفاتحين وانما تبقى هذه الاراضي موقوفة للمسلمين جميعا يتوارثوها جيلا بعد جيل ويمكن تطبيق هذه الصورة في الوقت الراهن، بان تقوم الدولة بتخصيص جزء من ناتج بعض المشروعات العامة للانفاق منها على اغراض التوازن الاجتماعي اضافة الى النفقات الاخرى.

تلك ابرز نتائج هذه الدراسة الاقتصادية التي تبرهن على ان الامام علي عليه السلام قد بلغ شأنا كبيرا في سياسة حكيمة ، وخطة محكمة، لو قدر الله له الاستمرار بالخلافة لسنوات لظهرت بصماته الاقتصادية على الامة الاسلامية بشكل اكثر وضوحا .

الملخص

تعتبر السياسة الاقتصادية هي الوسيلة التي تنتهجها الدولة للوصول الى الاهداف المنشودة منها ، فيما يتعلق بالرفاهية الاقتصادية، والتنمية الاقتصادية، وغيرها من جواني الحياة .

إن المجتمع العراقي وكجزء منه مجتمع مدينة الكوفة يعاني من مشكلات كثيرة، في النشاطات الإنتاجية والخدمية، مثل الز ا رعة والصناعة والتجارة، وفي مجال القوانين المتعلقة بإيرا ردات الدولة العامة ونفقاتها، وفي مجالات عمارة الأرض والسكن، و اشباع حاجات المجتمع الضرورية والحافظة على الأموال العامّة،

وبالتالي نحن بحاجة إلى إصلاحات واقعية وعميقة، تستطيع اختزا ل هذه المشكلات و معالجتها و من ثم النهوض بالاقتصاد و المجتمع. قد شهد العالم بافكار الامام علي عليه السلام في جميع المجلات الاجتماعية والاقتصادية، وقد انقذت افكار الامام عليه السلام وخاصة الاقتصادية الامة الاسلامية من الظلم والتعصب والفقر والحرمان في فترة ولايته، فقد حكم الامام علي عليه السلام بالحكم الاسلامي الخالص الذي ما زالت اثاره الايجابية تدور في افاق عالمنا المعاصر، فالامام علي عليه السلام كان المعلم الاول

بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه واله بالتربية التي انتهجها مجتمعنا الاسلامي والمجتهد في اختصاصات الدين والدنيا، فقد شجع الامام علي الامة الاسلامية على العمل والانتاج وعدم التكاسل في مجالات الحياة الاقتصادية من اجل القضاء على الفقر والحرمان.

ان نتائج الاصلاحات الاقتصادية والمالية التي حققها الاما م علي عليه السلام خلال فترة وجيزة – وان واجهته صعوبات في ذلك- حيث استطاع ان يحقق التوزيع العادل للثروات والدخول ، ان هذه النتائج اصبحت ضرورة ملحة على الباحث بدراستها وتحليلها، ومعرفة الاسباب التي أدت اليها لاخذ العبر منها، واستنتاج منهج التغيير والاصلاح الذي اتبعه الامام علي عليه السلام ودراسة امكانية تكرار هذه التجربة في زمان اذا سلك الطريق نفسه ..

وتهدف هذه الدراسة الى الكشف عن الفكر الاقتصادي عند الامام علي عليه السلام لتحليله وابرازه ليصبح شاملا جامعا . لغرض الاستفادة منه .

كلمات دالة: الامام علي عليه السلام،تنمية اقتصادية،اصلاحات اقتصادية،فكر اقتصادي

Summary□

Economic policy is the means used by the state to achieve its desired goals in terms of economic welfare, economic development and other aspects of life.

The Iraqi society, as part of it, suffers from many problems in productive and service activities, such as agriculture, industry and trade, in the field of laws related to the revenues and expenditures of the state, and in the areas of land and housing ,,□

Therefore, we need real and profound reforms that can overcome and address these problems and thus promote the economy and society. The world has witnessed the ideas of Imam Ali (peace be upon him) in all social and economic magazines. The ideas of the Imam, peace be upon him, especially the Islamic nation's economy, having been saved from injustice, intolerance, poverty and deprivation during his term. Imam Ali, peace be upon him, ruled the pure Islamic rule. The Imam Ali peace be upon him was the first teacher after the great Prophet, peace be upon him and the education of our Islamic society and diligent in the

specialties of religion and the world, the Imam Ali encouraged the Islamic nation to work and production and non-laziness in the fields Economic life in order to eradicate poverty and deprivation.

The results of the economic and financial reforms achieved by the nation upon him in a short period of time - and faced with difficulties in that - where he managed to achieve the equitable distribution of wealth and income, these results became an urgent necessity for the researcher to study and analyze, and know the reasons that led to it to take lessons from them , And the conclusion of the method of change and reform followed by Imam Ali peace be upon him and study the possibility of repeating this experience in a time if the same path..

This study aims at revealing the economic thought of Imam Ali (peace be upon him) to analyze and make it comprehensive. For the purpose of benefiting from it.

Keywords: Imam Ali peace be upon him, economic development, economic reforms, economic thought □

الهوامش:

١ – احمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية، ص٣٥.

٢ – احمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية،ص ٦٤.

٣ – يوسف كمال، فقه الاقتصاد الاسلامي،ص ١٢٣.

٤ – يوسف كمال، فقه الاقتصاد الاسلامي،ص ١٢٣.

٥ – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص ٥٦.

٦ – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ٢٢٥.

٧ – يوسف كمال، فقه الاقتصاد الاسلامي،ص ٦٧.

٨ – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ٤١٢.

٩ – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ٤١٤.

١٠ – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ٤١٤,٤١٥.(١,٢).

١١ – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص،٧٨.

١٢ – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص،٧٨.

١٣ – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ٤١٥.

١٤ – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص،٧٨.

١٥ – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص ٧٨و٧٩، ١,٢.

[١٦] – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص ٨١و٨٢ ، ١,٢.
[١٧]- البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص ٨٣و٨٤، ١,٢,٣.
[١٨] – البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية،ص ٨٥.
[١٩] – البغوي،ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء، ص ٣٢٤.
[٢٠] – البغوي،ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء، ص ٣٢٧.
[٢١] – البلاذري،فتوح البلدان،ص، ٥٩ و ٦٠، ١و٢.
[٢٢] – البلاذري،فتوح البلدان،ص ٦٠.
[٢٣] – اويس كريم محمد،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص ١٢٩.
[٢٤] – اويس كريم محمد، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ١٣٠و ١٣١.
[٢٥] – اويس كريم محمد، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ،ص ١٣٤.
[٢٦] – البهي الخولي،كتاب الثروة في ظل الاسلام،ص ٩٨و٩٩، ١,٢,٣.
[٢٧] – البهي الخولي،كتاب الثروة في ظل الاسلام،ص ١٠١و ١٠٢.
[٢٨] – البهي الخولي،كتاب الثروة في ظل الاسلام،ص ١٠٤ و ١٠٦، ١,٢.
[٢٩] – البهي الخولي،كتاب الثروة في ظل الاسلام ،ص ١٠٧.
[٣٠] – البهي الخولي،كتاب الثروة في ظل الاسلام، ص ١٠٨.
[٣١] – الجواهري،اسماعيل بن جمال،الصحاح، ص ٦٥.
[٣٢] – الحاوي كاشف الغطاء، سندات نهج البلاغة ، ص ٢٨٦.
[٣٣] – الحاوي كاشف الغطاء،سندات نهج البلاغة،ص ٣٢٢. محمود
[٣٤] – الحاوي كاشف الغطاء،سندات نهج البلاغة،ص ٢٢٣.
[٣٥] – محمود بابلي،الاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية،ص ٧٣.
[٣٦] – محمود بابلي،الاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية،ص ٧٦.
[٣٧] – الحاوي كاشف الغطاء،سندات نهج البلاغة،ص ٢٨٨.
[٣٨] – الحاوي كاشف الغطاء، سندات نهج البلاغة ، ص ٢٩٠.
[٣٩] – محمد الجندي ،قواعد التنمية الاقتصادية، ص ٣٤.
[٤٠] – محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ص ٢٥٦.
[٤١] – محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ص ٢٥٦و ٢٥٧ ، ١,٢.

المصادر:

١-احمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ، ١٩٨٦ .

٢-احمد فراج حسين وعبدالودود محمد،اصول الفقه الاسلامي،الدار الجامعية، بيروت ١٩٩٢.
٣-الاندلسي،محمد بن يوسف البحر المحيط، دار الكتب العلمية،بيروت،ط ١، ١٩٩٣.
٤-البابرتي،محمد بن محمود شرح العناية على الهداية، دار احياء التراث،بيروت
٥-اويس كريم محمد، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد-ايران ١٩٩٤.
٦-البغوي،ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء(٥١٦ ه)ومعالم التنزيل،دار المعرفة،بيروت،ط ١ ، ١٩٨٦.
٧-البلاذري،فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١، ١٩٧٨.
٨-البهي الخولي ،كتاب الثروة في ظل الاسلام،دار الاعتصام،القاهرة، ط٣،سنة ١٩٧٨.
٩-الجواهري،اسماعيل بن جمال، الصحاح، دار العلم للملايين،بيروت،١٩٥٦،تحقيق احمد عبد الغفور.
١٠-الحاوي كاشف الغطاء، سندات نهج البلاغة،مكتبة الاندلس،بيروت،١٩٥٩.
١١-محمد باقر الصدر، اقتصادنا، المجمع العلمي للشهيد الصدر،ط٢، ١٩٨٨.
١٢-محمد الجندي ،قواعد التنمية الاقتصادية،دار النهضة،القاهرة،مطبعة القاهرة، ١٩٨٥.
١٣-محمود بابلي، الاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية،دار الكتاب اللبناني،بيروت، ط١ ،سنة ١٩٨٠.
١٤-يوسف كمال، فقه الاقتصاد الاسلامي،دار القلم للنشر،بيروت،ط١، ١٩٨٨.
١٥-الوافي المهدي، الاجتهاد في الشريعة، دار الثقافة، مراكش ١٩٨٤.

الكوفة عاصمة الامام علي (عليه السلام) (الدوافع والاسباب)

م.م. رغد الخزرجي
جامعة الكوفة / كلية العلوم السياسية

المقدمة :

الكوفة مدينة في العراق تقع على ساحل نهر الفرات ،اعيد تأسيسها سنة ١٧ه/٦٣٨م بعد انتصار المسلمين في معارك القادسية والمدائن وجلولاء ،لتكون قاعدة عسكرية ومقرا عاما لقيادة جيوش المسلمين نحو الشرق ودار هجرة لأشهر الصحابة واعرق القبائل العربية المقاتلة ،ثم تحولت هذه القاعدة العسكرية الى مدينة عضيمة في فترات قصيرة وصارت منارا علميا وادبيا ،ومركزا فكريا وسياسيا لانظير له [١].

اختصت الكوفة عن سائر البقاع بالفضل والقداسة والكرامة حيث طهارتها من الناحية الدينية ،وطالما سالت على ارضها الطاهرة دماء زكية وشرفتها اقدام مشرفة ، فقد تشرفت تربتها الطاهرة بضم جثمان عدد من الارواح المقدسة من انبياء الله واولياءه ومنهم النبيين ادم ونوح عليهما السلام .كما ضمت جسد الامام علي (عليه السلام) وهو القائل فيها : ((كأني بك ياكوفة تمدين مد الاديم العكاضي ،تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لأعلم انه ماراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله بشاغل او رماه بقائل)) [٢].

تكون المجتمع الكوفي من عدة عناصر مختلفة مثلت مزيجا فريدا من نوعه ،متميزة عن بقية الامصار والمجتمعات ، امتزجت فيه الكوفة بثقافات مختلفة وعادات وتقاليد وشعائر واديان ،فقد هاجر اليها كبار المسلمين من مختلف الافاق وسكنتها القبائل العربية من اليمن والحجاز والجاليات الاجنبية (الفارسية من المدائن وايران) فعمرت فيها الاسواق التجارية وزهت فيها الدراسات العلمية والابحاث الادبية والفقهية ولم تنازلها في كافة البلاد الاسلامية الاخرى ماعدا البصرة .

مثلت مدينة الكوفة ثقلا حضاريا كبيرا ، وعدت كواحدة من اهم المراكز العلمية والسياسية في فترات مابعد الاسلام وخاصة حينما بؤاها امير المؤمنين (ع) مقعدها الحقيقي وصارت عاصمة للدنيا ودار هجرة لأشهر الصحابة واعرق القبائل العربية ،فكانت من كل ذللك منارا علميا وادبيا ومركزا فكريا وسياسيا لامثيل له ،نمت نموا

متواترا حتى بلغت شهرة هذه المدينة الوئادة للمعرفة الافاق وحفل تاريخها بأروع الانجازات في اللغة والادب فكانت الكوفة من كل هذا المعين الذي ارتوى منه الكثير من عباقرة العلم والشعر واللغه والادب امثال ابي الاسود الدؤلي وجابر بن حيان .

تكون البحث من هذه المقدمة ومبحثين :تناول المبحث الاول مدينة الكوفة والخلافة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام) ،واختص المبحث الثاني لبيان العلة من اختيار الامام الكوفة عاصمة لخلافته الاسلامية وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المبحث الاول : الكوفة والخلافة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام)

اولا :مدينة الكوفة (النشاة والتسمية)

سميت الكوفة بهذا الاسم لأستدارتها او اجتماع الناس بها ،ويرى بعض اللغوين انها سميت الكوفة من قولهم :تكوف الرمل اي ركب بعضه بعضا .والكوفان :الاستدارة ويرى البعض انها سميت الكوفة لان سعد بن ابي وقاص بعد موقعة القادسية نزل في منطقة الانبار ومعه المقاتلة من المسلمين ،ثم ارتاد لهم موقع الكوفة ،وقال لهم :تكوفوا في هذا الموضع اي اجتمعوا فيه .وحدد المؤرخون هذا الحدث في عام ١٧ه وذللك في عهد عمر بن الخطاب وبناء على طلبه اختط سعد بن ابي وقاص الزهري مدينة الكوفة .ويبين الدكتور حسن الحكيم ان مصطلح الكوفة مشتق من تكوف القوم وتجمعهم او من الرملة الحمراء المستديرة ،وان كلاهما ينطبقان على تخطيط الكوفة ومن ثم تحولها الى مصر اسلامي يناضر مدينة البصرة التي خططت عام ١٤ه[٣].

تحتل منطقة الثوية ،ومنطقة الغري جزء من ضهر الكوفة ،وان هاتين المنطقتين تشكلان ارض النجف الاشرف ويعود تاريخها الى عصور ماقبل الاسلام ،فبنيت في ضهر الكوفة او ضهر الحيرة القصور والاديرة والقلاع والحصون والمقابر ومنها (الغريان)حيث مرقد امير المؤمنين (ع) بينهما .ولقد اطلق على هذه الارض لفض (نجف الحيرة) اي ماارتفع من ارض الحيرة ،كما اطق لفض (نجف الكوفة) ويلتقي اللفضان في معنى واحد وهو ماارتفع من ارض هاتين المدنتين ،ولما اراد سعد بن ابي وقاص تخطيط الكوفة خرج معه المقاتله من المسلمين الى منطقة الضهر التي كانت تسمى خد العذراء [٤] .

ويبدو ان فكرة أنشاء مدينة الكوفة وخططها عائد الى التجمع الهائل من القبائل العربية الكبيرة والقوية من امثال قبيلة قضاعة وتميم التي وصلت المنطقة نتيجة الفتوحات،مما جعل لها مكانا ساميا ًللتاريخ المضطرب في جزيرة العرب بعد الحركات المناوئة لحكم الدولة والتي سميت فيما بعد بحركات الردة والمرتدين [٥].

ثانيا:الخلافة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام) :

بعد استشهاد النبي(صلوات الله وسلامه عليه) وتحت مسميات الشورى والانتخاب التي كانتا اشبه بالانقلاب , ما كان على الامام(سلام الله عليه) رغم امتلاكه الاساس الشرعي غير القبول بالأمر الذي فرضته الساحة السياسية, فتنازل عن الدور من اجل الحفاظ على وحدة الامة, ولكنه لم يتنازل عن المبدأ الذي اقره له رسول الله (عليه الصلاة والسلام) اي انه (سلام الله عليه) تنازل عن السلطة في حينها ولم يتنازل عن الفكرة, فقد فسح الطريق للخط القبلي ليحكم لكنه لم يفسح له الطريق ليعبث بالاسلام[٦].

وانطلاقا من ان السلطة والمنصب ليسا هدفا في القيادات الالهية ، فأن الامام علي (ع) قد حفض امور المسلمين على تسلم مقاليد الخلافة مع تأكيده على حقه. وقد اشار الامام علي (ع) في كثير من المناسبات الى صبره على انحراف الخلافة الاسلامية عن خطها الصحيح بدافع الحفاض عن الاسلام [٧] .

وعندما تمت البيعة له(صلوات الله عليه) اراد بهذه الخلافة الالتزام المطلق بالاتجاه الاسلامي, هذا الاتجاه الذي لايروق لمن يريد منه تحقيق المأرب الشخصية والقبلية والعنصرية .

,فأمير المؤمنين(عليه السلام)الذي تتجسد فيه المثل العليا ويريد بناء قيم ومباديء راسخة لأقامة المجتمع الاسلامي ، ودولته الشاملة بكل الابعاد الانسانية والدينية لا ينظر لتلك الخلافة بمفهوم الطامع الى قمة السلطة بأي طريق او سلوك مهما كان نوعه وهذا ما أشار له ابن عباس فيقول (دخلت على علي بذي قار, وهو يخصف نعله ,فقال : ما قيمة هذا النعل ؟

فقلت: لا قيمة لها.

فقال(عليه السلام :)والله هي أحب الي من أمرتكم الا ان أقيم حدا من حدود الله وأدفع باطلا فلا هدف عنده منها إلّا إحقاق الحقّ ودفع الباطل [٨] .

ان امير المؤمنين(صلوات الله عليه) ينظر لمنصب الخليفة على ان يكون مضحيا بزهوالمنصب وجاهه ساحقا غرور السلطة مسخرا نفسه مشروعا للحكم بالعدل والسهر عليه,فيضع(عليه السلام)نفسه ميزان بينه وبين ابناء الخلافة الاسلامية ,مشاركا افق بناء الرعية في مستوى عيشه, فيقول (: أ اقنع أن يقال: هذا أمير المؤمنين ,ولأشاركهم مكاره الدهر, أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش [٩] .

حدد الامام المقدار المالي للخليفة قائلا : لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان : قصعة يأكلها هو واهله وقصعة يطعمها,) (ولكن يجب ان نلاحظ ان الامام لا يفرض هذا النمط من الزهد) الا على الخليفة نفسه اذ قال(عليه السلام:)ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره... على ائمة الحق ان يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الاكل واللبس ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه يراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويرهم الغني فيزداد شكرا وتواضعا [١٠] .

وعندما قدم مولانا امير المؤمنين (عليه السلام) الى الكوفة وهو خليفة وكان عليه از ا ر ا رن قطريان, قد رفع از ا رره بخرقة من و ا رئه, فجاءه اع ا ربي فنظر الى تلك الخرقة! فقال: ياامير المؤمنين كل هذا من الطعام , والبس وركب, فانك ميت او مقتول فقال(عليه السلام :)هذا خيرا ا لي في صلاتي واصلح لقلبي وأشبه بسنة الصالحين قبلي ,وأجدر ان يقتدى به من اتى من بعدي[١١].

من ذللك يتبين لنا ان الخلافة كمنصب وجاه ليست غرضا ولاتستحق ان تكون غاية وهدفا ،والنعل البالية افضل منها ما لم يترتب عليها اقامة الحق وازهاق الباطل .

المبحث الثاني :عوامل اتخاذ الكوفة عاصمة للامام علي (عليه السلام)

أختلفت أراء المؤرخين في سبب اختيار الامام علي بن أبي طالب(ع)مدينة الكوفة عاصمة لدولته الجديدة بدلا من المدينة المنورة في القرن الأول الهجري،وأختلاف وجهات النظر جاءت لاختلاف وجهة نظر المصادر والمراجع والباحثين على مر

العصور. ان الأختلاف لا يفسد في الود قضية ،لابل يزيدها قيمة وأهمية.نحن لسنا بصدد عرض الأختلاف بقدر ما نهدف الى توضيح الأسباب .

عند خروج امير المؤمنين(عليه السلام)كان عازما على أختيار(الكوفة) كعاصمة لخلافة المسلمين, فعند مسيره من المدينة إلى البصرة أرسل كتابا الى أهل الكوفة هذا نصه (: أَمَّا بَعْدُ ,فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي ,) (هذَا :إِمَّا ظَالِماً ,وامَّا مَظْلُوماً ,وامِّا بَاغِياً , وامَّا مَبْغِيّاً عَلَيْه.

وَأنا أُذَكِّرُ اللهِ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَىَّ ,) (فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي ,وانْ كُنْتُ مُسْيئاً استبعتني) [١٢] .

وهنا هذا الكتاب يشير الى ان هذا الاختيار لم يأتي اعتباطا, فطيلة حياة الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)لم يعتمد على المواقف المرتَجلة ,والتصرفات العفوية ,بل كل مسالة في

حياته كانت وفق الضوابط الالهية والمنطقية, فكل حركاته وسكناته وتصرفاته في خط الرسالة ,كونه إمام الفصحاء ,وسيد البلغاء والحكماء ,بعد نبيّنا الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم,)ووصيه وخليفته ووزيره, فهو الامام المعصوم عندما يختار شيء يكون هذا الاختيار صحيحا وصائبا ومدروسا من كل الجوانب [١٣].

عن امير المؤمنين علي {ع} انه قال : أول بقعة عُبِدَ الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة ، ويذكر إن الكوفة إحدى المدن المهمة في العراق، كانت معقلاً لأنصار أهل البيت ومغرساً للشيعة، وقد اتّخذها علي {عليه السلام} ، عاصمة لحكومته. ورويت في فضلها أحاديث كثيرة. وطبقاً لما نقل عن الإمام الصادق {عليه السلام} ، أنّه وصفها بحرم علي بن أبي طالب، وفسرها بأنها هي "طور سينين" الوارد ذكره في القرآن الكريم" ،كما ان مدينة الكوفة من مدن الاسلام القديمة، وفيها شيعته ومحبوه وأنصاره، "ان الكوفة كانت مهداً للشيعة، وموطناً من مواطن العلويين، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت {عليه السلام}، في كثير من المواطن"[١٤].

فالكوفة المشرفة ارض اختارها الله تعالى قبل الاسلام, لتكون بقعة مباركة قبل نزول اول قدم بشرية عليها. ونظر وصي رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)لهذه الحوادث وما يتعلق بالكوفة من حوادث الهية مستقبلا يختلف عن نظرة الانسان العادي, ففي الاخبار الصحيحة خاتم الامامة الامام المهدي(عليه السلام)تكون عاصمته الكوفة, ولعل أمير المؤمنين(عليه السلام) ا رد أن يضع بصماته المقدسة على معرفة هذه القضية لكل الاجيال المتعاقبة, ليكون من الكوفة المقدسة بداية الامامة على يد ابو الائمة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام,)ونهاية وختام الامامة على يد ابن الائمة الحجة الامام المهدي محمد بن الامام الحسن العسكري بن الامام علي الهادي بن الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي السجاد بن سيد الشهداء الامام الحسين بن قائد الغر المحجلين مولانا امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين) (١٥).

ولعل الامام(عليه السلام)ا رد من عاصمته ان تكون الكوفة لغرس الامل بغد افضل بقيام ثورة عالمية تصحح وضع عالم الاسلام ومن ثم يقودها رجل من اهل البيت هو الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف .

بشر الامام(عليه السلام)بفكرة المهدي المنتظر في عدة نصوص , شحذ من خلالها الطاقات واعطى الامل للإنسانية بغد افضل اذ يقول(عليه السلام :) (الا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون ...تخرج له الارض افا ليذ اكبادها وتلقي اليه سلماً مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحي ميت الكتاب والسنة) (ويبشر لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس) على ولدها وتلا عقيب ذلك{ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض

ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين فربما هذه الاحداث الالهية والسبب الاخير كان أحد الاسباب الرئيسية التي جعلت أمير المؤمنين عليه السلام يختار الكوفة (١٦).

أن العوامل التي دفعت النبيّ(صلّى الله عليه وأله وسلّم) إلى الهجرة إلى المدينة ,هي نفسها كانت السبب في ترك الإمام عليّ(عليه السّلام) المدينة إلى الكوفة الكوفة المقدسة

عاصمة للخلافة الاسلامية الامام علي بن ابي طالب في المدينة المنورة بعد استشهاد الرسول الأكرم(صلّى الله عليه واله وسلّم,)تعرض وصيه وخليفته ووزيره الى محنة الاقصاء العملي التي منعته من مواصلة القيام بمسؤوليته القيادية للأمّة ,على مستوى الدولة والمجتمع [١٧].

المدينة لم تكن شديدة الولاء للشرعيّة ,المتمثّلة في الإمام عليّ(عليه السّلام ,)وصيّ الرسول بنصّ يوم الغدير ,بل ربّما نجد فيها ما يدل على عكس ذلك ,ولا سيّما بملاحظة :أنّ الأُمويين ,ومحبّيهم ,والزبيريين ومَن ينتمي إليهم من أهل الأطماع , وبالتالي كلّ مَن وَتَرهم الإسلام على يد أمير المؤمنين عليّ(عليه السّلام ,) ممّن لم يكن ينطلق من قاعدة إيمانيّة ثابتة ..كلّ هؤلاء كانوا إلى المتمرّدين من الناكثين والقاسطين أميلَ منهم إلى الشرعية المتمثلة في الإمام عليّ(عليه الصلاة والسّلام ,)بل لقد صرّح الإمام السجّاد(عليه السّلام) بأنّه لم يكن يحبّهم في مكّة والمدينة ثلاثون رجلا [١٨] .

كان امير المؤمنين(عليه السلام) يواجه تحدّياً سافرا في المدينة من فئات داب همها الاول والاخير البحث عن امتيا ا زت مهمّة ,من نوع خاصّ , على حساب الإسلام والأمة, ولذلك كان موقفهم موقف المعارضة والعصيان, فكانوا سببا في حوادث الفتنة والانحراف التي تحولت الى جبهات تنخر جسد المجتمع الاسلامي [١٩].

رأى(سلام الله عليه) المجتمع الإسلامي قد تردى في هوة من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية في زمن الخليفة السابق عثمان, وهذا التردي بسبب سياسة ولاة عثمان خلال مدة الخلافة مما أدى الى ان المجتمع فقد الثقة بالقوة الحاكمة .ولذلك عندما طالب هذا المجتمع بعد مقتل عثمان ان يكون الامام علي(عليه السلام)خلفية للمسلمين رفض امير المؤمنين (عليه السلام) في البداية طلبهم, وجاء هذا الرفض لاختبار هذا المجتمع وكشف مدى استعداده لتحمل المنهج الإسلامي الصحيح في الحكم , حيث خاطبهم قائلا (: دعوني والتمسوا غيري , فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان , لا تقوم له القلوب , ولا تثبت عليه العقول , وان الآفاق قد أغامت , والمحجة قد تنكرت , واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم , ولم أصغ إلى قول القائل

وعتب العاتب , وان تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم [٢٠] .

ان بنية الفضاء الداخلي للمدينة (الكوفة) واقامة المساحة المركزية فيها،اصبحت اختيارا موفقا كمركز للسلطة والدين والتجارة بعد ان تمدنت واصبحت تفي بالاطار السياسي لوجودها وتطورها والرسم الذي انطلق فيه بناء المدينة ونشوئها.انها كانت نقطة البداية لنواة عملت على ملىء الاتجاه الذي سيكون عليه التطور المقبل في الدولة الاسلامية . بعد ان اصبحت نموذجاً للامصار الاسلامية التي بنيت بعدها ،باعتبار ان هذا التخطيط كان منظما ومدروسا اكثر مما يكون الانتظام ،لكنه كان بحاجة ماسة الى أدامة وتطوير مستمر[٢١].

ومن وجهة نظري ان هذه المدينة المنشأة وفكرة بنائها واتخاذها كعاصمة جديدة للدولة تشكل استثناءً في تاريخ الاسلام ، لان من النادر ان سبق تصورها او تصميمها،وهي دليل مادي ثبت ان العرب عرفوا بناء المدن وتصميمها وفتح الشوارع العريضة فيها وبناء دار الامارة والمسجد الجامع، والموقع الاستراتيجي لها على طرق التجارة والاتصالات مع الدول المجاورة ،فهي ليست بعيدة عنها ولا تفصلها الموانع الطبيعية كما في المدينة المنورة التي خسرت فيها الخلافة هيبة التقديس [٢٢] .

لقد اصبحت المدينة الجديدة النواة لتشكيل المدينة الاسلامية وكيف تطورت في العهدين الاموي والعباسي حين اعتمدالتضامن البشري في الكيان القبلي القديم رغم ان هذا الاعتماد لم يكن له أدنى مفعول على جغرافية الخطط ،وبالتالي على بنية الحزام للمدينة الجديدة.هذه المدينة التي اصبحت فيما بعدالموقع الاستراتيجي للفتوحات الاسلامية فيما بعد لقربها من مناطق الفتوح وغناها،وما استقرت فيها من قبائل قوية لعبت دورا في تثبيت الدولة وأتساعها [٢٣]

وختاماً نقول : ان بناء مدينة الكوفة واتخاذها عاصمة للدولة اصبحت في عهد الامام قضية تاريخ شمولي اكثر من ان تكون قضية تمصيرمدينة او أعمارها.

هذا التوجه الجديد نحو الكوفة أرى فيه تقويماً على القديم المتعارف عليها في بناء المدن والعواصم وحياة السياسة والثقافة والقضاء في عهده الميمون، لينفتح على الحياة بهذا

الفكر الحضاري ولا يعطلها. ويفتح ابواب التلاقي بين القديم والجديد المتحرك ،مدركاً انها ستكون صاحبة مبادرة جديدة لتآلف القبائل المتخاصمة، بعيدا عن ذكريات الردة والحروب وما علق في الآذهان من مآسيها، أملا في تطبيق الحرية والعدالة وقيم الحكم الجديد بين الجميع ، ليغير المفاهيم المتوارثة في ميادين المعرفة لصنع رؤية جديدة لمستقبل الانسان المسلم قائمة على العقل العلم والحرية وليس على القبلية والثارات القديمة، التي آمن بها هذا العملاق الجديد في حكم الدولة. لتكون بادرة جديدة في توزيع العدل الآلهي المكلف بتطبيقه في مجتمع لم يعرف الا الفرقة والحرب والتعالي على الأخرين. ان فلسفة التشريع التي حملها الامام الى الناس ولا يرى فيها فرقة أوتباعداً،تطبيقا لفلسفته العظيمة التي يقول فيها مخاطبا والي مصر(اسمع ياعمارأنظر الى من معك من الناس أما ان يكونوا أخوة لك في الدين أو نظراء لك في الخلق) نظرية جديدة حملها الامام لبناء الدولة والانسان ليحدد سلطة الدولة عن حقوق الناس عرفها وطبقها قبل فولتير [٢٤].

من هنا اراد ان تكون الكوفة عاصمة جديدة بثوب جديد ليس فيها أنتقالأ من طغيان الى طغيان، بل من عدل الى عدل أكثرليسود الأستقرار بين الناس. وهو يعلم ان الاسلام أقر للانسان بالايمان الذي يشاء،وحقه في الدين واللا تدين الذي يرضاه (لكم دينكم ولي دين) فلا ردة ولا مرتد ولا رجم ولا قتل بل قانون وتطبيق على الكل سواسية دون تفريق. فالسياسة عند الامام شأن جمعي ، والدين شأن فردي . لا يجوز الخلط بينهما والحقوق لكل الناس دون تفريق، هذا ما لم يعرفه المسلمون ابدا عبر تاريخهم الطويل والى اليوم. لقد أدرك الامام منذ عصر مبكر نظرية الحقوق ،لكن القدر قد عاجله فمات وماتت معه نظرية الحقوق [٢٥] .

الخاتمة :

تبين من خلال الدراسة ان الاسباب التي جعلت الامام علي عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمة له بعد المدينة المنورة عديدة وفي مقدمتها :

الموقع الجغرافي ،لان الكوفة تتوسط بين المدينة المنورة والبصرة من جانب ،واقرب منطقة لبلاد الشام ،وبعد فراغ الامام علي (ع) من معركة الجمل لمنازلة خصمه والمتمرد على

السلطة الشرعية معاوية بن ابي سفيان ،لان الرجوع الى المدينة سوف يفسح المجال لمعاوية للتقدم نحو العراق وبخاصة مدينة الكوفة ،وان البعد الجغرافي والعسكري والسياسي والاجتماعي للكوفة جعلها مؤهلة للقيادة.

يوجد في المدينة من هو بعيد عن امير المؤمنين فكرا وولاء ،بل يرى نفسه بازاء امير المؤمين من ناحية المنزلة الدينية والسياسية على العكس من المجتمع الكوفي ،كما غلبت على المجتمع المدني خلال حكم الخلفاء الثلاثة روح الدعة والميل للحياة الرغيدة مما جعلهم بعيدين عن روح التضحية والفداء وقطع البراري والقفار كدعاة ومبلغين للرسالة وحاملين سلاح الدفاع عن قيم الرسالة.

ان الاختيار للكوفة كعاصمة مرده انها أصبحت بعد الفتح المكان الجديد والمناسب لتجمع هائل من القبائل العربية التي جعلوا منها مكاناً سامياً للتاريخ المضطرب ورحما أساسياً للحضارة والثقافة الاسلامية الجديدة.

المخلص:

مثلت مدينة الكوفة ثقلا حضاريا كبيرا ،وعدت كواحدة من اهم المراكز العلمية والسياسية في حقبة مابعد الاسلام وخاصة حينما بواهأ امير المؤمنين (عليه السلام) مقعدها الحقيقي وصارت عاصمة للدنيا ،ودار هجرة لأشهر الصحابة واعرق القبائل العربية فكانت منارا علميا ومركزا فكريا وسياسيا لانضيرلها نمت نموا متواترا حتى بلغت شهرتها وحفل تاريخها باروع الانجازات في اللغه والادب فكانت المعين الذي ارتوى منه الكثير من عباقرة العلم الشعر واللغه .

عوامل الاختيارضعف العامل الاقتصادي في كل من المدينة المنورة ومحطيها الإقليمي بنحو لايؤهلها لتحمل مسؤولية تأمين الدعم الإقتصادي لمعاركه الثلاث ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، على العكس من الكوفة التي فيها ما يؤهلها لدعم المعركة وأسناد الجند بشكل جيد.

ضعف العنصر السكاني في المدينة فانّ عدد سكان المدينة لا يمكنها من إعداد قوّة قتالية كبيرة بإمكانها مواجهة العساكر الأموية في الشام، في حين نرى الكوفة قادرة بطبيعتها السكانية على تلبية هذه الحاجّة الضرورية.

يوجد في المدينة من هو بعيد عن أمير المؤمنين فكراً وولاءً، بل يرى نفسه بإزاء أمير المؤمنين من ناحية المنزلة الدينية والسياسية، على العكس من المجتمع الكوفي.

غلبت على المجتمع المدني خلال حكم الخلفاء الثلاثة روح الدعة والميل للحياة الرغيدة مما جعلهم بعيدين عن روح التضحية والفداء وقطع البراري والقفار كدعاة ومبلغين للرسالة وحاملين سلاح الدفاع عن قيم الرسالة.

كثرة الصحابة الذين اختاروا السكن في الكوفة دون سائر البلدان الإسلامية.

تمتع الكوفة على موقع جغرافي استراتيجي يجعلها تحتل موضع القلب للعالم الإسلامي بين إيران والحجاز والشام ومصر.

الهوامش :

١-طعمه عبد الرزاق ،تاريخ مسجد الكوفة ،(النجف :مطبعة النعمان ،د.ت) ،ص١٢.

٢-فائق الشمري ، الكوفة ...المدرسة العلوية الكبرى (النجف :امانة مسجد الكوفة ،٢٠١٣).

٣-حسن عيسى الحكيم ،الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العملي ،(بيروت :منشورات العامل ،٢٠١١) ،ص١٩

٤-المصدر نفسه .

٥- حسين البراقي ،تاريخ الكوفة ،(بيروت :دار الاضواء) ،ص١٢٧،هاشم حسين المحنك ،الكوفة في معجم البلدان ،(النجف :دار انباء) .ص٣

٦-صالح الورداني ،السيف والسياسية صراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي ،(بيروت :١٩٩٩) ،ص٩٣.

٧- محمد بن عمرو الزمخشري ،ربيع الابرار ونصوص الاخيار ،تحقيق :سليم التميمي (بغداد :١٩٨٢).

٨-المصدر نفسه .

٩- مجاهد منعثر الخفاجي ،خلافة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكوفة ،٢٠١٥.

١٠-الشريف الرضي ،نهج البلاغة ،تحقيق فارس حسون ،ص٥٧

١١-مجاهد منعثر الخفاجي ،المصدر السابق ،ص٤٤.

١٢-المصدر نفسه .

١٣- المصدر نفسه .

١٤-علي الكوراني العاملي ،معجم احاديث المهدي ،(قم:مؤسسة المعارف الاسلامية ،١٤١١)

١٥-الشريف الرضي ،تهج البلاغة،تحقيق د.صبحي ،مصدر سابق ،ص٢٤٠

١٦-طالب علي الشرقي ،الكوفة والنهضة الحسينة ،(بيروت :دار المتقين) ،ص١٢

١٧- ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج٤،ص١٠٤

١٨- مجاهد منعثر الخفاجي ،المصدر السابق ،ص٤٨.

١٩- عادل الاديب ،دور ائمة اهل البيت في الحياة السياسية ،(بيروت :دار المعارف ،١٩٨٨)،ص١٢٦.

٢٠-باقر شريف القرشي ،حياة الامام الحسين ، ج٣ ، ١٥

٢١-امنة محمد ،الكوفة بين الولاء والغدر ،(بيروت :العارف) ،ص٧

٢٢- حسن الحكيم ،المصدر السابق ،ص٢٠

٢٣-الانترنيت :عبد الجبار العبيدي ،حيرة المؤرخين في نقل العاصمة ، (almaaref/books) https://www

٢٤-المصدر نفسه .

٢٥- حسن الحكيم ،المصدر السابق ،ص٢٢.

قائمة المصادر والمرا جع :

١- الشريف الرضي ،نهج البلاغة ،تحقيق فارس حسون.

٢- ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج٤.

٣- امنه محمد ،الكوفة بين الولاء والغدر ،(بيروت :دار العارق) .

٤- حسين البراقي ،تاريخ الكوفة ،(بيروت :دار الاضواء) .

٥- حسن عيسى الحكيم ،الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العملي ،(بيروت :منشورات العامل ،٢٠١١) ،ص١٩

٦-صالح الورداني ،السيف والسياسية صراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي ،(بيروت :١٩٩٩).

٧- طعمه عبد الرزاق ،تاريخ مسجد الكوفة ،(النجف :مطبعة النعمان ،د.ت).

٨-علي الكوراني العاملي ،معجم احاديث المهدي ،(قم:مؤسسة المعارف الاسلامية ،١٤١١).

٩-عادل الاديب ،دور ائمة اهل البيت في الحياة السياسية ،(بيروت :دار المعارف ،١٩٨٨)،ص١٢٦.

١٠- فائق الشمري ، الكوفة ...المدرسة العلوية الكبرى (النجف :امانة مسجد الكوفة ،٢٠١٣) .

١١- مجاهد منعثر الخفاجي ،خلافة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكوفة ،٢٠١٥.

١٢-هاشم حسين المحنك ،الكوفة في معجم البلدان ،(دار انباء ،٢٠١١) .

١٣-محمد بن عمرو الزمخشري ،ربيع الابرار ونصوص الاخيار ،تحقيق :سليم التميمي (بغداد :١٩٨٢).

موقف زيد بن علي من الاوضاع السياسية والاقتصادية في الكوفة بظل الحكم الاموي

م.م شيماء ياس خضير العامري
جامعة ذي قار /كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين النبي الخاتم والرسول الاعظم محمد صل الله عليه واله الاخيار الائمة الاطهار وسلم تسليما كثيرا.

تعد مدينة الكوفة في العصور الاسلامية من المدن المهمة التي احتلت اهمية كبيرة في فترات تاريخية مختلفة ، فقد نالت هذه المدينة النصيب الأكبر من الشهرة سواء في التاريخ القديم او في التاريخ الحديث ، حيث كانت محط رجالات الفكر والادب والقادة الذين رسموا بدمائهم تاريخها العريق .

ان سبب اختيار موضوع(موقف زيد بن علي من الاوضاع السياسية والاقتصادية في الكوفة بظل الحكم الاموي) لتسليط الضوء على الاوضاع السياسية والاقتصادية التي سادت في الكوفة بظل الحكم الاموي وبيان موقف زيد بن علي منها وتصدي لها بالوقوف بوجه السياسة الاموية ومتحديا جبروتها للدفاع عن حق ال البيت عليهم السلام.

اقتضت ضرورة البحث تقسيمه الى محورين ،المحور الاول معنون الولادة والنشأة والنشاط الفكري ، تناولت فيه نسبه الشريف واسرته ونشأته ونشاطه الفكري ، بينما كرست في المحور الثاني المعنون موقف زيد بن علي من الاوضاع السياسية والاقتصادية في الكوفة للتحدث عن طبيعة الاوضاع السياسية التي قاستها مدينة الكوفة بظل الحكم الاموي الذي اشاع حالة من الذعر وعدم الاستقرار فضلا عن التطرق الى الوضع الاقتصادي السيء ومعاناة سكان المدينة من الفقر وثقل الضرائب لننهي المحور بموقف زيد بن علي من هذه الاوضاع المتردية ليعلن ثورته في الكوفة لرفع الضيم عن كاهل المواطنين ، ومع ان ثورته لم يكتب لها النجاح وانتهت باستشهاده عليه السلام الا انها

كانت بوابة لثورات متلاحقة انهت الحكم الاموي فيما بعد ، تليه خاتمة بينت فيها اهم النتائج التي توصلت اليها نتيجة البحث .

اعتمد البحث على مصادر عدة ومتنوعه منها كتاب تفسير غريب القرآن لزيد بن علي وكتاب مسند الامام زيد لزيد بن علي ، وكتاب تاريخ الكوفة ، وكتاب مشروعية الثورة لنوري حاتم وكتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ، والكثير من الكتب التي اغنت البحث بكم من المعلومات القيمة.

المحور الاول : الولادة والنشأة والنشاط الفكري

اولا: نسبه واسرته

هو زيد بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب (١) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر نزار بن معد بن عدنان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام (٢) .

جده الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب عليهما السلام سبط رسول الله صل الله عليه واله وسلم وثالث الائمة الابرار عليهم السلام كنيته أبو عبد الله الحسين عليه السلام (٣) كان مثالا للتدين والتقى والورع وصورة للخلق المحمدي والكمال العلوي ومجمع للفضائل والمكارم وسيد أباة الضيم فمن ثورته تعلمت البشرية الإباء ورفض الجور اذ أعطى لأبنائه وللأمة الإسلامية درساً عملياً في مجابهة الظلم والظالمين والوقوف في وجه العتاة والمارقين لإحقاق الحق ودفع الضيم بعد استشهد عليه السلام في كربلاء يوم ١٠ محرم سنة ٦١ه (٤)

والده الامام علي السجاد عليه السلام (٥) الذي تحمل مقتل ابيه واهل بيته عليهم السلام في طف كربلاء وتحمل زمام الامامة في وقت كانت الخلافة الاموية في اوج قوتها وعدائها الشديد للعلويين حيث عايش مرحلة مضطربة سياسيا الا انه استطاع ان يجمع بين الشؤون الروحية والمنطلقات السياسية فلم ينصرف الى السياسة كل الانصراف بل كانت السياسة شأنا من شؤونه التعبدية الاصلاحية بمقاومة الظلم والاستبداد (٦) من اشهر القابه زين العابدين (٧) وكذلك السجاد لانقطاعه إلى الله تعالى بالعبادة والمناجاة

والسجود اذ كان يقضي جل لياليه في المسجد الحرام يؤدي صلاته وعبادته (٨) الى ان فاضت روحه الشريفة في ٧ صفر سنة ٩٥ ه عن عمر ناهز السابعة والخمسين(٩) .

اما أمه فهي جارية سندية اهداها المختار الثقفي للإمام زين العابدين عليه السلام وقد كانت تسمى بحوريه أو حوراء او جيداء(١٠) وكنيتها بأم ولد وكذلك تدعى غزالة (١١) وقد انجبت اخوته عمر الاشرف وعلي الاصغر وخديجة (١٢) ، اما اخوته من ابيه فالذكور هم الامام محمد الباقر وعبدالله الباهر (١٣) والحسين الاصغر وعبد الرحمن وسليمان ومحمد الاصغر (١٤) والبنات هن ام الحسن وام موسى وكلثوم وفاطمة وعلية وسكينة ومليكة وعبدة (١٥) .

ثانيا : ولادته ونشأته ونشاطه الفكري

في وسط هذه العائلة المكللة بنور النبوة وهدى الامامة ولد زيد بن علي في المدينة المنورة عام (٨١ هـ (١٦) ، اما يوم ولادته فيروي عنه بن قولويه قال كنت عند الإمام زين العابدين عليه السلام فكان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس فجاءه يوم ولد زيد فبشروه به بعد صلاة الفجر فالتفت إلى أصحابه وقال: أي شيء ترون أن اسمي هذا المولود؟ فقال كل رجل منهم: سمه كذا وكذا، فقال: يا غلام علي بالمصحف، فجاؤوا به فوضعه على حجره ثم فتحه فنظر فإذا فيه (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة)(١٧) ثم طبقه وفتحه فنظر فإذا اول الورقة (فلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)(١٨) وفتحه في المرة الثالثة فظهر له (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) (١٩) فقال: هو والله زيد هو والله زيد. فسمي زيداً (٢٠) .

تربى زيد بن علي في حجر أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام الذي تعهده بالآداب ورسم له طريق الهداية فتأثر بسلوك ابيه وانطبعت في ذخائر نفسه صفاته فلم يتبع قيادة نفسه وانما آثر رضا الله وطاعته في كل شيء ، كما لازم منذ نعومة اضفاره اخيه الامام الباقر عليه السلام مما اثر في تكوين شخصيته الدينية فنهل من علومه وتقواه حتى وتخرج على يده وعلى يد الإمام الصادق عليه السلام (٢١) فاخذ من علومهم الربانية وتلقى عنهم السنن النبوية والاحكام الشرعية والفقهية ولطائف المعارف وأسرار الأحكام

فأفحم العلماء واكابر المناظرين من سائر الملل والأديان اذ كان عنده ما تحمله آباؤه الهداة من سرعة الجواب والوضوح في البيان ممزوجاً ببراعة في الخطاب فبلغ من ذلك كله مقاماً لم يترك لأحدٍ مُلتحَداً عن الإذعان له بالنبوغ فقد كان معروفاً بفصاحة المنطق وجزالة القول والسرعةٍ في الجواب وحسن المحاضرة والوضوح في البيان والايجاز في تأدية المعاني على أبلغ وجه فكان كلامه يشبه كلام جده الامام علي عليه السلام بلاغةً وفصاحة (٢٢) .

نشأ زيد بن علي في كنف والده الامام زين العابدين عليه السلام خمسة عشر عام وبعد استشهاد والده عام ٩٥ هـ كفله أخوه الإمام الباقر عليه السلام فهو ربيب الامام الباقر عليه السلام اذ اغترف منه العلم والتقوى (٢٣) حتى قال فيه عمر بن موسى الوجهي رأيت زيد بن علي فما رأيت احد بفضله في معرفة الناسخ والمنسوخ والمتشابه من الكتاب المجيد ، وفي حديث ابو خالد الواسطي قال : صحبت زيدا بالمدينة خمس سنين كل سنة اقم شهرا وقت الحج ولم افارقه حتى اقدم الكوفة فما رأيت مثله في العلم ، فلذا اخترت صحبته (٢٤) .

درس زيد بن علي القرآن الكريم دراسة مستفيضة واتقنه حتى فاق اقرانه واوفى فهمه ونسب اليه القول خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرئه وأتدبره فما وجدت في طلب الرزق رخصة وما وجدت من فضل الله إلا العبادة والفقه (٢٥) ، كما درس الفقه والحديث حتى اشتهر بالعالم الفقيه حيث قال فيه الامام الصادق عليه السلام رحم الله زيدا انه كان العالم الصدوق (٢٦) كذلك قوله فيه (كان زيد والله اقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخره مثله) (٢٧) .

ترك زيد بن علي عدد من مؤلفات العلمية والدينية التي لاتزال شاهدة على مقدرته العلمية في ايضاح المسائل الفقهية والقرآنية منها كتاب القلة والجماعة وكتاب منسك الحج واحكامه حوى مناسك الحج ، كذلك كتاب الرد على القدرية من القرآن فضلا عن رسالة رد المرجئة وكتاب الحقوق وكتاب قراءته الخاصة قراءة جده علي بن أبي طالب عليه السلام وكتاب تفسير غريب القرآن(٢٨) ورسالة الايمان وتشمل على شرح لمعنى الايمان والكلام على عصاة اهل القبلة، ومؤلفه الاخر كتاب الصفوة وهو كتاب

يبحث عن الامامة وتفضيل اهل البيت، ورسالة في مدح القلة وذم الكثرة ، وكتاب إثبات الوصية وكتاب تثبيت الامامة وكتاب المجموع الفقهي الذي يحوي كتاب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة والصيام والحج والبيوع والشركة والشهادات والنكاح والطلاق والحدود والسير وهو الخمس والجهاد والفرائض، وكذلك كتاب المجموع الحديثي الذي يعد كخاتمة لكتاب المجموع الفقهي (٢٩) .

احتذى زيد بن علي نهج والده في كثرة العبادة والاستغفار والتفكير في الاء الله وصنائعه فعرف عنه عظيم الخشية لله فكان حينما يقرأ القرآن الكريم ويتأملها يغمى عليه حتى اشتهر بحليف القرآن والعبادة (٣٠) اذ كان يصلي الفريضة ثم يصلي ما شاء الله بعدها يقوم على قدمَيه يدعو الله إلى الفجر يتضرع له ويبكي بدموعٍ جارية حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر قام وصلى الفريضة ثم يجلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار ، (٣١).

تزوج زيد بن علي من ريطة بنت ابي هاشم محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية (٣٢) فولدت له يحيى ، ثم تزوج باثنين في الكوفة ، وهما ابنة عبد الله بن أبي العبس الأسدي، وكذلك ابنة يعقوب بن عبدالله السلمي ، ثم تزوج بأم ولد فأنجبت له ثلاثة أولاد عيسى ابو يحيى العالم المختفي الملقب مؤتم الاشبال ، والحسين ذي العبرة العالم المتحدث الناسك ، ومحمد ابو عبد الله وبهذا يكون لزيد أربعة أبناء (٣٣)

المحور الثاني : موقف زيد بن علي من الاوضاع السياسية والاقتصادية في الكوفة

اولا: الاوضاع السياسية في الكوفة في العهد الاموي

استطاع الحكم الاموي السيطرة على السلطة باعتماده على سياسة الترغيب والترهيب واسلوب التضليل ونشر الاباطيل فكان من الطبيعي ان يملا افق الساحة الاسلامية بالجور والظلم والضياع الفكري من خلال سعيه لفصل الامة عن مضمون الرسالة وايجاد حواجز للحيلولة دون فهم الرسالة المحمدية بفرض الرقابة على منازل ائمة اهل البيت عليهم السلام وملاحقة انصارهم وتضييق دائرة تأثيرهم ، اذ كان هدف السلطة الاموية تعطيل حدود الله واسقاط السنن الالهية وممارسة التقاليد الجاهلية بالتشجيع على الفساد الاجتماعي واعتباره سلوكا مشروعا فلهذا انتشر في عهدهم الغناء والرقص وشرب الخمور(٣٤) فضلا عن شيوع الصراع بين القبائل واختلاق مذاهب فكرية

منحرفة ساهمت في تنويع اشكال النزاع وتعميمه(٣٥) منها التيار الفكري الجاهلي الذي جاءت به المرجئة التي ظهرت في دمشق مركز الحكم الاموي اذ كانت عقيدتهم الاساسية عدم تكفير اي انسان مهما ارتكب من المعاصي الموجبة للكفر مادام قد اعتنق الاسلام ونطق الشهادتين تاركين الفصل في امره لله وهذا ما يتفق مع فكر رجال البلاط الاموي ناهيك عن حجبهم الاحاديث والروايات التي تدين تصرفاتهم بل تشجيعهم على اختلاق احاديث عن النبي محمد صل الله عليه واله وسلم تتفق واهوائهم وتبرر سلوكياتهم المنحرفة (٣٦) .

ان الطريقة التي وصل بها الامويين الى الحكم كانت السبب في نشوء قوى معارضة لهم داخل العالم الاسلامي وقد تجلت تلك المعارضة في رجالات حملوا لواء الكفاح في وجه الخلافة الاموية ولاسيما انصار اهل البيت المتحمسون للدفاع عن حقوقهم في الخلافة مما ترتب عليه ان حصل صدام عنيف بين السلطة والشيعة (٣٧) ، اذ انه من الثابت تاريخيا ان مدينة الكوفة تنتمي الى خط اهل البيت عليهم السلام وقد نشأ فيها هذا الولاء منذ ان اتخذها الامام علي عليه السلام مقرا لحكومته فتشربت الولاء لأهل البيت ، فكان للأحداث التي عاشتها في ظل الحكم الاموي وسياسة البطش ان جعلها قاعدة للمعارضة الدائمة للحكام الامويين الذين اعتادوا تولية ولاة قساة وظلمة عليها ، اذ رسم الامويين لأنفسهم خطة خاصة لمعاملة الكوفيين تقضي بان ينظر اليهم على انهم اعداء يجب معاقبتهم وانقاص عطاياهم وحرمانهم من الفيء ومن كثير مما يتمتع به اهل الشام ، كما انهم اتخذوا سياسة احلال قطع عسكرية شامية واقامة حكومة حربية فيها ، مما اثار ثارة سكان المدينة التي كانت تتحين الفرص للثورة بوجه الحكم الاموي فرات في زيد بن علي ملاذا لها لتحقيق ما تصبو اليه (٣٨).

ثانيا : الاوضاع الاقتصادية في الكوفة في العهد الاموي

اتت حكومة بني مروان لتذيق الناس عربا وموالي مسلمين وذميين الأمرين فقد فرضت الضريبة على الناس بقوة السلطة ولم تستثن احدا من اشراف العرب او من وضعائها من الذميين او الموالي بل كانت تعذبهم على اخذ الخراج وسجنهم لدفع الضرائب مما يدل على ذلك قول يزيد بن المهلب حين اراد سليمان ان يوليه العراق وخراجها قال

ان العراق قد اخرجها الحجاج ، وانا اليوم رجل العراق ومتى قدمتها واخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج واعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه ومتى لم ات سليمان بن عبد الملك بن مروان بمثل ما كان الحجاج اتى به لم يقبل مني ، فامتنع عن امارة العراق ([٣٩]).

ان عماد الحياة الاقتصادية في الكوفة تتمثل بالزراعة ورخص اسعار الحبوب في الاسواق هذا في الوقت الذي كان فيه هشام بن عبد الملك قد احتكر مساحات واسعة من الاراضي الزراعية لنفسه وتحكم بأسعار غلاتها الامر الذي ادى الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية وتذمر الناس من غلائها، ولما كان خالد بن عبد الله القسري هو الاداة المنفذة لعملية الاستغلال والاحتكار هذه فقد اتجهت نقمة الكوفيين اليه ، فلما شكوا اليه الغلاء قال لهم زعمتم اني اغلي اسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله وهو يعني بذلك هشام بن عبد الملك مما زاد نقمة الكوفيين على الحكام الامويين الذين يتحكموا في مقدراتهم الاقتصادية وامورهم المعاشية ([٤٠]) ، هذا نموذج من الحياة الاقتصادية وسوء توزيع الثروة المخالف لمبادئ الاسلام الاقتصادية وقوانينه العادلة فضلا عن الظلم السياسي من القتل والارهاب والملاحقة في ظل الحكم الأموي جلبت نقمة الكوفيين عليهم .

ثالثا : موقف زيد بن علي من هشام بن عبد الملك

تولى هشام بن عبد الملك السلطة سنة ١٠٥هـ ، فتفشى في عهده الظلم والفساد وسياسة القمع والتجويع فضلا عن سوء علاقته بالكوفيين ونظرته العدائية لهم حتى غدت الكوفة مركز الدعاية المعادية للحكم الأموي ([٤١]) ومما زاد العلاقة سوءا بين زيد بن علي وهشام بن عبد الملك حديث عبد الله بن صفي لهشام بن عبد الملك اذ قال له من حب الى نفسك رسولك ام خليفتك فأجابه هشام خليفتي فقال له انت خليفة الله في الارض ومحمد رسوله فأنت اكرم على الله منه فهز هشام راسه مصدقا لمقاله ، الامر الذي اثار زيد بن علي الذي قال والله لئن تمكنت منه لاختطفن روحه والله لو لم اكن الا انا وابني لخرجت عليه ([٤٢]) يبدو ان موقف زيد بن علي هذا قد شاع بين الناس في المدينة المنورة فاستدعاه هشام بن عبد الملك الى الشام فذهب اليه فما ان قدم عليه حتى ثقل ذلك

على هشام بن عبد الملك لما يعلم فيه من حسن الخلق وحلاوة اللسان فشكا ذلك الى مولى له فقال له اذن للناس اذنا عاما واحجبه ثم أذن له في اخر الناس فاذا دخل عليك وسلم فلا ترد عليه ولا تامره بالجلوس فاذا رأى اهل الشام هذا سقط من اعينهم (٤٣) ففعل هشام بن عبد الملك بكل ما اشار عليه فلما دخل زيد بن علي في اخر الناس وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فلم يرد عليه فقال السلام عليك يا احول فانك ترى نفسك اهلا لهذا الاسم ، فقال له هشام بن عبد الملك لقد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست لها اهلا وانت ابن أمة(٤٤) فقال له زيد ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات فقد كانت ام اسماعيل امة لام اسحق فلم يمنعه ذلك ان بعثه الله نبيا وجعله ابا العرب واخرج من صلبه خير الانبياء محمد صل الله عليه واله وسلم بينما اخرج من اسحق القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، فغضب هشام بن عبد الملك وامر بجلده ثمانين جلده (٤٥) .

بقي زيد بن علي بالشام لأيام لمقابلة هشام بن عبد الملك للمرة الثانية لعرض بعض القصص من سوء المعاملة الا ان هشام بن عبد الملك لم يكن ليأذن الا بعد حين ، الا ان ذلك لم يكن ليوقف زيد بن علي عن الاصحار بالحقيقة مع كل ما كان يلاقيه من هشام بن عبد الملك بالتضايق وعدم التوسعة له لئلا يظهر للناس كلامه وحسن بيانه لكن لم يمنعه ذلك من الجواب واداء المقصود والرد عليه فكان يسمع هشام بن عبد الملك من الكلام ما هو أحد من السيف ، فحينما قال له هشام بن عبد الملك وقد احتشد المجلس باهل الشام ما يصنع أخوك البقرة غضب زيد بن علي وقال: سماه رسول الله الباقر وتسميه البقرة لشد ما اختلفتما لتخالفه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار) (٤٦) ، فانقطع هشام بن عبد الملك عن الجواب وبان عليه العجز فأمر غلمانه بإخراجه (٤٧) ، وفي رواية ذكرها المحلي ان هشام بن عبد الملك حبس زيد بن علي خمسة اشهر اثر تلك المقابلة (٤٨) .

ما ان اجرى هشام بن عبد الملك تغييرات ادارية في الكوفة بعزل خالد بن عبدالله القسري وتعيين يوسف بن عمر الثقفي المعروف بعدائه لآل البيت عليهم السلام الذي ما ان قدم الى الكوفة حتى حبس خالد بن عبدالله القسري واستولى على امواله فما

كان من خالد بن عبدالله القسري الا الادعاء بانه قد استودع امواله عند زيد بن علي وداوود بن علي بن عبدالله بن عباس ، فكتب يوسف بن عمر الثقفي بذلك الى هشام بن عبد الملك الذي بدوره كتب الى عامله على المدينة ابراهيم بن هشام يأمره بحمل زيد بن علي ومن معه الى الشام (٤٩) ، وحينها عامله هشام بن عبد الملك معاملة سيئة حيث حجبه مدة أربعين يوما قبل ان يأذن له بالدخول عليه ومنع الناس أن يفسحوا له في المجلس ، حيث كان قصد هشام بن عبد الملك استفزاز زيد بن علي لمعرفة ما استقر عليه موقفه تجاه السلطة ، حيث قال له : إن يوسف بن عمر الثقفي كتب يذكر أن خالد بن عبد الله القسري ذكر ان له عندك ستمائة ألف درهم وديعة ، فقال زيد بن علي : ما لخالد عندي شيء! قال: فلابد من أن تشخص إلى يوسف ابن عمر الثقفي حتى يجمع بينك وبين خالد بن عبد الله القسري ، فقال له زيد بن علي : لا توجه بي إلى عبد ثقيف يتلاعب بي ، فقال: لابد من أشخاصك إليه فتكذباه في وجهه (٥٠) فخرج زيد من مجلس هشام بن عبد الملك وهو يقول لن يكره قوم حر السيوف الا ذلوا فحملت كلمته الى هشام بن عبد الملك فعرف انه خارج عليه ومصمم على الثورة ، فقل لحاشيته ألستم تزعمون ان اهل هذا البيت قد بادوا فلعمري ما انقرض من كان مثل هذا خلفهم(٥١) ، فما ان وصل زيد بن علي الى الكوفة لمقابلة يوسف بن عمر الثقفي وكان كارها لذلك لعلمه بأن كل هذا الهدف منه إذلاله لا أكثر، فما ان مثل بين يدي يوسف بن عمر الثقفي حتى ثبتت براءته من التهمة باعتراف خالد بن عبد الله القسري بكذب ما ادعاه ، حيث قال زيد بن علي ليوسف بن عمر الثقفي : كيف يترك عندي وديعة وهو يسب آبائي على المنبر كل يوم ، فأطلق يوسف بن عمر الثقفي سراحه (٥٢) ، وأمره بالخروج من الكوفة الساعة ، فطلب زيد بن علي ثلاثاً ليستريح إلا أن رفض ذلك لاسيما اثر الكتب التي اخذ هشام بن عبد الملك يبعثها اليه بإخراج زيد بن علي من الكوفة ومنع الناس من حضور مجلسه لأنه يجذب القلوب بعلمه الجم وبيانه السهل (٥٣) ، مما اضطر زيد بن علي للخروج منها (٥٤) ، فما ان وصل القادسية حتى لحق به رجالات الكوفة فردوه وبايعوه فعاد الى الكوفة متخفيا ، وأخذ يتنقل من بيت الى اخر حذرا من السلطة الحاكمة (٥٥) .

هذه الظروف السياسية والاقتصادية وتكالب البيت الاموي على ظلم ال البيت تعتبر مؤشراً واضحاً للمنهج الذي اتبعه زيد بن علي في تحركه ضد الدولة الأموية ،واختياره الكوفة مقرا لإعلان ثورته لكونها قلعة المعارضة والثورة ضد الحكم الاموي ، واذا كان الامر كذلك فان اختياره الكوفة نقطة انطلاق يعكس مقدار وعيه لدور الكوفة وقدرتها على اشعال الثورة (٥٦) .

ثالثا : ثورة زيد بن علي بالكوفة

ما ان عزم زيد بن علي على ترك الكوفة والعودة الى المدينة المنورة بأمر من هشام بن عبد الملك حتى اقبل الأشراف من أهل الكوفة وقالوا له أين تخرج رحمك الله ومعك مئة ألف سيف من أهل الكوفة وخراسان ويضربون بني أمية بها دونك ، وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة (٥٧) ، فلما رأى منهم زيد بن علي ذلك أقام في الكوفة ثائراً فبايعه أصحابه بيعته التي يبايع عليها الناس فقال انا ادعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسمة هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا ، أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يده ثم يقول عليكم عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قالوا نعم مسح يده على يده وقال الله اشهد)(٥٨) ، ولمعرفته بخذلان الكوفيين من قبل لجده ابا عبدالله الحسين عليه السلام في ثورته ضد يزيد بن معاوية جعل يقول لهم اخاف ان تخذلوني وتسلموني كما فعلتم بابي وجدي فيحلفون له ويعطونه المواثيق والايمان المغلظة على نصرته ولوقوف بين يديه (٥٩) وانهالوا عليه من كل حدب وصوب بالألوف يقرون له بالطاعة ويبينون له أنهم باقون معه يفدونه بالأرواح ويمنونه بالنصرة حتى اجتمع عنده ديوان به أسماء أربعين ألف مقاتل (٦٠) .

ان التأمل في تلك البيعة التاريخية السياسية يدرك بوضوح سخط الأمة على الحكم الأموي وانتشار روح الثورة في معظم الحواضر والمراكز الاسلامية الكبرى ، كما يعكس طبيعة الحكم الاموي ويكشف حقيقته المنافية لكل القيم الاسلامية ونستطيع أن نكتشف هذه الحقيقة عن طريق التأمل في سلوك الحكام الأمويين (٦١) اذ ان كل مبررات الثورة

التصحيحية المضادة دينيا وسياسيا وثقافيا وماليا عادت لتكون السمة البارزة في عصر هشام بن عبد الملك وكان ذلك بحاجة الى عاملين الاول الوعي الديني السليم المتصل بجذوره الاولى التي بعثها الوجود النبوي الشريف امام تعاليمه السماوية السامية والثاني القائد الذي تكاملت حوله الظروف الموضوعية للثورة وقد تكاملت تلك الظروف حول العالم العابد زيد بن علي (٦٢) .

اقام زيد بن علي في العراق عشرة اشهر اغلبها في الكوفة قضى منها شهرين في البصرة متخفيا اذ كان ينزل منازل شتى في دار زوجته الأزديه تارة وتارة عند اصهاره السلميين وتارة في منازل بني عبس اذ كان يفضل الابتعاد عن عيون يوسف بن عمر الثقفي ، فكتب إلى أهل الآفاق كتبا يصف فيها جور بني أمية وسوء سيرتهم ويحضهم على الجهاد ويدعوهم إليه وقال لهم : لا تقولوا خرجنا غضبا لكم ولكن قولوا خرجنا غضبا للّه ودينه (٦٣) حتى أخذت الشيعة تختلف اليه وتبايعه فبايعه اهل المدائن والبصرة وواسط والموصل والجزيرة والري وخراسان وجرجان (٦٤) كما بايعه فقهاء الكوفة وقضاتها ومحدثيها منهم عبدالله بن شبرمة بن الطفيل من بني ضبة والاعمش سليمان بن مهران ومسمر بن كدام من بني صعصعة وقيس بن الربيع الاسدي وغيرهم (٦٥) ، اذ وقف معه كبار فقهاء العامة من خلال الافتاء بجواز الخروج معه ومده بالسلاح ، وعلى هذا الاساس يمكن الخروج بنتيجة محددة هي وجود القاعدة الشعبية للثورة وان زيد بن علي قد باشر عملية توظيف تلك القاعدة في الكوفة لصالح جهاده (٦٦) بعد ان علق الكثير آمالهم على ثورته فكانوا يلحون عليه بالإسراع في الثورة لإرجاع حق الخلافة لائمة اهل البيت عليهم السلام لا أن يتولى الخلافة والإمامة بنفسه لأنه كان يعرف إمامه بل كان يدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام طالباً الإصلاح في أمة جده التي أذاقها الأمويون الظلم والجور ورد اعتداءات الحكام الامويين على آل البيت عليهم السلام ، وعليه فقد استشار زيد بن علي ابن اخيه الامام جعفر الصادق عليه السلام في الثورة ، فقال فيه الامام الصادق عليه السلام ان زيدا كان عالما وكان صدوقا ولم يدعكم الى نفسه وانما دعاكم الى الرضا من ال محمد ، لو ظفر لوفى بما دعاكم اليه ، وانما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه (٦٧) ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عم ان رضيت

ان تكون المصلوب بالكناسة فشأنك ، فما ان اعلن ثورته قال فيه الامام الصادق عليه السلام ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه (٦٨) ، وفي ذلك دليل على تأييده لزيد بن علي الذي بلغ تعلقه بهدفه السامي ذاك أن قال يوما لصاحب له يدعى البابكي ، وهو يشير بيده إلى نجم الثريا في السماء : يا بابكي ! أما ترى هذه الثريا ، أترى أحداً ينالها ؟ قلت لا ، قال والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة ، وأن الله أصلح بين أمة محمد صل الله عليه وآله وسلم (٦٩) .

كل هذا الاحداث قد جرت في الكوفة بسرية تامة دون علم يوسف بن عمر الثقفي إلا بعد أن أعلمه هشام بن عبد الملك الذي وصل إليه خبر زيد بن علي ، فسرعان ما داهمت شرطة يوسف بن عمر الثقفي منازل اتباع زيد بن علي للبحث عنه والتضييق عليه فكتب الى عامله على الكوفة الحكم بن الصلت من ال بني عقيل بطلب زيد بن علي فدس الاخير مملوكا خراسانيا واعطاه خمسة الاف درهم وامره ان يلطف بالشيعة (٧٠) فيخبرهم انه من خراسان محبا لأهل البيت وان معه مالا يريد ان يقويهم به فلم يزل المملوك يتقرب اليهم حتى ادخلوه على زيد بن علي فسلمه المال ثم خرج من عنده واخبر يوسف بن عمر بموضعه والمنزل الذي هو نازل (٧١) الذي يعود لطعمة من بني تميم ولعامر فجاء يوسف والقى القبض عليهما فامر بضرب اعناقهما ، فما ان علم زيد بن علي بما جرى للرجلين خشي على نفسه ان يؤخذ غيلة سيما بعد ان لاحظ بوادر التفكك في معسكره واختلاف آرائهم فقرر الإقدام على اعلان الثورة قبل الموعد المعين لها، وقد وصل هذا التوقيت إلى الوالي يوسف بن عمر الثقفي عن طريق جواسيسه الذين اخترقوا أصحاب زيد بن علي وقاموا بنقل تحركاته أولا بأول ، فعرف والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي الذي كان في الحيرة تحركات زيد بن علي فأرسل على عجل الى وكيله في الكوفة الحكم بن الصلت بجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم وحصرهم فيه (٧٢) فبعث الحكم بن الصلت إلى العرفاء والشرط والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا إن الأمير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا المسجد الأعظم فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء اخر محرم سنة ١٢٢ه في الجامع الكبير لأداء الصلاة الجامعة بعد ان اخذ يتوعد من يتخلف بالقتل فعندما اكتمل دخول

الناس بنيت عليهم الابواب (٧٣)، ووضع حرّاسا على سياج المسجد اذ كان يهدف شلّ حركة الثورة بعدم التحاق الثوار بها (٧٤) .

أخذ يوسف بن عمر الثقفي يتحرك بسرعة حيث زج بالسجون بكل من يشك بولائه لزيد بن علي ، فما كان من زيد بن علي الا اعلان ثورته ليلة الأربعاء اول صفر سنة ١٢٢ه من دار معاوية بن إسحاق فرفعوا المرادي أعمدة الخشب بالنيران ، ونادوا يا منصور أمت أشاره لبدء الثورة فأرسل زيد بن علي دعاته ينادون بشعار الثورة فالقي القبض على احدهم وهو القاسم بن عمر التبعي فضربت عنقه فكان أول شهيد بالثورة (٧٥) أما أصحابه فلم يوافيه إلا القليل قدروا بمائة وخمسون رجلا وقيل مائتان وثمانون أو خمسمائة (٧٦) ، فأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت ، وأمر يوسف بن عمر الثقفي مناديه فنادى في أهل الشأم بإيتاء الكوفة حيث كان هناك عسكر شامي ثابت قرب الكوفة فجاؤوا اليه مسرعين فسار زيد بن علي الى الجسر ونادى اصحابه والله لو كنت اعلم عملا ارضى لله من قتال هؤلاء لفعلته وخطب في جنده قائلا عليكم بسيرة أمير المؤمنين عليّ بالبصرة والشام لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا مغلقا والله على ما نقول شهيد، لكني سمعتهم يسبون عليا فاقتلوهم من كل وجه فو الله لا ينصرني رجل عليهم اليوم الا اخذت بيده وادخلته الجنة (٧٧) ، وبدأت الحرب سجالا بين الطرفين حيث استطاع زيد بن علي بأتباعه القليلة طرد أهل الشام ومطاردتهم داخل أزقّة الكوفة ووصل الى جدار المسجد وأمر أتباعه برفع الرايات حتى يراها في المسجد ، ثم خاطب أحد أصحاب زيد بن علي وهو نصر ابن خزيمة مَنْ في المسجد قائلاً يا أهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا فلم يبدِ من في المسجد أية حركة تدل على الاستجابة لهذا النداء (٧٨) ، ثم انتقلت المعركة الى منطقة السبخة التي اتخذها زيد بن علي مقراً لعملياته العسكرية لموقعها الاستراتيجي قرب الجسر على نهر الفرات وقاتل قتالاً شرساً ودفعوا بالجيش الشامي الى منازل بني سليم، حيث استمر القتال لليوم الأول والثاني حتى المساء(٧٩) حيث استطاع رجال زيد بن علي على الرغم من قلة عددهم ان يتصدوا لهجمات البعوث التي كان يرسلها يوسف بن عمر الثقفي من الحيرة وتمكنوا من ايقاع

سبعين قتيلا في صفوف الشاميين ، الا ان يوسف بن عمر الثقفي عدل من استراتيجية مهاجمة قوات زيد بن علي بإرسال قوة معظمها من الرماة اتخذوا اماكنهم محاصرين لقوات زيد بن علي واخذوا يرمونهم طوال الليل بالسهام (٨٠) حتى تمكن احد الرماة من اصابة زيد بن علي براسه نقل على اثرها الى الطبيب المعالج الذي ما ان انتزع السهم منه حتى مات شهيدا (٨١).

وهكذا انتهت ثورة زيد بن علي في الكوفة والتي هزّت عروش بني أمية على الرغم من الإعداد الجيد والجهد الكبير الذي بذله في سبيل نجاحها وهذا هو ديدن آل بيت الرسول عليهم السلام في المطالبة بالحق وبذل دمائهم فداءاً لله وللدين .

رابعا : استشهاده ومدفنه :

بعد ان سقط زيد بن علي في الميدان حمله أصحابه الى دار الجوارين بالسبخة، وطلبوا طبيباً لانتزاع السهم الذي ما ان فما انتزع حتى فارق الحياة وكان عمره حينذاك اثنان واربعون سنة (٨٢) ، فاخذ ابنه يحيى واصحابه بالتجهيز لدفنه واخفاء جسده الشريف حتى لا يصل اليه الامويين فعملوا تحت جنح الظلام وحجزوا الماء في الساقية في بستان وحفروا القبر ثم واروا الجثمان ووضعوا عليه الحشيش والتراب واجروا عليه الماء وتفرقوا قبل طلوع الفجر (٨٣) ، إلا أن عبداً نبطياً وقيل الطبيب المعالج وقيل مزارعا رأى ذلك فاخبر الحكم بن الصلت بذلك فأخرجوه (٨٤) وصلبوه منكوسا في سوق الكناسة مع أصحابه نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق الأنصاري وزياد الهندي ، وأرسل رأسه الى الشام حيث نصب على باب دمشق(٨٥) بعدها أرسل الى المدينة ونصب عند قبر الرسول صل الله عليه وآله يوماً وليلة لينتقل الى مصر حيث امر بتعليقه قبل أن يأخذه بعض الناس خلسة حيث دفن هناك(٨٦) ، بينما الجسد بقي مصلوبا حتى أيام الوليد بن يزيد بكناسة الكوفة ، وقد رأى الموكّل بحراسة جثمانه في منامه النبي محمد صل الله عليه واله وسلم واقفا على الخشبة التي صُلب عليها زيد بن علي وهو يقول هكذا تصنعون بولدي من بعدي، يا بُني يا زيد قتلوك قتلهم الله صلبوك صلبهم الله (٨٧) وروى جابر بن عبد الله بخصوص زيد بن علي عن الإمام الباقر عليه السلام : قال قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام : يخرج رجل من

صلبك يقال له زيد ، يتخطى وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غُراً محجلين ، يدخلون الجنة بغير حساب (٨٨).

بقي الجثمان مرفوعا على خشبة زمنا غير قليل حتى عشعشت الفاختة في جوفه واختلف المؤرخون في المدة التي بقي فيها الجسد مصلوبا على أقوال وهي سنة وأشهر او سنتان وبعضهم قال ثلاث سنين او أربع سنين بينما اخرون قالوا خمس سنين الى ستّ سنين ، بعدها امر الوليد بن يزيد عامله بالكوفة بحرقه بخشبته اثر ثورة ابنه يحيى بخراسان (٨٩) ففعل وذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات (٩٠) اذ اراد الطغاة منع وجود مدفن له لكن ارادة الله اقوى من ارادة الظالمين وعليه فان لزيد بن علي اليوم مدفنين الاول في مصر وهو مدفن راسه الشريف والاخر في العراق وهو محل دفنه قبل نبشه ويقع في الجنوب الغربي من قرية الكفل على بعد فرسخين منه ويبعد عن مدينة الكوفة حوالي ٣٥كم (٩١) ، وليس في الكناسة مكان صلبه (٩٢).

الخاتمة :

من خلال اخذ الموضوع بالدراسة والتحليل تمكنا من استخلاص بعض الاستنتاجات: مثل زيد بن علي شخصية اسلامية قيادية استلهم اسس فكره التربوي من ابيه الامام زين العابدين واخيه الامام الباقر عليهم السلام فقد كان عابدا ورعا سخيا وشجاعا ظهر بالسيف يطلب بثارات جده الامام الحسين عليه السلام ويدعوا الى الرضا من ال محمد بعدما قاسى من جور وتعسف السياسة الاموية اتجاه ال البيت عليهم السلام بالتضييق عليهم تارة ومحاولة طمس هويتهم الاسلامية واحقيتهم في امامة الامة تارة اخرى فضلا عن طبيعة السياسة الاموية المتمثلة بأميرها هشام بن عبد الملك الذي اتصف بالبغض لال علي عليهم السلام ناهيك عن الفساد السياسي والتلاعب بمقدرات الامة الاقتصادية كلها عوامل اججت نيران الثورة لدى زيد بن علي ضد السلطة الاموية لاسيما بعد ان وجد في الكوفة القاعدة الشعبية المعارضة للحكم الاموي فعلى الرغم من فشل الثورة وعدم تحقيق اهدافها المرسومة في نصرة المستضعفين الا انها كانت فاتحة عهد جديد لسلسلة من الثورات التي أثارت وعي الأُمّة السياسي المرير.

كان للثورة التي اعلنها زيد بن علي ظروفها الموضوعية ومبرراتها الواقعية كما كان لها آثرها الكبير في تحديد مسيرة الأمة في الفترات التي تلتها حتّى تتابعت العديد من الثورات ضد النظام الأُمويّ والتي انهت وجوده بعد برهة من الزمن.

الملخص :

شهدت مدينة الكوفة في العهد الاموي اوضاعاً سياسية واقتصادية متردية بعد ان خيم عليها الذعر والخوف بفقدانها جميع أشكال الأمن والاستقرار بسيادة التفكك والانحلال في المدينة التي شاعت فيها الأزمات السياسية الحادة فضلا عن اندلاع الثورات المتلاحقة فيها بسبب حالة الفساد التي استشريت في البلاد من قبل الخلفاء والولاة الامويين الذين استبدوا في حكمهم للشعوب الإسلامية وجاروا عليها فلم يكن هناك قانون تسير عليه الدولة وإنما كان الحكم مزاجيا يخضع لمشيئة خلفائهم وأهواء وزرائهم وعواطف ولاتهم باتباعهم سياسة القمع والتجويع للسيطرة على الامة وفصلها عن القيادة الشرعية لأهل البيت عليهم السلام ناهيك عن تعطيلهم للحدود الاسلامية واسقاطهم للسنن الإلهية بعد ان استفحل استبدادهم بالرعية التي تعيش فقراً مدقعاً بفرضهم ضرائب إضافية عليها، فلهذا الوضع الاقتصادي المتدهور من سوء توزيع الثروة المخالف لمبادئ الإسلام وقوانينه فضلا عن الظلم السياسي والقتل والإرهاب كُل ذلك دعا زيد بن علي إلى الثورة ضد هشام بن عبد الملك لا من أجل أن تولي الخلافة والإمامة بنفسه بل الدعوة إلى الرضا من آل محمد إذ كان هدف الثورة الأهم لدية هو رد اعتداءات الحكم الاموي على آل البيت عليهم السلام فكان لابد أن يقوم شخص منهم للوقوف بوجه الظالمين ، كما إنه اراد تنبيه الامة على زلات ذلك الحكم الجائر ومحاولة إصلاح الامة بتهذيب أخلاقها وإرشادها إلى نهج الحق واستضاءتها بنور ذلك الدين الحنيف ، فاختار مدينة الكوفة منطلقاً لثورته ودعا المسلمين لمبايعته فأقبلت عليه الشيعة في مدينة الكوفة وغيرها من المدن تبايعه حتى بلغ عددهم من الكوفة فقط خمسة عشر ألف رجلاً ، الا انه ما ان اعلن ثورته حتى خذله الجميع فلم يبق معه الا كوكبة من صفوة اتباعه ولم يثنيه ذلك من مواصلة الثورة حتى بعد ان سقط اكثريتهم حتى اثخن بالجراح وسقط في الميدان بعد اصابته بسهم في جبهته ارداه قتيلا بعد ان

انتزع منه ، فدفن في جنح الظلام قرب ساقية وأجروا عليه الماء حتى لا يعرف موضع قبره من قبل السلطة الاموية ، الا انه سرعان ما كشف موضع قبره فنبش واخرج وصلب لمدة اربع سنوات في مدينة الكوفة ثم انزلوا واحرقوه وذروه في الماء ، الا ان ذلك لم ينه حالة الثورة على الاوضاع السياسية والاقتصادية التي يثيرها الحكم الاموي من وقت لأخر

Abstract:

In the Umayyad era, the city of Kufa witnessed deteriorating political and economic conditions, after it was shaken by fear of losing all forms of security and stability to the sovereignty of disintegration and disintegration due to the state of corruption that was implanted in the country by the Umayyad caliphs and rulers following the policy of oppression and starvation to control the nation. Peace, not to mention the disruption of the Islamic borders and the fall of the divine years after the tyranny of the tyranny of the poorest living by imposing additional taxes on them, because of this deteriorating economic situation as well as political injustice, Bin Ali to the revolution against Hisham bin Abdul Malik as the goal of the most important revolution is to respond to the attacks of the Umayyad rule on the House of peace be upon them and the attempt to reform the nation, chose the city of Kufa starting a revolution and called on Muslims to sell him, but as soon as he announced his revolution until everyone failed to dissuade him from The revolution continued until most of them fell and became suffocated and fell in the field after being hit in the forehead and killed him after he was taken from him. He was buried in the darkness of the dark near Saqiyah and they forced him to do not know the place of his grave by the Umayyad authority. And crucified for four years in the city of Kufa and then They took him down, burnt him and threw him into the water, but this did not end the state of the revolution on the political and economic conditions that the Umayyad rule raises from time to time.

الهوامش :

[1] - فاطمة علي الجعفر ، المصلوب ابن المصلوب ، الشهيد يحيى بن زيد ، ط٢، الكويت ، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م ،ص٢٠.

[2] -ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ٣٨٤-٤٥٦ه، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٢.

[3] - محمد بن يعقوب الكليني المتوفي ٣٢٩/٣٢٨ه ، اصول الكافي موسوعة الكتب الاربعة في احاديث النبي والعترة ، ج١ ، قدمه محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١١، ص ٥٣٦-٥٣٧.

[4] -محمد رضا الحسيني الشيرازي ، الامام الحسين عظمة الهية وعطاء بلا حدود ، دار العلوم ، مؤسسة الفقيه الشيرازي ، كربلاء ، (د.ت) ، ص ٥٢-٥٤.

[5] -ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي المتوفي سنة ٦٩٣ ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج٢ ، دار الاضواء ، بيروت ، (د، ت) ، ص ٢٨٥.

[6] - حسين باقر ، قيادة المسيرة في رؤية الامام السجاد (ع) ، قضايا اسلامية معاصرة ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤٢٢ ه ، ص ١٩-٤٨ .

[7] - سبب تلقبه بزين العابدين انه كان ليله في محرابه قائما في تهجده ، فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته ، فلم يلتفت اليه فجاء ال ابهام رجله فلتقمها فلم يقطع صلاته ، ولما فرغ منها ، وقد كشف الله له فعلم انه شيطان ، وقال له اخسأ يا ملعون ، فذهب وقام الى تمام ورده ، فسمع صوت لا يرى قائله يقول ، انت زين العابدين حقا ثلاث فظهرت هذه الكلمة ، واشتهر لقبا له . للتفاصيل ينظر : ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي المتوفي سنة ٦٩٣ ، المصدر السابق ، ص ٢٨٦.

[8] - عباس القمي المتوفي ١٣٥٩ه ، الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية ، ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٢١ه ، ص ١٠٧-١٠٨ .

[9] - باقر شريف القرشي ، الامام زين العابدين دراسة وتحليل ، ج١ ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٨٨، ص ١٧٨.

[10] - عبد الله شبر ، الحق اليقين في معرفة اصول الدين ، ط٢، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٦، ص ٧٩.

[11] - نجم الدين ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة من اعلام القرن الخامس ، المجدي في انساب الطالبين ، مقدمة اية الله المرعشي النجفي ، تحقيق محمد المهدوي الدامغاني

، اشراف محمود مرعشي ، ط٢، نشر مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٢٢ه ، ص ٣٥٣

[١٢] - ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، سر السلسلة العلوية ، قدمه السيد محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف، ١٣٨٢ه، ص ٥٦-٥٧.

[١٣] - ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي المتوفي سنة ٦٩٣ ، المصدر السابق ، ص ٣٠١-٣٠٢.

[١٤] - ابي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب السروي المازندراني ، مناقب ال ابي طالب ، ج ٤ ، ط٢ مصححة ومنقحة ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١٢ه، ص ١٨٩ .

[١٥] - اختلفت المصادر في عدد البنات بعضها قال ٩ منها نجم الدين ابي الحسن علي بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة من اعلام القرن الخامس ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ . واخر قال ٦ مثل عبد الرزاق الموسوي المقرم ، حياة الامام زين العابدين ، المكتبة الحيدرية ، ١٤٢٤ه، ص ٣٤٠ .

[١٦] - زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ، ط٢، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ١٤١٨ه، ص ١٠-١١.

[١٧] - القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية ١١١.

[١٨] -القرآن الكريم ، سورة ال عمران ، الآية ١٦٩

[١٩] - سورة النساء ، الآية ٩٥.

[٢٠] - الظاهر ان قول الامام السجاد هو والله زيد انما كان اعتمادا على ما تشعر به الآيات من الشهادة في سبيل الله حيث ان الامام كان قد علم انه سيولد اه ولد يقاتل في سبيل الله فيقتل ويصلب وان اسمه زيد ، حيث يظهر من بعض الاحاديث ان زيد كان معروفا عند اهل البيت قبل ان يولد ومن ذلك ما ورد عن ابيه انه دخل على رسول الله فراه يبكي فساله فاخبره بان جبرئيل اخبره ان الامام الحسين يولد له ولد يسمى بزين العابدين يولد له ولد يسمى زيد يقتل شهيدا . لمزيد من التفاصيل ينظر: زيد بن علي ، المصدر السابق ، ص ١٢.

[٢١] - فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٥.

[٢٢] - حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، تاريخ الكوفة ، حرره واضاف اليه اكثر المواضيع المهمة السيد محمد صادق بحر العلوم ، ط٤، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤٠٧ه-١٩٨٧، ص ٣٤٢-٣٤٥.

[٢٣] - نوري حاتم ، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند اهل البيت عليهم السلام ، ط٣ ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، قم ،١٤٢٦ه، ٢٠٠٦م ، ص ١٨.

[٢٤] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي ، النجفي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣.

[٢٥] – ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ، دار العربية للموسوعات ،بيروت، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م، ص ٣٣.

[٢٦] –زيد بن علي ، المصدر السابق ، ص ١٥.

[٢٧] – زيد بن علي ، مسند الامام زيد ، جمعه عبد العزيز بن اسحق البغدادي رحمه الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د،ت) ، ص ٧.

[٢٨] – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٢٠-٢٤.

[٢٩] – زيد بن علي ، مسند الامام زيد ، ص ١٠.

[٣٠] – ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه تاريخ ص٣٤٥.

[٣١] – فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٨.

[٣٢] – ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

[٣٣] – فخر الدين الرازي المتوفي ٦٠٦، الشجرة المباركة في الانساب الطالبية ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، اشراف السيد محمود المرعشي ، ط٢ ، مكتبة اية الله المرعشي النجفي ، قم ، ١٤١٩.، ص ١٤١-١٤٢.

[٣٤] – ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي ، الخصال ، تعليق علي الاكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠ه ، ص ٩٨.

[٣٥] – نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ٥٥-٥٦.

[٣٦] – نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ٢٩.

[٣٧] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

[٣٨] – نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

[٣٩] – ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١ه) ، وفيات الاعيان وانباء الزمان ، ج٦، ، حققه احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٩٦-٢٩٧.

[٤٠] – ، ناجي حسن، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧٠.

[٤١] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٨٢.

[٤٢] –زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٣٤ ؛ ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٩٥.

[٤٣] –ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص٤٨.

[٤٤] – ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه المتوفي سنة ٤٢١ه ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ج٢ يحتوي على حوادث العصر الاموي من خلافة معاوية بن ابو سفيان الى اخر خلافة مروان بن محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ه/٢٠٠٢م ، ص ٤٣٣.

[٤٥] – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٣٥ ؛ حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦.

[٤٦] – ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ه ، عيون الاخبار ، الجزءان الاول والثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦م ص٢١٢.

[٤٧] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه ، المصدر السابق ، ص ٣٤٧.

[٤٨] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

[٤٩] – ابي الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ط٢، مطبعة امير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، ١٤١٦ه ، ص١٣٠ .

[٥٠] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٤٢–ص ٩٦.

[٥١] – ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، المصدر السابق ، ص ٥٧–٥٨.

[٥٢] – احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي ٢٧٩ه/٨٩٢م، جمل من انساب الاشراف ، ج٣ اخبار علي بن ابي طالب وابنائه عليهم السلام ، حققه وقدمه سهيل زكار ورياض زركلي ، اشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ،(د،م)، (د،ت) ، ص ٤٢٩.

[٥٣] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، المصدر السابق ، ص ٣٤٥.

[٥٤] – ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

[٥٥] –ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٥٧–٥٩.

[٥٦] – نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

[٥٧] – ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣١–١٣٢ ؛ زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٣٩.

[٥٨] – يوليوس فلهوزن ، الاحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، ترجمة عن الالمانية ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨، ص ٢٥٧.

[٥٩] – ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه المتوفي سنة ٤٢١ه ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦.
[٦٠] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، المصدر السابق ، ص ٣٥٠.
[٦١] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ٩٨؛ نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٩
[٦٢] – صائب عبد الحميد ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، بيروت ، ١٩٩٧، ص ٥٥٤.
[٦٣] – احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي ٢٧٩ه/٨٩٢م، المصدر السابق ، ص ٤٣٥.
[٦٤] – ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، (د،ت) ، ص ٢٢٢.
[٦٥] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، لمصدر السابق ، ص ٣٥١-٣٥٢.
[٦٦] – نوري حاتم ، المصدر السابق ، ص ٦٨.
[٦٧] – فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ، ص ١٧.
[٦٨] – ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١ه ، عيون اخبار الرضا ، ج١، مطبعة امير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ،١٣٧٨ه ، ص٢٢٥.
[٦٩] – ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ ؛ زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص٣٥.
[٧٠] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ١٠٤.
[٧١] – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص٤٠.
[٧٢] – ناجي حسن ، المصدر السابق ، ص ١٠٥.
[٧٣] – علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (ت٥٧١ه/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٩، تحقيق علي شيري ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ه ، ص ٤٧٢ ؛ ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٢.
[٧٤] – يوليوس فلهوزن ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩؛ حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه ،المصدر السابق ، ص ٣٥٥-٣٥٦.
[٧٥] – ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٢-١٣٣.
[٧٦] – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٤١.
[٧٧] – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، المصدر السابق ، ص ٣٦٠-٣٦١ ؛ فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ٣٩-٤٠.

٧٨ – احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي ٢٧٩ه/٨٩٢م، ، المصدر السابق ، ص ٤٤١ ؛ ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٥.

٧٩ – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٤٢.

٨٠– فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ص٤٠.

٨١ – احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي ٢٧٩ه/٨٩٢م، المصدر السابق ، ص٤٤٣.

٨٢– ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١ه) ، المصدر السابق ، ص ١١٠؛ زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٤٢.

٨٣ – ابي الفرج الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٧-١٣٨؛ فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ص ٤٣.

٨٤ – حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، المصدر السابق ، ص ٣٦٣.

٨٥ – ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، المصدر السابق ، ص ٥٩.

٨٦ – محمد بن يوسف المضري الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كسن، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ،١٩٠٨ ، ص ٨١.

٨٧ – فاطمة علي الجعفر ، المصدر السابق ، ص ٤٥.

٨٨ – ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١ه ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

٨٩– نجم الدين ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة من اعلام القرن الخامس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

٩٠ – ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١ه) ، ، المصدر السابق ، ص ١١١.

٩١ – ابي محمد بن عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني ، مؤسسة الجبلي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ٢٣١.

٩٢ – زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، ص ٤٦.

قائمة المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم
٢- ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي المتوفي سنة ٦٩٣ ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج٢ ، دار الاضواء ، بيروت ، (د، ت).
٣- ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١ه) ، وفيات الاعيان وانباء الزمان ، ج٦، ، حققه احسان عباس ، دار صادر ، بيروت،(د،ت).
٤- ابي الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ط٢، مطبعة امير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، ١٤١٦ه .
٥- ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١ه ، عيون اخبار الرضا ، ج١، مطبعة امير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ،١٣٧٨ه.
٦- ابي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب السروي المازندراني ، مناقب ال ابي طالب ، ج ٤ ، ط٢ مصححة ومنقحة ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١٢ه.
٧- ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، (د،ت).
٨- ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي ، الخصال ، تعليق علي الاكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠ه.
٩-ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه المتوفي سنة ٤٢١ه ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ج٢ يحتوي على حوادث العصر الاموي من خلافة معاوية بن ابو سفيان الى اخر خلافة مروان بن محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ه/٢٠٠٢م.
١٠- ابي محمد بن عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني ، مؤسسة الجبلي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٧.
١١- ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ه ، عيون الاخبار ، الجزاءان الاول والثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

١٢- ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ٣٨٤-٤٥٦ه، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة.
١٣-ابي نصر سهل بن عبدالله بن داوود بن سليمان بن ابان بن عبدالله البخاري من اعلام القرن الرابع الهجري ، سر السلسلة العلوية ، قدمه السيد محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٢ه.
١٤- احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفي ٨٩٢/٢٧٩ م، جمل من انساب الاشراف ، ج٣ اخبار علي بن ابي طالب وابنائه عليهم السلام ، حققه وقدمه سهيل زكار ورياض زركلي ، اشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ،(د،م)، (د،ت).
١٥- باقر شريف القرشي ، الامام زين العابدين دراسة وتحليل ، ج١ ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٨٨.
١٦- حسن بن السيد حسين بن السيد بن السيد احمد البراقي النجفي المتوفي ١٣٣٢ه، تاريخ الكوفة ، حرره واضاف اليه اكثر المواضيع المهمة السيد محمد صادق بحر العلوم ، ط٤، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧ .
١٧- حسين باقر ، قيادة المسيرة في رؤية الامام السجاد (ع) ، قضايا اسلامية معاصرة ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤٢٢ ه ، ص ١٩-٤٨ .
١٨- زيد بن علي ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ، ط٢، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ١٤١٨ه.
١٩- زيد بن علي ، مسند الامام زيد ، جمعه عبد العزيز بن اسحق البغدادي رحمه الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د،ت) .
٢٠- عباس القمي المتوفي ١٣٥٩ه ، الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية ، ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٢١ه .
٢١-عبد الرزاق الموسوي المقرم ، حياة الامام زين العابدين ، المكتبة الحيدرية ، ١٤٢٤هـ.

٢٢- عبد الله شبر ، الحق اليقين في معرفة اصول الدين ، ط٢، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٩٥٦.
٢٣- علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (ت٥٧١ه/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٩، تحقيق علي شيري ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ه.
٢٤- فاطمة علي الجعفر ، المصلوب ابن المصلوب ، الشهيد يحيى بن زيد ، ط٢، الكويت ، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م
٢٥- فخر الدين الرازي المتوفي ٦٠٦، الشجرة المباركة في الانساب الطالبية ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، اشراف السيد محمود المرعشي ، ط٢ ، مكتبة اية الله المرعشي النجفي ، قم ، ١٤١٩.
٢٦- محمد بن يعقوب الكليني المتوفي ٣٢٩/٣٢٨ه ، اصول الكافي موسوعة الكتب الاربعة في احاديث النبي والعترة ، ج١ ، قدمه محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١١.
٢٧- محمد بن يوسف المضري الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كسن، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ،١٩٠٨.
٢٨- محمد رضا الحسيني الشيرازي ، الامام الحسين عظمة الهية وعطاء بلا حدود ، دار العلوم ، مؤسسة الفقيه الشيرازي ، كربلاء ، (د.ت).
٢٩- ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ، دار العربية للموسوعات ،بيروت، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
٣٠- نجم الدين ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة من اعلام القرن الخامس ، المجدي في انساب الطالبين ، مقدمة اية الله المرعشي النجفي ، تحقيق محمد المهدوي الدامغاني ، اشراف محمود مرعشي ، ط٢، نشر مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٢٢هـ.
٣١- نوري حاتم ، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند اهل البيت عليهم السلام ، ط٣ ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، قم ،١٤٢٦ه، ٢٠٠٦م.

٣٢- يوليوس فلهوزن ، الاحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، ترجمة عن الالمانية ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨.

الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية لبناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

م.م.هيفاء كاظم إسماعيل
باحثة: دموع كاظم إسماعيل

المقدمة:

أن مفهوم السياسة عند الإمام علي(عليه السلام) يستقي معناه من مفهومين القرآني والنبوي حيث وردة في الحكم السياسة القصار للإمام علي(عليه السلام) مفردة السياسة وما يتعلق بها من حاجة الدولة إلى أسس سياسية واجتماعية ومالية في بنائها. وان الإمام علي(عليه السلام) خلف في العدالة الاجتماعية والسياسية والمالية منظومة متكاملة تصعب الإحاطة بمضامينها ومعانيها، ما نهل منه شارب إلا وخرج ينفع الناس كافة. كما إن نهج الإمام علي(عليه السلام) يتضمن هدفه الأساسي إصلاح الناس والدولة ،لذلك كانت خطبة ورسائله وأقواله عن شؤون المجتمع والدولة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمالية...الخ، والحفاظ على امن المجتمع وسلامته وتامين الحياة الكريمة.

ومن الناحية الاجتماعية سعى الإمام علي(عليه السلام) إلى ترسيخ أسس العدالة في المجتمع ومحاربة الفقر والجهل والهدر بالأموال العامة والقضاء على الصراعات على الحكم، وإرجاع حق المظلوم والمساواة بين الجميع في العطاء، وأمر أصحاب الأموال والثروات بدفع ماعليهم من الحقوق إلى بيت المال والحفاظ على الأموال العامة للدولة.

إما من الناحية السياسية فقد كان الإمام(عليه السلام) يبسط العدالة في السياسة ،وبقية على نهج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مواظبا على مجلس الشورى ليتشاور في أمور الدولة والمجتمع.

أهمية البحث:

تسعى فكرة الإمام علي(عليه السلام) إلى بناء دولة مستقرة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومالياً، أي الحفاظ على الاستقرار المجتمعي، وتوفير فرص للتنمية المستدامة، وتكوين دولة ناجحة.

مشكلة البحث:

تعد الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية من أهم الأمور التي يجب دراستها وتحددها بدقة، وخلاف ذلك تكون اكبر مشكلة تواجهها الدولة، لذا نكمن مشكلة البحث في دراسة هذه الأسس بالشكل المطلوب ومعالجتها، وإشباع حاجات المجتمع الضروري والمحافظة على الأموال العامة للدولة، ومن ثم تكوين دولة ناجحة.

فرضية البحث:

قدم الإمام علي(عليه السلام) أسساً واضحة، اجتماعية وسياسية ومالية، بحيث تصبح الدولة حديثة وناجحة، وتستطيع المساهمة في تحقيق أهداف المجتمع، والمحافظة على الأموال العامة ومكانتها بين الدول.

أهدف البحث:

١- يسعى هذا البحث إلى مفهوم الأسس الاجتماعية والسياسة المالية في فكر الإمام علي(عليه السلام).

٢- يهتم هذا البحث بدراسة العلاقة بين الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية في فكر الإمام(عليه السلام).

٣- يسعى إلى معرفة كيفية المحافظة على المال العام في فكر الإمام علي(عليه السلام).

٤- يسعى هذا البحث إلى معرفة إجراءات الإمام علي(عليه السلام)، لرعاية النشاطات السياسية والمالية والاجتماعية.

٥- يهدف هذا البحث إلى دراسة الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية لبناء الدولة في فكر الإمام علي(عليه السلام).

المبحث الأول: الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية

١-١: مفهوم الأسس الاجتماعية:

يقصد بالأسس الاجتماعية مجموعة من المقومات أو الركائز ذات العلاقة بالمجتمع(المرسي،٢٠١٢: ٥)، وتتكون الأسس الاجتماعية(البناء الاجتماعي) للدولة وفق المنظور الماركسي من بنيتين أساسيتين هي البنية التحتية والبنية الفوقية، والبنية التحتية تتكون من علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج، إما البنية الفوقية تتكون من السياسة

والقانون والفن والأدب والفلسفة والدين ويحدث التغيير في البناء الاجتماعي نتيجة التفاعلات التي تحدث في البنية التحتية أي بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج والتي يسميها(ماركس) بالعلاقات الاجتماعية(صديق،٢٠١١: ٣٢٧).

١-١-١: تعريف الأسس الاجتماعية:

وتعرف الأسس الاجتماعية هي القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع الدولة وبنائها وتتمثل في التراث الثقافي للمجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات وفي ضوئها تحدد فلسفة الأسس التي بدورها تحدد محتوى الدولة وتنظيمه واستراتيجيات الأنشطة التي تعمل كلها في إطار متسق لبلوغ الأسس الاجتماعية لبناء الدولة.

كما تعرف الأسس الاجتماعية على أنها الأسس التي تقام بطريقة مقصودة لتحقيق أهداف محددة وتتخذ طابعاً بنائيا يلائم تحقيق هذه الأهداف وقد تختلف المسميات(البيروقراطية، البناء الاجتماعي..الخ) ولكن جوهرها واحد ويتحدد بشكل الأسس الاجتماعية عن طريق وظائفها، ويقول(فلتيشر) البناء الاقتصادي هو الأساس الحقيقي للمجتمع ومنه تنبثق المؤسسات التشريعية والسياسية للبناء الأعلى الذي يشغل بدوره الأساس الاجتماعي(Fletcher,١٩٧٢: ٣٨٨).

وعرفت القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المنهج وتنفيذه وتتمثل في التراث الثقافي لله يجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها (السيد،٢٠٠٩: ٣).

١-١-٢: النظام الاجتماعي عند الإمام علي (عليه السلام):

قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض الأعمال التأسيسية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء المجتمع، وبناء الروح الإسلامية السامية، وببناء الدولة العادلة، وهذه الأعمال لا تنحصر بعددٍ معين لأنها تمتدّ على طول المرحلة الزمنية التي عاشها النبي بعد الهجرة. ومن أهم وأبرز الإنجازات التي قام بها الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، في سبيل تركيز دعائم المجتمع الإسلامية المبني على أسس الصلاح عملية المؤاخاة بين

المسلمين، وذلك كعملية تمهيد للهجرة حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب التي تحتاج إلى التعاون والتعاضد بأعلى مراتبه. فكانت عملية المؤاخاة تهدف إلى السموّ بالعلاقات الاجتماعية بين الناس عن المستوى ألمصلحي وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة.

وكذلك من إنجازاته(صلى الله عليه وآله وسلم)، عملية إلغاء الفوارق الاجتماعية والطبقية، حيث قام بإلغاء بعض الامتيازات القائمة بين الناس وأوجد مكانها مفاهيم العدالة والأخوة والمحبة والتواضع بين أفراد البشر.

وهذه السياسة بعينها أنتهجها الإمام علي(عليه السلام)، حينما تولّى الخلافة. حيث وجد المجتمع غارقاً في وحول التفرقة وعدم الألفة بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فكان يدعو ولاته في جميع الأمصار إلى أن يُحسِنوا معاملة الناس من دون تمييز أحد على آخر(رزق،٢٠١٣: ٣).

ففي كلام له في عهده إلى مالك الأشتر يقول الإمام(عليه السلام) "وأشعر قلبك الرحمة للرعيَّة، والمحبَّة لهم، واللُّطف بهم، ولا تكُونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً، تغتنم أكلَهُم، فإنهم صِنفانِ، إما أخ لك في الدِّين أو نظيرٌ في الخَلْقِ"(نهج البلاغة، ج ٥٦).

بهذه الكلمات البليغة والمعبِّرة وغيرها.. أوضح الإمام(عليه السلام)، أبعاد الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، لتكون ثورة تحرّر الفكر البشري من خرافات الجاهلية ومآسيها وقوانينها، وتوجّه الناس نحو طريق الخير والسعادة وبناء الذات والمجتمع المثالي ليكونوا خير أمَّةٍ أُخرجت للناس، وليكون المؤمنون أخُوة، وكالجسد الواحد الذي كلما اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى لا كما علَّمتهم الجاهلية بأن يقتل الإنسان أخاه الإنسان، أو يعتدي عليه وينهب أمواله(صديق،٢٠١١: ٣٢٩).

١-١-٣: الإمام علي(عليه السلام) والنظام الاجتماعي والمجتمع:

يتكوَّن المجتمع البشري من مجموعة أفرادٍ تربطهم أنظمة وتقاليد وآداب وقوانين معيَّنة، ويشكّل هؤلاء الأفراد سلسلة مترابطة الأجزاء لا تستغني فيها حلقة عن أخرى، وتسود

بينهم مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والطبائع توحّدهم وتجمعهم على أساس قوانين وحقوق وواجبات، ولا تفرّقهم الفتن والأهواء.

وهذه الأنظمة والقوانين تتكوّن من خلال الاحتياجات الاجتماعية المشتركة، والعلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد المجتمع وتجعل حياتهم مشتركة إلى حدٍّ كبير، بحيث يمكن وصف هؤلاء الأفراد بالمسافرين الذين يمتطون وسيلة نقلٍ واحدة ويتّجهون نحو هدفٍ واحد ويشتركون معاً في بلوغ الهدف المنشود، كما يشتركون في الفشل الذي قد يصيبهم في طريق تحديد ذلك الهدف(رزق،٢٠١٣: ٥).

ويرى الإمام علي(عليه السلام)، أنَّ من أقدس أهداف الإسلام وأسماها إيجاد هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية، وبناء المجتمع البشري الصالح الذي يتحلَّى فيه الأفراد بروح الجماعة، والتخلي عن الذات وذوبانها في المجتمع.

ورؤية الإمام علي(عليه السلام) تتجلَّى بوضوح في حديثه عن أسباب بعثة النبي الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول"بعثه والناس ضلال في حيرةٍ، وحاطبون في فتنةٍ، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبراء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر وبلاءٍ من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النَّصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة"(نهج البلاغة الخطبة، ٩٣).

وفي وصفه لحالة العرب الجاهلية وبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول"إنَّ الله بعث محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرّ دار، مُنيخون بين حجارةٍ خُشنٍ، وحيَّاتٍ صُمٍّ، تشربون الكَدِر، وتأكلون الجَشِبَ، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبةٌ"..(نهج البلاغة الخطبة : ٢٦).

وإن الدراسة الواعية والدقيقة لكل تفاصيل الحياة، التي عاشها الإمام علي(عليه السلام)، ولكل ما ورد من كلامه وخطبه في نهج البلاغة، تُظهر لنا كيف حدَّد الإمام(عليه السلام)، معالم النظام الاجتماعي الإسلامي بأدقّ معانيه وتفاصيله، والذي على أساسه تتحدّد الروابط والعلاقات التي يجب أن تحكم علاقات البشر مع

بعضهم البعض، حيث كانت أعماله وأقواله مثالاً رائعاً يُحتذى به في جميع الجوانب، وبالأخصّ من جهة المواصفات التي تَميَّز بها الإمام(عليه السلام) في بَثِّ روح الإخاء والمحبة بين المسلمين، وحرصه على وحدة الصف والكلمة.

وامتاز الإمام(عليه السلام)، بالحلم والصفح، بل كان كما قيل فيه: أحلم الناس عن ذَنْب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر هذا يوم الجمل، حيث ظفِر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدَّهم بغضاً فصفح عنه.

وكان عبد اللَّه بن الزبير يشتِمُهُ على رؤوس الأشهاد حيث خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوَغْد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان الإمام(عليه السلام)، يقول ما زال الزبير لاجً منّا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله، فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرَينَّك، ولم يزده على ذلك، وظفِر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجَمل بمكَّة وكان له عدوّاً فأعرض عنه ولم يقلّ له شيئاً.

ودعا الناس إلى نَبْذِ التعاليم الجاهلية والالتجاء إلى التعاليم الإسلامية التي أنقذت الإنسان من الظلم والجهل والضلال. ففي كلام له(عليه السلام) يقول "ولا تكونوا كجُفاة الجاهليَّة، لا في الدين يتفقَّهون، ولا عن الله يعقلون، كقيضِ بيضٍ في أداح، يكون كَسْرُها وزراً، ويُخرجُ حِضانُها شرّاً"(طه،١٩٩٧: ١٨٢).

وكان للإمام علي(عليه السلام) الدور الكبير في وضع المناهج التربوية الحية لتنظيم سلوك الإنسان، وتطوير حياته، وبناء حضارته، على أسس تتوافر فيها جميع عواملُ الاستقرار النفسي. ولقد نظر الإمام(عليه السلام) بدقَّةٍ وبعمقٍ وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقِه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وحكومته وغير ذلك، فوضع له نظاماً خاصاً لهذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها ليتمَّ بذلك إنشاءُ مجتمعٍ إسلامي تسوده العدالة الاجتماعية، والعلاقات الوثيقة بين أبنائه التي تقوم على أساس الثقة والمحبَّة، وغيرها من وسائل التقدم في الميدان الاجتماعي وتنظيم علاقات الناس في كل المجالات. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن النظام الذي وضعه الإمام علي عليه السلام يشكِّل الأساس السليم لكل العلاقات في المجتمع الإسلامي والذي يدور ضِمنَ هذه المحاور التالية وهي:

أولاً: علاقة الإنسان بالله تعالى.
ثانياً: علاقة الإنسان مع نفسه.
ثالثاً: العلاقات الاجتماعية الخاصة.
رابعاً: العلاقات الاجتماعية العامة.

أولا: أسس الإمام علي(عليه السلام) دعائم العلاقة السليمة التي ينبغي أن تقوم بين الإنسان وخالقه كالتسليم المطلق لإرادته تعالى والعبودية الخالصة له والخشية والخوف منه، وطاعته والتوجه إليه وحده دون سواه.

ثانياً: وضع الإمام علي(عليه السلام) الخطط والبرامج التربوية للإنسان المسلم التي تكفل له عملية بناء الذات الإنسانية وتربيتها وفق الموازين الإسلامية الصحيحة. مثل إرشاداته عليه السلام في مراقبة النفس الإنسانية ومحاسبتها ومجاهدتها وتعويدها على الطاعة والعبادة، وترويضها على التقوى وأعمال الخير والإحسان.

ثالثاً: فقد دعا الإمام علي(عليه السلام) في جملة نصائحه التي تضمنتها أقواله وأفعاله إلى الاهتمام بكل الجوانب التي تقع في ضمن العلاقات الإنسانية كالعلاقة مع ذوي القربى من الأرحام والعلاقة الأسروية الزوج الزوجة الأولاد، وفي المحور الرابع رسم الإمام علي عليه السلام أرقى المناهج في العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة الإسلامية على قاعدة المحبة والوئام والاحترام المتبادل، وهذا واضح من خلال كلماته عن الأخوة وآثارها وفوائدها.

رابعاً: فإننا لا ندّعي الإحاطة الشاملة بأبعاد الرسالة الاجتماعية للإمام(عليه السلام) التي تمكّن العارف بها من صياغة برنامج اجتماعي يضمن ويكفل سعادة البشرية مهما اختلفت آراؤها وأفكارها. فعلي بن أبي طالب(عليه السلام) رائد هذه الحركة الفكرية التي ينبغي لكل الناس الاستلهام والاقتباس من معينها لتضمن لنفسها السعادة والرقي والهناء(النصراوي،٢٠١٥: ٦).

١-٢: مفهوم الأسس السياسية:

إن النظام السياسي نظام ديمقراطي يقوم على العددية السياسية والحزبية بهدف التداول السلمي للسلطة والأحزاب السياسية عماد العمل السياسي الديمقراطي وحرية تكوين الأحزاب مكفولة دون حاجة إلى الحصول على ترخيص من أي جهة إدارية.

١-٢-١: تعريف الأسس السياسية:

هي القيام بالأمر بما يصلحه فهي تتناول كل ما يتعلق بحكم الدولة وإدارة العلاقات الخارجية، وتعني أيضاً الشؤون العامة والإحداث.

القانون السياسي: هو مجموعة القوانين التي تحدد النظم الحكومية وتعني العلاقات بين السلطة والمواطنين. ويمكن تعريفها علم حكم الدولة أو دراسة المبادئ التي تقوم عليها الحكومات والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالدول الأخرى.

والتعريف الحديث السياسة: هي فن حكم المجتمعات الإنسانية. وعلى الصعيد الديني تعرف حب التحرك من اجل رعاية الناس وتامين مصالحهم وتخليصهم من واقع سيء إلى واقع أفضل(عاصي،١٩٩٦: ١١-١٢).

وقال الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله وسلم):"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل راعٍ على أهله بيته والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنهم" ويقول الإمام علي(عليه السلام) "اتقوا الله في عباده وبلاده فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم"(الريشهري،٢٠١٤: ٣٢٧).

١-٢-٢: الرؤية السياسية في الحكم عند الإمام علي(عليه السلام):

إن الرؤية السياسية التي تبناها الإمام(عليه السلام) في دولته كانت ذات آليات متطورة تبعا للمنهج الإسلامي وتصوراته ولما يمتلك من خبرة دينية وعسكرية واجتماعية جعلته مؤهلا لان يكون صاحب منهج متميز في إدارة شؤون الدولة عسكرياً واجتماعياً لذا يرى أمير المؤمنين إن بقاء القيادة السياسية الأولى للدولة في العاصمة وعدم خروجها للحرب أصلح فبقاؤها لإدارة شؤون الجنود والعسكر في الولايات وإدارة بيت المال واقتصاديات الدولة وبسط العدل والقضاء والعمل لاستقرار الدولة والمجتمع وتقدمها بينما تذهب القيادات العسكرية لمحاربة العدو وقتاله(ألسعيدي،٢٠٠٠: ٦).

إن من أهم الصعوبات التي تواجه الحاكم بعد توليه زمام الأمور حب مسألة تشكيل الوزارة وتوزيع الحقائب الوزارية في الدولة وتطعيم مؤسسات الدولة بالعناصر الكفوءة المختلفة والقادرة على تعريف الأمور لذلك كان على الإمام(عليه السلام) إن يغير البناء السياسي والتشكيلة الوزارية التي كانت من قبله، فاعتمده على عزل العناصر الفاسدة واستبدل مكانها العناصر المؤمنة وأصحاب السمعة الجيدة في الوسط الاجتماعي والسياسي والذين كان لهم بعد ذلك دور كبير في دولته وحكومته أمثال(مالك الاشتر، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس...وغيرهم) من الوجوه المعروفة بالورع والإيمان، ثم انه من الركائز الأخرى التي انتهجها هو عدم انحجابه عن الناس والمؤمنين والجلوس لسماع مشاكلهم مع السلطة والموظفين مما يكون ذلك سببا للمتابعة فضلا عن وضع شرطه سرية ترصد حركات الموظفين والعمال الحكوميين مما يساعد الإمام(عليه السلام) على سياسة العزل والتنصيب وأيضاً التامين الاجتماعي للعاطلين والعاجزين عن العمل بحيث يصرف لهم من بيت المال راتباً شهرياً وإنعاش الاقتصاد عبر نظام اقتصادي يتيح للفرد التملك ضمن سياسة إحياء الأراضي فكان الإمام علي(عليه السلام) يشجع على التنمية الاقتصادية والزراعية فضلا عن إلغاء المحسوبية والرشوة والطرق الملتوية في نظام الحكم الجديد واعتماده على المساواة وإلغاء الحواجز العنصرية في سبيل مجتمع متكامل(طه،١٩٩٧: ١٨٠).

١-٣: مفهوم الأسس المالية:

إن السياسة المالية: هي تلك الجهود والمحاولات الحكومية المعتمد عليها في تحديد مصادر الإيرادات العامة وتحديد الأهمية النسبية لكل منها وكذلك تحديد الكيفية التي تستعمل بها هذه الإيرادات العامة لغرض تحويل الإنفاق العام، وذلك لتحقيق الأهداف الاقتصادية المختلفة ولاسيما تحقيق الاستقرار الاقتصادي. وهناك تعاريف أخرى عديدة لاتخرج عن التعريف السابق مفادها إن السياسة المالية أداة الدولة التي تستطيع بواسطتها التأثير على النشاط الاقتصادي لغرض تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية مختلفة بمعنى أنها أداة بيد الدولة تستطيع إن تستعمل بواسطة إيراداتها ونفقاتها لتحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ومثال ذلك التصوف بالاقتصاد الوطني وتحقيق

الاستقرار الاقتصادي ودفع عجلة التقدم وتقليل التفاوت في توزيع الدخول والثروات ومحاربة أو علاج التضخم والكساد(الانكماش)(بخيت ومطر، ٢٠١٢: ١٩٠).

١-٣-١: العوامل التي يجب أخذها بنظر الاعتبار لتفعيل الأسس المالية:

أ- تفعيل عناصر الممانعة الفكرية والثقافية تجاه الأفكار الهدامة الداعية للإرهاب والمروجة له وتحول بعض وسائل الإعلام وبعض دور العبادة وبعض الأحزاب السياسية إلى حواضين فكرية ولوجسية داعمة للإرهاب وبما قوى من شوكة الإرهاب في العراق ولاسيما في السنوات ٢٠٠٦-٢٠٠٧. وان الانحراف والقصور الذي اتسم به أداء وكالات التنشئة الاجتماعية العراقية قد ولد الشرارة الأولى أو المادة التي انطلق منها الغلو والتطرف من الجماعات الإرهابية التي تدفقت إلى العراق من وراء الحدود بعد ٢٠٠٣، ووجهت إعمالها الإرهابية نحو شرائح وفئات من داخل الدولة.

ب- النظام الوظيفي القائم على المحسوبية والولاءات السياسية تفويض أسس التوزيع الكفوء للخدمات ويؤدي إلى وجود إدارة غير عادلة لقوانين الضريبة والتنظيم وعندما تعشش المصالح الشخصية والفساد داخل أي حكومة تحاول إن تسير في نهج ديمقراطي وإنتاجي مصغر فان ذلك يعني إعاقة الإصلاح السياسي والاقتصادي وإفقاده شرعيته والهدف ليس عزل الإدارة الحكومية تماماً عن السياسة وهو أمر مستحيل على أي حال ولكن العثور على طرق تشكيل حلاً وسط لهذه العلاقة تقليدياً يعتبر الموظف المدني محايدا في السياسة مستقرا في مهنته(سوزان، اكرامان،٢٠٠٣: ١٣١).

ج- إصلاح نظام الخدمة المدنية: يعتبر شأناً ملحاً في العديد من مناطق العالم فعلى سبيل المثال يتوجب على الديمقراطيات الحديثة في الدولة النامية تطوير نظام خدمة مدينة مستقبلي من اجل عصرنة الدولة وتطويرها كما يتوجب عليها تقتيم الأعباء بين أجهزة الخدمة المدنية والأنواع الأخرى من المؤسسات والجماعات خارج البنية الحكومة الرسمية فالبنى الحكومية المتوارثة من الأنظمة الاستعمارية السابقة ابتعدت عن البيروقراطية النموذجية في طرق عدة فقد ظل الموظفون الكبار يمثلون المستعمرين لا بل عمدوا إلى خرق مبادئ البيروقراطية من خلال زج أنوفهم وتدخلهم الواسع في الصراعات السياسية مفضلين مصالح الغرباء التيارية على مصالح أوطانهم حتى أنهم

عاملوا مواطنيهم معاملة ظالمة وغير منصفة لذا يوصي(لابيدو ادموليكن) وهو تلميذ ذو باع طويل في البيروقراطية الإفريقية باستخدام موظف مدني صغير يستطيع إن يقوم بعدة مهمات بعيدا عن مسؤولية الحكومة المركزية كما يشدد على أهمية محاسبة السياسيين للمسئولين الكبار(سوزان، اكرامان،٢٠٠٣: ١٣٣).

المبحث الثاني: فكر الإمام علي(عليه السلام)

٢-١: شخصية الإمام علي(عليه السلام):

علي بن أبي طالب(عليه السلام) حارت بها العقول وتداعت لها النفوس وهوت عند إقدامها العلوم ولعل ارتباط شخصية الإمام(عليه السلام)، بقضية الإمام كأحد معتقدات الشيعة الأمامية قد أوغر عليه الصدور وهو من هوى في العلم الشجاعة والفصاحة وهو من فيه الشرف والكرامة فهوة اخو الرسول الخاتم (صلى الله عليه واله وسلم) وحامل لوائه في الدنيا والآخرة وهو الشاهد والشهيد فوجوده كان سراً علوياً وحياته كانت كنز من الإسرار (فالسلام عليه) يوم ولد في البيت ويوم جاهد وناصر وحاطى الرسالة وصاحبها ويوم استشهد في بيت من بيوت الله ويوم يبعث حياً.

إن حياة الإمام(عليه السلام)، أشبه ماتكون بمحيط لايتيسر للمرء الإحاطة بكل أفاقه بنظرة واحدة أو حتى عبر دراسة طويلة فالمحيط من حيثما تأتيه تجده زاخرا بالعظمة، تجده مجمعاً لبحور عميقة القعر ولو دخلنا المحيط من جانب شخصية الإمام(عليه السلام)، حيث ترى آيات العظمة والمشاهد والصور المختلفة وإذا أوردناه من ضفة ثالثة أو رابعة أو خامسة أو عاشرة فيأتي نفس الكلام أيضا فترى كل جهة عجائب أخرى.

هذا طبعاً مجرد مثال مصغر ولا يفي بالغرض عن شخصية الإمام علي(عليه السلام)، ومن حيثما تنظر إلى هذه الشخصية تجدها تنطوي على عجائب جفه، ولا مبالغة في هذا بل انعكاس اعجز إنسان درس حياة الإمام(عليه السلام)، سنوات متعددة واستشعر هذا الإحساس في نفسه وأدرك إن شخصية الإمام(عليه السلام)، سير أغوارها بأسباب الفهم المتعارف من ذهن وعقل وحفظ وادراكات عادية لان كل جانب من جوانبها زاخر بالعجائب طبقاً الإمام (عليه السلام) نسخة مصغرة عن رسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم)،(ألمجلسي،٢٠٠٩: ٢٩).

١- مثال رأفته ورقته: الرأفة والرقة لاتنسجم مع الحزم والصلابة، لكن عطف ورأفة والرقة الإمام(عليه السلام)، كانت في ذراها الأعلى الذي قلما يبلغه إنسان عادي فالذين يساعدون المساكين ويتفقدون العوائل الفقيرة كثيرون إلا إن الشخص الوحيد الذي كان يؤدي هذا في عهد وفترة حكومته واقتداره وتسلطه أولاً ويكون هذا العمل دأبه على الدوام ولم يكتفِ بأدائه مرتين أو ثلاثاً بل ثانياً وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون المادي فحسب بل يذهب إلى هذه العائلة ويتحدث مع هذا الشيخ ويجلس مع هذا العزيز ويلاطف الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون هو الإمام علي(عليه السلام)(ألمجلسي،٢٠٠٩: ٢٩).

٢- مثال ورعه وحكومته: الورع يقصد به اجتناب كل ما تحمل فيه الكراهية ولكن كيف ينسجم هذا مع الحكومة هل يتسنى للإنسان إن يكون ورعاً إلى هذا الحد وهو في الحكم فنحن ألان بالحكم نشعر بأهمية وجود مثل هذه الخصلة لان الإنسان في الحكم هو يتعامل مع قضايا عامة، وينفذ قوانين، ولكن ربما يكون في هذا القانون ظلم لإنسان في مكان ما، والشخص المكلف بتنفيذه بشرا أيضا وقد يسيء تطبيق القانون فكيف يتأتى للمرء التزام الورع في كل هذه التفاصيل الجزائية التي تستعصي على الإحاطة لهذا يبدو في الظاهر إن الحكومة والورع لايجتمعان، إلا إن الإمام(عليه السلام) جمع غاية الورع مع أقوى حكومة وهذا ما يثير العجب ولم يكن يجامل أحدا فإذا استشعر من والٍ ضعفا وأحس انه لايناسب هذا العمل عزله.

٣- اجتماع القوى والمظلومية في الإمام(عليه السلام): هل كان ثقة رجل في عصره أقوى منه، أوله مثل تلك القوة الحيدرية لم يتحد علياً(عليه السلام) أحدا ولم يجرأ أحداً على ادعاء ذلك حتى أخر حياته نفس هذا الإنسان كان اكبر أهل زمانه مظلومية والأكثر ظلامه منهم بل يقال وهو قول صحيح لعله أكثر إنسان ظلم في تاريخ الإسلام. إن القوة والمظلومية شيئان لايجتمعان فالمتعارف إن الأقوياء لايظلمون غير إن الإمام(عليه السلام) ظلم.

٤- زهد وأعمار الإمام(عليه السلام): كان مثالاً في زهده وإعراضه عن الدنيا ولعل ابرز أو احد ابرز مواضيع نهج البلاغة هو الزهد وهو في نفس الحال طوال فترة الخمسة

والعشرين سنة بين وفاة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) وتسلمه للخلافة كان ينفق من ماله الخاص في إعمال العمران فكان يزرع البساتين والمزارع ويحفر الآبار ويشق الأنهار والمدهش انه كان يتصدق بكل ذلك في سبيل الله. لا باس إن تعلم بان أمير المؤمنين(عليه السلام) كان أكثر الناس عائدات في عصره وقد نقل عنه انه قال "إن صدقتي لو وزع على بني هاشم لوسعهم" لكن هذا الإنسان الذي كان يعيش حياة فقيرة على اشد ما يكون من الفقر لأنه ينفق كل تلك الثروة في سبيل الله(Anew,١٩٨١: ٥٧٧).

٥- استغفار الإمام علي(عليه السلام): من خصائص الإمام(عليه السلام) الاستغفار إذ كان للدعاء والتوبة والإنابة والاستغفار مكان واسع في حياته وقد كان يقاتل ويعبئ الجيوش ويدير شؤون دولة كانت تعتبر من اكبر الدول يوم ذاك وحكمها تناهز الخمس سنوات وكانت تظم حوالي عشر بلدان وهذا السلطان الواسع بكل ما يستلزمه من وجود ومساعٍ كان أمير المؤمنين يدير بكل جدارة إضافة إلى ميادين الحرب وإدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين والقضاء بين الناس والمحافظة على حقوق أبناء المجتمع كانت إعمالا كبرى ومهمة وتتطلب عملا ومثابرة وتستحوذ على وقت الإنسان برمته ومثل هذه المواقف يقول الإنسان المحدود ببعد واحد إن دعائي وعبادتي هو هذا فانا اعمل في سبيل الله لكن أمير المؤمنين(عليه السلام) لم يقل هذا بل كان يؤدي تلك الإعمال ويعبد أيضاً. ويسال غفران خمسة ذنوب "اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء ....الخ".

٦- الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) مثل أعلى وقدوة: المسلمون وغير المسلمون يتكلمون بهذه الشخصية المقدسة ويكتبون حول الإمام علي(عليه السلام)، إلا إن ماقيل ليس كافيا في بيان جميع إبعاد شخصيته هذه الأعجوبة والنموذج للقدرة الإلهية الكاملة والكلمة التامة له وبديهي إننا سبب المشكلة غالبا فنحن الذين لايمكننا تصور هذه الشخصية المعنوية والروحية لضعف أذهننا واستئناسنا بالمقاييس المادية والأناس العاديين نعم بالإمكان رسم ملامح تلك الشخصية المعنوية العظيمة في الذهن ببركة أقوال من هم بمستوى أمير المؤمنين(عليه السلام) أو أعلى منه وهو خاتم الأنبياء محمد

المصطفى(صلى الله عليه واله وسلم) فقد وردت رواية إن الرسول الأكرم(صلى الله عليه واله وسلم) لجميع من أصحابه "من إرادة إن ينظر إلى ادم في علمه أو إلى نوع في تقواه والى إبراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام). إن أمير المؤمنين(عليه السلام) إمامنا وإمام جميع المسلمين أي إن الجميع يعتقدون به كإمام ولكن ما معنى الإمام يعني إن نلحظ إبعاد هذه الشخصية كالنموذج الرفيع الذي نضعه إمامنا ثم نحاول بناء شيء شبيه به يجب إن نروض أنفسنا لنكون شخصيتنا من حيث السلوك الفردي والعلاقة مع الله والتعامل مع الأخ المسلم في المجتمع والتعرف فيما لدينا من أموال وإمكانات ووسائل من بيت المال(ألعاملي: ٢١٢).

٢-٢:عدالة الإمام(عليه السلام) في الحكم وبناء الدولة والمحافظة على أموالها:

إن سياسة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، العادلة في توزيع المال كانت امتداداً لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) الذي عني بتطوير الحياة الاقتصادية وإنعاش الحياة العامة في جميع إنحاء البلاد ومن مظاهر هذه السياسة ماياتي:

١- المساواة في التوزيع والعطاء فليس لأحد على احد فضل أو امتياز وإنما الجميع على حد سواء فلا فضل للمهاجرين على الأنصار ولا للعرب على غيرهم.

٢- عدم الاستئثار بالمال العام فإذا ورد عليه مال لم يبقى منه شيئا الاقسمه على الفقراء، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول(يا دنيا غري غيري).

٣- الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية وإنشاء المشاريع الزراعية والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور وقد أكد الإمام(عليه السلام) في عهد(المالك الاشتر) على رعاية إصلاح الأرض قبل اخذ الخراج منها.

إن النظام الاقتصادي الذي اعتمده الإمام علي(عليه السلام) يهدف إلى إقامة مجتمع عادل ومتوازن لاتقف فيه الإقطاعية أو الرأسمالية موقف التسلط والتسيد على رقاب الناس ولا يوجد فيه فقير ومحروم وبائس فقد كان الإمام شديداً وعادلاً مع اقرب

المقربين وحادثة أخيه(عقيل بن أبي طالب) هي دليل قاطع على عدالته فعندما طلب عقيل مساعدة من بيت المال اكبر مما يستحق، حمى الإمام(عليه السلام) له حديده وقربها إلى يده. جاعلاً من ذلك الموقف عبرة ودرسا للعدالة والمساواة بين الرعية(النصراوي،٢٠١٥: ٣).

٢-٣: الإجراءات التي وضعها الإمام علي(عليه السلام) لإصلاح وبناء الدولة.

استلم الإمام علي(عليه السلام)، الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بسبعة أيام في(٢٥) ذي الحجة عام(٣٥ه) فوجد الأوضاع متردية بشكل عام وعلى اثر ذلك وضع خطة إصلاحية شاملة ركز فيها على شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم وهي:

أولاً: تطهير جهاز الدولة:

أول عمل قام به الإمام(عليه السلام)، فور توليه لمنصب رئاسة الدولة هو عزل الذين سخروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة واثروا ثراء فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال.

ثانياً: تأميم الأموال المختلسة:

اصدر الإمام(عليه السلام)، قراره الحاسم بتأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم المباد.

ثالثاً: التياع الإمام علي(عليه السلام):

امتحن الإمام(عليه السلام)، امتحاناً عسيراً من الأسر القرشية وعانى منها اشد ألوان المحن والخطوب في جميع ادوار حياته فيقول "لقد أخافتني قريش صغيرا وانصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله(صلى الله عليه واله وسلم)، وكانت الطامة الكبرى والله المستعان على ما تصفون" ولم يعرهم الإمام(عليه السلام)، اهتماماً وانطلق يؤسس معالم سياسته العادلة ويحقق للأمة ما تصبوا إليه من العدالة الاجتماعية.

٢-٤: سياسته في القضاء ومواصفات قضاته(عليه السلام):

تميزت سياسة الإمام(عليه السلام) بالعدالة والصرامة وعدم المراهنة مع أي طرف مهما علا شأنه أو قرب نسبه، فقد كان جل اهتمامه بشريحة الفقراء والمساكين وأهل الحاجة مما جعل منهجه في السياسة الاقتصادية يعتمد مبدأ توزيع الأموال بصورة عادلة وسريعة على مستحقيها، لذلك حدد الإمام علي(عليه السلام) صفات القاضي بمايلي:

١- إن يكون ممن لا تضيق به الأمور ولا تغضبه الخصوم.
٢- إن لا يتمادى في الزلة.
٣- إن لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق إذا أخطاء.
٤- إن لا تشرف نفسه على طمع.
٥- إن يكون عميق النظر لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه.
٦- إن يكون حازماً عند اتضاح الحكم.
٧- إن يكون طويل الأناة لا يضيق بمراجعة الخصم وصبوراً حتى تنكشف الأمور له.
٨- إن لا يستخفه زيادة الثناء عليه ولا يستميله إغراء(الشمري،٢٠٠٧: ٤).

المبحث الثالث: الدولة الحديثة

٣-١: مفهوم الدولة الحديثة:

ولدت الدولة الحديثة بتطور داخلي وبتكافئ بين المستوى الحضاري والصمود السياسي وانه دولة تستمد وجودها من الشعب والعقيدة وان الدين واللغة والتربية والتاريخ لا مساومة عليها إن كرامة المواطن فيها من كرامة الوطن.

فالدولة الضعيفة لا تستطيع حماية نفسها ولا حماية شعبها ولهذا يرى(جاك دوفاير) إن الضمانة الأولى للحقوق هي توافر دولة قوية. إن فكرة الدولة في هذا السياق التأسيسي لاتعدو إن تكون إطاراً سياسياً جديداً لإدارة شان الجماعة فوق القبيلة يتعدى لضوابطها واشتراطاتها القائمة بالأساس على تعاقد طوعي بين مكوناتها يحفظ الاستقرار الأمن للجماعة ويوفر ظروف التعايش بين إفرادها ويؤمنها إزاء أعدائها والمتربصين بها بالداخل والخارج.ومن خلال ما تقدم يمكن تعريف الدولة عبارة عن رقعة من الأرض موحدة ومنظمة سياسيا مسكونة من قبل سكان أصليين لها حكومة وطنية ذات سيادة على الجميع إطراف الدولة ولديها القوة الكافية لحماية الدولة.

وعرفها(فيفلد وبيرس) بأنها الدولة التي تحكم نفسها ولها كافة حقوق السيادة. وعرفها(هارام دوبليه) بأنها ارض أو إقليم طبيعي محدد وشعب متميز يسكن هذه الأرض وحكومة أو نظام سياسي له سلطة. والدولة تتكون من ثلاث عناصر الأرض،

الشعب، النظام السياسي(السلطة) والدولة لا توجد إلا إذا وجدت الجماعة السياسية المنظمة المستقلة عن شخصية الحكام(العروي،٢٠١١: ١٣).

والدولة تنظيم اجتماعي فهي اصطناعية لا يمكن إن تتضمن قيمة الحياة الدنيا كلها ،تتعلق القيمة بالوجدان الفردي إذ يتجه نحو الغاية المقدرة له. إذا كانت الدولة في خدمة الفرد لكي يحقق غايته فهي مقبولة شرعية مع أنها تبقى اصطناعية ومؤقتة مثل جميع الكائنات إذ هي تجاهلت الهدف الأسمى أو عارضته إذا هي منحت الفرد من إن يلبي الدعوة الموجهة إلى وجدانه أو ضايقته فهي مرفوضة لا شرعية سيئة لكنها إذا تعامت عن الهدف الأسمى الذي يتطلب تنفيذ قانون معين فهي شر باطل في كل الأحوال تبقى الدولة في مرتبة ثانوية لكن أقبلت إن تخدم الفرد الذي يتهيأ لتحقيق الهدف الأسمى فإنها تكتسب قيمة مستعارة من غاية ما ورائية حينذاك تخضع لقانون سابق تقبل إن تخدم غاية لم تحددها هي تتهيأ لتضمحل حيث يعود من واجبها إن تنكمش أكثر ما يمكن وان توسع النطاق الذي لا يحتاج الفرد إليها فيه تبرر الدولة وجودها بأنها تقوم بالماديات تخدم الفرد لكن ليس من حقها إن تحجب عن الغاية التي من اجل تحقيقها(العروي،٢٠١١: ١٤-١٥).

إن قوة الإنسان هي قوة جماعية أذا نظرنا إليها من زاوية الحاضر وجدناها تنشا عن التعاون وإذا نظرنا إليها من زاوية الماضي وجدناها مدخرة في العادات الثقافية. فالدولة ظاهرة من ظواهر الاجتماع الطبيعي ولدت حسب قانون طبيعي حكمها إذن مندرج تحت حكم المجتمع العام إذا بقيت خاضعة لقانون تولدها وظهورها كانت طبيعية أي معقولة لذا لا ينشا تناقض بينها وبين المجتمع أو بينها وبين الفرد إذ حصل تناقض فلسبب غير طبيعي ناتج عن خطا أنساني متعمد وفي تلك الحال تنشا الدولة الاستبدادية الظالمة الدولة إما طبيعية وهي صالحة وإما فاسدة لأنها غير طبيعية(العروي،٢٠١١: ١٧).

٣-٢: الدولة الحديثة حسب فكر الإمام علي(عليه السلام):

إن الدولة الإسلامية التي بناها الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله وسلم) كانت تجاوزاً راديكالياً للانتظام القبلي، وتجلى هذا التجاوز بشكل رئيس في بناء العضوية أو المواطنة على التزام تعاقدي يستند إلى جملة من المصالح، لا على رابطة الدم، التي

أمست ضعيفة ولا يلتفت إليها. غير إن عدداً من الحوادث والتطورات السياسية المرتبة بالصراع بين الجماعة الإسلامية وقريش، افتقرت هذه المواطنة، وأضعفت محتواها التعددي دينياً وسياسياً، وخاصة بعد تورط اليهود في مؤامرات تستهدف امن دولة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، وهو ما أدى في النهاية إلى ظهور الدولة الإسلامية بمظهر الدولة الدينية التي لا تعترف بالمواطنة الكاملة سوى لأهلها من الملة المسلمة. وعرفة الإسلام الدولة المستقلة صاحبة السيادة عن أشخاص الحكام فالحاكم يمارس السلطة بصورة مؤقته ونيابة عن الأمة(الطريقي وآخرون،٢٠١٥: ١١).

يتجاوز هذا القول، قول فولتير، إذ إن فولتير يشير إلى إمكانية إن يكون موضوع الدولة أمراً مختلفاً عليه، في حين يشير قول الإمام علي(عليه السلام) إلى حق المواطنين في نقد تصرفات الدولة من خلال تحقيق مصالحهم أو عدم تحقيقها، وبالتالي فان هناك تخصيصاً للوظيفة الأساسية للدولة وهي تحقيق العدالة بمختلف أصنافها، سياسية أو قضائية أو اجتماعية.

كما يعني قول الإمام(عليه السلام) حق المواطن في التعبير عن رأيه في نقد الدولة وممارساتها، ويذهب ابعد من ذلك حين يؤكد النص على إن الدولة تعبير عن مصالح مواطنيها ولذلك فأنهم أحرار في نقد سياسة الدولة إذا لم تعبر عن مصالح المواطنين. وهذا يجعل الدولة أو السلطة تحت معيار الرقابة الشعبية كما يحدث في الدول الديمقراطية المعاصرة.

ولكن الإمام علي(عليه السلام) لا يتوقف عند محتوى النص، فهو حاكم مطبق لنصه ومحتواه فعلياً. فإثناء خلافته طبق الإمام(عليه السلام) من خلال عدة إحداث التزامه، وهو الحاكم، بتطبيق بنود نصه وفكره وموقفه. إن حوادث واقعية كثيرة تثبت ذلك، وقوفه مع اليهودي الذي رهن لديه درعه واعتراضه على تمييزه من قبل القاضي بتكنيته، وقبوله النقد الموجه إليه من مواطنيه وموقفه من الخوارج كمعارضة لها الحق في الاعتراض السلمي ونقد السلطة(ياسين، ٢٠١٠: ٥٢).

٣-٢-١: معالم الدولة الديمقراطية في فكر الدولة عند الإمام علي(عليه السلام):

يهتم الإمام علي(عليه السلام) بفلسفة الدولة ومؤسساتها ومؤسسات المجتمع المدني ودور القطاعات المهنية والاجتماعية وتمثيلها في الحكم، فيقول(اعلم إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولاغني بعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم)، عهدا منه عندنا محفوظاً)(الأنصاري،١٩٨٣: ٥٣).

ويعود الإمام علي(عليه السلام) إلى أمر الخراج كونه المصدر الأول للضرائب التي تقوم عليها الدولة(وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولإصلاح لمن سواهم إلا بهم، لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً)(الأنصاري،١٩٨٣: ٨٣).

وتكشف التطورات اللاحقة لخلافة الإمام علي(عليه السلام) صدق هذه المبادئ، خاصة فيما يتعلق بالتعسف الأموي في أستحصال الضريبة على حساب عمارة الأرض، الأداة الرئيسية للإنتاج آنذاك. ويؤكد نص الإمام علي(عليه السلام) على قضية بالغة الأهمية وهي إن الناتج الاقتصادي لا يقوم على الجباية، بقدر ما يقوم على توفير المستلزمات الأساسية لاستمرار الموارد المالية، وهي إصلاح الأرض ومساعدة عمالها على التغلب على العقبات الطبيعية، مثل الجفاف والفيضانات فحماية مصدر الموارد أهم من الحصول عليها(وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج)(جرداق،١٩٣١: ٥١).

٣-٢-٢: الدولة الحقوقية الحديثة والعدالة عند الإمام علي(عليه السلام):

ويحسم الإمام علي(عليه السلام) موضوع العدل حسماً أكيداً يلغي فائدة الجدل الذي نشأ فيما بعد حول الإيمان والاستبداد والكفر والعدالة فلا يبرر لمؤمن إن يجور ويستبد باسم الإيمان حين قال(الكافر العادل خير من المسلم الجائر) إذ يضع العدالة في أهميتها ومصلحتها العامة فوق الإيمان الفردي، وهو مبدأ من أهم مبادئ الديمقراطيا الحديثة.

إما على مستوى التطبيق العملي لفكرة سيادة القانون وتطبيق العدالة على الجميع، فان حادثتين كافيتين لتأكيد التطبيق العملي للنص. فبعد اغتيال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، أقدم ابنه عبيد الله على قتل الهرمزان دون محاكمة أو توجيه تهمة أو قضاء، وظل في حماية الخليفة الثالثة عثمان بن عفان دون قصاص رغم مطالبة المسلمين به وعلى رأسهم الإمام علي(عليه السلام). فطلبه علي(عليه السلام) حين تولى الخلافة لتنفيذ العدالة فهرب والتحق بمعاوية. إما الحادثة الثانية فكانت أيضاً في زمن عثمان حين كان الوليد بن عقبة الذي كان قريباً لعثمان وكان سكيراً حتى في أيام ولايته الكوفة فخرج ذات يوم من ملهاه سكران إلى المسجد فصلى بالناس الفجر أربع ركعات وقال لهم ساخراً(إذا شئتم زدتكم) في احتقار بين وواضح للفرائض فشكاه أهل الكوفة وشهدواً عليه وطالبوا بإقامة الحد، لكن عثمان كان قد وصل إلى مرحلة إرهاب المسلمين عبر أقاربه المتسلطين وعبر إجراءاته التي كانت تمالئ أقاربه من بني أمية بغض النظر عن إيمانهم وتعادي الصحابة الأوائل مثل أبي ذر وعمار وغيرهما. لكن الإمام علي(عليه السلام)، الذي يطبق العدالة على اقرب الناس إليه نهض وجلده، وكان من أسباب النزاع بين الإمام علي(عليه السلام) وعثمان الذي غضب وظهرت عليه نزعة تفضيل أقاربه على العدالة والحق(الحسني،١٩٩٠: ٨٠).

كما عزل الولاة الذين عينهم عثمان ليس لكفاءتهم وعدلهم ونزاهتهم وإنما لقرابتهم منه، ورفض المساومات السياسية حين طلب للبيعة بعض الأمويين ومن أقارب عثمان، فساوموه على الإبقاء على مصالحهم مقابل بيعتهم له، فرفض، وتصرف تصرف رجل الدولة الديمقراطية الحديثة التي تعطي لمعارضيها الحق في البقاء على أرائهم، حين أجاب الناطق باسمهم وهو الوليد بن عقبة الذي ذكّر الإمام(عليه السلام) بما قام به في معركة

بدر حيث قتل أباه في تلك المعركة، فأجابه الإمام علي(عليه السلام)(إما ماذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وإما وضعي عنكم ما في أيديكم فليس لي إن أضع حق الله. وإما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم. وإما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتالهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم إن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل أضيق، وان شئتم فالحقوا بملاحقكم(جرداق،١٩٣١: ٦٠).

إن المشكلة الكبرى التي واجهت الإمام علي(عليه السلام) سياسياً، كانت نابعة من الفروق الهائلة بين مشروعين للحكم. مشروع يقوم على الوسائل غير المشروعة وعلى مصادرة السلطة والمال العام واستخدام القانون لصالح أقلية حاكمة وحرمان الأمة من العدالة، وبين مشروع رسالة شرعيه له، مرجعياته الأخلاقية سياسياً واجتماعياً، يستهدف تحقيق العدالة والمساواة والرفاهية للجميع حسب الإمكانيات المتاحة، وبغض النظر عن الجنس واللون واللغة والمنشأ. ولذلك فانه، حين طالبته امرأة عربية إن يفضلها على أخرى غير عربية في العطاء، فاخذ حفنة من التراب ونظر فيها ثم قال(عليه السلام) (لا أرى في التراب فضلاً لأحد على احد) فالمساواة إذن تنبع لديه من العنصر الإنساني وليس من عناصر أخرى(الحسني،١٩٩٠: ٨٥).

٣-٣: العوامل التي تساعد على إنشاء دولة حديثة حسب فكر الإمام علي(عليه السلام):

١-الرقابة الخارجية(رقابة الدولة):

أكد الإمام(عليه السلام) الرقابة على العاملين في الدولة وضرورة بث العيون عليهم وتفقد إعمالهم وعدم الاكتفاء بحسن الظن والثقة بهم فالنفس قد تضعف والعيون قد تطمع وتمتد الأيدي بالتعدي على أموال المسلمين.

وفي عهد الإمام(عليه السلام)، وردة مانصه "ثم تفقد إعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأمورهم مدوه لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعن بها عليه عندك إخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما

أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقل –دنه عار التهمة"(صياح،ألشمري، ٢٠١٤: ٧).

ومن خلال الإجراءات أعلاه يمكن تحقيق التالي:

أ- حماية العاملين في الدولة والولاة من الانزلاق في خيانة الأمانة واكل المال العام.

ب- حفظ المال العام.

ج- صيانة حقوق المجتمع المادية والمعنوية.

د- سرعة انجاز المشاريع على وفق الخطط التي رسمتها الدولة.

هـ- تعزيز ثقة المواطن بالدولة التي تحاسب عمالها(صياح، ألشمري، ٢٠١٤: ٣).

٢- عدم التضحية بالعدالة:

يقولون السياسيون إن إيجاد الأعوان وتأسيس الأحزاب وسد الأفواه بالمال من الوسائل الضرورية لحسن سير السياسة والتدابير كما يصنع معاوية،ولكن الإمام علي(عليه السلام)، كان العدو اللدود لهذه الوسائل والأدوات الضرورية، وكان هدفه وأمله إن يكافح هذه السياسة وطبيعي، حينئذ إن يتألم أرباب المصالح والطامعين منه، منذ اليوم الأول لاستلامه الخلافة وذلك الألم جرهم إلى التخريب وخلق الاضطرابات والفتن والقلاقل لهذا فقد أقيل على الإمام(عليه السلام) أحباؤه الخيرون المخلصون وطلبوا إليه من باب النصيحة إن يعدل من سياسته هذه لمصلحته يتصورون كما اقترحوا عليه إن يريح نفسه من صراع هؤلاء الطامعين قائلين له ماضرك لو سكت عن المساواة اليوم من اجل(المصالح) ثم قالوا له ياأمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الإشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم واستهل من تخاف عليه من الناس بالمال، وهم بذلك ناظرين إلى ما كان يصنع معاوية ولم يكن رؤساء القبائل في العراق يطمعون بأكثر من هذا لكن الإمام علي(عليه السلام) أجابهم قائلاً "اتامرون إن اطلب النصر بالحور فيمن وليت عليه والله ما أطور به ماسمر سمير وما أم نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله، الأوان إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهيئه عند الله" (عاصي،١٩٩٦: ٦٦-٦٧).

٣-٤: الحركة الإصلاحية الشاملة التي قام بها الإمام علي(عليه السلام):
تحتاج أسس الدولة إلى مراجعة دائمة والى تفحص مستمر لواقعها وأوضاعها من اجل معالجة نقاط الخلل والنقص لان كل مجتمع بشري لايخلو من نقاط ضعف تحتاج إلى مصاف المجتمعات المتحضرة لذلك هناك مجموعة من الإصلاحات الشاملة التي قام بها الإمام(عليه السلام)، من اجل إعادة بناء الدولة وهي:
١- الإصلاح الإداري: حيث قام بعزل معظم الولاة عن الأمصار ومسؤولي الجهاز التنفيذي الإداري من الدولة وإقصاء أولئك النفعين الذين لم يكن لهم هم في الحياة سوى السلب والنهب وكنز الذهب والفضة والتسلط المرير على رقاب المسلمين وقال الإمام(عليه السلام) في ذلك:(والله لا ادهن في ديني ولا أعطي الدنيء من أمري).
٢- الإصلاح الاقتصادي: وتمثل بإرجاع قطاع العهد السابق وأقطاب الحاشية الحاكمة لأصحابها الشرعيين وتوزيع الثروة بشكل عادل وإلغاء التصنيف الطبقي للناس ومصادرة الأموال التي نهبها المدللون من خزانة الدولة. ليتمتعوا بها على حساب الجماهير الجائعة المحرومة وإعادة تنظيم بيت المال على أسلوب جديد سليم ومستقيم.
٣- الإصلاح الاجتماعي: وهذا تجلى في أولى خطواته(عليه السلام)، بإلغاء القيم العشائرية والقضاء على النزعة القبلية السائدة في المجتمع. والعودة إلى قيم الإسلام الأصلية القائمة على أساس المساواة العامة الشاملة فلا تفاضل بين قوم وقوم وجنس وجنس. ولاشان أبدا للعرف أو اللون أو العمر أو أي امتياز أخر من الامتيازات العرفية التي كان تتمايز بها الناس ولا تصنيف للطبقات والفئات الاجتماعية ولا تتمايز بالألقاب ولا تفاخر بالتربية والأموال والأولاد(ألشمري،٢٠٠٧: ٣).
٤- الإصلاح السياسي: أعلن عن عزل العمال والولاة السابقين على الأقاليم ولم يتراجع عن ذلك عندما حاول البعض الحؤول دون ذلك وهذا موقف شهير في كل كتب التاريخ.
٥- في ميدان القطائع: كانت هناك الأرض التي جعلها الخليفة عمر ملكاً خاصاً لبيت المال ثم جاء عثمان فجعلها ملكا له ولأعوانه وأهل بيته فالقد ألغى هذه العقود وقرر رد هذه الأرض إلى ملكية الدولة وحوزة بيت المال.

٦- في ميدان العطاء: احدث الإمام علي(عليه السلام)، تغيراً ثورياً لعله اخطر التغيرات الثورية التي قررها والتي أراد بها العودة بالمجتمع إلى روح التجربة الثورية الإسلامية الأولى على عهد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، ذلك لان النظام الذي كان معمولا به في عهد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، هو نظام العطاء وقسمة الأموال العامة بين الناس بالمساواة(ألشمري،٢٠٠٧: ٢).

٧- السياسة المالية: كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام(عليه السلام)، امتدادا لسياسة الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله وسلم)، الذي عني بتطوير الحياة الاقتصادية وإنعاش الحياة العامة في جميع إنحاء البلاد بحيث لايبقى فقيرا أو بائس أو محتاج وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعا عادلا على الجميع ومن ومن مظاهر سياسته:

أ- المساواة في التوزيع والعطاء.

ب- الاتفاق على تطوير الحياة الاقتصادية.

ج- عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة.

٨- السياسة الداخلية: عني الإمام(عليه السلام)، بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته من الأمن والرخاء والاستقرار ونشير فيما يلي إلى بعض مظاهرها:

أ- المساواة: وتتجسد في المساواة في الحقوق والواجبات والمساواة أمام القانون.

ب- الحرية: إما الحرية عند الإمام(عليه السلام) فهي من الحقوق الذاتية للكل ويجب إن تتوفر للجميع شريطة إن لاتستعمل في الاعتداء والإضرار بالناس وكان من ابرز معالمها هي الحرية السياسية.

٩- الدعوة إلى وحدة الأمة: وجهد أمير المؤمنين(عليه السلام)، كأكثر مايكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها واعتبر(عليه السلام)، الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة.

١٠- تربية الأمة: وقد أولى أمير المؤمنين(عليه السلام)، اهتمامه بتربية الأمة فاتخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية وكان الإمام(عليه السلام)، يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله وإظهار فلسفة التوحيد وبث الآداب والأخلاق الإسلامية

مستهدفاً من ذلك نشر الوعي الديني وخلق جيل يؤمن بالله إيماناً عقائدياً لاتقليدياً(المحمودي،١٤١٨هـ: ١٢٥).

الاستنتاجات:

١- إن الإمام علي(عليه السلام) يعد تجسداً حياً للشريعة الإسلامية برافديها القرآن الكريم والسنة النبوية، مضافاً إليهما إبداع الإنسان المتميز في تطبيق النص على ارض الواقع ولاسيما في مجال حقوق الإنسان إذ شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا إليها وجسدها في ميدان التطبيق العملي.

٢- اتبع الإمام(عليه السلام) سياسة إرجاع المال العام، بحق الأموال التي وزعت بدون عدالة، أين كان الغرض من توزيعها، واعتماده على قاعدة العدل والمساواة في توزيعها.

٣- إن تحديد الموقف هو الأساس، فموقفنا السياسي يجب إن يركز على ماتحققه المصلحة الإسلامية ويخدم الأهداف الرسالية، لنتمكن من نشر رسالتنا وتحقيق الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمادي الأفضل للبشرية.

٤- دعا الإمام(عليه السلام) إلى إن ينعم الإنسان بحق المساواة العادلة في إبعاده كافة سواء البعد الإنساني، أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، إلا إن الدعوة النظرية والممارسة العملية للإمام لترسيخ هذا الحق لم تكن على حساب المعايير الموضوعية للتفاضل بين الناس والتي عمل بموجبها استناداً إلى الشريعة الإسلامية، وذلك لتحقيق العدالة بين البشر من جهة وتطوير المجتمع والارتقاء بالوجود.

التوصيات:

١- من الضروري إتباع منهج الإمام علي(عليه السلام) في معالجة مشكلات الأسس الاقتصادية والمالية والاجتماعية، من خلال الإصلاحات التي قام بها من اجل بناء دولة ناجحة وحديثة.

٢- من الضروري على المسؤولين في الدولة الاطلاع على المنظور السياسي عند الإمام علي(عليه السلام) من اجل إحياء إحكام الدين والدفاع عن المحرومين واخذ الحق من المعتدين.

٣- العمل بنظام الشورى أي يجب مناقشة أمور المواطنين عن طريق ممثليهم في الدولة، لسماع آراءهم وحل مشاكلهم قبل اتخاذ القرارات التي تخصهم، وهذا نوع من أنواع العدالة الاجتماعية التي يتبعها الإمام علي(عليه السلام).

المصادر:

١- صياح، رحيم علي، عبد الحميد حمودي ألشمري، الفكر الرقابي عند الإمام علي(عليه السلام)، بحث منشور في مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٢، العدد ١، لسنة ٢٠١٤.

٢- بخيت، حيدر نعمة، فريق جياد مطر، السياسة المالية في العراق ودورها في التأثير على عرض النقد خلال المدة(١٩٧٠-٢٠٠٩)، بحث منشور في مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية/ جامعة الكوفة/ العدد ٢٥/ السنة الثامنة/ المجلد ٨، لسنة ٢٠١٢.

٣- سوزان، روز اكرمان، الفساد والحكم(الأسباب، والعواقب، والإصلاح) مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ترجمة فؤاد سروجي، لسنة ٢٠٠٣.

٤- الشمري، علي، دولة الإمام علي(عليه السلام)- بعض الملامح، مجلة النبأ، العدد ٣٤، ربيع الأول، السنة ٥، لسنة ٢٠٠٧.

٥- السعيدي، حامد، الإمام علي(عليه السلام) ونظام الحكم، مجلة النبأ، العدد ٥٠، تشرين الأول، لسنة ٢٠٠٠.

٦- عاصي، عبد الهادي، المنهج السياسي عند الإمام علي(عليه السلام)، دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٧- طه، محمد، الإمام علي(عليه السلام) ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، لسنة ١٩٩٧.

٨- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، الجزء الرابع، دار الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لسنة ٢٠١٤.

٩- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الجزء الأول، المجلد ١، الطبعة الأولى، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، السنة الهجرية ١٤١٨.

١٠- Fletcher, R, The Making of Sociology, Beginning and Foundations, Nelsons University, G.B. Volume one, ١٩٧٢.
١١- صديق، حسين، الاتجاهات النظرية التقليدية لدراسة التنظيمات الاجتماعية- عرض- وتقويم، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد الثالث والرابع، ٢٠١١.
١٢- المجلسي، العلامة محمد باقر(قدس سره)، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، الجزء ٤١، لسنة ٢٠٠٩.
١٣- العاملي، أبي محمد علي بن يونس، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق محمد الباقر البهبودي، مركز الأبحاث العقائدية، الجزء الأول، الطبعة الالكترونية.
١٤- جرداق، جورج، الإمام علي(عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، المجمع العالمي لأهل البيت، دار الأندلس، دار مكتبة الحياة، الدار العربية للموسوعات، دار صعصعة، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٣١.
١٥- الحسني، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.
١٦- ياسين، نبيل، فلسفة الدولة عند الإمام علي(عليه السلام)، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، ٢٠١٠.
١٧- الأنصاري، علي، عهد الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الأشتر، دار سروش للطباعة والنشر- طهران- الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الطبعة الأولى، لسنة ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
١٨- الطريقي، انس وآخرون، مفهوم الدولة"الدولة الإسلامية- دولة الخلافة" مفاهيم متلبسة في الفكر العربي المعاصر(١)، الرباط- اكدال- المملكة المغربية، لسنة ٢٠١٥.
١٩- العروي، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء المغرب للنشر، الشارع الملكي(الاحباس)، بيروت – لبنان- شارع جاندارك- بناية المقدسي، الطبعة التاسعة، لسنة ٢٠١١.

٢٠- النصراوي، سلام عادل، السياسة المالية والاقتصادية عند الإمام علي(عليه السلام)، بحث منشور في مجلة الولاية، دينية، اجتماعية، ثقافية، العتبة العلوية المقدسة، قسم الإعلام- شعبة الصحافة، العدد٧٧، لسنة ٢٠١٥.

٢١- السيد، سعاد محمد، الأسس الاجتماعية لبناء المنهج، موسوعة التعليم والتدريب، ٢٠٠٩.

٢٢- المرسي، وجيه، الأساس الاجتماعي للمنهج المدرسي، بوابات كنانة أو نلاين، ٢٠١٢.

http:// Kenanaonline.com/profile.

٢٣- رزق، الشيخ خليل، مرتكزات النظام الاجتماعي عند الإمام علي(عليه السلام)، مجلة صدى الولاية- شبكة المعارف الإسلامية، العدد ١٧٧، لسنة ٢٠١٣.

٢٤- Anew Webster's Dictionary Reprinting By Librairie On Liban, Beirut,١٩٨١.

السمات والملامح الادارية العامة في الكوفة في خلافة الامام علي (عليه السلام)

الباحث علي محمد الجبوري / جامعة الموصل

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى النبي الامين محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين.

تعد السمات والملامح الادارية لدى الامام علي (عليه السلام) منهجاً وتطبيقاً قد استلهمها من هدي القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة، إذ تمثل القاعدة الاساس في منظوره والمرتبط ارتباطا وثيقا بالتشريع الاسلامي، وثمة مداخل منهجية عديدة وضحت هذه الرؤية لديه.

والمقصود من هذا البحث ان نتعرف على الحقيقة في الرؤية الادارية لدى الامام (عليه السلام) فالملامح العامة بين المنهج والتطبيق لحكومة الامام علي (عليه السلام) في كافة جوانبها الادارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية مترابطة مع بعضها ومتلازمة تتاثر ببعضها وتؤثر فيها.

وهذا ما تمخض عن الامام علي (عليه السلام) في سياسته وممارسته للسلطة وقيادته للدولة الإسلامية فقد رسمت سياسته المعالم الأساسية للدولة والتي كانت شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها على الرغم من عيش الإمام علي (عليه السلام) في ظروف صعبة للغاية، فقد كان الإمام أكثر ثباتاً وعزماً لمواجهتها والمحافظة على الاستقرار تلافياً للمشاكل التي قد تؤدي إلى حروب لا يحمد عقباها.

ان الأمور السياسية للإمام علي (عليه السلام) في مجال الإدارة والحكم وشرعية السلطة يكشف بجلاء السياسة في منظار الإمام علي (عليه السلام) والتي تعد أداة للحكم على أساس الحقوق والواجبات والاحتياجات الواقعية للناس، وليست أداة ترسيخ سلطة الأقوياء على حقوق الناس الضعفاء، فهذه هي القيم الإنسانية والأخلاقية والمواقف التي حرص الإمام علي (عليه السلام) بالتمسك بها والتي ينشدها الإسلام.

مثلت فترة حكمه تجسيداً شمولياً لمختلف جوانب الحياة الادارية والعسكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية، بما يصح معه ان نطلق صفة العدل الشامل على ذلك التجسيد في السياسة منهجا وتطبيقاً.

كانت المؤسسات الإدارية في عهده واضحة في معالمها وأهدافها، وبنيت أسسها واركانها على التشريعات القرآنية وما جاءت به السنة النبوية الشريفة، كونهما النبع الأصيل للدين الإسلامي وللأحكام والتشريعات. فكان فكره الاداري ذا رؤية بعيدة المدى.

فقد كان هناك اهتمام واسع من قبل الامام (عليه السلام) بالجوانب الادارية للدولة. وبناءاً على ماتقدم سيتم توضيح ومناقشة ماتم الاشارة اليه في بحثنا هذا بصورة عامة وليست تفصيلية لكثرة تفرعات الموضوع وتشعباته وتفصيلاته لان الغاية منه بيان الملامح العامة والتي من خلالها يمكن التنبؤ بمنهجية الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في ادارته لاجهزة الدولة الاخرى ...

۞ السمات والملامح الادارية ومنهجيتها لدى الامام علي (عليه السلام)

• النظم الإدارية:

• الإمارة وآلية تداولها في رؤى الامام علي (عليه السلام):

يمتاز الإسلام بشموله لجوانب الحياة المختلفة، فهو ليس عبادات فردية تُؤدى بمعزل عن المجتمع ، بل هو نظام للحياة امتاز بشمولها، فهو تبيان لكل شئ ومعالجة لمشاكل الحياة كلها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] ومن أهم معطيات هذا النظام الإسلامي السياسة والحكم، فهما محور مهم في هذا النظام والمعول عليهما في تطبيق بقية معطيات هذا النظام.

وقد سنَّ الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) إقامة الحكم الإسلامي، حينما كوَّن من المسلمين دولة واحدة كان هو رئيسها والتأسي بالرسول (صلى الله عليه وآله) واتباع سنته واجب، يقتضي من المسلمين العما على اقامة الخلافة التي يخلف فيها الخليفة الرسول (صلى الله عليه وآله) في تطبيق احكام الاسلام فـ "(الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوّم سياستهم ويتجرد بحراستهم وينصف مظلومهم ويكف ظالمهم)[2]

شهدت الفترة التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) صراعات وأضطرابات وفتن فهي فترة كما وصفها الأمام (عليه السلام) "أنها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت وأستنارت[٣]. وهكذا وجد الإمام (عليه السلام) نفسه أمام موقف صعب جدا إذ يجب عليه أن يوازن بين القيم والمبادئ التي اتخذها مسارا لسياسته الادارية وبين الظروف الجديدة التي فرضت عليه واصبحت تتحكم في الأحداث

وعند استقرار الامام (عليه السلام) في الكوفة بدأ في وضع الاسس المساعدة على ادارة الدولة، فوضع اللبنات الاولى للعناصر الادارية المختلفة، وحرص على تنظيم الادارة وشؤون الدولة والمجتمع، لتكون الكوفة عنصراً فعالاً في نظام الاسلام والعاصمة الرئيسة للخلافة الاسلامية

لقد كانت تجربة الإمام علي (رضي الله عنه) في الحكم هي التجربة التي تعكس صوره الدولة الإسلامية الحقّة. إذ مثلت السياسة الادارية للإمام علي (عليه السلام) الجانب العملي والمنهج التطبيقي لمبادئ الدين الاسلامي.

وفي المدن والامصار الاخرى كان لكل مدينة أو منطقة والٍ تحت إمرة امير المؤمنين(عليه السلام) يتولى حكم تلك الناحية، وتعيين الولاة في تلك المناطق أعطاها نوعاً من الاستقلال الذاتي وبعض الصلاحيات بتفويض من قبل الامام (عليه السلام) والتي تخدم المصلحة في الولاية الواحدة حسب ظروفها من حيث الموقع والتركيبة السكانية، إذ كان الولاة والعمال يستمدون صلاحياتهم من الامام (عليه السلام) ولكن من دون الانفصال عن الادارة العامة في العاصمة الكوفة وطبقت في تلك الولايات نظم الحكم السائدة في الكوفة سواء من الناحية التشريعية أو السياسية أو الادارية او العسكرية، وهذا ماسيتم ملاحظته خلال مضامين البحث المختلفة.

اما عن صفات الامراء والولاة، إذ من اللازم أن يتمتع هؤلاء بالمواصفات التي تؤهلهم للقيام بواجباتهم المعهودة ولاسيما ان دولة الخلافة كانت على تماس مباشر مع العدو الأمر الذي جعل مهمتهم اكثر صعوبة، لذلك نجد ان المؤهلات القتالية والقيادية، كانت الصفة الأكثر ضرورة في شخصية هؤلاء الولاة، وشكلت عملية الجهاد غرضاً رئيساً لولاة الامصار الاسلامية وامرائها بحكم طبيعة الاوضاع آنذاك.

وفي الغالب فإن هؤلاء الولاة حملوا صفات الكفاءة ممّا أعانهم على القيام بواجباتهم، وهذا يساعد على توضيح الوظائف الادارية التي تتطلبها طبيعة التغيرات والاحتياجات التابعة لسلطة الخليفة ومنها: الولاية وهي الامارة على البلاد فيقوم الملك او السلطان بتوليه من يقوم مقامه في ادارة الولاية والاقاليم وتصريف شؤونها[٤].

وحرص الخليفة علي (عليه السلام) ان يكون ولاته من الفقهاء بالدين ليكونوا على بينة بالاحكام الشرعية، فراى ان يكون احدهم حافظا للقرآن الكريم عالما باسباب نزول الآيات ونسخها ومقاصد كل اية منها لبيانها للناس عند ارشادهم فواجب الوالي نشر الاسلام وتعاليمه وارشاد الرعية، ومن ادلة ذلك توليته لشريح ابو امية قضاء الكوفة[٥].لذا ارتأى الخليفة ان يكون ولاته على مستوى العلم بالأحكام.

كما أكد الإمام (عليه السلام) على ان يكون الوالي من أهل الثقة لدى الناس صاحب المنزلة الرفيعة في اصحابه حتى اذا ماطلب أمراً سارع الجميع الى تنفيذه وسمعوا واطاعوا له ولذا قال (عليه السلام) في عهده الى مالك الأشتر في اختيار الولاة: "فول ... من أهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فأنهم جماع من الكرم وشعبٌ من العرف"[٦].

ضرورة معرفة الوالي بالادارة والحرب، اي"ان يكون جريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها، كفيلا بجعل الناس عليها، عارفاً بالعصبية وأحوال الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصبح بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح"[٧].

• السمات والملامح الادارية العامة لمؤسسة القضاء:

يأتي القضاء في الأهمية بعد الخليفة أو الأمير او الوالي، ويعد من مؤسسات الدولة الأساسية، لأن صاحبه يتولى الفصل في الخصومات والمنازعات التي تقوم بين الناس وإعادة الحقوق الى أصحابها.

والقضاء من اجل الوظائف الادارية في الدولة العربية الاسلامية[٨]،وعد القيام بأمر القضاء واجبا كفائيا كالجهاد والإمامة[٩].

ويعني القضاء في اللغة هو الحكم والالزام، ويعني اصطلاحاً الفصل في الخصومات[١٠]،التي تحدث بين الناس بالاحكام الشرعية المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد متبعين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمركُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١١].

وتتوضح اهمية هذا المنصب وخطورته، بقول الرسول (ﷺ): "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين"[١٢].وقد باشر الرسول (ﷺ) القضاء بنفسه كما قام بتعيين العديد من الصحابة في القضاء، ومنهم الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) إذ أرسله الرسول (ﷺ) قاضيا الى اليمن[١٣] وهو شاب، ليقضي بينهم، فقال: يا رسول الله تبعثني وأنا حديث السن ولا ادري ما القضاء ؟ فضرب رسول الله(ﷺ) صدره بيديه وقال: "اللهم أهد قلبه وثبت لسانه" فقال علي: "فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين أثنين"[١٤].

واعتمد الامام علي(عليه السلام) القرآن والسنة مصدرين للتشريع، مما اكسب الحكم توازناً وثباتاً، وجمع بين السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية، وابتدأت معالم الدولة الجديدة تتضح وتتكامل شيئاً فشيئاً لتغطي القضايا الداخلية والعلاقات الخارجية استناداً الى التشريعات الاسلامية وأُقرَّ أُصول الحقوق الخارجية والداخلية وواجب الحروب والهدنة والمسالمة والمكاتبة والمعاهدات، وسُنّتْ أحكام المعاملات في البيع والشراء، وسُنّتْ بعض العقوبات والتعازير لتُحفظ بها الانفس والاموال.

وتبعاً لذلك اصبح الامام علي(عليه السلام) المرجع الاول لتفسير ماغمض من هذهِ التشريعات، واصبح حكمه فيها وفصلهُ امراً مُلزِماً يستوجب الطاعة، وكان كثيراً مايحذرُ من الظلم والخصومة والتباغض وكل مامن شأنه ان يؤدي الى إثارة التنافر بين افراد المجتمع. كما كان يعتمد على اسلوب النصح والارشاد بوصفه منهجاً نبوياً تربوياً يرمي من خلالهِ الى إحياء الضمائر ومحاسبة النفوس ليكون بذلك الحاكم والقاضي الحقيقي، كما كانت لهذهِ التوجيهات اثرها البالغ في تسوية الكثير من الخصومات والمنازعات دون ان يحتاج الامر حتى للحدود والتعازير التي شرعها الله إلا في الندرةِ النادرة.

كان الامام علي(عليه السلام) يقضي في حكمه بنصوص القرآن الكريم واجتهادهِ متى ماإحتاج الامر الى ذلك ولم يعرف عنه التعجل في اصدار الاحكام، بل كان طبعهِ التأني والتثبت

قبل اصدار الحكم وذلك لحين اكتمال القرائن والثوابت. ولم يكن في مجلسهِ قاضياً فحسب، بل كان مربياً وموجهاً وكان يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض المتخاصمين على الصفح والعفو والصلح، وكان حريصاً على تنفيذ العدالة بالمساواة بين افراد المجتمع من دون محاباة او تَحَيُز مثله الاعلى في ذلك النبي محمد(ﷺ) كيف لا وهو من تربى في بيت النبوة.

وقد اولى الإمام (عليه السلام) للقضاء اهمية كبيرة، فعده من ارفع المناصب واسماها فهو امارة شرعية يتولى أمرها من ولي أمر المسلمين لانه من الوظائف الداخلة تحت الخلافة والمندرجة في عمومها[١٥]. ولتولي هذا المنصب كان يختار العناصر الكفوءة والشخصيات المعروفة وممن لهم دراية بالقضاء فقد ولى على قضاء البصرة ابو الاسود الدؤلي[*]،وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث الكندي[**].

ولعل من اهم مظاهر تحقيق العدل في عهد الإمام (عليه السلام) والمتعلقة بالقضاء انه أوجد قضاء المظالم، وهو سلطة قضائية ارفع من سلطة القضاء الاعتيادي للفصل في الخصومات والشكاوي الموجه ضد متولي السلطة من ولاة وعمال والتي لا يتم الفصل فيها من خلال القضاء الاعتيادي، ولتامين تحقيق العدل اتخذ الإمام (عليه السلام) بيتا تطرح فيه قصاصات (شكاوي) المتظلمين من الولاة والعمال دون ذكر اسمائهم[١٦].

اسس الرؤى الإدارية للخليقة علي بن أبي طالب(عليه السلام) في عزل الولاة واستبدالهم:

كان من المسائل التي أولاها الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) اهتماماً في الجانب الإداري هي القيام بعزل بعض الولاة او استبدالهم.

اما دواعي استبدال ولاته بغيرهم فمنها ما كان بسبب وجود شخص يجد فيه الخليفة المقدرة والكفاية افضل من الوالي السابق على ادارة شؤون الولاية، هذا هو ما حدث في عزل الخليفة علي (عليه السلام) لمحمد بن ابي بكر(رضي الله عنه)عن مصر وتوليتها الى مالك الأشتر اذ جاء في كتابه الذي يوضح فيه لمحمد ان عزله لم يكن عن خيانة او قصور وانما لوجود من هو اكفأ منه على إدارة وسياسة المنطقة في خضم الاحداث الجارية بين الخليفة علي (عليه السلام) ومعاوية اذ جاء فيه بقوله (عليه السلام): "اما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر الى عملك، وإني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا أزدياداً لكفي الجد ولو نزعت

ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة عليك وأعجب اليك ولاية، أن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وهو على عدونا شديداً وناقماً"(١٧).

وهكذا نرى انه لم تكن هناك آلية واحدة محددة لعزل الولاة من مناصبهم أو استبدالهم، فغالبا ماتحكمت في هذا الأمر طبيعة الاوضاع في الكوفة وغيرها من حيث الاستقرار والاضطراب، وعليه فإن هذه الآلية تراوحت بين العزل والاستبدال.

السمات والملامح العامة في ادارة الاسواق:

إن ما يحتله السوق من أهمية بالغة في الاقتصاد وحياة الناس ومعيشتهم، دفع الى حرص الإمام(عليه السلام) على ممارسة اشراف مباشر عليه، حيث كان يراقب شخصياً وبشكل يومي كافة اسواق الكوفة، معتبرا ذلك مهمة من مهمات الخليفة، وهذا مايسمى بنظام الحسبة في الاسلام، وتعرف بمفهومها العام بأنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأتي من ضرورة احتساب الأعمال للحصول على الأجر(١٨).فإذا كان هذا تعريفها الفقهي، إلا ان واقعها في نظر الامام (عليه السلام) رقابة ادارية يقوم بها بنفسه، يراقب نشاط الناس في مجال الاخلاق والدين والاقتصاد وفقاً لمبادئ الشريعة الاسلامية والاعراف المستمدة منها فهو بذلك يقوم بعمل عفوي من خلال متابعته لحركة السوق من بيع وشراء، ووقوفه على الكيل والوزن ونهيه عن الممارسات الاخلاقية فكثف من حركة مراقبة الاسواق وكان يخرج بنفسه اليها، مقدماً النصح والارشاد حاثاً التجار والصناع على حسن اتقان مهمتهم وحسن المعاملة. وهو يحث الباعه على التزام التقوى والاحتراس عن التطفيف والكذب والظلم والاحتكار، كما يطلب رعاية الانصاف وتحري الاخلاق الاسلامية في التعاطي مع عمليتي البيع والشراء.

وكان يخاطب جميع المشتغلين في السوق، فيقول:"يامعشر التجار، اتقوا الله، قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين...، ولا تقربوا الربا، واوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس اشياءهم، ولا تعثوا في الارض مفسدين. فيطوف في جميع اسواق الكوفة، ثم يرجع ويتفقد الناس"(١٩).

ان الإمام(عليه السلام) كان يراقب عمليات البيع والشراء، ويؤكد على ما جاء في كتاب الله والعمل بسنة نبيه(صلى الله عليه وآله) في المعاملات من البيع والشراء. وجاء في دعائم الإسلام: ان الإمام(عليه السلام) ينهى عن الغش في السلعة، فعندما يأتي إلى السوق ويخاطب كافة اصحاب المهن فيه، ويقول لهم بأعلى صوته:"يا معشر القصابين لا تنخعوا، ولا تعجلوا الانفس حتى تزهق، واياكم والنفخ في اللحم للبيع، فإني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ينهى عن ذلك، ثم أتى للتمارين فقال: أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده، ثم أتى السماكين فقال: لا تبيعوا الا طيباً واياكم وما طفا، ثم اتى إلى الكناسة* فإذا فيها انواع التجارة؛ من نحاس، ومن بائع، ومن قماط، ومن بائع ابل، ومن صيرفي، ومن خياط، ومن بزاز، فنادى بأعلى صوته: ان اسواقكم هذه يحضرها الايمان، فشوبوا ايمانكم بالصدق، وكفوا عن الحلف؛ فإن الله عز وجل لا يقدس من حلف بأسمه كاذباً"[٢٠].وكان يدعو ويحث على الصدقة وعدم إتيان الحلف في البيع والشراء، لأن الحلف له مساوئ تعرقل عملية الرزق، فيقول(عليه السلام):"يا اهل السوق، اتقوا الله واياكم والحلف، فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة، فإن التاجر فاجر الا من اخذ الحق واعطاه. والسلام عليكم"[٢١].

كان الإمام علي(عليه السلام)، يمشي في الاسواق وبيده درة يضرب بها كل من وجد من مطفف او غاش في تجارة المسلمين، قال الاصبغ: قلت له يوماً انا أكفيك هذا يا امير المؤمنين، واجلس في بيتك! قال:ما نصحتني يا اصبغ"[٢٢].

ومن آليات مراقبة عمليات السوق، كان(عليه السلام) يراقب الاسعار في السوق ويحاسب من يغالي في اسعار البضائع والسلع. فقد جاء في فضائل الصحابة عن ابي الصهباء:"رأيت علي بن ابي طالب بشط الكلأ يسأل عن الاسعار"[٢٣].حيث يحث(عليه السلام) على تخفيض الاسعار وعدم استغلال الناس ايام القحط، ويحث(عليه السلام) على الحسن في المعاملة بين الطرفين، فقد كان(عليه السلام) يمر على الباعة في السوق فيقول به:"احسنوا ارخصوا بيعكم على المسلمين؛ فإنه اعظم للبركة"[٢٤].

ويوصي الأمام (عليه السلام) بالتجار والصناع لأثرهم المهم في قيام الاقتصاد وتحقيق الرفاهية، لانهم سبب من أسباب قيام العمران في البلاد وذلك لان تنقلهم في أسفارهم يجعلهم ينقلوا ما شاهدوا من عمران وتقاليد إلى مجتمعهم فيوصي بالاهتمام بهم خيرا

فهؤلاء من أسباب تحقيق المنافع للدولة وذلك بجلب ما يحتاج اليه الناس من حاجات غير موجودة في بلدهم وذلك عن طريق البر والبحر والجبال والسهول فيقول (عليه السلام) لمالك الاشتر: "واستوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً المقيم منهم، والمضطرب بما له والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها ابها من المباعد والمطارح في برّك وبحركَ وسهلكَ وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترءون عليها، فإنهم سِلمُ لاتخاف بائقته، وصلح لا تخشى عائلته(*")[٢٥].

وقد أوضح (عليه السلام) واجبات الولاة تجاه التجارة والتجار من خلال تأكيده على تفقد أمور التجار في حاضر البلد وأطرافه لانهم أسباب جلب المنافع وتحقيق الرقي الاقتصادي فيقول (عليه السلام) : "وتفقد أمورهم بحضرتك وحواشي بلادك"[٢٦].

ومراقبة الأسواق لمنعهم وتحذيرهم من الغش في البيع والميزان فيقول (عليه السلام) موصياً مالك: "وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل"[٢٧].وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الغش في المكيال والميزان في قوله : ﴿وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ۞وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢٨].وكذلك قال الرسول (صلى الله عليه وآله) :" أن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق " [٢٩].

ويكمل مؤكداً (عليه السلام) على مراقبة الأسعار ومنع ارتفاعها لان ذلك يسبب الضرر لعامة الناس فيقول (عليه السلام) : "وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع"[٣٠].وفي الحديث الشريف يوصي الرسول (صلى الله عليه وآله) التجار عند البيع إذ يقول: "يا معشر التجار إن الشيطان والاثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة"[٣١].

الرؤية الادارية لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام علي (عليه السلام):

ان الرؤية الادارية لمبدأ الامر بالعروف والنهي من المنكر في نظر الامام (عليه السلام) رقابة ادارية يقوم بها بنفسه، يراقب نشاط الناس في مجال الاخلاق والدين والاقتصاد وفقاً

لمبادئ الشريعة الاسلامية والاعراف المستمدة منها فهو بذلك يقوم بعمل عفوي كون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، من فرائض الإسلام الكبرى، وقد ورد تشريع هذه الفريضة في القرآن الكريم والسنة النبوية في عدة نصوص دالة على وجوب هذه الفريضة وضرورة ادائها من قبل جميع المسلمين بنحو الواجب الكفائي، كما وردت نصوص أُخرى كثيرة في الكتاب والسنة، منها ما يشتمل على بيان الشروط التي يتنجز بها وجوب هذه الفريضة على المسلم، ومنها ما يضيء الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة، كما يوضح المبدأ الفكري الإسلامي العام الذي ينبثق من هذا التشريع

لقد كان(عليه السلام) من المناصرين للمظلومين ورادعاً للظالمين، وقد شرع(عليه السلام) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى العدل والرحمة والنهي عن الجور والظلم، يقول(عليه السلام):"لايكونن افضل ما نلت من دنياك، بلوغ لذة وشفاء غيض، وليكن احياء حق واماتة باطل"(٣٢). ويقول(عليه السلام):"رحم الله امرءاً احيا حقاً وامات باطلاً، وادحض الجور واقام العدل"(٣٣).

اعتبر(عليه السلام) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقاً انسانياً وواجباً دينياً، ويعدها من دعائم عزة المسلمين وشد ظهور المؤمنين، يقول(عليه السلام):"من امر بالمعروف، شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر ارغم انوف الكافرين"(٣٤). حيث اجتمعت دعوى الإمام(عليه السلام) بهذا الشأن واصبحت مصابيح عدالته جلية بمواقفها الانسانية باعتبار هذا المطلب، هو من مصلحة النظام الاجتماعي، وضرورة من ضرورات السلطة السياسية، يقول(عليه السلام):"...والامر بالمعروف، مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء"(٣٥). ويعتبر الإمام علي(عليه السلام) هذه الفريضة، من الفضائل الانسانية الكبرى والتي تزرع الشعور بمسؤولية الانسان تجاه الآخر، يقول(عليه السلام):"الامر بالمعروف افضل اعمال الخلق"(٣٦).

ان هذه الفريضة الانسانية، هي مبدأ له دور كبير في خلق الاجواء لاقامة الفرائض والسُنن بما في ذلك الجهاد. حيث يربط(عليه السلام) فرع الجهاد في سبيل الله بهذه الفريضة، لا بل هذه الفريضة هي اسمى من الجهاد، يقول(عليه السلام):"... وما

اعمال البر كلها، والجهاد في سبيل الله، عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الا كنفثة في بحر لجي"(٣٧).

ومن منظور اخر، يؤكد(عليه السلام) على فضائل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حيث جعل(عليه السلام) من يضطلع بتنفيذ هذه الفريضة في عداد الاتقياء الذين يكونون في دائر مدار الحق، يقول(عليه السلام):"... يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق"(٣٨).

الرؤية الادارية للامام علي (عليه السلام) حول الكتابة والكتاب:

وقد اكد الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) من خلال رؤيته الادارية على أهمية الكتابة كوظيفة ادارية لها دورها في انتظام امور الدولة وحفظ الحقوق في قوله: "الكُتّاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها"(٣٩).فأهمية منصب الكتابة تكمن في اطلاع الكتاب على اسرار الامور وعلانيتها ومعرفة أسرار الدولة، وحدد (عليه السلام) لهم الشروط الواجب توفرها فيهم ومنها،

ان يكون من الكتاب الصالحين الذين يثق بهم عندما يطلعهم على الأسرار والحيل والتدابير التي يكتب بها الى الولاة، فقال (عليه السلام): "ثم انظر حال في حال كتابك، فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الاخلاق"(٤٠).

ان يكون فطنا حاذقاً لا تأخذه الغفلة والنسيان عن ايراد المكاتبات والرسائل التي وردت عليه من الولاة والعمال او التي ترسل من الحاكم الى ولاته وعماله، فيقول: "ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك"(٤١).

ان يكون ممن يجيدون استخدام السلطة المعطاة له "الوكالة في حالة غياب الوالي" وذلك بإيراد المكاتبات والرسائل التي تورد عليه من العمال فيرد عليها بما يتوقع صدوره من الوالي في حالة وجوده واطلاعه على تلك الرسائل: "وإصدار جواباتها على الصواب منك وفيما يأخذ لك ويعطي منك"(٤٢).

أن يجيد عقد العقود التي يبرمها الوالي فاذا عقد العقد راجعه واحكمه، وإذا عقد الوالي عقدا مع ظرف اخر اجتهد في ايجاد حل او مجال لنقضه وحله وقت الحاجة الى ذلك فيقول (عليه السلام) : "ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك"(٤٣).

ان يكون عارفاً قدر نفسه وحدود سلطانه فلا يتجاوز الحدود، فاذا لم يكن يعرف حق نفسه لم يعرف حق الغير وذلك يكون سبباً في دنو منزلته وعدم صلاحيته لهذا المنصب، فيقول (عليه السلام): لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل لقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل"(٤٤). وقد كتب له(عليه السلام) سعيد بن حمران وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن جبير وعبد الله بن رافع(٤٥).

وأشار(عليه السلام) الى نقطة مهمة في سياسة الدولة الا وهي إجابة الولاة على كتب عمالهم التي تردهم والاطلاع على أجوبة الكتاب عليها لان بعض هذه الكتب لا يستطيع أحد الإجابة عليها سوى الوالي نفسه، فلابد من الاهتمام بتلك الرسائل وعدم الاعتماد بشكل كلي على الكتاب في الرد على تلك الكتب او تأجيل الرد عليها الى يوم اخر، فقد حذر (عليه السلام) قائلاً: "ثم امور من أمورك لا بد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك وأمض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه" (٤٦).

ويحذر الإمام (عليه السلام) واليه عند اختيار الكتاب فيجب ان لا يعتمد في اختيارهم على فراسته فيهم ومحبته لهم وحسن ظنه بهم فان الرجال يتصنعون للوالي بالفراسة وحسن الظاهر لنيل المكانة التي يبغونها، فهؤلاء ليس ورائهم معرفة او نصيحة فيقول (عليه السلام):"ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن حديثهم، وليس من وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء"(٤٧).ثم يؤكد على اختيارهم قبل توليتهم مهام منصب الكتابة ومعرفة ما إذا كانوا قد ولوا هذا العمل من قبل فان كان كذلك فمعرفة إذا كانت ولايتهم جيدة وسمعتهم لدى العامة حسنة مشهود لهم بالامانة وكانت كتابتهم مشكورة فهم النوع المطلوب فولهم أمر الكتابة وباختيارك لهم تكون قد نصحت لله والرعية بحسن

الاختيار أما إذا كانوا على العكس من ذلك فلا تولهم أمره، فيقول (عليه السلام) : "ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة أثرا وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فان ذلك لك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره"(٤٨).

الملامح والسمات الادارية عند الامام علي (عليه السلام) حول العلم والتعلم

بين الله سبحانه وتعإلى في آياته البينات أهمية العلم ومكانة العلم ووجوب طلب العلم قولهُ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٤٩). كما حث الله سبحانه وتعإلى على التفقه، منها قوله﴿ : فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٥٠). كما أوجب في آيات أخرى التبليغ في العلم ونعى الله (عز وجل) على الذين يكتموهُ قوله:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾(٥١).

ولا ريب أن أولى العلوم هو علم الدين، الذي به يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربهُ، ويهتدي إلى غايتهُ، ويكتشف طريقهُ، ويعلم ما لهُ وما عليه، ثم بعد ذلك كل علم يكشف عن حقيقة تهدي الناس إلى حق أو تقربهم من خير، أو تحقق لهم مصلحة، أو تدرأ عنهم مفسدة (٥٢).

فقد بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحاديثه الشريفة عن فضل العلم في الإسلام كقولهُ(صلى الله عليه وآله وسلم): (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا متعلم خيراً ومعلمهُ) (٥٣). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أراد الله بعيد خيراً فقههُ في الدين) (٥٤).

وهكذا نرى اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بالعلماء لمكانتهم وقدرتهم على اصلاح شؤون الدولة، فقد اكد على مجالسة الولاة العلماء وتقريب الفقهاء ورعايتهم واكرامهم وتعظيم شأنهم، لانهم وجهاء مجلسه ووسيلة الاتصال مع الرعية(٥٥)،فيقول الإمام علي (عليه السلام) موصيا لاحد الولاة بذلك : "واكثر من مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك"(٥٦).

سمات وملامح القيادة الادارية العسكرية في رؤى الامام علي (عليه السلام):

ان من اهم مؤهلات اختيار القيادة في رؤى الامام علي (عليه السلام) الشجاعة والاقدام والخبرة العسكرية ومشاركتهم الفاعلة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي حركات الجهاد الاولى

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرؤية العسكرية الواسعة والخبرة الكبيرة في ادارة الجانب العسكري بشكل منظم ودقيق. وأبرز المظاهر القيادية التي انيطت به منذ عهد رسول الله (ﷺ) حيث لم يختلف المؤرخون والمحدثون في أن راية رسول الله (ﷺ) كانت في جميع المعارك مع الإمام علي (عليه السلام)، فقد كانت لرسول الله (ﷺ) رايتان في الحرب إحداهما للأنصار يحملها سعد بن عبادة والأخرى للمهاجرين يحملها الإمام علي (عليه السلام)[٥٧]. أما اللواء الأعظم للحرب فقد كان عند الإمام علي (عليه السلام) في يوم بدر[٥٨]، يقول الامام علي (عليه السلام): "الجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم"[٥٩]

وهنا يؤكد الخليفة على أن الجند حصن الدولة المنيع وعزها ضد أعدائها الطامعين بها، وبوجودهم يتوفر الأمن حيث لا تستطيع أي دولة أن تقوم من غير وجود جند يدافعون عنها وعن وجودها فان وجود الجيش أساس لقيام الدولة فالجند هم الحراس الامينون لحماية الأمة وهم اليد اليمنى للحاكم في تنفيذ المهام الإدارية والسياسية والدينية ، وعليهم يعول بحماية الرعية وحماية الدين الاسلامي، وتحقيق الامن والامان . وهؤلاء الجند هم من كونوا صنوف الجيش الاساسية ومنها:

• الخيالة (الفرسان):

للخيل مكانة متميزة في الإسلام، وتزايدت الحاجة اليها بعد فرض الجهاد نظراً لخفة حركتها ومرونتها، الامر الذي يزيد من فاعلية المقاتل في ساحة القتال وهذا مابينه الله تعالى بقوله:﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا {١} فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا {٢} فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا {٣} فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا {٤} فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا {٥} ﴾[٦٠]. وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٦١]. ولاريب في ان الخيل كانت من العناصر الرئيسية للقوة في حينه.

وصنف الخيالة (الفرسان) يعد من الصنوف الحيوية، ويتحمل العبء الكبير في القتال وعليه تتوقف نتائج الحرب النهائية، وللخيالة في الفكر العسكري للإمام علي (ﷺ) أهمية كبيرة من حيث إيجاد الأعداد الكبيرة منها واختيار القيادات الكفوءة لها، فنلاحظ أنه

جعل في معركة صفين على خيل الكوفة مالك الأشتر، وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف، فضلاً عن وجود فرق أهمها تلك التي كانت بقيادة زياد بن النضر[٦٢].

أما في معركة النهروان فقد كانت الخيالة بقيادة أبو أيوب الأنصاري[٦٣]، وفرقة بقيادة المختار بن أبي عبيد لمقاتلة عبد الله بن وهب الراسبي كبير الخوارج في المدائن[٦٤]، وفرقة بقيادة الأسود بن يزيد المرادي يبلغ تعدادها ألفي فارس، بعثه الإمام علي (ﷺ) لمواجهة إحدى فرق فرسان الخوارج بقيادة حمزة بن سنان وكانت في ثلاثمائة فارس[٦٥].

الرجالة (المشاة) :

والرجالة هم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون، وهم ركن مهم من اركان الجيش الاسلامي يقاتلون بجانب الخيالة[٦٦]. كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوصي جنده الرجالة برص الصفوف كالبنيان المرصوص[٦٧].

ومن بين أهم القيادات العسكرية البازة والمشهود لها بالخبرة الواسعة والعزم والاصرار والتضحية والاباء، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وهو من الصحابة، حيث شهد مع عمه سعد بن أبي وقاص حرب القادسية، وله بها آثار كثيرة، وعقد له عمه لواء ووجهه إلى فتح جلولاء فاستطاع من فتحها في يوم سمي فتح الفتوح[٦٨]، هذا فضلاً عن اشتراكه في فتوح الشام وكان على خمسة آلاف فارس خلال فتح بيت المقدس[٦٩].

ولعل من الأسماء البارزة في قيادات الإمام علي (عليه السلام) وممن له الخبرة الواسعة في خوض الحروب الصحابي الجليل البراء بن عازب، فقد شهد معارك رسول الله (ﷺ) واشترك في الفتوحات الإسلامية، حيث افتتح قزوين والري وابهر[٧٠]، وزنجان[٧١]، وشهد غزوة تستر[٧٢] سنة (١٧هـ)[٧٣].

وممن لديهم الخبرة العسكرية ايضاً، عدي بن حاتم الطائي[٧٤]، وأبو أيوب الأنصاري[٧٥]، وأبو ثابت الأنصاري العوفي أخو عثمان بن حنيف[٧٦].

ومن أبرز هذهِ الشخصيات الأحنف بن قيس، حيث كان سيد قومه يوصف بالعقل والدهاء والحلم والعلم وقيل أنه: "إذا غضب غضب له مائة ألف من تميم لا يدرون فيم غضب"[٧٧]، وكان ممن يضرب المثل بحلمه وسؤدده[٧٨].

ولعل سمة الشرف والسؤدد كانت من الصفات المعروفة في أغلب قياداته، بل أن أكثرهم كان سيداً في قومه وشريفاً وفارساً، كشبث بن ربعي[٧٩]، والأشعث بن قيس[٨٠]، ومالك الأشتر[٨١]، ووائل بن حجر الحضرمي[٨٢].

ومن القيادات الشجاعة التي تملك صفة التقدم أمام الجيش هاشم بن عتبة[٨٣]، وكذلك كان عمار بن ياسر يتقدم أمام الجيش ويشق الصفوف[٨٤].

وكان الإمام علي (عليه السلام) يرسل إلى ذوي الكفاءات من القادة للالتحاق به للإفادة من كفاءتهم وخبرتهم القيادية، ومن ذلك أنه كتب إلى قيس بن سعد بن عبادة :أقبل إليّ فإن المسلمين قد أجمع ملاهم وانقادت جماعتهم فعجل الإقبال"[٨٥]، وكتب إلى محمد بن أبي سلمة الذي كان والياً على البحرين بالقدوم "فإني أريد المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي أمرهم، فإنك ممن استنظر به على إقامة الدين وجهاد العدو.

الخاتمة:

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: " او ان أُدعي فأُجيب، واني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي، وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما.

كما اننا نستخلص من بحثنا هذا ان ماكتبناه عن الإمام علي (عليه السلام) ودوره في ارساء معالم الحكم وادارة الدولة وفق ماجاءت به الشريعة الاسلامية السمحاء لايفي قدره ومكانته الشريفة وماقام به من جهود في سبيل ذلك.

أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليس رجل إداري فحسب انما رجل ذو فكر سياسي وعسكري واقتصادي لا مثيل له فقد أثبت خلال مدة خلافته القصيرة والتي أعدت من أصعب الحقب التي عاشتها الدولة العربية الإسلامية، بأنه كان يتصف بالروح القيادية الادارية العالية في كافة المجالات.

ان من اهم مؤهلات اختيار القيادة في رؤى الامام علي (عليه السلام) الشجاعة والاقدام والخبرة العسكرية ومشاركتهم الفاعلة في عهد الرسول (ﷺ) وفي حركات الجهاد الاولى

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرؤية العسكرية الواسعة والخبرة الكبيرة في ادارة الجانب الاداري العسكري بشكل منظم ودقيق.

إن سياسة الإمام علي(عليه السلام)، أبرزت الواقع الإسلامي بجميع طاقاته في رسم اسس ومبادئ الادارة والحكم. فقد كان(عليه السلام) يهدف في حكمه إلى إزالة الفوارق الاجتماعية بين الناس، وتحقيق الفرص المتكافئة بينهم على اختلاف قومياتهم وأديانهم، ومعاملة جميع الطوائف بروح العدل، من دون أن تتمتع أي طائفة بامتياز خاص. وقد أوجدت هذه السياسة للإمام(عليه السلام) رصيداً شعبياً هائلاً، فقد ظلَّ الإمام علي(عليه السلام) قائماً في قلوب الجماهير الشعبية، بما تركه من صنوف العدل والمساواة الإنسانية.

إن المجتمع الصالح الذي يعز فيه الحق ولا يطمع فيه العدو يقوم على أمرين: صلاح الحاكم، وصلاح الشعب. أما صلاح الحاكم فبعلمه وأداءه السياسي وكفاءته للقيام بأعباء الحكم. وأما صلاح الشعب، فيقوم بالنصح والإخلاص للحُكم الصالح، والتعاون على الخير والنفع العام، فإذا قصر الحاكم اوتمرد الشعب، فُقد الأمن وعم الذُعر وشُلت الأعمال، وقد اعتبر الإسلام التمرد على الحاكم العادل تمرداً على المجتمع، وسمى الخارجين عليه بالساعين في الأرض فساداً. فقد أولى(عليه السلام) الجانب الأمني أهمية فائقة، وكان يعد البقعة التي تفتقد إلى الأمن، أسوأ ألاماكن، كما إن من الأسباب التي دفعته إلى قبول الحكم، هي إيجاد الإصلاحات الأمنية وتأسيس نظام امني فاعل، من خلال التوازن الايجابي في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

إن الإمام علي(عليه السلام) حقق في مدة حكمه القصيرة رغم الحروب التي شُنت عليه، إنجازاً غير عادي، فقدم للأُمة المشروع الذي أوكله إليه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في تصحيح الانحراف السياسي، وأعاد الحيوية والزخم الديني للإسلام، فثبت في الأُمة الدين القويم من خلال السلطة، فصار حكم علي(عليه السلام) ميزاناً للعدل بين عامة الناس، وشعاراً للطامحين للإصلاح والثائرين على الفساد السياسي.

وتأتي أهمية عقد مثل هكذا مؤتمرات والتي تهدف إلى بيان دور مدينة الكوفة واهميتها، وذلك من اجل تشجيع المزيد من النقاش والمشورة بين الأكاديميين والباحثين.

الهوامش:

(١) سورة الزمر، الآية ٢٧.

(٢) بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الحموي، مستند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق: اسامة ناصر النقشبندي، وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد : ١٩٨٣)، ١٠١.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤٥٠/٤.

(٤) الماوردي، الاحكام السلطانية، ط٣،قدم له،علي ابو ملحم، منشورات مكتبة دار الهلال،(بيروت :١٩٩٥ م)، ٥١.

(٥)ابن خياط، تاريخ ابن خياط،٢٠٣/١.

(٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥١/١٧.

(٧) محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، السير الكبير، تحقيق: صلاح المنجد، مطبعة مصر،(القاهرة :١٩٥٨م)،٦١/١.

(٨) شهاب الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله الهمذاني الحموي الشافعي ابن ابي الدم، ادب القضاء، تحقيق: محمد مصطفى الرحيلي، مجمع اللغة العربية، (دمشق: ١٩٧٥م)، ٣٦/٥.

(٩) المقدسي، المغني، ٣٤/٩.

(١٠) ابن سعد، الطبقات، ٣١٣/٤.

(١١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(١٢) سليمان بن الاشعث ابو داود الازدي السجستاني (ت٢٧٥هـ /٨٨٨م)، سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.م : د.ت)،٢٩٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٦١٤/٣.

(١٣) مسلم، صحيح مسلم، طبعة احياء التراث، ٣٧٢/٢؛ ابن سعد، الطبقات، ٣٣٧/٢.

(١٤) ابن الأثير،أسد الغابة،٦٩/٤؛ النويري،نهاية الأرب،٤/٢٠-٥؛ محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن القطب الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الناشر: دار الكتاب العربي،(د.م : د.ت)، ٢٥٧.

(١٥) فاضل عباس الملا، الإمام علي ومنهجه في القضاء، ط١، مطبعة الغدير،(بيروت: ١٩٩٩م)، ١٧.

(*) الاسود الدؤلي: ظالم بن عمرو الدؤلي، اسلم في حياة النبي (ﷺ)،وهو اول من وضع العربية بأشارة من الإمام علي (عليه السلام)، كان شاعراً مجيداً، شهد الجمل وصفين مع الإمام علي (عليه السلام)، توفي في البصرة. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٨٤/٤-٨٥.

(**) شريح ابو امية: شريح بن الحارث الكندي ولي قضاء الكوفة لعمر بن الخطاب (ﷺ)، كانت له دراية بالغة بالقضاء. تولى القضاء للامام علي (عليه السلام)، توفي في مكة سنة ٧٦هـ. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ط٢، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الكويت، (الكويت:١٩٨٠م)، ٨٩/١.

(١٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤١٤/١.

(١٧) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة بيروت،٧٧٥/٤؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٧٤/٥.

(١٨)ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد : ١٩٨٩)، ٢٤٠؛ ابو يعلي الفراء، الاحكام السلطانية، ٢٦٨.

(١٩)المفيد، الامالي، مصدر سابق، ١٩٧.

(*)الكناسة: محلة في الكوفة.

(٢٠) النعمان محمد بن منصور المغربي، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام، مصدر سابق، ٥٣٨/٢.

(٢١) ميرزا النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مصدر سابق، ٤٦٣/٢.

(٢٢) النعمان محمد بن منصور المغربي، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣٨.

(٢٣) احمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مصدر سابق، ٥٤٧/١، ح١٩.

(٢٤) محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: سليم النعيمي، (قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ)، ١٥٤/٤.

(*)غائلة : الجمع اغوال وغيلات وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول أي منكراً داهياً والغوائل الدواهي. ابن منظور، لسان العرب، ٥٠٧/١ .

(٢٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة قم، ٨٣/١٧ .

(٢٦)المصدر نفسه،طبعه قم،٨٣/١٧ .

(٢٧) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة قم،٨٣/١٧ .

(٢٨) سورة هود، الآيات ٨٤ ـ٨٥ .

(٢٩) الترمذي، سنن الترمذي، ١١٥/٣ .

(٣٠) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة قم، ٨٣/١٧ .

(٣١) الترمذي، سنن الترمذي، ٥١٤/٣ .

(٣٢) عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، الحكمة ٦٩.

(٣٣) لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٣٠٥.

(٣٤) عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج١، الحكمة ٣٢٢.
(٣٥) لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٣٠٥.
(٣٦) عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج١، الحكمة ٣٢١.
(٣٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة، فهرسة: صبحي الصالح، مصدر سابق، ص٦٨٣، الحكمة ٣٦٤.
(٣٨) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الاخلاق، تصحيح وتعليق: علاء الدين الطالقاني، دار الكتب الاسلامية،(طهران : ١٣٧٦هـ)، ٤٧٧.
(٣٩) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٩/١٧ .
(٤٠) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥/١٧ .
(٤١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥/١٧ .
(٤٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥/١٧ .
(٤٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥/١٧ .
(٤٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥/١٧.
(٤٥) الجهشياري ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٤م)، الوزراء والكتاب، ط١، عني بتصحيحه وتحقيقه ومراجعته : عبد الله اسماعيل الصاوي، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، (مصر: ١٩٣٨)، ١٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢١٨/٤ .
(٤٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨٨/١٧ .
(٤٧) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٦/١٧ .
(٤٨) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٦/١٧ .
(٤٩) سورة المجادلة، آية (١١).
(٥٠) سورة التوبة، آية ١٢٢.
(٥١) سورة آل عمران، أية ١٨٧.
(٥٢) يوسف القرضاوي، الرسول (ﷺ) والعلم، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٨٤م)، ٩.
(٥٣) الدرامي، السنن، ١/ ٩٥.
(٥٤) الترمذي، السنن ١٣٨/٤؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧٨م) ٥/١؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ٣/٨؛ ابن حجر، فتح الباري،١/ ١٤٨.
(٥٥) ابو يوسف، الخراج، ٣٦؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ٥١ .
(٥٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة قم،٤٧/١٧ .

(٥٧) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ٥٨٨/٥؛ أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمود عباس، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٩٨٣)، ٦٥٠/٢؛ الترمذي، السنن، ٦٣٢/٥؛ عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٩٢)، ٢٠٥/٣؛ علي بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، (بيروت :١٤٠٧هـ)، ٣٢١/٥؛ احمد بن علي العسقلاني ابن حجر، الإصابة، تحقيق: محمد علي السبجاوي، دار الجيل، (بيروت : ١٩٩٢) ٦٦/٣.

(٥٨) ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المغازي، (بيروت : د.ت)، ٣٨٨/١.

(٥٩) ابن أبى الحديد ، شرح نهج البلاغة، ٣٩/٥

(٦٠) سورة العاديات، الآيات ١-٥.؛ للتفسير ينظر: الطبري، تفسير، ١٧٦/٣٠-١٧٩؛ ابن كثير، تفسير، ٥٤١/٤-٥٤٢.

(٦١) سورة الانفال، الآية٦٠.

(٦٢) الطبري، تاريخ، ١١/٥.

(٦٣) الطبري، تاريخ، ٨٥/٥.

(٦٤) الطبري، تاريخ، ٧٦/٥.

(٦٥) الطبري، تاريخ، ٨٦/٥.

(٦٦) ابو عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، تحقبق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت : ١٩٨٣)، ١٨٧/١؛ ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن الابار الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار الكتاب العربي، (د.م : ١٩٦٣)، ٣٨١/٢.

(٦٧) الطبري، ١٦/٥-١٧.

(٦٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٩٦/١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٦/٤؛ ابن حجر، الإصابة، ٥١٦/٦.

(٦٩) الواقدي، فتوح الشام، ٢٢٩/١.

(٧٠) ابهر: بلدة من نواحي أصبهان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٨٣/١.

(٧١) زنجان: بلد كبير من نواحي بلاد الجبال قرب قزوين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٥٢/٣.

(٧٢) تستر: من مدن خوزستان وهي تعريب شوشتر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٩/٢.

(٧٣) القزويني، التدوين في أخبار قزوين، ٦١/١، ١٤١/١.

(٧٤) ابن حجر، الإصابة، ٤٧٠/٤.

(٧٥) الواقدي، المغازي، ١٤١/١، ٤٣٤/٢؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ٣١٤/١.

(٧٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٢٥/٢.
(٧٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٩٩/٢.
(٧٨) المصدر نفسه، ٥٠٥/٢؛ الذهبي، سير الأعلام، ٨٦/٤.
(٧٩) الذهبي، سير الأعلام، ١٥٠/٤؛ الكاشف، ٤٧٧/١.
(٨٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٩٦/١.
(٨١) الذهبي، العبر، ٤٥/١.
(٨٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٩٧/١.
(٨٣) الجوهري، الصحاح، ١٧١٢/٤.
(٨٤) المنقري، صفين، ٣٤٠؛ الصدوق، معاني الأخبار، ٣٥.
(٨٥) اليعقوبي، تاريخ، ١٩٢/٢.

نظام الحكم عند امير المؤمنين عليه السلام

شيخ حيدر فاضل الشكري
قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة العلوية المقدسة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين الى قيام يوم الدين.

وبعد: فإن الإسلام هو منهاج حياة كامل يحقق للأنسان والأمة سعادة الدنيا والآخرة وهو ليس منهجاً دينياً يختص بالعقيدة والعبادات من قبيل إقامة الفرائض كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها والإبتعاد عن المنكرات. بل إن الإسلام يعد نظاماً كاملاً للحياة بكل مجالاتها السياسية والأجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

وإذا ارادت الأمة ان تدرك سعادتها في الدنيا ونجاتها في الآخرة، فلابد لها من الرجوع إلى الإسلام في بناء ذاتها الذي لا يتحقق إلا من خلال بناء الشخصية الإسلامية وفق القوانين الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتطبيق هذه القوانين لا يكون من قبل الأفراد فحسب، بل إن ذلك يتطلب وجود حاكم عادل تجري على يديه هذه القوانين لتحقيق العدل والمساواة وحماية الحريات ورعاية المبادئ وحقوق الإنسان في الأمة.

ومن هذا المنطلق نجد أن الإمام أمير المؤمنين (ع) قد وضع نظاماً للحكم قد أقامة في الكوفة أيام حكمه، إنه نظام قائم على العدل وإحقاق الحق لا نجد له مثيلاً في التأريخ إلى يومنا هذا ما عدا حكومة النبي الأكرم (ص) في المدينة المنورة، وسوف يطبق هذا النظام عند ظهور قائم آل محمد (ص) في آخر الزمان عند قيام دولة العدل الإلهي.

لقد تعرضت الأمة الإسلامية إبان حكم أمير المؤمنين (ع) إلى إنحرافات كثيرة وفوضى عارمة وإبتعاد عن المناهج الإسلامية في إدارة شؤون الأمة بحيث أدى ذلك إلى ظهور طبقات في الأمة إستأثرت بأموال المسلمين بأساليب مختلفة وأنشأت لها جاحاً ومركزاً بأسم الإسلام رغم أن عهدهم بالإسلام كان قريباً. هذه الطبقات كان ينبغي التصدي

لها وخاصة عندما أعلنت خروجها على أمير المؤمنين (ع) وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

إن المنهج الذي اعتمده أمير المؤمنين (ع) في التصدي لهذه الإنحرافات في ساحة المسلمين هو تربية طلائع إسلامية وإعدادها إعداداً عقائدياُ وفكرياً يؤهلها للسير خلفه (ع) للوقوف بوجه الانحرافات في هذه الأمة وإرساء دعائم مشروعه الإصلاحي في الكوفة والذي أراد الإمام (ع) له أن يمتد عبر القرون ولكل الاجيال. وبتعبير آخر فإنه (ع) أراد أن يربي جيلاً عقائدياً يحمل على عاتقه مسؤولية الأمة ويتبنى منهجاً إسلامياً ينظم حياة الأمة ويحقق لها سعادتها.

في بحثنا هذا سوف نتطرق إلى ما ورد في نهج البلاغة حول نظام الحكم الذي إنتهجه الامام أمير المؤمنين (ع) وذلك من خلال خطبه ورسائله التي بعثها إلى ولاته على الأمصار وكذلك عهده لمالك الاشتر النخعي عندما ولاه مصر. هذا العهد الذي يمثل دستوراً كاملاً للسياسة العامة التي يجب على الحاكم إتباعها في مجالات الحياة كافة.

إن المبادئ التي وضعها أمير المؤمنين (ع) في إدارة شؤون الأمة إنما هي مبادئ تربوية على مستوى المجتمع عامة وعلى مستوى الأفراد خاصة، تضمن هذه المبادئ صلاح الأمة ونهوضها، على اعتبار ان صلاح الأمة بصلاح الحاكم الذي يقوم بما افترض الله تعالى عليه من حقوق الرعية، وكذلك صلاح الرعية بأداء الحق المفترض عليها اتجاه الحاكم كما سيتبيّن من خلال البحث.

لقد انتخبنا في بحثنا هذا مجموعة من كلمات أمير المؤمنين (ع) النيرة في عشرة مباحث وهي:

المبحث الأول: ضرورة وجود الحاكم.

المبحث الثاني: هدف الحكومة الحقة: إحقاق الحق وإقامة العدل.

المبحث الثالث: الحاكم أمين على الأمة وليس متسلطاً عليها.

المبحث الرابع: صفة الحاكم العادل الفاضل.

المبحث الخامس: الآثار الإيجابية المترتبة على إقامة العدل.

المبحث السادس: الآثار السلبية المترتبة على الظلم.

المبحث السابع: العدل سبيل الإستقرار والسعادة.
المبحث الثامن: حق الله تعالى على الوالي.
المبحث التاسع: وظيفة الحاكم العادل.
المبحث العاشر: خصائص الحكومة المهدوية.
لقد اتبعنا في هذا المبحث أسلوب الإختصار لما يقتضيه المقام راجين من الله تعالى التوفيق الدائم في خدمة الإسلام عامة وأهل البيت (ع) خاصة وأن يتقبل منا هذا القليل ليكون ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الاول

ضرورة وجود الحاكم

إن من أهم الضرورات لوجود الحاكم هو أن المجتمع يحتاج إلى الأمن والإستقرار ورعاية الحقوق وحل المشكلات والخلافات التي تعصف به، وكذلك دفع الأخطار الخارجية عنه، وهذا لا يتحقق إلا بوجود حكومة ووجود حاكم بغض النظر سواء كان هذا الحاكم صالحاً أو غير صالح.

هذا المعنى الذي بينه الإمام أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة عندما ردّ على الخوارج الذين رفعوا شعار (لا حكم الا لله) بعد واقعة صفين وقبول الإمام علي (ع) التحكيم مستفيدين من هذه الآية (إن الحكم الا لله)[1] بأن الحكم لله تعالى وليس هناك حاجة إلى الحكومة مع وجود القرآن الكريم، في حين أن الآية تريد أن تقول ان وضع الأحكام والقوانين من قبل الله تعالى أو النبي (ص) والإمام المعصوم (ع). ولكن حكم الله عز وجل لا بد ان يجري على يد البشر وأن الناس لابد لهم ممن يحكمهم. لذا قال (ع): (كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله)[2] ونفي الخوارج الحكم لغير الله يستلزم نفي أي إمرة لأي إنسان كان.

ثم قال (ع): (وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر) وهذا بيان لضرورة وجود الحاكم. معللاً (ع) ذلك بذكر سبعة علل تتضمن جوانب مادية ومعنوية حيث قال (ع):

(يعمل في إمرته المؤمن) في مراد هذه العبارة حصل اختلاف عند شراح نهج البلاغة بسبب عودة الضمير في (إمرته) هل هو للبرّ ام للبرّ والفاجر؟ فمنهم من ذهب إلى أن

الضمير يعود إلى الأمير براَ كان أو فاجراَ كالشارح البحراني والشيرازي في نفحات الولاية[٣] في حين يرى الشارح المعتزلي أن الضمير يرجع إلى الفاجر.

وهنا أقول: أن الأرجح هو عودة الضمير إلى مطلق الأمير. ففي إمرة البرّ يعمل المؤمن بكل حرية في أداء عبادته وغيرها. وفي إمرة الفاجر يمكن للمؤمن الإتيان بأعماله العبادية وغيرها ولو بصورة غير مطلقة. ولعل هناك مراد آخر للأمام أمير المؤمنين (ع) وهو عمل المؤمنين في حكومة الفاجر لدرء الأخطار عن المؤمنين وقضاء حوائجهم كما كان بعض اصحاب الأئمة المعصومين (ع) في حكومات الجور كعلي بن يقطين الذين كان يعمل في البلاط العباسي أيام الإمام موسى بن جعفر (ع).

(ويستمتع فيها الفاجر) من حيث أنصرافه إلى الدنيا ولذاتها ومخالفة القوانين الشرعية المتمثلة بأوامر الله تعالى ونواهيه.

(ويبلغ الله فيها الآجل) بمعنى أن الأمرة البرّة والفاجرة تنتهي ببلوغ أجل الأنسان وهذا من باب التخويف بالأجل.

(ويجمع به الفيء) يجمع بالأمير الفيء.

(ويقاتل به العدو) فبوجود الأمير يقاتل أعداء الدولة وتدرء الأخطار عنها.

(وتأمن به السبل) بوجود الحكومة وسطوتها تصبح السبل آمنة.

(ويؤخذ به للضعيف من القوي) أخذ حق الضعيف من القوي الذي ظلمه.

وهنا يرد السؤال التالي: هل يمكن تحقق هذه العلل في إمارة الفاجر كما هي في إمارة البرّ؟

الجواب: نعم ولكن بصورة نسبية حيث أن الفاجر يقوم بها اضطراراً من أجل أستمرار حكومته، فهو يراعي النظام ويقف بوجه الاعداء ويحاول التظاهر بالوقوف ضد الظلمة رغم أنه في حد ذاته ظالم. لأنه وبخلاف ذلك سوف تخرج الناس عليه وتضعف حكومته ويطيح به اعداؤه.

وأما النتيجة المترتبة على قيام الحكومة من خلال العلل السبعة التي ذكرها أمير المؤمنين (ع) فهي قوله (ع): (حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر) يستريح البرّ من الدنيا وآلامها

ومسؤولياتها فهو يتوق إلى الآخرة ولقاء الله عز وجل. ولعل المراد أن يستراح البرّ من الفاجر وظلمه بموته أو عزله.

وفي رواية أخرى أنه (ع) قال: (أما الأمرة البرّة فيعمل فيها التقّي، وأما الأمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقيّ إلى أن تنقطع مدته، وتدركه منيّته) [٤]. وهذا يعني أن التقيّ يكون حراً في ممارساته العبادية دون أي تعرض له في ذلك، والفاجر بمقتضى فجوره وأنحرافه ينغمس في اللذات الدنيوية الحاضرة المخالفة لأوامر الله تعالى ونواهيه. وتنتهي مدة حكمه بانتهاء حياته حين تدركه المنية.

المبحث الثاني

هدف الحكومة الحقّة: إحقاق وإقامة العدل

(أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ لله على العلماء، أن لايقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكاس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز) [٥].

بعدما أقسم الإمام (ع) بهذا القسم (أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة) ذكر العلل التي دعته لقبول البيعة والتي ألزمته بالقيام بالأمر حيث قال (ع): (لولا حضور الحاضر) حضور المهاجرين والأنصار لبيعته.

(وقيام الحجة بوجود الناصر) إتمام الحجة عليه (ع) بوجود الناصر والمعين له في طلب الحق.

(وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارؤّا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم) ما أخذ الله عز وجل من العهد على العلماء في إنكار المنكر وشجب الإنحراف والوقوف بوجه الظلمة والإنتصاف للمظلوم. و (الكظّة) تعني إمتلاء الإنسان من الطعام، وكظة الظالم كناية عن استئثاره بالحقوق، وأما سغب المظلوم فالمراد به جوع المظلوم وشدة تعبه من ظلامته.

ولولا هذه العلل لأنصرف (ع) عن الأمر كما في أيام الثلاثة الذين سبقوه ولترك الناس في حيرتهم وضلالهم لما ذكر (ع) من الطخية العمياء التي وقعوا فيها. حيث قال (ع) في هذا المعنى:

(لألقيت حبلها على غاربها) و (الغارب) أعلى كتف الناقة[٦]. وهذا تشبيه الخلافة بالناقة التي يلقى زمامها على كتفها لترعى حيث تشاء. (ولسقيت آخرها بكأس أولها) كناية عن آنصرافه (ع) عن الأمر بعد الثالث كما أنصرف عنه إيام الإثنين.

ونستدل مما سبق أن للعلماء دور كبير في إقامة نظام الحكم ونشر العدل وعدم السكوت والرضا بما يفعله الظالمون. فالعالم يجب أن يكون له دور في إقامة النظام السياسي والإداري والإجتماعي في المجتمع ولا يقتصر واجبه في مسائل الدين والحلال والحرام فقط. فرسول الله (ص) قام بدوره الديني والسياسي وكذلك أمير المؤمنين (ع) قام بهذين الدورين. وإذا كان العلماء هم ورثة الانبياء وأمناء الرسل كما ورد في الرويات الشريفة، فمن الواجب أن لا ينحصر دور العلماء في المساجد وفي إصدار فتاوى الحلال والحرام دون ان يكون لهم الدور في إقامة النظام السياسي والإداري في الأمة. وهذا يعني أن الدين والسياسة لا يفترقان أبداَ.

وفي رسالة وجهها الإمام الحسين (ع) إلى العلماء في أيامه الذين لم يأمروا بالمعروف ولم ينكروا المنكر المتمثل بظلم وفساد السلطة الحاكمة آنذاك، قال (ع):

(مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه) [٧] أي أن كل مجاري الأمور السياسية والإدارية والإجتماعية في الأمة لابد أن تكون بيد العلماء بالله.

وفي آخر هذا المقطع من خطبة الإمام أمير المؤمنين (ع) يبيّن استهانته بهذه الدنيا وأنها لا قيمة لها عنده وأنها أزهد عنده من عفطة عنز. فليس له (ع) أي رغبة أو حرص على الخلافة كونها حكم وإمرة. وإنما ليقيم الحق وينشر العدل كما قال (ع) لابن عباس عندما كان (ع) يخصف نعله: ما قيمة هذه النعل؟ فقال ابن عباس: لا قيمة لها، فقال (ع): والله لهي أحبّ إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً[٨]. ولا غرابة في ذلك لأن سيرته (ع) تشهد باستهانته بهذه الدنيا التي طلقها ثلاثاً لا رجعة فيها.

المبحث الثالث

الحاكم أمين على الأمة وليس متسلطاً عليها

أن الحاكم لا يملك شيئاً من أموال المسلمين، بل هو أمين عليها، ولا يجوز له التصرف بها دون إذن الرعية، فهي أمانة إلهية يجب مراعاتها وحفظها ولا ينبغي الإستبداد في إدارة الأمور والتعامل بحذر مع بيت المال، قال تعالى: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)) (٩)

لقد ورد هذا المعنى في كتاب للإمام أمير المؤمنين (ع) وجهه إلى ولاته ومنهم الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان، وكذلك في كتابه (ع) إلى عماله على الخراج وفي عهده لمالك الأشتر. حيث قال (ع) في كتابه للأشعث بن قيس: (وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تقتات في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة) (١٠)، فالحاكم يجب عليه أن يكون أميناً على المال وليس له الحق أن يعتاش عليه وأن يدّخره لنفسه فيكون وزراً عليه. وبيّن (ع) أيضاً أن الوالي هو رعية أميره الذي فوقه والذي جعله راعياً للناس أميناَ على اموالهم وكل امورهم الخاصة بولايته عليهم. وفي هذا وجوب استئذان الوالي لمن آسترعاه بما يخص ما استئمن عليه. وانه لابد ان لا يستبد برأيه في أمر يخص الرعية إلا بعد الرجوع إلى من استرعاه. ولا يقدم على الأمور العظام إلا بما يوثق به في الدين، وبتعبير آخر ان يكون الإقدام على الأمور الخطيرة الخاصة بالمال وغيره بما هو غير مخالف للعقل والشرع بحيث يثق به المسلمون.

وفي كتابه (ع) إلى عماله على الخراج قال (ع): (فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة) (١١)، وفي هذا وصية الى عماله باتباع العدل والإنصاف مع الرعية وإعطاء حقوقهم التي عليه كما يجب أن يأخذ حقه منهم، والصبر على قضاء حوائجهم ويدخل هذا ضمن زكاة الجاه.

لقد عدّ (ع) ثلاث صفات لعمال الخراج يترتب عليها ثلاث مسؤوليات تقع على عاتقهم:

١- خزان الرعية: الأمناء على اموالهم في جمعها وانفاقها في مصالحها.

٢- وكلاء الأمة: الموكلون من قبل الأمة في أخذ حقوقهم من الناس الذين وجب عليهم الحق.

٣- سفراء الأئمة: فهم يمثلون الأئمة في كل ما يقومون به من فعل وما يلفظون به من قول.

وهذا مقام يقتضي حفظه من خلال تطبيق العدالة وحفظ الأمانة والإخلاص في عملهم وان يتعاملوا تعاملاً اخلاقياً حسناً مع الناس.

وفي عهده (ع) الى مالك الاشتر يرسم الإمام (ع) سياسة الحاكم في تعامله مع رعيته والتي يجب ان تكون قائمة على الرحمة والمحبة واللطف لكي يبني له عرشاً في قلوب الناس لا أن يكون متسلطاً عليهم بالقوة والظلم. فقال (ع):

(واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق) (١٢).

وفي عهده (ع) لمالك الاشتر ايضاً قال (ع) : (ولا تقولن إني مؤمّر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير) (١٣)، وفي هذا نهي عن الإغترار بالمقام والقدرة والتفاخر على الرعية ووجوب طاعتهم له في كل ما يأمرهم مما يؤدي هذا إلى آثار وخيمة متمثلة بإفساد القلب والأنحراف عن جادة الصواب وضعف الإيمان والدين، وكذلك تعرض الحاكم إلى سخط الرعية وثورتهم عليه لإزالته واحداث التغيير في الحكومة.

المبحث الرابع

صفة الحاكم العادل الفاضل

من عوامل العيش بأمان وسلام، وكذلك دوام الحكومة وقوتها هو أن يكون نظام الحكم قائماً على العدل، وهذا يستلزم وجود حاكم حق يستشعر العدالة في نفسه، بل يعيشها مع نفسه قبل أن يدعو لها ويسعى إلى تطبيقها بين الرعية.

ومن هذا المنطلق فقد اشار الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى صفات الحاكم العادل الفاضل في قوله (ع): (وقد علمتم أنه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين، البخيل، فتكون في اموالهم نهمته، ولا الجاهل، فيضلهّم

بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدّول، فيتخذ قوماً دون قوم. ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع. ولا المعطلَ للسنّة، فيهلك الأمة) (١٤)،

وهذا يعني ان الفروج والانفس والأموال والقوانين وادارة امور المسلمين هي الاساس في إقامة الحياة في المجتمع والتي ينبغي للوالي حفظها لتأمن الأمة ويأمن الأفراد على حياتهم وأموالهم وأعراضهم.

لقد ذكر الإمام (ع) في هذا المقطع من خطبته خصائص ولاة العدل من خلال ذكر الرذائل وآثارها السلبية التي يجب على الوالي التنزه عنها، والتحلي بما يقابلها من الفضائل. وهذه الرذائل هي ستة: البخل والجهل والجفاء والحيف والرشوة وتعطيل سنة النبي الأكرم (ص). فالبخيل يكون حريصاً على مافي أيدي الناس، والجاهل بقوانين الدين واحكامه واساليب ادارة الأمور في الحكومة سوف يقود الرعية الى الجهل والضلال. والجافي وهو العنيف والسيء الخلق في التعامل مع الرعية سوف يفكك كل اواصر الالفه والمحبة والاجتماع التي حث عليها الشارع المقدس، والحائف للدّول وهو الظالم والجائر الذي يستأثر بأموال المسلمين ويختص بها بعضاً ممن ينتمي إليه بحسب أو نسب أو مودة وذلك على حساب الرعية كما حدث ايام عثمان بن عفان الذي أنفق بيت مال المسلمين على بني أمية والمقربين إليه، في نفس الوقت الذي منع العطاء عن خيرة صحابة رسول الله (ص) امثال عمار وأبي ذر وعبد الله بن مسعود وغيرهم. وأما المرتشي في الحكم فيذهب بحقوق الرعية بتغيير مجرى القضاء ليصدر احكاماً جائرة ضد المستضعفين من الناس الذين ليس لهم ناصر ولا معين إلا الله عز وجل. وأما المعطّل للسنة التي جاء بها النبي (ص) والمتمثلة فيها قوانين السماء القائمة على العدل وحفظ نظام الأمة، فهذا يؤدي إلى هلاك الأمة دنيوياً وأخروياً.

ومما جاء في صفات الحاكم الفاضل في عهده لمالك الأشتر قال (ع):

(وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك او شح بنفسك عما لا يحل لك. فإن الشح بالنفس والإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت. واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم،

واللطف بهم، ولا تكوننن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق) (١٥).

ما أروعها من عبارات جعل (ع) ما يصدر من حكم من عامة الناس ميزاناً لمعرفة الوالي ومدى صدقه وصلاحه. حيث أن الله سبحانه يجري للصالحين على ألسن عباده. والجدير ذكره ان هذا المعنى يتحقق في حال وجود الوعي عند الخلق، وأما بخلاف ذلك فلا قيمة لآرائهم بحق حكومتهم التي تحاول تضليلهم وتحريف افكارهم بما يخدم مصالحها.

وأوصى (ع) مالك الأشتر وهي وصيته لكل حاكم بأن يكون العمل الصالح من احب الذخائر التي ينتفع بها في الآخرة. وأن يكبح جماح الأهواء النفسية من قبيل شهوات النفس وغضبها.

قال ابو عبد الله (ع): (إحذروا أهواءكم كما تحذرون اعداءكم فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهواءهم وحصائد السنتهم) (١٦)، وان تشح نفس الحاكم في مقابل المحرمات فيكون كالبخيل الذي يصعب عليه الانفاق ولو قليلاً. وان يكون الشح بالنفس ضمن حدود الإنصاف والعدل من دون إفراط ولا تفريط فيما احبّت او كرهت لأن ذلك سوف يؤدي إلى القاء النفس في مهاوي الهلكة الدنيوية والأخروية وكذلك يسعى الحاكم إلى ان يبني عرشاً له في قلوب الناس من خلال التعامل معهم بالرحمة والمحبة واللطف بصفتهم: إما اخوة له في الدين او نظراء له في الخلق ومصداق ذلك هو الإمام أمير المؤمنين (ع) الذي جعل عرشه في قلب كل مؤمن ومؤمنة. يقول أحد الشعراء مخاطباً إياه (ع): لك في النفوس إمامة فيهون ولو عصفت بك الشورى او التعيين

وفي مقطع آخر من هذا الدستور الذي وضعه (ع) لمالك الأشتر ولكل حاكم على مر العصور ، عدّ (ع) ثلاثة عشرة صفة لقاضي العدل الذي يحكم بين الناس وذلك لتحقيق العدالة بين الرعية، فقال (ع).

(ثم آختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج،

وأقلّهم تبّرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل) [١٧]،

المبحث الخامس

الآثار الإيجابية المترتبة على إقامة العدل

إن إقامة الحق والعدل في الدولة لا يكون إلا من خلال أداء الحقوق المتبادلة بين الحاكم والرعية، حيث ان صلاح الأمة هو بصلاح الحاكم، وكذلك العكس، فصلاح كل منهما يؤثر على الآخر. لذا قال أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة:

(فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقّه، وأدّى الوالي إليها حقهاَ، عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، وأعتدلت معالم العدل، وجرت على اذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء) [١٨]، وفي نفس هذه الخطبة قال (ع):

(وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل) [١٩].

ان المراد بحق الوالي على الرعية طاعته، وحق الرعية على الوالي هو نشر العدل بينهم وايصال حقوقهم اليهم والإنتصاف للمظلوم من الظالم. فإذا أدى كل منهما حقه إلى الآخر صلحت الأمور، ومن هنا فقد عدّ (ع) سبعة آثار ايجابية تترتب على إقامة الحق والعدل في الأمة وهي: (عزّ الحق بينهم) يكون الحق عزيزاً بينهم.

(وقامت مناهج الدين) العمل بقوانين الدين وتشريعاته.

(وأعتدلت معالم العدل) ارتفاع راية العدل.

(وجرت على أذلالها السنن) جرت السنن وفق مناهج العدل.

(فصلح بذلك الزمان) صلاح الأمة وانتظام أمور الخلق الدينوية والأخروية وارتفاع الفساد عنها.

(وطمع في بقاء الدولة) دوام الدولة وبقاؤها.

(ويئست مطامع الأعداء) تحقق الألفة بين الحاكم ورعيته نتيجة أداء الحقوق بينهما سوف يذهب طمع الأعداء لاتفاقهم وقوتهم.

المبحث السادس

الآثار السلبية المترتبة على الظلم

إن للظلم آثار دنيوية وأخروية متمثلة بالعواقب الوخيمة بما يخص الظالم والأمة.

قالله عز وجل قد يمهل الظالم من باب الإستدراج كما في قوله تعالى: (... سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [٢٠]، وذلك زيادة في إثمه لينال العذاب الأليم، أو من باب إعطاء الفرصة للظالم لكي ينزع ويتوب عن ظلمه كما جاء في نهج البلاغة حيث قال أمير المؤمنين (ع): (ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجى من مساغ ريقه) [٢١].

لقد أعدّ الله عز وجل عذاباً اليماً للحاكم الجائر الضال في نفسه والمضل لغيره والذي يسوق الناس إلى الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة كونه يحكم بهواه بغير هدى من الله تعالى. قال أمير المؤمنين (ع) في هذا المعنى: (وإن شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به. فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله - يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها) [٢٢].

وأما بالنسبة لظلم العباد بعضهم لبعض مادياً كان أو معنوياً، فقد وعد الله تعالى الظالمين بالعذاب الأليم، قال عز وجل: (نار الله الموقد، التي تطلع على الأفئدة، أنها عليهم موصدة، في عمد ممدة) [٢٣].

قال أمير المؤمنين (ع): (وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد. ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذاك معه) [٢٤].

ومن ضمن الآثار السلبية الدنيوية نتيجة ظلم الحاكم لرعيته وعصيان الأمة لحاكمها هو ما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) حيث قال: (وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته. أختلفت هناك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاجّ السّنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس) [٢٥].

ومن هنا يتبيّن أن مناشيء الفساد في الأمة سببها فساد الحاكم أو فساد الرعية أو كلاهما. وفي هذا المعنى ينقل صاحب العقد الفريد: (إطلع مروان على ضيعة له بالغوطة، فأنكر

منها شيئاً، فقال لوكيله: ويحك إني لأظنك تخونني! قال: أنظنّ ذلك ولا تستيقنه؟ قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني أخونك، وإنك لتخون الخليفة، وإن الخليفة ليخون الله، فلعن الله شرّ الثلاثة) (٢٦).

ومن الآثار السلبية الأخرى المترتبة على الظلم هي تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته لأن الله ناصر المستضعفين وهو للظالمين بالمرصاد كما جاء في نهج البلاغة حيث قال (ع):

(وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد) (٢٧). وفي هذا تحذير من عاقبة الأستمرار بالظلم وهضم حقوق الرعية لأن عقابه سيكون في الدنيا قبل الآخرة.

عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: (مامن أحد يظلم مظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله...)(٢٨).

الفصل السابع

العدل سبيل الإستقرار والسعادة

إن قوانين العدل الإلهية توجب إنتزاع الظلامة من الظالم ورفع الجور عن المظلوم باسترداد حقه إليه مما يحقق صلاح حياة الأمة ونظامها، وبالتالي ضمان الأستقرار والسعادة.

قال الإمام المؤمنين (ع): (والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددته)(٢٩)، أي أن الأموال والقطائع التي دفعها عثمان إلى قرابته في إيام حكمه سأقوم باستردادها إلى بيت المال حتى لو صارت مهراً للنساء وثمناً للأماء. وأن العلة ي ذلك هي أن ردّ تلك القطائع إنما هو بمقتضى العدل الذي تنتظم به حياة الأمة ويصلح حالها. وأنه (ع) إن لم يقم بإرجاع الحقوق إلى أهلها سوف تفقد الناس ثقتها بالحاكم الجديد، لأنها سوف ترى لصوص الأمس يسرحون ويمرحون في نفس الوقت الذي يأنّ فيه الكثيرون من الجوع والفاقه بعدما منع عنهم العطاء.لذا قال (ع): (فإن في العدل سعة) (٣٠).

إن من شقّ عليه تطبيق مبادئ العدل في إرجاع الحقوق إلى أهلها، فإن الجور الذي أقدم عليه سيكون أشقّ عليه في الدنيا والآخرة. لأن العدل يسلبه الأموال اللامشروعة التي ستكون وبالاً عليه في الدنيا والآخرة، وبخلاف ذلك فسوف يخاطر بكل أمواله المشروعة

واللامشروعة فتأخذ منه ظلماً. قال (ع): (ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[٣١].

ومن هنا يتبيّن أن تطبيق العدالة الإجتماعية سوف يضمن الحقوق لكل الأفراد دون التمييز بينهم وبالتالي سوف يؤدي إلى استقرار الأمة وسعادتها.

الفصل الثامن

حق الله تعالى على الوالي

في نظام الحكم عند أمير المؤمنين (ع) أن هناك حق لله تعالى على الولاة ومن بيدهم مقاليد الأمور والحكم، ويتمثل هذا الحق بقضاء حوائج الرعية والتقرب منهم لمعرفة معاناتهم ومشاكلهم التي ينبغي أن يجدوا لها الحلول المناسبة وذلك لتوفير الحياة الطيبة لهم. وإنما صار كل هذا حقاً لله تعالى على الوالي لأن ما ناله الوالي من القدرة والمكنة إنما هو بفضل الله عز وجل، وهذا الفضل يوجب شكر المنعم وهو الله سبحانه. قال (ع):

(أما بعد فإن حقاَ على الوالي أن لا يغيّر على رعيته فضل ناله، ولا طول خصّ به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوّا من عباده، وعطفاًعلى إخوانه) [٣٢].

فالوالي يجب أن لا يحمله مقامه عند وصوله إلى الحكم العجب والغرور فيتغيّر على رعيته فيكون مستبداً ومتفرعناً عليهم، وعند ذلك سيكون الوالي قد خرج عن شروط الولاية التي تقتضي التعامل مع الرعية باللطف والمحبة والرحمة بهم.

الفصل التاسع

وظيفة الحاكم العادل

إن وظيفة الحاكم العادل تكمن في استنقاذ حق المظلوم من الظالم، وهذا يستلزم وقوف الرعية معه لتحقيق مبادئ العدالة الإجتماعية ورفع راية الحق عالياً وذلك من خلال طاعة الرعية للحاكم والإمتثال لأوامره وترك أهواء أنفسهم. لذا قال أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة: (أيها الناس أعينوني على انفسكم) [٣٣]، ثم أقسم (ع) أنه سوف يسترد حق المظلوم من ظالمه فقال (ع): (وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها) [٣٤].

الخزامة: هي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشدّ فيها الزمام ويسهل قياده[٣٥].

ما أروع هذا التشبيه، حيث شبّه (ع) الظالم بالبعير الجامح الذي لا ينقاد إلا بالخزامة ليورده صاحبه مشربه كرهاً ليرتوي. والمعنى هو أني سأقود الظالم رغماً عنه لأسترداد حق المظلومين ونشر القسط بين الناس، وهذا هو من أهداف بعثة الأنبياء كما في قوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[٣٦].

وفي هذا المعنى ورد عنه (ع) أنه قال: (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه) [٣٧].

وعنه (ع) أيضاً في وصيته للحسنين (ع): (كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً) [٣٨].

إن ما ورد عن أمير المؤمنين (ع) في نصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم إنما هو مصداق ما جاء في كتاب الله عز وجل الذي حث المؤمنين على نصرة المظلوم ولو تطلب ذلك قتال الظلمة، قال تعالى: (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك ولياً وأجعل لنا من لدنك نصيراً) [٣٩].

الفصل العاشر

خصائص الحكومة المهدوية

آليت ونحن في آخر المطاف التطرق إلى خصائص حكومة العدل الإلهي العالمية التي يقيمها الإمام المهدي المنتظر (عج) والتي أشار إليها الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة حيث قال (ع) في الإمام المهدي (عج): (فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة)[٤٠].

أي أن الإمام صاحب العصر والزمان (عج) عند ظهوره سوف يظهر السيرة العادلة القائمة على مبادئ الحق والعدل والحرية والمساواة والأمن والأستقرار. وسوف يحيي أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد أن درست آثارهما. وسيحكم العالم وفق نظام حكم إسلامي قائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص). هذا النظام الذي تتوق إليه كل الشعوب في العالم بعدما عانت من الأنظمة الفاسدة على مرّ العصور، تلك

الأنظمة التي أنتشر فيها الجور والفساد وسلبت فيها الحقوق وأنتهكت فيها المحارم وسالت الدماء على قدم وساق.

إن الإمام (عج) عند ظهوره سوف يدعو الناس إلى الإسلام وسوف يهديهم إلى أمر مضلول عنه كما ورد في رواية عن الإمام الصادق (ع) حيث قال:

(إذا قام القائم دعى الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور، وإنما سمّي القائم مهدياً لأنه هدى إلى أمر مضلول عنه، وسمّي بالقائم لقيامه بالحق) (٤١).

وعنه (ع) أيضا أنه قال: (إذا قام القائم حكم بالعدل وأرتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ ذي حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله عز وجل يقول: (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون) (آل عمران: ٨٣)، وحكم في الناس بحكم داود وحكم محمد صلى الله عليهما فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبرّه، لشمول الغنى جميع المؤمنين) ثم قال (ع): (إن دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقين)(الأعراف: ١٢٨) (٤٢).

إن البشرية في ظل حكومة العدل العالمية ستسير باتجاه التكامل المادي المعنوي وفيها تحيى كل القيم الإسلامية وسيعم الخير وتعم البركة في كل أرجاء المعمورة.

الهوامش:

---

(١) الانعام: ٥٧.

(٢)نهج البلاغة: ٧٩ الخطبة/ ٤٠.

(٣) شرح ابن ميثم البحراني: ١٠٣/٢، نفحات الولاية لمكارم شيرازي: ٢٧٧/٢.

(٤) نهج البلاغة: ٧٩ الخطبة: ٤٠.

(٥) نهج البلاغة: ٣٠، الخطبة ٣ الشقشقية.

(٦) منهاج البراعة للمحقق الخوئي: ٩٦/٣.

(٧) بحار الأنوار للمجلسي: ٣٧.
(٨) نهج البلاغة: ١٣٤، الخطبة/ ٣٣.
(٩) النساء: ٥٨.
(١٠) نهج البلاغة:
(١١) المصدر السابق نفسه: ٥٨٦، كتاب/ ٥١.
(١٢) المصدر السابق نفسه: ٥٩٠ كتاب/ ٥٣
(١٣)
(١٤) نهج البلاغة: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة/ ١٣١.
(١٥) المصدر السابق نفسه: ٥٩٠، كتاب/ ٥٣.
(١٦) الكافي للكليني: ٣٣٥/٢ ح١، باب اتباع الهوى.
(١٧) نهج البلاغة: ٦٠٠-٦٠١، كتاب: ٥٣.
(١٨) نهج البلاغة: ٤٥٢، الخطبة: ٢١٦.
(١٩) المصدر السابق نفسه.
(٢٠) الأعراف: ١٨٢.
(٢١) نهج البلاغة: ١٧٩، الخطبة: ٩٧.
(٢٢) المصدر السابق نفسه: ٣٠٩، الخطبة/ ١٦٤.
(٢٣) الهمزة: ٦-٩.
(٢٤) نهج البلاغة: ٣٤٠، الخطبة: ١٧٦.
(٢٥) المصدر السابق نفسه: ٤٥٢، الخطبة: ٢١٦.
(٢٦) العقد الفريد: ٢٣/١.
(٢٧) نهج البلاغة: ٥٩٢، كتاب: ٥٣.
(٢٨) الكافي للكليني: ٣٣٢/٢، ح١٢ باب الظلم.
(٢٩) نهج البلاغة: ٤٠، الخطبة: ١٥.
(٣٠) المصدر السابق نفسه.
(٣١) المصدر السابق نفسه.
(٣٢) نهج البلاغة: ٥٨٥، كتاب: ٥٠.
(٣٣) نهج البلاغة: ٢٥٤، الخطبة: ١٣٦.
(٣٤) المصدر السابق نفسه.
(٣٥) منهاج البراعة للمحقق الخوئي: ٢٩٤/٨، نفحات الولاية للشيرازي: ٣٢٦/٥.

(٣٦) الحديد: ٢٥.
(٣٧) نهج البلاغة: ٧٧، الخطبة: ٣٧.
(٣٨) المصدر السابق نفسه: ٥٨١، كتاب: ٤٧.
(٣٩) النساء: ٧٥.
(٤٠) نهج البلاغة: ٢٥٧، الخطبة: ١٣٨.
(٤١) روضة الواعظين: ٢٠/٢، الإرشاد: ٣٨٣/٢.
(٤٢) الارشاد للمفيد: ٣٨٥/٢.

المصادر

القرآن الكريم
١- نهج البلاغة للشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) تحقيق د. صبحي الصالح، ط دار الاسوة/ طهران الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
٢- منهاج البراعة للمحقق حبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٦هـ) ط دار احياء التراث العربي/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٣- شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، ط دار الثقلين/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٤- نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة لناصر مكارم شيرازي، ط دار جواد الأئمة/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
٥- الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) دار التعارف للمطبوعات/ بيروت ١٤٠٣هـ.
٦- بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء/ بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثانية.
٧- روضة الواعظين لمحمد بن الفتال النيشابوري (ت ٥٠٨هـ) منشورات دليل ما مطبعة نكارش/ ايران قم ١٤٢٣هـ الطبعة الأولى.
٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث/ قم المقدسة ١٤١٦هـ الطبعة الثانية.

سمات القيادة الادارية المستوحاة من عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر (رض)

الباحث نذيرهارون الزبيدي*

المقدمة:

تعد القيادة من المواضيع التي شغلت العالم منذ القدم وحتى يومنا هذا، لما لها من اهمية كبيرة في حياة البشرية بشكل عام، وإدارة الأعمال بشكل خاص، فهي المحرك الرئيس للعمل وضمان استمراره، والقلب النابض لأي منظمة، وبها يتحدد نجاحها او فشلها، وما نتاج المجتمعات ومساهمتها في الميراث الانساني الا انعكاسا لحياة قادتها وما تركوه من مآثر في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد اهتم الفكر الاداري اهتماما بالغا، بالسمات القيادية، باعتبارها من العوامل الرئيسة التي تُسهم بفاعلية القيادة، وتمكّنه من ممارسة وظيفته القيادية على الوجه الاكمل، كما ظهر كم كبير من الابحاث والدراسات، لمنظري هذا الفكر، تناولت السمات الواجب توفرها في القيادة، الا ان هذه الدراسات والابحاث لم تسلم من الاختلاف والتباين والانقسام ازاء هذه السمات، وواجهت صعوبة في الاتفاق على سمات محددة، واضحة ودقيقة، للقائد الناجح يمكن تطبيقها والاستفادة منها على نطاق واسع.

وبما ان عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لواليه على مصر مالك الاشتر، وثيقة اسلامية فريدة من نوعها- منذ زمان صدورها وحتى يومنا هذا- لإدارة الحكم والحكومة العادلة، وتعد بحق دستوراً كاملاً لتنظيم الحياة في مختلف اتجاهاتها، مستمدة من رؤية استراتيجية شاملة قائمة على الفهم العميق لروح الشريعة الإسلامية، بمرجعيتها القران الكريم والسنة المطهرة، واللتان استوعبهما امير المؤمنين عليه السلام فكرا وعملا[1]. لذلك فلا غرابة ان نجد ان الامام علي عليه السلام قد التفت - برؤية ثاقبة وبصيرة نافذة- الى سمات القائد الناجح واضعا لها بين طيات نصوص عهده المبارك اشارات واضحة الدلالة محكمة الصياغة لا تحتمل التأويلات أو الشكوك، مؤكدا على وجوب توافرها في القادة الإداريين، باعتبارها من مكونات الشخصية

القيادية، ولا يمكن لأي قائد أن ينجح أو يحقق أهدافه من دونها، سابقا بذلك علماء الفكر الإداري المعاصر بما يقرب من ١٤٠٠ سنة .

وفي ضوء هذه المقدمات، ينتمي هيكل البحث الحالي الى العناوين الاتية :

اولا : مفهوم القيادة .

ثانيا : التطور الفكري لمفهوم القيادة،.

ثالثا : سمات القيادة في الفكر الإداري المعاصر .

رابعا : اهمية التحاكم الى وثيقة العهد العلوي للوقوف على حقيقة القيادة وسماتها.

خامسا : اهم سمات القيادة الادارية المستوحاة من العهد العلوي.

مفهوم القيادة :

تعد ظاهرة القيادة من اكثر الظواهر الاجتماعية التي عُنيت بالبحث والدراسة، وتعددت وتنوعت الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة، الا أن تعددها وتنوعها يكشف عن عدم وجود تعريف جامع مانع بين الباحثين والدارسين لمفهوم القيادة، فما زال مفهوم القيادة إلى الآن يكتنفه الغموض، "فمن الدراسات ما يعتبر القيادة علماً وفناً يمكن أن تُدرس وتُكتسب سماتها، ومنها ما يرى أن القائد يولد بالفطرة بخصائص وسمات شخصية تؤهله للقيادة"(٢). فالظاهرة القيادية ظاهرة فردية، ونفسية، تجمع بين التركيب السلوكي والنبوغ الفردي، كما انها ظاهرة اجتماعية، ونظامية، كونها من "أكثر أنواع الصور الاجتماعية تعقيداً وتركيباً ورفضاً لعملية التحليل في معناها المتداول"(٣). إلا أن هناك وجهة نظر متفق عليها بين الباحثين والدارسين بأن القيادة: تفاعل بين القائد والتابعين لتحقيق هدف مشترك.

فالقيادة عملية تفاعلية بين القا ئد والتابعين في مواقف معينة، يترتب عليها تحد يد اهداف مشتركة، ثم القيام بالإجراءات الفاعلة لتحقيق تلك الاهداف، وجوهر عملية القيادة هو القائد وقدرته على التأثير في الاخرين وتحقيق النتائج المطلوبة من خلالهم. فقد اُستخدم لفظ القيادة ليمثل العلاقة المتبادلة بين من يبدأ بالفعل وبين من ينجزه و هذه العلا قة يترتب عليها أداء دورين متباينين يمثل ا لدور الأول من يتولى القيام بالعمل وهو القائد ووظيفتُه إصدار الأوامر، ويمثل الدور الثاني الذين ينجزون العمل

وهم الأتباع أو الأفراد ووظيفتهم تنفيذ الأوامر وهذا واجب عليهم [٤]، فهي اذا القدرة على جعل شخص ما يفعل شيئا لم يكن ليفعله في ظروف أخرى، ومن ثم فأنها "فن التأثير في الأشخاص"[٥] "وتوجيه سلوكهم وتنسيق جهودهم وموازنة دوافعهم ورغباتهم ليتسنى معها للقائد كسب احترامهم وولائهم وتعاونهم وعدم التردد من قبلهم، بما يحقق له الطاعة والقبول والتضحية والبذل والعطاء، من اجل الوصول إلى هدف معين بكفاءة عالية.

لذا يعتمد نجاح القيادة في تحقيق أهداف الجماعة على ما يمتلكه القائد من قدرة على تحفيز العاملين معه وبث النشاط فيهم والمحافظة على روحهم المعنوية وتنمية حب العمل التعاوني وبث روح الحماس لدفعهم لتحقيق أهدافهم[٦].

وبالرغم مما يقرب من ثلاثة آلاف عام من التأمل وما يزيد على القرن من البحث الأكاديمي في القيادة، يبدو أننا لم نقترب من اتفاق على المعنى الأساسي، لها، فضلًا عن إمكانية تعلمها أو قياس تأثيراتها أو التنبؤ بها. ولا يمكن أن يرجع ذلك إلى قلة الاهتمام بهذا الموضوع أو قلة المواد المتعلقة به؛ فحتى ٢٠٠٣ كان هناك ١٤١٣٩ كتابًا تتناول موضوع القيادة معروضة للبيع وفي غضون ست سنوات فقط من ذلك التاريخ، تضاعف هذا العدد أربع مرات ليصل إلى ٥٣١٢١ كتابًا، الا انه على الرغم من ذلك يبدو أننا نتسبب في إضفاء تباين أكبر بكثير على مفاهيمنا حول تعريف القيادة، وكذلك أننا أبعد من الحقيقة المتعلقة بهذا التعريف[٧].

التطور الفكري لمفهوم القيادة :

بدأت قصة الخليقة حينما أعلن الله تعالى لملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة:((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً))[٨]. وهذه الخلافة تقوم على أساس ادارة الأرض واعمارها وفق ضوابط وقيود التكليف الإلهي، وعلى الوجه الأكمل، والإدارة بطبيعتها تستلزم وجود قائد ذو طبيعة وصفات خاصة .

وباستقراء التاريخ الديني والثقافي للإنسانية نجد أنّ مفهوم (القائد) قاسم مشترك بين أكثر الحضارات، وإن كانت تختلف فيما بينها في حدود هذا المفهوم وعمقه وتفاصيله ومشخّصاته[٩].

فالإنسان الذي ولد على هذه البسيطة كمخلوق اجتماعي، احتاج وخلال مراحل حياته المختلفة الى قيادة تقوده وإدارة ترعى شؤونه وتوجيه مستمر إلى ما يحقق أهدافه وغاياته في هذه الحياة والتي ابسطها تحقيق العيش الكريم، فمنذ البدء احتاج هذا الإنسان الى ما يسمى بالقيادة ، وذلك لأنه أدرك وبفطرته التي فطره الله عليها إن وجود الجماعة بدون قائد هو بمثابة القطيع الهائم السائم على وجهه بدون راع يرعى شؤونه ويذود عنه المخاطر التي قد تحدق به[١٠].

وفي احد اقدم الواح الطين التي عثر عليها فيما يُعتبر من اقدم الكتابات في العالم وجد منقوشا عليه باللغة المسمارية مثل سومري يقول : (الجنود بلا قائد كالخراف بلا راعي). فقد كان مشهد قطيع الخراف بدون راعي يمثل في الماضي ابلغ صورة معبرة عن الحاجة الى القائد[١١].

فالقيادة ظاهرة اجتماعية عرفها الأنسان منذ بدء الخليقة واصبحت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لأي جماعة او منظمة او مجتمع فمن النادر ان تجد اي جماعة من الناس دون ان يكون لها نوعا او اخر من القيادة [١٢].إذ كيف تسنى للحضارات القديمة أن تنمو و تزدهر آنذاك دون وجود فكر قيادي متطور قائم على الابداع والابتكار . فالقيادة كلمة قديمة ارتبطت في الماضي واقترنت بالنواحي العسكرية والحروب والغزوات حتى ان النصر اقترن بشخصية القائد وصفاته[١٣].

فالرومان مثلا اهتموا بتنشئة أبنائهم على حب القيادة وغرس الصفات القيادية فيهم وتنمية سماتها بالتدريب والتعليم، وذلك استعدادا لخوض المعارك الشرسة وتحقيق الأهداف والغايات ، وكذلك الحال عند إسبارطة القديمة التي كانت تعوَّد الأطفال منذ سنين عمرهم الأولى، على مفاهيم القيادة وصعوبة المواقف والظروف القاسية، التي تجعل منهم محاربين وقادة أشداء، لإدراكها ان المحن والشدائد هي مصانع الرجال، أما العرب قبل الاسلام فلم تغفل عن القيادة وعن تنميتها وتقوية سماتها لدى الأبناء منذ نعومة الأظفار، فالقيادة عند العرب ارتبطت بمفاهيم الشجاعة والقوة والذكاء

والفطنة وسرعة البديهة والصبر والإقدام ... الخ من الصفات القيادية ... وفي الإسلام كان للقيادة الناجحة الشجاعة الصبورة الحكيمة الدور البارز في بناء الدولة الإسلامية [١٤].

ومر مفهوم القيادة بعدة مراحل وجرى على المفهوم تغيرات جذرية منذ تأسيس وظهور الدولة الاولى ومؤسساتها وتوزيع السلطة بينها وتقسيم المجتمع الى طبقات عبر العصور التاريخية الاولى، الى نشوء الامبراطوريات وزوالها ومن ثم مجيئ الحربين العالميتين، ونشوء المنظمات العالمية ومؤسساتها، ثم انتشار الافكار الديمقراطية الداعية الى التعددية واحترام حقوق الانسان وحرية الراي، وكلما غاب عن مسرح الحياة طبقة اخذت معها الافكار والتقاليد والعادات وحتى الاعراف وجاءت الطبقة الجديدة بتقاليدها، وهكذا كان يرافقها دوما تغيرات في هيكلة ادارة المجتمعات وقياداتها[١٥].

يتضح لنا مما سبق أن مفهوم القيادة من أكثر المواضيع التي أُشبعت دراسة، وتعددت وتنوعت واختلفت تعاريفه وذلك حسب اختلاف الزمان والمكان، كذلك تعددت النظريات التي حاولت تفسير الظاهرة القيادية، وبالتالي تعددت وتنوعت مسميات القيادة بتنوع وتعدد مهامها واهدافها وأساليبها.

سمات القيادة في الفكر الإداري المعاصر :

لقد كان هناك اهتماما كبيرا من قبل البحوث والدراسات بسمات القادة، باعتبارها من العوامل الرئيسة التي تسهم بفاعلية القيادة، ونتج عن هذه البحوث والدراسات مجموعة كبيرة من السمات بعضها فطري (موروث) وبعضها مكتسب من خلال التعلم والتجارب، وتُبيِّن السمات الفطرية أن سلوك القائد هو نتيجة تفاعل السمات والخصائص التي توجد في الأفراد منذ ولادتهم فتضيف إلى شخصيتهم القوة والمهابة ويطلق عليها علماء النفس مكونات الشخصية القيادية الناجحة (كالذكاء، وتحمل المسؤولية، والشجاعة، والطموح، والثقة بالنفس ....الخ). والسمات المكتسبة أي أنها السمات التي يكتسبها القائد من خلال تفاعله مع الجماعة واكتساب التعلم والممارسة على مواجهة الصعاب من خلال مواجهة المشاكل والافادة من تجارب الحياة، وتؤكد

هذه الدراسات والبحوث على أهمية السمات القيادية في نجاح أي مشروع. فالقيادة الناجحة تجمع بين السمات الموروثة والمكتسبة في آن واحد(١٦).

إلا ان الكم الهائل من الابحاث والدراسات القيادية، التي تناولت موضوع سمات القيادة الناجحة، ما زالت في تباين وانقسام ازاء العديد من السمات القيادية، وركزت كل واحدة منها على جانب معين، ولم تتفق تلك الدراسات - لحد الان – على نموذج متكامل مطبق على نطاق واسع يمكن القياس عليه والاستفادة منه، للتمييز بين القادة وغير القادة، "وقد وصلت الى حد وقوف بعض هذه الدراسات في مواقف مناقضة لمواقف بعضها الاخر ازاء العنصر الواحد ولعل ذلك يؤكد حقيقة ان نتائج خمسين عاما من الدراسات قد اخفقت في تقديم سمة شخصية واحدة او مجموعة من الصفات يمكن استخدامها في التمييز بين القادة وغير القادة"(١٧). ويعزو الكاتب عبد الشافي محمد ابو الفضل ذلك إلى : قصور مناهج البحث وقصور عمليات القياس المستخدمة(١٨).

ولا عجب فهكذا حال الفكر الاداري الانساني في مجالات العلوم والظواهر الاجتماعية والنفسية، يُثبت اليوم ما انكره بالأمس، وما اثبته بالأمس يُنكره اليوم، وفي الغد قد يدير ظهره ويتنكر لكل من مبادئ اليوم ومبادئ الامس(١٩).

ومن ثم فإننا لا نكون مُبالِغين حين نقول: "ان هذا الوضع قد جعل من الصعب – ان لم يكن من المستحيل- على الانسان المنصف غير المنحاز لهذه النظرية او تلك ان يقف على حقيقة القيادة الادارية من خلال التحاكم الى الفكر الاداري المعاصر"(٢٠). لذا فالأولى بالفكر الاداري المعاصر ألا يجهد نفسه في محاولة التعرف على كنه حقيقة ظاهرة القيادة الادارية ، وان يكرس طاقاته للعمل على حسن تطبيق تلك المقومات والشروط القيادية... اما تكريس الجهود فيما لا طائل من ورائه فليس من الحكمة في شيء (٢١).

وبشكل عام يمكننا استخلاص بعض السمات القيادية الواجب توافرها في القائد لكي يستطيع أن يمارس سلطاته بنجاح، والتي حصلت على اجماع العديد من الدرا سات وتكررت في اغلبها، في حدود اطلاعنا، وهي :

١-الذكاء : يجب أن يتمتع القائد بذكاء عال يمكّنه من إيجاد حل لكل مشكلة تواجه جماعته[٢٢].و"ينظر المرؤوسين لقائدهم بأنه كنز معلومات وبأنه يعرف كل شيء"[٢٣].

٢-تحمل المسؤولية : يجب ان يكون القائد ذا شخصية قوية لا تنهار امام المسؤوليات او يتهرب منها ، بل يواجهها بقوة [٢٤]. كذلك عليه فهم ومناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية العامة والتعاون والتشاور مع الزملاء، واحترام الواجبات الاجتماعية[٢٥]. ويكون ذلك بالمساهمة الحقيقية في أنشطة الجماعة والقدرة على الابتكار والمثابرة والطموح والغيرة على العمل مع القدرة على التصرف في الأوقات العصيبة[٢٦].

٣-المشاركة : تعني المشاركة في مجال الإدارة، دعوة القائد لمرؤوسيه والالتقاء بهم لمناقشة مشاكلهم الإدارية التي تواجهه وتحليلها ومحاولة الوصول إلى أفضل الحلول الممكنة لها مما يخلق الثقة لديهم لإشراك القائد لهم في وضع الحلول الملائمة للمشاكل[٢٧].

٤-الحزم: وهو القدرة على اتخاذ القرار دون تردد وبشكل واضح وفي اللحظة المناسبة، وهو صفة هامة لا غنى للقائد عنها لأنه سيمر بظروف وأحوال تفرض عليه اتخاذ القرار بشجاعة وبحزم وبسرعة، فيجب أن يكون القائد قادراً على إنجاز القرارات الفورية، وأن تتميز هذه القرارات بالوضوحٍ والفعالية. ففي بعض الأحيان قد تكون هناك مواقف عديدة تستدعى أكثر من حلٍ واحد، والقائد الحكيم يقوم بفرز هذه الحلول ومقارنتها ببعضها ثم يصل بهدوء إلى القرار الأفضل[٢٨].

٥-العدل: يجب على القائد أن يتعامل مع الجميع بالعدل والمساواة دون تحيّز لطرف دون الآخر في الثواب والعقاب[٢٩]. ويجب أن يتخذ القائد قراراته ويصدر أحكامه دون ظلم أو إفراط أو تفريط لان ذلك يصنع الرضا بين المرؤوسين، ويزيد من محبتهم لرئيسهم ويبقي صورة القائد وسمعته طاهرة نقية في نظرهم، وللعدل أوجه إيجابية رائعة، والتي تبرز أحيانا في شكل مكافأة أو إطراء المرؤوسين[٣٠].

٦-الصبر والاحتمال: الصبر: هو القدرة العقلية والبدنية على الاحتمال، وهو كذلك القدرة على تحمل المصاعب والتعب وقلة النوم والراحة وتحمل الإجهاد الشديد في أقسى الظروف وهي صفة تكسب القائد ثقة واحترام مرؤوسيه، ويمكن قياس الصبر

بقدرة الإنسان على الصمود أمام الألم والتعب والمشقة، وهو بوجه عام مماثل للشجاعة. وتقدر كمية الاحتمال والصبر الذي يتحلى به القادة بقدر كمية الاحترام الذي ينالونه من مرؤوسيهم، إن افتقاد القائد للجلد سيجعله عنصر ضعف بدلاً من أن يكون عنصر قوة، كما هو مفروض أن يكون[٣١].

٧-الولاء والوفاء والإخلاص: الولاء هو الإخلاص لله وللوطن وللأمة والرؤساء والمرؤوسين والأقران، فالسمعة الطيبة للقائد الذي يحمي مرؤوسيه تنتشر هنا وهناك وفي كل مكان[٣٢]. و ولاء القائد "وحبه لمرؤوسيه يبعث فيهم شعور الولاء والرضا نحوه ، وينعكس ذلك على حبهم له وبذلك يطيعونه عن حب لا عن رهبة"[٣٣].

٨-الإيثار: ويقصد به البعد عن الأنانية، أي عدم تركيز العناية بالمصالح الخاصة وتغليبها على المصالح العامة[٣٤]. فالأنانية قاتلة لصاحبها، تعمي الإنسان عن رؤية مصالح الآخرين إلا مصلحته، ولا يأبه إلا بمنفعته الخاصة على حساب مرؤوسيه وأتباعه، والقائد المنكر لذاته هو ذلك الشخص الذي يتجنب أن يرتفع على حساب الآخرين، ومن بديهيات الأخلاق أن تكون راحة ورضا المرؤوسين أولاً وقبل راحة القادة. فالقائد الحقيقي المنتمي هو ذلك الشخص الذي يضع نفسه في آخر سلم الأولويات ويشاطر المرؤوسين الأوقات الصعبة والأخطار[٣٥].

٩-الإيمان بالهدف والغاية: المسئول الذي لا يؤمن بالهدف وبما يرغب بتحقيقه لا يحبط نفسه فقط، بل يحبط همة مرؤوسيه وبالتالي تفشل المهمة[٣٦]، "فالقيادة ليست مجرد اندفاع أو طلاقة لسان أو شجاعة أو مهارة أو جمع عدد كبير من المنفّذين، إنها جمع الرجال وتشغيلهم ومعرفة امكاناتهم واستغلالها ووضع كل منهم في المكان الذي يلائمه وبث فكرة القوة والمساواة بينهم وتوزيع المسؤوليات عليهم وإشراكهم جميعا في خدمه المصلحة العامة على أن يبقى كل فرد منهم ضمن اختصاصه "[٣٧].

١٠- التواضع: إن كثرة الحديث عن (الأنا) هي مقتلة القائد وهي كلمة غير محببة لدى المرؤوسين، لان فيها إحساس بالغطرسة والتعالي ونسب النجاحات إلى الذات فقط دون احترام مشاعر الآخرين وتعظيم إنجازاتهم ، ويكفي أن نعلم أن شخصا واحدا لا ينجز ولا يحقق كل النجاحات[٣٨].

١١- الطيبة ودماثة الخلق والرحمة: الطيبة بغير ضعف خلق حسن لا يجدر بالقائد التخلي عنه ، وكذلك دماثة الخلق وحسن المعشر تساعد على تسهيل المهمة وتحقيق الأهداف، بسبب ما تولد من رغبة لدى المرؤوسين للعمل والإنتاج ،أما الرحمة فهي ضرورة لان من لا يرحم لا يُرحم ، والقائد هو بحاجة ايضا إلى فيض الحب الذي يبذله الآخرين اتجاهه لأنه يشكّل الدافع له نحو المزيد من العطاء والبذل. وإذا أردت أن تعرف قيمة الرئيس فارجع إلى نظرات رجاله لا إلى وصف رؤسائه(٣٩).

١٢- القدوة الحسنة : وبغيرها لا يحظى القائد بالثقة والاحترام من قبل أتباعه وأعوانه ومرؤوسيه ولا يمكن أن تتحقق الأهداف النبيلة إذا لم يكن القائد قدوة لمرؤوسيه في الأعمال الجليلة والحسنة(٤٠).

١٣-الهدوء وضبط النفس: إن القلق والهيجان يؤديان إلى نتائج سيئة لا تحمد عقباها، لذا على الرئيس أو القائد أن يضبط أعصابه ويتصرف برباطة جأش وخصوصا لحظة اتخاذ القرار وأمام المرؤوسين(٤١).

اهمية التحاكم الى وثيقة العهد العلوي للوقوف على حقيقة القيادة وسماتها:

تتميز أحكام وقواعد الشريعة الاسلامية بالثبات وعدم التبدل او التغيّر باختلاف الازمنة والامكنة، منذ ان اكتمل التشريع الاسلامي ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))(٤٢)، ومن خصائصها أنّها شريعة متجدّدة وغيرُ متناهية، تنبض في أحكامها الحياة، تُلَبّي حاجاتِ البشرية وتُحَقّقَ مصالحها في مختلف أعصارها وأمصارها، وتمتلك من عوامل المرونة ما يجعلها قادرة على التعامل مع مختلف الحوادث المتجددة والنوازل المستمرة، وبمقتضى ذلك يصبح التحاكم الى الميزان الذي حدّده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، متمثلا بالقرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، ضرورة علمية للوقوف على حقيقة الظواهر النفسية والاجتماعية، ومنها علم الادارة .

ونحن اذ نحتكم الى وثيقة العهد العلوي للوقوف على حقيقة القيادة وسماتها، ذلك لأننا نعي ان منهج امير المؤمنين علي عليه السلام منهج تربوي رباني متكامل، له اصوله ومنطلقاته الايمانية الثابتة، في الحكم والحياة، فهو الامتداد الحقيقي للمنهج

الإلهي، وكي نبين ايضا، مدى قصور المناهج الوضعية المستخدمة من قبل رجال الفكر الاداري المعاصر، خاصة اذا ما وضعنا بنظر الاعتبار انهم " تباينت تعريفاتهم للقيادة من واحد لآخر، وواجهوا صعوبة في الوقوف على تعريف واضح ومحدد للقيادة، يحوز على قبول عام "[٤٣]، وتباينوا واختلفوا في نظريات القيادة وتفسيراتها لحقيقة القيادة من مذهب الى اخر ومن مدرسة فكرية الى اخرى بل انهم تباينوا واختلفوا في الاتجاه الفكري الواحد من فترة الى اخرى [٤٤]. فضلا عن اختلافهم وعدم اتفاقهم على سمات قيادية، تشكل نموذجا متكاملا للقائد الناجح مطبقا على نطاق واسع يمكن القياس عليه والاستفادة منه للتمييز بين القادة وغير القادة[٤٥].

وفي مقابل ذلك، نجد ان النماذج القيادية التي اخرجتها مدرسة امير المؤمنين عليه السلام للإنسانية جمعاء، هي نماذج واقعية، تمثلت فيها الإنسانية العليا، نماذج ظلت فريدة في سموقها، بصورة غير مسبوقة، صورة تبدو في ظلها جميع الشخصيات البشرية التي نشأت في غير منهج امير المؤمنين علي عليه السلام، أقزاماً صغيرة.

فقد ضربت تلك النماذج أروع الأمثال في القيادة الناجحة، ليس بالتنظير وإنما بالعمل الذي تجسد سلوكا فعليا بلغ قمة التأثير عدلا وتسامحا وتنظيما، فحققوا ما أراده الله من خير للأمة، وعملوا جميعا كقلب واحد، بعد اجتماع الأمة حولهم، فقامت بجهودهم، حضارة شامخة البناء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، كما ان هؤلاء الناس الذين حققوا ذلك المنهج العلوي، في حياتهم على هذا النحو العجيب، "قد ظلوا – مع هذا – اناساً من البشر لم يخرجوا عن طبيعتهم، ولا عن فطرتهم؛ ولم يكبتوا طاقة واحدة من طاقاتهم، ولم يكلفوا أنفسهم فوق طاقتهم... لقد زاولوا كل نشاط إنساني، وأصابوا من الطيبات كل ما كان متاحاً لهم في بيئتهم وزمانهم"[٤٦].

وتكفي مقارنة بسيطة بين المناهج الوضعية المستخدمة من قبل رجال الفكر الاداري المعاصر، والمنهج الرسالي الانساني لأمير المؤمنين عليه السلام في تربية العقل البشري، ندرك في الحال عظم الفرق وعظمة هذا المنهج، ويتضح لنا وبجلاء تام مدى قصور عقولنا عن أدراك هذا المستوى من الكمالات والفيوض الالهية التي أختص بها

التراث العظيم الذي تركه لنا امير المؤمنين عليه السلام، رغم التطور العلمي والتقدم التقني، والنبوغ والابتكارات الحديثة.

اهم سمات القيادة الادارية المستوحاة من العهد العلوي :

لابد للقائد الاداري أن يتمتع بمميزات وصفات حسية ومعنوية وجسمانية ونفسية، تعينه على القيام بواجباته على اكمل وجه، وتمكنه من أداء مهمته، وتحقيق رسالته بنجاح، ليحق عليه القول بأنه رجل المهمات الصعبة في الاوقات العصيبة والمواقف الحرجة والازمات والمحن، فالقائد الاداري الناجح هو قائد كل المواقف.

والسمات القيادية الذاتية هي : " حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة"(٤٧).

ومن ابرز السمات القيادية التي يمكن استخلاصها من العهد العلوي المبارك هي :

١-الايمان : لقد اكد امير المؤمنين عليه السلام على اهمية سمة الايمان للقائد الاداري الناجح بقوله :(أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ) (٤٨).

فالإيمان بمفهومه العام: التصديق والطمأنينة وسكون القلب ، والانسان القوي الايمان بعقيدة معينة هو: ذلك الأنسان الذي استقرت في ذهنه تلك العقيدة استقرارا يقينيا ولم يعد يخاف على نفسه من ان يتسرب الى ذهنه شيء يخالف مقتضى ايمانه، بخلاف الانسان ضعيف الايمان، الذي يخشى عليه من ان تؤثر الاحداث على ايمانه او توهن منه او تشوش عليه ايمانه ومن ثم قد يتعرض سلوكه للاضطراب والاختلال، اما الانسان القوي الايمان فان سلوكه يتوافق دائما مع مقتضيات ايمانه (٤٩).

والايمان من السمات التي اكد عليها الفكر الاداري المعاصر والتي ذكرناها سابقا في فقرة "الإيمان بالهدف والغاية".

٢-الذكاء وامتلاك المعرفة : اكد امير المؤمنين عليه السلام على وجوب اتصاف القائد الإداري، بالذكاء وامتلاك المعرفة. وذلك بقوله : (وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ) (٥٠).

والذكاء وامتلاك المعرفة من أهم وابرز خصائص القيادة الناجحة، واللتان تميّزان القائد عن غيره من الاشخاص، كما يستطيع القائد، من خلالهما، إدارة شؤون القيادة والاضطلاع بمسؤولياتها على اكمل وجه.

فالذكاء هو: القدرة على التعلم وحل المسائل، ما يمكّن القائد من إيجاد حل لكل مشكلة تواجهه. اما المعرفة: "فهي حاصل جمع البيانات والمعلومات، والمهارة والخبرة والممارسة والإدراك الكامل للعلاقات والعمليات والابتكارات والاختراعات، وتعتبر مورداً مهماً، ولا سيما في المنظمات التي تسعى الى التعلم المتواصل والمشاركة المعرفية"(٥١).

وتصنف المعرفة المنظمية الى نوعين ، الاول المعرفة الظاهرية وهي المعرفة الرئيسة النظامية التي يتم ترميزها وتوثيقها وايصالها الى الاخرين على هيئة وثائق وتقارير وتعليمات، بعد اكتسابها بالتعلم . اما النوع الثاني من المعرفة المنظمية فهو المعرفة الضمنية وهي معرفة غير ظاهرة تستند على المعرفة الشخصية والبصيرة والممارسة، وتكتسب بالممارسة والتجربة، اما الفارق بين النوعين فهو ان امكانية الحصول على الاولى بسهولة، في حين ليس من السهولة الحصول على الثانية(٥٢). وهذا ما ادركه امير المؤمنين عليه السلام واكد عليه حين طلب من مالك الاشتر رضوان الله عليه، ان يكثر من مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء، لأجل اكتساب المعرفة من خلال التعلم.

فالقائد الفعال، عليه التعلم بطريقة إبداعية، عن طريق الارتياد، والتساؤل، والممارسة الفعلية، لكي يمتلك معرفة شاملة لمختلف حقول مهنته، ويكون تصرفه عن ذكاء وحنكة شديدة، ويفطن لما يغيب عن فكر تابعيه وينبههم له، و يقوم بتوجيههم لما يراه مناسبا، لتحقيق الاهداف.

وقد اكد الفكر الاداري المعاصر على اهمية الذكاء كسمة يجب ان يتحلى بها القائد الاداري الناجح.

٣- الصبر وكظم الغيظ : الصبر سيد الاخلاق وبه ترتبط مقامات الدين فما من خلق فاضل الا ويمر بقنطرة من الصبر وهو الطريق الى القيادة والامامة في الدين[٥٣] . كما في قوله تعالى :((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ))[٥٤]. وقوله تعالى: ((وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))[٥٥].

وقد اكد امير المؤمنين عليه السلام على اهمية الصبر، ووجوب اتصاف القائد بهذه السمة، وذلك بقوله : (فَإِنّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِه مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ)[٥٦]. وقوله: (وَأَلْزِمِ الْحَقّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً) [٥٧]. وقوله: (وَإِنْ ظَنّتِ الرّعِيّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ) [٥٨].

وقد اكد الفكر الاداري المعاصر على اهمية سمة التحمل والصبر للقائد الاداري الناجح، فهي أهمّ صفة يجب أن يتّصف بها، لتمكنه من الصمود أمام الألم والتعب والمشقة، إن أراد بلوغ الأهداف التي رسمها.

٤-العدل : اكد الامام علي عليه السلام على اهمية سمة العدالة لدى القيادة الادارية بقوله: (وَإِنّ أَفْضَلَ قُرّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ) [٥٩]. وقوله :(وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِه) [٦٠]. وقوله : (ولا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ) وقوله : (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ) [٦١].

فالعدل من اهم سمات القيادة الادارية، لما لها من اثر في نفوس الناس، لا بل ان الهدف من وجود القائد هو لإحقاق الحق، ورفع الظلم عن الرعية، ونشر العدالة والمساواة بينهم وتحقيق الرفاهية لهم، قال تعالى: ((وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ))[٦٢].

كما اكد الفكر الاداري المعاصر على سمة العدل والتي من خلالها يستطيع القائد التعامل مع المرؤوسين بالعدل والمساواة، ما يصنع الرضا في نفوسهم ويزيد من محبتهم له.

٥-الجود والكرم : وهذه السمة اكد عليها امير المؤمنين عليه السلام حين حذر من المن على الرعية بالإحسان، وذلك بقوله: (وَإِيّاكَ وَالْمَنّ عَلَى رَعِيّتِكَ بِإِحْسَانِكَ) (٦٣).

فالجود والكرم والاحسان الى المرؤوسين، سمة لا بد من توافرها في القيادة الادارية، لما فيها من كسب حبهم وودهم وتأليف للقلوب، واعانة الفقير ومساندة الضعيف منهم ((فَأَمّا مَن أَعْطَى وَاتّقَى ❖ وَصَدّقَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى))(٦٤)، ((وَالّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))(٦٥).

٦-العفو والتسامح: اكد امير المؤمنين على هاتان السمتان بقوله: (فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ)(٦٦). وقوله عليه السلام : (وَإِنْ ظَنّتِ الرّعِيّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ)(٦٧).

والعفو والتسامح من الأمور الأساسية والضرورية لأي قائد، كي يتمكن من خلق مناخ حقيقي للشورى والمشاركة والإبداع، فجو العمل لا يخلو من خلاف أو تقصير أو خطأ من جانب المرؤوسين، لذا كان من الضروري للقائد أن يعفو ويصفح، وليس معنى ذلك تجاهل الأخطاء، وإنما يكون علاج الخطأ في حينه وتطوى الصفحة السوداء تماماً ويبدأ القائد صفحة جديدة (٦٨). قال تعالى((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكّلِينَ))(٦٩). وقال تبارك وتعالى : ((فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(٧٠).

٧-احترام الوقت واستثماره : يقول امير المؤمنين حول هذه الموضوع: (وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ)(٧١).

إن أحد المعايير التي تستخدم في تقويم أداء الأفراد، هو مدى قدرتهم على استثمار الموارد المتاحة، ويعتبر الوقت أحد هذه الموارد، الذي أصبح واضحا، أن كيفية النظر إلى هذا المورد واستثماره يساهم في رفاهية الشعوب، فالوقت شأنه شأن بقية المصادر الإدارية الأخرى يمكن الإفادة منه، إلا أنه يختلف كونه عنصرا غير قابل للشراء أو البيع أو الخزن، ويهدر إذا لم يتم استثماره بالطريقة المثلى.

كما إن نجاح المدير وابداعه الاداري في كثير من الأحيان يُعزى، إلى مهارة المدير في إدارته لوقته وبالذات في مجال العمل، ذلك أن مثل هذا السلوك المتعلق بالوقت لا تقتصر فوائده على المدير فقط وإنما يمتد ليشمل المرؤوسين كذلك باعتبارهم المتأثرين بتوجيهات وسلوك مديريهم .

٨-الحذر والحزم : يقول امير المؤمنين عليه السلام حول هذه السمة : (اَلْحَذَرَ كُلّ اَلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنّ اَلْعَدُوّ رُبّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَ اِتّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ اَلظّنِّ) (٧٢).

ولعل الحذر والحزم، وقوة الشخصية للقيادة الادارية، من السمات المهمة التي يجب ان يتمتع بها القائد الاداري الناجح، لأنها سمات تمكّنه من اتخاذ القرارات الرشيدة مع سرعة في الأداء، ودقة في الإنجاز بأقل تكلفة وجهد ممكنين مع المحافظة على التوازن في العمل، لتحقيق الأهداف المرجوة.

٩-الامانة والوفاء بالعهد : اكد امير المؤمنين على هذه السمة بقوله: (فَحُطْ عَهْدَكَ بِالوَفاءِ، وَارْعَ ذِمّتَكَ بِالأمانَةِ) (٧٣).

ان الامانة والوفاء بالعهد، سلوك إنساني نبيل، وفوق ذلك يمكن عدَّهما أصل الصدق وعنوان الاستقامة، فهما من القيم الإنسانية والأخلاقية العظمى، ومن الأمور المهمة الدالة على الفطرة السليمة والسوية لدى الإنسان، فاذا اتسم بهما القائد الاداري جذب إليه الأفئدة وجمع عليه القلوب وصغت له الآذان، وتمكن من ارساء دعائم الثقة بين الأفراد، وبالتالي تحقيق أهدافه بكفاءة عالية.

١٠- الاقتداء بالقدوة الحسنة : يقول امير المؤمنين في هذا الشأن: (وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا "صلى الله

عليه وآله" أَوْ فَرِيضَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا) (٧٤).

الاقتداء فطرة جبل عليها الإنسان، فهو يولد جاهلا لا يعلم شيئا ثم يشرع في تعلُّم ما يراه وما يسمعه شيئا فشيء، والقدوة الحسنة عنصرا فعالا وذو أهمية بالغة في البناء والتربية، وقد اكد الفكر التربوي على اهمية التربية بالقدوة لما لها من أثر كبير في اكتساب القيم والفضائل، لأن الناس بفطرتهم يحبون محاسن الأخلاق، ودرجات الكمال.

وتعتبر الادارة بالقدوة من أهم العوامل المؤثرة في المرؤوسين، فهي أسلوب أصلي مستقل بذاته في إيصال كثير من الأخلاق وهي من أعظم المعينات على بناء العادات والأخلاق والسلوكيات الطيبة لديهم، ومن أنجح الوسائل المؤثرة في إعدادهم، خلقيا ونفسيا وصحيا وعقليا وعاطفيا، حتى إنها لتختصر معظم الجهد في كثير من الحالات. وقد تكون مكملا للوسائل الأخرى ومؤيدا لها.

وفي الوقت الذي يحتاج فيه القائد الاداري الناجح الى قدوة صالحة تكون مثله الاعلى في الحياة، فهو ايضا في ذات الوقت قدوة لمرؤوسيه، ومطلوب منه أن يحقق في نفسه ما يريد أن يحققه في الآخرين، فيتحرى الصدق في المواقف، ويمتاز بالشفافية والموضوعية، والإخلاص في النية والعمل، فالإدارة بالقدوة تتطلب وجود شخص يتصرف بصورةٍ صحيحة مهنيًا وسلوكيًا بحيث يقدم للآخرين من حوله نموذجًا يحتذونه عن رضا وقناعة.

فنحن نحتاج في حياتنا الى قدوة صالحة وشخصية إيجابية ناجحة نقتفي خطاها، ونقيس بها جهدنا في كل مرة ، ونتمكن من خلالها معالجة ممارساتنا السلبية، اذ يؤكد علماء النفس أن في حياة كل إنسان شخصية يتمنى أن يقتفي أثرها، وأخرى يكره ذكرها.

لذلك نجد ان امير المؤمنين عليه السلام نبه الى اهمية الادارة بالقدوة واكد على وجوب توفر هذه السمة في القائد الناجح، فهي أداة إدارية فعالة، وغير مكلفة تعزز أداء المؤسسة نحو فاعلية أعلى وجودة أفضل.

وهذه السمة انتبه اليها الفكر الاداري المعاصر في الآونة الاخيرة واكد على اهميتها ودورها في خلق مناخ منظمي فعال، وبيئة عمل مناسبة لتحفيز جميع المرؤوسين بطريقة يتسنى بها كسب طاعاتهم واحترامهم وولائهم وخلق التعاون بينهم في سبيل تحقيق الاهداف المرجوة.

١١- التأني وعدم الاستعجال : حذر امير المؤمنين عليه السلام من الاستعجال في الامور واكد على وجوب التأني بقوله :(وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ) (٧٥).

ونقصد بالتأني هنا : ضبطُ النفس، وعدم العجلة في طلب الأشياء والتمهل في تحصيلها، وعدم التفرّد بالرأي، فالتأني من الأمور المهمة والأساسية في تحقيق التميّز والإتقان، فَالإنسان الناجح المتميّز، لابد وأن يربّي نفسه على التأني والتمهل في تنفيذ الأمور، وإنجاز المشاريع والأعمال، بحيث يزيّنها بالتفكير والدراسة، والنظر والمشاورة، ولا يطلق العنان لنفسه لتسيّره على هواها، فتهوي به نحو الفشل والإحباط. فالتأني يعطي الإنسان فرصة التفكير في الأمور، ووزْنها بميزان دقيقٍ على مَهَلٍ وتبصُّر، وتقدير ما يترتَّب على عمله من أثرٍ، عن رويّة وتدبُّرٍ؛ كيلا يقع في مآزِقَ مُحرجة، لا يستطيع التخلص منها، أو يستطيع، ولكن بجُهدٍ ومَشقة.

ولما كانت العجلة تجلب على صاحبها المتاعب وتوقعه في الإشكالات؛ نجد ان امير المؤمنين حذر منها واكد على وجوب تربية النفس على التأني في أمور الدنيا.

١٢- المشورة : وقد اكد امير المؤمنين عليه السلام على هذه السمة من خلال التحذير من استشارة من هو ليس اهل لذلك، وذلك بقوله: (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) وانما على الاداري الناجح لكي يتمكن من تحقيق اهدافه عليه استشارة ذوي الخبرة وأهل الرأي.

والمشورة هي: تقديم النصح أو التوجيه في عملية صنع القرار، وخاصة في الحالات النفسية و العاطفية الصعبة التي يتعرض لها القائد الاداري.

ويعد النمط الديمقراطي الاستشاري احد انماط القيادة في الفكر الاداري المعاصر والمقصود به: ذلك الشخص الذي يطلب الا ستشارة من مرؤوسيه ولكي يستطيع ان يصل الى صناعة القرار المناسب(٧٦).

فالقائد الناجح هو ذلك القائد الذي يتوسع في تفويض الصلاحيات لمرؤوسيه، ويباشر مهامه من خلال جماعية التنظيم؛ فالقرارات والسياسيات تتحدد من خلال الاتفاق والمناقشة الجماعية لأعضاء التنظيم وتلعب القيادة دورها في بلورة ما اتفقت عليه الجماعة من اراء وافكار الى قرارات، فالقرارات في النهاية تأتي من تفكير ومبادرة الجماعة(٧٧). ولا يعني ان يكون القائد استشاريا ان يستشير جميع من تحته بل يختار منهم من هو اهل للاستشارة.

ومن مزايا هذه السمة رفع معنويات المرؤوسين وخلق الثقة في نفوسهم وزيادة التعاون ومضاعفة الانتاج؛ وفي هذا الاسلوب يشعر افراد التنظيم بان القرار قرارهم فيتمسكون به ويعملون على تنفيذه .

١٣-الاتزان الانفعالي: وتعد هذه السمة، من اهم السمات التي اكد عليها امير المؤمنين عليه السلام، واوجب توافرها في القيادات الادارية، وذلك بقوله: (امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وَسَوْرَةَ حَدِّكَ وَسَطْوَةَ يَدِكَ وَغَرْبَ لِسَانِكَ وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ) (٧٨).

فالاتزان الانفعالي هو: قدرة الشخص على التحكم والسيطرة على الانفعالات والتعامل بمرونة مع المواقف والأحداث الجارية منها والجديدة مما يزيد من قدرته على قيادة المواقف والآخرين(٧٩).

فالاتزان الانفعالي هو أحد الأبعاد الأساسية في الشخصية وهو حالة يستطيع من خلالها الشخص إدراك الجوانب المختلفة للمواقف التي تواجهه ثم الربط بين هذه الجوانب وما لديه من دوافع وخبرات وتجارب سابقة من النجاح والفشل فتمكنه من تعيين وتحديد نوع الاستجابة وطبيعتها التي تتفق ومقتضيات الموقف الراهن وتسمح بتكييف استجابته تكييفا ملائما ينتهي به إلى التوافق مع البيئة والمساهمة الايجابية في نشاطها وفي نفس الوقت ينتهي إلى حالة، من الشعور بالرضا والسعادة(٨٠).

الخاتمة:

ان ما ورد بين دفتي البحث، يسمح لنا أن نؤكّد جملة من الأمور وهي:

١- ما زال مفهوم القيادة إلى الآن يكتنفه الغموض، ولم يقدم أحدا نموذجا متكاملا مطبقا على نطاق واسع يمكن القياس عليه والاستفادة منه رغم ظهور دراسات عديدة ومتنوعة في القيادة.

٢-تباينت نظريات القيادة واختلفت تفسيراتها لحقيقة القيادة من مذهب الى اخر ومن مدرسة فكرية الى اخرى، بل انها تباينت واختلفت لدى اصحاب الاتجاه الفكري الواحد.

٣-لم تسلم الابحاث والدراسات القيادية الحديثة من الاختلاف والتباين والانقسام ازاء سمات القيادة الناجحة، لكي يتم استخدامها في التمييز بين القادة وغيرهم.

٤-تفتقر المكتبة العربية إلى مصادر بحث في نظرية قيادية تشتق مسلماتها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

٥-ونحن اذ نحتكم الى وثيقة العهد العلوي للوقوف على حقيقة القيادة وسماتها، ذلك لأننا نعي ان منهج امير المؤمنين علي عليه السلام منهج تربوي رباني متكامل، له اصوله ومنطلقاته الايمانية الثابتة، في الحكم والحياة، فهو الامتداد الحقيقي للمنهج الإلهي، وكي نبين ايضا، مدى قصور المناهج الوضعية المستخدمة من قبل رجال الفكر الاداري المعاصر.

٦-اذا ما تحاكمنا الى المنهج العلوي المبارك ليكون منهجنا في استنباط سمات القيادة الادارية والقياس عليها فأننا ندرك وبسهولة، ان اغلب سمات القيادة في العهد العلوي، هي سمات اكد عليها الفكر الاداري المعاصر واعتبرها من اهم السمات الواجب توفرها في القيادات الادارية، كما انها سمات قابلة للتطبيق - بالأدلة والشواهد التاريخية- من قبل القيادات الادارية في كل زمان ومكان. ما يعني ان امير المؤمنين عليه السلام، سبق الفكر الاداري المعاصر بأكثر من ١٤٠٠ سنة، حين جسد تلك السمات ورسم ملامحها.

٧-ان المنهج العلوي المبارك حين يقدَّم نماذج للقيادات الادارية فأنه يقدِّمها غاية في الكمال والاتساق والاثارة والتأثير في المتلقي، ومن هذه النماذج التي قدمها، كقدوة حسنة ومثال يحتذى به في القيادة الادارية، مالك الاشتر رضوان الله تعالى عليه.

٨-تكفي مقارنة بسيطة بين المناهج الوضعية المستخدمة من قبل رجال الفكر الاداري المعاصر، والمنهج الرسالي الانساني لأمير المؤمنين عليه السلام في تربية العقل البشري، ندرك في الحال عظم الفرق وعظمة هذا المنهج، ويتضح لنا وبجلاء تام مدى قصور عقولنا عن أدراك هذا المستوى من الكمالات والفيوض الالهية التي أختص بها التراث العظيم الذي تركه لنا أمير المؤمنين عليهم السلام، رغم التطور العلمي والتقدم التقني، والنبوغ والابتكارات الحديثة.

٩-بما ان الفكر الاداري الغربي يفتخر بانه صاحب اقدم النظريات في الفكر الاداري؛ فلا نكون مبالغين اذا قلنا: ان لنا الفخر كمسلمين، ان الفكر العلوي المبارك هو المؤسس الحقيقي لهذا الفكر.

ملخص البحث

حظى موضوع القيادة بأهمية بالغة ومتزايدة مع التطور السريع الذي تعيشه الادارة، فهو واحد من أكثر المواضيع التي بُحثت عالمياً، وتعددت الدراسات الحديثة التي تناولته، الا ان معظمها درست القيادة من منظار غربي، ونادرا ما يتم دراسة القيادة من منظار إسلامي، مما جعل المكتبة العربية تفتقر إلى مصادر بحث في نظرية قيادية تشتق مسلماتها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، في حين أن هناك الكثير من المسلمات التي يمكن استخلاصها من اسلامنا العظيم ورموزه، وهي مسلمات ذات دلالة قيادية في المجالات الإدارية المختلفة.

وبما ان واقع القيادة وجوهرها يقوم على توافر صفات خاصة وسمات معينة في القائد تؤهله لقيادة المجموعة، وتمكّنه من ممارسة وظيفته القيادية على الوجه الاكمل، وتضمن قدرته على التطوير والابتكار، ومن ثم احرازه النجاح في المهمة الموكلة اليه. كما انه لا يمكن تحقيق كل ذلك، الا بتوظيف تلك السمات بكفاءة وفعالية، للتأثير في سلوك الآخرين وتوجيههم بطريقة يتسنى معها خلق التعاون بينهم، وتحفيزهم على العطاء

المستمر من أجل بناء علاقات إنسانية صحيحة، وبالتالي صناعة التغيير الإيجابي في المجتمع. لذلك فقد اهتم علماء الادارة، اهتماما بالغا بـــ(السمات القيادية)- او ما يطلق عليها علماء النفس (مكونات الشخصية القيادية الناجحة)- وتعددت وتنوعت دراساتهم، على اختلافِ اتجاهاتهِم ومدارسهم، في هذا المجال، الا أن تعددها وتنوعها، يكشف عن عدم وجود اتفاق واضح وصريح على اهم السمات التي يجب توافرها في كل شخص يتحمل مسؤولية قيادية، فما زالت دراسات الفكر الاداري في تباين وانقسام ازاء العديد من السمات القيادية، بل ان هذا الانقسام والتباين وصل في بعض الحالات الى حد وقوف بعضها في مواقف مناقضة لمواقف بعضها الاخر، ازاء العنصر الواحد، ولم تتفق تلك الدراسات - لحد الان – على نموذجا متكاملا مطبقا على نطاق واسع يمكن القياس عليه والاستفادة منه، للتمييز بين القادة وغير القادة.

في وقت نجد ان الامام علي عليه السلام، قدَّم نموذجا للقيادة الادارية الناجحة، قابل للتطبيق في كل زمان ومكان، ورسم سماته، والتي اكد على وجوب توافرها في الشخصية القيادية، منذ اكثر من ١٤٠٠ سنة وضمَّنها في عهده لمالك الاشتر (رض)، وهذا ما لم يلتفت اليه احد - على حد علمنا- من الباحثين والمختصين الذين قاموا بدراسة وتحليل هذه الوثيقة التاريخية المهمة. ما دفعنا الى بحث هذا الموضوع، لإبراز نموذج القيادة الادارية الناجحة، وسماته من منظور أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومعرفة ما اذا كان هناك تطابقا بين ما طرحته وثيقة العهد من سمات قيادية، وما قدمه الفكر الاداري المعاصر من سمات؛ هذه المحاور وغيرها هي ما سوف تكون مدار بحثنا هذا.

الهوامش:

• محافظة واسط – قضاء العزيزية ، البريد الالكتروني: aramap٣٢@gmail.com ، رقم الهاتف : ٠٧٨٠١١٩٥٣٩٧ – ٠٧٧١٤٩٥٧٨٨٩

١ - نذير هارون الزبيدي، ذوو الاحتياجات الخاصة وفئاتهم في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر (رض)، المؤتمر العلمي الوطني المشترك الاول، لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة ، ٢٠١٦ ، ص٢ .

٢- سلوى حامد الملا، دور القيادة في إدارة الأزمة، كتاب الامة سلسلة دورية تصدر عن ادارة البحوث والدراسات الاسلامية ، قطر ، العدد ١٦٦، ١٤٣٦ه، ص٦٩.

٣- حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية حول عملية البناء الفكرية لأصول علم الحركة الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٢، ص٣٢١ – ٣٢٥ .

٤- محمد رسلان الجيوسي واخرون، الادارة علم تطبيق، الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر والطباعة، عمان ، ٢٠٠٠م ، ص١٣٠ .

٥- سعد محمد قطب وآخرون، الإدارة والتنظيم في مجال التربية الرياضية ،مطبعة جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٤، ص١٨٠

٦- د. شهرزاد محمد شهاب ، القيادة الادارية ودورها في تأصير روابط العلاقات العامة، مجلة دراسات تربوية ، العدد ١١، ٢٠١٠ ، ص١١٢.

٧- كيث جرينت ، القيادة ، ترجمة حسين التلاوي ، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص١٠ .

٨- سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

٩- الأسعد بن علي قيدارة ، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية ، قم، إيران، ١٤٣٣ ه، ص٣٢.

١٠- هايل عبد المولى طشطوش، أساسيات في القيادة والإدارة، ط١ ، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن ، ٢٠٠٨، ص٧ .

١١- جون ادير ، قيادة محمد صلى الله عليه وسلم، ترجمة : رامي كلاوي ، مؤسسة التراث التابعة لدار اليربوع للنشر، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠١١ ، ص٢٣.

١٢- مدحت محمد أبو النصر، قادة المستقبل: القيادة المتميزة الجديدة، ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص١٣ .

[١٣]- محمد حسن حمادات، القيادة التربوية في القرن الجديد، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦ ، ص١٥.

[١٤]- هايل عبد المولى طشطوش ، المصدر السابق، ص٢٠ .

[١٥]- زيد منير عبوي، دور القيادة التربوية في اتخاذ القرارات الإدارية، ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٠ ، ص١٧ .

[١٦]- شيرين نوري عزيز، اثر السمات القيادية في الرؤية التنظيمية ، رسالة ماجستير ، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨ ،ص ٤١.

[١٧]-عبد الشافي محمد ابو الفضل ، القيادة الإدارية في الاسلام، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ،ص٥٦ .

[١٨]- ينظر : المصدر نفسه .

[١٩]- ينظر : المصدر نفسه ، ص٥١ .

[٢٠]- المصدر نفسه ،ص٢٥.

[٢١]- عبد الشافي محمد ابو الفضل، المصدر السابق، ص٢٦٢.

[٢٢]- نور الدين بوراس ، دور القيادة الادارية في تنمية الثقافة التنظيمية لدى العاملين، رسالة ماجستير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، الجزائر ، ٢٠١٤ ، ص٧٠ .

[٢٣]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٤٦ .

[٢٤]- بشير العلاق ، اسس الادارة الحديثة / نظريات ومفاهيم ، الطبعة الاولى ، اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع ،عمان، دار ، ١٩٩٨، ص٢٨٢ .

[٢٥]- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي ، دار عالم الكتب، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٣٧.

[٢٦]- نور الدين بوراس ، المصدر السابق ، ص٦٩.

[٢٧]- نواف كنعان، المصدر السابق ،ص ٢١٨.

[٢٨]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٤٤ .

[٢٩]- نور الدين بوراس ، المصدر السابق ، ص٧١.

[٣٠]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٤٥ .

[٣١]- المصدر نفسه ، ص٤٤ .

[٣٢]- المصدر نفسه، ص٤٧ – ٤٨ .

[٣٣]- بشير العلاق ، المصدر السابق ، ص٢٨٢ .

[٣٤]- نور الدين بوراس ، المصدر السابق ، ص٧٢.

[٣٥]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٤٧ .

[٣٦]- المصدر نفسه، ص٤٩ .

[٣٧]- ج. كورتوا ، الطريق إلى القيادة وتنميه الشخصية ، ترجمه : سالم العيسى ، دار علاء الدين ، دمشق، ١٩٩٩، ص١١.

[٣٨]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق ، ص٤٩ .

[٣٩]- هايل عبد المولى طشطوش، المصدر السابق، ص٥٠.

[٤٠]- إبراهيم عبد العزيز شيحا ، الإدارة العامة، مؤسسه شباب الجامعة للطباعة والنشر ،الإسكندرية ،(ب ت)، ص ٢٠٤ – ٢٠٨.

[٤١]- هايل عبد المولى طشطوش المصدر السابق ، ص٤٩.

[٤٢]- سورة المائدة، الآية : ٣ .

[٤٣]-عبد الشافي محمد ابو الفضل، المصدر السابق ،ص٢٨.

[٤٤]- ينظر : المصدر نفسه، ص١٠٧.

[٤٥]- ينظر : المصدر نفسه، ص٥٦ .

[٤٦]- مدونة دكتور أبو مروان، مَنْهَجٌ مُؤَثِّر، موقع الكتروني، https://ikhwanwayonline.wordpress.com.

[٤٧]- يحيى هاشم حسن فرغل، معالم شخصية المسلم، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ،(د.ت)، ص٧ .

[٤٨]- محمد عبدة ، نهج البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د.ت) ،ج٣ /ص٨٣ .

[٤٩]- عبد الشافي محمد ابو الفضل ، المصدر السابق ،ص١٤٠ .

[٥٠]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص٨٩ .

(٥١) Daft .Richard L. (٢٠٠١) " Organization theory and Design " ٧/ed south – western college publishing U.S.A, p: ٢٥٨.

(٥٢)Daft .Richard L. Loc. Cit . P: ٢٥٨.

[٥٣]- ينظر : محمود احمد الاسطل ، المصدر السابق ،ص ٧٦.

[٥٤]- سورة السجدة ، الآية : ٢٤ .

[٥٥]- سورة ال عمران، الآية : ١٣٤ .

[٥٦]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص١٠٧ .

[٥٧]- المصدر نفسه ،ج٣ /ص١٠٥ .

[٥٨]- المصدر نفسه،ج٣ /ص١٠٥ .

[٥٩]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص٩٢ .

[٦٠]- المصدر نفسه،ج٣ /ص٨٥.
[٦١]- المصدر نفسه،ج٣ /ص٨٦.
[٦٢]- سورة الاعراف، الآية : ١٨١ .
[٦٣]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص١٠٩ .
[٦٤]- سورة الليل، الآيات : ٥ - ٧ .
[٦٥]- سورة الحشر، الآية : ٩.
[٦٦]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص١٠٣ .
[٦٧]- المصدر نفسه،ج٣ /ص١٠٥ .
[٦٨]- د. عبد الوهاب اسماعيل الاعظمي، المصدر السابق، ص٣٣٧ – ٣٣٨ .
[٦٩]- سورة ال عمران، الآية : ١٥٩ .
[٧٠]- سورة المائدة، الآية : ١٣ .
[٧١]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص٨٦.
[٧٢]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص٨٦.
[٧٣]- المصدر نفسه،ج٣ /ص٨٦.
[٧٤]- المصدر نفسه،ج٣ /ص١١٠ .
[٧٥]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص١٠٩ .
[٧٦]- ينظر : خالد سليمان المومني، معالم في الفكر الإداري، المناهل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ، ص٢٩
[٧٧]- ينظر : خالد سليمان المومني، معالم في الفكر الإداري، المناهل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ، ص٢٣ .
[٧٨]- محمد عبدة ، المصدر السابق ،ج٣ /ص١٠٩ – ١١٠ .
[٧٩]- أسامة المزيني ، القيم الدينية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي ومستوياته لدى طلبة الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية غزة ، كلية التربية، ٢٠٠١ ، ص٦٩
[٨٠]- إبراهيم أبو زيد ، سيكولوجية الذات والتوافق " الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص١٦٠ _ ١٦١ .

المصادر:

أولا: مصادر البحث ومراجعه باللغة العربية :

•القران الكريم .

١-إبراهيم أبو زيد ، سيكولوجية الذات والتوافق " الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .

٢-إبراهيم عبد العزيز شيحا ، الإدارة العامة، مؤسسه شباب الجامعة للطباعة والنشر ،الإسكندرية ،(ب ت).

٣-أسامة المزيني ، القيم الدينية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي ومستوياته لدى طلبة الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية غزة ، كلية التربية، ٢٠٠١ .

٤-الأسعد بن علي قيدارة ، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية ، قم، إيران، ١٤٣٣هـ.

٥-بشير العلاق ، اسس الادارة الحديثة / نظريات ومفاهيم ، الطبعة الاولى ، اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع ،عمان، دار ، ١٩٩٨ .

٦-ج. كورتوا ، الطريق إلى القيادة وتنميه الشخصية ، ترجمه : سالم العيسى ، دار علاء الدين ، دمشق، ١٩٩٩.

٧-جون ادير ، قيادة محمد صلى الله عليه وسلم، ترجمة : رامي كلاوي ، مؤسسة التراث التابعة لدار اليربوع للنشر، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠١١ .

٨- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي ، دار عالم الكتب، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٤.

٩-حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية حول عملية البناء الفكرية لأصول علم الحركة الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٢.

١٠-خالد سليمان المومني، معالم في الفكر الإداري، المناهل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩.

١١-زيد منير عبوي، دور القيادة التربوية في اتخاذ القرارات الإدارية، ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٠ .
١٢-سعد محمد قطب وآخرون، الإدارة والتنظيم في مجال التربية الرياضية ،مطبعة جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٤.
١٣-سلوى حامد الملا، دور القيادة في إدارة الأزمة، كتاب الامة سلسلة دورية تصدر عن ادارة البحوث والدراسات الاسلامية ، قطر ، العدد ١٦٦، ١٤٣٦هـ.
١٤-شهرزاد محمد شهاب ، القيادة الادارية ودورها في تأصير روابط العلاقات العامة، مجلة دراسات تربوية ، العدد ١١، ٢٠١٠ .
١٥-شيرين نوري عزيز، اثر السمات القيادية في الرؤية التنظيمية ، رسالة ماجستير ، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨ .
١٦- عبد الشافي محمد ابو الفضل ، القيادة الإدارية في الاسلام، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
١٧-عبد الوهاب اسماعيل الاعظمي، القيادة في ضوء القران، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد،(د.ت).
١٨-كيث جرينت ، القيادة ، ترجمة حسين التلاوي ، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ .
١٩- محمد حسن حمادات، القيادة التربوية في القرن الجديد، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦ .
٢٠- محمد رسلان الجيوسي واخرون، الادارة علم تطبيق، الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر والطباعة، عمان ، ٢٠٠٠م .
٢١-محمد عبدة ، نهج البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
٢٢-محمود احمد الاسطل ، القيادة في ضوء الآيات القرآنية ، رسالة ماجستير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة ، ٢٠١٢ .
٢٣- مدحت محمد أبو النصر، قادة المستقبل: القيادة المتميزة الجديدة، ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة ، ٢٠١٢ .

٢٤-مدونة دكتور أبو مروان، منهَجٌ مُؤَثِّـــــر، موقع الكتروني ، https://ikhwanwayonline.wordpress.com.
٢٥-نذير هارون الزبيدي، ذوو الاحتياجات الخاصة وفئاتهم في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر (رض)، المؤتمر العلمي الوطني المشترك الاول، لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة ، ٢٠١٦ .
٢٦-نواف كنعان، القيادة الإدارية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن.، ١٩٩٥.
٢٧-نور الدين بوراس ، دور القيادة الادارية في تنمية الثقافة التنظيمية لدى العاملين، رسالة ماجستير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، الجزائر ، ٢٠١٤ .
٢٨-هايل عبد المولى طشطوش، أساسيات في القيادة والإدارة، ط١ ، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن ، ٢٠٠٨.
٢٩- يحيى هاشم حسن فرغل، معالم شخصية المسلم، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ،(د.ت).
ثانياً: مصادر البحث ومراجعه باللغة الإنكليزية:
٣٠- Daft . Richard L. (٢٠٠١) " Organization theory and Design " V/ed south –western college publishing U.S.A (٢٠٠١) .

(قراءة في سيرة حبيب بن مظاهر الأسدي)

الباحثة: آلاء علي كريم الموسوي
العتبة العلوية المقدسة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وبعد:

عند دراستنا للتاريخ الاسلامي نجد أن هنالك بعض الشخصيات التي تركت في تاريخنا بصمات مضيئة على حوادث عصرها والعصور اللاحقة ولم تنته بانتهاء حياتها وذلك نتيجة للمواقف التي أنتجتها تلك الشخصيات في مسيرة عمرها والتي أعطتها علامات التقدير والاعجاب لكل من تحدث عنها وأخبر بأحوالها وهذه الشخصيات كانت تواكب حركة الامامة وكان لها الدور البارز في بناء صرح التشيع وتثبيت أركان الكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وما بعده، وهذه المواقف التي بدرت منهم هي التي جعلتهم في مصاف العظماء الخالدين في هذا التاريخ إذ لولا تلك المواقف لكانوا كأقرانهم يأتون الى الحياة ويمضون دون أن يسجل التاريخ لهم موقف تتناقله الأجيال وتفتخر به، وكان لابد للشيعي أن يتعرف على الأوائل من الصحابة الذين ضحوا من أجل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فكان انتماؤهم للتشيع خير دليل على أصالة هذا المذهب الحق الذي أمر الله تعالى ورسوله به، وتظهر أهمية هذا البحث في العصر الحاضر لنفي التهم المغرضة التي تحاول تمزيق المجتمع الاسلامي، ومن الشخصيات التي كان لها دور بارز ومهم في الاسلام وفخر للأجيال القادمة والتي كان لها دور في الحفاظ على الاسلام ومقدساته ومن الصحابة البارزين للأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشارك في الحروب التي خاضها الامام علي (عليه السلام) وعاصر فيما بعد عهد الامام الحسن (عليه السلام) وقد حضر معركة الطف مع الامام الحسين (عليه السلام) ووقف بوجه بني أمية وجابههم وكان له دور عظيم في تخليد ثورة الطف ثورة الأحرار حيث استشهد في هذه المعركة مع الامام الحسين (عليه السلام) ألا وهو الصحابي الجليل (حبيب بن مظاهر الأسدي زعيم قبيلة بني أسد رضوان الله تعالى عليه) والذي حاولت في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على شخصيته المباركة،

حيث قسمت البحث الى مبحثين ومقدمة وخاتمة، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع، فقد تضمن المبحث الأول لمحة من حياته العطرة وفيه ثلاث مطالب الأول هو شخصيته ونسبه والثاني أخلاقه وعلمه والثالث أقواله ومكاتباته، أما المبحث الثاني فركز على كفاءته الجهادية والسياسية ويحتوي على ثلاث مطالب أيضا حيث تناول الأول سياسته والثاني شجاعته وغزواته التي شارك فيها مع أمير المؤمنين عليه السلام والامام الحسين عليه السلام ثم المطلب الثالث الذي تناولت فيه قضية استشهاده وبعض كراماته ودفنه ومرقده، ومنهجية البحث التي تناولتها هي الوصفية وقد اعتمدت على المصادر التاريخية المهمة التي تناولت الفترة التي عاشها وعاصرها البطل المجاهد حبيب بن مظاهر ومن تلك المصادر تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري وأعيان الشيعة لمحسن الأمين وأنساب الأشراف للبلاذري وكتاب حياة حبيب بن مظاهر الأسدي لمؤلفه علي القصير وقد كان مرجعا مهما في عملية البحث وذلك لقلة المصادر التي تخص شخصية البطل حبيب بن مظاهر.

وفي نهاية المطاف لابد من أخذ العبرة من هذه الشخصيات العظيمة ومالها من دور وأثر في حفظ لبنة الاسلام وخاصة ونحن نعيش في ظل الصراعات المتتالية ضد الاسلام ومحاولة طمسه فلابد من نشر الوعي والثقافة في دراسة ومعرفة هذه الشخصيات الاسلامية الخالدة.

المبحث الاول: لمحة من حياته

المطلب الاول: شخصيته ونسبه

هو أبو القاسم حبيب بن مظهر وقيل مظاهر، ولد حبيب بن مظاهر في بادية نجد وقد تبين من اجماع المؤرخين وعلماء الرجال والتراجم والمقاتل أن العمر الشريف لحبيب بن مظاهر يوم شهادته في كربلاء كان خمس وسبعين سنة احدى وستين من الهجرة[١] أي: (٦١/١/١٠هـ) الموافق سنة (٦٨٠م) لذا تكون ولادته قبل هذا التاريخ بخمس وسبعين سنة أي أربعة عشر سنة قبل الهجرة الشريفة الموافق سنة (٦٠٥م)، وبذلك يكون حبيب بن مظاهر في العشرينات من عمره حين ارتحل الرسول الأكرم (ص) سنة احدى عشرة للهجرة وفي أواسط الخمسين من عمره حين شهادة أمير المؤمنين عليه

السلام سنة أربعين للهجرة وفي الستينات من عمره لما قضى الإمام الحسن عليه السلام مسموما شهيدا سنة خمسين للهجرة وخمس وسبعين سنة عند شهادته مع الإمام الحسين عليه السلام.

وقد كانت نشأته في الكوفة من العراق وقد صحب النبي (ص) وسمع حديثه ثم لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع نخبة من أكفائه ثم صحب الامامين الحسن و الحسين (عليهم السلام)، وحينما وصل مسلم بن عقيل الى الكوفة لازمه حبيب مع كبار قادة و رجالات الكوفة وخرج بعد شهادة مسلم الى كربلاء مقدما نفسه قربانا مع الامام الحسين(عليه السلام) ليكتب اسمه في ديوان الشهداء والسعداء، وقد كان شخصا جليل القدر عظيم الشأن قائدا شجاعا مشكور السيرة وكان محدثا صدوقا، وقد تشرف بخدمة رسول الله (ص) وسمع منه عدة أحاديث وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام وبعد وفاة الامام عليه السلام صحب الامامين الحسن و الحسين عليهما السلام، واشترك في حروب الامام علي (عليه السلام) كلها وكان أحد شرطة الخميس الذين كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والذين بلغ عددهم ستة الآف رجل وقد ورد عن علي بن الحكم أن شرطة الخميس هم أصحاب أمير المؤمنين الذين قال لهم :" تشرطوا إنما أشاطركم على الجنة " ولست اشارطكم على ذهب ولا فضة وان نبينا (ص) قال لأصحابه فيما مضى تشرطوا فاني لست أشارطكم الا على الجنة.

وحبيب بن مظاهر أحد زعماء الكوفيين الذين كتبوا للإمام الحسين عليه السلام وكان معظما عنده وكان سيد الانصار الذين نصروا الامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء سنة (٦١هـ) فكان على ميسرة عسكر الامام عليه السلام [٢].

ونسبه هو حبيب بن مظاهر بن رياب بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان[٣] بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر[٤] بن نزار بن معد بن عدنان، فشيخ الأنصار حبيب بن مظاهر الأسدي من جدم عدنان وشعب نزار وقبيلة مضر وعمارة الياس وفخذ دودان وعشيرة فقعس وفصيلة حجوان ورهط الأشتر[٥]، ويلتقي بنو أسد بنسبهم مع النبي محمد(ص) في

خزيمة فهم من أسد بن خزيمة، والنبي (ص) من كنانة بن خزيمة، وقد عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام[٦]، وقد كانت له زوجة واحدة هي ام القاسم ومحمد وعبدالله وقد استشهد القاسم معه في كربلاء وفي بعض الروايات أن الذي استشهد معه هو ولده محمد، أما ولده عبدالله فهو جد عشائر بني أسد التي تنتمي لحبيب بن مظاهر الأسدي التي تربو نسبتها على ثلث بني أسد، وأنجبت أغلب الشعراء والعلماء ورجال الحديث[٧]، وقد كان شخصية بارزة في مجتمع الكوفة[٨]وقد وقع التسليم عليه في زيارتي الناحية و الرجبية[٩].

المطلب الثاني: أخلاقه وعلمه

لازم حبيب بن مظاهر الأسدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونهل من علمه وأدبه وحلمه وشجاعته حتى صار ممن يشار اليهم بالبنان وكانت أخلاقه وصفاته هي من الدروس التربوية التي زخر أمير المؤمنين عليه السلام عليه بها ضمن الفترة التي عاشها بقربه في سلمه و حربه ومن افاضات النبع العلوي أنه كان سخيا كريما وشجاعا ووفيا بالوعد والعهد والايثار والحلم والصبر و الثبات عند الشدائد والاباء و الصدق وحسن النية وقد أثبت للعالم ذلك حين لم ينم على المذلة والهوان فتلقى السيوف والرماح والسهام بنحره الشريف وبصدره الطاهر وهو في غاية الفرح والسرور دفاعا عن كتاب الله القرآن الكريم وعن القرآن الناطق الامام الحسين عليه السلام، فكان حبيب بن مظاهر رضوان الله تعالى عليه من أخلص المجاهدين مع أبي عبدالله الحسين عليه السلام وأشدهم مواساة[١٠].

وقد كان رجلا فاضلا وقال فيه الامام الحسين عليه السلام :" لله درك يا حبيب كنت فاضلا تختم القرآن في ليلة واحدة"[١١].

وقد كان يتصف بصفتين الظاهرية والروحية، أما الروحية طاعة الله ورسوله (ص) وكثرة طاعته لأهل بيت النبوة عليهم السلام ويتصف بكثرة تلاوة القرآن ومن صفاته

اليقين والنجدة والشهامة والغيرة اضافة الى الفقاهة في الدين[١٢]، وقد ورد عنه ما رواه الصدوق في الصحيح عن حماد بن عثمان عن حبيب بن مظاهر قال : " ابتدأت في طواف الفريضة فطفت شوطا واحدا، فإذا انسان قد أصاب أنفي فأدماه، فخرجت فغسلته، ثم جئت فابتدأت الطواف " فذكرت ذلك لا بي عبد الله عليه السلام فقال :" بئس ما صنعت كان ينبغي لك أن تبني على ما طفت، ثم قال أما أنه ليس عليك شيء"، ونقل في المدارك : عن الشهيدين أنهما جزما بوجوب الاستئناف إن توقفت الإزالة على فعل يستدعي قطع الطواف ولما يكمل أربعة أشواط

نظرا إلى ثبوت ذلك مع الحدث في أثناء الطواف، والحكم في المسألتين واحد، ثم قال: وهو مع تسليم الحكم في الأصل لا يخرج عن القياس .

أقول : ما ذكراه قدس سرهما محض اجتهاد في مقابلة النصوص المذكورة، لإطلاق روايتي يونس بن يعقوب وتصريح رواية حبيب ابن مظاهر بكون القطع وقع بعد طواف شوط، ومع هذا أنكر عليه الإمام الإعادة من رأس وجعل حكمه البناء على ما طاف وأشار بالروايتين إلى رواية يونس بن يعقوب المروي في التهذيب ورواية حبيب بن مظاهر [١٣].

وقد حاز حبيب أنواع العلوم مع حفظه للقرآن الكريم وفقاهته فلقد كان أحد الذين خصهم أمير المؤمنين عليه السلام بعلم المنايا و البلايا وغيرها من العلوم التي لا يطلع عليها إلا من امتحن الله قلبه للإيمان فقد وردعن جبرئيل بن أحمد، قال : حدثني محمد بن عبدالله بن مهران، قال : حدثني أحمد بن النظر عن عبدالله بن يزيد الأسدي عن فضيل بن الزبير، قال : (مر ميثم التمار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب :" لكأني بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليهم السلام، يبقر بطنه على الخشبة، فقال ميثم : "وأني لأعرف رجلا أحمر ،له ضفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيقتل، ويجال برأسه بالكوفة، ثم افترقا فقال أهل المجلس : ما رأينا أحدا أكذب من هذين، قال : فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل

رشيد الهجري فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثما ونسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ثم أدبر، فقال القوم : هذا والله أكذبهم، فقال القوم : والله ما ذهبت الليالي و الأيام حتى رأينا ميثما مصلوبا على باب دار عمرو بن حريث وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الامام الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا)[١٤].

وقد ذكر المظفر في كتابه ميثم التمار [١٥]: " كان لأمير المؤمنين عليه السلام عصران بعد رسول الله (ص) الأول ما كان فيه جليس البيت لا يزوره الا قليل من الناس ولا يزور أحدا الا قليلا والعصر الثاني هو العصر الذي جاءته الخلافة فيه تجر أذيالها مذعنة لهوفي العصرين كان له صفوة من الأصحاب يستدر بهم الغمام وقد بقي لديه أهل العصر الأول للعصر الثاني فئة أمثال: عمار بن ياسر وجابر الأنصاري وابن عباس وحبيب بن مظاهر وعمرو بن حمق الخزاعي ... ونظائرهم ولا أدري كيف اكتسب أولئك النفر من الأفذاذ أهل العصر الأول من أمير المؤمنين عليه السلام جميل الفعال و الخصال وأخذوا عنه أسرار العلم وعلم الأسرار حتى زكت بهم النفوس وكادوا يزاحمون الملائكة المقربين في صفوفهم وغبطهم الملأ الأعلى على ما اتصفوا به من كمال الذات والصفات ".

ولما كان العلم يقود الى المعرفة والمعرفة عنوان القرب أصبح القرآن الكريم معين العارفين والمناجاة مفاتيح الوصال وفي ذلك قال الامام زين العابدين :" إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا"[١٦]

إن حبيب بن مظاهر أحد الرجال الذين أفاض عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أسرار الحب الإلهي والعلم لأنه كان أهلا لذلك وتجسدت معرفته في عبادته وحسن تهجده وطول صلاته وكثرة تلاوته لكتاب الله و ما حظي به من نور المعرفة وجعله من أهل الشوق.

المطلب الثالث: أقواله ومكاتباته

كان حبيب شخصية بارزة في مجتمع الكوفة ثم هو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام ومن حملة أسراره ويعد في طبقة حجر بن عدي وميثم التمار(١٧).

وقد كان حبيب من الرجال السبعين الذين نصروا الامام الحسين عليه السلام وقد خرج حبيب بن مظاهر يوم العاشر من محرم وهو يضحك فقال له يزيد بن حصين الهمداني وكان يقال له : سيد الغرباء : يا أخي ليست بهذه ساعة ضحك، فقال حبيب : فأي موضع أحق من هذا السرور ... والله ما هو الا أن تميل علينا هذه الطغاة فنعانق الحور العين (١٨).

وله في ليلة عاشوراء مواقف جهادية تدل على عمق ايمانه وثباته ومن هذه المواقف أنه عندما انصرف الامام الحسين عليه السلام ودخل خيمة اخته العقيلة زينب عليها السلام متفقدا أمور العيال ومستخبرا حال اخته التي ستحدق بها مهام جسام بعد مصرعه الشريف، وقد كان نافع بن هلال البجلي يتبع الامام الحسين في سيره فسمع محاورة السيدة زينب عليها السلام للإمام الحسين وما ساورها هي والهاشميات من المخاوف وعدم الاطمئنان لمصير الحرب الدامية ولموقف الاصحاب الذين قدموا معه فقد ساورتها الشكوك من أنهم قوم لا يثق بنواياهم اذا اشتد طعان الفريقين فطفقت تحدث أخاها عما يعتلج في مكنون نفسها المتوجسة من مواقف القوم فأجابه الامام الحسين عليه السلام بقوله : "والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم الا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني، استئناس الطفل الى محالب امه"، ولم يكد نافع يصدق ما سمعه من قلق الهاشميات على مصير سيدهن الحسين عليه السلام حتى يعدو باكيا لينقل ما سمعه الى شيخهم حبيب بن مظاهر .. فيضطرب الأصحاب مما سمعوه من قلق الهاشميات، وينتفض حبيب بن مظاهر قائلا: " والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة "، فقام حبيب ونادى : " يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة"، ونادى حبيب غير الهاشميين من الأصحاب فيسرد ما سمعه من نافع وما دعاه أن يعبئهم في هذه الساعة الطارئة .. فتعالت أصوات أصحابه بالهتاف قائلين : " والله الذي من علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة ! فطب نفسا وقر عينا " فجزاهم خيرا وقال : " هلموا

معي لنواجه النسوة، ونطيب خاطرهن "، تقدم حبيب أمام أخبية العيال شاهرا سيفه، مناديا بصوت يسمعه الجميع : " يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، آلو ألا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم ،أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم "، ولم يتمالكن النساء حين سماعهن لهذه البيعة الطارئة حتى أعولن بالبكاء وقلن : " أيها الطيبون، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين "، فتعالى بكاء القوم حتى كأن الأرض تميد بهم، فأنهم أشاوس الحرب وأقاعس العزة والمنعة كما وصفهم الامام الحسين عليه السلام في حديثه السابق مع زينب سلام الله عليها[١٩].

وفي خطاب لحبيب بن مظاهر عليه السلام مع معسكر عمر بن سعد : "أما و الله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه (ص) وعترته وأهل بيته عليهم السلام وعباد هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيرا "[٢٠].

قال حبيب بن مظاهر الأسدي لمسلم بن عوسجة عند مصرعه :" عز علي مصرعك يا مسلم ! أبشر بالجنة ! "، وقال أيضا : " لولا أني أعلم أنيفي أثرك لاحق بك من ساعتي لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، وقال لمسلم بن عوسجة بعدما قال له أوصيك بهذا وأهوى بيده نحو الإمام الحسين عليه السلام أفعل ورب الكعبة "[٢١].

لما حضر وقت صلاة الظهر وقال الحسين عليه السلام: " سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ففعلوا، فقال لهم الحصين بن تميم : أنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر : " زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله (ص) وتقبل منك يا حمار "[٢٢].

لما عزم حبيب بن مظاهر على اللحوق بالإمام الحسين عليه السلام بكربلاء التفت الى عبده مبارك وأعطاه جواده وسلاحه وقال له : خذ هذا الجواد وامضي الى المكان الفلاني حتى آتيك فامتثل العبد بما أمره به عمه ومضى الى المكان الذي وصفه له حبيب ووقف هناك فأبطأ حبيب فجعل المهر يصهل والعبد يخاطبه ويسكته وقال : " والله لأن لم يأتي سيدي حبيب لأعلون على ظهرك وأمضي الى نصرة الإمام الحسين وفي تلك الساعة

كان حبيب مقبلا فسمع كلام العبد وخطابه للجواد فوجه حبيب بوجهه الى كربلاء وقال : " السلام عليك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، الله أكبر، حتى العبيد يتمنون نصرتك يا أبا عبد الله "، ثم أقبل حبيب على عبده وأخذ الجواد من عند وقال له : " ارجع أنت حر لوجه الله " فقال له : وأنت الى أين تمضي ؟ فقال حبيب: " الى نصرة الإمام الحسين عليه السلام "

فقال له العبد : " ما أنصفتني يا عم أنت تمضي وتنصر الحسين عليه السلام وأنا أنجو بنفسي، لا كان ذلك أبدا والله لأخلطن دم الأسود بدماء الشهداء حتى لا يكون خصمي جده رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة "(٢٣)

المبحث الثاني: كفاءته الجهادية والسياسية

المطلب الاول: سياسته

المطلب الثاني: شجاعته وغزواته مع أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام

المطلب الثالث: شهادته وكراماته

المطلب الاول : سياسته

الأحداث السياسية التي أعقبت فجر الاسلام وكيف كان لبيبا لا يخفى على أحد الدور الكبير الذي لعبه حبيب بن مظاهر سلام الله عليه ضمن الأحداث في علم السياسة والقيادة النموذجية حيث كان له دور هاما ضمن دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وضمن المعارضة مع مسلم بن عقيل والامام الحسين عليه السلام حيث كانت له مؤهلات جعلته من خواص أمير المؤمنين عليه السلام واصطفاؤه ليكون من شرطة الخميس وكيف كان الاتفاق السري بينه وبين مسلم بن بن عوسجة للخروج من الكوفة والالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام وكيف استقبل رسول الإمام الحسين عليه السلام وجوابه على كتابه وكذلك يذكر التاريخ كيفية اختباره لزوجته وإطلاعها على نيته في الخروج الى كربلاء وخططه بالمسير الى كربلاء رغم حصار الحصين بن تميم لمداخل ومخارج الكوفة حيث كان يسير بالليل ويكمن بالنهار (٢٤).

ومن حنكته السياسية عند وصوله الى كربلاء وموقعه واستعداداته ودوره ورايته قبل

الواقعة وكيف كانت له خبر ة في الحرب وطلبه من الامام الحسين عليه السلام الإذن في دعوته للنصر ة من حي يقظان وكيف كان اسلوبه مؤثرا حتى دفع بني أسد لنصرة الإمام الحسين عليه السلام وخروج عدد كبير منهم رغم أنهم لم يحظوا بالوصول الى المخيم الحسيني، ونرى كيف أنه استغل الفرص المتاحة للخطاب الديني والسياسي في واقعة الطف ووعظه وكلامه مع معسكر عمر بن سعد، وقد تمتع بالتكتيك الحربي والذي استخدمه يوم العاشر من محرم سنة ٦١ه وكيف كانت تحركاته قبل المعركة ووسطها ومع الامام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس وزهير بن القين وسائر الأصحاب وموقفه وقرارته وكلامه مع الأنصار .

ونرى كيف استشهد ووقت استشهاده وهو يفتدي إمامه ليقيم الصلاة وهو يدافع عن إمامه وكيف أن مقتله قد هد الإمام الحسين عليه السلام والصفات التي كان يتمتع بها من الارادة والشجاعة والحزم والفطنة والثقة بالنفس وحسن الرأي والمعرفة بالحرب وحسن النظر في الأمور والايمان واليقين والكرم والأخلاق والخبرة كل هذه الصفات أنتجت من حبيب رجلا يندر مثيله في السياسة .

المطلب الثاني: شجاعته وغزواته مع أمير المؤمنين والامام الحسين عليهما السلام

ان الايمان والحب منحا حبيب بن مظاهر الاسدي شجاعة راح يسطر من خلالها الملاحم البطولية فقد شارك في جميع حروب أمير المؤمنين الثلاثة (الجمل وصفين والنهروان) فقد كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له ملاحم ومواقف عظيمة يوم الطف تلك الملاحم التي أبهر بها العقول ومن تأمل تلك المواقف البطولية لم يصدق أنه كان في العقد الثامن من عمره الشريف، ولشجاعة حبيب بن مظاهر الاسدي دورا بالغ الاهمية حيث غذى نهضة الامام الحسين عليه السلام بأبهى صورة من عوامل الخلود. وفي كل خطوة لحبيب يوم الطف تاريخ ينحت فيه البسالة والاقدام والقوة والجرأة يزأر كالأسد ويقاتل كنمر ويتكلم بعلم كان قدوة الأنصار في العزم والاقدام قدم ذاته قربان عشق للولاية وهو يرتوي من الامام الحسين بروحه وعقله وقلبه وعينه وهو يزلزل الأرض من تحته ويلثم الثرى التي تطأها أقدام الامام الحسين عليه السلام وهو يذب عن أهل بيت رسول الله (ص) ليس طمعا في جنة ولا خوفا من نار فلقد ألهمه أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الهيام بالحضرة القدسية ومعرفة جمال العبودية لله تعالى فراح يدافع عنهم عليهم السلام لأنهم النور والكتاب وسفينة النجاة وعين الحياة وقد بذل نفسه في مرضاة الله ليكون وجيها بالحسين عليه السلام ويحظى بالمنزلة والقرب يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

ولمواقفه البطولية يوم عاشوراء صدى كبير لاسيما حواره مع شمر بن ذي الجوشن ومواجهته الحصين بن تميم ورده رماح الكفر وحملات معسكر عمر بن سعد ومن المواقف الأكثر شجاعة خروجه وحده من المعسكر الحسيني وذهابه لحي من بني أسد ودعوتهم للنصرة والرجوع لمخيم الامام الحسين عليه السلام مع ما يقارب التسعين منهم لكن اعتراض الازرق لهم وقتالهم معه وعدم قبول الازرق الكف عنهم ومخاصمة حبيب وتأنيبه له كان سببا في رجوعهم الى منازلهم ورحيلهم عنها وقد رجع حبيب بن مظاهر للإمام الحسين عليه السلام ليلا يتسلل بين الآلاف بقلب ضرغام صنديد يخبره الخبر[٢٥].

المطلب الثالث: شهادته وكراماته

الوفاء والشجاعة والفروسية وموت الأحرار وهو يرنو للشهادة بين يدي أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، فيخبره باب مدينة العلم عليه السلام بأنه سيتشهد مع ابنه الامام الحسين عليه السلام في كربلاء وتمر الأيام في مخاضها ويولد لحبيب يومه المرتقب ويبلي في ذلك اليوم بلاءا حسنا وقد كان يبتسم في كل طعنة الموت في ثقافة حبيب كان كمن هو ذاهب في نزهة قرير العين خلد فيه قوانين يدفع بها عن ريحانة رسول الله (ص) ويزئر بين الذئاب أسدا تنفر من بين يديه وهو قد ألحق الرؤوس بالأقدام، وكان ذلك في يوم عاشوراء عندما أيقن الامام الحسين عليه السلام أن القتال قدر لا مفر منه وأنه صار قاب قوسين أو أدنى رتب أصحابه وصفهم للحرب وكانوا مائة أو أقل بقليل أو أكثر بقليل فجعل على ميمنة رجاله القائد (زهير بن القين) وسلم قيادة الميسرة للقائد (حبيب بن مظاهر)، وثبت هو وأهل بيته في القلب وأعطى الراية لقمر بني هاشم (العباس بن علي عليه السلام)، وقد أصر أصحاب الامام الحسين عليه السلام على أن يقاتلوا بين يدي الإمام وأهل بيت النبوة حتى يموتوا جميعا عن بكرة

أبيهم وقد كانوا على أهبة الاستعداد للتصدي للمعتدين والقتال حتى الموت، وعندما حان وقت صلاة الظهر ووقف الامام الحسين عليه السلام ليصلي وأصحابه كالليوث من حوله فزهير على ميمنته وحبيب على ميسرته، وقف الامام الحسين عليه السلام وهو يرتل آيات الوداع وعليه السهام يرشقونها كالمطر واستأذن حبيب بن مظاهر وقاتل قتال الابطال وهو يرتجز ويقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر وفارس الهيجاء ليث قصور
والله أعلى حجة وأظهر منكم وأنتم بقر لا تنفر
سبط النبي اذ أتى يستنصر يا شر قوم في الورى وأكفر

فحمل على الحصين فضربه ضربة أسقطته عن ظهر فرسه الى الأرض فأستنفذه أصحابه ولم يزل حبيب يقاتل حتى قتل منهم خلقا كثيرا ، وقد تربص به رجل من بني تميم يقال له (بديل بن صريم) فطعنه فوقع وحاول حبيب أن ينهض فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فوقع نهائيا ونزل اليه التميمي فأحتز رأسه، قال أبو مخنف: لما قتل حبيب بن مظاهر هد ذلك حسينا وقال عليه السلام : "أحتسب نفسي وحماة أصحابي". قال الشاهرودي في حبيب بن مظاهر : مما زاد فيشرفه وعلو رتبته دفنه بعد شهادته عند رأس الإمام الحسين عليه السلام متميزا عن بقية الشهداء، وكان ذلك بأمر الإمام زين العابدين عليه السلام فصار وكأنه بواب الحسين عليه السلام بعد شهادته يبدأ به الداخل وينتهي به الخارج من الحائر الحسيني الشريف، وقد حكى أحد العلماء أن رجلا صالحا رأى حبيب بن مظاهر الأسدي في الرؤيا فقال له : سيدي يا حبيب لقد حزت الخير من جوانبه كلها فأنت صحابي أدركت رسول الله (ص) وسمعت حديثه ثم جئت الى الكوفة ولازمت أمير المؤمنين عليه السلام ونلت الشهادة بين يديه فأنتم سادات الشهداء لا يسبقكم سابق ولا يلحقكم لاحق وهذا قبرك بعد الموت (الشهادة) فأنت باب الحسين عليه السلام يدخل الزائر فيسلم عليك أولا ولا يخرج حتى يسلم عليك ثانيا ومكانك في أعلى عليين مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا، فهل بقي في قلبك شيء ؟ أم هل لك أمنية تتمناها بعد هذا الإكرام ؟ قال حبيب :نعم أتمنى أن أعود للدنيا وأحضر مع المؤمنين في مجلس الحسين عليه السلام وأبكي مع الباكين وأندب مع النادبين [٢٦].

وقد وردعن الشيخ جعفر التستري قوله : إني سألت الله أن يفتح علي أبواب العلم والحكمة وينور قلبي بنور العلم فرأيت ليلة في المنام كأني نزلت في كربلاء والحسين نازل بها مع أصحابه وأهل بيته فدخلت خيمة وإذا بالحسين عليه السلام جالس وبين يديه حبيب بن مظاهر فسلمت عليه فقربني وأدناني ثم قال لحبيب بن مظاهر :أن فلان وأشار إلي ضيفنا أما الماء فلا يوجد عندنا منه شيء وإنما يوجد عندنا دقيق وسمن فاصنع منه طعاما وأحضره لديه فمضى حبيب فما لبث أن جاء ومعه لقيمات أو ملاعق وانتبهت فببركة ذلك فتح الله علي أبواب العلم ونور قلبي بالحكمة(٢٧).

قال السماوي : " لما رحل ابن سعد بالرؤوس والسبايا وترك الجثث الطاهرة خرج قوم من بني أسد كانوا نزولا بالغاضرية الى الحسين عليه السلام وأصحابه عليه م السلام فصلوا عليهم ودفنوهم، حيث دفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن ودفنوا ابنه علي الأكبر عند رجليه وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله مما يلي رجلي الحسين عليه السلام وجمعوهم ودفنوهم جميعا معا ودفنوا العباس بن علي عليهما السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن ، ودفنت بنو أسد حبيبا عند رأس الإمام الحسين عليه السلام حيث قبره الآن اعتناءا بشأنه ودفنت بنو تميم الحر بن يزيد الرياحي على نحو ميل من الحسين عليه السلام حيث قبر ه الآن اعتناءا به أيضا، وسمعت مذاكرة أن بعض ملوك الشيعة استغرب ذلك فكشف عن قبري حبيب والحر فوجد حبيبا على صفته التي ترجم بها الكتب ووجد الحر على صفته أيضا ورأى رأس الحر غير مقطوع وعليه عصابة فحلها ليأخذها تبركا بها فأنبعث دم من جبينه فشدها على حالها وعمل على قبريهما صندوقين(٢٨)

خاتمة البحث

من خلال دراستنا للسيرة العطرة للصحابي الجليل (حبيب بن مظاهر الأسدي) استطعنا أن نستلهم عدة دروس ومواقف ومنها:

أولا: تعظيم وتقديس الشهادة في سبيل الله وغرس حبها في حياة الأمة فعندما نرى عزم وتصميم أنصار الحسين عليه السلام على الشهادة والفداء والثبات والصمود

والاستعداد لها حتى لو تكررت التجربة آلاف المرات فكانوا اسوة لكل الشهداء في العالم، فشهادة الامام الحسين وأصحابه كانت مع سبق الاصرار والتصميم وارادتهم عن حسن اختيار مما كان له أثر روحي ومعنوي كبير .

ثانيا: من الدروس الأخرى التي نراها في سيرة الشهداء هو تحريك الجانب الوجداني لضمير الأمة واحياؤه وتحريكه عندما يتعرض الى الموت أو أساليب الارهاب الذي ينتهي بالإنسان الى فقدان الارادة مع ادراكه للحقيقة .

ثالثا: الاستنكار الجماعي وتنمية الوعي والاسلوب السياسي في اتخاذ المواقف الحازمة في الوقت المناسب وقد وجدنا ذلك ولمسناه في عراقنا الحبيب عندما تعرض للهجمة الشرسة من قبل الدواعش الأنجاس والارهابيين حيث جاءت الفتوى المباركة للسيد السيستاني للجهاد ضد المعتدين وقد رأينا كيف هب شبابنا وشيوخنا من العراقيين الشرفاء لتلبية فتوى المرجعية وقدموا أزكى التضحيات وسطروا أروع ملاحم البطولة والشجاعة حيث استشهد آلاف الشباب وحتى الشيوخ الذين تجاوزت أعمارهم السبعين عاما وكل ذلك كان فداءا لعراقنا الحبيب وصيانة لمقدساتنا من دنس المعتدين حيث أعاد هؤلاء الأبطال تاريخ الامام علي عليه السلام والامام الحسين في معركة الطف اقتداءا بسيرتهم وسيرة أصحابهم العطرة فرووا بدمائهم الزكية أرض الوطن والمقدسات وكانوا بحق خير خلف لأجدادهم العرب المسلمين .

ملخص البحث:

عند دراستنا للتاريخ الاسلامي نجد أن هنالك بعض الشخصيات التي تركت في تاريخنا بصمات مضيئة على حوادث عصرها والعصور اللاحقة ولم تنته بانتهاء حياتها وذلك نتيجة للمواقف التي أنتجتها تلك الشخصيات في مسيرة عمرها والتي أعطتها علامات التقدير والاعجاب لكل من تحدث عنها وأخبر بأحوالها وهذه الشخصيات كانت تواكب حركة الامامة وكان لها الدور البارز في بناء صرح التشيع وتثبيت أركان الكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وما بعده، وهذه المواقف التي بدرت منهم هي التي جعلتهم في مصاف العظماء الخالدين في هذا التاريخ إذ لولا تلك المواقف لكانوا كأقرانهم يأتون الى الحياة ويمضون دون أن يسجل التاريخ لهم موقف تتناقله الأجيال

وتفتخر به، وكان لابد للشيعي أن يتعرف على الأوائل من الصحابة الذين ضحوا من أجل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فكان انتماؤهم للتشيع خير دليل على أصالة هذا المذهب الحق الذي أمر الله تعالى ورسوله به، وتظهر أهمية هذا البحث في العصر الحاضر لنفي التهم المغرضة التي تحاول تمزيق المجتمع الاسلامي، ومن الشخصيات التي كان لها دور بارز ومهم في الاسلام وفخر للأجيال القادمة والتي كان لها دور في الحفاظ على الاسلام ومقدساته ومن الصحابة البارزين للأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشارك في الحروب التي خاضها الامام علي (عليه السلام) وعاصر فيما بعد عهد الامام الحسن (عليه السلام) وقد حضر معركة الطف مع الامام الحسين (عليه السلام) ووقف بوجه بني أمية وجابههم وكان له دور عظيم في تخليد ثورة الطف ثورة الأحرار حيث استشهد في هذه المعركة مع الامام الحسين(عليه السلام) ألا وهو الصحابي الجليل (حبيب بن مظاهر الأسدي زعيم قبيلة بني أسد رضوان الله تعالى عليه) والذي من خلال دراستنا لسيرته العطرة استطعنا أن نستلهم عدة دروس ومواقف ومنها تعظيم وتقديس الشهادة في سبيل الله وغرس حبها في حياة الأمة فعندما نرى عزم وتصميم أنصار الحسين عليه السلام على الشهادة والفداء والثبات والصمود والاستعداد لها حتى لو تكررت التجربة آلاف المرات فكانوا اسوة لكل الشهداء في العالم، فشهادة الامام الحسين وأصحابه كانت مع سبق الاصرار والتصميم وارادتهم عن حسن اختيار مما كان له أثر روحي ومعنوي كبير، ومن الدروس الأخرى التي نراها في سيرة الشهداء هو تحريك الجانب الوجداني لضمير الأمة واحياؤه وتحريكه عندما يتعرض الى الموت أو أساليب الارهاب الذي ينتهي بالإنسان الى فقدان الارادة مع ادراكه للحقيقة ،ومن الدروس الأخرى كذلك الاستنكار الجماعي وتنمية الوعي والاسلوب السياسي في اتخاذ المواقف الحازمة في الوقت المناسب وقد وجدنا ذلك ولمسناه في عراقنا الحبيب عندما تعرض للهجمة الشرسة من قبل الدواعش الأنجاس والارهابيين حيث جاءت الفتوى المباركة للسيد السيستاني للجهاد ضد المعتدين وقد رأينا كيف هب شبابنا وشيوخنا من العراقيين الشرفاء لتلبية فتوى المرجعية وقدموا أزكى التضحيات وسطروا أروع ملاحم البطولة والشجاعة حيث استشهد آلاف الشباب

وحتى الشيوخ الذين تجاوزت أعمارهم السبعين عاما وكل ذلك كان فداءا لعراقنا الحبيب وصيانة لمقدساتنا من دنس المعتدين حيث أعاد هؤلاء الأبطال تاريخ الامام علي عليه السلام والامام الحسين في معركة الطف اقتداءا بسيرتهم وسيرة أصحابهم العطرة فرووا بدمائهم الزكية أرض الوطن والمقدسات وكانوا بحق خير خلف لأجدادهم العرب المسلمين .

وفي نهاية المطاف لابد من أخذ العبرة من هذه الشخصيات العظيمة ومالها من دور وأثر في حفظ لبنة الاسلام وخاصة ونحن نعيش في ظل الصراعات المتتالية ضد الاسلام ومحاولة طمسه فلابد من نشر الوعي والثقافة في دراسة ومعرفة هذه الشخصيات الاسلامية الخالدة.

الهوامش:

(١) ظ، الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج٤، ص٥٥٤.

(٢) ظ، الشبستري، عبدالحسين، مشاهير شعراء الشيعة، ط١، قم ،١٤٢١ه، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦ .

(٣) ابن الاثير الجزري ،ابو الحسن علي بن أبي الكرم ت(٦٣٠ه / ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج١، ص٣٩.

(٤) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت (٢٧٩ه /٨٩٢م)، أنساب الأشراف، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٧م، ج١١، ص١٥٣.

(٥) ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج١، ص٣٩.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠ه)، رجال الطوسي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ،١٤١٥ه ،ص٧٢،٦٧،٣٨.

(٧) الأسدي، منصور، سدانة الروضتين ،مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٢٦-١٢٧.

(٨) شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين، ط٢، الدار الاسلامية، ١٤٠١ه، ص٨٢.

(٩) الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ط٢، مكتبة المحلاتي، قم، ١٤٢٤ه، ص١٢٧.

(١٠) ظ، القصير، علي، حياة حبيب بن مظاهر الأسدي، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء، ٢٠١١م، ص٧١-٧٢.

(١١) القمي، عباس، منتهى الآمال ، ط٣، دار محبين، قم، ١٤٢٧ه، ج١، ص٥٠٦.

(١٢) القصير، علي، حياة حبيب بن مظاهر الأسدي، ص٧٢.

(١٣) ظ، البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

(١٤) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط٥، مركز نشر الثقافة الاسلامية، ١٤١٣ه، ج٥، ص٢٠٢.
(١٥) المظفر، محمد حسين، ميثم التمار، مركز الأمير، النجف الأشرف، ١٣٨١ه، ص ٩-١٠.
(١٦) الامام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ط١، قم، ١٤١١ه، ص٤١٣.
(١٧) ظ، الطبري ،ابو جعفر محمد بن جرير(ت٢٢٥ه)، تاريخ الطبري ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج٥، ص٣٥٢.
(١٨) الكشي، ابو عمرو، كتاب الرجال، طبعة قم، ص٧٨، حديث ١٣٣.
(١٩) ظ، الحلو، محمد علي، أنصار الحسين عليه السلام ... الثورة والثوار، مؤسسة السبطين العالمية، قم، ١٤٢٥ه، ص٥٩-٦١.
(٢٠) ظ، العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٠ه، ج٣، ص٨٨-٨٩.
(٢١) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠)، تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٣١-٣٣٢.
(٢٢) الامين، محسن، اعيان الشيعة، ج٤، ص٥٥٥.
(٢٣) البلادي، حسن، عاشوراء ونساء الشيعة ،ط٢، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٦ه، ص٩٣.
(٢٤) ظ، ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١ه، ج٢، ق٢، ص١٨٩.
(٢٥) ظ، القصير، علي، حياة حبيب مظاهر الأسدي، ص١٥٦.
(٢٦) الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٩ه، ج٢، ص١٧٠.
(٢٧) الكربلائي، عامر، القمر الزاهر حبيب بن مظاهر، ط١، كربلاء، ص٦٦.
(٢٨) السماوي، محمد، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، ص٢١٩-٢٢٠.

المصادر والمراجع:

١.ابن الاثير الجزري ،ابو الحسن علي بن أبي الكرم ت(٦٣٠ه / ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت.
٢.الأسدي، منصور، سدانة الروضتين، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع.
٣.الامام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ط١، قم، ١٤١١ه.
٤.الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٥.البلادي، حسن، عاشوراء ونساء الشيعة، ط٢، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٦ه.

٦.البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت (٢٧٩ه /٨٩٢م)، أنساب الأشراف، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٧م.
٧.الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ط٢، مكتبة المحلاتي، قم، ١٤٢٤ه.
٨.الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط٥، مركز نشر الثقافة الاسلامية، ١٤١٣ه.
٩.السماوي، محمد، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣م .
١٠.الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٩ه.
١١.شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين، ط٢، الدار الاسلامية، ١٤٠١ه.
١٢.الطبري ،ابو جعفر محمد بن جرير(ت٢٢٥ه)، تاريخ الطبري ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
١٣.الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠ه)، رجال الطوسي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ،١٤١٥ه.
١٤.ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١ه، ج٢، ق٢.
١٥.البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
١٦.الحلو، محمد علي، أنصار الحسين عليه السلام ... الثورة والثوار، مؤسسة السبطين العالمية، قم، ١٤٢٥ه.
١٧.الشبستري، عبدالحسين، مشاهير شعراء الشيعة، ط١، قم ،١٤٢١ه.
١٨.الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٢٢٥ه)، تاريخ الطبري ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٩.العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٠ه.

٢٠.القصير، علي، حياة حبيب بن مظاهر الأسدي، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء، ٢٠١١م،.
٢١.القمي، عباس، منتهى الآمال ، ط٣، دار محبين، قم، ١٤٢٧ه.
٢٢.الكربلائي، عامر، القمر الزاهر حبيب بن مظاهر، ط١، كربلاء.
٢٣.الكشي، ابو عمرو، كتاب الرجال، طبعة قم، ص٧٨، حديث ١٣٣.
٢٤.المظفر، محمد حسين، ميثم التمار، مركز الأمير، النجف الأشرف، ١٣٨١ه.

الكوفة حاضرة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام دراسة تأريخية

م.م. نوفل عبد الأمير الحمامي
الكلية الاسلامية الجامعة / النجف الاشرف

المقدمة :

تعد الكوفة ثاني مدينة مصّرت في الاسلام بعد الفتح الاسلامي ، فهي جمجمة العرب، ورمح اللّه وكنز الإيمان ، كانت دار هجرة المسلمين ، وعاصمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وفيها تمركز شيعته ومحبوه وأنصاره ، اصبحت المركز الزاهر للعلم والحضارة الاسلامية، فكانت من أهمّ المدن العربية والإسلاميّة؛ لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالت على أرضها، حيث لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث، ناهيك عن أثرها في تبلْورِ كثير من المسارات العلمية والثقافية. وقد جسدت الكوفة بعد الفتح مفهوماً جديداً بالنسبة للدولة العربية حين برزت رمزاً وموطنا للعروبة الجديدة التي ظهرت مع الاسلام، وهي مغايرة لتلك التي جسدتها مدينة الحيرة القريبة منها على عهد المناذرة طيلة ثلاثة قرون ، حين انتقلت السلطة السياسية فيها للعرب المسلمين .

أصبحت مدينة الكوفة وغْيرها من الامصار العربية الاسلامية محطة المجاهدٌين، ومستقر القبائل، وحلقة الوصل بٌين المدٌينة المنورة والتي كانت عاصمة للمسلمٌين والمناطق المحررة والمفتوحة ، حيث اتخذها المجاهدون خطاً مفتوحاً يؤمن رجعتهم في حال تعرضهم للخطر ، فكان يحتمون بها عندما يضاقهم العدو، وأيضاً كانت مركزاً تموينياً للجيوش التي كانت تحارب في الجبهات العسكرية في العراق والمناطق الشرقية ، واذا كان العامل العسكري قد احتل مركز الصدارة في تأسيس مدينة الكوفة فان العامل الديني كان في مركز الصدارة في تأسيس مدنية النجف الاشرف .

حفل تاريخ الكوفة، لاسيما في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، بأروع البطولات والتضحيات، والإنجازات في اللغة والأدب، والفقه والحديث والتشريع ، وبمستويات من الحضارة والحياة الجديدة، جعلها سباقة في الفنون والعمارة، كما أصبحت أرضًا خصبة للفتن والصراعات التي أسفرت عن سقوط الحكم العباسي في العراق، وما بين

ذلك من ضياع حق أهل البيت عليهم السلام الشرعي في قيادة الأمّة وولاية أمور المسلمين وتصحيح الانحرافات.

وبتأسيس مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ، أخذت الكوفة تفقد كثيراً من رصيدها العلمي قرناً بعد قرن، وتحولت إلى قرية صغيرة تسكنها الأشباح والذكريات، وتطوقها الخرائب والآكام، وتعصف بها رياح الزمن العاتية، سوى مسجدها الكبير الذي ظلّ صامداً يقارع العاديات ليبعثها من جديد، وقد ظلّ شاهداً على عنفوانها وعظمتها، وصار لها رصيداً روحياً، ورمزاً للتضحية والاستشهاد، عندما اصطبغ أديمها بدماء الشهداء، ففي مسجدها اغتيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

تخرج من مدارس الكوفة عدداً كبيراً من عظماء وعباقرة العلم والشعر واللغة والأدب.. أمثال: أبي الأسود الدؤلي، والكميت بن زيد الأسدي، وجابر بن حيان، والأصمعي، والكسائي، والكندي، وأبي الطيب المتنبي، وكثيرين غيرهم.

ولذلك ومن خلال ما ذكرنا نلاحظ ان لهذه المدينة اهمية كبيرة على مختلف الاصعدة والنواحي حاولنا من خلال هذا البحث ان نسلط الضوء عليها ونحيط بها قدر المستطاع، فتناولناها من الناحية الجغرافية، وايضاً من ناحية تركيبة مجتمعها ، وأهم المجالات العلمية التي نشأت وتطورت فيها ، فانتظم على مبحثين :

المبحث الاول : جغرافية مدينة الكوفة ومعالمها : حيث تناولنا فيه سبب تسمية هذه المدينة، وكيف تأسست ومن استوطنها ، مع بيان لجغرافيتها ومعالمها .

إما المبحث الثاني فكان بعنوان: المجالات العلمية في الكوفة وتطورها، وما قيل في حقها.. ختاماً اتوجه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء راجياً عفوه عن تقصيري وكثرة زللي ، وان يتقبل مني هذا اليسير قربة لوجهه الكريم ، وادعوه ان يوفقني وجميع المؤمنين الى ما يحب ويرضى انه سميع مجيب .

المبحث الأوّل: جغرافية مدينة الكوفة و معالمها:

تعتبر مدينة الكوفة من المدن القديمة والعريقة ، حيث وقعت فيها أحداث وتقلبّات كثيرة، والتي جعلتها من اشهر المدن من الناحية الاسلامية والتاريخية والعسكرية ، وبسبب

ضيق المقام ؛ اقتصرنا هنا على بيان ثلاث جهات هي ما نحتاج اليه في هذا البحث ، وهي:

أولاً ـ تسمية الكوفة وتأسيسها :

التسمية : اختلف المؤرخون في تسمية الكوفة ، حيث ذُكِرت آراء متعددة في هذا المجال منها :

(الكوفة بالضم الرملة المجتمعة ، مدينة العراق الكبرى ، وهي قُبة الإسلام ودار هجرة المسلمين)[١] ، وقيل: إنّها الرملة الحمراء ، وقيل: هي الرملة [٢] .

ونقل ابن منظور عن ابن سيده : (الكوفة بلد سُمّيت بذلك ؛ لأنّ سعداً لّما أراد أن يبني الكوفة ارتاد لهم وقال: تكوفوا في هذا المكان. أي: اجتمعوا فيه، وقال المفضل: إنّما قالوا: كوفوا هذا الرمل، أي نحُّوه وانزلوا، ومنه سُميت الكوفة)[٣] .

وقال الكسائي: (كانت الكوفة تُدعى كوفان)[٤] ، وقال أبو نؤاس لّما ذهب الى الكوفة واستطاب بها[٥] :

وعرجت عن أربابها صبري ذهبت بها كوفان مذهبها
لا أستحق صداقة البصري ما ذاك إلّا أنّني رجل

وقيل عنها : كوفة الجند، لأنّه اختطت فيها خطط العرب أيام عثمان، خططها السائب بن الأقرع بن عوف الثقفي وهو الذي شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن ، وقد ولي أصبهان أيضا وبها مات وعقبه بها، وفي هذه التسمية قال: عبدة بن الطيب العبشمي :

إنّ التي ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول[٦]

وقال ياقوت : ولما بنى عبيد الله بن زياد مسجد الكوفة صعد المنبر وقال: يا أهل الكوفة إني قد بنيت لكم مسجدا لم يبن على وجه الأرض مثله ، وقد أنفقت على كل أسطوانة سبع عشرة مائة ، ولا يهدمه إلا باغ أو حاسد[٧] .

والكوفة : بضم الكاف وسكون الواو ، فاء وهاء ، وهي مدينة اسلامية ، بنيت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، واقعة في الاقليم الثالث من الأقاليم السبعة[٨] ، وتقع على خط طول (٦٨) درجة و (٣٠) دقيقة ، وعلى خط العرض (٣١) درجة و (٥٠) دقيقة.

وقيل سمّيت كوفة لاستدراتها ، آخذا من قول العرب : رأيت كوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لاجتماع الناس من قولهم : (تكوّف الرمل إذا ركب بعضه بعضا)[٩].

اما التأسيس : فلم تُعرف الكوفة كمدينة مأهولةٌ بالسكان إلّا في الفتوحات الإسلاميّة ؛ لأنّ أرضها كانت صالحة للزراعة ، حيث اتسمت بالانبساط ، وايضاً بالخصوبة والقرب من نهر الفرات ، حيث انها تقع على الضفة اليمنى منه في سهل يُدعى سورستان، المأخوذ من الاسم الفارسي شورستان، والتي تعني الصحراء[١٠] .

كانت العرب قديماً تُسمي الكوفة بأرض السواد ، والتي شملتها وباقي أرض العراق السهليّة التي فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ، وقد سميت بهذا الاسم ؛ لوفرة الزرع والأشجار؛ ولأن العرب وبحكم مجاورة الجزيرة العربية للكوفة ، وايضاً بسبب قلة الزرع والاشجار فيها، كانوا إذا خرجوا من أرضَهم ظهرت لهم خضرة الزرع من الأشجار[١١] ، فكان العرب يَجمعون بين الخُضرةِ والسواد في الأسامي، وعنها قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب والذي كان ذو بشرةٍ سوداء :

وأنا الأخضر مَن يعرفني أخضر الجلدة من نسل العرب[١٢]

فسمّوا خضرة العراق سواداً، وسُمّي العراق عراقاً لاستواء أرضه والتي كانت تخلو من الجبال والاودية .

بالاضافة الى ان الكوفة كانت غنية بانتاجها الزراعي في أيام الأُمويين والتي كانت مصدراً لهم في زيادة أموالهم، فعندما استولوا على السلطة ، جنى عبيد الله بن زياد خراج السواد فكان مائة ألف ألف وخمسة وثلاثون ألف ألف درهم[١٣].

ثانياً : بناء الكوفة واستيطانها :

عندما انتصر الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية الشهيرة لاحظ عمر بن الخطاب أنّ أفراد الجيش في المدائن قد تغيَّرت ألوانهم ، ورأى ذلك التغير أيضاً في وجوه الوافدين ، فسأل عن سبب ذلك فقالوا : (وخومة البلاد غيرتنا)[١٤].

ومن الواضح أنّ عمر بن الخطاب قد استفسر من سعد بن أبي وقاص عن سبب هذا التغيير والتعب الجسدي الذي ظهر على أفراد جيشه ، فأجابه الأخير: (غيَّرتهم وخومة البلاد، والعرب لا يوافقها من البلاد إلّا ما وافق إبلها...)[١٥].

اختار عمر ابن الخطاب مدينة الكوفة لتكون مركزاً للفتوحات الإسلاميّة فيما بعد، وقد وقع الاختيار عليها لسببين:

السبب الأول: أجوائها المناسبة والتي كانت صالحة لسكنى العرب من جهة الغرب ، حيث نقاوة الهواء ومسرح الإبل ، كذلك امتازت جهتها الشرقية بقربها من نهر الفرات الذي شكل مانعاً بوجه الغزاة ، بالإضافة إلى الاستفادة منه في إرواء الأراضي الزراعية القريبة منه، أو بشق الأنهار والجداول لسقي المناطق البعيدة[١٦] .

السبب الثاني: موقعها الجغرافي الذي ساهم في فرض السيطرة على طول منطقة الفرات من الناحية الحربية[١٧].

وقد اختلف المؤرخين في السنة التي مصرت فيها الكوفة ، وذلك على عدة أقوال :

فمنهم من ذهب الى ان الكوفة قد مصرت سنة ١٤هـ ، ومنهم من قال سنة ١٥ هـ ، والبعض قال سنة ١٦هـ ، وذهب آخرون الى ان تمصيرها كان في سنة ١٧ ، وهو الأشهر بين الأقوال[١٨] وهي السنة التي تحرّك فيها الجيش الإسلامي من المدائن قاصداً الكوفة؛ لتكون هذه السنة بداية تمصير المدينة وإعمارها.

وفي ذلك الوقت بدأت القبائل العربية والتي شكلت الجيش الإسلامي ببناء بيوتها من القصب حسب أوامر عمر بن الخطاب، الذي كان لا يريد لهذا الجيش الاستقرار في المدن خوفاً من تركهم لفريضة الجهاد، حيث لم يسمح لهم بالبناء باللبن* إلّا بعد الحريق الذي وقع في الكوفة ، ليسمح بعدها لأفراد الجيش البناء باللبن، الا انه شرط عليهم أن لا يزيد كلّ مقاتل عن ثلاث غرف في داره[١٩].

ولّما وصلت القبائل العربية إلى الكوفة ، كان عدد أهل اليمن منها اثني عشر ألف نسمة، وأهل نزار ثمانية آلاف نسمة[٢٠] ، فأجرى سعد بن أبي وقاص القرعةَ بينهم، فكانت الجهة الشرقية من المسجد لأهل اليمن ، وهي أفضل لهم ؛ لأنّها قريبة من النهر كونهم

اشتهروا بالزراعة، فكانت هذه الجهة متلاءمة مع رغباتهم، وأمّا نزار فكانت لهم الجهة الغربية من المسجد.

ونزل أيضاً جماعة من الفرس في الجهة الغربية، وهم من حرس الشرف لكسرى ويدعون (جند شهانشاه) ، حيث التحقوا مع جيش سعد بن ابي وقاص عندما انهزم رستم في القادسية وشاركوا معه في فتح جلولاء ، وأنزلهم سعد حيث اختاروا ، وفرض لهم العطاء، وتحالفوا مع زهرة بن حوية❖، وقد كان لهم نقيب يُقال له: ديلم، فقيل: حمراء ديلم ؛ لأنّ العرب كانت تُسمي العجم بالحمراء ، فكانوا يقولون : جئت من حمراء ديلم ، كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك[٢١].

وقد أستغل اللعين عبيد الله ابن زياد هذا الموقع واستفاد منه ، حيث جعل الدوريات العسكرية من الكوفة إلى باقي مناطق العراق والحجاز ؛ وذلك لمنع أيّ شخص من الالتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام .

ثالثاً : أحياء الكوفة وأسواقها:

١: التخطيط الداخلي:

كان تخطيط الكوفة في بداية الأمر تخطيطاً بدائياً، إلا انه امتلك بعض المميزات التي تجعله اقرب الى الحداثة ، إذ لم يكن عشوائياً، بل وُضع وفق خطة خاصة ، فحينما تمّ تمصير الكوفة فتحت فيها شوارع سكك، وكان عرض السكّة خمسين ذراعاً، وكانت السكّة تُضاء ليلاً بالمشاعل، وقد سميت السكك بأسماء عديدة منها : سكة البريد ، وسكّة العلاء، وسكّة بني محرز، وسكّة شبث، وسكّة عميرة، وسكّة دار الروميين من قصر الإمارة... وكانت تُعرف بأسماء الأعلام والتجّار من قبيل عنترة الحجام وغيره[٢٢] .

وأما الأزقّة، فكان عرضها سبعة أذرُع ، وأمّا المنهج : وهو الحد الفاصل بين صفوف الخيام الواقعة في خطط القبائل ، فكان أربعون ذراعاً والفاصلة بين القطائع ستّون ذراعاً، فكانت المناهج خمسة عشر منهجاً، في شمال المسجد خمسة، وفي جنوبه أربعة، وفي شرقه ثلاثة، وفي غربه ثلاثة[٢٣].

٢ : أحياء الكوفة:

ذكر لنا التأريخ جملة من الأحياء التي اشتُهرت في تاريخ الكوفة، نذكر منها ما يأتي:

أ ـ دور بني جبلة:

كانت هذه الدور عبارة عن محلّة تقع في الجزء الشمالي الغربي من مسجد الكوفة في قبيلة كندة ، وهي التي التجأ اليها سفير الإمام الحُسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل (عليه السلام) عندما بقي وحيداً وأراد الخروج من الكوفة، فذهب ووقف على دار طوعة ، وكانت واقفة على باب بيتها، فسقته وأدخلته بيتها حتى الصباح، عندها هجم عليه عسكر اللعين ابن زياد بقيادة ابن الأشعث بعد أن أخبرهم ابنُها بلال بوجوده[٢٤]، فكانت المواجهة المسلّحة بين مسلم (عليه السلام) والعسكر، والتي انتهت بأسر مسلم واستشهاده عليه السلام.

ب ـ دار الروميين:

هي مزبلة لأهل الكوفة ومكان للنفايات والأوساخ حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن يزيد بن عبد الملك، وكان خلفها باب لدار الإمارة تُدعى باسمها[٢٥] ، ومنها دخل الأشراف والأعوان من أهل الكوفة لنصرة ابن زياد عندما حاصر مسلم بن عقيل (عليه السلام) قصر الإمارة، وقد ساهم دخولهم في تقوية معنويات ابن زياد ودعمه في محاربة مسلم عليه السلام [٢٦].

ج ـ السبخة:

وهي منطقة في الكوفة تقع في الجهة الشرقية من المسجد، كانت عبارة عن سهل صحراوي فسيح من ناحية الفرات ، كان اسمها بالفارسية (جهار سوج) ، كانت تستعمل في الأصل لدفن الموتى ثم استعملت بعد ذلك لكل الاغراض الممكنة التي لا تصلح لها الأزقة الصغيرة الملتوية ، وفيها صُلبت جثث جماعة من أصحاب مسلم عليه السلام[٢٧].

٣: طرق الكوفة :

تميزت مدينة الكوفة بوجود طرق متعددة فيها، وقد عُرفت تلك الطرق بأسماء خاصة، نعرض فيما يأتي أهمّ تلك الطُرُق:

أ – طريق الحج إلى مكّة والمدينة : يعتبر هذا الطريق من أهمّ الطرق في مدينة الكوفة ؛ حيث كان أهلها إذا أرادوا الخروج إلى مكّة خرجوا على جهة القبلة، فتكون أول المنازل لهم القادسية، ثمّ المغشية، ثمّ القرعاء، ثمّ واقصة، ثمّ العقبة، ثمّ الشقوق، ثمّ بطان،

وهذه الأربعة أماكن ديار بني أسد، والعليبة وهي مدينة على سور، والجفر منازل طي، ثمّ إلى مدينة يد، وهي التي ينزلها عمّال طريق مكّة وأهلها قيس وأكثرهم بنو عبس والنقرة، ومنها يعطف الطريق مَن أراد المدينة أو أراد أهلها[٢٨]، وهذا الطريق سلكه الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته في قدومه من مكّة قاصداً الكوفة، حتى اعترضه جيش الحرّ بن يزيد الرياحي، فغيّر مسير الركب إلى كربلاء.

ب- طريق البصرة : يتفرّع هذا الطريق من الكوفة والقرعاء، ومنها إلى مارق، ومنها إلى القلع، ثم إلى سلمستان، ثمَّ إلى أقر، ثمَّ إلى الأخاديد، ثمّ إلى عين صيد، ثمّ إلى عين جمل، ثمّ إلى البصرة، ومسافة هذا الطريق٨٥ فرسخاً[٢٩]، وقد سلك عبيد الله بن زياد هذا الطريق عندما توجّه إلى الكوفة، حتى يصل إليها قبل الإمام الحسين عليه السلام.

ج- طريق دمشق: يتفرّع هذا الطريق من الكوفة أيضاً، ومن الحيرة كذلك، وأول مرحلة منه إلى القطقطانة، ثمَّ إلى البقعة، ثم إلى الأبيض، ثمّ إلى الحوشي، ثمّ إلى الجمع، ثمَّ إلى الخطي، ثم إلى الجبة، وإلى القلو في الرواري، إلى ساعدة، ثمّ إلى البقيعة والأعناك، ثمَّ إلى أذرعات، فالمنزل، فدمشق[٣٠].

د- طريق كربلاء: يبدأ هذا الطريق من الكوفة من ناحية الشمال، ثم النخيلة، ثم كربلاء[٣١] ، وقد حاول عبيد الله بن زياد إحكام السيطرة على هذا الطريق ليمنع أنصار الحسين عليه السلام من أهل الكوفة من الالتحاق بمعسكره والقتال معه في كربلاء.

٤: أهمّ معالم المدينة

لمدينة الكوفة منزلة علمية كبيرة ، حيث كان لها دور ومساهمة فعالة في نشر وتطوّر الكثير من العلوم، والتي لا زالت آثارها تُدرّس حتى الان، فنشأت فيها مساجد و مدارس اهتمت بدراسة كافة انواع العلوم والمعارف ، ونشأت فيها أيضاً مدرسة أهل البيت عليهم السلام، خاصّة عندما نقل الإمام علي عليه السلام عاصمته إليها، حيث التفّ حوله عليه السلام أهل الكوفة ينهلون من علمه وبيانه، ليكون منهجاً في دراستهم، فبزغ منهم أكابر العلماء من اصحاب الفضل والعلم ، أمثال: مِيثم التّمار، ورُشيد الهجري، وكُميل بن زياد (رحمهم الله) وغيرهم.

ومن جهة أُخرى، فإن الكوفة من الأماكن التي حظيت بمنزلة خاصة، حيث بانت مكانتها المرموقة ومنزلتها العظيمة في القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام ، فعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((إنّ الله اختار من البلدان أربعة، فقال الله: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ❖ وَطُورِ سِينِينَ❖ وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾، فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة))[٣٢].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾، قال: ((الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين الفرات))[٣٣].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في فضل أهل الكوفة: ((إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلّا أهل الكوفة))[٣٤].

بالإضافة إلى ذلك فان هناك بعض الأماكن المميّزة في مدينة الكوفة لها أهمية دينية وسياسية، نذكر منها:

أ)مسجد الكوفة :

يُعد مسجد الكوفة من المساجد الاربعة التي لها قدسية ومكانة روحية في الاسلام ، وقد شيد المسجد في وسط المدينة ، حيث أصبح محور المدينة ومركزها الرئيسي[٣٥].

ودلّت الأخبار الكثيرة على أنّ أول مَن خطَّ مسجد الكوفة هو آدم علي عليه السلام السلام، وأنّ مسجد الكوفة ببنائه الحالي قد نقص عن مساحته كثيراً، فقد ذكر الصدوق في كتاب مَن لا يحضره الفقيه، والمجلسي في البحار بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((حدُّ مسجد الكوفة آخر السرّاجين خطّه آدم، وأنا أكره أن أدخله راكباً فقيل له: فمَن غيَّره من خطته؟ قال: أمّا أول ذلك فالطوفان في زمن نوح، ثمّ غيَّره أصحاب كسرى والنعمان بن المنذر، ثمّ غيَّره زياد بن أبي سفيان))[٣٦].

وتميّز مسجد الكوفة بموقع سفينة نوح الذي لا زال موجوداً إلى الآن، حيث فار التنور من زاويتيه، ونُجرت السفينة في وسطه.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((إنّ مسجد الكوفة رابع أربعة مساجد للمسلمين، ركعتان أحبّ إليّ من عشرة فيما سواه، ولقد نُجرت سفينة نوح في وسطه، وفار التنور

من زاويتيه، والبركة منه على اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، ولقد نقص منه اثنا عشر ألف ذراع بما كان على عهدهم))[٣٧].

وفي مسجد الكوفة يتخيَّر المسافر بين القصر والتمام، وذهب أكثر الإمامية إلى ترجيح الإتمام، وخلافه شاذ نادر، وروي عن الصادق عليه السلام ، قال: ((من الأمر المذخور إتمام الصلاة في أربعة مواطن: مكّة، والمدينة، ومسجد الكوفة، وحائر الحسين عليه السلام))[٣٨].

ويُستحب الاعتكاف في مسجد الكوفة، فقد وردت الأخبار عن الأئمّة عليهم السلام في فضل الاعتكاف فيه، وقد عمل العلماء بهذه السُنّة، فكانوا يتعبّدون في هذا المسجد الشريف، وقد سُئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام عن الاعتكاف، فقال: ((لا يصلح إلّا في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول، أو مسجد الكوفة، أو مسجد جماعة، وتصوم ما دمت معتكفاً))[٣٩].

وأمّا فضل الصلاة فيه، فعن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال لي: ((أتُصلّي الصلاة كلها في مسجد الكوفة؟ قلت: لا. قال: أما لو كنت بحضرته لرجوت أن لا تفوتني فيه صلاة. قال: وتدري ما فضله؟ قلت: لا. قال: ما من عبد صالح ولا نبي إلّا وقد صلى في مسجد كوفان. حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُسري به قال له جبرئيل عليه السلام: أتدري أين أنت؟! مقابل مسجد كوفان، فقال: استأذن ربك حتى أهبط فأُصلي فيه. فاستأذن. فأذن له. فهبط، فصلّى فيه ركعتين. وإن الصلاة المكتوبة فيه تعدل بألف صلاة، وإن النافلة فيه تعدل بخمسمائة صلاة، وإن مقدّمه لروضة من رياض الجنة، وإن ميمنته روضة من رياض الجنة، وإن ميسرته روضة من رياض الجنة، وإن مؤخره روضة من رياض الجنة، وإن الجلوس فيه بغير صلاة ولا ذكر لَعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً))[٤٠].

ب) دار الإمارة

خطط سعد بن أبي وقاص دار الإمارة بجانب مسجد الكوفة ليكون مركزاً لقيادته ، وأول ما بناه على شكل ثلاث غرف جعل الباب الرئيسة في باحة القصر، وجعل باباً ثانياً في حائط المسجد لِوصله إلى المحراب عند الصلاة[٤١] .

ولّما تعرَّض بيت مال المسلمين للسرقة والنهب أمر سعد بن أبي وقاص ببناء السور لحمايته من اللصوص، ووسع زياد بن أبيه دار الإمارة ليكون بناءً مربّعاً، وأظهرت التقسيمات الأخيرة لدائرة الآثار العراقية أنّ طول دار الإمارة ١١٠,٣٦ متراً وسُمك الجدران ١,٨٠، وفي بعض الأجزاء قد يصل إلى مترين، وقد دعم كلَّ ضلع من الجدران الأربعة بأربعة أبراج نصف دائرية لتقويتها، وكانت المسافة بين كلِّ برج وآخر٣,٨١ متراً، وأمّا الأركان فقد قوّيت ببرج مستديرة يبلغ ثلاثة أرباع الدائرة(٤٢) ، وجعلت باب الدار الرئيسية في الجهة الشمالية في وسط الضلع الشمالي لمدخل السور الرئيسي، وبين باب السور وباب دار الإمارة مدخلاً عرضه ٢,٧٠ متراً ينتهي بقاعة مربعة عليها قبة(٤٣).

وأمّا السور، فإنّ زياداً ابن أبيه أعاد بناءه أيضاً، وقد وسّعه فبلغ عرضه ١٧٠ متراً وطوله كذلك، وأمّا معدّل سُمك الجدران فأربعة أمتار، ويؤكّد أحد المختصّين في علم الآثار أنّ ارتفاع هذا السور يصل إلى عشرين متراً(٤٤)، والذي يرجّح هذا الاستنباط أنّ أساس هذا السور كان عريضاً ممّا يظنّ فيه أنّه كان يتّخذ لرفع البناء إلى ما يقرب هذا التحديد.

المبحث الثاني :المجالات العلمية في الكوفة وتطورها، وما قيل في حقها.

أولاً : مدارس الكوفة

تمهيد:

عندما نتحدّث عن مدرسة علمية مختصة بعلم ما في بلدٍ خاصٍ كالمدينة، أو الكوفة أو النجف أو بغداد ، فنحن لا نعني بذلك أنّ هذا العلم قد انحصر وتمركز في هذا البلد، وأنّ روّاد هذه المدرسة لم ينتشروا الى غيرها من الارجاء قطّ ، وان ليس لهم أيّ دورٍ في تكوين مدرستهم في بلدانٍ أخرى ، وإنّما عنينا بذلك أن هذه المدرسة قد بلغت من النضج والكمال الخاصّ بها في هذا البلد بالخصوص ، وإن كان للبلدانِ الأخرى دورٌ وتأثيرٌ في تكوينها وبلورتها، مع ما تركت من آثار في تكامل هذه المدرسة.

واشهر هذه المدارس التي نحن بصددها هي مدرسة الكوفة ، والتي وصلت الى قمة من النضج العلمي والفقهي وعلى مختلف المجالات والاصعدة .

أولاً : المدرسة الفقهية :

في أواخر حياة الإمام الصادق عليه السلام ، انتقلت مدرسة الفقه الشيعيّ من المدينة المنورة إلى الكوفة، حيث بدأت حياةٌ فقهيّةٌ جديدةٌ فيها ، فكانت آنذاك مركزاً صناعيّاً، وفكريّاً كبيراً، تقصده البعثات العلميّة والتجاريّة، فذكر البلاذريّ أنّ أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة(٤٥)، فكان لوفود هذه المجاميع المختلفة الى الكوفة، والذي كان وفودهم اما طلباً للعلم، أو التجارة أثراً واضحاً وجلياً في التلاقح العقليّ والذهنيّ في هذه المدرسة، وايضاً كان لهذه الوفادة الاثر الكبير في بلورتها ونضجها علمياً وثقافياً ، إما من جهة الصحابة والتابعين، والفقهاء وأعيان المسلمين، من مختلف الأمصار فقد هاجر إليها ما فاق هذا العدد ، وبذلك اصبحت الكوفة حين انتقل إليها الإمام الصادق عليه السلام وانتقلت إليها مدرسة الفقه الشيعيّ، من أكبر العواصم الإسلاميّة.

وقد عدّ البراقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابيّاً من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقرّوا فيها، ما عدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة ، والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الأسر العلمية التي سكنت هذه البقعة الطاهرة ، ومن الصحابة الّذين هاجروا الى الكوفة ونزلوا فيها(٤٦):

عمّار بن ياسر ، عبد الله بن مسعود ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، خباب ابن الأرث ، سهل بن حنيف ، حذيفة بن اليمان ، أبو مسعود الأنصارى ، سلمان الفارسي وقرضة بن كعب وغيرهم كثير.

ومن التابعين : طارق بن شهاب ، سويد بن غفلة ، مسروق بن الأجدع ، زيد بن صوحان ، كميل بن زياد ، عبد الرحمن بن معقل ، حصين ابن قبيصة وغيرهم كثير.

وقد أورد ابن سعد في طبقاته ترجمة لـ(٨٥٠ تابعيّا) ممن سكن الكوفة(٤٧)، وفي مثل هذا الوقت انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة أيّام أبي العباس السفاح، واستمرّ بقاؤه عليه السلام فيها مدّة سنتين.

عمل الإمام الصادق عليه السلام في هذه الفترة بالخصوص على نشر المذهب الشيعيّ؛ لعدم وجود معارضة سياسيّة قويّة ، حيث سقطت في هذه الفترة الحكومة الأمويّة، وبدأت الحكومة العباسيّة بالظهور، فوجد الإمام الصادق عليه السلام الاجواء مناسبة للدعوة إلى المذهب مغتنماً في ذلك فرصة الصراع على الحكم ، فنشر أصول مدرسة أهل البيت

عليهم السلام، حيث ازدلفت إليه الشيعة من كلّ فجٍ تستقي منه العلم ، وترتوي من منهله العذب، فرتوت عنه الأحاديث في مختلف العلوم ، حيث قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القميّ : إنّي أدركت في هذا المسجد - وكان يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخٍ كلٌّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد عليه السلام.(٤٨)

فكان ازدهار مدرسة الكوفة على يد الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه، حيث اصبحت وقتها منطلق الحركة العقليّة في العصر الثاني من عصور تأريخ الفقه الشيعيّ، ومبعث هذه الحركة، ومركز الإشعاع ، وظلّت تعدّ من أهمّ مراكز الفقه الشيعيّ ، تقصدها البعثات الفقهيّة الشيعيّة ، ويتعاقب فيها فقهاء الشيعة، فتسنمت مركز الصدارة في التدريس، والفتيا، والبحث الفقهيّ.

أبرز أصحاب الإمام الصادق عليه السلام :

كان من بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ثلة من عظماء فقهاء الكوفة منهم :

١- أبان بن تغلب بن رباح الكوفيّ :

هو ابان بن تغلب بن رباح البكري الكندي الربعي الكوفي الجريري مولى بني جرير بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كان من الفقهاء الاجلاء والمحدثين الكبار.

وكنيته (ابو سعيد) او (ابو سعد) كما اشارت الى ذلك الكثير من المصادر، ونقل الحافظ المزي عن الداني ان كنيته (ابو اميمة)(٤٩)، في حين لم تشير المصادر التي تعرضت لحياته الى محل ولادته ، ولعل تلقيبه بالكوفي اشارة الى ذلك او لاستقراره في الكوفة فترة طويلة.

يعد ابان بن تغلب من طبقة التابعين، حيث روى عن الصحابي انس بن مالك، كما روى عن ابناء طبقته من التابعين كعكرمة مولى ابن عباس، وابراهيم النخعي وغيرهم ، في حين عاصر من ائمة اهل البيت عليهم السلام الإمام علي الحسين زين العابدين ، والإمام محمد بن علي الباقر والإمام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام .

قال النجاشي: (وذكره ابو زرعة الرازي في كتابه: في ذكر من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من التابعين ومن قاربهم، فقال: ابان بن تغلب روى عن انس بن مالك)(٥٠).

كان من صفاته الورع والنسك التي عرف بها بين الناس وخصوصاً في مجتمعه بالكوفة.
قال ابن حبان : (ابان بن تغلب من خيار اهل الكوفة)[٥١]، ووصفه ابن عجلان بالنسك[٥٢]،
والظاهر انه كان رجلاً متمكنا كثير المال[٥٣]، وكانت مهنته التجارة حيث ذكر الشيخ الطوسي انه كان بنداراً ، اي تاجراً [٥٤].

٢- محمّد بن مُسلم الكوفي :

فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام، وهو من أصحاب الإجماع.

وردت الكثير من الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام التي ذكرت فضله ومنزلته في الدنيا والآخرة ، وقد أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجها من وجهاء الشيعة، فقد كان من فقهاء الشيعة الذين كان الأئمة عليهم السلام يُرجعون الشيعة إليهم لأخذ معالم دينهم عنهم. روى ما يقارب من (٤٦٠٠٠) رواية عن الإمامين الصادقين، وله من الآثار كتاب الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام.

عرف بالطائفي، الطحان، الكوفي، الأعور، الأوقص، الحداج، القصير[٥٥] وقيل: السمّان[٥٦].

ولد محمد بن مسلم الكوفي سنة ٨٠ هـ،[٥٧] ، توفي سنة ١٥٠ هـ، وقيل سنة ١٧٧ هـ تقريبا[٥٨] ، وكان له من العمر سبعون عاما، وقيل: اثنتان وسبعون عاما[٥٩].

كلّ ذلك بالإضافة إلى البيوتات العلميّة الكوفيّة التي عرفت بانتسابها إلى الإمام الصادق عليه السلام، واشتهرت بالفقه والحديث كبيت آل أعين[٦٠]، وبيت آل حيّان التغلبيّ، وبيت بني عطيّة، وبيت بني دراج، وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية الشيعيّة، التي اشتهرت بالفقه والحديث .

٢ : المدرسة النحوية :

شاع بين المحدثين استقلال كل من البصرة والكوفة وبغداد والاندلس ومصر بمذهبٍ نحويٍ خاص بها انتشر بين علمائها ونحاتها، حيث ألفت ودونت الكتب بهذا

الخصوص ، فهناك كتاب عن مدرسة الكوفة، وآخر عن مدرسة البصرة النحوية، فصنف الدكتور شوقي ضيف كتابًا في المدارس النحوية بين فيه الجهود الخصبة لكل مدرسة، وكل شخصية نابهة فيها، فابتدأ بالمدرسة البصرية ؛ كونها هي التي وضعت أصول النحو وقواعده، والذي كان على يد ابو أسود الدؤلي بتوجيه من الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وغيرها من المدارس فإنما هي فرع لها، وثمرة تالية من ثمارها، وذهب إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق، ثم جاء من بعده سيبويه ، فالأخفش الذي أقرأ النحو لتلاميذ من البصرة والكوفة ثم جاء بعده المازني، فتلميذه المبرِّد وهو آخر أئمة المدرسة البصرية النابهين(٦١).

أما نشاط مدرسة الكوفة فبدأ متأخرًا عند الكسائي الذي استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع في الرواية، وبسط القياس وقبضه، ووضع بعض المصطلحات الجديدة، والتوسع في تخطئة بعض العرب وإنكار بعض القراءات الشاذة .

أما المدرسة البغدادية فقد قامتْ على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية ، مع فتح الأبواب للاجتهاد، والوصول إلى الآراء المبتكرة، ولم يَتَخَلَّص علماء هذه المدرسة مِن نزعتهم إلى إحدى المدرستين السابقتين، أو ميلهم إلى مناهجها أكثر من ميلهم إلى المذاهب الأخرى، أو إلى الاستقلال عنهما.

ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الأندلسية بدءًا مِن القرن الخامس الهجري ومثلها المدرسة المصرية، إلا أن علماءهما لم يكونوا إلا تابعين لعلماء البصرة أو الكوفة أو بغداد، ولم يتجاوزوا الاجتهاد في الفروع(٦٢) .

وبخصوص مدرسة الكوفة يقول الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه المدارس النحوية أسطورة وواقع في حديثه عن الكوفة : (لقد عُرفت الكوفة كما عُرفت البصرة ، فكلتاهما مصران قد مَصَّرهما المسلمون واشتهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي، وشغلتا مكانًا واضحًا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة ، فقد عرفت الكوفة بعلويتها كما عُرفت البصرة بعثمانيتها، وكان أهل المصرين على اتصال

فيما بينهم، وأنت لا تعدم أن تجد بصريين قد استوطنوا الكوفة لغرض ما، كما تجد كوفيين آخرين اتخذوا البصرة سكنًا لهم، وكانت الكوفة مركزًا من مراكز العلم كما كانت البصرة، ولسنا على يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين، إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة، قبل الكوفة)[٦٣] ، وقال أيضًا: (إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي، وقد تلمذ له الكسائي والفراء [٦٤].

وقال الأستاذ شوقي ضيف: (تركت الكوفة للبصرة وضع نَقْط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع نقط الإعجام، والأنظار النحوية والصرفية الأولى التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق، والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعتْ قراءاتهم في العالم العربي، وهم عاصم وحمزة والكسائي ، وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانتْ لم تعنَ بالتحري والتثبت فيما جمعتْ مِن أشعار، حتى ليقول أبو الطيب اللغوي:(الشعر بالكوفة أكثرُ وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يَقُلْه، وذلك بَيِّن في دواوينهم)، وعادة تذكر كتب التراجم أوليَّة للنحو الكوفي مُجَسَّدة في أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء ، أما الرؤاسي فيقول مترجموه: إنه أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعاد إلى الكوفة فتلمذ عليه الكسائي، وألف لتلاميذه كتابًا في النحو سماه (الفيصل)، وكان يزعم أن كل ما في كتاب سيبويه من قوله: (وقال الكوفي) إنما يعنيه، غير أن الكتاب يخلو خلوًّا تامًّا من هذه الكلمة، وإن كان قد ذكر أهل الكوفة مع بعض القراءات في ثلاثة مواضع)[٦٥].

ويتابع قائلًا: (إنما يبدأ النحو الكوفي بدءًا حقيقيًّا بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسَمَا صورة هذا النحو ووضَعَا أسسه وأصوله، وأعدًّا له بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصُّه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه)[٦٦].

تاريخ النحو في الكوفة :

جعل المعنيون بتاريخ النحو القديم بداية النحو الكوفي موصولة بأبي جعفر الرؤاسي، وإلى مثل هذا ذهب المعاصرون، فقد قيل: إن لأبي جعفر الرؤاسي كتاباً في النحو قد اطلع عليه الخليل بن أحمد وانتفع به، وكان هذا هو الذي جعل المعاصرين يذهبون إلى التنافس المزعوم بين الخليل والرؤاسي(٦٧)، على أن من العلم أن نقول: إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي، وقد تتلمذ على يده كل من الكسائي والفراء، وقد ذكر أبو البركات ابن الأنباري أن له كتاب (الفيصل)، وكان ثعلب قد أشار إلى أنه أول كتاب في نحو الكوفيين، وكتاب (التصغير)، وكتاب (معاني القرآن)، وأشار ابن النديم إلى أن هذا الكتاب كان يُروى إلى أيامه، وكتاب (الوقف والابتداء)(٦٨).

ومن علماء النحو في الكوفة الذين ارسوا دعائم هذا العلم ، فنهضوا به واعلوا من شأنه:

١.الرؤاسي: هو أبو جعفر محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكِبَر رأسه، نشأ بالكوفة، وورد البصرة فأخذ عن "أبي عمرو بن العلاء" وغيره من العلماء رجع بعدها إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، كان إماماً بالنحو بارعًا في اللغة، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي والفراء، له كتاب (الفيصل) في النحو كان اول من بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفًا، فهو رأس الطبقة الأولى الكوفية، وكتابه أول مُؤلَّف في النحو بالكوفة، توفي بالكوفة في عهد الرشيد(٦٩).

٢.معاذ الهراء: هو أبو مسلم، لُقِّب بالهراء لبيعه الثياب الهروية، وهو عم الرؤاسي ، أقام بالكوفة واشتغل مع ابن أخيه في النحو، غير أن ولوعه بالأبنية غلب عليه، حتى عده المؤرخون واضع الصرف، لم تكن له مصنفات ، توفي في الكوفة سنة ١٨٧ه(٧٠).

٣.الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة، فارسي الأصل، سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال: (لأني أحرمت في كساء)، وقيل في السبب: لأنه كان يلبس كساء أسود ثمينًا، وُلد بالكوفة في سنة ١١٩هـ، ونشأ بها، وأكبَّ منذ نشأته على حلقات القرَّاء، وتعلَّم النحو على كبر ، توجه بعد ذلك تلقاء البصرة، ودرس المناظرات على يد بعض علمائها امثال

عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب، له مصنفات كثيرة، منها في النحو مختصر، توفي سنة ١٨٩ه[٧١].

٤.الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد، لقب بالفراء (لأنه كان يفري الكلام)، ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن استاذه الكسائي وغيره، وتبحَّر في علوم متنوعة، فكان فذًّا في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها، والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: (الفراء أمير المؤمنين في النحو)، وهو الذي قال: (أموت وفي نفسي شيء من حتى؛ لأنها ترفع وتنصب وتخفض) ، من مصنفاته كتاب (الحدود) ، توفي سنة ٢٠٧ ه[٧٢].

ثانياً : العلوم الاخرى:

١.الشعر :

كانت الكوفة – لا سيما في العصر الأموي – مركزاً للادب والعلوم ، وملتقى الشعراء والعلماء والأدباء، حيث كان يزدحمون في المسجد أو غيره من الاماكن العامة والنوادي والمحافل، للمفاخرة أو المناظرة ، حتى اصبحت كسوق عكاظ والذي كانت العرب تقيمه قديماً في الجاهلية وسوق المربد في البصرة ، فكانت ممتلئة بمجالس الخطباء و حلقات المناشدة والمفاخرة ومجالس العلم والأدب[٧٣] .

وكان الشعر في الكوفة أكثر منه في البصرة، ووقف المختار بن أبي عبيد الثقفي في أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة في القصر الأبيض بالكوفة، مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر، لكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله[٧٤].

ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها، إلا جاء البصرة والكوفة، فازدحمت الأقدام فيهما ونبغ الرواة والأدباء وغيرهم فيهما[٧٥].

ومن جمله الشعراء الّذين عرفوا بالكوفة هم : المنازل بن الأحنف ، ومرداس بن حذام، وعمر بن يزيد بن هلال النخعى ، وحمّاد الراوية ، وعتاب بن قيس الطائي ، ومالك بن أسماء ، ومعن بن زائدة الشيباني ، وأبو العتاهية ، والطرماح بن حكيم الطائي ، ودعبل بن عليّ الخزاعي ، والكميت ابن زيد ، وأبو دلامة الأسدي ، وسليمان بن صرد الخزاعي وأبو الطيب المتنبيّ وغيرهم كثير[٧٦].

٢.الخط الكوفي:

لعب الخط العربي دوراً مهماً عبر العصور المتلاحقة ، سواء في العصر الجاهلي أوالعصر الإسلامي، خاصة مع بداية عصر الخلفاء، عندما صار للكلمة المكتوبة قيمة كبيرة ، لذلك اهتم المتخصصون بتحسين الخط وزخرفته بشكل بديع حتى يُعجَب به كل من يراه ، ويشهد على ذلك العمائر الإسلامية كافة ، المزينة بالخطوط العربية. فرسم الحروف عبر أشكالها المركبة وصورها المتنوعة، تطور عبر الزمن، على أيدي الكثير من العلماء، الذين أسسوا مدارس للخط العربي، ومن هذه الخطوط الخط الكوفي:

فعندما انتقل مركز الخلافة الاسلامية الى الكوفة انتقلت معه الخطوط المعروفة آنذاك (بالمدنيّة والمكيّة) الى الكوفة والبصرة ، ثمّ لم تلبث تلك الخطوط طويلاً حتّى عرفت بالعراق (بالخطّ الحجازي(٧٧).

وفي الكوفة اهتمّ المعنيّون بالخطّ ، فتمكّنوا من ابتكار نوع جديد من الخطّ يختلف عن بقية الخطوط في هندسة أشكاله وصوره عرف (بالخطّ الكوفي) ومن الكوفة انتشر ذلك الخطّ في أرجاء العالم الاسلامي ، فكتبت به لمصاحف الشريفة ، وزينت به جدران المباني والمساجد ، ونقش على النقود وعلى شواهد القبور.

ثالثاً : ما قيل في حق الكوفة :

١ ـ قال الامام عليّ عليه السلام وكان في مسجد الكوفة : ((يا أهل الكوفة ، لقد حباكم الله عزوجل بما لم يحب به أحداً ، ففضل مصلّاكم ، وهو بيت آدم ونوح ، وبيت ادريس ، ومصلّى ابراهيم الخليل ، ومصلّى أخى (الخضر) ومصلاي، وإنّ مسجدكم هذا هو أحد المساجد** الأربعة الّتي اختارها الله عزوجل لأهلها ، وكأني به يوم القيامة في ثوبين أبيضين شبيه بالمحرم يشفع لأهله ، ولمن صلّى فيه ، فلا ترد شفاعته ، ولا تذهب الأيّام حتّى ينصب الحجر الأسود فيه ، وليأتين عليه زمان يكون مصلّى (المهدى) من ولدى ، ومصلّى كلّ مؤمن ، ولا يبقى على الأرض مؤمن الّا كان به ، أو حنّ قلبه إليه ، فلا تهجرنّ ، وتقربوا الى الله عزوجل بالصلاة فيه ، وارغبوا إليه في

قضاء حوائجكم ، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ، ولو حبوا على الثلج))[٧٨].

٢. وقال صعصعة بن صوحان العبدي : (الكوفة : قبلة الاسلام وذروة الكلام ، ومصان ذوي الأرحام ، إلّا أنّ بها أجلافا تمنع ذوى الأمر والطاعة ، وتخرجهم عن الجماعة ، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة)[٧٩].

٣. وقال ابن القرية يصف الكوفة أمام الحجّاج : (الكوفة ارتفعت عن حرّ البحر ، وسفلت عن برد الشام ، وطاب ليلها ، وكثر خيرها)[٨٠].

٣. وقارن الحجّاج بينها وبين البصرة أمام عبد الملك بن مروان فقال : (... أمّا البصرة ، فعجوز شمطاء ، دخراء ، بخراء ، أتيت من كلّ حلي وزينة ، وأمّا الكوفة ، فشابّة حسناء ، جميلة ، لا حلي لها ولا زينة)[٨١].

٤. وقال ابن حوشب : (مدينة الكوفة ، قريبة من البصرة في الكبر، هواءها أصح وماؤها أعذب ، وهي

على الفرات ، وبناؤها كبناء البصرة ، وهي خطط لقبائل العرب ، إلّا أنّها خراب بخلاف البصرة ، لأنّ

ضياع الكوفة قديمة جدا وضياع البصرة أحياء موات في الاسلام)[٨٢] .

٥.اما الرحّالة ابن جبير فقد قال عن الكوفة : (هي مدينة كبيرة ، عتيقة البناء ، قد استولى الخراب على أكثرها ، فالغامر منها أكثر من العامر ، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها ، فهي لا تزال تضرّ بها ، وكفاك تعاقب الليالي والأيّام)[٨٣] .

٦.والكوفة كما وصفها الرحّالة ابن بطوطة: (والكوفة : هي احدى أمّهات المدن العراقيّة، مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة عليّ بن أبى طالب أمير المؤمنين ، الّا أنّ الخراب قد استولى عليها ، وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها ، فإنّهم يقطعون طريقها ، ولا سور عليها ، وبناؤها بالآجر ، وأسواقها حسان ، وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك ، وجامعها الأعظم ، كبير وشريف ... الخ)[٨٤] .

ختاماً ومن خلال ما بيناه يتضح لنا الاثر العظيم الذي خلفته هذه المدرسة العظيمة (مدرسة الكوفة) في خدمة لغة القرآن العظيم، والسنة المعطَّرة، ومدى تفاني علمائها في الحفاظ على لغة الأجداد من التحريف والزوال بالقواعد والمصطلحات.

النتائج:

من خلال ثنايا البحث توصل الباحث الى مجموعة من النتائج :

١.لم يتفق المؤرخون على رأي واحد حول تسمية مدينة الكوفة ، فكانت أراؤهم متعددة في هذا المجال .

٢.لم يتفق المؤرخون حول السنة التي مصّرت فيها الكوفة ، فاختلفوا على عدة اراء واقوال ، فمنهم من ذهب الى ان تمصيرها كان سنة ١٥ه ، وبعضهم ذهب الى انها مصّرت سنة ١٦ه ، في حين ذهب آخرون الى انها مصّرت سنة ١٧ه وهذا التأريخ هو الاشهر بين المؤرخين .

٣.اتسمت مدينة الكوفة بتخطيطها العمراني غير العشوائي ، حيث كان موضوع وفق خطة خاصة جعلته تخطيطاً عمرانياً اقرب للحداثة .

٤.حظيت مدينة الكوفة بمكانة عظيمة ومرموقة ، حيث كان لها ذكر خاص في القرآن الكريم والروايات الشريفة الواردة عن المعصومين عليهم السلام جعلتها في مقدمة اقدس المدن الاسلامية.

٥.تعتبر مدرسة الكوفة من المدارس العظيمة والمشهورة التي اتسمت بالتكامل المعرفي والادبي، فوصلت الى قمة من النضج العلمي والفقهي ، وعلى مختلف المجالات والاصعدة.

Kufa ... Present Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him)

a historical studyIntroduction :

Kufa is the second city to be established in Islam after the Islamic conquest. It is the skull of the Arabs, the spear of God and the treasure of faith. It was the house of Muslim emigration and the capital of the emir of believers Ali ibn Abi Talib. It is the center of Islam and Islamic civilization. Arab and Islamic, because of its religious status and geographical location, in

addition to the important facts that have taken place in its territory, where this city played an important role in the formulation of many events, not to mention the impact on the crystallization of many scientific and cultural tracks. After the conquest, Kufa embodied a new concept for the Arab state when it emerged as a symbol and home to the new Arabism that emerged with Islam. It is different from the one that the city of Al-Hira, which was close to it during the reign of Al-Manathara, for three centuries, when the political authority was transferred to the Arab Muslims. The city of Kufa and other Arab Islamic places became the Mujahideen station, the stable of the tribes, and the link between Medina, the capital of the Muslims and the liberated and open areas, where the Mujahideen took an open line believing their return in the event of danger. Was fighting on the military fronts in Iraq and the eastern regions, and if the military factor took the lead in the establishment of the city of Kufa, the religious factor was at the center of the establishment of Najaf.

الهوامش:

---

(١)الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس: ١٢/ ٤٦٩، مادة كوف.

(٢)الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص:٢٩٩.

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب: ٣١١/٩، مادة كوف.

(٤)المصدر السابق ، ٣١١/٩.

(٥)الحموي : ياقوت ، معجم البلدان، ٤ / ٤٩٠.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ١٢/ ٤٦٩، مادة كوف.

(٧) الحموي : ياقوت ، معجم البلدان : ٤ / ٤٩٢ .

(٨) الأقاليم السبعة: وهي أقسام الأرض حسب تقسيم العلماء الجغرافيين القدماء ، ينظر:ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون(المقدمة) ، ١ / ٤٥.

(٩) القلقشندي ـ صبح الأعشى، ٤ / ٣٣٤.

(١٠) ينظر: المسعودي: علي بن الحسين، التنبيه والإشراف ، ص :١٧٧.

(١١) ينظر : العلامة الحلي ، المنتهى ، ٩٣٧/٢ ، + الكركي ، رسائل المحقق الكركي ، ٢٦٠/١.

(١٢) الاصفهاني : ابي فرج ، الاغاني ، ٣٨١/١٦ .

(١٣) ينظر: الماوردي: علي بن محمد، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة: ص : ٢٨٨ .

(١٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون: ٥٥٠/٢ ، + البراقي : حسين بن احمد النجفي (١٣٣٢هـ) ،تاريخ الكوفة ، تح : ماجد أحمد العطية ، ط : ١ ، سط :١٤٢٤ هـ ، الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية ، ص: ١٤٨ .

(١٥) البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ١٥٣ .

(١٦) الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة: ص: ٥٧.

(١٧) م . ن ، ص : ٤٧.

(١٨) ظ : البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ١٥٣

❖ اللبن: جمع لبنة، التي يُبْنَى بها، وهي المضروب من الطين مربعاً. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٣٧٥، مادة لبن.

(١٩) ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون ، ٢ /٥٥٠.

(٢٠)البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ٢ / ٣٣٨.

❖ زهرة بن حوية بن عبد الله بن قتادة التميمي السعدي، أوفده ملك هجر على النبي محمد ﷺ فأسلم ، ثم شهد القادسية مع سعد بن ابي وقاص وهو الذي قتل الجالينوس ، عاش إلى زمن الحجاج فقتل في وقعة شبيب الخارجي .

ينظر ابن حجر : احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢ هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تح : عادل احمد عبد الموجود ،

ط : ١ ، سط:١٤١٥هـ ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢ /٤٧٢ .

(٢١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢ / ٣٤٣.

(٢٢) المصدر السابق : ٢/ ١٤٣.

(٢٣) الجنابي: كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة: ص٧٥.

(٢٤) ينظر : المفيد: محمد بن محمد، الإرشاد: ٢ / ٥٤.

(٢٥) ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ٣٤٥/٢ ، + البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ١٣٧ .

(٢٦) ينظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، ٤ / ٢٧٦ .

(٢٧) ينظر: البدوي : عبد الرحمن ، الخوارج والشيعة ، ص : ١٢٨.

(٢٨) الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ص : ٤٨.

(٢٩) البراقي: حسن، تاريخ الكوفة، ص: ١٦١.

(٣٠) ينظر: م . ن ، ص: ٨٦ ، + الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ص: ٤٨.

(٣١) ينظر: الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة: ص: ٤٨.
(٣٢) ينظر : الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة: ص: ٥٨.
(٣٣) نفس المصدر، ص :٥٨ .
(٣٤)المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار: ٢٣، /٢٨١. + البراقي، حسين، تاريخ الكوفة، ص:٥٩.
(٣٥) ينظر : البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ١٧٧ .
(٣٦) الصدوق: محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ١/٢٣٠،+ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ، ٣٣٢/١.
(٣٧)المشهدي: محمد بن جعفر، فضل الكوفة ومساجدها، ص : ٣٤.
(٣٨)القمي : جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، ص٤٣٠.
(٣٩)الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي، ١٧٧/٤.
(٤٠)ابن قولويه: جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص: ٧٣.
(٤١)ينظر : البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ص: ٢٧٥.
(٤٢)الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ص: ١٤٣.
(٤٣) ينظر : م . ن ، ص: ١٣٩.
(٤٤)ينظر: الجنابي: كاظم، تخطيط مدينة الكوفة ، ص: ١٤٣.
(٤٥)ينظر: الطباطبائيّ : علي(ت: ١٢٣١ هـ): رياض المسائل، منشورات مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين قم ، ط: الأولى ، ١٤١٢ هـ ، ١ / ٣١ .
(٤٦)ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ١٢/٦ ومابعدها.
(٤٧)ينظر : الشهيد الثاني زين الدين بن علي(ت:٩٦٥ هـ): الروضة البهية شرح اللمعة، منشورات مكتبة الداوري، قم ـ إيران، سط : ١٤١٠ هـ ، ١ / ٣٢.
(٤٨)الميرزا النوريّ (ت: ١٣٢٠ هـ): خاتمة مستدرك الوسائل، منشورات وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران ، ط: الأولى ١٤١٥ هـ ، ٢ / ٢٧.
(٤٩)السيوطي جلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،
ط : ١، سنة النشر: ١٣٨٤ه – ١٩٦٤، ٤٠٤/١ .
(٥٠)النجاشي ، رجال النجاشي ، ص : ١٠ .
(٥١)ابن حبان ، مشاهير علماء الامصار، ص: ١٩٥.
(٥٢)أبن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ١: ٨٢.
(٥٣)القمي ، سفينة البحار ٨: ١٤ ، باب الميم بعد التاء.

(٥٤)الطوسي ، الفهرست ، ص : ١٧.
(٥٥)الشبستري ، الفائق في رواة اصحاب الامام الصادق ، ٣/١٩٠.
(٥٦)العلامة الحلي، إيضاح الاشتباه، ص : ٢٦١.
(٥٧)السبحاني، تذكرة الأعيان، ص : ٧.
(٥٨)الشبستري، الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق، ٣ /١٩١.
(٥٩)الطوسي، رجال الطوسي، ص : ٢٩٤.
(٦٠)الابطحي : محمد علي الموحد ، رسالة في آل زرارة لأبي غالب الزراري، ص : ٨.
(٦١)الفقيه : احمد ، المدارس النحوية (مدرسة البصرة) – مقالة .
(٦٢)السيوطي ، بغية الوعاة ، ١/ ٦٣.
(٦٣)السامرائي : ابراهيم ،المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص:٣١ .
(٦٤)م . ن ، ص : ٣٢ .
(٦٥)شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص : ١٥٣.
(٦٦)م . ن ، ص : ١٥٤.
(٦٧)ينظر : السامرائي : إبراهيم ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص: ٣٢ .
(٦٨)ينظر : م. ن ، ص : ٣٢ .
(٦٩)ينظر : الحموي : ياقوت ، معجم الأدباء ، ٦/ ٢٤٨٦ .
(٧٠)ينظر: الذهبي : شمس الدين ، سير أعلام الأدباء ، ٨ / ٤٨٣.
(٧١)ينظر: الحموي ، معجم الأدباء ، ٤/ ١٧٣٧.
(٧٢)ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٠ / ١٢١.
(٧٣)ينظر : البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ٤٩٤ .
(٧٤) ينظر : السيوطي: جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة ، ٢/ ٢٠٦ – ٢٠٨ .
(٧٥) البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص : ٤٩٤.
(٧٦) ينظر : البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص :٤٩٦ وما بعدها .
(٧٧) الجبوري: محمود شكر ، الخطّ العربي والزخرفة الإسلامية. ص: ٤٧.
❖ المساجد الأربعة : هي المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى في فلسطين ومسجد الكوفة.
(٧٨)الصدوق ، الأمالي، ، ١/ ٢٩٨.
(٧٩)راضى آل ياسين ، صلح الحسن ، ص :٦٤.
(٨٠)ابن العماد ـ شذرات الذهب. ١ / ٣٤٥.

(٨١)المسعودى ـ مروج الذهب. ٣ / ١٥١ ، + عبّاس كاظم مراد ـ المزارات المعروفة بالكوفة. ص : ٧.

(٨٢) البراقي ـ تاريخ الكوفة ، ص: ١١٤.

(٨٣) أبن جبير ، رحلة ابن جبير، ص: ١٦٨

(٨٤) أبن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص: ٢٣١.

المصادر:

القرآن الكريم

١.الأبطحي : محمّد علي الموحّد ، تاريخ آل زرارة و شرح رسالة أبي غالب الزّراري ، د.ط ، د. ت .

٢.الأصفهاني :ابي الفرج (ت٣٥٦ه) ، الاغاني ، نشر : دار احياء التراث العربي .

٣.البدوي : عبد الرحمن ، الخوارج والشيعة ، ط : الخامسة ، سط : ١٩٩٨ م ، المطبعة : الناشر : دار الجليل للكتب والنشر القاهرة – مصر.

٤.البراقي : حسين بن احمد النجفي (١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة ، تح : ماجد أحمد العطية ، ط : ١، سط :١٤٢٤ هـ ، الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية.

٥. أبن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد(ت٧٧٩٩ه)، أدب الرحلات (رحلة أبن بطوطة)، سط : ١٣٨٨ه ، نشر: دار التراث – بيروت .

٦.البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩ه) ، سنة الطبع : ١٩٥٧ م، مط : مطبعة لجنة البيان العربي ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

٧. الجبوري : محمود شكر ، الخط العربي - قيم ومفاهيم والزخرفة الإسلامية ، مط. دار الامل.

٨.أبن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد(ت٦١٤ه) ، رحلة أبن جبير ، سط: ١٣٨٤ه ، نشر : دار صادر للنشر – بيروت .

٩.الجنابي : كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة : عن المصادر التأريخية والاثرية (خاصة في العصر الاموي) ، سنة الطبع : ١٩٦٧م ، نشر : المجمع العلمي العراقي .

١٠.أبن حبان : أبى حاتم محمد (ت٣٥٤ه) ، مشاهير علماء الامصار ، تح : مرزوق علي ابراهيم ، ط : ١ ، سط : ١٤١١ه ، مط : دار الوفاء – منصورة .

أبن حجر : احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢ هـ) :

١١. الإصابة في تمييز الصحابة ، تح : عادل احمد عبد الموجود ، ط : ١ ، سط:١٤١٥هـ ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢.تهذيب التهذيب ، ط : ١ ، سط : ١٤٠٤ه . مط : دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت.
الحموي : ياقوت (ت٦٢٦ه) :
١٣.معجم الأدباء ، ط : ٣ ، سط : ١٤٠٠ه ، نشر : دار الفكر – بيروت.
١٤.معجم البلدان ، سط : ١٩٧٩ ، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٥.**الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان**(ت٧٤٨ه) ، سير اعلام النبلاء ، تح : نذير حمدان ، ط :٩ ، ط : ١٤١٣ ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان.
١٦. **راضى آل ياسين** ، صلح الحسن ، ب.ط .
١٧.**الرازي: محمد بن أبي بكر** (ت ٧٢١)، مختار الصحاح ، تح : احمد شمس الدين ، ط : ١ ، سط : ١٩٩٤ ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
١٨.**الزبيدي : محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني** : تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : علي شيري ، مط : دار الفكر للنشر – بيروت ، سط :١٩٩٤ .
١٩. **السامرائي : ابراهيم** ،المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ط: ١ ، مط : دار الفكر ، سط: ١٩٨٧م .
٢٠.**السبحاني:جعفر**، تذكرة الاعيان ، ط :١ ، سط : ١١٩ه ، مط : اعتماد، نشر : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام .
٢١.**أبن سعد**(ت٢٣٠ه) ، الطبقات الكبرى، مط : دار صادر – بيروت .
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١ه) :
٢٢.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : ١، سنة النشر: ١٣٨٤ه.
٢٣.المزهر في علوم اللغة ، تح: فؤاد علي منصور ، ط : ١ ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت ، سط : ١٤١٨ه .

٢٤.**الشبستري : عبد الحسين** ، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق (ع)، ط :١ ، سط : ١٤١٨ه ، مط : مؤسسة النشر الاسلامي .

٢٥.**الشهيد الثاني: زين الدين بن علي**(ت:٩٦٥هـ): شرح اللمعة، منشورات مكتبة الداوري، قم - إيران، ط :١٤١٠هـ.

٢٦.**شوقي ضيف** ، المدارس النحوية ، ط : ٧ ، نشر : دار المعارف .

٢٧.**الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي** (ت ٣٨١ه) ، من لا يحضره الفقيه ، تح : علي اكبر الغفاري ، ط : ٢ ، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم .

٢٨.**الطباطبائي: علي** (ت١٢٣١ه)، رياض المسائل ، تح : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط : ١، سط : ١٤١٢ه .

٢٩.**الطبري: أبى جعفر محمد بن جرير**(ت٣١٠ه) ، تاريخ الطبري ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان .

الطوسي : أبى جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠ه) :

٣٠. رجال الطوسي ، تح: جواد القيومي ، ط : ١ ، سط : ١٤١٥ه ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم .

٣١.الفهرست ، تح:جواد القيومي ، ط : ١ ، سط : ١٤١٧ه ، مط : مؤسسة النشر الاسلامي .

العلامة الحلي : أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦ه) :

٣٢. إيضاح الاشتباه ، تح : محمد الحسون ، ط : ١ ، سط : ١٤١١ه ، مط : مؤسسة النشر الاسلامي التابع لمجموعة المدرسين – قم .

٣٣.منتهى المطلب ، تح : قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ، ط : ١ ، سط : ١٤١٣ ه ، مط : مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

٣٤.**أبن العماد : أبي الفلاح عبد الحي**(ت١٠٨٩ه) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب مط : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٥.**الفقيه : احمد** ، المدارس النحوية (مدرسة البصرة) – مقالة .

٣٦.**القلقشندي : أحمد بن علي** (ت٨٢١ه) ،صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، تح : محمد حسين شمس الدين ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
٣٧.**القمي: جعفر بن محمد بن قولويه** (ت٣٦٧ه) ، كامل الزيارات ، تح : جواد القيومي ، ط : ١، مط : مؤسسة النشر الاسلامي ، سط : ١٤١٧ه.
٣٨.**القمي : عباس** (ت١٣٥٩ه)، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار ، ط : ٢ ، سط : ١٤١٦ ، نشر : دار النشر للطباعة .
٣٩.**الكركي : علي بن الحسين** (ت ٩٤٠ه) ، رسائل الكركي ، تح : محمد الحسون ، ط : ١ ، سط : ١٤٠٩ ه، مط : الخيام – قم ، الناشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم.
٤٠.**الكليني: محمد بن يعقوب** (٣٢٩ه) ، الكافي ، ط : ٣ ، مطبعة حيدري ، دار الكتب الاسلامية – طهران .
٤١.**الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب** (ت٤٥٠ه) ، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة ،ط : ٢، سط : ١٣٨٦ه ، مط : مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، الناشر : توزيع دار التعاون للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.
٤٢.**المجلسي : محمد باقر** (ت١١١١ه) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، ط : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، مط : الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان.
المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦ه) :
٤٣.مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط: ٢ ، سط : ١٤٠٤ه ، نشر : منشورات دار الهجرة ايران – قم.
٤٤.التنبيه والإشراف ، مط : دار صعب – بيروت .
٤٥.**المشهدي : محمد بن جعفر** (ت ق٦) ، فضل الكوفة ومساجدها ، تح : محمد سعيد الطريحي ، نشر: دار المرتضى – بيروت .

٤٦.**المفيد : أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان** (ت٥٤١٣ه) ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، ط : الثانية ، سط : ١٤١٤ ه، مط : الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٤٧.**أبن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم** (ت٧١١) ، لسان العرب ، سط : ١٤٠٥ه .

٤٨. **النجاشي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد**(ت٤٥٠ه) ، فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، ط : ٥ ، سط : ١٤١٦ه ، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم .

٤٩.**النوري : حسين بن محمد تقي** (ت١٣٢٠ه) ، حاتمة مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة : ١ ، سط : ١٤١٥ ه ، مط : سيد الشهداء – قم.